

تراث الإسلام

تفسير الطبرك

جامع البيان عن تأويل القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١

راجعه وخرج الأحاديث

أحمد محمد شاكر

تحفته وعلق حواشيه

محمود محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ق ٨٦٤٢٤٠

لسم الله الرحمن الرحيم

لرحمة الله وبركاته

قرئ على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري في سنة ست وثلاثمئة ، قال : ٢/١
الحمد لله الذي حَجَّتْ الألبابَ بدائعُ حِكْمِهِ ، وَخَصَّمتِ العقولَ لطائفُ
حُجَّتِهِ^(١) ، وقطعت عنرَ الملحدِين عجايبُ صُنْعِهِ ، وهتفت في أَسْماعِ
العالمِين ألسنُ أدلَّتِهِ ، شاهدةٌ أنه الله الذي لا إله إلا هو ، الذي لا عِدْلَ له
معادل^(٢) ، ولا مثلَ له مماثل ، ولا شريكَ له مُظَاهِر ، ولا وَلَدَ له ولا والد ،
ولم يكن له صاحبةٌ ولا كفواً أحدٌ ، وأنه الجبار الذي خضعت لجبروته الجبابرة ،
والعزيز الذي ذلت لعزته الملوكُ الأعزّة ، وخشعت لمهابته سطوته ذووُ المهابة ،
وأذعنَ له جميعُ الخلقِ بالطاعة طوعاً وكرهاً ، كما قال الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه :
﴿ وَهُوَ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظُلْالُهُمْ بِالْقُدُورِ
وَالْأَصَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥] . فكل موجود إلى وحدانيته ذاع ، وكل محسوس إلى
رُبوبيته هاد ، بما وسّمهم به من آثار الصنعة ، من نقص وزيادة ، وعجز وحاجة ،
وتصرف في عاهات عارضة ، ومقارنة أحداث لازمة ، لتكونَ له الحجة البالغة .
ثم أرّدف ما شهدت به من ذلك أدلَّتُهُ ، وأكد ما استنارت في القلوب منه
بهيجته ، برسلٍ ابتعثهم إلى من يشاء من عباده ، دعاةً إلى ما اتضحت لديهم
صحتّه ، وثبتت في العقول حجته ، ﴿ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾
[سورة النساء : ١٦٥]

(١) حاجه يحتاجه : فازعه الحاجة ، وحجه يحجه : غلبه على حجته . وخاصمه : جادله بالحجة
والبرهان ، وخصمه : غلبه وظهرت حجته على حجته . واللطائف : جمع لطيفة ، وكل شيء دقيق عظيم
وغامض خفي ، يحتاج إلى الفرق والتأني في إدراكه ، فهو لطيف .
(٢) العدل (بكسر العين وفتحها وسكون الدال) والمعدل : التظهير والمثيل . وعادله : ساواه ومثله .

وليدٌ كَرَّ أولو النهى والحلم . فأمدَّهم بعونه ، وأبانهم من سائر خلقه ، بما دل به على صدقهم من الأدلة ، وأيدهم به من الحجج البالغة والآى المعجزة ، لتلايقول القائل منهم ^(١) : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَلَئِنْ أَطَقْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٣٣ - ٣٤]

فجعلهم سفراء بينه وبين خلقه ، وأمناءه على وحيشه ، واختصهم بفضله ، واصطفاهم برسالاته ، ثم جعلهم - فيما خصهم به من مواهبه ، ومن به عليهم من كراماته - مراتب مختلفة ، ومنازل مُفترقة ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، متفاضلات منه . بنات . فكرم بعضهم بالتكليم والنجوى ، وأيد بعضهم بروح القدس ، وخصه بإحياء الموتى ، وإبراء أولى العاهة والعمى ، وفضل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، من الدرجات بالعليا ، ومن المراتب بالعظمى . فحياه من أقسام كرامته بالقسم الأفضل ^(٢) ، وخصه من درجات النبوة بالحظ الأجزل ، ومن الاتباع والأصحاب بالنصيب الأوفر . وابتعته بالدعوة التامة ، والرسالة العامة ، وحاطه وحيداً ، وعصمه فريداً ، من كل جبار عاند ، وكل شيطان مارداً ^(٣) ، حتى أظهر به الدِّين ، وأوضح به السبيل ، وأنهج به معالم الحق ، وفتح به منار الشرك . وزهى به الباطل ، واضمحل به الضلال وخدع الشيطان وعبادة الأصنام والأوثان ^(٤) ، مؤيداً بدلالة على الأيام باقية ، وعلى الدهور والأزمان ثابتة ، وعلى مرَّ الشهور والسنين دائمة ، يزداد ضياؤها على كَرِّ الدهور لإشراقاً ، وعلى مرَّ الليالي والأيام

(١) في المطبوع : « القائل فيهم » ، ومثل هذا التبديل كثير في المطبوع ، سأغفل منه ما شئت لكثرة ، وطلباً للاختصار في التعليق بما لا غناء فيه .

(٢) الأقسام : جمع قسم (بكسر فسكون) ، وهو الحظ والنصيب من الخير .

(٣) الجبار العنيد والمائد : الذى جاز وصال عن طريق الحق ، ثم عتا وطفا وجاوز قدره .

والمارد : الذى مرن على الشر حتى بلغ الغاية ، فتطاول عتوا وتجبراً .

(٤) في المخطوطة : « وجدع » بالهميم مفسومة ، من جدع الأنف ، وهو قطعها ، كناية عن الإذلال . ولا أعظمها جيدة هنا . والجدع جمع خدعة (بضم فسكون) : وهى ما يخدع به من المكر والخلل .

اثلاقاً ، خَصِّصَ من الله له بها دون سائر رسله^(١) — الذين قهرتهم الجبابرة ، واستذلّتهم الأمم الفاجرة ، فتعفّت بعدهم منهم الآثار ، وأخلت ذكركم الليالي والأيام — ودون من كان منهم مُرسلاً إلى أمة دون أمة ، وخاصّة دون عامة ، وجماعة دون كافّة .

فالحمد لله الذي كرمنا بتصديقه ، وشرفنا باتّباعه ، وجعلنا من أهل الإقرار والإيمان به وبما دعا إليه وجاء به ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أزكى صلواته ، وأفضل سلامه ، وأتمّ تحياته .

ثم أما بعد^(٢) ، فإنّ من جسيم ما خصّ الله به أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الفضيلة ، وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة ، وحجّاهم به من الكرامة السنية ، حفظه ما حفظ عليهم — جلّ ذكره وتقدست أسماؤه — من وحيه وتنزيله ، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم صلى الله عليه وسلم دلالة ، وعلى ما خصه به من الكرامة علامة واضحة ، وحجّة بالغة ، أبانه به من كل كاذب ومفتر ، وفصل به بينهم وبين كل جاحد ومُلحد ، وفرّق به بينهم وبين كل كافر ومشرّك ؛ الذي لو اجتمع جميع من بين أقطارها ، من جيّتها وإنسها وصغيرها وكبيرها ، على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً^(٣) . فجعله لهم في دُجى الظلم نوراً ساطعاً ، وفي سُدف الشبهة شهاباً لامعاً^(٤) ، وفي مضلة المسالك دليلاً هادياً ، وإلى سبل النجاة والحقّ حادياً ، ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة : ١٦] . حرسه بعين

(١) في المطبوع : «تخصيصاً» ، وهو تصرف من الطائفين . خصه بالشئ يخصه خصاً وخصوصية (بفتح الخاء وضماً) وخصيصي : أفرده به دون غيره .

(٢) حذف الطائعون قوله : «ثم» ، ليجعلوا كلام الطبري دارجاً على ما ألفوا من الكلام .

(٣) يضمن ما جاء في سورة البقرة : ٢٣ ، ويونس : ٣٨ ، والإسراء : ٨٨ .

(٤) السدف : جمع سدفة ، وهي ظلمة الليل يحاط بها بعض الفسوف ، تكون في أول الليل وآخره ، ما بين الظلمة إلى الشفق ، وما بين الفجر إلى الصلاة .

منه لا تنام ، وحاطه برُكن منه لا يضام ، لاتَهَي على الأيام دعائمه ، ولا تبيد على طول الأزمان معالنه ، ولا يحور عن قصد المحجَّة تابعه^(١) ، ولا يضل عن سُبُل الهدى مُصَاحبه . من اتبعه فاز وهُدَى ، ومن حاد عنه ضلَّ وَغَوَى ، فهو موثلهم الذى إليه عند الاختلاف يَتَلَوْنَ ، ومعتلهم الذى إليه فى النوازل يعقلون^(٢) ، وحصنهم الذى به من وساوس الشيطان يتحصنون ، وحكمة ربهم التى إليها يحتكمون ، وفصل قضائه بينهم الذى إليه ينتهون ، وعن الرضى به يصدرون ، وحبله الذى بالتمسك به من الهلكة يعتصمون .

اللهم فوقنا لإصابة صواب القول فى مُحْكَمه ومُتَشابهه ، وحلاله وحرامه ، وعامته وخاصته ، ومجتمعه ومفسره ، وناجحه ومنسوخه ، وظاهره وباطنه ، وتأويل آيه وتفسير مُشْكِله . وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه ، والثبات على التسليم لمتشابهه . وأوزعنا الشكر على ما أنعمت به علينا من حفظه والعلم بحدوده . إنك سميع الدعاء قريب الإجابة . وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً .

اعلموا عبادَ الله ، رحمكم الله ، أن أحقَّ ما صُرِفَتْ إلى علمه العناية ، وبُليَغَتْ فى معرفته الغاية ، ما كان لله فى العلم به رضى ، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هُدَى ، وأن أجمعَ ذلك لباغيه كتابُ الله الذى لا ريب فيه ، وتنزيله الذى لا مِرْيَةَ فيه ، الفاترُ يجزىل الذخر وسنَى الأجر تاليه ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد^(٣) .

ونحن — فى شرح تأويله ، وبيان ما فيه من معانيه — منشئون إن شاء الله ذلك ، كتاباً مستوعباً لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه ، جامعاً ، ومن سائر الكتب

(١) المحجة : الطريق . والقصد : استقامة الطريق وسهولته .

(٢) وأل يثُل وألا ووؤولا : لُحاً طلباً للنجاة . والموتل : الملجأ والمنجى . والمعتل : الحصن المنيع فى رأس الجبل ، وعقل إليه يعقل عقلا وعقولا : لُحاً إليه وامتنع به . وفى المطبوعة « يعتقلون » ، وفى المخطوطة مثلها غير منقوطة . ولم أجد « اعتقل » بمعنى عقل . وإن صححت فى قياس العربية .

(٣) تضمين آية سورة فصلت : ٤٢ .

غيره في ذلك كافياً . ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما
 اتفقت عليه منه (١) ، واختلافها فيما اختلفت فيه منه . ومُبيِّنو عِلَل كل مذهب
 من مذاهبهم ، ومَوْضُحو الصحيح لدينا من ذلك ، بأوجز ما أمكن من الإيجاز
 في ذلك ، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه .
 والله نَسألُ عونهُ وتوفيقهُ لما يقرب من محابِّهِ ، ويُبْعد من مَساخِطِهِ .
 وصلى الله على صَفْوَتِهِ من خلقه وعلى آلِهِ وسلم تسليماً كثيراً .
 وأولُ ما نبدأ به من القِيل في ذلك : الإبانَةُ عن الأسباب التي البدايةُ بها
 أولى ، وتقديمها قبل ما عداها أخرى . وذلك : البيانُ عما في آي القرآن من المعاني
 التي من قِبَلِها يدخل اللَّبْس على من لم يعان رياضةَ العلوم العربية ، ولم
 تستحكم معرفتُهُ بتصاريف وجوه منطق الألسُن السليقية الطبيعية .

(١) في المطبوعة « عليه الأمة » ، وهو تصرف لا خير فيه . والماء في « منه » راجعة إلى كتاب الله .

﴿ القولُ في البيانِ عن اتفاقِ معاني آي القرآن ، ومعاني منطِق
مَنْ نزل بلسانه القرآن من وَجْه البيان — والدلالة على أن ذلك
من الله تعالى ذكره هو الحكمة البالغة — مع الإبانة
عن فضل المعنى الذى به بَيَّنَّ القرآنُ سائرَ الكلام ﴾

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، رحمه الله :
إن من أعظم نعم الله تعالى ذكره على عباده ، وجسمٍ مَنَّنَه على خلقه ،
ما منحهم من فَضْلِ البيان الذى به عن ضمايرِ صُدُورهم يُبينون ، وبه على عزائم
نفوسهم يَدُلُّون ، فذلَّلَ به منهم الألسن^(١) ، وسَهَّلَ به عليهم المستصعب .
فَبِهِ إِيَّاهِ يُوحِّثُونَ ، وإِيَّاهِ به يُسَبِّحُونَ ويقَدِّسُونَ ، وإِلى حاجاتهم به يتوصلون ،
وبه بينهم يتَحاورُونَ ، فيتعارفون ويتعاملون .

ثم جعلهم ، جلَّ ذكره — فيما منحهم من ذلك — طبقاتٍ ، ورفع بعضهم فوق
بعض درجاتٍ : فَبَيَّنَّ خطيبٌ مُسْتَهَب ، وذَلَّقَ اللسانَ مُهَذَّب ، ومَفْجَمٌ^(٢)
عن نفسه لا يُبين ، وَعَيَّ عن ضمير قلبه لا يُعَبِّر . وجعل أعلامهم فيه رُتَبَةً ،
وأرفعهم فيه درجةً ، أبلغهم فيما أرادَ به بَلاغاً ، وأبينهم عن نفسه به بياناً .
ثم عرَّفهم فى تزييله ومحكم آي كتابه فضلَ ما حباهم به من البيان ، على من

(١) ذلل الشيء : لينه وسهله ونقى عنه جفوته وصعوبته .

(٢) أسهب الرجل : أكثر الكلام ، فإذا أكثر الكلام فى خطأ قالوا : رجل مسهب (يفتح
الهاء) ، وإذا أكثر وأصاب فهو مسهب (بكسر الهاء) . وذلق اللسان : فصيح طليق لا يتوقف .
وقوله « مهذب » : من أهدب الطائر فى طيرانه ، والفرس فى عدوه ، والمتكلم فى كلامه : أسرع وتابع ،
وفى حديث أبي ذر « فجعل يهذبُ الركوع » أى يسرع فيه ويتابعه . يقال : كلمنى فلان فأنجمته :
أسكته فلم يطق جواباً وانقطع ، فهو مفهم . وفى المطبوعة « ومعهم من نفسه ... »

فَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ ذِي الْبِكَمِّ وَالْمُسْتَعْجِمِ اللِّسَانِ (١) ، فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة الزعفران : ١٨] . فَقَدْ وَضَحَ إِذَا لَدَى الْأَفْهَامِ ، وَتَبَيَّنَ لِأَوَّلَى الْأَلْبَابِ ، أَنَّ فَضْلَ أَهْلِ الْبَيَانِ عَلَى أَهْلِ الْبِكَمِّ وَالْمُسْتَعْجِمِ اللِّسَانِ ، بِفَضْلِ اقْتِنَادِ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ عَلَى إِبَانَةِ مَا أَرَادَ إِبَانَتَهُ عَنْ نَفْسِهِ بَيَانَهُ ، وَاسْتَعْجَامِ لِسَانِ هَذَا عَمَّا حَاوَلَ إِبَانَتَهُ بِلِسَانِهِ .

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ - وَكَانَ الْمَعْنَى الَّذِي بِهِ بَايَنَ الْفَاضِلُ الْمَفْضُولَ فِي ذَلِكَ ، فَصَارَ بِهِ فَاضِلًا وَالْآخَرُ مَفْضُولًا ، هُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ فَضْلِ إِبَانَةِ ذِي الْبَيَانِ ، عَمَّا قَصَّرَ عَنْهُ الْمُسْتَعْجِمُ اللِّسَانِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مُخْتَلَفَ الْأَقْدَارِ ، مُتَفَاوَتَ الْغَايَاتِ وَالنِّهَايَاتِ - فَلَا شَكَّ أَنَّ أَعْلَى مَنَازِلَ الْبَيَانِ دَرَجَةٌ ، وَأَسْفَى مَرَاتِبِهِ مَرْتَبَةٌ ، أَبْلَغُهُ فِي حَاجَةِ الْمُبِينِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَبْيَنُهُ عَنْ مَرَادِ قَائِلِهِ ، وَأَقْرَبُهُ مِنْ فَهْمِ سَامِعِهِ . فَإِنَّ تَجَاوَزَ ذَلِكَ الْمَقْدَارَ ، وَارْتَفَعَ عَنْ وَسْعِ الْأَنَامِ ، وَعَجَزَ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ جَمِيعُ الْعِبَادِ ، كَانَ حُجَّةً وَعَلَمًا لِرُسُلِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ - كَمَا كَانَ حُجَّةً وَعَلَمًا لَهَا إِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَإِيرَاءُ الْأَبْرَصِ وَذَوَى الْعَمَى ، بَارْتِفَاعَ ذَلِكَ عَنْ مَقَادِيرِ أَعْلَى مَنَازِلِ طَبِّ الْمُتَطَبِّينِ (٢) ، وَأَرْفَعَ مَرَاتِبِ عِلَاجِ الْمَعَاجِلِينَ ، إِلَى مَا يَعْجِزُ عَنْهُ جَمِيعُ الْعَالَمِينَ . وَكَالَّذِي كَانَ لَهَا حُجَّةً وَعَلَمًا قَطَعَ مَسَافَةَ شَهْرَيْنِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ ، بَارْتِفَاعَ ذَلِكَ عَنْ وَسْعِ الْأَنَامِ ، وَتَعَذُّرِ مِثْلِهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى قَطْعِ الْقَلِيلِ مِنَ الْمَسَافَةِ قَادِرِينَ ، وَلِلْيَسِيرِ ٥/١ مِنْهُ فَاعْلِينَ .

فَإِذَا كَانَ مَا وَصَفْنَا مِنْ ذَلِكَ كَالَّذِي وَصَفْنَا ، فَيَبَيَّنُ أَنَّ لَا بَيَانَ أَبْيَنَ ، وَلَا حِكْمَةَ أَبْلَغَ ، وَلَا مَنْطِقَ أَعْلَى ، وَلَا كَلَامَ أَشْرَفَ - مِنْ بَيَانٍ وَمَنْطِقٍ تَحْدَى

(١) كُلُّ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ فَهُوَ أَصَمٌّ وَمُسْتَعْجِمٌ . اسْتَجَمَّتْ عَلَيْهِ قِرَاةُ : انْتَبَهَتْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ أَنْ يَمْضِيَ فِيهَا ، فَسَكَتَ وَانْقَطَعَ عَنِ الْقِرَاءَةِ .

(٢) مَقَادِيرُ : جَمْعُ مَقْدَارٍ ، وَهُوَ الْقُوَّةُ ، وَبِطَلَةِ الْقُدْرَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْمَقْدَرَةِ .

به امرؤ قوماً في زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة ، وقيل الشعر والفصاحة ، والسجع والكهانة ، على كل خطيب منهم وبلغ (١) ، وشاعر منهم وفصيح ، وكل ذى سجع وكهانة - فسفه أحلامهم ، وقصر بعقوله (٢) ، وتبرا من دينهم ، ودعا جميعهم إلى اتباعه والقبول منه والتصديق به ، والإقرار بأنه رسول إلههم من ربهم . وأخبرهم أن دلالة على صدق مقالته ، وحجته على حقيقة نبوته - ما أتاها به من البيان ، والحكمة والفرقان ، بلسان مثل ألسنتهم ، ومنطق موافقة معاني منطقهم . ثم أنبا جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عجيبة ، ومن القدرة عليه نقصة . فأقر جميعهم بالعجز ، وأذعنوا له بالتصديق ، وشهدوا على أنفسهم بالنقص . إلا من تجاهل منهم وتغامى ، واستكبر وتعاشى ، فحاول تكلف ما قد علم أنه عنه عاجز ، ورام ما قد يقن أنه عليه غير قادر . فأبدى من ضعف عقله ما كان مستتراً ، ومن عيب لسانه ما كان مصوناً ، فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق ، والجاهل الأحمق ، فقال : « والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، فالخابزات خبزاً ، والثارذات ثرداً ، واللاقيات لقيماً » (٣) ، ونحو ذلك من المحامقات المشبهة دعواه الكاذبة .

فإذ كان تفاضل مراتب البيان ، وتباين منازل درجات الكلام ، بما وصفنا قبل - وكان الله تعالى ذكره وتقديس أسمائه ، أحكم الحكماء ، وأحلم الحكماء ،

(١) في المطبوعة : « كل خطيب . . . » بحذف « عل » ، وفي المخطوطة « على خطيب . . . » بحذف « كل » . وكلتاها لا يستقيم بها كلام . والصواب ما أثبتناه . وأراد الطبري أنهم رؤساء صناعة الخطب والبلاغة . . . على كل خطيب منهم وبلغ . . . يعنى أن الذين تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن من العرب ، كانوا رؤساء البيان والبلاغة على كل مدين وبلغ من سائر العرب . (٢) سفه أحلامهم : نسبهم إلى السفه ، وهو خفة الخلق واضطراب الرأي وضعفه ، وهو باب من الجهل . وفي المطبوعة : « وقصر معقولهم » والمعقول مصدر كالعقل ، يقال : ما لفلان معقول ، أى ما له عقل . وكأنه أراد بقوله « قصر » : نسبهم إلى قصر العقل وقلة . وأما قوله « قصر بمعقولهم » فكأنه ضمن « قصر » معنى استخف بها ، فعدها بالباء ، أى عاب عقولهم واستقصاها واستخف بها . وأنا في شك من صواب هذا الحرف .

(٣) من هذيان مسيلة الكذاب لعنه الله . انظر تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٥ وسواه .

— كان معلوماً أن أيّن البيان بيانه ، وأفضل الكلام كلامه ، وأن قدر فضل بيانه ، جلّ ذكره ، على بيان جميع خلقه ، كفضله على جميع عبادِه .

فإذْ كان كذلك — وكان غير مبين منّا عن نفسه منّ خاطبَ غيره بما لا يفهمه عنه المخاطب — كان معلوماً أنه غير جائز أن يخاطبَ جلّ ذكره أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المخاطبُ ، ولا يرسل إلى أحد منهم رسولاً برسالة إلا بلسانٍ وبيانٍ يفهمه المرسلُ إليه . لأن المخاطب والمرسل إليه ، إن لم يفهم ما خُوطب به وأُرسل به إليه ، فحالُه — قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده — سواءٌ ، إذ لم يفدُه الخطابُ والرسالةُ شيئاً كان به قبل ذلك جاهلاً . والله جلّ ذكره يتعالى عن أن يخاطبَ خطاباً أو يرسل رسالةً لا توجب فائدة لمن خُوطب أو أُرسِلت إليه ، لأن ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث ، والله تعالى عن ذلك مُستعالٍ . ولذلك قال جل ثناؤه في محكم تنزيله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤] . وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٤] . فغير جائز أن يكونَ به مهتدياً ، من كانَ بما يُهدى إليه جاهلاً .

فقد تبين إذاً — بما عليه دللنا من الدلالة — أن كلَّ رسولٍ لله جلّ ثناؤه أرسله إلى قوم ، فإنما أرسله بلسان من أرسله إليه ، وكلَّ كتاب أنزله على نبي ، ورسالة أرسلها إلى أمة ، فإنما أنزله بلسان من أنزله أو أرسله إليه . فاتضح بما قلنا ووصفنا ، أن كتاب الله الذي أنزله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بلسان محمد صلى الله عليه وسلم . وإذْ كان لسان محمد صلى الله عليه وسلم عربياً ، فبيّن أن القرآن عربيٌّ . وبذلك أيضاً نطق محكم تنزيل ربنا ، فقال جلّ ذكره : ٦/١ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يوسف : ٢] . وقال : ﴿ وَإِنَّهُ

لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿ [سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥] .

وإذ كانت واضحةً صريحةً ما قلنا - بما عليه استشهدنا من الشواهد ، ودللتنا عليه من الدلائل - فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لمعاني كلام العرب موافقةً ، وظاهره لظاهر كلامها ملائماً ، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان ، بما قد تقدم وصفناه .

فإذ كان ذلك كذلك ، فبين - إذ كان موجوداً في كلام العرب الإيجاز والاختصار ، والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار ، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال ، واستعمال الإطالة والإكثار ، والترداد والتكرار ، وإظهار المعاني بالأسماء دون الكناية عنها ، والإسرار في بعض الأوقات ، والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر ، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر ، وعن الكناية والمراد منه المصرح ، وعن الصفة والمراد الموصوف ، وعن الموصوف والمراد الصفة ، وتقدير ما هو في المعنى مؤخر ، وتأخير ما هو في المعنى مقدم ، والاكتفاء ببعض من بعض ، وبما يظهر عما يحذف ، وإظهار ما حظه الحذف - (١) أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ، في كل ذلك له نظيراً ، وله مثلاً وشيهاً .
ونحن مبينون جميع ذلك في أماكنه ، إن شاء الله ذلك وأمد منه بعون وقوة .

(١) قوله : « أن يكون ... » مبتدأ قوله « فين » ، وما بينهما اعتراض طويل ؛ وهذا دأب الطبري أبداً ، حتى كأنه لم يكن يخشى على قارئه أن يسوء فهمه أو تكل فطنته .

﴿ القول في البيان ﴾

﴿ عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب ﴾

﴿ وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم ﴾

قال أبو جعفر : إن سألنا سائل فقال : إنك ذكرت أنه غيرُ جائز أن يخاطب الله تعالى ذكره أحدًا من خلقه إلا بما يفهمه ، وأن يرسل إليه رسالة إلا باللسان الذي يفقهه

١ - فما أنت قائل فيما حدثكم به محمد بنُ حميد الرازي ، قال : حدثنا حكام بن سلم ، قال : حدثنا عنبسة ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص عن أبي موسى : ﴿ يُوْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِي ﴾ [سورة الحديد : ٢٨] ، قال : الكفلان : ضعفان من الأجر ، بلسان الحبشة^(١) .

٢ - وفيما حدثكم به ابنُ حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ [سورة المزمل : ٦] قال : بلسان الحبشة إذا قامَ الرجلُ من الليل قالوا : نَشَأُ^(٢) .

٣ - وفيما حدثكم به ابن حميد قال : حدثنا حكام ، قال : حدثنا عنبسة ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة : ﴿ بِإِجَالٍ أَوْيِيْ مَعَهُ ﴾ قال : سَبَّحِي ، بلسان الحبشة^(٣) ؟ قال أبو جعفر : وكل ما قلنا في هذا الكتاب « حدثكم » فقد حدثونا به .

(١) الخبر ١ - يأتي بهذا الإسناد في تفسير سورة الحديد : ٢٨ وفي إسناده هناك خطأ .

(٢) الخبر ٢ - يأتي بإسناده في تفسير سورة المزمل : ٦

(٣) الخبر ٣ - يأتي بإسناده في تفسير سورة سبأ : ١٠

٤ - وفيما حدثكم به محمد بن خالد بن خيداش الأزدي ، قال : حدثنا سلم ابن قتيبة ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله : ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ [سورة المدثر : ٥١] قال : هو بالعربية الأسد ، وبالفارسية شار ، وبالنبطية أريا ، وبالحبشية قسورة^(١) .

٥ - وفيما حدثكم به ابن حميد قال : حدثنا يعقوب القمّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبّير قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، أَعُجِبِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ﴾ [سورة فصلت : ٤٤] فأنزل الله بعده هذه الآية في القرآن بكل لسان فيه . ﴿ حَجَارَةٌ مِنْ سَجِيلٍ ﴾ [سورة هود : ٨٢ ، وسورة الحجر : ٧٤] قال : فارسية أعربت « سنك وكل »^(٢) .

٦ - وفيما حدثكم به محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، قال : في القرآن من كل لسان^(٣) .

٧/١ وفيما أشبه ذلك من الأخبار التي يطولُ بذكرها الكتاب ، مما يدل على أن فيه من غير لسان العرب ؟

قيل له : إن الذي قالوه من ذلك غير خارج من معنى ما قلنا - من أجل أنهم لم يقولوا : هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً ، ولا كان ذاك

(١) الخبر ٤ - يأتي بإسناده في تفسير سورة المدثر : ٥١

(٢) الخبر ٥ - يأتي بإسناده في تفسير سورة فصلت : ٤٤ . ونص الخبر هناك : « فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان فيه ... » وهي أجود . وفي الدر المنثور ٥ : ٣٦٧ : « وأنزل الله تعالى بعد هذه الآية فيه بكل لسان . حجارة ... » ثم يأتي بإسناده مختصراً في تفسير سورة هود : ٨٢ . وانظر سائر ما روى في « سجيل » في تفسير سورة القيل : ٤ . وقوله « حجارة من سجيل » . . كلام مستأنف ، ضربه مثلاً لما جاء في القرآن من الألسنة الأخرى .

(٣) الخبر ٦ - لم أجده في مكان آخر بعد . وهو في الدر المنثور ٥ : ٣٦٧ وفيه : « بكل لسان » .

لها منطقاً قبل نزول القرآن ، ولا كانت بها العرب عارفةً قبل مجيء الفرقان -
 فيكون ذلك قولاً لقولنا خِلَافاً^(١) . وإنما قال بعضهم : حرف كذا بلسان الحبشة
 معناه كذا ، وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا . ولم نستنكر أن يكون من
 الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ، فكيف
 بجنسين منها ؟ كما قد وجدنا اتفاق كثير منهن فيما قد علمناه من الألسن المختلفة ،
 وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس ، وغير ذلك - مما يتعب إحصاؤه
 ويُحِيلُ تعداده ، كرهنا إطالة الكتاب بذكره - مما اتفقت فيه الفارسية والعربية
 باللفظ والمعنى . ولعل ذلك كذلك في سائر الألسن التي نجعل منطقها ولا نعرف كلامها .
 فلو أن قائلًا قال - فيما ذكرنا من الأشياء التي عُدُّنا وأخبرنا اتفاقه في
 اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية ، وما أشبه ذلك مما سكتنا عن ذكره - : ذلك
 كله فارسي لا عربي ، أو ذلك كله عربي لا فارسي ، أو قال : بعضه عربي
 وبعضه فارسي ، أو قال : كان يخرج أصله من عند العرب فوقع إلى العجم
 فنطقوا به ، أو قال : كان يخرج أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فأعربت به -
 كان مُستجهلاً^(٢) . لأن العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك
 منها إلى العجم ، ولا العجم أحق أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى
 العرب ، إذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجوداً في الجنسين .
 وإذا كان ذلك موجوداً على ما وصفنا في الجنسين ، فليس أحد الجنسين
 أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر . والمدعى أن مخرج
 صل ذلك إنما كان من أحد الجنسين إلى الآخر ، مدعى أمراً لا يوصل إلى
 حقيقة صحته إلا بنحو يوجب العلم ، ويزيل الشك ، ويقطع العذرَ صحته .

(١) خلاف : مخالف ، وسيكثر مجيئها في كلام الطبري .

(٢) قوله : « كان مستجهلاً » ، جواب قوله : « لو أن قائلًا قال . . . » . والفصل في عبارة
 الطبري يكون أطول من هذا ، كما سير بك . واستجهل فلاناً : عده جاهلاً ، أو وجده جاهلاً . والجهل
 هنا : فساد الرأي واضطرابه ، لأنه مبني على التحكم المنحصر ، كما ترى في رد الطبري .

بل الصواب في ذلك عندنا : أن يسمّى : عربياً أعجمياً ، أو حبشياً عربياً ،
إذ كانت الأمتان له مستعملتين - في بيانها ومنطقها - استعمال سائر منطقها
وبيانها . فليس غير ذلك من كلام كل أمة منهما ، بأولى أن يكون إليها
منسوباً - منه (١) .

فكذلك سبيل كل كلمة واسم اتفقت ألفاظ أجناس أم فيها وفي
معناها ، ووجد ذلك مستعملاً في كل جنس منها استعمال سائر منطقهم ،
فسبيل إضافته إلى كل جنس منها ، سبيل ما وصفنا - من الدرهم والدينار
والدواة والقلم ، التي اتفقت ألسن الفرس والعرب فيها بالألفاظ الواحدة والمعنى
الواحد ، في أنه مستحق إضافته إلى كل جنس من تلك الأجناس - اجتماع
واقتران (٢) .

وذلك هو معنى من روينا عنه القول في الأحرف التي مضت في صدر هذا
الباب ، من نسبة بعضهم بعض ذلك إلى لسان الحبشة ، ونسبة بعضهم بعض
ذلك إلى لسان الفرس ، ونسبة بعضهم بعض ذلك إلى لسان الروم . لأن من
نسب شيئاً من ذلك إلى ما نسب إليه ، لم ينف - بنسبته إياه إلى ما نسب إليه -
أن يكون عربياً ، ولا من قال منهم : هو عربي ، نفي ذلك أن يكون مستحقاً
النسبة إلى من هو من كلامه من سائر أجناس الأمم غيرها . وإنما يكون الإثبات
دليلاً على النفي ، فيما لا يجوز اجتماعه من المعاني ، كقول القائل : فلان قائم ،
فيكون بذلك من قوله دالاً على أنه غير قاعد ، ونحو ذلك مما يمتنع اجتماعه
لتنافيها . فأما ما جاز اجتماعه فهو خارج من هذا المعنى . وذلك كقول القائل
٨/١ فلان قائم مكلّم فلاناً ، فليس في تثبيت القيام له ما دل على نفي كلام آخر ،

(١) قوله « منه » ، متعلق بقوله « بأول » ، أي « بأول منه »

(٢) في المطبوعة « باجتماع واقتران » . وأراد الطبري بقوله « اجتماع واقتران » أي إن يقال
هو : « عرب أعجمي ، أو حبشي عربي » ، كما مر آنفاً في كلامه . وسياق عبارته بعد حذف التفسير
والاعتراض من كلامه هو هذا : « فسبيل إضافته إلى كل جنس منها ، سبيل ما وصفنا . . . اجتماع
واقتران » . أي أن يجمع بين الوصفين أو يقرن بين النسبتين .

لجواز اجتماع ذلك في حال واحد من شخص واحد . فقاتل ذلك صادق إذا كان صاحبه على ما وصفه به .

فكذلك ما قلنا - في الأحرف التي ذكرنا وما أشبهها - غير مستحيل أن يكون عربياً بعضها أعجمياً، وحشياً بعضها عربياً، إذ كان موجوداً استعمال ذلك في كلتا الأمتين . فناسب ما نسب من ذلك إلى إحدى الأمتين أو كليهما محقق غير مبطل .

فإن ظن ذو غباء أن اجتماع ذلك في الكلام مستحيل - كما هو مستحيل في أنساب بني آدم - فقد ظن جهلاً . وذلك أن أنساب بني آدم محصورة على أحد الطرفين دون الآخر ، لقول الله تعالى ذكره : ﴿ اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة الأحزاب : هـ] . وليس ذلك كذلك في المنطق والبيان ، لأن المنطق إنما هو منسوب إلى من كان به معروفاً استعماله . فلو عُرِف استعمال بعض الكلام في أجناس من الأمم - جنسين أو أكثر - بلفظ واحد ومعنى واحد ، كان ذلك منسوباً إلى كل جنس من تلك الأجناس ، لا يستحق جنس منها أن يكون به أول من سائر الأجناس غيره . كما لو أن أرضاً بين سهل وجبل ، لها هواء السهل وهواء الجبل ، أو بين بر وبحر ، لها هواء البر وهواء البحر - لم يتمتع ذو عقل صحيح أن يصفها بأنها سهلية جبلية (١) . أو بأنها برية بحرية ، إذ لم تكن نسبتها إلى إحدى صفتيها نافية حقاً من النسبة إلى الأخرى . ولو أفرد لها مفرد إحدى صفتيها ولم يسلبها صفتها الأخرى ، كان صادقاً محققاً .

وكذلك القول في الأحرف التي تقدم ذكرناها في أول هذا الباب .

وهذا المعنى الذي قلناه في ذلك ، هو معنى قول من قال : في القرآن من كل لسان - عندنا بمعنى ، والله أعلم : أن فيه من كل لسان اتفاق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الأمم التي تنطق به ، نظير ما وصفنا من القول فيها مضى .

(١) النسبة إلى سهل (يقع فسكون) : سهل ، بضم السين ، حل غير القياس .

وذلك أنه غير جائز أن يتوهم على ذي فطرة صحيحة ، مقرّ بكتاب الله ،
 ممن قد قرأ القرآن وعرف حدود الله — أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي ،
 وبعضه نبطي لا عربي ، وبعضه رومي لا عربي ، وبعضه حبشي لا عربي (١) ،
 بعد ما أخبر الله تعالى ذكره عنه أنه جعله قرآناً عربياً . لأن ذلك إن كان
 كذلك ، فليس قول القائل : القرآن حبشي أو فارسي ، ولا نسبة من نسبه
 إلى بعض ألسن الأمم التي بعضه بلسانه دون العرب — بأولى بالتطويل من قول
 القائل (٢) : هو عربي . ولا قول القائل : هو عربي بأولى بالصحة والصواب من

(١) في المطبوع والمخطوط « وبعضه عربي لا فارسي » مكان « وبعضه رومي لا عربي » ، وهو
 فاسد المعنى فأثرت أن أثبت ما يقتضيه سياق الكلام . وقد ذكر الروم آتفاً في ص ١٦ .
 (٢) في المطبوعة : « بالتطول » وأراد الطبري بقوله « التطويل » نسبة القول إلى التزديد والسمة
 في الكلام ، حتى يستغرق الوصف بإحدى الصفات سائر الصفات الأخرى . وكلام الطبري يحتاج
 إلى فضل بيان — من أهل قوله : « وذلك أنه غير جائز أن يتوهم . . . » إلى قوله : « ولا جائز نسبته
 إلى كلام العرب » . فأقول :

أراد الطبري أن يقول : إنه لا يستقيم في العقل أن يكون الرجل مؤثماً بكتاب الله ، عارفاً بمعانيه
 وحده ، مقرّاً بأن الخبر قد جاء من ربه أنه جعل القرآن « قرآناً عربياً » ، ولم يجعله أعجمياً بقوله
 « ولو جملناه قرآناً لأعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أ أعجمي وعربي » — ثم يعتقد مع ذلك : أن بعض
 القرآن فارسي لا عربي ، وبعضه نبطي لا عربي ، وبعضه رومي لا عربي ، وبعضه حبشي لا عربي . فإنه
 إن قل ، فقد نفى عن بعض القرآن أنه عربي ، والله يصف القرآن كله بأنه عربي . وأثبت لبعض القرآن
 أنه أعجمي ، والله تعالى ينفي عن جميعه أنه أعجمي .

وخبر الله تعالى عن كتابه أنه جعله « قرآناً عربياً » صفة شاملة لا يجوز لأحد أن يخص
 شمولها على بعض القرآن دون بعض . ولو جاز لأحد أن يخص شمولها من عند نفسه فيقول :
 « بعض القرآن حبشي لا عربي ، أو فارسي لا عربي . . . » ، لحاز أيضاً لقائل أن يقول من عند نفسه :
 « القرآن حبشي أو فارسي أو رومي ، أو أعجمي » .

وحجة الطبري في ذلك : أن الذي يخص شمول الصفة من عند نفسه على بعض القرآن بأنه عربي ،
 ويقول إن بعضه الآخر يوصف بأنه حبشي أو فارسي أو رومي — يدعي أن وصف القرآن بأنه عربي ،
 محمول على تغليب إحدى الصفات على سائر الصفات الأخرى . ولو جاز ذلك ، لحاز لقائل أن يقول :
 « القرآن حبشي أو فارسي أو رومي » ، لأنه فعل مثله ، فغلب إحدى الصفات على الصفات الأخرى .
 وإذا اقتصر المقتصر على صفة بعضه فقال : « القرآن حبشي أو فارسي » ، لم يكن أولى بأن
 ينسب إلى التوسع في الكلام والتزديد في الصفة ، من القائل : « القرآن عربي » ، لأنه اقتصر أيضاً
 على صفة بعضه ، فتوسع في الكلام وتزديد في الصفة .

وإذا كان ما في القرآن من فارسي ورومي ونبطي وحبشي ، نظير ما فيه من عربي ، فليس قول
 القائل : « القرآن عربي » ، أولى بالصحة والصواب من قول القائل : « القرآن فارسي أو حبشي » ،

قول ناسبه إلى بعض الأجناس التي ذكرنا . إذ كان الذي بلسان غير العرب من سائر ألسن أجناس الأمم فيه ، نظير الذي فيه من لسان العرب . وإذا كان ذلك كذلك ، فيستلزم إذاً خطأ من زعم أن القائل من السلف : في القرآن من كل لسان ، إنما عني بقبيله ذلك ، أن فيه من البيان ما ليس بعربي ، ولا جائز نسبته إلى لسان العرب .

ويقال لمن أبي ما قلنا — ممن زعم أن الأحرف التي قدمنا ذكرها في أول الباب وما أشبهها ، إنما هي كلام أجناس من الأمم سوى العرب ، وقعت إلى العرب فعربته — : ما برهانتك على صحة ما قلت في ذلك ، من الوجه الذي يجب التسليم له ، فقد علمت من خالفك في ذلك ، فقال فيه خلاف قولك ؟ وما الفرق بينك وبين من عارضك في ذلك فقال : هذه الأحرف ، وما أشبهها من الأحرف غيرها ، أصلها عربي ، غير أنها وقعت إلى سائر أجناس الأمم غيرها فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بألسنتها — من الوجه الذي يجب التسليم له ؟ فلن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله .

فإن اعتل في ذلك بأقوال السلف التي قد ذكرنا بعضها وما أشبهها ، طوّل

فكلاهما أطلق صفة أحد التفسيرين على الآخر . وإذا جاز لأحدهما أن يفعل ذلك مصيباً في قوله ، جاز للآخر مثله مصيباً في قوله .

وهذا فساد من القول وتناقض ، ومخالف لقوله تعالى : « ولو جملناه قرآناً أعجيباً لقالوا لولا فصلت آياته أعجيبى وعربى » ، فهذه شهادة من الله تعالى بأنه لم يجعله أعجبياً ، كشهاده سبحانه بأنه جملة « قرآناً عربياً » . وقد اقتضى منهج هذا القائل أن يقال : « القرآن حشى أو فارسي » . كما يقال : « القرآن عربي » سواء . فتناقض هذا قول الله سبحانه . وهذا قول « غير جائز أن يتوهم حل في فطرة صحيحة ، مقر بكتاب الله ، عن قرأ القرآن ، وعرف حدود الله » كما قال الطبري رحمه الله . وإذا فنقول القائل من السلف : « في القرآن من كل لسان » ، ليس يعني به أن فيه ما ليس بعربي بما لا يجوز أن ينسب إلى لسان العرب — بل معناه أن فيه ألفاظاً استعملتها العرب ، وهذه الألفاظ أنفسها بما استعملته الفرس أو الروم أو الحبش ، حل جهة اتفاق اللغات على استعمال لفظ واحد بمعنى واحد ، لا على جهة انفراد الكلمة من القرآن بأنها فارسية غير عربية ، أو رومية غير عربية . فإن السلف أعرف بكتاب الله ومعانيه وبحججه ، لا يدخلون الفساد في أقوالهم ، مناقضين شهادة الله لكتابه بأنه عربي غير أعجيبى .

— مطالبتنا من تأويل عليهم في ذلك تأويله — بالذى قد تقدم بيانه . وقيل له :
 ٩/١ ما أنكرتَ أن يكون من نسب شيئاً من ذلك منهم إلى من نسبه من أجناس
 الأمم سوى العرب ، إنما نسبه إلى إحدى نسبتيه التى هو لها مستحق ، من غير
 تنفى منه عنه النسبة الأخرى ؟ ثم يقال له : أرايتَ من قال لأرض سُهلية جبلية :
 هى سُهلية ، ولم ينكر أن تكون جبلية ، أو قال : هى جبلية ، ولم يدفع أن
 تكون سُهلية ، أنافٍ عنها أن تكون لها الصفة الأخرى بقيله ذلك ؟
 فإن قال : نعم ! كابر عَقْلُهُ . وإن قال : لا ، قيل له : فما أنكرتَ أن يكون
 قولٌ من قال في حَبْتِيل : هى فارسية ، وفي القسطاس : هى رومية — نظيرَ ذلك ؟
 وسئل الفرقَ بين ذلك ، فلن يقولَ في أحدهما قولاً إلا ألزم في الآخر مثله .

﴿ القول في اللغة ﴾

﴿ التي نزل بها القرآن من لغات العرب ﴾

قال أبو جعفر :

قد دللنا ، على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وُفِّق لفهمه ، (١) على أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم ، وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغاتها .

فنقول الآن — إذ كان ذلك صحيحاً — في الدلالة عليه بأيُّ ألسن العرب أنزل : بألسن جميعها أم بألسن بعضها ؟ إذ كانت العرب ، وإن جمَعَ جميعها اسمُ أنهم عرب ، فهم مختلفو الألسن بالبيان ، متباينو المنطق والكلام . وإذا كان ذلك كذلك — وكان الله جل ذكره قد أخبر عباده أنه قد جعل القرآن عريباً وأنه أنزل بلسانٍ عربيٍّ مبين ، ثم كان ظاهره محتملاً خصوصاً وعموماً — لم يكن لنا السبيلُ إلى العلم بما عني الله تعالى ذكره من خصوصه وعمومه ، إلا ببيان مَنْ جعل إليه بيان القرآن ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذ كان ذلك كذلك — وكانت الأخبار قد تظاهرت عنه صلى الله عليه وسلم

٧ — بما حدثنا به خلاد بن أسلم ، قال : حدثنا أنس بن عياض ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة ، قال — لا أعلمه إلا عن أبي هريرة — : أن رسول

(١) هكذا في المطبوع والمخطوط : « على أن الله جل ثناؤه » ، والأجود أن تكون « بأن الله جل ثناؤه » ، أي : « قد دللنا على صحة القول . . . بأن الله جل ثناؤه » ، وبإزاء وما بعدها متعلقة بالقول .

(٢) جوابُ قوله : « فإذا كان ذلك كذلك » ، يأتي في ص : ٤٨ س ٢٠ وهو قوله : « صحَّ وثبت أن الذي نزل به القرآن . . . »

الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآنُ على سبعة أحرف ، فالميراءُ في القرآن كُفِّرَ - ثلاث مرات - فما عرَفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردُّوه إلى عالمه (١) .

٨ - حدثني عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : حدثنا أبي ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، عليمٌ حكيمٌ ، غفورٌ رحيمٌ (٢) .

٩ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثني عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

١٠ - حدثنا محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، عن واصل بن حيان ، عن ذكره ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرفٍ ، لكل حرف منها ظهر وبطنٌ ، ولكل حرف حدٌّ ، ولكل حدٌ مُطْلَعٌ (٣) .

(١) الحديث ٧ - رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (رقم ٧٩٧٦ ج ٢ ص ٣٠٠ طبعة الحلبي) عن أنس بن عياض . ورواه ابن حبان في صحيحه (رقم : ٧٣ شرح أحمد محمد شاكر) عن أبي يعلى عن أبي خيثمة عن أنس بن عياض . ونقله ابن كثير في التفسير ٢ : ١٠٢ عن مسند أبي يعلى ، وفي فضائل القرآن : ٦٣ عن مسند أحمد . وهو في مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ . ونسبه ابن كثير في الفضائل للنسائي . والظاهر أنه يريد كتاب التفسير للنسائي .

(٢) الحديث ٩٨ - رواه أحمد في المسند (٨٣٧٢ ج ٢ ص ٣٣٢ حلبي) عن محمد بن بشر ، و (٩٦٧٦ ج ٢ ص ٤٤٠) عن ابن نمير ، كلاهما عن محمد بن عمرو ، وهو محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، وهو ابن عبد الرحمن بن عوف . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ جعله رواية أخرى للحديث الأول ، ثم قال : « رواه كله أحمد بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح . ورواه البزار بنحوه » . وسيأتي حديث آخر لأبي هريرة ، برقم : ٤٥ .

(٣) الحديث ١٠ ، ١١ - هو حديث واحد بإسنادين ضعيفين ، أما أحدهما فلا نقطاعه بجهالة راويه : « عن ذكره عن أبي الأحوص » . وأما الآخر فن أجمل « لإبراهيم المجري » راويه عن أبي الأحوص . و « مغيرة » في الإسناد الأول : هو ابن مقسم القصبى ، وهو ثقة . و « واصل بن حيان » هو الأحدب ، وهو ثقة . و « أبو الأحوص » : هو الجشسى ، واسمه : عوف بن مالك بن فضلة ، وهو تابعي ثقة معروف . و « مهران » في الإسناد الثاني : هو ابن أبي عمر العطار الرازي ، وهو ثقة ، ولكن في روايته عن الثوري اضطراب . وشيخه سفيان هنا : هو الثوري الإمام . و « إبراهيم المجري » هو إبراهيم بن مسلم .

١١ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، قال: حدثنا سفيان، عن إبراهيم الهَجْرِيّ، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله.

١٢ - حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا عاصم، عن زُرٍّ، عن عبد الله، قال: اختلف رجلان في سورة، فقال هذا: أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم. وقال هذا: أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم. فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر بذلك، قال فتغير وجهه، وعنده رجل فقال: اقرأوا كما علّمتم - فلا أدري أبشئ أم شيء ابتدعه من قبيل نفسه - فلما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم. قال: فقام كل رجل منا وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه. نحو هذا ومعناه (١)

١٣ - حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش - وحدثني أحمد بن منيع، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن الأعمش - عن عاصم، عن زر بن حبيش، قال: قال عبد الله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا: خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية. قال: فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدنا عليّاً يُسَاجِجِه،

والحديث بهذا اللفظ الذي هنا، ذكره السيوطي في الجامع الصغير رقم: ٢٧٢٧، ونسبه للطبراني في المعجم الكبير، ورمز له بعلامة الحسن، ولا ندري إسناده عند الطبراني. وأما أوله، دون قوله «ولكل حرف حد» إلخ، فإنه صحيح ثابت، رواه ابن حبان في صحيحه رقم: ٧٤. وانظر مجمع الزوائد ٧: ١٥٢، ١٥٣. وقوله «مطلع»: هو تشديد الطاء وفتح اللام، قال في النهاية: «أى لكل حد مصدع يصعد إليه من معرفة علمه، والمطلع: مكان الاطلاع من موضع عال». ثم قال: «ويجوز أن يكون لكل حد مطلع، بوزن مصدع ومعناه». وسيأتي شرح ألفاظ هذا الحديث ص ٢٤ - ٢٥ بولاق، بعد الحديث ٧. (١) الحديث ١٢ - إسناده صحيح. وهو مختصر. ورواه أحمد في المسند مطولاً رقم: ٣٩٨١ عن يحيى بن آدم عن أبي بكر، وهو ابن عياش، بهذا الإسناد. ورواه من طرق أخرى مختصراً أيضاً. ورواه الحاكم في المستدرک ٢: ٢٢٣ - ٢٤٤ بأطول مما هنا، بإسنادين: من طريق إسرائيل عن عاصم، ومن طريق أبي عوانة عن عاصم. ومصححه وواقفه الذهبي. وذكره الحافظ في الفتح ٩: ٢٢، ونسبه لابن حبان والحاكم.

قال : فقلنا : إنا اختلفنا في القراءة . قال : فاحرّ وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنما هلكَ من كان قبلكم باختلافهم بينهم . قال : ثم أسرّ إلى عليّ شيئاً ، فقال لنا عليّ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُكم أن تقرأوا كما علّمتم (١) .

١٤ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن عيسى بن قرقطاس ، عن زيد القصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : كنا معه في المسجد فحدثنا ساعة ثم قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأني عبد الله بن مسعود سورة ، أقرأنيها زيدٌ وأقرأنيها أبيّ بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيّهم آخذُ ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وعلىّ إلى جنبه ، فقال عليّ : ليقرأ كل إنسان كما علّم ، كلٌّ حسنٌ جميلٌ (٢) .

١٥ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة بن الزبير : أن المِسْوَر بن مخزومة وعبد الرحمن بن عبد القاريّ أخبراه : أنهما سمعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبّرت حتى سلّم ، فلما سلّم (١) الحديث ١٣ - إسناده صحيحان أيضاً ، وهو رواية أخرى للحديث قبله . ولم نجد هذا الإسناد واللفظ في موضع آخر .

(٢) الحديث ١٤ - هذا حديث لا أصل له ، رواه رجل كذاب ، هو « عيسى بن قرقطاس » ، قال فيه ابن معين : « ضعيف ليس بشيء » ، لا يحل لأحد أن يروى عنه . وقال ابن حبان : « يروى الموضوعات عن الثقات ، لا يحل الاحتجاج به » . وقد اخترع هذا الكذاب شيئاً له روى عنه ، وسماه « زيد القصار » ! لم نجد لهذا الشيخ ترجمة ولا ذكراً في شيء من المراجع . وهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٣ - ١٥٤ ، وقال : « رواه الطبراني » ، وفيه عيسى بن قرقطاس ، وهو متروك . ومن العجب أن يذكر الحافظ هذا الحديث في الفتح ٩ : ٢٣ ، وينسبه للطبري والطبراني ، ثم يسكت عن بيان علته وضعفه ! غفر الله لنا وله .

لِبَيْتِهِ بِرَدَائِهِ فَقُلْتُ : مَنْ أَقْرَأُكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرُؤُهَا ؟ قَالَ : أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! فَقُلْتُ : كَذَبْتَ ، فَوَاللَّهِ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُقَرِّئْنِيهَا ، وَأَنْتَ أَقْرَأْتَنِي سُورَةَ الْفُرْقَانِ ! قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرْسَلَهُ يَا عَمْرُ ، أَقْرَأْ يَا هِشَامُ . فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتَهُ يَقْرُؤُهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَكَذَا أَنْزَلْتُ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَقْرَأْ يَا عَمْرُ . فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَكَذَا أَنْزَلْتُ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَاقْرَأُوا مَا تيسرَ مِنْهَا (١) .

١٦ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قَرَأَ رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فغَيَّرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَغْيِرْ عَلَيَّ . قَالَ : فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَمْ تَقْرَأْنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا ؟ قَالَ : بَلَى ! قَالَ : فَوَقَعَ فِي صَدْرِ عُمَرَ شَيْءٌ ، فَعَرَفَ

(١) الحديث ١٥ - رواه أحمد في المسند رقم: ٢٩٦ عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ، وهو ابن شهاب ، بهذا الإسناد نحوه . ورواه أيضاً رقم: ٢٩٧ عن الحكم بن نافع عن شبيب عن الزهري ، به . ورواه بأسانيد أخر ، مطولاً ومختصراً : ١٥٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٣٧٥ . ورواه البخاري ٩ : ٢١ - ٢٣ من فتح الباري ، مطولاً ينحو عما هنا ، من طريق الليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب . ونقله ابن كثير في فضائل القرآن : ٧٢ عن رواية البخاري ، ثم ذكر أنه رواه أيضاً مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي ، من طرق عن الزهري . وفي تيسير الوصول ١ : ١٩٠ « أخرجه الستة » ، وفيه مكان « وتصبرت » ، و « تربصت به » وقوله : « كدت أساوره » أي كدت أوائبه وأبطش به . وقوله « فصبرت حتى سلم » . موافق لرواية البخاري ، وفي المسند : « فنظرت حتى سلم » أي انتظرت .

النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في وجهه ، قال : فضرب صدره وقال : ابعده شيطاناً - قالها ثلاثاً - ثم قال : يا عمر ، إن القرآن كله صواب ، ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة^(١) .

(١) الحديث ١٦ - رواه أحمد في المسند (١٦٤٣٧ ج ٤ ص ٣٠ طبعة الحلبي) عن عبد الصمد ، وهو ابن عبد الوارث ، بهذا الإسناد ، نحوه . ونقله الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن : ٧٣ ، وقال : « وهذا إسناد حسن . وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبي ثابت ، لا نعرف أحداً جرحه » . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٠ - ١٥١ ، وقال : « رواه أحمد ، ورجالته ثقات » . وذكره الحافظ في الفتح ٩ : ٢٢ - ٢٣ ، ونسبه الطبري فقط ، فقصر إذ لم ينسبه للمسند . وإسناده يحتاج إلى بحث :

فأولاً - « حرب بن ثابت » : ثبت في نسخ الطبري هنا « حرب بن أبي ثابت » ، وهو خطأ صرف من النسخين . صوابه « حرب بن ثابت » ، وهو « المنقري » ، ترجمه البخاري في التاريخ الكبير : ٢ / ١ / ٥٨ ، قال : « حرب بن أبي حرب أبو ثابت ، عن إسمحق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ، قاله عبد الصمد . وقال موسى : حدثنا حرب بن ثابت المنقري . يعد في البصريين » . وترجمه ابن حبان في الثقات ٤٤٣ - ٤٤٤ ، قال : « حرب بن ثابت المنقري ، من أهل البصرة ، يروى عن الحسن ومروان الأصغر ، روى عنه عبد الصمد ، كأنه : حرب بن أبي حرب الذي ذكرناه » . وقد ذكر قبله ترجمه « حرب بن أبي حرب » ، يروى عن شريح ، روى عنه حصين أبو حبيب . والحافظ ابن حجر حين ترجم لحرب بن ثابت ، أشار إلى كلام ابن حبان هذا ، وعقب عليه بأنه « واحد » ، جعله اثنين ، ثم شك فيه « ! ! » ولم ينصفه في هذا ، فإنها اثنان يقيناً ، فصل بينهما البخاري في الكبير ، فجعل الذي يروى عن شريح برقم : ٢٢٦ ، غير الذي نقلنا كلامه عنه برقم : ٢٢٧ . وأما الذي جعل الرازي راويين فإنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢ / ١ / ٢٥٢ ذكر ثلاث تراجم ، بالأرقام : ١١٢١ ، ١١٢٣ ، ١١٢٥ ، فالأخير هو الذي روى عن شريح ، والأولان هما شخص واحد ، وهم فيه ابن أبي حاتم .

وقد نسب « حرب بن ثابت » هذا في التعميل : ٩١ - ٩٢ بأنه « البكري » ، وكذلك في الإكمال للحسيني : ٢٣ . وأنا أرجح أن هذا خطأ من النسخين ، أصله « البصري » ، فإن نسبته فيما أشرنا إليه من تراجمه « المنقري » ، وهو من أهل البصرة ، فمن ذلك رجعت أن صوابه « البصري » . وثانياً - « إسمحق بن عبد الله بن أبي طلحة » : هكذا رواه عبد الصمد بن عبد الوارث عن حرب ابن ثابت المنقري . ولكن بعض العلماء شك في صحة هذا ، فقال البخاري في الكبير في ترجمة حرب : « وقال مسلم : حدثنا حرب بن ثابت سمع إسمحق بن عبد الله » . فهذه رواية البخاري عن شيخه مسلم بن إبراهيم الفراهيدي عن حرب بن ثابت « أنه سمع إسمحق بن عبد الله » . وهي تؤكد صحة ما رواه عبد الصمد . ولكن قال البخاري عقب ذلك : « حدثني إسمحق بن إبراهيم قال : أخبرنا عبد الصمد قال : حدثنا حرب أبو ثابت قال : حدثنا إسمحق بن عبد الله بن أبي طلحة . ويقال : إسمحق هذا ليس بابن أبي طلحة ، وهم فيه عبد الصمد من حفظه ، وأصله صحيح » ، فهذه إشارة إلى هذا الحديث .

ولكنه قال في التاريخ الكبير ١ / ١ / ٣٨٢ في ترجمة « إسمحق الأنصاري » : « إسمحق الأنصاري . حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا حرب بن ثابت المنقري قال : حدثني إسمحق الأنصاري

١٧ - حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي ، قال : حدثنا عبد الله بن ميمون ، قال : حدثنا عبيد الله^(١) - يعني ابن عمر - عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقرأ القرآن ، فسمع آية على غير ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتى به عمرُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن هذا قرأ آية كذا وكذا . فقال رسول الله صلى الله عليه ١١/١ وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كاف^(٢) .

عن أبيه عن جده ، وكانت له محبة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : القرآن كله صواب : وقال عبد الصمد : حدثنا حرب أبو ثابت سمع لإسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله . وقال بعضهم : لقن عبد الصمد ، فقالوا : ابن عبد الله بن أبي طلحة ، ولم يكن في كتابه : ابن عبد الله .

فهذه إشارة أخرى من البخارى لهذا الحديث أيضاً ، كماداته في تاريخه ، في الإشارة إلى الأحاديث التي يريد أن يرشد إلى مواطن البحث فيها .

وقد أشار البخارى في الموضعين إلى قول من شك في أن «إسحق الأنصارى» راوى هذا الحديث غير «إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصارى» الثقة المعروف بروايته عن أبيه «عبد الله» عن جده «أبي طلحة زيد بن سهل الأنصارى الصحابي الكبير» أحد النقباء ، الذي شهد العقبة ويدرأ والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأتى بقوله هذا مجھلاً لإياه مرضاً ، بقوله مرة : «ويقال» ، ومرة : «وقال بعضهم» . ثم عقب على هذا الترييض في المرة الأولى بقوله : «وأصله صحيح» ، يعنى أصل الحديث . فهو تصريح منه بصحة الحديث ، وبرفض قول هذا القائل الذي شك فيه .

وقد واقفه على ذلك زميله وصنوه أبو حاتم الرازى ، فقال ابنه في الجرح والتعديل ، في ترجمة «إسحق الأنصارى» ١ / ١ / ٢٣٩ - ٢٤٠ : «سمعت أبي يقول : يرون أنه : لإسحق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصارى» .

وسبقهما إلى ذلك شيخهما إمام المحدثين ، الإمام أحمد بن حنبل ، فأثبت هذا الحديث في مسند «أبي طلحة زيد بن سهل الأنصارى» دون شك أو تردد . فصح الحديث ، والحمد لله .

(١) هو عبيد الله بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وليس هو ابن عمر بن الخطاب .
(٢) الحديث ١٧ - إسناده ضعيف جداً ، من أجل «عبد الله بن ميمون» . أما «عبيد الله بن محمد بن هرون الفريابي» شيخ الطبرى ، فالظاهر أنه ثقة ، ولكنى لم أجده له ترجمة إلا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢ / ٢ / ٣٣٥ ، قال : «نزىل بيت المقدس» ، روى عن سفیان بن عیینة ، سمع منه أبى ببيت المقدس . ولم يذكر فيه جرحاً . وأما علة الحديث فهو «عبد الله بن ميمون بن داود القداح» ، وهو ضعيف جداً ، قال البخارى : «ذاهب الحديث» ، وقال أبو حاتم والترمذى : «منكر الحديث» ، وقال أبو حاتم : «يروى عن الأثبات الملققات ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد» ، وقال الحاكم : «روى عن عبيد الله بن عمر أحاديث موضوعة» . وأما شيخه «عبيد الله

١٨ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن علي بن أبي علي ، عن زبيد ، عن علقمة النخعي ، قال : لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودّعهم ، ثم قال : لا تنازعوا في القرآن ، فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ، ولا يتغير لكثرة الرد . وإن شريعة الإسلام وحدودها وفرائضه فيه واحدة ، ولو كان شيء من الحرفين ينهي عن شيء يأمر به الآخر ، كان ذلك الاختلاف . ولكنه جامعٌ ذلك كله ، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ، ولا شيء من شرائع الإسلام . ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإمرنا فنقرأ عليه ، فيخبرنا أن كلنا محسنٌ . ولو أعلمُ أحداً أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته ، حتى أزداد علمه إلى علمي . ولقد قرأتُ من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ، وقد كنت علمت أنه يُعرض عليه القرآن في كل رمضان ، حتى كان عامُ قبض ، فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أني محسنٌ . فمن قرأ على قراءتي فلا يدع عنها رغبة عنها ، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدع عنه رغبة عنه ، فإنه من جحد بأية جحد به كله (١) .

بن. عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، فإنه إمام ثقة معروف ، وهو أحد الفقهاء السبعة .

ومعنى الحديث في ذاته صحيح ، كأنه مختصر من معنى حديث عمر بن الخطاب ، الذي مضى برقم : ١٥ . ولكن هذا القداح ألزقه بمبيدائه بن عمر ، وجعله من حديث ذافع عن ابن عمر . ولا أصل لهذا ، ولم نجده قط من حديث ابن عمر .

ولم يحسن الحفاظ ابن حجر ، إذ أشار إلى هذا الحديث في الفتح ٩ : ٢٣ ، ونسبه للطبري ، دون أن يذكر ضعف إسناده .

(١) الحديث ١٨ - إسناده ضعيف جداً ، غاية في الضعف . لعلتين :

أولاهما : « علي بن أبي علي » ، وهو « الهبي » ، من ولد أبي لب . قال البخاري في التاريخ الصغير : ١٩٦ ، وفي الضعفاء : ٢٥ : « منكر الحديث ، لم يرعه أحد » . وقال ابن أبي خاتم في المرح والتمديد : ١٩٧ / ١ / ٣ : « سألت أبي عن علي بن أبي علي الهبي ؟ فقال : منكر الحديث ، تركوه » . وقال : « مثل أبو زرعة عن علي بن أبي علي الهاشمي ؟ فقال : هو من ولد أبي لب ، وهو مدني ضعيف الحديث ، منكر الحديث » . وقال ابن حبان في الضعفاء : ٣١٥ « يروى عن الثقات الموضوعات ، وعن الأثبات المقلوبات ، لا يجوز الاحتجاج به » .

١٩ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا رشدين بن سعد ، عن عقیل ابن خالد - جميعاً عن ابن شهاب ، قال : حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس حدثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريلُ على حرف ، فراجعته ، فلم أزل أستريده فيزيلني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف . قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة الأحرف ، إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً ، لا يختلفُ في حلال ولا حرام (١) .

وثانيهما : أن « زبيد بن الحرث اليماني » لم يدرك حلقة ولم يرو عنه ، إنما يروى عن الطبقة الراوية عن حلقة ، فروايته عنه هنا منقطعة ، إن صح الإسناد إليه فيها ، ولم يصح قط . وقد جاء نحو هذا الحديث عن ابن مسعود ، من وجه آخر ضعيف أيضاً : فرواه أحمد في المسند رقم : ٣٨٤٥ مطولاً ، من طريق شعبة عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : « حدثنا رجل من همدان ، من أصحاب عبد الله ، وما سماء لنا » إلخ . وهذا مجهول الراوي عن ابن مسعود ، فلا يكون صحيحاً . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد مختصراً ٧ : ١٥٣ ، وقال : « رواه الإمام أحمد في حديث طويل ، والطبراني ، وفيه من لم يسم ، وبقي رجاله رجال الصحيح » . قال أخى السيد محمود محمد شاكر : ولفظ المسند : « إن هذا القرآن لا يختلف ، ولا يستثنى ، ولا يتفه لكثرة الرد » . و « استثنى » : بلى وصار خلقاً كالثنى البالي ، وهو القرية البالية . وقوله « لا يتفه » : لا يصير تافهاً ، التنافه : الحقير . وكل كلام رددت قراءته نفدت معانيه وضعف أثره إلا القرآن . وأما قوله في رواية الطبري هنا « ولا يتلاشى » ، فقد قال أهل اللغة إنه مولى من « لا شيء » ، كأنه اضطلع حتى صار إلى لا شيء . وبجبه في هذا الخبر غريب .

أقول : وإذ تبين أن راويه « علي بن أبي علي الهيثمي » من مصطنع الأحاديث ويرى عن الثقات الموضوعات ، كما قال ابن حبان ، فلا يبعد أن يقول هذه الكلمة المولدة من عند نفسه . وهو متأخر أدرك عصر التوليد ، فقد أرخه البخاري في باب من مات بين سنتي ١٧٠ - ١٨٠ .

(١) الحديث ١٩ - هو بإسنادين : أحدهما صحيح ، والآخر ضعيف : الإسناد الأول : عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس ، وهو ابن يزيد الأيلي عن ابن شهاب الزهري . وهو إسناد صحيح جداً .

والثاني : عن أبي كريب عن رشدين ، وهو ابن سعد ، عن عقيل بن خالد عن الزهري . وهو إسناد ضعيف ، لضعف رشدين بن سعد ، وكان رجلاً صالحاً فيه غفلة ، وكثر خطؤه فغلبيت المناكير في أخباره . ولكنه في هذا الحديث لم ينفرد بروايته عن عقيل بن خالد ، كما سيأتى . و « رشدين » : بكسر الراء والدال المهملتين بينهما شين معجمة ساكنة . و « عقيل » بضم العين المهملة .

والحديث رواه مسلم ١ : ٢٢٥ عن حملة عن ابن وهب عن يونس ، مثل الإسناد الأول هنا . ورواه البخاري ٦ : ٢٢٢ فتح الباري ، من طريق سليمان بن بلال عن يونس أيضاً .

٢٠ - حدثني محمد بن عبد الله بن أبي غنبل الواسطي ، ويونس بن عبد الأعلى الصدفي ، قالا : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبيد الله ، أخبره أبوه : أن أم أيوب أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، أيها قرأت أصبغت^(١) .

٢١ - حدثنا إسماعيل بن موسى السدي ، قال : أنبأنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن سليمان بن صرد ، برفعه ، قال : أتاني ملكان ، فقال أحدهما : اقرأ . قال : على كم ؟ قال : على حرف ، قال : زدْهُ . حتى انتهى به إلى سبعة أحرف^(٢) .

ورواه البخاري ٩ : ٢٠ - ٢١ ، عن سعيد بن عفير عن الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن الزهري .

وسياق أيضاً بإسناد صحيح ، برقم : ٢٢ ، من رواية نافع بن يزيد عن عقيل بن خالد عن الزهري .

وهذان الإسنادان يؤيدان الإسناد الثاني هنا ، أعني رواية رشدين بن سعد عن عقيل . ولذلك قلت إن رشدين - على ضعفه - لم ينفرد بروايته عن عقيل .

وقول ابن شهاب الزهري : « بلغني أن تلك الأحرف السبعة » إلخ : لم يذكره البخاري ، وذكره مسلم في روايته . وهو مرسل غير متصل ، فهو ضعيف الإسناد . ولذلك أعرض البخاري عن ذكره .

ثم إن الحديث رواه أيضاً أحمد ، بنحوه ، في المسند رقم : ٢٨٦٠ عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . ورواه مسلم ١ : ٢٢٥ ، عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق ، ولكنه لم يسق لفظه بل أحاله على رواية يونس عن الزهري .

ورواه أحمد أيضاً مختصراً رقم : ٢٣٧٥ ، ٢٧١٧ ، من رواية ابن أخي الزهري عن عمه . ونقله ابن كثير في فضائل القرآن : ٥٣ عن إحدى روايتي البخاري ، ثم أشار إلى روايته الأخرى وروايته مسلم ورواية الطبري هذه .

(١) الحديث ٢٠ - رواه أحمد في المسند (٦ : ٤٣٣ ، ٤٦٢ - ٤٦٣ من طبعة الحلبي) ، عن سفيان بن عيينة ، بهذا الإسناد . ونقله ابن كثير في فضائل القرآن : ٦٤ عن المسند ، وقال : « وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة » . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٤ ، وقال : « رواه الطبراني ، ورجاله ثقات » . فقصر إذ لم ينسبه للمسند أولاً . ولفظ المسند « أيها قرأت أجرك » . ولفظ الطبراني موافق للفظ الطبري هنا .

و « عبيد الله » ، في الإسناد : هو عبيد الله بن أبي يزيد المكي ، وهو ثقة معروف . وأبوه « أبو يزيد المكي » : ذكره ابن حبان في الثقات .

وسياق الحديث مكرراً ، برقمي : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) الحديث ٢١ - الحديث في ذاته صحيح ، لأن معناه سياق مراراً ، ضمن أحاديث لأبي بن كعب ، وقد كررها الطبري بأسانيد متعددة ، بالأرقام الآتية : ٢٥ - ٣٩ . وسياق بحثها في مواضعها إن شاء الله . وأما هذا الإسناد بعينه ، فهكذا ورد في الطبري ، من حديث سليمان بن صرد . ونقل الهيثمي في

٢٢ - حدثنا ابن البرقي ، قال : حدثنا ابن أبي مريم ، قال : حدثنا نافع ابن يزيد ، قال : حدثني عُمَيْل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريل القرآن على حرف ، فاستزده فزادني ، ثم استزده فزادني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف^(١) .

٢٣ - حدثني الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا صفيان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، أنه سمع أم أيوب تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه - يعني نحو حديث ابن أبي مخلد^(٢) .

مجمع الزوائد ٧ : ١٥٣ نحوه ، من حديث سليمان بن سرد ، وقال : « رواه الطبراني ، وفيه جعفر ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » . وليس إسناده الطبراني بين أيدينا حتى نستطيع القول فيه . ولعل اسم « جعفر » - الذي لم يعرفه الميشتي في إسناده - محرف عن شيء آخر .

ونقل ابن كثير في الفضائل : ٦١ هذا الحديث عن هذا الموضع من الطبري ، ثم قال : « ورواه النسائي في اليوم واليلة : عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام عن إسحاق الأزرق عن العوام بن حوشب عن أبي إسحاق عن سليمان بن سرد ، قال : أتى أبي بن كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين اختفا في القمامة ، فذكر الحديث . وهكذا رواه أحمد بن منيع عن يزيد بن هرون عن العوام عن أبي إسحاق عن سليمان بن سرد عن أبي : أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجلين ، فذكره » .

وهذان الإستاندان اللذان ذكرهما ابن كثير صحيحان ، يدلان على أن سليمان بن سرد إنما سمع هذا الحديث من أبي بن كعب .

وليس الخطأ الذي وقع في إسناده الطبري هنا ، بحذف « أبي بن كعب » - خطأ شريك بن عبد الله النخعي راويه عن أبي إسحاق السبيعي . إنما الخطأ - فيما أرجح - إما من إسماعيل بن موسى السدي شيخ الطبري ، وإما من الطبري نفسه . فإن الحديث رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، في مسند أبيه (٥ : ١٢٥ طبعة الحلبي) عن محمد بن جعفر الوركاني عن أبي إسحاق عن سليمان بن أبي بن كعب - مختصراً كما هنا . وسيأتي الحديث مطولاً ، من رواية سليمان بن سرد عن أبي بن كعب رقم : ٢٥ .

(١) الحديث ٢٢ - هذا إسناده صحيح . قد مضى برقم : ١٩ ، بإسنادين آخرين ، وبيننا تخريجه هناك .

و « ابن البرقي » ، شيخ الطبري : هو « أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم » المصري الحافظ ، توفي سنة ٢٧٠ . وله ترجمة في تذكرة الحفاظ ٢ : ١٣٥ .

و « ابن أبي مريم » : هو « سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم » المصري ، عرف بابن أبي مريم . متروك في التهذيب .

(٢) الحديث ٢٣ - هذا إسناده صحيح . فالربيع بن سليمان : هو الماردى المؤذن ، صاحب الشافعي ورواية كتبه . وأسد بن موسى المرواني الأموي المصري : يقال له « أسد السنة » ، ثقة من الثقات ، قال البخاري في التاريخ الكبير : ١ / ٢ / ٥٠ : « مشهور الحديث » . والحديث مكرر رقم : ٢٠ ، كما أشار إلى ذلك الطبري بالإحالة عليه . وسيأتي عقب هذا بإسناده آخر .

٢٤ - حدثنا الربيع ، قال : حدثنا أسد ، قال : حدثنا أبو الربيع السمان ، قال : حدثني عبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، عن أم أيوب ، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : نزل القرآن على سبعة أحرف ، فاقترأت أصبت^(١) .

٢٥ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، قال : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق ، عن فلان العبدي - قال أبو جعفر : ذهب عنى اسمه - ، عن سليمان بن صرد ، عن أبي بن كعب ، قال : رحت إلى المسجد ، فسمعت رجلاً يقرأ ، فقلت : من أقرأك ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : استقرئ هذا . قال : فقرأ ، فقال : أحسنت . قال فقلت : إنك أقرأني كذا وكذا ! فقال : وأنت قد أحسنت . قال : فقلت : قد أحسنت ! قد أحسنت ! قال : فضرب بيده على صدرى ، ثم قال : اللهم أذهب عن أبي الشك . قال : ففيضت عرقاً ، وامتلأ جوفى فرقاً - ثم قال : إن الملكين أتياي ، فقال أحدهما اقرأ القرآن على حرف . وقال الآخر : زده . قال : فقلت : زدنى . قال : اقرأه على حرفين . حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال : اقرأ على سبعة أحرف^(٢) .

(١) الحديث ٢٤ - وأما هذا فإسناد ضعيف جداً ، فأبو الربيع السمان ، واسمه : أشعث بن سعيد البصرى ، ضعيف جداً ، كان شعبة يرميه بالكذب . والحديث مضى بإسنادين صحيحين ، رقم : ٢٠ ، ٢٣ .

(٢) الحديث ٢٥ - مضى بعض معناه مختصراً ، وأشرنا إلى هذا ، في الحديث رقم : ٢١ ، وأن سليمان بن صرد ، راويه هناك ، إنما رواه عن أبي بن كعب . وهذا الإسناد نفس فيه أبو جعفر الطبري اسم « فلان العبدي » ، كما قال هو هنا . وقد نقله ابن كثير في الفصائل : ٦١ عن هذا الموضع من تفسير الطبري ، ثم أشار إلى بعض رواياته الآخر التي سمي فيها « فلان العبدي » هذا باسمه ، وأراد أن يجمع بين هذه الروايات والرواية الماضية رقم : ٢١ ، التي فيها أن الحديث من رواية سليمان بن صرد دون ذكر أبي بن كعب ، فقال : « فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبي بن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزازي شاهد ذلك » .

والصحيح ما ذهبنا إليه هناك ، من أنه من رواية سليمان بن صرد عن أبي بن كعب .

٢٦ - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا محمد بن ميمون الزعفراني - جميعاً عن حميد الطويل، عن أنس ابن مالك رضى الله عنه، عن أبي بن كعب رضى الله عنه، قال: ما حاك في صدرى شيء منذ أسلمت، إلا أنى قرأت آية، فقرأها رجل غير قرائى، فقلت: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الرجل: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: أقرأني آية كذا وكذا؟ قال: بلى. قال الرجل: ألم تُقرئني آية كذا وكذا؟ قال: بلى، إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياي، فقعده جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد. وقال ميكائيل: استرده، قال جبريل: اقرأ القرآن على حرفين. فقال ميكائيل:

وهذا الحديث المطول - الذى هنا - رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسنده ١٢٤٥، من طبعة الحلبي، عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن سفيان العبدى عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب، بنحوه بمعناه. فعرفنا من رواية عبد الله بن أحمد أن اسم هذا الراوى «العبدى»: «سقي» . وهو بضم السين المهملة وفتح القاف، كما ضبطه الحافظ عبد الفتي بن سعيد المصرى في كتاب المثلث: ٦٥، وكذلك أثبتته الذهبي في المشتبه: ٢٦٦. وفي اسمه خلاف قديم، ولكن هذا هو الراجح الصحيح. فقد ترجمه البخارى في التاريخ الكبير ٢ / ٢ / ٣٣١ في حرف الصاد، باسم «سقي» ، وإن وقع فيه خطأ من النساخ، فرسم «صقي» بالعين بدل القاف. وقد حقق مصححه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى الجمانى ذلك بالهامش، ونقل أن الأمير ابن ماكولا ضبطه «سقي» أيضاً. وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ٢ / ٣١٨ في حرف السين، باسم «سقي العبدى»، ثم أعاده في حرف الصاد ٢ / ١ / ٤٥٢ باسم «سقي العبدى»، ويقال: «سقي العبدى»، فجاء بقول ثالث.

وترجمه الحسينى في الإكمال: ٤٥، فقال: «سقي العبدى»، عن سليمان بن صرد الخزاعى، وعنه أبو إسحق السيمى: ليس بالمشهور. وتمتبه الحافظ فى التجميع: ١٥٧، فقال: «لم يصب فى ذلك»، فقد ذكره فى حرف الصاد المهملة، ولم يذكر البخارى ولا ابن أبي حاتم فيه قدماً، وذكره ابن حبان فى الثقات، وهو فى الثقات: ٢٢٦، باسم «سقي العبدى». فإذا تبين أن «العبدى» هذا تابى ثقة، بتوثيق البخارى أن لم يجرحه، وبذكر ابن حبان إياه فى الثقات - كان هذا الإسناد صحيحاً.

ثم إن سقياً العبدى لم ينفرد بروايته عن سليمان بن صرد. فقد رواه عنه تابى آخر، ثقة معروف، من مشهورى التابعين، وهو يحيى بن يعمر.

استرده . حتى بلغ ستة أو سبعة - الفلك من أبي كريب - وقال ابن بشار في حديثه : حتى بلغ سبعة أحرف - ولم يشك فيه - وكل شاف كاف . ولفظ الحديث لأبي كريب (١) .

٢٧ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يحيى بن أيوب ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه . وقال في حديثه : حتى بلغ ستة أحرف ، قال : اقرأ على سبعة أحرف ، كل شاف كاف (٢) .

٢٨ - حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا أبو الوليد ، قال : حدثنا حماد

فرواه أحمد في المسند ٥ : ١٢٤ عن عبد الرحمن بن مهدي ، ومن ههنا ، ورواه ابنه عبد الله ابن أحمد عن هبة بن خالد القيسي ، ورواه أبو داود في السنن رقم : ١٤٧٧ ج ٢ ص ١٠٢ عن أبي الوليد الليالي - : كلهم عن همام بن يحيى عن قتادة عن يحيى بن عمار عن سليمان بن سرد عن أبي ابن كعب ، بنحوه مختصراً . وهذه أسانيد صحاح على شرط الشيخين .

وسائق طب هذا بأسانيد كثيرة ، من أوجه مختلفة ، عن أبي بن كعب بالأرقام ٢٦ - ٣٩ ، ٤٦ . (١) الحديث ٢٦ - هذا بإسنادين : « محمد بن بشار عن ابن أبي حنيفة » ، و « أبو كريب عن محمد بن ميمون الزعفراني » ، كلاهما عن حميد الطويل . فالإسناد الأول صحيح على شرط الشيخين دون خلاف . والإسناد الثاني فيه « محمد بن ميمون الزعفراني » ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وأبو داود وغيرهما ، وضعفه البخاري والنسائي وغيرهما .

والحديث صحيح بكل حال ، إذ لم يتفرد بروايته هذان :

فقد رواه أحمد في المسند ٥ : ١١٤ ، ١٢٢ طبعة الحلبي ، مختصراً قليلاً ، عن يحيى بن سعيد ، وهو القطان عن حميد الطويل ، بهذا الإسناد . ثم رواه ابنه عبد الله بن أحمد عن محمد بن أبي بكر المقدسي عن بشر بن الفضل ، وعن سويد بن سعيد عن المعتمر بن سليمان ، كلاهما عن حميد الطويل ، بمعناه .

ورواه أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام - فيما نقل عنه ابن كثير في الفضائل : ٥٤ عن يزيد بن هرون ويحيى بن سعيد ، كلاهما عن حميد ، بهذا الإسناد مطولاً .

وسائق طب هذا ، رقم : ٢٧ ، من رواية يحيى بن أيوب عن حميد .

وقال ابن كثير ، بعد نقله رواية أبي عبيد : « وقد رواه النسائي من حديث يزيد ، وهو ابن هرون ، ويحيى بن سعيد القطان ، كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبي بن كعب ، بنحوه . وكذا رواه ابن أبي حنيفة ومحمد بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب ، كلهم عن حميد ، به » وهذا إشارة منه إلى أسانيد الطبعة الثلاثة هنا . وهي كلها أسانيد صحاح .

(٢) الحديث ٢٧ - هو مكرر الحديث قبله . وقد أشرنا إليه في تخريجه .

ابن سلمة ، عن مُحمّد ، عن أنس بن مالك ، عن عبادة بن الصّامت ، عن أبي ابن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف (١).

٢٩ - حدثنا أبو كريب قال حدثنا حسين بن علي ، وأبو أسامة ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن أبيّ ، قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار الميراء فقال : إني بُعثتُ إلى أمة أمسيين ، منهم الغلامُ والخادمُ والشيخ العاسي والعجوز ، فقال جبريل : فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف (٢). ولفظ الحديث لأبي أسامة .

(١) الحديث ٢٨ - وهذا إسناد صحيح أيضاً ، إلا أن حماد بن سلمة زاد « عبادة بن الصامت » بين أنس وأبي بن كعب . وسنبن ذلك ، إن شاء الله . ومحمد بن مرزوق ، شيخ الطبري : هو محمد بن محمد بن مرزوق الباهل ، نسب إلى جده . وهو ثقة ، روى عنه مسلم في صحيحه والترمذي وابن ماجة وغيرهم . وشيخه أبو الوليد : هو الطيالسي ، واسمه : هشام بن عبد الملك ، إمام حافظ حجة . والحديث رواه أحمد في المسند ٥ : ١١٤ طبعة الحلبي ، هكذا مختصراً ، عن عفان عن حماد ابن سلمة ، بهذا الإسناد . ثم رواه بالإسناد نفسه مطولاً ، بنحو الرواية الماضية ، في ٢٦ ، ٢٧ ، ثم رواه عن يحيى بن سعيد عن حميد عن أنس : « أن أبيا قال » - فأشار إلى تلك الرواية ، ثم قال : « ولم يذكر فيه عبادة » . فالظاهر - عندي - أن حماد بن سلمة هو الذي انفرد بزيادة « عبادة » في الإسناد . ولعل هذا سهو منه ، فقد رواه الرواة الذين ذكرنا من قبل ، دون هذه الزيادة ، وهم أكثر منه عدداً وأحفظ وأشدّ إتقاناً .

وأيا ما كان فالحديث صحيح ، سواء أسماه أنس من أبي بن كعب مباشرة ، أم سمعه من عبادة ابن الصامت عن أبي .

(٢) الحديث ٢٩ - وهذا إسناد صحيح أيضاً . حسين بن علي : هو الجعفي . أبو أسامة : هو حماد بن أسامة . زائدة : هو ابن قدامة . عاصم : هو ابن هذلة ، وهو ابن أبي النجدود . زر : هو ابن حبيش .

والحديث رواه أحمد في المسند ٥ : ١٣٢ عن حسين بن علي الجعفي عن زائدة ، وعن أبي سعيد مولى بني هاشم عن زائدة أيضاً . ونقله ابن كثير في الفضائل : ٥٩ عن الرواية الأولى من المسند . ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده رقم : ٥٤٣ عن حماد بن سلمة . ورواه الترمذي ٤ : ٦١ من طريق شيبان ، وهو ابن عبد الرحمن النحوي ، كلاهما عن عاصم ، بهذا الإسناد ، نحوه . قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى عن أبي بن كعب من غير وجه » .

« أحجار المراء » ، بكسر الميم وتخفيف الراء وبالملة : موضع بقباء ، خارج المدينة ، وقال

٣٠ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن نمير ، قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد - حدثنا عبد الحميد بن بيان القنّاد ، قال : حدثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن إسماعيل - عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن جده ، عن أبي بن كعب ، قال : كنت في المسجد ، فدخل رجل يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل رجل آخر ، فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه ، فدخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فقلت : يا رسول الله ، إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه . فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ، فحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما ، فوقع في نفسي من التكذيب ، ولا إذ كنت في الجاهلية ! فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيتني ، ضرب في صدرى ، ففحصت عرقاً ، كأنما أنظر إلى الله فقرأ . فقال : لى : يا أباي ، أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت عليه : أن هوّن على أمتي ، فردّ على في الثانية : أن اقرأ القرآن على حرف .

مجاهد : « هي قباء » ، كما في النهاية لابن الأثير ١ : ٢٠٣ ، ٤ : ٩١ ، والقاموس وشرحه ٣ : ١٢٧ ، وفاء الوفا للسهودي ٢ : ٢٤٤ . ولم نجد في ذلك خلافاً ، إلا ما ذهب إليه أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم : ١١٧ ، إذ زعم أنه « موضع بمكة » ، على لفظ جمع « حجر » كانت قريش تتأري عندها ، وهي صنّ السباب ، ثم ذكر هذا الحديث شاهداً ؛ وأنا أرجح أنه وهم منه ، انتقل ذهنه بمناسبة تقارب معني اللفظين إلى الظن باتحاد المكانين . فإن « صنّ السباب » « موضع بمكة كانت قريش تتأري عندها » كما قال أبو عبيد نفسه في مادة « صنّ » : ٨٣٨ ، فانتقل ذهنه فقال عقب ذلك : « وهو الموضع المعروف بأحجار المراء » ! ! و « المراء » : من المارة ، و « الصنّ » ، بضم الصاد وكسر الفاء وتشديد الياء : جمع « صفا » ، و « الصفا » : جمع « صفاة » ، وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئاً . وما يؤيد اليقين بما أخطأ فيه أبو عبيد : أن في بعض روايات هذا الحديث الآتية : « عند أضاة بنى غفار » ، وهي موضع بالمدينة يقيناً . وقد بين أبو عبيد نفسه ذلك في : ١٦٤ ، وذكر الحديث بالرواية الآتية أيضاً شاهداً عليه .

وقوله « والشيخ العاصي » ، في مطبوعة الطبري « والشيخ القاني » ، وفي المخطوطة « العاصي » ، وفي المست « العاصي » . وكلها بمعنى . و « عسا الشيخ » : إذا كبر وأسن وضعف بصره وليس جلده وصلب . ومثله « عسا » . وقال الأزهري : عسا : إذا صلب ، كأنه أراد « عسا » بالسين ، فقلها صاداً . (اللسان : عسا) .

فرددت عليه أن هوّن على أمّتي ، فردّ علىّ في الثالثة ، أن اقرأه على سبعة أحرف ، ١٣/١
ولك بكل ردة ردّة تُكفّمها مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمّتي ، اللهم
اغفر لأمّتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلىّ فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم .
إلا أن ابن بيان قال في حديثه : فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : قد
أصبتم وأحسنتم . وقال أيضاً : فارتفضت عرقاً^(١) .

٣١ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن إسماعيل بن
أبي خالد ، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، وقال : قال لي : أعيدك
بالله من الشكّ والتكذيب . وقال أيضاً : إن الله أمرني أقرأ القرآن على حرف ،
فقلت : اللهم ربّ خفف عن أمّتي . قال : اقرأه على حرفين . فأمرني أن أقرأه
على سبعة أحرف ، من سبعة أبواب من الجنة ، كلها شافٍ كافٍ^(٢) .

٣٢ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن عبد الله بن عيسى بن أبي ليلى - [و] عن ابن أبي ليلى عن الحكم -
عن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ قال : دخلتُ المسجد فصليتُ ، فقرأتُ النحل ،

(١) الحديث ٢٤ - إسناده صحيحان . وعبد الحميد بن بيان القناد ، شيخ الطبري في الإسناد
الثاني : ثقة من شيوخ مسلم ، ويقال له أيضاً « السكري » . و « القناد » : نسبة إلى « القند » بفتح
القاف وسكون النون ، وهو السكر المصنوع من عسل القصب .

والحديث رواه مسلم ١ : ٢٢٥ عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه عن إسماعيل بن أبي
خالد ، بهذا الإسناد ، نحوه . ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر عن إسماعيل .
ورواه أحمد في المسند ٥ : ١٢٧ طبعة الحلبي عن يحيى بن سعيد عن إسماعيل . ورواه ابنه
عبد الله في المسند أيضاً ٥ : ١٢٨ - ١٢٩ ، عن وهب بن بقية عن خالد بن عبد الله ، وهو الطحان ،
عن إسماعيل . ونقله ابن كثير في الفضائل ٥٥ : ٥٥ عن رواية أحمد . ارفضاض العرق : تتابع سيلانه .

(٢) الحديث ٣١ - إسناده صحيح أيضاً . وهو مكرر الحديث قبله .
ونقله ابن كثير في الفضائل ٥٥ : ٥٥ عن الطبري في هذا الموضع ، واقتصر فيه على آخره ، من
أول قوله « إن الله أمرني » . ولكن وقع فيه خطأ في الإسناد « عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن
أبي ليلى عن أبيه عن جده » ! فزيادة « عن أبيه » خطأ ناسخ أو طابع ، ليست في الطبري ، ولا
موضع لها ، لأن عيسى روى هذا الحديث عن جده مباشرة ، كما في الإسناد الماضي .

وقوله « أمرني أقرأ القرآن » : هو على تقدير « أن » ، وهي ثابتة في المطبوعة وابن كثير ،
ومحذوفة في المخطوطة .

ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتي ، ثم جاء رجل آخر فقرأ خلاف قراءتنا ، فدخل نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما فأتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، استقرئ هذين . فقرأ أحدهما ، فقال : أصبت . ثم استقرأ الآخر ، فقال : أصبت . فدخل قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ، وقال : أعاذك الله من الشك ، وأخسأ عنك الشيطان . قال إسماعيل : ففيضت عرقاً — ولم يقله ابن أبي ليلى — قال : فقال : أناني جبريل فقال : اقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : إن أمتي لا تستطيع . حتى قال سبع مرات ، فقال لى : اقرأ على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة رددها مسألة . قال : فاحتاج إلى فيها الخلائق ، حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم (١) .

(١) الحديث ٣٢ — هو بإسنادين ، أحدهما متصل صحيح ، والآخر ظاهره الاتصال . وسنبين ذلك تفصيلاً ، إن شاء الله .

وقد وقع هنا في نسخ الطبرى خطأ من النسخين ، بحذف واو العطف قبل قوله « عن ابن أبي ليلى عن الحكم » . ولذلك زدناها بعلامة الزيادة [و] . بأننا حل يقين أن حذفها يجعله إسناداً واحداً ، ويكون إسناداً مضطرباً لا يفهم .

والذى أوقع النسخين في الخطأ ، والذي يوقع القارىء في الاشتباه والاضطراب ، تكرار « عن ابن أبي ليلى » في الإسناد . وهما اثنان ، بل ثلاثة : فالأول صرح باسمه فيه ، وهو : « عبد الله بن عيسى ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، والثاني : « محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، والثالث : « عبد الرحمن بن أبي ليلى » التابعى .

فالطبرى روى هذا الحديث عن أبي كريب محمد بن العلاء عن وكيع بن الجراح . ثم يفتقر الإسنادان فوق وكيع :

فرواه وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد « عن عبد الله بن عيسى بن أبي ليلى » ، وهو « عبد الله ابن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » .
ورواه وكيع أيضاً « عن ابن أبي ليلى » ، وهو « محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، عن الحكم ، وهو « الحكم بن عتيبة » .

ثم يجتمع الإسنادان مرة أخرى :

فيرويه « عبد الله بن عيسى » عن جده « عبد الرحمن بن أبي ليلى » عن أبي بن كعب ، كالإسنادين الماضيين ٣٠ ، ٣١ . وهو إسناد متصل .

٣٣ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبد الله ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه (١) .

٣٤ - حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : حدثنا عبد الصمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن جُحادة ، عن الحكم - هو ابن عَتِيبَةَ - عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، قال : أتى جبريلُ النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند أضيّة بني غِفَار فقال : إن الله تبارك وتعالى يأمرُك أن تُقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فمن قرأ منها حرفاً فهو كما قرأ (٢) .

ويرويه الحكم بن عتيبة عن « ابن أبي ليلى » ، وهو « عبد الرحمن » عن أبي بن كعب ، وهذا إسناد ظاهره الاتصال ، إلا أن فيه شبهة الانقطاع ، لأن الحكم بن عتيبة وإن كان يروى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى كثيراً ، إلا أنه في هذا الحديث يعينه رواه عنه بواسطة مجاهد ، كما سيأتي في الأسانيد رقم : ٣٤ - ٣٧ ، وفيما سنذكر هناك إن شاء الله من التخريج . ومن المحتمل جداً أن يكون الحكم سمعه من عبد الرحمن بن أبي ليلى نفسه ، وسمعه من مجاهد عنه ، فرواه على الوجهين . وهذا كثير في الرواية ، معروف مثله عند أهل العلم . وإذا لم يكن الحكم سمعه من « عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، فتكون الرواية التي هنا - كالرواية التالية رقم : ٣٣ - خطأ من « محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، فإنه وإن كان فقيهاً صدوقاً ، إلا أنه « كان سيئ الحفظ مضطرب الحديث » ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل وغيره . وليعلم أن « محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » كان أصغر من ابن أخيه « عبد الله بن عيسى ابن أبي ليلى » ، وكان يروى عنه ، ولا يروى عن أبيه « عبد الرحمن » إلا بالواسطة ، وأما ابن أخيه « عبد الله بن عيسى » فقد أدرك جده وروى عنه مباشرة . وعلى كل حال فالحديث صحيح بالروايات المتصلة ، ولا تؤثر في صحته رواية محمد بن عبد الرحمن إن ظهر عدم اتصالها .

(١) الحديث ٣٣ - إسناده كالإسناد قبله : « ابن أبي ليلى » ، هو « محمد بن عبد الرحمن » يرويه عن أبيه « عبد الرحمن » بواسطة « الحكم بن عتيبة » .

وأما « عبد الله » شيخ أبي كريب ، فالظاهر عندي أنه « عبد الله بن نمير » ، إذ روايته عن محمد بن عبد الرحمن أبي ليلى ثابتة عندي في المسند في حديث آخر ، هو الحديث رقم : ٢٨٠٩ هناك .

(٢) الحديث ٣٤ - إسناده لمصحح . عبد الصمد : هو ابن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان البصري وهو وأبوه من الأعلام الثقات . محمد بن جحادة - بضم الجيم وتخفيف الحاء المهمل ، ثقة حابد زاهد من أتباع التابعين .

وهذا الحديث مختصر ، وسيأتي عقبه مطولاً بثلاثة أسانيد رقم : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، من طريق

٣٥ - حدثنا محمد بن المنثي ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال :
 حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي
 ابن كعب : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بنى غفار ، قال :
 فأتاه جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف . قال :
 أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك . قال : ثم أتاه الثانية
 فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين . قال : أسأل الله
 معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك . ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله
 يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف . قال : أسأل الله معافاته
 ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك . ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك
 أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأبى حرف قرأوا عليه فقد
 أصابوا. (١)

٣٦ - حدثنا محمد بن المنثي ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن
 الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، قال : أتى جبريل النبي صلى الله عليه
 وسلم عند أضاة بنى غفار - فذكر نحوه (٢).

٣٧ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا موسى بن داود ، قال : حدثنا شعبة -
 وحدثنا الحسن بن عرفة ، قال : حدثنا شبابة قال : حدثنا شعبة - عن الحكم ، ١٤/١

شعبة عن الحكم بن حنيفة . وسيأتي مطولا أيضاً رقم : ٤٦ من طريق عبد الوارث عن محمد بن جحادة .
 ورواه أحمد في المسند : ٥ : ١٢٨ ، مطولا أيضاً ، من طريق عبد الوارث .

(١) الحديث ٣٥ - رواه أبو داود الطيالسي في مسنده رقم : ٥٥٨ ، عن شعبة . ورواه أحمد
 في المسند : ٥ : ١٢٧ - ١٢٨ ، عن محمد بن جعفر عن شعبة . ورواه مسلم : ١ : ٢٢٥ - ٢٢٦ ،
 عن محمد بن المنثي وغيره عن محمد بن جعفر . ورواه أبو داود السجستاني في السنن رقم : ١٠٢ : ٢/١٤٧٨
 عن محمد بن المنثي أيضاً .

ونقله ابن كثير في الفضائل ٥٨ - ٥٩ عن هذا الموضع من تفسير الطبري . وقال : « وأخرجه
 مسلم وأبو داود والنسائي ، من رواية شعبة ، به » .
 (٢) الحديث ٣٦ - هو مكرر الحديث قبله .

عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه^(١) .

٣٨ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب أنه قال : سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءةً تخالف قراءتي ، ثم سمعت آخر يقرأها قراءةً تخالف ذلك ، فانطلقتُ بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل ، فسألتُهما : من أقرأهما ؟ فقالا : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : لأذهبن بكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ خالفنا ما أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدهما : اقرأ . فقرا ، فقال : أحسنت . ثم قال للآخر : اقرأ . فقرا ، فقال : أحسنت . قال أبي : فوجدتُ في نفسي وسوسة الشيطان ، حتى احمرَّ وجهي ، فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي ، فضرب بيده في صدري ، ثم قال : اللهم أحسني الشيطان عنه ! يا أبي ، أتاني آتٍ من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفٍ واحدٍ . فقلت : رب خفف عني . ثم أتاني الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفٍ واحدٍ . فقلت : رب خفف عني . ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك ، وقلت مثله . ثم أتاني الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردّة مسألة . فقلت : يا رب اغفر لأمتي ، يا رب اغفر لأمتي . واختبأتُ الثالثة شفاعاً لأمتي يوم القيامة^(٢) .

(١) الحديث ٣٧ - هو مكرراً ما قبله أيضاً . وهو بإسنادين عن شعبة . و « شعبة » في الإسناد الثاني : هو شعبة بن سوار الفزاري المدائني ، وهو ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

(٢) الحديث ٣٨ - هذا الإسناد نقله ابن كثير في الفضائل : ٥٦ - ٥٧ ، وقال : « إسناد صحيح » . وأشار إليه الحافظ ابن حجر في الفتح : ٩ : ٢١ . وعبيد الله ، الراوي عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى : هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو إمام ثقة حجة ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وكان أحد بن حنبل يقدمه على مالك وعلى غيره في الرواية عن فافع ،

٣٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عبيد الله بن عمر ، عن سيّار أبي الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، رَفَعَهُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ذكر أن رجُلَيْنِ اختصما في آية من القرآن ، وكلٌّ يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه ، فصارا إلى أبيّ ، فخالقهما أبيّ ، فصاروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، اختلفنا في آية من القرآن ، وكلنا يزعم أنك أقرأته . فقال لأحدهما : اقرأ . قال : فقرأ ، فقال : أصبت . وقال للآخر : اقرأ . فقرأ بخلاف ما قرأ صاحبه ، فقال : أصبت . وقال لأبيّ : اقرأ . فقرأ فخالقهما ، فقال : أصبت . قال أبيّ : فدخلني من الشكّ في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخل في من أمر الجاهلية ، قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في وجهي ، فرفع يده فضرب صدرى ، وقال : استعذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال : ففيضتُ عرقاً ، وكأني أنظرُ إلى الله فرَقاً . وقال : إنه أتاني آتٍ من ربّي فقال : إن ربك يأمرُك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمّي . قال : ثم جاء فقال : إن ربك يأمرُك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمّي . قال : ثم جاء الثالثة فقال : إن ربك يأمرُك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمّي . قال : ثم جاءني الرابعة فقال : إن ربك يأمرُك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردّة مسألة . قال : قلت : رب اغفر لأمتي ، رب اغفر لأمتي ، واختبأت الثالثة شفاعة

ويقول : « عبيد الله أثبتهم وأحفظهم وأكثرهم رواية » . وفي ترجمته في التهذيب ٧ : ٤٠ : « وقال الحري : لم يدرك عبد الرحمن بن أبي ليلى » . وأنا أدرج أن هذا خطأ من الحري ، فإن عبد الرحمن مات سنة ٨٢ أو ٨٣ ، وعبيد الله مات سنة ١٤٤ أو ١٤٥ ، فالمعاصرة ثابتة ، وهي كافية في إثبات اتصال الرواية ، إذا لم يكن الراوي مدلساً ، وما كان عبيد الله ذلك قط . ولذلك جزم ابن كثير بصحة الإسناد .

وقوله في المرة الأولى « رب خفف مني » ، في الفضائل لابن كثير « رب خفف من أمّي » .

لأمتي ، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليرغب فيها (١).

٤٠ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل : اقرأوا القرآن على حرف . فقال ميكائيل : استزده . فقال : على حرفين . حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف ، فقال : كلها شاف كاف ، ما لم يختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب . كقولك : هلم وتعال (٢).

٤١ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ١٥/١ سليمان بن بلال ، عن يزيد بن خصيفة ، عن بسر بن سعيد : أن أبا جهم الأنصاري أخبره : أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، فقال هذا : تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الآخر : تلقيتها من رسول الله صلى الله

(١) الحديث ٣٩ - وهذا إسناد صحيح إلى عبد الرحمن بن أبي ليل ، ولكنه مرسل ، إذ لم يذكر ابن أبي ليل عن رواء من الصحابة . وهو مؤيد بروايات ابن أبي ليل الماضية عن أبي بن كعب ، فهو كالمتصل معنى .

و «سيار أبو الحكم» : هو العزى الواسطي ، ثقة ثبت صدوق في كل المشايخ ، كما قال أحمد ابن حنبل ، مات سنة ١٢٢ . وفي التاريخ الكبير للبخاري : ١٦٢ / ٢ / ٢ : «قال ابن عينة : شيع سيار أبو الحكم عبيد الله بن عمر . الكوفة إلى المدينة ، فأمر له بألف درهم ، فقال : لم أشيعك لهذا ، ولكن قلت : رجل صالح ، فأردت أن أشيعك» .

(٢) الحديث ٤٠ - سيأتي مرة أخرى ، بهذا الإسناد واللفظ ، برقم : ٤٧ . ورواه أحمد في المسند ٥ : ٥١ طبعة الحلبي ، عن عفان عن حماد بن سلمة ، بنحوه . ورواه أيضاً ٥ : ٤١ عن عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة ، بشيء من الاختصار . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ ، وقال : «رواه أحمد ، والطبراني بنحوه ، إلا أنه قال : واذهب وأدبر . وفيه حل بن زيد بن جعدان ، وهو سيء الحفظ ، وقد تويع ، وبغية رجال أحمد رجال الصحيح» .

ونقله ابن كثير في الفضائل : ٦٢ - ٦٣ عن الرواية المختصرة من المسند ، ثم قال : «وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة ، به . وزاد في آخره : كقولك هلم وتعال» . وهذه الزيادة ثابتة في الرواية المطولة في المسند ٥ : ٥١ بلفظ : «نحو قولك : تعال ، وأقبل ، وهلم ، واذهب ، وأسرع ، وأعجل» .

عليه وسلم ، فسألا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا في القرآن ، فإن المراء فيه كثير^(١) .

٤٢ — حدثنا يونس ، قال : أخبرنا سفیان ، عن عمرو بن دينار ، قال : قال

(١) الحديث ٤١ — رواه أحمد في المستدرج : ١٧٦١٥ (٤ : ١٦٩ - ١٧٠ حلى) ، عن أبي سلمة الخزازي عن سليمان بن بلال ، بهذا الإسناد . ونقله ابن كثير في الفضائل ٦٤ - ٦٥ عن المستدرج ، وقال : « وهذا إسناد صحيح أيضاً ، ولم يخرجوه » ، يعنى أصحاب الكتب الستة . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » .

ونقله ابن كثير قبل ذلك ، عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، قال : « حدثنا إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى الحضرمي - وقال غيره : عن بسر بن سعيد - عن أبي جهيم الأنصاري : أن رجلين اختلفا » ، إلخ . ثم قال ابن كثير : « وهكذا رواه أبو عبيد عن الشك ! وقد رواه الإمام أحمد عن الصواب » ، ثم نقل رواية المستدرج .

وما كانت رواية أبي عبيد عن الشك ، كما زعم ابن كثير ، إنما للحديث طريقان : لإسماعيل ابن جعفر ، يرويه عن يزيد بن خصيفة عن « مسلم بن سعيد » . وسليمان بن بلال ، يرويه عن يزيد ابن خصيفة عن « بسر بن سعيد » ، وهو أخو مسلم بن سعيد . فأشار أبو عبيد أثناء الإسناد إلى الرواية الأخرى ، دون أن يذكر إسنادها .

وقد ذكر البخاري الروایتين في التاريخ الكبير : ٤ / ١ / ٢٦٢ ، في ترجمة « مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي » ، فأشار إلى أنه روى هذا الحديث عن أبي جهيم ، وقال : « قاله إسماعيل ابن جعفر عن يزيد بن خصيفة . وقال سليمان بن بلال عن يزيد بن خصيفة عن بسر بن سعيد عن أبي جهيم » . فأثبت بذلك الروایتين ، لم يجعل إحداها علة للأخرى . فيكون يزيد بن خصيفة سمع الحديث من الأخوين : مسلم وبسر ، ابني سعيد .

ومن عجب أن الحافظ أشار في الإصابة ٧ : ٣٥ إلى رواية هذا الحديث من طريق مسلم ابن سعيد ، ونسبها للبغوي فقط ، ثم لم يشر إلى رواية بسر بن سعيد ، فأبعد جداً ! !

و « أبو جهيم الأنصاري » هذا : اسمه « عبد الله بن الحرث بن الصصة » ، وقيل في اسمه أقوال أخر . ووقع في هذا الحديث في مطبوعة الطبري ومجمع الزوائد والفضائل لابن كثير « عن أبي جهيم » ، وهو خطأ مطبعي في غالب الظن ، لأنه ثابت في المستدرج « أبو جهيم » . وقال الحافظ في الفتح ١ : ٣٧٤ - ٣٧٥ ، في حديث آخر له عند البخاري : « وقع في مسلم [يعنى صحيح مسلم] : دخلنا على أبي الجهم ، بإسكان الهاء ، والصواب أنه بالتصغير ، وفي الصحابة شخص آخر يقال له أبو الجهم ، وهو صاحب الألبجانية ، وهو غير هذا ، لأنه قرشي ، وهذا أنصاري ، ويقال بجلف الألف واللام في كل منهما ، وبإثباتهما » .

وقد أشار الحافظ إلى هذا الحديث في الفتح ٩ : ٢٣ ، ونسب لأحمد وأبي عبيد والطبري . ووقع فيه في هذا الموضع « أبي جهيم » ، بدون تصغير ، وهو خطأ مطبعي أيضاً .

و « بسر بن سعيد » : بضم الباء وسكون السين المهملة . ووقع في مطبوعة الطبري « بشر » ، وهو خطأ مطبعي .

عبي صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كافٍ^(١)
 ٤٣ - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال ،
 عن أبي عيسى بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن
 مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمِرتُ أن أقرأ القرآن على سبعة
 أحرف ، كلٌّ كافٍ شافٍ^(٢) .

٤٤ - حدثنا أحمد بن حازم الغفاري ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا
 أبو خنيدة ، قال : حدثني أبو العالية ، قال : قرأ على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من كل خمس رجلٌ ، فاختلفوا في اللغة ، فرضى قراءتهم كلهم ، فكان
 بنو تميم أعربَ القوم^(٣) .

٤٥ - حدثنا عمرو بن عثمان العثاني ، قال : حدثنا ابن أبي أويس ، قال : حدثنا
 أنس ، عن سليمان بن بلال ، عن محمد بن عجلان ، عن المقبري ، عن أبي

(١) الحديث ٤٢ - يونس : هو ابن عبد الأعلى . سفيان : هو ابن عيينة . وهذا حديث
 مرسل ، لأن عمرو بن دينار تابعي ، فروايته عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل .
 (٢) الحديث ٤٣ - هذا إسناد مشكل ، لم أجده له وجهاً يعرف . فظاهره أن «أبا عيسى بن عبد الله
 بن مسعود» يروي عن أبيه عن جده ، فالجد ظاهراً أنه «مسعود» ، ولكنه صرح بأنه «عبد الله بن
 مسعود» ! فيكون «أبو عيسى» ليس ابن «عبد الله بن مسعود» ، بل ابن ابنه ، نسب إلى جده .
 ولا بأس بذلك إن كان له أصل . ولكن ليس في الرواة الذين نراجهم عندنا من يسمى أو يكنى «أبا
 عيسى» ، من ذرية ابن مسعود . ولا نعرف لابن مسعود من الولد إلا اثنين : عبد الرحمن ، وفي سماعه
 من أبيه خلاف ، والراجح أنه سمع منه . وأبو عبيدة ، واسمه «عامر» ، ولم يسمع من أبيه ، تركه
 صغيراً .

فهذا إسناد محرف يقيناً ، ما حواه ؟ لا ندري . ولا نستطيع أن نتخيل فيه احتمالات لتصحيحه .
 الرواية أمارة ، لا تؤخذ بالرأى ولا بالقياس ولا بالخيال .

وأما لفظ الحديث ، فقد ذكره السيوطي في زيادات الجامع الصغير . بهذا اللفظ ١ : ٢٦٠
 من لفتح الكبير ، ونسبه لابن جرير عن ابن مسعود . ولم نجده في موضع آخر من النواوين التي
 فيها الروايات بالإسناد . وقد يوفق الله غيرنا لوجوده ، إن شاء الله .

(٣) الحديث ٤٤ - هذا مرسل ، لأن أبا العالية تابعي ، يروي عن الصحابة ، وأبو العالية :
 هو رفيع ، يظم للراء ، بن مهران ، بكسر الميم ، الرياحي ، بكسر الراء وتخفيف الياء الأولى . وأبو
 خلطة بفتح الخاء وسكون اللام : هو خاله بن دينار السعدي .

هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلقروا ولا حرج ، ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة (١) .

٤٦ - حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج ، قال : حدثنا عبد الوارث قال : حدثنا محمد بن جُمادة عن الحكم بن عتيبة ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل ، وهو بأضاة بنى غِفَار ، فقال : إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرف واحد . قال : فقال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : ومعافاته ومغفرته - سل الله لم التخفيف ، فإنهم لا يطبقون ذلك . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرفين . قال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : ومعافاته ومغفرته - إنهم لا يطبقون ذلك ، فسأل الله لم التخفيف . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف . فقال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : ومعافاته ومغفرته - إنهم لا يطبقون ذلك ، فسأل الله لم التخفيف . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ (٢) .

قال أبو جعفر (٣) : صحَّ وثبتَ أن الذى نزل به القرآن من ألسن العرب

(١) الحديث ٤ - ابن أبي أويس : هو إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس المدنى ، ابن أخت مالك بن أنس ونسيبه . أخوه : هو أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله . والمقبى : هو سعيد بن أبي سعيد . وهذا الحديث ، بهذا الإسناد واللفظ ، لم أجده فى موضع آخر ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين . وقد مضى لأبي هريرة حديثان بثلاثة أسانيد ، بالأرقام : ٧ - ٩ .

(٢) الحديث ٤٦ - مضى الحديث مختصراً ، رقم : ٣٤ ، من طريق محمد بن جُمادة . وأشرنا إليه هناك .

(٣) هذا جواب قوله فى أول الباب ، ص ٢١ س ١٤ : « فإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الأخبار قد تظاهرت عنه صلى الله عليه وسلم ، بما حدثنا به غلاد بن أسلم . . . صحَّ وثبت » ، إلخ . وقد نقل ابن كثير فى فضائل القرآن ٦٩ - ٧٠ بعض كلام الطبري هنا ، واختصره اختصاراً .

البعض منها دون الجميع ، إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة ، بما يُعجز عن إحصائه .

فإن قال : وما برهانك على أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، وقوله : « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » ، هو ما ادّعت — من أنه نزل بسبع لغات ، وأمر بقراءته على سبعة ألسن — دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك ، من أنه نزل بأمر وزجر وترغيب وتهيب وقصص ومثل ونحو ذلك من الأقوال ؟ فقد علمت قائل ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة .

قيل له : إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التي تقدم ذكرناها ، هو ما زعمت أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره ، فيكون ذلك لقولنا مخالفاً ، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه . والذي قالوه من ذلك كما قالوا .

١٦/١

وقد روينا — بمثل الذي قالوا من ذلك — عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من أصحابه ، أخباراً قد تقدم ذكرنا بعضها ، ونستقصي ذكر باقيها ببيان ، إذا انتهينا إليه ، إن شاء الله .

فأما الذي تقدم ذكرناه من ذلك ، فخير أبي بن كعب ، من رواية أبي كريب ، عن ابن فضيل ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، الذي ذكر فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » ، من سبعة أبواب من الجنة .

والسبعة الأحرف : هو ما قلنا من أنه الألسن السبعة . والأبواب السبعة من الجنة : هي المعاني التي فيها ، من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والقصص والمثل ، التي إذا عمل بها العامل ، وانتهى إلى حدودها المنتهى ، استوجب به الجنة . وليس والحمد لله في قول من قال ذلك من المتقدمين ، خلافٌ لشيء مما قلناه .

والدلالة على صحة ما قلناه - من أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، إنما هو أنه نزل بسبع لغات ، كما تقدم ذكرناه من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وسائر من قدمنا الرواية عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في أول هذا الباب - أنهم تمارَوْا في القرآن ، فخالف بعضهم بعضاً في نفس التلاوة ، دون ما في ذلك من المعاني ، وأنهم احتكموا فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم (١) ، فاستقرأ كل رجل منهم ، ثم صَوَّبَ جميعهم في قراءتهم على اختلافها ، حتى ارتاب بعضهم لتصويبه إياهم ، فقال صلى الله عليه وسلم للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم : « إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » .

ومعلوم أن تماريهم فيها تمارَوْا فيه من ذلك ، لو كان تمارياً واختلافاً فيما دلت عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد وما أشبه ذلك ، لكان مستحيلاً أن يُصَوَّبَ جميعهم ، ويأمر كل قارئ منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه . لأن ذلك لو جاز أن يكون صحيحاً ، وجب أن يكون الله جل ثناؤه قد أمر بفعل شيء بعينه وفترضه ، في تلاوة من دلت تلاوته على فرضه - ونهى عن فعل ذلك الشيء بعينه وزجر عنه ، في تلاوة الذي دلت تلاوته على النهي والزجر عنه ، وأباح وأطلق فعل ذلك الشيء بعينه ، وجعل لمن شاء من عباده أن يفعلهُ فِعْلَهُ ، ولمن شاء منهم أن يتركه تَرْكَهُ (٢) ، في تلاوة من دلت تلاوته على التخيير !

وذلك من قائله إن قاله ، إثبات ما قد نفى الله جل ثناؤه عن تنزيله وحكم كتابه فقال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء : ٨٢] .

(١) في المخطوطة : « وأنهم اختلفوا فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم » . وكل صواب .

(٢) أى : جعل له فعله ، وجعل له تركه . و « جعل » هنا ، بمعنى : أباح وأذن .

وفي نفى الله جلّ ثناؤه ذلك عن حُكْم كتابه، أَوْضَحُ الدليل على أنه لم يتزل كتابه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم إلا بحكم واحد متفق في جميع خلقه، لا بأحكام فيهم مختلفة .

وفي صحة كون ذلك كذلك ، ما يبطل دعوى من ادّعى خلاف قولنا في تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » للذين تخاصموا إليه عند اختلافهم في قراءتهم . لأنه صلى الله عليه وسلم قد أمر جميعهم بالثبوت على قراءته ، ورضى قراءة كل قارئ منهم — على خلافها قراءة خصومه ومنازعيه فيها — وصوبها . ولو كان ذلك منه تصويباً فيما اختلفت فيه المعاني ، وكان قوله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » إعلاماً منه لم أنه نزل بسبعة أوجه مختلفة ، وسبعة معانٍ مفرقة — كان ذلك إثباتاً لما قد نفي الله عن كتابه من الاختلاف ، ونفياً لما قد أوجب له من الائتلاف . مع أن في قيام الحجة بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقض في شيء واحد في وقت واحد بحكمين مختلفين ، ولا أذن بذلك لأمته — ما يُغتنى عن ١٧/١ الإكثار في الدلالة على أن ذلك مني عن كتاب الله .

وفي انتفاء ذلك عن كتاب الله ، وجوب صحة القول الذي قلناه ، في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، عند اختصاص المختصمين إليه فيما اختلفوا فيه من تلاوة ما تلوّه من القرآن ، وفساد تأويل قول من خالف قولنا في ذلك . وأحرى أن الذين تماروا فيما تماروا فيه من قراءتهم فاحتكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن منكراً عند أحد منهم أن يأمر الله عباده جلّ ثناؤه في كتابه وتزيله بما شاء ، وينهى عما شاء ، ويعيد فيها أحب من طاعاته ، ويوعده على معاصيه ، ويحثم لنبيه ويعظه فيه^(١) ، ويضرب فيه لعباده الأمثال — فيُخاصم

(١) في المطبوعة « ويحج لنبيه » ، بدل « ويحتم » . وفي إحدى المخطوطات « ويعظ » ، بغير الضمير وبغير « فيه » . وأما الأخرى فليس فيها « ويعظه فيه » ، بل « ويحتم لنبيه صلى الله عليه وسلم » . و « حم الأمر » : قضاء ، أي : يقضى لنبيه ويكتب له وعليه .

غيره على إنكاره سماع ذلك من قارئه (١). بل على الإقرار بذلك كله كان إسلام من أسلم منهم . فما الوجه الذي أوجب له إنكار ما أنكر ، إن لم يكن كان ذلك اختلافاً منهم في الألفاظ واللغات ؟
وبعد ، فقد أبان صحة ما قلنا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصاً . وذلك الخبر الذي ذكرنا :

٤٧ - أن أبا كريب حدثنا قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن حماد ابن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل : اقرأ القرآن على حرف . قال ميكائيل عليه السلام : استرده . فقال : على حرفين . حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف ، فقال : كلها شاف كاف ، ما لم يحتم آية عذاب بآية رحمة ، أو آية رحمة بآية عذاب ، كقولك : هلم وتعال (٢) .

فقد أوضح نص هذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة ، إنما هو اختلاف ألفاظ ، كقولك « هلم وتعال » باتفاق المعاني ، لا باختلاف معاني موجبة اختلاف أحكام .

وبمثل الذي قلنا في ذلك صحت الأخبار عن جماعة من السلف والخلف .
٤٨ - حدثني أبو السائب سلم بن جنادة السوائي ، قال : حدثنا أبو معاوية - وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة - جميعاً عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : قال عبد الله : إني قد سمعت إلى القرآنة ، فوجدتهم متقارئين فاقروا كما علمتم ، وإياكم والتنطع ، فلأنما هو كقول أحدكم : هلم وتعال (٣) .

(١) يقول : « لم يكن منكراً عند أحد منهم . . . فيخاصم غيره » . فأطال الفصل .

(٢) الحديث ٤٧ - مضمون الحديث بهذا الإسناد ، رقم : ٤٠ . فذلك إشارته بقوله هنا : « وذلك الخبر الذي ذكرنا أن أبا كريب حدثنا » ، إلخ .

(٣) الحديث ٤٨ - أبو السائب سلم بن جنادة السوائي الكوفي ، شيخ للطبري : ثقة حجة لا شك

٤٩ - وحديثنا محمد بن المثني ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن معمر بن مسعود يقول : من قرأ منكم على حرف فلا يتحولن ، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله لأتيته (١) .

٥٠ - وحديثنا ابن المثني ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا شعبة ، عن عبد الرحمن بن عابس ، عن رجل من أصحاب عبد الله ، عن

فيه ، روى عنه البخاري في غير كتاب (الجامع الصحيح) ، والترمذي وابن ماجة وأبو حاتم ، وهو قديم الولاد ، ولد سنة ١٧٤ ، ومات سنة ٢٥٤ . وله ترجمة في تاريخ بغداد ٩ : ١٤٧ - ١٤٨ ، والتلخيص ٤ : ١٢٨ - ١٢٩ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١ / ٢ / ٢٦٩ . وهو سلم ، بفتح السين وسكون اللام ، وقع في نسخ الطبري «سلم» ، وهو تحريف . و «جنادة» : بضم الجيم وتخفيف النون . و «السوائي» : بضم السين وتخفيف الواو وبعد الألف همزة ، نسبة إلى «بني سواة» بن عامر بن صعصعة .

وأبو معاوية : هو محمد بن خازم الضرير ، ولد سنة ١١٣ ، ومات سنة ١٩٥ . فهذا الإسناد الأول حال جداً . وذلك أن الطبري روى أثر ابن مسعود هذا بإسنادين :
رواه عن سلم بن جنادة عن أبي معاوية عن الأعمش . ثم رواه عن محمد بن المثني عن ابن أبي عمير عن شعبة عن الأعمش .

وهذا الأثر عن ابن مسعود لم نجده في غير هذا الكتاب ، إلا ما ذكره صاحب اللسان بغير إسناد ، كما يشير إليه بهد ، إن شاء الله .

وقوله «قد سمعت إلى القراءة فيحدثهم متقارئين» ، في المطبوعة «قد سمعت القراءة» . و «القراء» : جمع «قارئ» ، كما هو واضح ، ولكن الذي في المخطوطة «إلى القراءة» ، بزيادة «إلى» ، ولفظ «القراءة» ، بفتح الراء والهمزة ثم الهاء في آخره ، وهو جمع «قارئ» أيضاً ، ففي اللسان «رجل قارئ» ، من قوم قراء ، وقارئين . وهذا الجمع قياسي ، مثل «كاتب وكتبة» . وانظر مع المراجع السيوطي ٢ : ١٧٧ ، ١٧٨ . وهذا الأثر ذكره صاحب اللسان ١ : ١٢٤ ، قال : «وروى عن ابن مسعود : سمعت للقراءة ، فإذا هم متقارئون . حكاه الحياثي ولم يفسره . قال ابن سيده : ويحتمل أن الجمن كانوا يروون للقراءة» . وهكذا وقع الخطأ لم قديماً ، جعلوها «متقارئون» بالهمزة ، ثم فسرها ابن سيده هذا التفسير الصحيح . وهي واضحة في الطبري «متقارئين» بالياء . والسياق نفسه لا يدل إلا على صحة هذا ونحو ما وقع في اللسان .

وكلمة «القراءة» ستأتي في مخطوطة الطبري كثيراً بهذا الرسم ، ثم يغيرها مصححو المطبوعة «القراء» ، دون حاجة إلى هذا التفسير !

(١) الحديث ٤٩ - أبو داود : هو الطيالسي . وأبو إسحق : هو السيمي المهداني التميمي المعروف ، واسمه «عمرو بن عبد الله» ، وهذا الإسناد ضعيف ، لإبهام شيخ أبي إسحق للذي حدثه عن ابن مسعود . وقد مضى نسبه معناه ضمن حديث متصل ، عن ابن مسعود ، رقم : ١٨ . وانظر الإسناد التالي لهذا .

عبد الله بن مسعود ، قال : من قرأ على حرف فلا يتحولن منه إلى غيره^(١) .
 فعلوم أن عبد الله لم يعن بقوله هذا : من قرأ ما في القرآن من الأمر والنهي
 فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد ، ومن قرأ ما فيه من الوعد
 والوعيد فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من القصص والمثل . وإنما عنى رحمة الله
 عليه أن من قرأ بحرفه - وحرفه : قراءته ، وكذلك تقول العرب لقراءة رجل :
 حرف فلان ، وتقول للحرف من حروف الهجاء المقطعة : حرف ، كما تقول
 لقصيدة من قصائد الشاعر : كلمة فلان - فلا يتحولن عنه إلى غيره رغبة عنه .
 ومن قرأ بحرف أبي ، أو بحرف زيد ، أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ببعض الأحرف السبعة - فلا يتحولن عنه إلى غيره رغبة
 عنه ، فإن الكفر ببعضه كفرٌ بجميعه ، والكفر بحرف من ذلك كفرٌ بجميعه .
 يعنى بالحرف ما وصفنا من قراءة بعض من قرأ ببعض الأحرف السبعة .

١٨/١ ٥١ - وقد حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن
 الأعمش ، قال : قرأ أنس هذه الآية : ﴿ إِنِّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً
 وَأَصْوَبُ قِيلًا ﴾ . [سورة المنزل : ٦] فقال له بعض القوم : يا أبا حمزة ، إنما
 هي « وأقوم » فقال : أقوم وأصوب وأهياً ، واحد^(٢) .

(١) الحديث ٥٠ - عبد الرحمن بن عابس : تابعي أيضاً . وقد أجهم الرجل الذي حدثه عن
 ابن مسعود ، فكان الإسناد ضعيفاً .

وهذا الأثر رواه أحمد في المسند رقم : ٣٨٤٥ ضمن حديث طويل ، عن محمد بن جعفر عن شعبة
 عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : « حدثنا رجل من همدان ، من أصحاب عبد الله ، وما سمع لنا » إلخ .
 (٢) الحديث ٥١ - أبو أسامة : هو حماد بن أسامة الكوفي الحافظ . وهذا الأثر سيأتي بهذا
 الإسناد ، وبإسناد آخر ، في تفسير سورة « المنزل » ٢٩ : ٨٢ . ونقله السيوطي في الدر المنثور
 ٦ : ٢٧٨ ، ونسبه أيضاً لأبي يعلى ومحمد بن نصر وابن الأنباري في المصاحف . وذكره الهيثمي
 في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٦ ، ونسبه للبخاري وأبي يعلى ، وقال : « ولم يقل الأعمش : سمعت أنساً .
 ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، ورجال البخاري ثقات » .

وقوله « وأهياً » بدله في مطبوعة الطبري « وأهدى » ، وانظahr أنه من تصرف المصححين ،
 لأن ما أثبتنا هو الثابت في المخطوطة وفي رواية الطبري الآتية بالإسناد نفسه وفي الدر المنثور ومجمع
 الزوائد .

- ٥٢ - حدثني محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا حَكَّامٌ ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد : أنه كان يقرأ القرآنَ على خمسة أحرفٍ .
- ٥٣ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حَكَّامٌ ، عن عنبسة ، عن سالم : أن سعيدَ بن جُبَيْرٍ كان يقرأ القرآنَ على حرفين .
- ٥٤ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مُغْبِرَةَ ، قال : كان يزيدُ بن الوليد يقرأ القرآنَ على ثلاثة أحرفٍ ^(١) .
- أفتري الزاعمَ أن تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآنُ على سبعة أحرف » ، إنما هو أنه أنزل على الأوجه السبعة التي ذكرنا ، من الأمر والنهي والوعد والوعيد والجلد والقصص والمثل - كان يرى أن مجاهدًا وسعيدَ ابن جبير لم يقرأ من القرآن إلا ما كان من وجهيه أو وجوهه الخمسة دون سائر معانيه ؟ لئن كانَ ظن ذلك بهما ، لقد ظنَّ بهما غير الذي يُعرفان به من منازلهما من القرآن ، ومعرفتهما بأى الفرقان !

٥٥ - وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابنُ عُليَّةٍ ، قال حدثنا أيوب ، عن محمد ، قال : نُبِئتُ أن جبرائيل وميكائيل أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبرائيل : اقرأ القرآنَ على حرفين . فقال له ميكائيل : استزده . فقال : اقرأ القرآنَ على ثلاثة أحرف . فقال له ميكائيل : استزده . قال : حتى بلغ سبعة أحرف ، قال محمد : لا تختلفُ في حلال ولا حرام ، ولا أمرٍ ولا نهى ،

(١) الأثر ٥٤ - يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أمير المؤمنين ، عرف باسم « يزيد الناقص » ، وكان رجلاً صالحاً . وهو الذي قيل في المثل : « الأشج والناقص أعداء بني مروان » ، فهو الناقص ، لقصه الناس من أعطياتهم ما كان زاده سلفه في أعطياتهم ، والأشج : هو عمر بن عبد العزيز . ويزيد هذا هو الذي قتل ابن عمه الفاسق المستهتر : الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، سنة ١٢٦ ، وولى الخلافة بعده . انظر ترجمته في تاريخ ابن كثير ١٠ : ١٦ - ١٧ ، والتاريخ الكبير للبخارى ٤ / ٢ / ٣٦٦ - ٣٦٧ .

ومغيرة ، راوى هذا عن يزيد : هو مغيرة بن مقسم ، بكسر الميم وسكون القاف وفتح السين ، الضبي . وهو ثقة معروف كثير الحديث ، مات سنة ١٣٣ .

هو كقولك : تعال وهلم وأقبل ، قال : وفي قراءتنا ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صِنْعَةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة يس : ٥٣ ، ٥٤] ، في قراءة ابن مسعود (إِن كَانَتْ إِلَّا زَقِيَّةً وَاحِدَةً)^(١) .

٥٦ - وحدثنى يعقوب قال : حدثنا ابن علية ، قال : حدثنا شعيب - يعني ابن الحبيب - قال : كان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل : « ليس كما يقرأ » وإنما يقول : « أما أنا فأقرأ كذا وكذا » . قال : فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي ، فقال : أرى صاحبك قد سمع : « أن من كفر بحرف منه فقد كفر به كله » .

٥٧ - حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : حدثنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب : أن الذي ذكر الله تعالى ذكره [أنه قال] ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [سورة النحل : ١٠٣] إنما افترض أنه كان يكتب الوحي ، فكان يعلم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سميعٌ عليمٌ ، أو عزيزٌ حكيمٌ ، أو غير ذلك من خواتم الآي ، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي ، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : أعزيزٌ حكيمٌ ، أو سميعٌ عليمٌ أو عزيزٌ عليمٌ ؟ فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي ذلك كتبت فهو كذلك . ففتنه ذلك ، فقال : إن محمداً وكل ذلك إلى ، فأكتب ما شئت . وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة^(٢) .

(١) الحديث ٥٥ - محمد : هو ابن سيرين التابعي ، فالحديث مرسل . ثم هو لم يدرك ابن مسعود ، فحكايته عنه قراءته منقطعة .

(٢) الحديث ٥٧ - هذا الحديث ذكره الطبري مرة أخرى بهذا اللفظ نفسه في تفسير سورة النحل : ١٠٣ ، بغير هذه الزيادة التي وضعناها بين القوسين . وهو بغير هذه الزيادة يروى أن الذي نزل فيه « إنما يعلمه بشر » ، هو كاتب الوحي الذي افترض . مع أنه أراد أن الذي قال « إنما يعلمه بشر » هو كاتب الوحي الذي افترض . وصدر كلام الطبري في تفسير سورة النحل يقطع بذلك قال : « وقيل إن الذي قال ذلك رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عن الإسلام . ذكر من قال ذلك ... » ثم روى هذا الخبر ، فنفي ما قدمه هذا الروي الذي يشكل على قارئه في هذا المكان . وكاتب الوحي الذي ارتد هو عبد الله بن مسعود بن أبي سرح العامري القرشي ، وهو ليس بأعجمي ، وإنما قالوا إنه هو الذي ذكره الله تعالى في قوله . « ومن أعظم من افتري حل الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء » .

٥٨ - حدثنا ابن حديد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : من كفر بحرف من القرآن ، أو بآية منه ، فقد كفر به كله ^(١) .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فإذا كان تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » عندك ، ما وصفت ، بما عليه استشهدت ، فأوجدنا حرفاً في كتاب الله مقروءاً بسبع لغات ، فنحقق بذلك قولك . وإلا ، فإن لم تجد ذلك كذلك : كان معلوماً بعيداً مكة ^(٢) - صفة قول من زعم أن تأويل ذلك : أنه نزل بسبعة معان ، وهو الأمر والنهي والوعيد والوعيد والجلد والقصص والمثل - فساد قولك . أو تقول في ذلك : إن الأحرف السبعة لغات في القرآن سبع ، متفرقة في جميعه ، من لغات أحياء من قبائل العرب مختلفة الألسن - كما كان يقوله بعض من لم يُنعم النظر في ذلك ^(٣) . فتصير بذلك إلى القول بما لا يحل فساداً ذو عقل ، ولا يلتبس خطؤه على ١٩/١ نبي لب .

وذلك أن الأخبار التي بها احتججت لتصحيح مقاتلك في تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، هي الأخبار التي رويتها عن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، رحمة الله عليهم ، وعن روى ذلك عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - بأنهم تماروا في تلاوة

ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ، [سورة الأنعام : ٩٣] وأما المعنى بقوله « إنما يلمه بشر » فقد اختلفوا في تحقيقه ، قالوا : قين بمكة نصراني يقال له يلعام ، أو يعيش غلام لبني المغيرة ، أو جبر النصراني غلام بني بياضة .

وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤ : ١٣١ وقال في صدره : « إن الذي ذكر الله في كتابه أنه قال : إنما يلمه . . . » ، فأثبتنا الزيادة منه لذلك .

(١) الخبر ٥٨ - مثله في حديث المستد رقم : ٣٨٤٥ ، وما مر آنفاً برقم : ١٨ .

(٢) العدم : فقدان الشيء وذهابه ، وعدم الشيء : فقده فلم يمتد عليه .

(٣) في المطبوعة « لم يمن » ، غيرها المصححون هنا وفي مواضع ستأتي ١١ وأنهم النظر : بالغ فيه وأدقه .

بعض القرآن ، فاختلفوا في قراءته دون تأويله . وأنكر بعض قراءه بعض ، مع دعوى كل قارئ منهم قراءة منها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه ما قرأ بالصفة التي قرأ . ثم احتكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) ، فكان من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، أن صوب قراءة كل قارئ منهم ، على خلافها قراءة أصحابه الذين نازعوه فيها ، وأمر كل امرئ منهم أن يقرأ كما علم ، حتى خالط قلب بعضهم الشك في الإسلام ، لما رأى من تصويب رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة كل قارئ منهم على اختلافها . ثم جللاه الله عنه بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أن القرآن أنزل على سبعة أحرف .

فإن كانت الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، عندك — كما قال هذا القائل — متفرقة في القرآن ، مثبتة اليوم في مصاحف أهل الإسلام ، فقد بطلت معاني الأخبار التي رويتها عن رويتها عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم اختلفوا في قراءة سورة من القرآن ، فاخصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر كلاً أن يقرأ كما علم . لأن الأحرف السبعة إذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن ، فغير موجب حرف من ذلك اختلافاً بين تاليه ^(٢) ، لأن كل تالٍ فلنما يتلو ذلك الحرف تلاوة واحدة على ما هو به في المصحف ، وعلى ما أنزل . وإذا كان ذلك كذلك ، بطل وجه اختلاف الذين روى عنهم أنهم اختلفوا في قراءة سورة ، وفسد معنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم كل قارئ منهم أن يقرأ على ما علم . إذ كان لا معنى هنالك يُوجب اختلافاً في لفظ ، ولا اقترافاً في معنى . وكيف يجوز أن يكون هنالك اختلاف بين القوم ، والمعلم واحد ، والعلم واحد غير ذي أوجه ؟ وفي صحة الخبر عن الذين روى عنهم الاختلاف في حروف القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — بأنهم اختلفوا وتحاكوا إلى

(١) في المخطوطة : ثم اختلفوا إلى رسول الله ، وهما سواء .

(٢) من تالين ، جمع تال ، مضافة إلى التفسير ، فحذفت التين .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، على ما تقدم وصَفْنَاهُ - أَيْنُ الدلالة على فساد القول بأن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن ، لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني .

مع أن المتدبر إذا تدبر قول هذا القائل - في تأويله قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، وادَّعَاهُ أَنْ معنى ذلك أنها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ، ثم جمع بين قبيله ذلك ، واعتلاله لقليله ذلك بالأخبار التي رويت عن رؤى ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال : هو بمنزلة قولك تعال وهلم وأقبل ، وأن بعضهم قال : هو بمنزلة قراءة عبد الله « الإزقية » ، وهي في قراءتنا « الإصنيحة » ، وما أشبه ذلك من حُججه (١) علم أن حُججه مفسدة في ذلك مقالته ، وأن مقالته فيه مُضادة حُججه .

لأن الذي نزل به القرآن عنده إحدى القراءتين - إما « صيحة » ، وإما « زقية » ، وإما « تعال » ، أو « أقبل » ، أو « هلم » - لا جميع ذلك . لأن كل لغة من اللغات السبع عنده في كلمة أو حرف من القرآن ، غير الكلمة أو الحرف الذي فيه اللغة الأخرى .

وإذا كان ذلك كذلك ، بطل اعتلاله لقوله بقول من قال : ذلك بمنزلة « هلم » و « تعال » و « أقبل » ، لأن هذه الكلمات هي ألفاظ مختلفة ، يجمعها في التأويل معنى واحد . وقد أبطل قائلُ هذا القول الذي حكينا قوله ، اجتماع اللغات السبع ٢٠/١ في حرف واحد من القرآن . فقد تبين بذلك إفسادُ حجته لقوله بقوله ، وإفساد قوله لحجته (٢) .

قيل له : ليس القول في ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفت . بل الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن ، هي لغات سبع ، في حرف واحد ، وكلمة واحدة ،

(١) جواب قوله : « . . . إذا تدبر قول هذا القائل . . . علم . . . »

(٢) انتهى اعتراض المعارض الذي بدأ في ص : ٥٥ ، وبليه جواب الطبري فيما اعترض به .

باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ، كقول القائل : هلم ، وأقبل ، وتعال ، وإلى ، وقصدي ، ونحوي ، وقربي ، ونحو ذلك ، مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني ، وإن اختلفت بالبيان به الألسن ، كالذي رَوَيْنَا آنفاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمن رَوَيْنَا ذلك عنه من الصحابة ، أن ذلك بمنزلة قولك : « هلمّ وتعال وأقبل » ، وقوله « ما ينظرون إلا زقية » ، و « إلا صبيحة » .

فإن قال : فني أي كتاب الله نجدُ حرفاً واحداً مقروءاً بلغات سبع مختلفات الألفاظ ، متفقات المعنى ، فنسلم لك صحة ما ادّعت من التأويل في ذلك ؟

قيل : إننا لم ندع أن ذلك موجود اليوم ، وإنما أخبرنا أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، على نحو ما جاءت به الأخبار التي تقدم ذكرناها . وهو ما وصفنا ، دون ما ادعاه مخالفونا في ذلك ، للعلل التي قد بينّا .

فإن قال : فما بال الأحرف الأخرى الستة غير موجودة ، إن كان الأمر في ذلك على ما وصفت ، وقد أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمر بالقراءة بهنّ ، وأنزلهن الله من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ أنسخت فرُفعت ، فما الدلالة على نسخها ورُفعها ؟ أم نسيتهن الأمة ، فلذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه ؟ أم ما القصة في ذلك ؟

قيل له : لم تنسخ فترفع ، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها . ولكنّ الأمة أمرت بحفظ القرآن ، وخُيِّرَت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت . كما أمرت ، إذا هي حششت في يمين وهي مُوسرة ، أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت : إما بعتي ، أو إطعام ، أو كسوة . فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث ، دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر ، كانت مُصيبةً حكم الله ، مؤديةً في ذلك الواجب عليها من حق الله . فكل ذلك الأمة ، أمرت بحفظ القرآن وقراءته ، وخُيِّرَت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت : فرأت

— لعل من اللعل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد — قراءتهُ بحرف واحد ،
ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ، ولم تحظُر قراءته بجميع حروفه على قارئه ،
بما أذن له في قراءته به .

فإن قال : وما العلة التي أوجبت عليها الثبات على حرف واحد دون سائر
الأحرف الستة الباقية ؟

٥٩ — قيل : حدثنا أحمد بن عبد الله الضبي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن
محمد الدراوردي ، عن عمار بن غزيرة ، عن ابن شهاب ، عن خارجة بن زيد
ابن ثابت ، عن أبيه زيد ، قال : لما قُتل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة ،
دخل عمرُ بن الخطاب على أبي بكر رحمه الله فقال : إن أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم باليمامة تهاوتوا تهاوت القراش في النار ، وإني أخشى أن لا يشهدوا موطناً
إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا — وهم حملة القرآن — فيضيع القرآن وينسى . فلو جمعته
وكتبته ! فنفر منها أبو بكر وقال : أفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم !
فترجعا في ذلك . ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت ، قال زيد : فدخلت عليه
ومع محمد بن زيد^(١) ، فقال أبو بكر : إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيت عليه ، وأنت
كاتب الوحي . فإن تكن معه اتبعكما ، وإن توافقتني لا أفعل . قال : فافقتص
أبو بكر قول عمر ، وعمر ساكت ، فنفرت من ذلك وقلت : نفعل ما لم يفعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ! إلى أن قال عمر كلمة : « وما عليكما لو فعلتما ٢١/١
ذلك ؟ » قال : فذهبنا ننظر ، فقلنا : لا شيء والله ! ما علينا في ذلك شيء !
قال زيد : فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعُسب^(٢) .

(١) انحزل الرجل : اجتمع وتحفز ورفع صدره كالتهيء لأمر ، فهو محزول : منضم بعضه إلى
بعض ، جالس جلسة المستوفز .

(٢) الأدم جمع أديم : وهو الجلد المدبوغ ، كانوا يكتبون فيه . والكسر جمع كسرة (بكسر
فسكون) : وهي القطعة المكسورة من الشيء . والأكتاف جمع كتف : وهو عظم عريض في أصل كتف
الحيوان من الناس والدواب ، كانوا يكتبون فيه لقلّة القراطيس عندهم يومئذ . والعسب جمع عسيب وهو :
جريد النخل إذا نحى عنه غوصه .

فلما هلك أبو بكر وكان عمر^(١) ، كتب ذلك في صحيفة واحدة ، فكانت عنده .
فلما هلك ، كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . ثم إن
حفيفة بن إيمان قديم من غزوة كان غزاها بمرج أرمينية^(٢) ، فلم يدخل بيته
حتى أتى عثمان بن عفان فقال : « يا أمير المؤمنين : أدرك الناس ! فقال عثمان :
« وما ذاك ؟ » قال غزوت مرج أرمينية ، فحضرها أهل العراق وأهل الشام ،
فلذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبي كعب ، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق ،
فتكفرهم أهل العراق . وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة ابن مسعود ، فيأتون بما لم
يسمع به أهل الشام ، فتكفرهم أهل الشام . قال زيد : فأمرني عثمان بن عفان
أكتب له مصنفًا ، وقال : إني مدخل معك رجلاً ليلاً فصيحاً ، فاجتمعنا
عليه فاكتباه ، وما اختلفنا فيه فارفعاه إلى . فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص ،
قال : فلما بلغنا ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٨] قال :
زيد فقلت : « التابوت » وقال أبان بن سعيد : « التابوت » ، فرفعنا ذلك إلى عثمان
فكتب : « التابوت » قال : فلما فرغت عرضته عرصة ، فلم أجد فيه هذه الآية :
﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٣] قال : فاستعرضت
المهاجرين أسألم عنها ، فلم أجد لها عند أحد منهم ، ثم استعرضت الأنصار أسألم عنها ،
فلم أجد لها عند أحد منهم ، حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت ، فكتبتها ، ثم عرضته
عرصة أخرى ، فلم أجد فيها هاتين الآيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ

(١) قوله « وكان عمر » ، أي ولي الأمر من بعده . وقال ابن حجر في فتح الباري ٩ : ١٣
وذكر جمع القرآن في الوزق والصحف على عهد أبي بكر ، ثم قال : « هذا كله أسح بما وقع في رواية
مخارة بن غزية . . . »

(٢) في المطبوعة « في فرج أرمينية » ، وكذلك التي تليها . والمرج : أرض واسعة كثيرة النبات
تخرج فيها اللواب ، أي تذهب وتجرى . وقد أضيف « مرج » إلى كثير من المواضع والبلاد . وأرض
أرمينية واسعة خصبة . وذكر ابن حجر في الفتح ٩ : ١٤ رواية « فتح أرمينية » و « فرج . . . » ولم
يلكح « مرج » ، وذكرها أبو عمرو الداني في كتابه « المقنع » : ٤ : قال : « وكانوا يقاتلون على مرج أرمينية » .

عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [سورة التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩] فاستعرضت المهاجرين ، فلم أجدها عند أحد منهم ، ثم استعرضت الأنصار أسألم عنها فلم أجدها عند أحد منهم ، حتى وجلتها مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضاً ، فأثبتها في آخر « براءة » ، ولو تحتمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة . ثم عرضته عرضة أخرى ، فلم أجدها فيه شيئاً ، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة ، وحلف لها ليردنها إليها فأعطته إياها ، فعرض المصحف عليها ، فلم يختلفا في شيء . فردّها إليها ، وطابت نفسه ، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف . فلما ماتت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمر في الصحيفة بعزمة ، فأعطاهم إياها ففسلت غسلاً^(١) .

٦٠ - وحدثنى أيضاً يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا نعيم بن حماد قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عُمارة بن غَزِيَّة ، عن ابن شهاب ، عن خارجة ابن زيد ، عن أبيه زيد بن ثابت ، بنحوه سواء .

٦١ - وحدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبي قِلَابَةَ ، قال : لما كان في خلافة عثمان ، جعل المعلم يعلم قراءة

(١) الحديث ٥٩ ، ٦٠ - قال ابن حجر في فتح الباري ٩ : ٩ - ١٩ ، وذكر رواية الطبري مفرقة في شرح الباب في أول « باب جمع القرآن » ، في شرح حديث جمع القرآن الذي رواه البخاري من طريق ابن شهاب عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت : « هذا هو الصحيح عن الزهري ، أن قصة زيد ابن ثابت مع أبي بكر وعمر ، عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت ، وقصة حذيفة مع عثمان عن أنس ابن مالك ، وقصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب في رواية عبيد بن السباق عن خارجة بن زيد ابن ثابت عن أبيه . وقد رواه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن الزهري ، فأدرج قصة آية سورة الأحزاب في رواية عبيد بن السباق » ، ثم قال عن هذا الخبر الذي رواه الطبري : « وأغرب عماره بن غزوة فرواه عن الزهري فقال : عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه ، وساق القصص الثلاث بطولها : قصة زيد مع أبي بكر وعمر ، ثم قصة حذيفة مع عثمان أيضاً ، ثم قصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب . أخرجه الطبري . وبين الخطيب في « المعرج » أن ذلك وهم منه ، وأنه أدرج بعض الأسانيد على بعض » .

الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين - قال أيوب : فلا أعلمه إلا قال - : حتى كفر بعضهم بقراءة بعض . فبلغ ذلك عثمان ، فقام خطيباً فقال : « أنتم عندى تختلفون فيه وتلحنون ، فمن نأى عنى من أهل الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشدّ لحناً . اجتمعوا يا أصحاب محمد ، فاكتبوا للناس إماماً » . قال أبو قلابه ، فحدثني أنس بن مالك قال : كنت فيمن يملئ عليهم ، قال : فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي ، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ، ويدعون موضعها ، حتى يجيء أو يُرسَل إليه . فلما فرغ من المصحف ، كتب عثمان إلى أهل الأمصار : « إلى قد صنعتُ كذا وكذا ، ومحت ما عندى ، فاعموا ما عندكم » (١) .

٦٢ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس قال : قال ابن شهاب : أخبرني أنس بن مالك الأنصاري : أنه اجتمع في غزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، فتلذكروا القرآن ، واختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة . فركب حليفة بن اليمان - لما رأى اختلافهم في القرآن - إلى عثمان ، فقال : « إن الناس قد اختلفوا في القرآن ، حتى إلى والله لأخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف » . قال : ففرع لذلك فزعاً شديداً ، فأرسل إلى حفصة فاستخرج المصحف التي كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها ، فنسخ منها مصاحف ، فبعث بها إلى الآفاق (٢) .

(١) الخبر ٦١ - ذكر ابن حجر في الفتح ٩ : ١٥ أن ابن أبي داود أخرجه في المصاحف من طريق أبي قلابه ، وذكر صدر الخبر ، ثم ذكر سائر في ص : ١٨ . وفي المخطوطة مكان « ويدعون موضعها » و « يتركون موضعها » . وهو في كتاب المصاحف ص ٢١ - ٢٢ ، رواه عن زياد بن أيوب عن إسماعيل ، يعني ابن علية ، بهذا الإسناد . وفيه « ويدعون موضعها » .

(٢) الخبر ٦٢ - خرج ابن حجر في الفتح ٩ : ١٤ وما بعدها رواية يونس عن ابن شهاب عن أنس . وقال : « أخرجه ابن أبي داود . . . مطولة » . وهي في كتاب المصاحف ص ٢١ .

٦٣ - حدثني سعيد بن الربيع ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، قال : 'قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع ، وإنما كان في الكرايف والصب (١) .

٦٤ - حدثنا سعيد بن الربيع قال : حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مصعب أن أبا بكر أول من ورث الكلالة وجمع المصحف (٢) .
قال أبو جعفر : وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعاب جميعها الكتاب ، والآثار الدالة على أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه ، جمع المسلمين - نظراً منه لهم ، وإشفاقاً منهم عليهم ، ورأفة منه بهم ، جدار الردة من بعضهم بعد الإسلام ، والدخول في الكفر بعد الإيمان ، إذ ظهر من بعضهم بمحضه وفي عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي عن التكذيب بشيء منها ، وإنجازه إياهم أن المراء فيها كفر - فحملهم رحمة الله عليه ، إذ رأى ذلك ظاهراً بينهم في عصره ، وتحداته عهدهم بتزل القرآن ، وفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بما أمين عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن - على حرف واحد (٣) .

وجمعهم على مصحف واحد ، وحرف واحد ، وخرق ما عدا المصحف الذي

(١) الحديث ٦٣ - ذكر ابن حجر في الفتح ٩ : ٩ رواية سفيان عن الزهري عن عبيد عن زيد بن ثابت ، وأنها في ص : ١١ باختلاف في اللفظ . والكرايف جمع كرافة : وهي أصول السقف الفاظ العراض التي إذا يست صارت أمثال الأكاف . وكانوا يكتبون فيها قبل الورق .
(٢) الخبر ٦٤ - مصعب : هو ابن صوحان ، بضم الصاد . وهو تابعي قدم ، كان مسلماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره . وهذا الخبر لم نجده في موضع آخر . وأما الكلالة ، فقد اختلف في تفسيرها ، والجهور على أنه : من مات وليس له ولد ولا والد . كما قال الحافظ في الفتح ١٢ : ٢١ . وهو الذي اختاره الطبري ، فيما سيأتي في تفسير الآية ١٢ من سورة النساء ، رديب ١٧٦ منها ج ٤ ص ١٩١ - ١٩٤ ، وج ٦ ص ٢٨ - ٣١ من طبعة بولاق .
(٣) قوله « على حرف واحد » ، متعلق بقوله آتفاً : « فحملهم رحمة الله عليه » وقوله « فحملهم » مطوف على قوله أولاً : « جمع المسلمين »

جمعهم عليه . وعزم على كل من كان عنده مُصحفٌ مخالفٌ المصحفَ الذي جمعهم عليه ، أن يحرقه^(١) . فاستوصت له الأمة على ذلك بالطاعة^(٢) ، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية ، فركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها ، طاعةً منها له ، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى كدرست من الأمة معرفتها ، وتعت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها ، لدثورها وعُمُور آثارها ، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها ، من غير جحود منها مصحتها وصحة شيء منها^(٣) ، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها . فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيقُ الناصحُ ، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية .

فإن قال بعض من ضعف معرفته : وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بقراءتها ؟

قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة . لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم ، لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة ، عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ، ويزيل الشك من قراءَةِ الأمة^(٤) . وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها غيرين ، بعد أن يكون في نقلة القرآن من الأمة من تجبُ بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة .

(١) في الموصفين من المطبوعة « وحرق » بالحاء المهملة و « يحرقه » وقال ابن حجر في الفتح ٩ : ١٨ في شرح حديث البخاري : « في رواية الأكثر أن يحرق » بالحاء المعجمة ، والروزي بالمهملة ، ورواه الأصيل بالوجهين ، والمعجمة أثبت . « وحرقه » الكتاب أو الثوب : شققة ومنزه .

(٢) في المطبوع والمخطوط « فاستوصت » . ونقله ابن كثير في الفصائل : ٧٠ « فاستوصت » وهو الصواب . واستوصى للقوم : اجتمعوا وانفسوا . وفي حديث النجاشي : « واستوصى عليه أمر الحبش » أي اجتمعوا على طاعته . واستوصى لفلان الأمر : إذا أمكنه واجتمع له .

(٣) قوله « من غير جحود منها » أي من الأمة ، وكذلك الضمائر فيها بعدها

(٤) في المطبوع : « من قراءة الأمة » ، والقراءة : جمع قارئ ، وانظر ما مضى : ١٠١ في التعليق

وما سيأتي : ١٠٩ قطعي : ١ .

وإذ كان ذلك كذلك . لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع . تاركين ما كان عليهم نقله ، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا . إذ كان الذى فعلوا من ذلك ، كان هو النظر للإسلام وأهله . فكان القيام بفعل الواجب عليهم ، بهم أولى من فعل ما لو فعلوه . كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة ، من ذلك (١) .

وأما ما كان من اختلاف القراءة فى رفع حرفٍ وجره ونصبه . وتسكين حرفٍ وتحريكه ، ونقل حرفٍ إلى آخر مع اتفاق الصورة ، فن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » — بمعزل (٢) . لأنه معلوم أنه لا حرف من حروف القرآن — مما اختلفت القراءة فى قراءته بهذا المعنى — يوجب المراء به كفر المارى به فى قول أحد من علماء الأمة . وقد أوجب عليه الصلاة والسلام بالمراء فيه الكفر ، من الوجه الذى تنازع فيه المتنازعون إليه ، وتظاهرت عنه بذلك الرواية (٣) . على ما قد قدمنا ذكرها فى أول هذا الباب (٤) .

فإن قال لنا قائل : فهل لك من علم بالألسن السبعة التى نزل بها القرآن ؟ وأى الألسن هى من ألسن العرب ؟

(١) قوله « من ذلك » ، أى من الجناية على الإسلام .

(٢) أى « فن معنى قول النبي » . بمعزل .

(٣) قوله « وتظاهرت » هى فى المخطوطة « مهمة ولا تكاد تقرأ على وجه مرضى » .

(٤) نقل ابن حجر فى الفتح ٩ : ٢٧ عن الإمام الحافظ أبى شامة قال : « ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك ببعض أهل الجهل » . وقال ابن عمار أيضاً : « لقد فعل مسيح هذه السبعة ما لا ينبغي له ، وأشكل الأمر على العامة بلباسه كل من قل نظره أن هذه القراءات هى المذكورة فى الخبر ، وليته إذ اقتصر نقص على السبعة أو زاد ليزيل الشبهة » . وقال الإمام ابن الجزرى فى النشر ١ : ٣٣ : « أول إمام معتبر جمع القراءات فى كتاب : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وجعلهم فيها أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفى سنة ٢٢٤ . . . ثم قال فى ص ٣٤ : « وكان فى أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط وتوفى سنة ٣٢٤ » . ثم قال فى ص ٣٥ : « وإنما أطلعنا فى هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هى التى عن هؤلاء السبعة ، وأن الأحرف السبعة التى أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم هى قراءة هؤلاء السبعة ، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هى التى فى الشاذية والتيسير . . . » .

قلنا : أما الألسن الستة التي قد نزلت القراءة بها ، فلا حاجة بنا إلى معرقها ، لأننا لو عرفناها لم نقرأ اليومَ بها مع الأسباب التي قدمنا ذكرها . وقد قيل إن خمسة منها لعَجْرُ هَوَازَن ، واثنان منها لقريش وخزاعة . روى جميع ذلك عن ابن عباس ، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله . وذلك أن الذي روى عنه : « أن خمسة منها من لسان العجز من هوازن » ، الكلبي عن أبي صالح ، وأن الذي روى عنه : « أن اللسانين الآخرين لسانُ قريش وخزاعة » ، قتادة ، وقاتدة لم يلقه ولم يسمع منه^(١) .

٦٥ - حدثني بذلك بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر الخزاعي ، قال : حدثنا الهيثم بن عدي ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآنُ بلسان قريش ولسان خزاعة ، وذلك أن الدار واحدة* .

٦٦ - وحدثني بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر ، قال : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبي الأسود الدؤلي ، قال : نزل القرآن بلسان الكعبيين : كعب بن عمرو وكعب بن لؤي . فقال خالد بن سلمة لسعد بن إبراهيم : ألا تعجبُ من هذا الأعمى ! يزعم أن القرآن نزل بلسان الكعبيين ، وإنما أنزل بلسان قريش !^(٢)

(١) انظر ما استوعبه ابن حجر في شرح هذا الباب كله في فتح الباري ٩ : ٢٠ ، وابن الجزري في النشر ١ : ١٩ - ٥٣ ، وفصائل القرآن لابن كثير : ٥٤ - ٨٠ .
(٢) الأثر ٦٦ - وهذا الأثر منقطع أيضاً ، فإن قتادة ولد سنة ٦١ . وأبو الأسود الدؤلي مات سنة ٦٩ .

وروى الخطيب في تاريخ بغداد ٥ : ١٧٣ - ١٧٤ ، نحو هذا مرفوعاً ، بإسناده ، من طريق « أحمد بن عبد الجبار الطبري حدثني أبي عن سهل بن شعيب عن ابن سفيان الأسلمي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على لغة الكعبيين : كعب بن لؤي ، وهو أبو قريش ، وكعب بن عمرو ، وهو أبو خزاعة » .

وهذا إسناد مظلم ! أحمد بن عبد الجبار : ترجمه ابن أبي حاتم في المخرج والتعديل ١ / ١ : ٦٢ ، وقال : « كتبت عنه ، وأمسكت عن التحديث عنه لما تكلم الناس فيه » ، ثم روى عن أبيه أبي حاتم قال : « ليس بقوى » . وأما عبد الجبار ، والده أحمد هذا ، فلم أجد له ترجمة قط . وأما سهل ابن شعيب ، ترجمه ابن أبي حاتم أيضاً ج ١ / ٢ : ١٩٩ ، وذكر أنه يروي « عن الشعبي وعبيد الله

قال أبو جعفر : والعجز من هوازن : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر ابن معاوية ، وثقيف (١) .

وأما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ ذكر نزول القرآن على سبعة أحرف : إن كلها شافٍ كافٍ - فإنه كما قال جل ثناؤه في صفة القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس : ٥٧] ، جعله الله للمؤمنين شفاءً ، يستشفون بمواعظه من الأدواء العارضة لصدورهم من وساوس الشيطان وخطراته ، فيكفيهم ويغنيهم عن كل ما عداه من المواعظ ببيان آياته .

ابن عبد الله الكندي ، ولم يذكره بمرح ولا تعديل . ولم أجده له ترجمة غيرها . وأما « ابن سفيان الأسدي » ، فاعرفت من هو ؟ وما أظنه من طبقة الصحابة ، إذ لم يدرك ذلك سهل بن شعيب ، وإن كان منهم كان الإسناد مقطوعاً .

(١) في الأصل « وعشيم بن بكر » ، وكذلك في فضائل القرآن : ٦٧ وهو خطأ . قال ابن كثير في عقب هذا « وهم عليا هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفل تميم » ، يعني بني دارم .

﴿ القول في البيان ﴾

﴿ عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن ﴾

﴿ من سبعة أبواب الجنة » ، وذكر الأخبار الواردة بذلك ^(١) ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت النقلة في ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٦٧ - فروى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : كان الكتاب الأول تنزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف : زاجرٌ وأمرٌ ^(٢) ، وحلالٌ وحرامٌ ، ومحكمٌ ومتشابه ، وأمثلة ، فأحلبوا حلاله وحسروا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، واتهوا عما نهيتهم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا : آمنا به كلٌّ من عند ربنا .

حدثني بذلك يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرني حيوة بن شريح ، عن عقيل بن خالد ، عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

٢٤/١

(١) في المطبوعة : « المروية بذلك » .

(٢) في المطبوعة « زجر وأمر » ، والصواب من المخطوطة وفضائل القرآن ٦٦ ، وفتح الباري ٢٦ : ٩ .

(٣) الحديث ٦٧ - قال ابن حجر في الفتح ٩ : ٢٦ وذكر الخبر السالف بهذا الإسناد فقال : « قال ابن عبد البر هذا حديث لا يثبت ، لأنه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ، ولم يلق ابن مسعود » ، ثم قال : « وصح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم ، وفي تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود . وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري مرسلًا ، وقال : هذا مرسل جيد » . وانظر فضائل القرآن ٦٦ . وانظر مستند أحمد في الحديث : ٤٢٥٢ عن قلفة الجعفي عن ابن مسعود : « إن القرآن نزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو قال : حروف - وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد » .

وروى عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم مُرْسَلًا غير ذلك :

٦٨ - حدثنا محمد بن بشار ، قال حدثنا عباد بن زكريا ، عن عوف ، عن أبي قلابة ، قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل^(١) .

٦٩ - وروى عن أبي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ما حدثني به أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي ابن كعب ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمتي . قال : اقرأه على حرفين . فقلت : رب خفف عن أمتي . فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة ، كلها شاف كاف^(٢) .

وروى عن ابن مسعود من قبله خلاف ذلك كله .

٧٠ - وهو ما حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا المخاربي ، عن الأحموص ابن حكيم ، عن ضمرة بن حبيب ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إن الله أنزل القرآن على خمسة أحرف : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال . فأحِلَّ الحلال ، وحَرَّمَ الحرام ، واعمل بالمحكم ، وآمن بالمتشابه ، واعتبر بالأمثال^(٣) .

(١) الحديث ٦٨ - هذا حديث مرسل ، فلا تقوم به حجة .

(٢) الحديث ٦٩ - هذا إسناد صحيح . وهو أحد روايات الحديث رقم : ٣١ الماضي ، وقد أشار الحافظ إلى هذه الرواية ، في الفتح ٩ : ٢١ . ووقع في الإسناد في نسخ الطبري هنا « عبيد الله ابن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، وهو خطأ ، صوابه « عبد الله » ، كما في الرواية الماضية . وليس في الرواية الذين رأينا تراجمهم « عبيد الله بن عيسى » . ثم هنا أيضاً « عن أبيه عن جده » ، وأغشى أن يكون خطأ أيضاً ، إذ الحديث رواه عبد الله بن عيسى عن جده مباشرة ، كما مضى ، وكما في رواية مسلم في صحيحه ١ : ٢٢٥ لذلك الحديث .

(٣) الخبر ٧٠ - هذا موقوف على ابن مسعود ، من كلامه ، كما صرح بذلك الطبري هنا بقوله « وروى عن ابن مسعود من قبله » . وذكره ابن كثير في الفضائل : ٦٦ بعد الحديث

وكل هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متقاربة المعاني ، لأن قول القائل : فلان مقيم على باب من أبواب هذا الأمر ، وفلان مقيم على وجه من وجوه هذا الأمر ، وفلان مقيم على حرف من هذا الأمر - سواء . ألا ترى أن الله - جل - ثناؤه وصف قوماً عبدوه على وجه من وجوه العبادات ، فأخبر عنهم أنهم عبدوه على حرف فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَفْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [سورة الحج : ١١] ، يعني أنهم عبدوه على وجه الشك ، لا على اليقين والتسليم لأمره .

فكذلك رواية من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نزل القرآن من سبعة أبواب » و « نزل على سبعة أحرف » سواء ، معناهما مؤتلف ، وتأويلهما غير مختلف في هذا الوجه .

ومعنى ذلك كله ، الخبر منه صلى الله عليه وسلم عما خصه الله به وأتمته ، من الفضيلة والكرامة التي لم يؤتها أحداً في تنزيله .

وذلك أن كل كتاب تقدم كتابنا نزوله على نبي من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فلنما نزل بلسان واحد ، متى حوّل إلى غير اللسان الذي نزل به ، كان ذلك له ترجمة وتفسيراً (١) ، لا تلاوة له على ما أنزله الله .

وأنزل كتابنا باللسن سبعة ، بأي تلك الألسن السبعة تلاه التالي ، كان له تالياً على ما أنزله الله لا مترجماً ولا مفسراً ، حتى يحوّل عن تلك الألسن السبعة إلى غيرها ، فيصير فاعل ذلك حينئذ - إذا أصاب معناه - مترجماً له . كما كان التالي

٦٧ الماضي ، جملة رواية أخرى له ، قال : « ثم رآه عن أبي كريب . . . عن ابن مسعود ، من كلامه . وهو أشبه » .

(١) يستعمل الطبري « الترجمة » وما يشتق منه بمعنى البيان والتفسير والشرح ، لا بمعنى نقل الكلام من لسان إلى لسان يباينه . والترجمة التي يشير إليها هنا هي ما مضى في خبر الأحرف التي نزل بها القرآن من مثل قورك « هلم » وأقبل « فإذا كان الكتاب الأول قد نزل وفيه ، « هلم » كان القارئ إذا قرأ « أقبل » ، وهي بمعناها ، مفسراً للكتاب لا تالياً له . انظر ما سيأتى : ٣٢ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٥ من مطبوعة بولاق .

لبعض الكتب التي أنزلها الله بلسان واحد — إذا تلاه بغير اللسان الذي نزل به — له مترجماً ، لا تالياً على ما أنزله الله به .

فذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : كان الكتاب الأول ، نزل على حَرْفٍ واحدٍ ، ونزل القرآن على سبعة أحرف .

وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الكتاب الأول نزل من باب واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب » ، فإنه صلى الله عليه وسلم غنى بقوله : « نزل الكتاب الأول من باب واحد » ، والله أعلم ، ما نزل من كتب الله على من أنزله من أنبيائه ، خالياً من الحدود والأحكام والحلال والحرام ، كزبور داود ، الذي إنما هو تذكير ومواعظ ، وإنجيل عيسى ، الذي هو تمجيدٌ ومحمدٌ وحضٌ على الصفح والإعراض — دون غيرها من الأحكام والشرائع — وما أشبه ذلك من الكتب التي نزلت ببعض المعاني السبعة التي يحوى جميعها كتابنا ، الذي خصَّ الله به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وأُمَّته . فلم يكن المتعبدين بإقامته يمدون لِرِضَى الله تعالى ذكره مطلباً ينالون ٢٥/١ به الجنة ، ويستوجبون به منه القُرْبَةَ ، لإلّا من الوجه الواحد الذي أنزل به كتابهم ، وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذي نزل منه ذلك الكتاب .

ونخص الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وأُمَّته ، بأن أنزل عليهم كتابه على أوجه سبعةٍ من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله ، ويدركون بها الفوز بالجنة ، إذا أقاموها (١) ، فكلُّ وجه من أوجهه السبعة بابٌ من أبواب الجنة التي نزل منها القرآن . لأنَّ العامل بكل وجه من أوجهه السبعة ، عاملٌ في باب من أبواب الجنة ، وطالب من قبيله الفوز بها . والعملُ بما أمر الله جل ذكره في كتابه ، بابٌ من أبواب الجنة ، وتركُ ما نهى الله عنه فيه ؛ بابٌ آخر ثانٍ من أبوابها ؛ وحليلُ ما أحلَّ الله فيه ، بابٌ ثالث من أبوابها ؛ وتحريمُ ما حرَّم الله فيه ، باب رابعٌ من أبوابها ؛

(١) في المطبوعة : « فكل وجه من أوجهه السبعة باب من أبواب الجنة الذي نزل منه القرآن » . وهو تغيير لاجلوى فيه .

والإيمانُ بمحكمه المبين ، باب خامسٌ "مَنْ أَبْوَابُهَا" ، والتسليمُ لمتشابهه الذى استأثر الله بعلمه وحجَّبَ علمه عن خلقه والإقرارُ بأن كل ذلك من عند ربِّه ، باب سادسٌ "مَنْ أَبْوَابُهَا" ، والاعتبارُ بأمثاله والاعتاظُ بعظاته ، باب سابعٌ من أبوابها . فجميع ما فى القرآن — من حروفه السبعة ، وأبوابه السبعة التى نزل منها — جعله الله لعباده إلى رضوانه هادياً ، ولهم إلى الجنة قائداً . فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن من سبعة أبواب الجنة » .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى القرآن : « إن لكل حرف منه حدًّا » ، يعنى (١) لكل وجه من أوجه السبعة حدّ حدّ الله جل ثناؤه ، لا يجوز لأحد أن يتجاوزه . وقوله صلى الله عليه وسلم : « وإن لكل حرف منها ظهراً وبطناً » ، فظهره : الظاهر فى التلاوة ، وبطنه : ما بطن من تأويله (٢) .

وقوله : « وإن لكل حدّ من ذلك مُطَّلَعاً » ، فإنه يعنى أن لكل حدّ من حدود الله التى حدّها فيه — من حلالٍ وحرامٍ ، وسائر شرائعه — مقداراً من ثواب الله وعقابه ، يُعَايَنُهُ فى الآخرة ، وَيَطَّلِعُ عليه ويلقيه فى القيامة . كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لو أنّ لى ما فى الأرض من صفراءَ وبيضاءَ لافْتَدَيْتُ به من هَوْلِ المَطَّلَعِ » ، يعنى بذلك ما يَطَّلِعُ عليه ويهجمُ عليه من أمر الله بعد وفاته .

(١) انظر ما مضى فى خبر عبد الله بن مسعود . الحديث رقم : ١٠ والتعليق عليه .

(٢) الظاهر : هو ما تعرفه العرب من كلامها ، وما لا يعلم أحد بجہالته من حلالٍ وحرامٍ . والباطن : هو التفسير الذى يعلمه العلماء بالاستنباط والفقہ . ولم يرد الطبرى ما تفعله طائفة الصوفية وأشياهم فى التلمب بكتاب الله وستة رسوله ، والبحث بدلالات ألفاظ القرآن ، وادعائهم أن لألفاظه « ظاهراً » هو الذى يعلمه علماء المسلمين ، و « باطناً » يعلمه أهل الحقيقة ، فيما يزعمون .

﴿ القول في الوجوه التي من قبلها يُوصَل إلى معرفة تأويل القرآن ﴾

قال أبو جعفر : قد قلنا في الدلالة على أن القرآن كله عربي ، وأنه نزل باللسن بعض العرب دون ألسن جميعها ، وأن قراءة المسلمين اليوم — ومصاحفهم التي هي بين أظهرهم — ببعض الألسن التي نزل بها القرآن دون جميعها . وقلنا — في البيان عما يحويه القرآن من النور والبرهان ، والحكمة والتبيين ^(١) ، التي أودعها الله إياه : من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، ووعده ووعيده ، ومحكمه ومتشابهه ، ولطائف حكمه — ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه .

ونحن قائلون في البيان عن وجوه مطالب تأويله :

قال الله جل ذكره وتقدس أسماءوه ، لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] ، وقال أيضاً جل ذكره : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٤] ، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُنَشَّاهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة آل عمران : ٧] .

فقد تبين ببيان الله جل ذكره :

(١) في المطبوعة : « والبيان » .

أنّ مما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم . وذلك تأويل جميع ما فيه : من وجوه أمره - واجبه وتذنيه وإرشاده - ، وصنوف تنبيهه ، وظائف حقوقه وحملوده ، ٢٦/١ ومبالغ فرائضه ، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ، وما أشبه ذلك من أحكام آيه ، التي لم يُترك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمرته . وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه ، إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له تأويله ^(١) ، بنص منه عليه ، أو بدلالة قد نصّها ، دالّة أمرته على تأويله .

وأنّ منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار . وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت قيام الساعة ، والنفخ في الصور ، ونزول عيسى بن مريم ، وما أشبه ذلك : فإن تلك أوقات لا يعلم أحدٌ حدودها ، ولا يعرف أحدٌ من تأويلها إلا الخبر بأشرائها ، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه . وبذلك أنزل ربنا محكم كتابه ^(٢) ، فقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَافِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٧] . وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذا ذكر شيئاً من ذلك ، لم يدلّ عليه إلا بأشراطه دون تحديده بوقته كالذي روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه ، إذ ذكر الدجال : « إن يخرج فيكم فأنّا حجيجه » ، وإن يخرج بعدى ، فالله خليفتي عليكم ^(٣) ، وما أشبه

(١) في المطبوعة : « له بتأويله » .

(٢) في المطبوعة : « وكذلك أنزل ربنا في محكم كتابه » ، وهو تغيير وزيادة لنبر فائدة .

(٣) قال ابن حجر في الفتح ١٣ : ٨٤ في شرح حديث ابن عمر الذي أخرجه البخاري ، وذكر الدجال فقال : « وما من نبي إلا أنذره قومه » ، قال : « في بعض طرقه : إن يخرج فيكم فأنّا حجيجه » . وهو إشارة إلى حديث النّوّاس بن سميان ، مطولا ، في صحيح مسلم ٢ : ٣٧٦ ، وفيه : « إن يخرج فيكم فأنّا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على

ذلك من الأخبار - التي يطول باستيعابها الكتاب - الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده علمُ أوقاتِ شيء منه بمقادير السنين والأيام ، وأن الله جل ثناؤه إنما كان عرّفه بجيئه بأشراطه ، ووقته بأدلته .

وأن منه ما يعلم تأويله كلُّ ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن . وذلك : إقامةُ إعرابه ، ومعرفةُ المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها ، والموصوفات بصفاتِها الخاصة دون ما سواها ، فإنَّ ذلك لا يجهله أحدٌ منهم . وذلك كسامعٍ منهم لو سمع تالياً يتلو : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١١ ، ١٢] ، لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغى تركه مما هو مضرّة ، وأن الإصلاح هو ما ينبغى فعله مما فعله منفعّة ، وإن جهل المعانى التى جعلها الله إفساداً ، والمعانى التى جعلها الله إصلاحاً . فالذى يعلمه ذو اللسان - الذى بلسانه نزل القرآن - من تأويل القرآن ، هو ما وصفتُ : من معرفة أعيان المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها ، والموصوفات بصفاتِها الخاصة ، دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهياتها التى خص الله بعلمها نبيّه صلى الله عليه وسلم ، فلا يدرك علمه إلا ببيانهِ ، دون ما استأثر الله بعلمه دون خلقه .

وبمثل ما قلنا من ذلك روى الخبر عن ابن عباس :

٧١ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، قال : قال ابن عباس : التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ : وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها ، وتفسير لا يُعذر أحدٌ بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره .

قال أبو جعفر : وهذا الوجهُ الرابع الذى ذكره ابن عباس : من أن أحداً

لا يُعذر بجهالته ، معنى غيرُ الإبانة عن وُجوه مَطالِب تأويله . وإنما هو خبرٌ عن أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به . وقد روى بنحو ما قلنا في ذلك أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ في إسناده نظر .

٧٢ - حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدّقي ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت عمرو بن الحارث يحدث ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، مولى أم هانئ ، عن عبد الله بن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن على أربعة أحرف : حلالٌ وحرامٌ لا يُعذر أحدٌ بالجهالة به ، وتفسيرٌ تفسره العرب ، وتفسيرٌ تفسره العلماء ، ومتشابهٌ لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره ، ومن ادّعى علمه سوى الله تعالى ذكره فهو كاذبٌ (١) .

(١) الحديث ٧٢ - إنما قال الطبري « فيه نظر » - : لأن الذي رواه هو الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . وقد رد الطبري آنفاً خبراً روى بمثل هذا الإسناد فقال : إنه ليس من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله . انظر ص : ٦٦ .

﴿ ذكر بمض الأخبار ﴾

﴿ التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأى ﴾ ٢٧/١

٧٣ - حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : حدثنا شريك ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار^(١) .

٧٤ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا سفیان ، قال : حدثنا عبد الأعلى - هو ابن عامر الثعلبي - ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : من قال في القرآن برأيه - أو بما لا يعلم - فليتبوأ مقعده من النار .

٧٥ - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، وقبيصة ، عن سفیان ، عن عبد الأعلى ، قال : حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله

(١) الأحاديث ٧٣ - ٧٦ - تدور هذه الأحاديث كلها على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي ، وقد تكلموا فيه . « قال أحمد : ضعيف الحديث . وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث ، ربما رفع الحديث وربما وقفه . وقال ابن عدى : يحدث بأشياء لا يتابع عليها ، وقد حدث عنه الثقات . وقال يعقوب بن سفیان : في حديثه لبس وهو ثقة . وقال الدارقطني : يعتبر به . وحسن له الترمذی ، وصحح له الحاكم ، وهو من تساهله . وصحح الطبري حديثه في الكسوف . » تهذيب التهذيب ٦ : ٩٤ - ٩٥ . وقد روى أحمد هذا الحديث من طريق سفیان الثوري عن عبد الأعلى : ٢٠٦٩ ، ورواه أيضاً من طريق أبي عوانة عن عبد الأعلى رقم : ٣٠٢٥ ، بلفظ : « من كذب على القرآن بغير علم » . وقلنا في شرح المسند : « إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى الثعلبي » ورواه أحمد أيضاً من أوجه آخر ، كلها من رواية عبد الأعلى . وقال ابن كثير في التفسير ١ : ١١ : « هكذا أخرجه الترمذی والنسائي من طرق عن سفیان الثوري ، به . ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الأعلى ، به ، مرفوعاً وقال الترمذی : هذا حديث حسن . وأخشى أن يكون قول ابن جرير بعد : « وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا . . . » ، دالاً على أنه يصحح حديثه هذا كما صحح حديثه في الكسوف .

صلى الله عليه وسلم : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار .

٧٦ - حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو بن قيس الملائي ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار .

٧٧ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن ليث ، عن بكر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : من تكلم في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار .

٧٨ - وحدثني أبو السائب سلم بن جبادة السوائي ، قال : حدثنا حفص ابن غياث ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أي أرضٍ تُقِلَّتْني ، وأي سماءٍ تُظِلَّتْني ، إذا قلتُ في القرآن ما لا أعلم ^(١) !

٧٩ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن أبي معمر ، قال : قال أبو بكر الصديق : أي أرضٍ تُقِلَّتْني ، وأي سماءٍ تُظِلَّتْني ، إذا قلتُ في القرآن برأئي - أو : بما لا أعلم . قال أبو جعفر : وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا : من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يُدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بنصبه الدلالة عليه - فغير جائز لأحد القليل فيه برأيه . بل القائل في ذلك برأيه - وإن أصاب الحق فيه - فخطئ فيما كان من فعله ، بقله فيه برأيه ، لأن إصابته ليست إصابتة مؤقن أنه محق ، وإنما هو إصابتة خارص وظان . والقائل

(١) الخبر ٧٨ - في المخطوطة والمطبوعة : « سالم بن جبادة » ، وهو خطأ . وفي المخطوطة « أبي نعم » مكان « أبي معمر » ، وهو خطأ . وأبو معمر هو : عبد الله بن سحرة الأزدي ، تابعي ثقة ، أرسل الحديث عن أبي بكر . وإبراهيم الذي حدث عنه هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي . وقوله « تقلني » : أي تحملي . أقل الشيء واستقله : رفعه وحله . وانظر طرق هذا الخبر في تفسير ابن كثير ١ : ١٢ .

في دين الله بالظن ، قائل " على الله ما لم يعلم . وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده ، فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٣٣] . فالقائل في تأويل كتاب الله ، الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي جعل الله إليه بيانه — قائل " بما لا يعلم " وإن وافق قبله ذلك في تأويله ، ما أراد الله به من معناه . لأن القائل فيه بغير علم ، قائل " على الله ما لا علم له به . وهذا هو معنى الخبر الذي : — ٨٠ — حدثنا به العباس بن عبد العظيم العبري ، قال : حدثنا حبان بن هلال ، قال : حدثنا سهيل أخو حزم ، قال : حدثنا أبو عمران الجوني ^(١) ، عن جنذب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال في القرآن برأيه فأصاب ، فقد أخطأ ^(٢) .

يعنى صلى الله عليه وسلم أنه أخطأ في فعله ، بقبله فيه برأيه ، وإن وافق قبله ذلك عين الصواب عند الله . لأن قبله فيه برأيه ، ليس بقبل عالم أن الذي قال فيه من قول حق وصواب . فهو قائل على الله ما لا يعلم ، آثم بفعله ما قد نهي عنه وحُظِر عليه .

(١) في المطبوعة « سهيل بن أبي حزم » ، وهو نفسه « سهيل أخو حزم » . وإنما قيل « سهيل أخو حزم » ترميماً له بأخيه « حزم بن أبي حزم القطمي » ، إذ كان أوثق منه وأشهر . و « سهيل » هذا قال البخاري في التاريخ الكبير ٢ / ٢ : ١٠٧ : « ليس بالقوي عندهم » ، وروى ابن أبي حاتم في المرح والتمديد ٢ / ١ : ٢٤٧ - ٢٤٨ عن أبيه ، قال : « سهيل بن أبي حزم : ليس بالقوي » ، يكتب حديثه ولا يحتج به ، وحزم أخوه أثقن منه . وفي المطبوعة أيضاً « أبو عمران الجوني » ، وهو خطأ ، وأبو عمران هو : عبد الملك بن حبيب الأزدي البصري .

(٢) الحديث ٨٠ - قال ابن كثير في التفسير ١ : ١١ - ١٢ ، ونقل الخبر عن الطبري : « وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطمي . وقال الترمذي : غريب . وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل » .

﴿ ذكر الأخبار التي رويت ﴾

﴿ في الحَضَّ على العلم بتفسير القرآن ، ومن كان يفسره من الصحابة ﴾

٨١ - حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي ، قال سمعت أبي يقول : حدثنا الحسين بن واقد ، قال : حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن ابن مسعود ، قال : كان الرجل مينا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن^(١) .

٢٨/١ ٨٢ - حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : حدثنا الذين كانوا يقرئونا : أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(٢) .

٨٣ - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : حدثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : والذي لا إله غيره ، ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت ؟ وأين أنزلت ؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته^(٣) .

(١) الحديث ٨١ - هذا إسناد صحيح . وهو موقوف على ابن مسعود ، ولكنه مرفوع معنى ، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المتبر .

(٢) الحديث ٨٢ - هذا إسناد صحيح متصل . أبو عبد الرحمن : هو السلمي ، واسمه عبد الله ابن حبيب ، وهو من كبار التابعين . وقد صرح بأنه حدثه الذين كانوا يقرئونه ، وأنهم « كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم » ، فهم الصحابة . وإيهام الصحابي لا يضر ، بل يكون حديثه مستنداً متصلاً .

(٣) الحديث ٨٣ - أخرجه البخاري ، انظر فتح الباري ٩ : ٤٥ - ٤٦ ، ولفظه « تبليغه الإبل لركبت إليه » .

٨٤- وحدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : كان عبدُ الله يقرأ علينا السُّورة ، ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامَّةَ النَّهار (١) .

٨٥- حدثني أبو السائب سلم بن جُنادة (٢) ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : استعمل عليُّ ابنُ عباسٍ على الحج ، قال : فخطب الناسَ خطبةً لو سمعها الترك والرُّوم لأسلموا ، ثم قرأ عليهم سُورة النور ، فجعل يفسرها .

٨٦- وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، قال : قرأ ابنُ عباسٍ سورة البقرة ، فجعل يُفسرها ، فقال رجل : لو سمعتُ هذا الديلم لأسلمت (٣) .

٨٧- وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو يمان : عن أشعث بن إسحق ، عن جعفر ، عن سعياء بن جبير ، قال : من قرأ القرآنَ ثم لم يُفسِّره ، كان كالأعمى أو كالأعراي (٤) .

(١) الحديث ٨٤- شيخ الطبري : هو يحيى بن إبراهيم بن محمد بن أبي عبيدة بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود . ترجم في التهذيب . وجده « محمد » ، وجد أبيه « أبو عبيدة » واسمه « عبد الملك بن معن » - مترجم فيه أيضاً . ولم نجد ترجمة لأبيه « إبراهيم بن محمد » .

(٢) في المخطوط والمطبوع « سالم » ، وانظر ما سلف ص : ٨٧ رقم : ١

(٣) الخبران ٨٥ - ٨٦ - ذكرهما الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤ : ٩٣ : فذكر أولها « في رواية أبي العباس السراج من طريق أبي معاوية عن الأعمش » . وذكر ثانيهما من رواية « يعقوب ابن سفيان عن قبيصة عن سفيان » ، وهو الثوري .

(٤) الأثر ٨٧ - أشعث بن إسحق بن سعد بن مالك بن عامر القمي : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . وله ترجمة في الكبير للبخاري ١ / ١ : ٤٢٨ ، وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١ / ١ : ٢٦٩ . وشيخه « جعفر » : هو جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القمي . وأما الراوي عن أشعث ، فقد ذكر هنا باسم « أبو يمان » ، و « أبو يمان » هو الحكم بن نافع ، وهو من هذه الطبقة ، ولكن لم يذكر أنه يروي عن « أشعث » . والراجح عندنا أن صوابه « حدثنا ابن يمان » . وابن يمان : هو يحيى بن يمان العجلي الكوفي ، وقد ذكر في الرواة عن أشعث ، وترجمه البخاري في الكبير ٤ / ٢ : ٣١٣ وقال : « سنع سفيان الثوري وأشعث القمي » .

٨٨ - وحدثنا أبو كريب ، قال : ذكر أبو بكر بن عياش : الأعمش ، قال : قال أبو وائل : ولى ابن عباس الموسم ، فخطبهم ، فقرأ على المنبر سورة النور ، والله لو سمعها الترك لأسلموا . فقيل له : حدثنا به عن عاصم ؟ فسكت^(١) .

٨٩ - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الأعمش ، عن شقيق ، قال : شهدت ابن عباس وولى الموسم ، فقرأ سورة النور على المنبر ، وفسرها ، لو سمعت الروم لأسلمت^(٢) .

قال أبو جعفر : وفى حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما فى آى القرآن من المواعظ والبيانات^(٣) - بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص : ٢٩] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ، ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٢٧ ، ٢٨] وما أشبه ذلك من آى القرآن ، التى أمر الله عباده وحشم فيها على الاعتبار بأمثال آى القرآن ، والاتعاظ بمواعظه - ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آيه .

لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله : « اعتبر بما لاقهم لك به ولا معرفة من القليل والبيان والكلام » - إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ، ثم يتدبره ويعتبر به . فأما قبل ذلك ، فستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل . كما محال أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه ،

(١) الخبر ٨٨ - يريد : أن أباه بكر بن عياش قال : « الأعمش » ، ولم يقل : « حدثنا الأعمش » ولم يذكر من الذى حدثه عنه . ففهم السامعون أنه دلس شيخه الذى رواه عنه عن الأعمش ، وظنوا أنه عاصم بن أبى النجود ، فقالوا له « حدثنا به عن عاصم » ، فأبى وسكت . فلملحه سمعه من شيخ آخر ضعيف .

(٢) الخبر ٨٩ - ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودى .

(٣) فى المطبوعة « المواعظ والبيانات » .

لو أنشد قصيدة شعرٍ من أشعار بعض العرب ذات أمثال ومواعظ وحكم : « اعتبر بما فيها من الأمثال ، وادكر بما فيها من المواعظ » — إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلام العرب ومعرفته ، ثم الاعتبار بما فيها عليه ما فيها من الحكم ^(١) . فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق ، فحال أمرها بما دلّت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعبر . بل سواء أمرها بذلك وأمر بعض البهايم به ، إلا بعد العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها .

فكذلك ما في آي كتاب الله من العبر والحكم والأمثال والمواعظ ، لا يجوز أن يقال : « اعتبر بها » إلا لمن كان بمعاني بيانه عالماً ، وبكلام العرب عارفاً ؛ وإلا بمعنى الأمر — لمن كان بذلك منه جاهلاً — أن يعلم معاني كلام العرب ، ثم يتدبره بعد ، ويتعظ بحكمه وصنوف عبره .

فإذ كان ذلك كذلك — وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبره وحشم على الاعتبار بأمثاله — كان معلوماً أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدلُّ عليه آية جاهلاً . ٢٩/١
وإذ لم يميز أن يأمرهم بذلك إلا وهم بما يلهم عليه عالمون ، صحّ أنهم — بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آية الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه ، الذي قد قدّمنا صفته آنفاً — عارفون . وإذ صحّ ذلك فسَدَ قول من أنكر تفسير المفسرين — من كتاب الله وتزليله — ما لم يحجب عن خلقه تأويله .

(١) في المخطوط والمطبوع : « نبيه عليه » ، وهو لا يستقيم لاضطراب الضمائر . وقد أعاد الطبري ضمائر هذه الجملة مرة على « بعض » من قوله « بعض أصناف الأمم » فذكر وأفرد . وذلك قوله « أنشد ... واعتبر ... وادكر » . ثم أعاد الضمير في سائر الجمل على « أصناف الأمم ... » فأنت وجمع ، وذلك قوله « نبيها ... وهي جاهلة ... فحال أمرها ... » .

﴿ ذكر الأخبار ﴾

﴿ التي غلطَ في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن ﴾

فلان قال لنا قائل : فما أنت قائلٌ فيما :-

٩٠ - جلد ثكم به العباس بن عبد العظيم ، قال : حدثنا محمد بن خالد ابن عثمة ، قال : حدثني جعفر بن محمد الزبيرى ، قال : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد ، علمهن إياه جبريل .

٩١ - حدثنا أبو بكر محمد بن يزيد الطرسوسى ، قال : أخبرنا معن ، عن جعفر بن خالد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن ، إلا آياً بعدد ، علمهن إياه جبريل عليه السلام ^(١) .

(١) الحديث ٩٠ ، ٩١ - هو بإسنادين ، ونقلهما ابن كثير في التفسير ١ : ١٤ - ١٥ عن الطبرى ، وقال : « حديث منكر غريب . وجعفر هذا : هو ابن محمد بن خالد بن الزبير العموم القرشى الزبيرى ، قال البخارى : لا يتابع في حديثه . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى : منكر الحديث » . وذكره الهيثمى في مجمع الزوائد ٦ : ٣٠٣ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، والبزار بنحوه . وفيه راو لم يتحرر اسمه عند واحد منهما ، وبقية رجاله رجال الصحيح . أما البزار فقال : عن حفص أظنه ابن عبد الله عن هشام بن عروة . وقال أبو يعلى : عن فلان بن محمد بن خالد عن هشام » . أما ما ذكر عن البزار ، فإنه لم يقع له الراوى بنسبه ، ووقع له باسم « حفص » فظنه « ابن عبد الله » ، ولعله تصحفت عليه في نسخته عن « جعفر » أو تصحفت من النسخين ، فظنه « جعفر بن عبد الله بن زيد بن أسلم » . و« جعفر ابن عبد الله » هذا : مترجم في التهذيب ، وذكر أنه وقع اسمه في بعض نسخ مستند مالك للنسائى « حفص ابن عبد الله » . وأياً ما كان فقد بان خطأ البزار في ظنه ، وأن الراوى هو « جعفر بن محمد بن خالد الزبيرى » .

و « جعفر الزبيرى » ، راوى هذا الحديث : ذكر في الإسناد الثانى منسوباً إلى جده ، وهو جعفر ابن محمد بن خالد ، كما بينه ابن كثير ، وكما ترجمه ابن أبى حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ : ٤٨٧ - ٤٨٨ ، وابن حجر في لسان الميزان ٢ : ١٢٤ . وترجمه البخارى في الكبير ١ / ٢ : ١٨٩ .

٩٢- وحدثننا أحمد بن عبد الله الضبي ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، قال :
حدثنا عبيد الله بن عمر ، قال : لقد أدركت فقهاء المدينة ، وإنهم ليغلظون القول
في التفسير^(١) ، منهم : سالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ،
ونافع .

٩٣- وحدثننا محمد بن بشار ، قال : حدثنا بشر بن عمر ، قال : حدثنا
مالك بن أنس ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيب
عن آية من القرآن ، فقال : لا أقول في القرآن شيئاً .

٩٤- وحدثننا يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني مالك ، عن
يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : أنه كان إذا سُئل عن تفسير آية من
القرآن ، قال : أنا لا أقول في القرآن شيئاً .

منسوباً لجلده ، ثم قال : « قال لي خالد بن مخلد : حدثنا جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن
العوالم . . . وقال معن : عن جعفر بن خالد .
والراجح عندي أنه « جعفر بن محمد بن خالد » ، لما ذكرنا ، ولأن ابن سعد ترجم لجلده « خالد
ابن الزبير » ٥ : ١٣٧ ، وذكر أولاده ، وفيهم « محمد الأكبر » و « محمد الأصغر » ، ولم يذكر
أن له ولداً اسمه « جعفر » .

وسأتي أن يعمل الطبري نفسه هذين الإسنادين بأن جعفرًا راوياً « عن لا يعرف في أهل الآثار » .
ص : ٨٩ وقد نقل ابن كثير أن البخاري قال فيه : « لا يتابع في حديثه » ، وكذلك نقل الذهبي عنه في
الميزان ، وتبعه ابن حجر في لسان الميزان . ولكن البخاري ترجم له في التاريخ الكبير ، فلم يقل شيئاً من هذا ولم
يذكر فيه جرحاً ، وكذلك ابن أبي حاتم لم يذكر فيه جرحاً ، ولم يذكره البخاري ولا النسائي في الضمفاء . ونقل
ابن حجر أن ابن حبان ذكره في الثقات . وأن يذكره البخاري في التاريخ دون جرح أمارة توثيقه
عنده . وهذان كافيان في الاحتجاج بروايته . ولئن لم يعرفه الطبري في أهل الآثار لقد عرفه غيره .

وفي الإسناد الأول من هذين « محمد بن خالد ابن عثمة » ، وقد ترجمه البخاري في الكبير ١/ ١ : ٧٣ -
٧٤ ، وقال : « محمد بن خالد » ويقال : ابن عثمة ، وعثمة أمه » ، ونحو ذلك في الجرح والتعديل
٣/ ٢ : ٢٤٣ ، فينبغي أن ترسم « ابن » بالألف ، وهي مرفوعة تبعاً لرفع « محمد » وأمه « عثمة »
بفتح العين المهملة وسكون الاء المثلثة . ومحمد بن خالد هذا : ثقة .

وقوله في الروايتين « إلا آياً بعدد » غيره مصححو المطبوعة « آيا تم » . وفعلوا ذلك في حيث كرر
لفظ الحديث بعد .

(١) في المطبوعة : « ليعظمون القول » ، وهما سواء .

٩٥ - حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت الليث يحدث ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب : أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن^(١) .

٩٦ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، قال : حدثنا سفيان ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة السلماني عن آية ، قال : عليك بالسداد ، فقد ذهب الذين علموا فيم أنزل القرآن .

٩٧ - حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن أيوب وابن عون ، عن محمد ، قال : سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال : ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن ، اتق الله وعليك بالسداد .

٩٨ - حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة : أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها ، فأبى أن يقول فيها .

٩٩ - حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن مهدي بن ميمون ، عن الوليد بن مسلم ، قال : جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله ، فسأله عن آية من القرآن ، فقال له : أحرّج عليك إن كنت مسلماً ، لما قمت عنى - أو قال : أن تجالسنى .

١٠٠ - حدثني عباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا عبد الله ابن شوذب ، قال : حدثني يزيد بن أبي يزيد ، قال : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام ، وكان أعلم الناس ، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكّت كأن لم يسمع .

١٠١ - وحدثنا محمد بن المنثري ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ،

(١) في المخطوطة : « إلا في المعلوم من التفسير » ، والمعنى قريب .

قال : لا تسألني عن القرآن ، وسئل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه - يعني عكرمة .

١٠٢ - وحدثنا ابن المنى ، قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن شعبة ، عن عبد الله بن أبي السَّفَر ، قال : قال الشعبي : والله ما من آية إلا قد سألتُ عنها ، ولكنها الروايةُ عن الله^(١) .

١٠٣ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن صالح - يعني ابن مسلم - قال : حدثني رجل ، عن الشعبي ، قال : ثلاثٌ لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن ، والروح ، والرأى^(٢) .

وما أشبه ذلك من الأخبار ؟^(٣)

٣٠/١

قيل له : أما الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعددٍ ، فإن ذلك مصحح ما قلنا من القول في الباب الماضي قبلاً ، وهو : أن من تأويل القرآن ما لا يدرّك علمه إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم . وذلك تفصيلٌ مجملٌ ما في آية من أمر الله ونهيه^(٤) ، وحلاله وحرامه ، وحدوده وفرائضه ، وسائر معاني شرائع دينه ، الذي هو مجملٌ في ظاهر الترتيل ، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة - لا يدرّك علمُ تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما أشبه ذلك مما تحويه آيُ القرآن ، من سائر حكيمه الذي جعل الله بيانه تعلقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا يعلم أحدٌ من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يعلمه رسول الله

(١) الأخبار السالفة جميعاً نقلها ابن كثير عن الطبري في تفسيره ١ : ١٣ - ١٤ .

(٢) الأثر ١٠٣ - صالح بن مسلم : هو البكري ، وهو ثقة من الطبقة العليا ، كما قال يحيى بن سعيد القطان ، فيما نقل ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢ / ١ : ٤١٣ . وترجمه البخاري في الكبير أيضاً ٢ / ٢ : ٢٩١ . وهو من الرواة عن الشعبي ، ولكنه روى عنه هنا بالواسطة . وستأتي رواية له عن الشعبي رقم ١١٤ .

(٣) هذا آخر السؤال الذي بدأ منذ ص : ٨٤ .

(٤) في المطبوعة « وذلك يفصل » . والإشارة في قوله « وذلك » إلى بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صلى الله عليه وسلم إلا بتعليم الله إياه ذلك بوحىه إليه، إما مع جبريل، أو مع من شاء من رُسله إليه. فذلك هو الآى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه، وهنَّ لاشك آى ذواتٍ عديد.

ومن آى القرآن ما قد ذكرنا أن الله جل ثناؤه استأثرَ بعلم تأويله، فلم يُطلعْ على علمه مَلَكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله.

فأما ما لا بُدَّ للعباد من علم تأويله، فقد بيّن لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ببيان الله ذلك له بوحىه مع جبريل. وذلك هو المعنى الذى أمره الله ببيانه لهم فقال له جل ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٤].

ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — أنه كان لا يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعَدَدٍ — هو ما يسبقُ إليه أوهامُ أهل الغباء، من أنه لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آيه واليسير من حروفه، كان إنما أنزلَ إليه صلى الله عليه وسلم الذكرُ ليترك للناس بيانَ ما أنزلَ إليهم، لا ليعين لهم ما أنزلَ إليهم. وفي أمر الله جل ثناؤه نبيّه صلى الله عليه وسلم ببلاغ ما أنزلَ إليه، وإعلامه إياه أنه إنما نزلَ إليه ما أنزلَ ليعين للناس ما أنزلَ إليهم، وقيام الحجة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ وأدّى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به، وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود بقليله^(١): كان الرجل منا إذا تعلم عشرَ آيات لم يجاوزهنَّ حتى يعلم معانيهنَّ والعملَ بهنَّ —^(٢) ما ينبىء عن جهل من ظنَّ أو توهم أنَّ معنى الخبر الذى ذكرنا عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه لم يكن

(١) فى المطبوعة «قد بلغ فأدى...» و«لقليله».

(٢) سياق عبارته من أول هذه الفقرة هو: «وفى أمر الله جل ثناؤه... وفى قيام الحجة...».

وفى صحة الخبر... ما ينبىء...»

يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعددٍ ، هو أنه لم يكن بين لأمته من تأويله إلا اليسير القليل منه .

هذا مع ما في الخبر الذي روى عن عائشة من العلة التي في إسناده ، التي لا يجوز معها الاحتجاجُ به لأحدٍ ممن علم صحيحَ سَنَدِ الآثارِ وفاسدَها في الدين . لأنَّ راويه ممن لا يُعرف في أهل الآثار ، وهو : جعفر بن محمد الزبيرى .

وأما الأخبارُ التي ذكرناها عن ذكرناها عنه من التابعين ، بإحجامه عن التأويل ، فإنَّ فعلَ من فعل ذلك منهم ، كفعل من أحجم منهم عن الفتيا في النوازل والحوادث ، مع إقراره بأنَّ الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه إليه ، إلا بعد إكمال الدين به لعباده ، وعلمه بأنَّ الله في كل نازلة وحادثةٍ حُكماً موجوداً بنصٍّ أو دلالة . فلم يكن إحجامه عن القول في ذلك إحجاماً جاحداً أن يكون الله فيه حكمٌ موجود بين أظهرِ عباده ، ولكن إحجاماً خائفاً أن لا يبلغ في اجتهداه ما كلف الله العلماء من عباده فيه .

فكذلك معنى إحجام مَنْ أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السلف ، إنما كان إحجامه عنه حذراً أن لا يبلغ أداء ما كلف من إصابة صواب القول فيه ، لا على أن تأويل ذلك محجوبٌ عن علماء الأمة ، غير موجود بين أظهرهم .

﴿ ذكر الأخبار ﴾

﴿ عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير ﴾ ٣١/١

﴿ ومن كان منهم مذموماً علمه به ﴾

١٠٤ - حدثنا محمد بن بشار، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا سفيان ،

عن سليمان ، عن مسلم ، قال : قال عبد الله : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

١٠٥ - حدثني يحيى بن داود الواسطي ، قال : حدثنا إسحق الأزرق ، عن

سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضمحي ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ،

قال : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

١٠٦ - وحدثني محمد بن بشار، قال : حدثنا جعفر بن عون، قال : حدثنا

الأعمش ، عن أبي الضمحي ، عن مسروق عن عبد الله ، بنحوه .

١٠٧ - حدثنا أبو كريب قال : حدثنا طلق بن غنام ، عن عثمان المكي ،

عن ابن أبي مليكة قال : رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ، ومعه

الواحه ، فيقول له ابن عباس : « اكتب » ، قال : حتى سأله عن التفسير كله^(١) .

١٠٨ - حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا الحارثي ، ويونس بن بكير قالوا :

حدثنا محمد بن إسحق ، عن أبان بن صالح ، عن مجاهد ، قال : عرضت المصحف

على ابن عباس ثلاث عرصات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه

وأسأله عنها .

(١) الخبر ١٠٧ - في المطبعة : « ومع الواحد » وهو تصحيف . وقد نقله ابن كثير في

التفسير ١ : ١٠ .

١٠٩ - وحدثنى عبيد الله بن يوسف الجُبَيْرِيُّ، عن أبي بكر الحنفي، قال : سمعت سفيان الثوري يقول : إذا جاءك التفسير عن مجاهدٍ فحسبك به .
١١٠ - وحدثننا محمد بن المثنى، قال : حدثنا سليمان أبو داود، عن شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال : لم يلق الضحَّاكُ ابنَ عباس، وإنما لقي سعيدَ ابن جبير بالرَّيِّ، وأخذ عنه التفسير .

١١١ - حدثنا ابن المثنى، قال : حدثنا أبو داود، عن شعبة، عن مُشَّاش، قال : قلت للضحَّاك : سمعتَ من ابن عباس شيئاً ؟ قال : لا .
١١٢ - حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا ابن إدريس، قال حدثنا زكريا، قال : كان الشعبي يمرُّ بأبي صالح باذان، فيأخذُ بأذنه فيعُرُّكُها ويقول : تُفسِّر القرآنَ وأنتَ لا تقرأ القرآن ! (١)

١١٣ - حدثني عبد الله بن أحمد بن شَبُويه، قال : حدثنا علي بن الحسين ابن واقد، قال : حدثني أبي، قال : حدثنا الأعمش، قال : حدثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس : ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ [سورة غافر : ٢٠] قال : قادر على أن يجزى بالحسنة الحسنة (٢)، وبالسيدة السيئة ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة غافر : ٢٠]، قال الحسين : فقلت للأعمش : حدثني به الكلبي، إلا أنه قال : إنَّ الله قادرٌ أن يجزى بالسيدة السيئة وبالحسنة عَشْرًا، فقال الأعمش : لو أن الذي عند الكلبي عندي ما خرج مني إلا بخفير (٣) .

(١) الأثر ١١٢ - أبو صالح باذان، ويقال « باذام » : هو مول أم هانئ بنت أبي طالب، وهو تابعي ثقة، ومن تكلم فيه فأما تكلم لكثرة كلامه في التفسير، وفي رواية الكلبي عنه . انظر شرح المستد في الحديث ٢٠٣٠، وهذا الخبر الذي هنا نقله ابن حجر في التهذيب في ترجمته ١ : ٤١٧ عن زكريا، وهو ابن أبي زائدة . وعرك الأديم والأذن : أخذها بين يديه أو إصبعيه ودلكهما دلكاً شديداً .

(٢) في المخطوطة : « قادر على أن لا يجزى » وهو خطأ .

(٣) الخبر ١١٣ - يأتي هذا الخبر في تفسير سورة غافر : ٢٠ . ونصه هناك : « ما خرج مني إلا بخفير »، والذي كان هنا في المطبوعة « ما خرج مني بخفير »، والصواب ما أثبتناه . و « الخفير » :

١١٤ - حدثني سليمان عبد الجبار ، قال : حدثنا علي بن حكيم الأودي ، قال : حدثنا عبد الله بن بكير ، عن صالح بن مسلم ، قال : مرّ الشعبي على السدّي وهو يفسر ، فقال : لأن يُضرب على استكّ بالطبل ، خيرٌ لك من مجلسك هذا^(١) .

١١٥ - حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثني علي بن حكيم ، قال : حدثنا شريك ، عن مسلم بن عبد الرحمن النخعي ، قال : كنت مع إبراهيم ، فرأى السدّي ، فقال : أمّا إنه يُفسّر تفسير القوم .

١١٦ - حدثنا ابن البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سمعتُ سعيد بن بشير ، يقول عن قتادة ، قال : ما أرى أحداً يجري مع الكلبي في التفسير في عينان .

قال أبو جعفر : قد قلنا فيما مضى من كتابنا هذا في وجه تأويل القرآن ، وأن تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة :

أحدها لا سبيل إلى الوصول إليه ، وهو الذي استأثر الله بعلمه ، وحجبَ علمه عن جميع خلقه ، وهو أوقاتُ ما كانَ من آجال الأمور الحادثة ، التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة ، مثل : وقت قيام الساعة ، ووقت نزول عيسى بن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، والنفخ في الصور ، وما أشبه ذلك .

والوجه الثاني : ما خصّ الله بعلم تأويله نبيّه صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته ، وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجة ، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويله .

والثالث منها : ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن ، وذلك

يجير القوم الذي يكونون في ضيافته ما داموا في بلاده . وراوى هذا الخبر - علي بن الحسين بن واقد : ضعفه أبو حاتم ، وقال البخاري : « كنت أمر عليه طرفي النهار ، ولم أكتب عنه » . وأبو حسين بن واقد : ثقة .

(١) الأثر ١١٤ - صالح بن مسلم : مضت ترجمته في الحديث ١٠٣ .

علم تأويل عربيته وإعرابه ، لا يُوصَل إلى علم ذلك إلا من قبيلهم .
 ٣٢/١ فإذا كان ذلك كذلك ، فأحقُّ المفسرين بإصابة الحق - في تأويل القرآن -
 الذي إلى علم تأويله للعباد السبيلُ - أوضحهم حُجّة فيما تأوّل وفسّر ،
 بما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته^(١) من أخبار رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه : إمّا من جهة النقل المستفيض ، فيما وُجِد فيه
 من ذلك عنه النقلُ المستفيض ، وإمّا من جهة نقل العدول الأثبات ، فيما لم يكن
 فيه عنه النقلُ المستفيض ، أو من جهة^(٢) الدلالة المنصوبة على صحته ، وأصحهم
 برهاناً^(٣) - فيما ترجمَ ويّتن من ذلك - ممّا كان مُدرَكاً علمه من جهة اللسان :^(٤)
 إمّا بالشواهد من أشعارهم السائرة ، وإمّا من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة ،
 كائناً من كان ذلك المتأوّل والمفسّر ، بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ماتأول
 وفسر من ذلك ، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة ، والخلف من التابعين
 وعلماء الأمة .

(١) سياق عبارته « أوضحهم حجة . . . من أخبار رسول الله . . . » وما بينهما فصل .

(٢) كل ما جاء في هذه العبارة من قوله « جهة » ، فكانه في المطبوعة « وجه » .

(٣) في المطبوعة : « وأوضحهم برهاناً » ، وليست بشيء . وقوله : « وأصحهم برهاناً » مطوف على
 قوله آنفاً « أوضحهم حجة » .

(٤) ترجم : فسر وبين ، كما مضى آنفاً في ص : ٧٠ رقم ١ .

﴿ القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه ﴾

قال أبو جعفر : إن الله تعالى ذكره سَمَّى تنزيله الذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم أسماء أربعة :

منهن : « القرآن » ، فقال في تسميته إياه بذلك في تنزيله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٣] ، وقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النمل : ٧٦] .

ومنهن : « الفرقان » ، قال جل ثناؤه في وحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم يُسَمِّيه بذلك : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان : ١] .

ومنهن : « الكتاب » : قال تبارك اسمه في تسميته إياه به : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا ﴾ [سورة الكهف : ١] .
ومنهن : « الذكر » ، قال تعالى ذكره في تسميته إياه به : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب ، معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه .

• • •

فأما « القرآن » ، فإن المفسرين اختلفوا في تأويله . والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس : من التلاوة والقراءة ، وأن يكون مصدراً من قول القائل :

قرأت، كقولك «الحُسران» من «خسرت»، و«العُفْران» من «غفر الله لك»، و«الكُفْران» من «كفرتك»، و«الفرقان» من «فَرَّقَ الله بين الحق والباطل».

١١٧- وذلك أن يحيى بن عثمان بن صالح السهمي حدثني، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾، يقول: بيّناه. ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة: ١٨] يقول: اعمل به^(١).

ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بيّناه بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك بالقراءة. وبما يوضح صحة ما قلنا في تأويل حديث ابن عباس هذا، ما:-

١١٨- حدثني به محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن عبد الله بن عباس: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة: ١٧] قال: أن نُقرئك فلا تنسى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ عليك ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ يقول: إذا تلى عليك فاتَّبِعْ ما فيه^(٢).

قال أبو جعفر: فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس: أن معنى «القرآن» عنده القراءة، فإنه مصدر من قول القائل: قرأتُ، على ما بيّناه.

وأما على قول قتادة، فإن الواجب أن يكون مصدراً، من قول القائل: قرأتُ الشيء، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، كقولك: «ما قرأتُ هذه الناقة سكتى قط»^(٣)، تريد بذلك أنها لم تضمم رجماً على ولد، كما قال عمرو بن كلثوم التغلبي:

(١) الأثر ١١٧ - سيأتي في تفسير سورة القيامة: ١٧-١٨، وفي إسناده هناك خطأ، ذلك أنه قال: «حدثنا علي قال حدثنا أبو صالح...» وصوابه: «حدثنا يحيى قال حدثنا أبو صالح». وأبو صالح هو: عبد الله بن صالح الميمني في إسناده هذا.

(٢) الأثر ١١٨ - سيأتي أيضاً في تفسير هذه الآية من سورة القيامة.

(٣) السل: الجلدة الرقيقة التي يكون الولد في بطن أمه ملفوفاً فيها، وهو في اللبواب والإبل: السل، وفي الناس: المشيمة.

تُرِيكَ - إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ ، وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُونَ الْكَاشِحِينَ^(١)
 ذِرَاعِي عَيْطَلٍ ، أَدْمَاءٌ ، بَكْرٍ ، هِجَانِ اللَّوْنِ ، لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا^(٢)
 يعنى بقوله : « لم تقرأ جنيناً » ، لم تضممُ رحماً على ولد .

١١٩ - وذلك أن بشر بن مُعَاذِ الْعَقَدِيِّ حَدَّثَنَا قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ
 زُرَيْعٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ
 عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ، يَقُولُ : حَفَظَهُ وَتَأَلَّفَهُ ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾
 اتَّبِعْ حَلَالَهُ ، وَاجْتَنِبْ حَرَامَهُ .

١٢٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنَعَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ،
 قَالَ : حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ بِمِثْلِهِ^(٣) .
 فَرَأَى قَتَادَةَ أَنَّ تَأْوِيلَ « الْقُرْآنِ » : التَّأْلِيفُ .

قال أبو جعفر : ولكلا القولين - أعنى قولَ ابن عباس وقول قَتَادَةَ -
 اللذين حكيناها ، وجهٌ صحيحٌ في كلام العرب . غيرَ أَنَّ أَوَّلَى قَوْلَيْهِمَا بِتَأْوِيلِ قَوْلِ
 اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، قولُ ابن عباس .
 لأنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ نَبِيَّهِ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ تَتْرِيلِهِ بِاتِّبَاعِ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ ، وَلَمْ
 يَرْخُصْ لَهُ فِي تَرْكِ اتِّبَاعِ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ إِلَى وَقْتِ تَأْلِيفِهِ الْقُرْآنَ لَهُ . فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :
 ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ، نَظِيرُ سَائِرِ مَا فِي آيِ الْقُرْآنِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ فِيهَا
 بِاتِّبَاعِ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ فِي تَتْرِيلِهِ .

(١) من معلقته المشهورة . والتفسير في قوله : « تريك » إلى أم عمرو صاحبتة . والكاشح :
 العلو المفسر العداوة ، المعرض عنك بكشحه . وقوله : « عل خلاء » ، أى على غرة وهي خالية متبذلة .
 (٢) العيطل : الناقة الطويلة العنق في حسن منظر وسمن . والأدماء : البيضاء مع سواد المقلتين ،
 وغير الإبل الأدم ، والعرب تقول : « قريش الإبل أدمها وصهبها » ، يمتنون أنها في الإبل كقريش
 في الناس فضلا . ووصفها بأنها بكر ، لأن ذلك أحسن لها ، وهي في عهدها ذلك ألين وأسمن . وهجاء
 اللون : بيضاء كريمة . وسيأتى هذا البيت الثاني في تفسير الطبري ٢٩ : ١١٨ « بلاق » .
 (٣) الأثر ١١٩ ، ١٢٠ - سيأتى بإسناده في تفسير سورة القيامة .

ولو وجب أن يكون معنى قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ، فإذا أَلْفَنَاه فاتبع ما أَلْفَنَاه لك فيه - لوجب أن لا يكون كان لزمه فرض ﴿ اقرأ باسم ربك الَّذِي خَلَقَ ﴾ ولا فرض ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ [سورة المدثر : ١ ، ٢] قبل أن يؤلف إلى ذلك غيره من القرآن . وذلك ، إن قاله قائل ، خروج من قول أهل المِلَّة .

وإذ صحَّ أن حكم كل آية من آي القرآن كان لازماً للنبي صلى الله عليه وسلم اتباعه والعمل به ، مؤلفة كانت إلى غيرها أو غير مؤلفة - صحَّ ما قال ابن عباس في تأويل قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ، أنه يعنى به : فإذا بيناه لك بقراءتنا ، فاتبع ما بيناه لك بقراءتنا - دون قول من قال : معناه ، فإذا أَلْفَنَاه فاتبع ما أَلْفَنَاه .

وقد قيل إن قول الشاعر :

ضَحَوًا بِأَشْمَطَ عُتُونُ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا^(١)
يعنى به قائله : تسبيحاً وقراءة .

فلن قال قائل : وكيف يجوز أن يسمى « قرآنًا » بمعنى القراءة ، وإنما هو

مقروء ؟

قيل : كما جاز أن يسمى المكتوب « كتاباً » ، بمعنى : كتاب الكاتب ، كما قال الشاعر في صفة كتاب طلاق كتبه لامرأته :

تُوَئِّلُ رَجْعَةً مِنِّي ، وفيها كِتَابٌ مِثْلُ مَا لَصِقَ الْغِرَاءُ^(٢)

(١) البيت لحسان بن ثابت ، ديوانه : ٤١٠ ، وضعى : ذبيح شاته ضعى النحر ، وهى الأضحية . واستعاره حسان لمقتل عثمان فى ذى الحجة سنة ٣٥ ، رضى الله عنهما . والعنوان : الأثر الذى يظهر فتستدل به على الشيء .

(٢) لم أجد هذا البيت فى شيء من المراجع التى بين يدي . وتنصب « مثل » على أنه بيان لحال المفعول المطلق المحلوف ، وتقديره : « كتاب لاصق لصوقاً مثل ما لصق الغراء »

يريد : طلاقاً مكتوباً ، فجعل « المكتوب » كتاباً .

وأما تأويل اسمه الذى هو « فَرْقَان » ، فإن تفسير أهل التفسير جاء فى ذلك بألفاظ مختلفة ، هى فى المعانى مؤتلفة .

١٢١ - فقال عكرمة ، فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا حَكَّام بن سَلَم ، عن عَنبِسة ، عن جابر ، عن عكرمة : أنه كان يقول : هو النِّجَاجَةُ . وكذلك كان السُّدِّيُّ يتأوله .

١٢٢ - حدثنا بذلك محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ - وهو قول جماعة غيرهما . وكان ابن عباس يقول : « الفرقان » . المخرَجُ

١٢٣ - حدثنى بذلك يحيى بن عثمان بن صالح ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح . عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس . وكذلك كان مجاهد يقول فى تأويله بذلك .

١٢٤ - حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا حَكَّام ، عن عَنبِسة ، عن جابر ، عن مجاهد ^(١) .

وكان مجاهد يقول فى قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١] يومٌ فَرَّقَ اللهُ فيه بين الحقِّ والباطل

١٢٥ - حدثنى بذلك محمد بن عمرو الباهلى ، قال : حدثنى أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد ^(٢) .

وكلّ هذه التأويلات فى معنى « الفرقان » - على اختلاف ألفاظها - متقاربات المعانى . وذلك أن من جُعِلَ له مخرجٌ من أركان فيه ، فقد جُعِلَ

(١) الآثار السالفة كلها مروية فى تفسير آية الأنفال ٢٩

(٢) الآثار ١٢٥ - يأتى فى تفسير آية الأنفال ٤١

له ذلك المخرجُ منه نَجاةً. وكذلك إذا نُجِّيَ منه، فقد نُصِرَ على من بَغَاه فيه
سُوءًا، وفُزِقَ بينه وبين باغيه السُّوءَ.

فجميع ما روينا — عن رويانا عنه — في معنى «الفرقان»، قولٌ صحيح المعاني،

٣٤/١

لاتفاق معاني ألفاظهم في ذلك.

وأصلُ «الفرقان» عندنا: الفرقُ بين الشيتين والفصل بينهما. وقد يكون ذلك
بقضاءٍ، واستنقاذٍ، وإظهار حُجَّةٍ، ونَصْرٍ^(١)، وغير ذلك من المعاني المفرقة
بين الحقِّ والمبطل. فقد تبين بذلك أن القرآنُ سُمِّيَ «فرقاناً»، لفصله — بحججه
وأدلته وحدود فرائضه وسائر معاني حُكْمِهِ — بين الحقِّ والمبطل. وفرقانه بينهما:
بنصره الحقَّ، وتخليله المبطل، حُكْمًا وقضاءً.

وأما تأويل اسمه الذي هو «كتابٌ»: فهو مصدر من قولك «كتبت كتاباً»
كما تقول: قمت قياماً، وحسبت الشيء حساباً. والكتابُ: هو خطُّ الكاتب
حروف المعجم مجموعةً ومفترقةً. وسُمِّيَ «كتاباً»، وإنما هو مكتوب، كما قال
الشاعر في البيت الذي استشهدنا به:

* وفيها كتابٌ مثل ما لصقَ الغراء *

يعنى به مكتوباً.

وأما تأويل اسمه الذي هو «ذِكْرٌ»، فإنه محتمل معنيين: أحدهما: أنه ذِكْرٌ
من الله جل ذكره، ذِكْرٌ به عبادَه، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائر ما أودعه
من حُكْمِهِ. والآخر: أنه ذِكْرٌ وشرف وفخرٌ لمن آمن به وصدق بما فيه، كما قال
جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [سورة الزخرف: ٤٤]، يعنى به أنه
شرفٌ له ولقومه.

(١) في المطبوعة: «وتصرف» مكان «ونصر»، وهو خطأ محض

ثم لسور القرآن أسماء سماها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٢٦ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا أبو العوام - وحدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا رواد بن الجراح ، قال : حدثنا سعيد بن بشير ، جميعاً - عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن وائلة بن الأسقع : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعطيت مكان التوراة السبع الطوول ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفُضِّلَت بالمفصل^(١) .

١٢٧ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت السبع الطوول مكان التوراة ، وأعطيت المئتين مكان الزبور ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وفُضِّلَت بالمفصل^(٢) . قال خالد : كانوا يسمون المفصل : العربي . قال خالد : قال بعضهم : ليس في العربي سجدة^{*} .

(١) الحديث ١٢٦ - رواه الطبري هنا بإسنادين ، أحدهما صحيح ، والآخر ضعيف : فرواه من طريق أبي داود الطيالسي عن أبي العوام ، وهذا إسناد صحيح . ورواه من طريق رواد بن الجراح عن سعيد بن بشير ، وهذا إسناد ضعيف - كلاهما عن قتادة . أما طريق الطيالسي ، فإنه في مسنده رقم ١٠١٢ ، ورواه أحد في المستد رقم ١٧٠٤٩ (٤ : ١٠٧ طبعة الحلبي) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٨ ، ونسبه أيضاً للطبراني « بنعموه » . وأبو العوام ، في الإسناد الأول : هو « عمران بن داود » بفتح الدال وبعد الألف واو مفتوحة وآخره راء - « القطان » ، وهو ثقة .

وأما الطريق الثاني ، ففي إسناده « رواد بن الجراح العسقلاني » ، وهو صدوق ، إلا أنه تغير حفظه في آخر عمره ، كما قال أبو حاتم ، فيما نقله عنه ابنه في الجرح والتعديل ١ / ٢ : ٥٢٤ ، وقال البخاري في الكبير ١ / ٢ : ٣٠٧ : « كان قد اختلط ، لا يكاد أن يقوم حديثه » . و« رواد » بفتح الراء وتشديد الواو وآخره دال . ووقع في الأصول هنا « داود » ، وهو خطأ . وفي إسناده أيضاً « سعيد بن بشير » ، وهو صدوق يتكلمون في حفظه . ولكن لم ينفرد « رواد » بروايته عن سعيد ، فقد ذكره ابن كثير في التفسير ١ : ٦٤ من كتاب أبي عبيد : عن هشام بن إسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب عن سعيد بن بشير ، وقال ابن كثير : « هذا حديث غريب ، وسعيد بن بشير : فيه لين » ، وهو تعليل غير محرز ! فإن سعيد بن بشير لم ينفرد به - كما هو ظاهر - بل تأيدت روايته برواية الطيالسي عن أبي العوام عمران بن داود ، وهو إسناد صحيح ، كما قلنا . وسيأتي بإسناد ثالث ، رقم ١٢٩ .

(٢) الحديث ١٢٧ - هذا خبر مرسل عن أبي قلابة

١٢٨ - وحدثننا محمد بن حميد، قال حدثنا حَكَّام بن سَلَم، عن عمرو بن أبي قيس، عن عاصم، عن المسيب، عن ابن مسعود قال: الطُّوَلُ كالِثُورَةِ، والمُثُونُ كالِإِنْجِيلِ، والمُثَانِي كالزَّبُورِ، وسائر القرآن بعدُ فَضِّلُ عَلَى الْكُتُبِ^(١).

١٢٩ - حدثني أبو عبيد الوَصَّابِي، قال: حدثنا محمد بن حفص، قال: أنبأنا أبو حميد، حدثنا الفزاري، عن ليث بن أبي سَلَم، عن أبي بُرْدَةَ، عن أبي المَكَلِيح، عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال أعطاني ربِّي مكانَ التَّورَةِ السَّبعَ الطُّوَلِ، ومكانَ الإِنْجِيلِ المُثَانِي، ومكانَ الزَّبُورِ المُثِينِ، وَفَضَّلَنِي رَبِّي بِالْمُفَصَّلِ^(٢).

قال أبو جعفر: والسبع الطُّوَلُ: البقرة، وآلِ عِمْرَانَ، والنساء، والمائدة،

(١) الخبر ١٢٨ - لم نجد خبر ابن مسعود هذا. و«عاصم»: هو ابن أبي النجود، بفتح النون، وهو عاصم بن بهدلة. و«المسيب»: هو ابن زافع الأسدي، وهو تابعي ثقة، ولكنه لم يلق ابن مسعود، إنما يروى عن مجاهد ونحوه، كما قال أبو حاتم. انظر التهذيب ١٠: ١٥٣، والمراسيل لابن أبي حاتم: ٧٦، وشرح المسند، في الحديث: ٣٦٧٦.

(٢) الحديث ١٢٩ - هذا إسناد آخر للحديث الماضي ١٢٦، وهو إسناد مشكل، لم تستنب لنا حقيقته:

فأوله «أبو عبيد الوصابي حدثنا محمد بن حفص! كذا وقع في الأصول. وأخشى أن يكون خطأ، بل لعله الراجح عندي، فإن أبا عبيد الوصابي: هو محمد بن حفص نفسه، ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/ ٢: ٢٣٧، قال: «محمد بن حفص الوصابي الحمصي أبو عبيد، روى عن محمد بن حير وأبي حيوه شريح بن يزيد. أدركته وأردت قصده والسامع منه، فقال لي بعض أهل حمص: ليس بصديق، ولم يدرك محمد بن حير، فتركته». وترجمه الحافظ في لسان الميزان ٥: ١٤٦ بنحو هذا، وزاد أن ابن مندة ضعفه، وأن ابن حبان ذكره في الثقات. وكذلك ذكره اللؤلؤي في الكنى ٢: ٧٥، ٧٦ باسمه وكنيته، وروى حديثاً عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبي عبيد هذا. ثم «أبو حميد» الراوي عنه محمد بن حفص: لم أستطع أن أعرف من هو؟ وكذلك «الفزاري» شيخ أبي حميد، وقد يكون هو أبا إسحق الفزاري.

وأما أبو بردة: فهو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وهو يروى في هذا الإسناد عن أبي المليح بن أسامة الهذلي، وكلاهما تابعي، إلا أن أبا بردة أكبر من أبي المليح، فيكون من رواية الأكابر عن الأصاغر. وفي مجمع الزوائد ٧: ١٥٨ حديث نحوه هذا من حديث أبي أسامة، قال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه ليث بن أبي سليم، وقد ضعفه جماعة، ويعتبر بحديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

والأنعام، والأعراف، ويونس، في قول سعيد بن جبير (١).

١٣٠ - حدثني بذلك يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير.

وقله روى عن ابن عباس قول "يدل" على موافقته قول سعيد هذا.

١٣١ - وذلك ما حدثنا به محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، ويحيى بن سعيد، ومحمد بن جعفر، وسهل بن يوسف، قالوا: حدثنا عوف، قال: حدثني يزيد الفارسي، قال: حدثني ابن عباس: قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمّدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المثين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطرًا: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتموها في السبع الطُول؟ ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا يأتي عليه الزمان وهو تُنزل عليه السُّورُ ذواتُ العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا ببعض من كان يكتب فيقول: ضَعُوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولًا»، وكانت قصّتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها. فقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يُبين لنا أنها منها، فن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتهما في السبع الطُول» (٢).

فهذا الخبر ينبئ عن عثمان بن عفان رحمة الله عليه، أنه لم يكن تبيين له أن

(١) انظر تفسير ابن كثير في أول سورة البقرة ١: ٦٤. و « الطول »، بضم الطاء وفتح اللام: جمع « الطول »، مثل « الكبير » و « الكبرى ».

(٢) الخبر ١٣١ - رواه أحمد بن حنبل في المسند عن يحيى بن سعيد، وعن إسماعيل بن إبراهيم، وعن محمد بن جعفر، كلهم عن عوف الأعرابي، بهذا الإسناد، مطولا، برقمى: ٣٩٩، ٤٩٩ وهو حديث ضعيف جداً، فصلت طرقه، ووجه ضعفه، في شرح المسند: ٣٩٩.

الأنفال وبراءة من السبع الطُّوَل ، ويصرِّح عن ابن عباس أنه لم يكن يرى ذلك منها .

وإنما سميت هذه السور السبع الطُّوَل ، لطولها على سائر سُور القرآن .
وأما «المثنى» : فهي ما كان من سور القرآن عددُ آيه مئة آية ، أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً .
وأما «المثنى» : فلأنها ما تُثنى المئين فتلاها ، وكان المثنى لها أوائل ، وكان المثنى لها ثوانى . وقد قيل : إن المثنى سميت مثنى ، لتثنية الله جل ذكره فيها الأمثال والخبر والعبر ، وهو قول ابن عباس .

١٣٢ — حدثنا بذلك أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عثمان ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس .
وروى عن سعيد بن جبیر ، أنه كان يقول : إنما سميت مثنى لأنها ثنيت فيها الفرائض والحدود .

١٣٣ — حدثنا بذلك محمد بن بَشَّار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر .
وقد قال جماعة يكثر تعدادهم : القرآن كله مثنى .
وقال جماعة أخرى : بل المثنى فاتحة الكتاب ، لأنها تُثنى قراءتها في كل صلاة .

وسنذكر أسماء قائل ذلك وعلاهم ، والصواب من القول فيما اختلفوا فيه من ذلك ، إذا انتهينا إلى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ [سورة الحجر : ٨٧] إن شاء الله ذلك .

وبمثل ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسماء سور القرآن التي ذُكرت ، جاء شعر الشعراء . فقال بعضهم :

حَلَفْتُ بِالسَّبعِ اللَّوَاتِي طَوَّلْتُ^(١) وَبِمِثْنٍ بَعْدَهَا قَدْ أُنْثِيتُ^(٢)

وَبِمَثْنٍ ثُنِيتُ فَكُرِّرْتُ^(٣) وَبِالطَّوَّاسِينِ الَّتِي قَدْ ثُلِّثَتْ^(٤)

وَبِالْحَوَامِيمِ اللَّوَاتِي سُبِّحَتْ^(٥) وَبِالْمَفْصَلِ اللَّوَاتِي فُصِّلَتْ^(٦)

قال أبو جعفر رحمه الله عليه : وهذه الآيات تدل على صحة التأويل الذي تأولناه في هذه الأسماء .

وأما « المفصل » : فإنها سميت مفصلاً لكثرة الفصول التي بين سورها
: « بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال أبو جعفر : ثم تسمى كل سورة من سور القرآن « سورة » ، وتجمع
سُوراً ، على تقدير « خطبة وخطب » ، « وغرفة وغرف » .

والسورة ، بغير همز : المنزلة من منازل الارتفاع . ومن ذلك سُور المدينة ،
سمى بذلك الحائط الذي يحويها ، لارتفاعه على ما يحويه . غير أن السُورة من
سُور المدينة لم يسمع في جمعها « سُور » ، كما سمع في جمع سورة من القرآن « سور » .
قال العجاج في جمع السُورة من البناء :

فَرُبَّ ذِي سُرَادِقٍ مَحْجُورٍ سُرْتُ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ^(٧)

فخرج تقدير جمعها على تقدير جمع بُرَّة وبُسْرَة ، لأن ذلك يجمع بُراً وبُسرّاً .
وكذلك لم يسمع في جمع سورة من القرآن سُورٌ ، ولو جمعت كذلك لم يكن خطأ
في القياس ، إذا أريد به جميع القرآن . وإنما تركوا - فيما نرى - جمعه كذلك ، لأن
كل جمع كان بلفظ الواحد المذكّر مثل : بُرٌّ وشعير وقَصَب وما أشبه ذلك ، فإن

(١) الآيات في مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٧ . أمأيت لك الشيء : أكلت لك عدته حتى بلغ المنة .

(٢) الطواسين التي ثلثت ، يعني طسم الشعراء ، وطس النمل ، وطسم القمص .

(٣) الحواميم التي سبحت : سبع سور من سورة غافر إلى سورة الأحقاف .

(٤) ديوانه : ٢٧ . والرادق : كل ما أحاط بالشيء واشتمل عليه ، من مضرب أو خباء أو بناء .
ويعني حريم الملك . ومحجور : محرم ممنوع لا يوطأ إلا بإذن . وسار الحائط يسوره وتسوره : علاه
وتسلقه . « سرتُ إليه » : تسلقته .

جَمَاعَهُ يَجْرَى مجرى الواحد من الأشياء غيره^(١). لأن حكم الواحد منه منفرداً قلماً يُصَاب ، فجرى جماعه مجرى الواحد من الأشياء غيره^(٢) ، ثم «جعلت الواحدة منه كالقطعة من جميعه ، فقيل : بُرَّةٌ وشعيرة وقصبة ، يراد به قطعة منه»^(٣) . ولم تكن سور القرآن موجودةً «مجتمعةً اجتماع البرِّ والشعير وسور المدينة ، بل كل سورة ٣٦/١ منها موجودة» منفردة بنفسها ، انفراد كل «غرفة من الغرف وخُطبة من الخطب ، فجعل جمعها جمع الغرف والخطب ، المبنى جمعها من واحدتها .

ومن الدلالة على أن معنى السورة : المنزلة من الارتفاع ، قول نابعة بنى ذبيان :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ^(٤)

يعنى بذلك : أن الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها منازل

الملوك .

وقد هزم بعضهم السورة من القرآن . وتأويلها ، في لغة من هزمها ، القطعة التي قد أفضلت من القرآن عما سواها وأبقيت . وذلك أن سور كل شيء : البقية منه تبقى بعد الذي يُؤخذ منه ، ولذلك سميت الفضلة من شراب الرجل — يشربُه ثم يُفضلها فيبقىها في الإناء — سُوراً . ومن ذلك قول أعشى بنى ثعلبة ، يصف امرأةً فارقت فأبقت في قلبه من وجدِّها بقية :

فَبَانتَ ، وقد أسأرت في الفؤادِ صدعاً ، على نأيتها ، مُسْتَطِيراً^(٥)

(١) في المطبوعة : « فإن جماعه كالواحد » . وفي المخطوطة « فإن جماعه مجرى الواحد » ، سقط من النسخ قوله « مجرى »

(٢) في المطبوعة « مفرداً » مكان « منفرداً » .

(٣) يعنى أنه اسم جنس ، سبق الجمع الواحد . لأنه لم يوضع للآحاد ، وإنما وضع لجملة مجتمعاً ، وهو الذي يفرق بينه وبين واحد . بالتاء .

(٤) ديوانه : ٥٧ ، ويأتى في تفسير الطبرى : ٢١٥ (بولاق) . يتذبذب : يضطرب ويحار . والذذبذبة : تردد الشيء المعلق في الهواء يمنة ويسرة . يقول : أعطاك الله من المنزلة الرفيعة ، ما لو رame ملك وتسامى إليه ، بقى معلقاً دونها حائراً يضطرب ويتردد ، لا يطيق أن يبلغها .

(٥) ديوانه : ٦٧ ، ويأتى في تفسير الطبرى ٢٩ : ١٢٩ (بولاق) . استطار الصدع في الزجاجية وغيرها : تبين فيها من أولها إلى آخرها ، وفشا وامتد .

وقال الأعشى في مثل ذلك :

بَانتُ، وَقَدْ شَارَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَتَهَا ، بَعْدَ اثْتِلَافٍ ؛ وَخَيْرُ الْوُدِّ مَا نَفَعَا^(١)

وأما الآية من آى القرآن ، فإنها تحتل وجهين في كلام العرب :

أحدهما : أن تكون سُميت آية ، لأنها علامة يُعرف بها تمام ما قبلها وابتدأؤها ، كالآية التي تكون دلالة على الشيء يُستدل بها عليه ، كقول الشاعر :

أَلِكْنِي إِلَيْهَا ، عَمَزَكَ اللَّهُ يَا فَيَّ ، بِآيَةٍ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا^(٢)

يعنى : بعلامة ذلك^(٣) . ومنه قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً

مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ﴾ [سورة المائدة : ١١٤] أى علامة منك لإجابتك دعاءنا وإعطائك إيماننا سُؤْلَنَا .

والآخر منهما : القصة ، كما قال كعب بن زهير بن أبى سلمى :

أَلَا أُنَبِّئُكَ هَذَا الْمَعْرُضَ آيَةً : أَيْقَظَانِ قَالَ الْقَوْلَ إِذْ قَالَ ، أَمْ حَلَمَ^(٤)

يعنى بقوله « آية » : رسالة منى وخبراً عنى .

فيكون معنى الآيات : القصص ، قصة تتلو قصة ، بفُصُولٍ وفُصُولٍ .

(١) ديوانه : ٧٣ . « بعد اثتلاف » : أى بعد ما كنافيه من جتماع وألفة .

(٢) الشعر لسجع عبد بنى الحساس ، ديوانه : ١٩ ، ويأتى في تفسير الطبرى ١ : ١٥٦ (بولاق) أكنى إليها : أبلغها رسالة منى ، والرسالة : الألوكة والمألكة . وتهادى فى مشيه : تمايل دلالة أو ضعفاً .

(٣) فى المخطوطة : « بعلامة دلت » ، وهو خطأ .

(٤) ديوانه : ٦٤ ، وروايته : « أنه أيقظان » . وقد استظهرت فى شرح كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٨٩ ، أن الصواب « آية » ، كما جاء فى مخطوطة الطبقات ، وشرح الطبرى دال على صواب ما استظهرت . وأهملت كتب اللغة تفسير هذا الحرف على وجهه ، مع مجيئه فى شعر كعب وغيره ، كقول حبل بن نضلة :

أَبْلَغُ مَعَاوِيَةَ الْمَمْرُوقِ آيَةً عَنِّي ، فَلَسْتُ كِبَعَضٍ مِّنْ يَتَقَوَّلُ

﴿ القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب ﴾

قال أبو جعفر : صَحَّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما :-
 ١٣٤ - حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال :
 أخبرني ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، قال : هي أم القرآن ، وهي فاتحة الكتاب ، وهي السبع المثاني ^(١) .
 فهذه أسماءُ فاتحة الكتاب .

وسميت «فاتحة الكتاب» ، لأنها يُفتتح بكتابها المصاحف ، ويُقرأ بها في
 الصلوات ، فهي قَوَاتِح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة .
 وسميت «أم القرآن» ، لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها ، وتأخر ما سواها
 خلفها في القراءة والكتابة . وذلك من معناها شبيهةً بمعنى فاتحة الكتاب . وإنما قيل لها
 - بكونها كذلك - أم القرآن ، لتسمية العرب كل جامع أمراً - أو مقدّم لأمر إذا
 كانت له توابيعُ تتبعه ، هو لها إمام جامع - «أمّاً» . فنقول للجلدة التي تجمع الدُّمَاجُ :
 «أم الرأس» ^(٢) . وتسمى لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش - «أمّاً» . ومن
 ذلك قول ذى الرُّمّة ، يصف رايةً معقودة على قناة يجتمع تحتها هو وصحبُه :

(١) الحديث ١٣٤ - رواه أحمد في المسند : ٩٧٨٧ (٢ : ٤٤٨ طبعة الحلبي) . والبخاري
 ٢٨٩ : فتح الباري - كلاهما من طريق ابن أبي ذئب ، بهذا الإسناد . ولفظ أحمد : «قال في أم
 القرآن : هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم» . ولفظ البخاري : «أم القرآن : هي
 السبع المثاني ، والقرآن العظيم» . وذكره ابن كثير في التفسير ١ : ٢١ ، من روايتي المسند والطبري .
 وذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ٣ ، ونسبه أيضاً للداري وأبي داود والترمذي وابن المنذر وغيرهم .
 وسيدكره الطبري مرة أخرى ، في تفسير الآية ٨٧ من سورة الحجر (١٤ : ٤٠ - ٤١ من طبعة
 بولاق) ، بهذا الإسناد .

(٢) في المخطوطة : «تلى للدماغ» ، وهذه أجود .

٣٧/١ وَأَسْمَرَ، قَوَّامٍ إِذَا نَامَ صُحْبَتِي ، خَفِيفِ الثِّيَابِ لَا تُوَارِي لَهُ أَزْرًا^(١)
عَلَى رَأْسِهِ أُمَّ لَنَا نَفْتَسِدِي بِهَا ، جَمَاعُ أُمُورٍ لَا نُعَاصِي لَهَا أُنْزَا^(٢)
إِذَا نَزَلَتْ قِيلَ: انْزِلُوا، وَإِذَا غَدَتْ غَدَتْ ذَاتَ بَرْزِيقٍ نَنَالُ بِهَا فَخْرًا^(٣)

يعني بقوله : « على رأسه أمُّ لنا » ، أى على رأس الرمح رايةٌ يجتمعون لها في النزول والرحيل وعند لقاء العدو . وقد قيل إن مكة سميت « أمَّ القرى » ، لتقدمها أمام جميعها ، وجميعها ما سواها . وقيل : إنما سميت بذلك ، لأن الأرض دُحِيت منها فصارت لجميعها أمًّا . ومن ذلك قولُ حميد بن ثور الهلالي :

إِذَا كَانَتْ الْحُسُونُ أُمَّكَ ، لَمْ يَكُنْ لِدَائِكَ ، إِلَّا أَنْ تَمُوتَ ، طَيْبٌ^(٤)
لأن الخمسين جامعةٌ ما دونها من العدد ، فساها أمًّا للذى قد بلغها .

(١) ديوانه : ١٨٣ ، مع اختلاف في بعض الرواية ، ورواية الطبري أجودهما . أسمر : يعني رمحاً أسمر القننة . قوام : يظل الليل قائماً ساهراً . خفيف الثياب : يعنى اللواء . والأزر : الظهر . يقول : رمح أسمر عارى الثياب ، لا يوارى اللواء ظهره كما يوارى الثوب ظهر اللابس .
(٢) في الديوان : « يهتدى » ، والصواب « نهتدى » . وأمه التى ذكر ، هى اللواء ، ويقال للواء وما لف على الرمح منه : أم الرمح . وجماعُ أمور : أى تجمعها فتجتمع عليها ، وفى الحديث : « حدثني بكلمة تكون جماعاً . قال : اتق الله فيما تعلم » . والأمور جمع أمر : يعنى شؤناً عظيماً . وأما قوله : لا نعاصي لها أمراً . فهو من الأمر نقيض النهى .

(٣) « نزلت » يعنى الراية . و « غدت » : سارت غدوة . وفى المطبوعة « ذات تزييق » وهو خطأ . والبرزيق : الموكب الضخم فيه جماعات الناس . وقوله : « ننال بها فخراً » أى نفزق فى ظلها ، فنظهر على عدونا ونظفر ونفخ ، وذلك هو الفخر . وفى الديوان : « تخال بها فخراً » وفى المخطوطة : « تخال لها » ، كأنه من صفة الراية نفسها ، تهتز وتميل فخراً وتهب لكثرة أتباعها من الفرزة والفرسان .

(٤) الشعر ليس لحميد بن ثور ، ولا هو فى ديوانه ، بل هو لأبى محمد التيمى عبد الله بن أيوب ، مولى بنى تميم ثم من بنى سليم ، من أهل الكوفة ، من شعراء النحلة العباسية . أحد الخلفاء المجان الوصافين للخر ، كان صديقاً لإبراهيم الموصلى وابنه إسحاق ، وندباً لها . ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم ، واتصل بيزيد بن يزيد ، فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد . الأغاني ١٨ : ١١٥ . وهذا البيت من قصيدة له ، روى بعض أبياتها الجاحظ فى البيان ٣ : ١٩٥ ، وابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ : ٣٢٢ ، والراغب فى محاضرات الأدباء ٢ : ١٩٨ ، ومجموعة المعاني : ١٢٤ ، والشعر فيها جميعاً منسوب لأبى محمد التيمى ، وهو :

إِذَا كَانَتْ السَّبْعُونَ سَنَتَكَ ، لَمْ يَكُنْ لِدَائِكَ ، إِلَّا أَنْ تَمُوتَ ، طَيْبٌ

وأما تأويل اسمها أنها «السَّبْعُ»، فإنها سبعُ آيات، لا خلاف بين الجميع من القراء والعلماء في ذلك.

ولمَّا اختلفوا في الآي التي صارت بها سبعُ آيات. فقال عَظُمُ أهل الكوفة: صارت سبعُ آيات: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ورُوي ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين. وقال آخرون: هي سبعُ آيات، وليس منهن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ولكن السابعة «أنعمت عليهم». وذلك قول عَظُمُ قَرَأَةِ أهل المدينة ومُتَفَقِهِيهِمْ^(١).

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا الصواب من القول عندنا في ذلك في كتابنا: (اللطيف في أحكام شرائع الإسلام) بوجيز من القول، ونستقصي بيان ذلك بحكاية أقوال المختلفين فيه من الصحابة والتابعين والمتقدمين والمتأخرين في كتابنا: (الأكبر في أحكام شرائع الإسلام) إن شاء الله ذلك.

وأما وصف النبي صلى الله عليه وسلم آياتها السبعَ بأنهن مَثان، فلأنها تُثَنَّى قراءتها في كل صلاة تطوُّع ومكتوبة. وكذلك كان الحسن البصري يتأول ذلك. ١٣٥- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عُليَّة، عن أبي رجاء، قال سألت الحسن عن قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾

وإن أمراً قد سار سَبْعِينَ حِجَّةً إلى مَنْهَلٍ، مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
إذا ما خلوتَ الدَّهْرَ يوماً، فلا تَقُلْ خلوتُ، ولكن قلْ على رَقِيبُ
إذا ما أُنْقَضَى الْقَرْنُ الذي أنتَ مِنْهُمْ وخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فأنتَ غَرِيبُ

ولبيت الثاني قصة في أمال القائل ٣ : ١ ، وانظر زهر الآداب ٣ : ٢٢١ ، وذكر البيت الثاني والرابع وقال : « قال دعلج : وتزعم الرواة أنه لأعرابي من بني أسد » . واختلفوا في رواية قوله : « السبعون سنك » ، ففيها « الخمسون » ، و « الستون » . ولم أجِدْ روايته « أمك » مكان « سنك » إلا في كتاب الطبري وحده .

(١) في المطبوعة : « أعظم أهل الكوفة . . . » ثم « أعظم قراء أهل المدينة » . وهو تغيير . وعظم الشيء أر الناس : مظهرهم وأكثرهم . و « قَرَأَ » جمع قارأه . وانظر ما سلف : ٥١ - ٥٢ التعليق رقم : ٣ و ص ٦٤ تعليق رقم : ٤ . وفي المطبوعة « ومتفقهم » ، غيروه أيضاً .

[سورة الحجر : ٨٧] قال : هي فاتحة الكتاب . ثم سئل عنها وأنا أسمع فقراها : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حتى أتى على آخرها ، فقال : تثنى في كل قراءة - أو قال - في كل صلاة . الشك من أبي جعفر الطبري ^(١) .

والمعنى الذى قلنا فى ذلك قصد أبو النجم العجلي بقوله :
الحمد لله الذى عافانى وكل خير بعده أعطاني
من القرآن ومن المثانى ^(٢)

وكذلك قول الراجز الآخر :

نشدتكم بمُنزل الفرقان أم الكتاب السبع من مثنائى ^(٣)
ثنين من آي من القرآن والسبع سبع الطول الدوائى ^(٤)

وليس فى وجوب اسم « السبع المثاني » لفاتحة الكتاب ، ما يدفع صحة وجوب اسم « المثاني » للقرآن كله ، ولما تثنى المثنى من السور ^(٥) . لأن لكل وجهاً ومعنى مفهوماً ، لا يفسد - بتسجيته بعض ذلك بالمثاني - تسمية غيره بها .

فأما وجه تسمية ما تثنى المثنى من سور القرآن بالمثاني ، فقد بينا صحته ، وسندل على صحة وجه تسمية جميع القرآن به عند انتهائنا إليه فى سورة الزمر ، إن شاء الله .

(١) الأثر ١٣٥ - سياتى فى تفسير الآية : ٨٧ سورة الحجر : ١٤ : ٣٨ - ٣٩ (بولاق) ، بهذا الإسناد ، بلفظ « فى كل قراءة » ، ولم يشك الطبرى هناك . و « أبو رجاء » ، فى هذا الإسناد : هو محمد بن سيف الأزدي الهذلي البصري ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وابن سعد والنسائي وغيرهم .
(٢) اللسان (ثنى) : وبجاز القرآن لأبي عبيدة : ٧ . وقوله « بعده » الضمير عائد بالتذكير إلى معنى العافية فى البيت السالف . ورواية اللسان وأبي عبيدة « وكل خير صالح » ، ثم روى الأخير : « رب مثاني الآي والقرآن » .

(٣) بجاز القرآن لأبي عبيدة : ٧ « أم الكتاب » بدل من « الفرقان » .
(٤) فى المطبوعة « تبين » ، ولا معنى لها ، ومكان هذه الكلمة بياض فى المخطوطة . و « ثنين » : كرر مرة بعد مرة . وقوله « الدوائى » مكانها بياض فى المخطوطة . وكأنه أراد جمع دائية ، ووصفها بأنها « دوائى » ، أى قطفيها دائية .

(٥) فى المطبوعة : « وجود » مكان « وجوب » فى الموضعين السالفين . وفى المطبوعة « ولما يثنى من السور » ، وهى فى المخطوطة : « ولما هى المثنى... » وكتابتها خطأ . وقد سلف فى ص : ١٠٣ قوله : « وأما المثاني ، فإنها ما تثنى المثنى فتلاها ، وكان المثنى لها أوائل ، وكان المثاني لها ثوانى » وثنى : أتى ثانياً له .

﴿القول في تأويل الاستعاذة﴾

تأويل قوله : ﴿أَعُوذُ﴾ .

قال أبو جعفر : والاستعاذة : الاستجارة . وتأويل قول القائل : ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أستجيرُ بالله - دون غيره من سائر خلقه - من الشيطان أن يضرَّني في ديني ، أو يصدَّني عن حق يلزمني لربي .

تأويل قوله : ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ .

قال أبو جعفر : والشيطان ، في كلام العرب : كل متمرّد من الجن والإنس ٣٨/١ والدوابّ وكل شيء . وكذلك قال ربنا جل ثناؤه : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [سورة الأنعام : ١١٢] ، فجعل من الإنس شياطين ، مثل الذي جعل من الجن .

وقال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ، وركب برذوناً فجعل يتبختر به ، فجعل يضره فلا يزداد إلا تبخترأ ، فنزل عنه ، وقال : ما حملتموني إلا على شيطان ! ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي .

١٣٦ - حدثنا بذلك يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال :

أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ^(١) .

قال أبو جعفر : وإنما سُمي المتمرّد من كل شيء شيطاناً ، لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله ، وبُعده من الخير . وقد قيل : إنه أخذ من

(١) الأثر : ١٣٦ نقله ابن كثير في التفسير ١ : ٣٢ من رواية ابن وهب ، بهذا الإسناد . وقال : «إسناده صحيح» . وذكر الطبري في التاريخ ٤ : ١٦٠ نحو معناه بسياق آخر ، بدون إسناد .

قول القائل : شَطَنْتُ دَارِي مِنْ دَارِكَ - يريد بذلك : بَعُدْتُ . ومن ذلك قول نابغة بنى ذبيان :

نَأْتُ بِسَعَادَ عَنْكَ نَوَى شَطُونُ فَبَأَنْتَ ، والفؤادُ بها رَهِينٌ^(١)
والنوى : الوجه الذى نَوَتْهُ وقصَدَتْهُ . والشَّطُونُ : البعيد . فكأن الشيطان -
على هذا التأويل - فَعِيَالٌ من شَطْنٍ . وما يدل على أن ذلك كذلك ، قول أمية
ابن أبى الصلت :

أَيُّمَا شَاطِنَ عَصَاهُ عَكَاهُ ثُمَّ يُنَلِّقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَكْبَالِ^(٢)
ولو كان فَعْلَانُ ، من شَاطَ يَشِيطُ ، لقال أَيُّمَا شَاطِطُ ، ولكنه قال : أَيُّمَا
شَاطِنٍ ، لأنه من « شَطْنٍ يَشْطُنُ ، فهو شَاطِنٌ » .
تأويل قوله : ﴿ الرَّجِيمُ ﴾ .

وأما الرجم فهو : فَعِيلٌ بمعنى مفعول ، كقول القائل : كَفْتُ خَضِيبٌ ،
ولحيةٌ دَهِينٌ ، ورجلٌ لَعِينٌ ، يريد بذلك : مَخْضُوبَةٌ ومدهونة وملعون . وتأويل الرجم :
الملعون المشتوم . وكل مشتوم بقولٍ ردىءٍ أو سبٍّ فهو مَرْجُومٌ . وأصل الرجم
الرَّجْمُ ، بقول كان أو بفعل . ومن الرجم بالقول قول أبى إبراهيم لإبراهيم صلوات
الله عليه : ﴿ لَيْنٌ لَمْ تَنْفَتِهِ لِأَرْجَمَنَّكَ ﴾ [سورة مريم : ٤٦] .

وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان رجمٌ ، لأن الله جل ثناؤه طرده من سمواته ،
ورجمه بالشَّهْبِ الثَّوَاقِبِ^(٣) .

(١) زيادات ديوانه : ٢٠ .

(٢) ديوانه : ٥١ ، واللسان (شطن) و (عكا) . وعكاه فى الحديد والثواق : شدة شدًّا وثيقًا .
والأكبال جمع كبل : وهو القيد من الحديد . وأظنه أراد هنا البيت فى السجن المضرب بالحديد ، من قولهم :
كبله كبلًا : حبسه فى سجن . هذا ما أستظهره من سياق الشعر .

(٣) الشهب ، جمع شهاب : وهو الشعلة من النار ، ثم استمر للكوكب الذى ينقض بالليل .
والثواقب ، جمع ثاقب : وهو المضيء المشتعل .

وقد روى عن ابن عباس ، أن أول ما نزل جبريلُ على النبي صلى الله عليه وسلم علَّمه الاستعاذة .

١٣٧ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضُّحَّاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أول ما نزل جبريلُ على محمد قال : « يا محمد استعِذ ، قل : أَسْتَعِذُ بِالسَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » ، ثم قال : قل : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، ثم قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [الملق : ١] . قال عبد الله : وهى أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل (١) .
فأمره أن يتعوذ بالله دون خلقه .

(١) الحديث ١٣٧ - نقله ابن كثير في التفسير ١ : ٣٠ عن هذا الموضع من الطبرى ، وقال : « وهذا الأثر غريب ! وإنما ذكرناه ليعرف ، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً » . وسيرويه الطبرى بعد ذلك ، برقمى ١٣٨ ، ١٣٩ ، هذا الإسناد نفسه ، بأطول مما هنا . وسنذكر الضعف الذى أشار إليه ابن كثير : وقوله « استعِذ » ليست في المطبوعة .

أما عثمان بن سعيد ، فهو الزيات الأحول ، مترجم في التهذيب ، وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٥٢/١/٣ ، وروى عن أبيه أنه قال : « لا بأس به » . وأما بشر بن عمار ، فهو الخصى الكوفي ، وهو ضعيف ، قال البخارى في التاريخ الكبير ٨١/٢/١ « تعرف وتنكر » ، وقال النسائى في الضعفاء : ص ٦ « ضعيف » ، وقال الدارقطنى : « متروك » ، وقال ابن حبان في كتاب المجروحين : ص ١٢٥ رقم ١٣٢ : « كان يخطئ حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد ، ولم يكن يعلم الحقيق ولا صناعته » ، وأما شيخه أبو روق - يفتح الراء وسكون الواو - فهو حلية بن الحارث المصلى ، وهو ثقة ، وقال أحمد والنسائى : « لا بأس به » .

وأما الانقطاع الذى أشار إليه ابن كثير ، فن أجل اختلافهم في سماح الضحَّاك بن مزاحم الحلال من ابن عباس . وقد رجحنا في شرح المسند : ٢٢٦٢ سماحه منه .

وكفى ببشر بن عماره ضعفاً في الإسناد ، إلى نكارة السياق الذى رواه وغرابته !!

﴿ القول في تأويل ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل : ﴿ بِسْمِ 》 .

قال أبو جعفر : إن الله تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه أدّب نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وتقدّم إليه في وصفه بها قبل جميع مهمّاته ^(١) ، وجعل ما أدّبه به من ذلك وعلمه إياه ، منه لجميع خلقه ^{سنة} يستنون بها ^(٢) ، وسيلا يتبعونه عليها ، فيه افتتاح أوائل منطقتهم ^(٣) ، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم ، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل : « بسم الله » ، على ما بطن من مراده الذي هو محذوف .

وذلك أن الباء من « بسم الله » مقتضية فعلاً يكون لها جالِباً ، ولا فعل معها ظاهراً ، فأغنت سامع القائل « بسم الله » معرفته بمراد قائله ، عن إظهار قائل ذلك مراده قولاً ^(٤) . إذ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمراً ، قد أحضر منطقته به — إمّا معه ، وإمّا قبله بلا فصل — ما قد أغنى سامعته عن دلالة شاهدة على الذي من أجله افتتح قبله به ^(٥) . فصار استغناء سامع ذلك منه عن إظهار ما حذف منه ، نظير استغناؤه — إذا سمع قائلًا قيل له : « ما أكلت اليوم ؟ » فقال : « طعاماً » — عن أن يكرّر المستؤل مع قوله « طعاماً » ، أكلت . لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه ^(٥) ، بتقدّم مسألة السائل إياه عما أكل . فعقول إذاً أن قول

(١) تقدم إليه بشيء : أمره بفعله أو إتيانه .

(٢) يقول : جعل الله ذلك سنة منه لجميع خلقه يستنون بها . فقدم قوله « منه لجميع خلقه » .

(٣) في المطبوعة : « في افتتاح . . . » ، والضمير في « فيه » عائد إلى « ما أدّبه به » .

(٤) في المطبوعة : « من إظهار » ، « من دلالة شاهدة » .

(٥) معناه : أي ما يعنيه ويقصده .

القائل إذا قال : « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم افتتح تالياً سورة ، أن إتياعه « بسم الله الرحمن الرحيم » تلاوة السورة ، يُنبئ عن معنى قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم » . ومفهوم به أنه يريد بذلك : أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . وكذلك قوله : « بسم الله » عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله ، ينبئ عن معنى مراده بقوله « بسم الله » ، وأنه أراد بقيله « بسم الله » ، أقوم باسم الله ، وأقعد باسم الله . وكذلك سائر الأفعال .

وهذا الذي قلنا في تأويل ذلك ، هو معنى قول ابن عباس الذي : —

١٣٨ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، قال : حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : إنَّ أول ما نترك به جبريلُ على محمد ، قال : « يا محمد ، قل : أستعِذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم » ثم قال : « قل بسم الله الرحمن الرحيم » . قال : قال له جبريل : قل بسم الله يا محمد ، يقول : اقرأ بذكر الله ربك ، وقم واقعد بذكر الله ^(١) . قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فإن كان تأويلُ قول « بسم الله » ما وصفت ، والجالبُ الباءُ في « بسم الله » ما ذكرت ، فكيف قيل « بسم الله » بمعنى أقرأ باسم الله ، أو أقوم أو أقعد باسم الله ؟ وقد علمت أن كلَّ قارئٍ كتاب الله ، فبعوْن الله وتوفيقه قراءته ، وأن كلَّ قائم أو قاعد أو فاعلٍ فعلاً ، فبالله قيامه وقعوده وفعله . وهلاً — إذ كان ذلك كذلك — قيل « بالله الرحمن الرحيم » ولم يُقل « بسم الله » ؟ فإن قول القائل : أقوم وأقعد بالله الرحمن الرحيم ، أو أقرأ بالله — أوضح معنى لسامعه من قوله « بسم الله » ، إذ كان قوله « أقوم أو أقعد باسم الله » ، يوهم سامعه أن قيامه وقعوده بمعنى غير الله .

قيل له ، وبالله التوفيق : إن المقصودَ إليه من معنى ذلك غيرُ ما توهمته في نفسك . وإنما معنى قوله « بسم الله » : أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء ،

(١) الحديث ١٣٨ — مضى مختصراً ، بهذا الإسناد ١٣٧ . وفصلنا القول فيه هناك .

أو أقرأ بتسميتي الله ، أو أقوم وأقعد بتسميتي الله وذكره - لا أنه يعني بقبيله « بسم الله » : أقوم بالله ، أو أقرأ بالله ، فيكون قول القائل : أقرأ بالله ، أو أقوم أو أقعد بالله - أولى بوجه الصواب في ذلك من قوله « بسم الله » .
فإن قال : فإن كان الأمر في ذلك على ما وصفت ، فكيف قيل : « بسم الله » وقد علمت أن الاسم اسم ، وأن التسمية مصدر من قولك سَمَّيت ؟
قيل : إن العرب قد تخرج المصادر مبهمة على أسماء مختلفة ، كقولهم : أكرمْتُ فلاناً كرامةً . وإنما بناء مصدر « أفعلت » - إذا أخرج على فعله - « الإفعال » .
وكقولهم : أهنت فلاناً هواناً ، وكلمته كلاماً . وبناء مصدر : « فعملت » التفعيل .
ومن ذلك قول الشاعر :

أَكْفُرًا بِمَدْرَدُ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِثَّةَ الرَّتَاعَا^(١)

يريد : إعطائك . ومنه قول الآخر :

وَإِنْ كَانَ هَذَا الْبُخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً لَقَدْ كُنْتُ فِي طَوْلِي رَجَاءَكَ أَشْعَبَا^(٢)

يريد : في إطالتي رجاءك . ومنه قول الآخر :

أَظْلِمَ ابْنُ مُصَابِكُمْ رَجُلًا ، أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ، ظُلْمَ^(٣)

يريد : إصابتكم . والشواهد في هذا المعنى تكثر ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق

لفهمه .

(١) الشعر للقطامي ديوانه : ٤١ ، ويأتى في تفسير آية سورة يوسف : ١٢ (ج ١٢ ص ٩٤ بولاق) . يقوله لفر بن الحارث الكلابي ، وكان أسره في حرب ، فن عليه وأعطاه مئة من الإبل ، ورد عليه ماله . يقول : أأكفر بما أوليتني ، وقد أعطيت ما أعطيت . والعطاء بمعنى الإعطاء ، ولذلك نصب به « المئة » . والرتاع جمع رائع : يعني الإبل ترفع في مرعى خصيب تذهب فيه وتجيء .

(٢) لم أجد البيت . وأشعب : الطماع الذي يضرب به المثل في الطمع المستمر .

(٣) الشعر للحارث بن خال المخزومي ، الأغاني ٩ : ٢٢٥ - ٢٢٦ ، وهذا البيت الذي من أجله أشخص الواثق إليه أبا عثمان المازني النحوي ، وله قصة . انظر الأغاني ٩ : ٢٣٤ وغيره ، وفي المطبوعة : « أظلم » ، والصواب من المخطوطة ، والأغاني وأمال الشجري ١ : ١٠٧ وغيرها . وهذه الشواهد السالفة استشهاد من الطبري على أن الأسماء تقوم مقام المصادر فتعمل عملها في النصب . وظلم : هي أم عمران ، زوجة عبد الله بن مطيع ، وكان الحارث ينسب بها ، فلما مات زوجها تزوجها .

فلِذْكَ كان الأمر — على ما وصفنا ، من إخراج العرب مصادرَ الأفعال على غير بناء أفعالها — كثيراً ، وكان تصديرها إياها على مخارج الأسماء موجوداً فاشياً^(١) ، فبيِّنْ بذلك صَوَابُ ما قلنا من التأويل في قول القائل «بسم الله» ، أن معناه في ذلك عند ابتدائه في فعل أو قول : أبدأ بتسمية الله قبل فعلى أو قبل قولى . وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن : «بسم الله الرحمن الرحيم» ، ٤٠/١ ، إنما معناه : أقرأ مبتدئاً بتسمية الله ، أو أبتدئُ قراءتى بتسمية الله . فجُعِلَ «الاسمُ» مكان «التسمية» ، كما جُعِلَ الكلامُ مكان التكليم ، والعطاءُ مكان الإعطاء .

وبمثل الذى قلنا من التأويل في ذلك ، روى الخبر عن عبد الله بن عباس .
١٣٩ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أوّل ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال : «يا محمد ، قل : أستعِذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم» ، ثم قال : «قل : بسم الله الرحمن الرحيم» . قال : ابن عباس : «بسم الله» يقول له جبريلُ : يا محمد ، أقرأ بذكر الله ربك ، وقم واقعد بذكر الله^(٢) .

وهذا التأويل من ابن عباس ينبئُ عن صحة ما قلنا — من أنه يراد بقول القائل مفتتحاً قراءته : «بسم الله الرحمن الرحيم» : أقرأ بتسمية الله وذكره ، وأفتتح القراءة بتسمية الله بأسمائه الحسنَى وصفاته العلى — ويوضح فسادَ قول من زعم أن معنى ذلك من قائله : يا الله الرحمن الرحيم أوّل كلِّ شىء^(٣) ، مع أن العباد

(١) أراد بقوله : «تصديرها» : أى جعلها مصادر تصدر عنها صوادر الأفعال ، وذلك كقولك : ذهب ذهاباً ، فذهب صدرت عن قولك «ذهب» ، ويعمل عندئذ عمل الفعل . وعنى أنهم يخرجون المصدر على وزن الاسم فيعمل عمله ، كقولك «الكلام» هو اسم ما تتكلم به ، ولكنهم قالوا : كلمته كلاماً ، فوضعوا موضع التكليم ، وأخرجوا من «كلم» مصدراً على وزن اسم ما تتكلم به ، وهو الكلام ، فكان المصدر : «كلاماً» .

(٢) الحديث ١٣٩ — مضى هذا الخبر وتفرجه ، برقم ١٣٧ .

(٣) قوله : «يوضح» ساقطة من المطبوعة . وفيها مكان : «أول كل . . .» ، «في كل . . .» .

إنما أميروا أن يبتدئوا عند فواتح أمورهم بتسمية الله ، لا بالخبر عن عظمته وصفاته ، كالذي أميروا به من التسمية على الذبائح والصيد ، وعند المَطعم والمَشرب ، وسائر أفعالهم . فكذلك الذي أميروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله ، ووصول رسائلهم وكتبهم .

ولا خلاف بين الجميع من علماء الأمة ، أن قائلًا لو قال عند تذكيتته بعض بهائم الأنعام^(١) : « بالله » ولم يقل : « بسم الله » أنه مخالف — بتركه قيل : « بسم الله » — ما سُئِلَ له عند التذكية من القول . وقد عُلِمَ بذلك أنه لم يُرد بقوله « بسم الله » « بالله » ، كما قال الزاعم أن اسمَ الله في قول الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » هو الله . لأن ذلك لو كان كما زعم ، لوجب أن يكون القائل عند تذكيتته ذبيحته « بالله » ، قائلًا ما سُئِلَ له من القول على الذبيحة . وفي إجماع الجميع على أن قائلَ ذلك تارك ما سُئِلَ له من القول على ذبيحته — إذ لم يقل « بسم الله » — دليلٌ واضح على فساد ما ادَّعى من التأويل في قول القائل : « بسم الله » ، أنه مراد به « بالله » ، وأن اسم الله هو الله .

وليس هذا هو الموضع من مواضع الإكثار في الإبانة عن الاسم : أهو المسمى ، أم غيرُه ، أم هو صفة له ؟ فنطيل الكتاب به ، وإنما هذا موضع من مواضع الإبانة عن الاسم المضاف إلى الله : أهو اسمٌ ، أم مصدر بمعنى التسمية^(٢) ؟

(١) التذكية : النحر والذبح . ذكيت الشاة تذكية : ذبحها .

(٢) استجد أبو جعفر رضى الله عنه غير الرأي لحجته . والذي كتبه قبل ، وما يأتي بعد ، من أقوم ما قيل في شرح هذا الموضع الذي لحت فيه المقول والأقلام . وبيان ما قال أبو جعفر : إن قولك « اسم » في « بسم الله » ، إنما هو اسم مصدر (أو اسم حدث) ، أى هو في الأصل اسم لما تفعل من تسميتك الشيء ، مثل « الكلام » اسم حدث لما تفعل من التكليم ، ومثل « العطاء » اسم حدث لما تفعل من الإعطاء ، ومثل « الفصل » ، اسم حدث لما تفعل من الاعتزال . وكان أصله من قولك « سموت الشيء سموا » ، فأماوا فعله الثلاثى وبقى مصدره ، « سمو » ، فحذفوا واوه المتطرفة ، فصار « سم » فأعاضوه عنها ألفاً في أوله ، فصار « اسم » ، كما كان قولك : « كلام » من فعل ثلاثى هو « كلم كلاماً » ، على مثال « ذهب ذهاباً » ، فأماوا الفعل الثلاثى وبقى مصدره « كلام » ، فجعلوه اسم حدث لما تفعل من التكليم ، ثم أخرجوا مصدر الرباعى على مخرج اسم هذا الحدث ، فقالوا : « كلم يكلم كلاماً » ، بمعنى « كلم يكلم تكليماً » .

فإن قال قائل: فما أنت قائل في بيت لبيد بن ربيعة:

إلى الحَوْلِ ، ثم اسمُ السلامِ عليكما ، ومن يَبْكِ حَوْلًا كاملاً فقد اعتذر^(١)
فقد تأوله مُقدِّم في العلم بلغة العرب ، أنه معنى به : ثم السلام عليكما ، وأن
اسمَ السلام هو السلام ؟^(٢)

قيل له : لوجاز ذلك وصح تأويله فيه على ما تأول ، لجاز أن يقال : رأيتُ
اسم زيد ، وأكلتُ اسمَ الطعام ، وشربتُ اسمَ الشراب ؛ وفي إجماع جميع العرب
على إحالة ذلك ، ما ينبئ عن فساد تأويل من تأول قول لبيد : « ثم اسم السلام

فكذلك فعلوا في قولهم « سمي يسمى تسمية » : أخرجوا لهذا الرباعي مصدراً على مخرج اسم الحدث
وهو « اسم » ، فقالوا : « سمي يسمى اسماً » ؛ بمعنى « سمي يسمى تسمية » . فقولك « كلام » بمعنى
« تكليم » وقولك « اسم » بمعنى « تسمية » صدراً على مخرج أسماء الأحداث . وإذن فالمضاف إلى اسمه
تعالى في قولك « بسم الله » وأشباهاها ، إنما هو مصدر صدر على مخرج اسم الحدث ، وهو اسم ، من
فعل رباعي هو « سمي يسمى » ، فكان بمعنى مصدره وهو « تسمية » . وهو في هذا المكان وأمثاله بمعنى
المصدر « تسمية » ، لا بمعنى اسم الحدث لما تفعل من التسمية . (انظر : ١٢٣-١٢٤ ، كلام الطبري في «أله»)
وهذا الذي قاله أبو جعفر رضى الله عنه أبرع ما قيل في شرح هذا الحرف من كلام العرب . وقد
أحسن النظر وأدق ، حتى خفى على جلة العلماء الذين تكلموا في شرح معنى « اسم » في « بسم الله » وأشباهاها ،
فأغفلوه إغفالاً لخفائه ووعورة مأثاه ، وإلغفهم للكلام في الذي افتتحوه من القول في « الاسم » ، أهو
المسمى أم غيره ، أم هو صفة له ، وما رسمه وما حده ؟ وهذا باب غير الذى نحن فيه ، فخلطوا فيه
خلطاً ، فجاء الطبري فحصى الحق تحميصاً ، وهو أرجح الآراء عندنا وأولاه بالتقديم ، لمن وفق لفهمه ،
كما يقول أبو جعفر غفر الله له . وسيذكر بعد من الحجة ما يزيد المعنى وضوحاً وبياناً . ولولا خوف
الإطالة ، لأتيت بالشواهد على ترجيح قول الطبري الذى أغفلوه ، على كل رأى سبقه أو أتى بعده .

(١) ديوانه ، القصيدة رقم : ٢١ ، والخزانة ٢ : ٢١٧ ، ثم يأتي في تفسير آية سورة التوبة : ٩٠
(١٠ : ١٤٤ بولاق) ، وآية سورة الرعد : ٣٥ (١٣ : ١٠٩) . والشعر يقول لابنتيه ، إذ قال :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَمِيشَ أَبُوهَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ !

ثم أمرها بأمره فقال قبل بيت الشاهد :

فَقُومًا قَوْلًا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْنَا وَلَا تَحْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرَ

وقولاً : هو المرء الذى لا خليله أضاع ، ولا خان الصديق ، ولا غدر

ف قوله « إلى الحَوْلِ . . . » أى اضلا ذلك إلى أن يحول الحول . والحول : السنة كاملة بأسرها . وقوله
« اعتذر » هنا بمعنى أعذر : أى بلغ أقصى الغاية في العذر .

(٢) هذا المقدم في العلم بلغة العرب ، هو أبو عبيدة معمر بن المثنى ، في كتابه مجاز القرآن :

١٦ . وقد وقع بين ماضنى أسد ! وهذا الذى يأتي كله تقرير مريض من أبى جعفر لأبى عبيدة .

عليكما » ، أنه أراد : ثم السلام عليكما ، وادّعائه أن إدخال الاسم في ذلك وإضافته إلى السلام إنما جاز ، إذ كان اسم المسمى هو المسمى بعينه .

ويُسأل القائلون قولَ من حكينا قوله هذا ، فيقال لهم : أتستجيزون في العربية أن يقال : « أكلتُ اسمَ العسل » ، يعني بذلك : أكلت العسل ، كما جاز عندكم : اسم السلام عليك ، وأنتم تريدون : السلامُ عليك ؟

فإن قالوا : نعم ! خرجوا من لسان العرب ، وأجازوا في لغتها ما تخطئه جميع العرب في لغتها . وإن قالوا : لا ، سئلوا الفرقَ بينهما : فلن يقولوا في أحدهما قولاً إلا ألزموا في الآخر مثله .

فإن قال لنا قائل : فما معنى قول ليبد هذا عندك ؟

قيل له : يحتمل ذلك وجهين ، كلاهما غير الذي قاله من حكينا قوله .
أحدهما : أن « السلام » اسمٌ من أسماء الله ، فجائز أن يكون ليبد عنى بقوله : « ثم اسم السلام عليكما » ، ثم ألزما اسمَ الله وذكره بعد ذلك ، ودعا ذكرى والبكاء على ، على وجه الإغراء . فرفع الاسم ، إذ أخر الحرف الذي يأتي بمعنى الإغراء .^(١) وقد تفعلُ العرب ذلك ، إذا أخرت الإغراء وقدمت المغرَى به ، وإن كانت قد تنصبُ به وهو مؤخر . ومن ذلك قول الشاعر :

يَا أَيُّهَا الْمَائِخُ دَلَوِي دُونَكَ ! إني رأيتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ !^(٢)

فأغرَى : « دونك » وهي مؤخرة ، وإنما معناه : دونك دلوى . فكذلك قول ليبد :

• إلى الحَوْلِ ، ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا •

يعنى : عليكما اسمَ السلام ، أى ألزما ذكر الله ودعا ذكرى والوجدَ بى ، لأن من بكى حوْلاً على امرئ مَيّت فقد اعتذر . فهذا أحد وجهيه .

(١) في المطبوعة : « إذا وأخر » . وقوله « فرفع الاسم » ، يعنى ما في قول ليبد « ثم اسم » ، وكان حقه أن ينصب على الإغراء لو قال : « ثم عليكما اسم السلام » بتقديم الإغراء .

(٢) هذا رجز في خبر طويل ، الخرافة ٣ : ١٧ قيل هزأ برجل ألقوه في بئر ثم رجزوا به . والمائع : هو الرجل الذى يهزل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها ، فيلقى الدلاء فيسلوها بيده ويمسح لأصحابه .

والوجه الآخر منهما : ثم تسميتي الله عليكما ، كما يقول القائل للشيء يراه فيعجب : « اسم الله عليك » يعوذه ، بذلك من السوء ، فكأنه قال : ثم اسمُ الله عليكما من السوء ، وكان الوجه الأول أشبه المعنيين بقول لبيد^(١) .

ويقال لمن وجه بيت لبيد هذا إلى أن معناه : ثم السلام عليكما ، أترى ما قلنا — من هذين الوجهين — جائزاً ، أو أحدهما ، أو غير ما قلت فيه ؟

فإن قال : لا ! — أبان مقداره من العلم بتصاريف وجوه كلام العرب ، وأغنى خصمه عن مناظرته .

وإن قال : بلى !

قيل له : فما برهانك على صحة ما ادّعت من التأويل أنه الصواب ، دون الذي ذكرت أنه محتمل — من الوجه الذي يلزمنا تسليمه لك ؟ ولا سبيل إلى ذلك .

وأما الخبر الذي : —

١٤٠ — حدثنا إسماعيل بن الفضل ، قال : حدثنا إبراهيم بن العلاء ابن الضحاك [وهو يلقب بزريق] قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن ابن أبي مليكة ، عن حدثه ، عن ابن مسعود — ومُسَعَّر ابن كيدآم ، عن عطية ، عن أبي سعيد — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عيسى بن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه ، فقال له المعلم : اكتب « بسم » فقال له عيسى : وما « بسم » ؟ فقال له المعلم : ما أدري ! فقال عيسى : الباء بهاءُ الله ، والسين سناؤه ، والميم مملكته^(٢) .

(١) الأول بغير شك أول الأقوال بالصواب . فإنه كان قد أمر ابنتيه — كما قدمنا في آياته السالفة ، أن تقوما لتتوحا عليه بما أمرهما من ثدييه وتأبينه وراثته ، وأن تفعلتا ذلك منذ يموت إلى أن يحول عليه الحول ، فلا معنى بعد أن يلقى السلام عليهما ، أى تحية المفارق ، بعد الحول ، فقد فارقهما منذ حول كامل . وأولى به أن يدعوا لهما ، أو يستكفهما عما أمرهما به ، إذ قضتا ما أمرهما على الوجه الذي أحب ، « ومن يبك حولاً كاملاً فقد اضطر » ، كأنه قال : كفا عندئذ عما أمرتكما ، فإن من بكى حولاً فقد بلغ أقصى ما يسهه العذر . فسيق الشمر يقطع بترجيح ما ذهب إليه الطبري عامة ، وإلى الجزم بأن معنى « ثم اسم السلام عليكما » هو : الزما ذكر الله ، ودعا ذكرى ، واليكاء على ، والوجد في .

(٢) الحديث ١٤٠ — هذا حديث موضوع ، لا أصل له . وهو أطول من هذا ، وسيأتي بعضه برقمى ١٤٥ ، ١٤٧ ، فصل الطبري كل قسم منه في موضعه ، وفيه زيادة أخرى ، في تفسير كلمات

— فأخشى أن يكون غلطاً من المحدث ، وأن يكون أراد [ب س م] ، على سبيل ما يعلم المبتدئ من الصبيان في الكتاب حروف أبي جاد ، فغلط بذلك فوصله ، فقال : « بسم » ، لأنه لا معنى لهذا التأويل إذا تلى « بسم الله الرحمن الرحيم » ، على ما يتلوه القارئ في كتاب الله ، لاستحالة معناه عن المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها ، إذا حُمِلَ تأويله على ذلك .

القول في تأويل قول الله : ﴿ الله ﴾ .

قال أبو جعفر : وأما تأويل قول الله تعالى ذكره « الله » ، فإنه على معنى ما روى لنا عن عبد الله بن عباس — : هو الذي يآلهه كل شيء ، ويعبده كل خلق .

« أبجد هوز » ، إلخ . رواه بطوله ابن حبان الحافظ ، في كتاب المبرزين ، في ترجمة إسماعيل بن يحيى ابن عبد الله التيمي ، رقم : ٤٤ ص ٨٥ ، وقال في إسماعيل هذا : « كان من يروى الموضوعات عن الثقات ، وما لا أصل له عن الأثبات ، لا تحل الرواية عنه ، ولا الاحتجاج به بحال » . ثم ضرب مثلاً من أكاذيبه ، فروى الحديث بطوله ، عن محمد بن يحيى بن رزين العطار عن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك ، بالإسناد الثاني الذي هنا ، من حديث أبي سعيد الخدري . وذكره ابن كثير في التفسير ١ : ٣٥ نقلاً عن ابن مردويه ، من حديث أبي سعيد وحده ، جمع فيه الأقسام الثلاثة التي فرقت هنا . ثم أشار إلى رواية الطبري إياه . ثم قال : « وهذا غريب جداً ، وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات ! وما أدرى كيف فات الحافظ ابن كثير أن في إسناده هذا الكذاب ، فتسقط روايته بجرة ، ولا يحتاج إلى هذا التردد . وأما السيوطي ، فقد ذكره في الدر المنثور ١ : ٨ ، ونسبه لابن جرير وابن عدى في الكامل وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخ دمشق والعلبي ، ولم يغفل عن علته ؛ فذكر أنه « بسند ضعيف جداً » . وترجم الذهبي في الميزان ١ : ١١٧ ، وتبعه ابن حجر في لسان الميزان ١ : ٤٤١ - ٤٤٢ لإسماعيل بن يحيى هذا ، وفي ترجمته : « قال صالح بن محمد جزرة : كان يضع الحديث . وقال الأزدى : ركن من أركان الكذب ، لا تحل الرواية عنه . . . وقال أبو علي النيسابوري الحافظ والدرقاقي والحاكم : كذاب » . وقال ابن حجر : « مجمع على تركه » . وذكر هو والذهبي هذا الحديث مثلاً من أكاذيبه .

ثم إن إسناده الأول ، الذي رواه إسماعيل بن يحيى عن أبي مليكة ، فيه أيضاً راو مجهول ، وهو من حدثه عن ابن مسعود . وإسناده الثاني ، الذي رواه إسماعيل هذا عن مسمر بن كدام ، فيه أيضاً « عطية ابن سعد بن جندة العمري » ، وهو ضعيف ، ضعفه أحمد وأبو حاتم وغيرهما .

والزيادة بين قوسين ، في لقب إبراهيم بن العلاء من المخطوطة . و « زبريق » : بكسر الزاي والراء بينهما باء موحدة ساكنة . وهو لقب إبراهيم ، فيما قيل . والصحيح أنه لقب أبيه ، فقد قال البخاري في ترجمته في الكييز ٣٠٧/١/١ : « زعم إبراهيم أن أباه كان يدعى زبريق » . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٢١/١/١ : « إبراهيم بن العلاء . . . يعرف بابن الزبريق » .

١٤١ - وذلك أن أبا كريب حدثنا ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمار ، قال : حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : « الله » ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين ^(١) .
فلما قال لنا قائل : فهل لذلك في « فعل ويفعل » أصل كان منه بناء هذا الاسم ؟
قيل : أمّا سماعاً من العرب فلا ، ولكن استدلالاً .

فلما قال : وما دلّ على أن الألوهية هي العبادة ، وأن الإله هو المعبود ، وأن له أصلاً في « فعل ويفعل » .

قيل : لا تمنع بين العرب في الحكم لقول القائل ^(٢) - يصف رجلاً بعبادة ، ويطلب ما عند الله جل ذكره : « تأله فلان » - بالصحة ولا خلاف . ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج :

للهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّةِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأْلِهِ ^(٣)
يعنى : من تعبدى وطلبى الله بعمل .

ولا شك أن « التأله » ، التصعل من « آله يآله » ، وأن معنى « آله » - إذا نُطق به : - عَبَدَ الله . وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ « فعل يفعل » ، بغير زيادة .

١٤٢ - وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن نافع ابن عمر ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس : أنه قرأ ﴿ وَيَذَرِكْ وَالْأَهْتَكْ ﴾ ٢/١ [سورة الأعراف : ١٢٧] قال : عبادتك ، ويقال : إنه كان يُعبد ولا يُعبد .

(١) الحديث ١٤١ - إسناده هذا الخبر ضعيف ، كما فصلنا القول فيه ، في إسناده الخبر ١٣٧ . وهذا الذي هنا نقله السيوطي في الدر المنثور ١ : ٨ مع باقيه الآتي برقم ١٤٨ بإسناده نفسه . ونسبه السيوطي لابن جرير (وكتب فيه : ابن جريج ، خطأ مطبعياً) ، وابن أبي حاتم .
(٢) قوله « لا تمنع » ، أى لا اختلاف بينهم ، يدعوا بعضهم إلى دفع ما يقوله الآخر . وسيأتي مثله في ص : ١٢٦ .

(٣) ديوانه : ١٦٥ . المدد : جمع مده . ومده فلاناً يمدّه مدهاً : نعمت هيئته وجماله وأثني عليه ومدحه . و « استرجعن » : قلن : إنا لله وإنا إليه راجعون . يقلن حسرة عليه كيف ننسك وهجر الدنيا ، بعد الذي كان من شبابه وجماله وصبرته !

١٤٣ — حدثنا سفيان ، قال : حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو بن الحسن ، عن ابن عباس : ﴿ وَيَذَرُكَ وَإِلَهِتَكَ ﴾ ، قال : إنما كان فرعون يُعبد ولا يعبد^(١) .
وكذلك كان عبد الله يقرؤها ومجاهد .

١٤٤ — حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : أخبرني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : قوله « وَيَذَرُكَ وَإِلَهِتَكَ » قال : وعبادتك^(٢) .
ولا شك أن الإلاهة — على ما فسرہ ابن عباس ومجاهد — مصدر من قول القائل : أله الله فلان إلاهة ، كما يقال : عبد الله فلان عبادة ، وعبر الرؤيا عبارة . فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا : أن « أله » عبد ، وأن « الإلاهة » مصدره .

فإن قال : فإن كان جائزاً أن يقال لمن عبد الله : أله — على تأويل قول ابن عباس ومجاهد — فكيف الواجب في ذلك أن يقال ، إذا أراد المخبر الخبر عن استيجاب الله ذلك على عبده ؟

(١) الخبران ١٤٢، ١٤٣ — إسنادهما ضعيفان ، من أجل « سفيان بن وكيع بن الجراح » ، شيخ الطبري فيما ، وسفيان هذا : ضعيف ، كان أبوه إماماً حجة ، وكان هو رجلاً صالحاً ، ولكن وراقه أفسد عليه حديثه ، وأدخل عليه ما ليس من روايته . ونصحہ العلماء أن يدعه فلم يفعل ، فن أجل ذلك تركوه . قال ابن حبان في كتاب المجروحين ، رقم ٤٧٠ ص ٢٣٨ — ٢٣٩ : « فن أجل إصراره على ما قيل له استحق الترك » .

وهذان الخبران ، سيذكرهما الطبري في تفسير آية سورة الأعراف : ١٢٧ (٩ : ١٨ بولاق) ، وهناك شيء من التحريف في أحدهما . ونقل معناهما السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٠٧ .
والقراءة الصحيحة المعروفة : (ويذرك وألهتك) . وأما هذه القراءة « وإلاهتك » ، فقد نقلها صاحب إتحاف البشر : ٢٢٩ عن ابن محيصن والحسن . ونقلها ابن خالويه في كتاب القراءات الشاذة : ٤٥ عن عل وابن مسعود وابن عباس . وذكرها أبو حيان في البحر ٤ : ٣٦٧ عن هؤلاء الثلاثة « وأنس وجاعة غيرهم » .

(٢) الخبر ١٤٤ — الحسين بن داود : اسمه « الحسين » ولقبه « سنيذ » ، بضم السين المهملة وفتح النون . واشتهر بهذا اللقب ، وترجم به في التهذيب ٤ : ٢٤٤ — ٢٤٥ ، وفي الجرح والتعديل ٣٢٦/١/٢ . وحجاج : هو ابن محمد المصيصي ، من شيوخ الإمام أحمد . وهذا الأثر عن مجاهد ، سيرويه الطبري في تفسير آية الأعراف (٩ : ١٨ بولاق) — بإسناد آخر .

قيل : أما الروايةُ فلا رواية فيه عندنا ، ولكن الواجب — على قياس ما جاء به الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي : —

١٤٥ — حدثنا به إسماعيل بن الفضل ، حدثنا إبراهيم بن العلاء ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن ابن أبي مُليكة ، عن حدثه عن ابن مسعود — ومِسْعَرِ بْنِ كَدَّامَ ، عن عطية العوفى ، عن أبي سعيد — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إِنَّ عِيسَى أَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إِلَى الْكِتَابِ لِيُعَلِّمَهُ فَقَالَ لَهُ الْمَلْعَمُ اكْتُبْ «الله» فَقَالَ لَهُ عِيسَى : «أَتَدْرِي مَا اللهُ ؟ اللهُ إِلَهُ الْآلِهَةِ (١)» .** — أن يقال (٢) : **اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَهَ الْعَبْدِ ، وَالْعَبْدُ إِلَهَهُ . وَأَنْ يَكُونَ قَوْلُ الْقَائِلِ «الله» — مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَصْلُهُ «الإله» .**

فإن قال : وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ، مع اختلاف لفظيهما ؟

قيل : كما جاز أن يكون قوله : **(لَكِنَّهُ هُوَ اللهُ رَبِّي)** [سورة الكهف : ٣٨] أصله : لكن أنا ، هو الله ربى ، كما قال الشاعر :

وَتَرَمَيْتَنِ بِالطَّرْفِ ، أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ ، وَتَقْلِيْنِي ، لَكِنَّ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي (٣)

يريد : لكن أنا إياك لا أقلى ، فحذف الهمزة من «أنا» فالتقت نون «أنا» ونون «لكن» وهى ساكنة ، فأدغمت فى نون «أنا» فصارتا نوناً مشددة . فكذلك «الله» أصله «الإله» ، أسقطت الهمزة التى هى فاء الاسم ، فالتقت اللام التى هى عين الاسم ، واللام الزائدة التى دخلت مع الألف الزائدة وهى ساكنة ، فأدغمت فى

(١) الحديث ١٤٥ — هو حديث لا أصل له . وهو جزء من الحديث الموضوع الذى روى الطبري بعضه فيما مضى ١٤٠ ، بهذا الإسناد . وفصلنا القول فيه هناك .

(٢) قوله : «أن يقال» من تمام قوله فى السطر الثالث «ولكن الواجب —» خبر لكن .

(٣) الأضداد لابن الأنبارى : ١٦٣ ، والخزانة ٤ : ٤٩٠ ، وقال : «لم أقف على تشبهه وقائله ، مع أنه مشهور ، قلنا خلاصته كتاب نحوى ، والله أعلم» .

الأخرى التي هي عين الاسم ، فصارتا في اللفظ لهما واحدة مشددة ، كما وصفنا من قول الله « لكن هو الله ربى » .

القول في تأويل قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ .

قال أبو جعفر : وأما « الرحمن » ، فهو فعْلان ، من رَحِمَ ، و « الرحيم » فعيل منه . والعرب كثيراً ما تبني الأسماء من « فَعِيلٌ يَفْعَلُ » على « فعْلان » ، كقولهم من غَضِبَ : غَضبان ، ومن سَكِرَ : سكران ، ومن عَطَشَ : عطشان . فكذلك قولهم « رَحْمَنٌ » من رَحِمَ ، لأن « فَعِيلٌ » منه : رَحِمَ يَرْحَمُ . وقيل « رحيم » ، وإن كانت عين « فَعِيلٌ » منها مكسورة . لأنه مدح . ومن شأن العرب أن يحملوا أبنية الأسماء — إذا كان فيها مدح أو ذم — على « فَعِيلٍ » . وإن كانت عين « فعل » منها مكسورة أو مفتوحة ، كما قالوا من « علم » عالم وعليم ، ومن « قدر » قادر وقدير . وليس ذلك منها بناء على أفعالها ، لأن البناء من « فَعِيلٌ يَفْعَلُ » و « فَعْلٌ يَفْعِلُ » فاعلٌ . فلو كان « الرحمن والرحيم » خارجين على بناء أفعالها ، لكانت صورتها « الراحم » . فإن قال قائل : فإذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة ، فما وجه تكرير ذلك ، وأحدهما مؤدٌ عن معنى الآخر ؟

قيل له : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت ، بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى مهما عنها .

فإن قال : وما المعنى الذى انفردت به كل واحدة منهما ، فصارت إحداها غير مؤدية المعنى عن الأخرى ؟

قيل : أما من جهة العربية فلا تمنع^(١) بين أهل المعرفة بلغات العرب ، أن قول القائل : « الرحمن » — عن أبنية الأسماء من « فَعِيلٌ يَفْعَلُ » — أشدُّ عدولاً من قوله « الرحيم » . ولا خلاف مع ذلك بينهم ، أن كل اسم له أصل في « فَعِيلٌ يَفْعَلُ » — ثم كان عن أصله

(١) لا تمنع أى لا اختلاف بينهم ، يدعو بعضهم إلى دفع ما يقوله الآخر

من « فَعِلَ يَفْعَلُ » أشد عدولاً—أن الموصوف به مفضل على الموصوف بالاسم المبني ٤٣/١
على أصله من « فَعِلَ يَفْعَلُ » ، إذا كانت التسمية به مدحاً أو ذمّاً . فهذا ما في
قول القائل « الرحمن » ، من زيادة المعنى على قوله : « الرحيم » في اللغة .
وأما من جهة الأثر والخبر ، ففيه بين أهل التأويل اختلاف : —

١٤٦— فحدثني السري بن يحيى التيمي ، قال : حدثنا عثمان بن زفر ،
قال : سمعت العرزمي يقول : « الرحمن الرحيم » ، قال : الرحمن بجميع الخلق ،
الرحيم ، قال : بالمؤمنين ^(١) .

١٤٧— حدثنا إسماعيل بن الفضل ، قال : حدثنا إبراهيم بن العلاء ،
قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن ابن أبي مليكة ، عن
حدثه ، عن ابن مسعود — ومسرور بن كدام ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد
يعني الخدري — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عيسى بن مريم
قال : الرحمن رَحْمَنُ الآخرة والدنيا ، والرحيم رَحِيمُ الآخرة ^(٢) .

فهذان الخبران قد أنبا عن فرق ما بين تسمية الله جل ثناؤه باسمه الذي هو
«رحمن» ، وتسميته باسمه الذي هو «رحيم» ، واختلاف معني الكلمتين—وإن اختلفا في
معنى ذلك الفرق ، فدلّ أحدهما على أن ذلك في الدنيا ، ودلّ الآخر على أنه في الآخرة.
فإن قال : فأى هذين التأويلين أولى عندك بالصحة ؟

(١) الأثر ١٤٦ — نقله ابن كثير في التفسير ١ . ٤٠ عن هذا الموضع . و « السري بن يحيى
ابن السري التيمي الكوفي » . شيخ الطبري ، لم نجد له ترجمة إلا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم
٢٨٥/١/٢ ، وقال : « لم يقض لنا السماع منه ، وكتب إلينا بشئ من حديثه ، وكان صلواً » .
و « العرزمي » المروي عنه هذا الكلام هنا . ضعيف جداً ، قال الإمام أحمد في المسند ٦٩٣٨ :
« لا يساوي حديثه شيئاً » . وهو « محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العرزمي » . وأما عمه « عبد الملك بن
أبي سليمان العرزمي » ، فإنه تابعي ثقة ، ولكنه قديم ، مات سنة ١٤٥ ، فلم يدركه « عثمان بن زفر »
المتوفى سنة ٢١٨ . و « العرزمي » بفتح العين المهملة وسكون الراء وبعتها زاي ، نسبة إلى « عرزم » .
ووقع هنا في الطبري وابن كثير « العرزمي » ، بتقديم الزاي على الراء ، وهو تصحيف .
(٢) الحديث ١٤٧ — هذا إسناده ضعيف ، بل إسناده ضعيفان ، كما فصلنا فيما مضى :

قيل : لجميعهما عندنا في الصحة مخرج ، فلا وجه لقول قائل : أيُّهما أولى بالصحة ؟ وذلك أن المعنى الذى فى تسمية الله بالرحمن ، دون الذى فى تسميته بالرحيم : هو أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه ، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه ، إما فى كل الأحوال ، وإما فى بعض الأحوال . فلا شك - إذ كان ذلك كذلك - أن ذلك الخصوص الذى فى وصفه بالرحيم ، لا يستحيل عن معناه ، فى الدنيا كان ذلك أو فى الآخرة ، أو فيها جميعاً .

فإذ كان صحيحاً ما قلنا من ذلك - وكان الله جل ثناؤه قد خصَّ عباده المؤمنين فى عاجل الدنيا بما لطف بهم من توفيقه إياهم لطاعته ، والإيمان به وبرسله ، واتباع أمره واجتناب معاصيه ؛ مما خُذِلَ عنه من أشرك به ، وكفر ، وخالف ما أمره به ، وركب معاصيه ؛ وكان مع ذلك قد جعلَ ، جَلَّ ثناؤه ، ما أعد فى آجل الآخرة فى جناته من النعيم المقيم والفوز المبين ، لمن آمن به ، وصدق رسله ، وعمل بطاعته ، خالصاً ، دون من أشرك وكفر به - (١) كان بيننا أن الله قد خص المؤمنين من رحمته فى الدنيا والآخرة ، مع ما قد عمَّهم به والكفار فى الدنيا من الإفضال والإحسان إلى جميعهم فى البَسْطِ فى الرزق ، وتسخير السحاب بالغَيْثِ ، وإخراج النبات من الأرض ، وصحة الأجسام والعقول ، وسائر النعم التى لا تُحصى ، التى يشترك فيها المؤمنون والكافرون .

فربُّنا جل ثناؤه رحمنٌ جميع خلقه فى الدنيا والآخرة ، ورحيمٌ المؤمنين خاصة فى الدنيا والآخرة . فأما الذى عمَّ جميعهم به فى الدنيا من رحمته فكان رحماناً لهم به ، فما ذكرنا مع نظائره التى لا سبيل إلى إحصائها لأحد من خلقه ، كما قال جل ثناؤه :

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٤ ، سورة النحل : ١٨] .

وأما فى الآخرة ، فالذى عمَّ جميعهم به فيها من رحمته ، فكان لهم رحماناً ، فى تسويته

(١) جواب قوله « فإذا كان صحيحاً . . . » وما بينهما فصل .

بين جميعهم جل ذكره في عدله وقضائه ، فلا يظلم أحداً منهم ميثقال ذرة ، وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ، وتوفى كل نفس ما كسبت . فذلك معنى عمومه في الآخرة جميعهم برحمته ، الذي كان به رحماناً في الآخرة .

وأما ما خص به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته ، الذي كان به رحماً لهم فيها ، كما قال جل ذكره : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٣] -

فما وصفنا من اللطف لهم في دينهم ، فخصهم به ، دون من خذله من أهل الكفر به . ٤٤/١
وأما ما خصهم به في الآخرة ، فكان به رحماً لهم دون الكافرين ، فما وصفنا آنفاً مما أعد لهم دون غيرهم من النعم ، والكرامة التي تقصر عنها الأماني .

وأما القول الآخر في تأويله فهو ما :-

١٤٨- حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عمارة ، قال : حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : الرحمن ، الفعلان من الرحمة ، وهو من كلام العرب . قال : الرحمن الرحيم : الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه ، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه ^(١) . وكذلك أسماءؤه كلها . وهذا التأويل من ابن عباس يدل على أن الذي به ربنا رحمن ، هو الذي به رحيم ، وإن كان لقوله « الرحمن » من المعنى ، ما ليس لقوله « الرحيم » . لأنه جعل معنى « الرحمن » بمعنى الرقيق على من رقى عليه ، ومعنى « الرحيم » بمعنى الرفيق بمن رفق به .

والقول الذي روينا في تأويل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرناه عن العرزمي ^(٢) ، أشبه بتأويله من هذا القول الذي روينا عن ابن عباس . وإن

(١) الحديث ١٤٨ - نقله ابن كثير في التفسير ١ : ٤١ من هذا الموضع ، وقد مضى للكلام في هذا الإسناد ، وبيان ضعفه : ١٣٧ ، ١٤١ . والذي في الدر المنثور ١ : ٨ - ٩ « عل من أحب أن يضاعف عليه العذاب » ، والظاهر أنه تصرف من ناسخ أو طابع .

(٢) إشارة إل ما مضى : ١٤٦ ، ووقع في الأصول هنا « العزري » أيضاً ، بتقديم الزاي ، وهو خطأ ، كما بيّنا من قبل .

كان هذا القول موافقاً معناه معنى ذلك ، في أن للرحمن من المعنى ما ليس للرحيم ، وأن للرحيم تأويلاً غير تأويل الرحمن .

والقول الثالث في تأويل ذلك ما :-

١٤٩- حدثني به عمران بن بكّار الكلاعي ، قال : حدثنا يحيى بن صالح ، قال : حدثنا أبو الأزهر نصر بن عمرو اللّخمي من أهل فلسطين ، قال : سمعت عطاء الخراساني يقول : كان الرحمن ، فلما اختزل الرحمن من اسمه كان الرحمن الرحيم^(١) . والذي أراد ، إن شاء الله ، عطاء بقوله هذا : أن الرحمن كان من أسماء الله التي لا يتسمّى بها أحد من خلقه ، فلما تسمّى به الكذاب مسيلمة - وهو اختزاله إياه ، يعني اقتطاعه من أسمائه لنفسه - أخبر الله جلّ ثناؤه أن اسمه «الرحمن الرحيم» ليفصل بذلك لعباده اسمه من اسم من قد تسمّى بأسمائه ، إذ كان لا يسمّى أحد «الرحمن الرحيم» ، فيجتمع له هذان الاسمان ، غيره جلّ ذكره . وإنما يتسمّى بعض خلقه إما رحيمًا ، أو يتسمّى رحمن . فأما «رحمن رحيم» ، فلم يجمعاً قطّ لأحد سواه ، ولا يجمعان لأحد غيره . فكأن معنى قول عطاء هذا : أن الله جلّ ثناؤه إنما فصل بتكرير الرحيم على الرحمن ، بين اسمه واسم غيره من خلقه ، اختلف معناهما أو اتفقا .

والذي قال عطاء من ذلك غير فاسد المعنى ، بل جائز أن يكون جلّ ثناؤه خصّ نفسه بالتسمية بهما معاً مجتمعين ، إبانة لها من خلقه ، ليعرف عباده بذلك كرهاً مجموعين أنه المقصود بذلك كرهاً دون من سواه من خلقه ، مع ما في تأويل كل واحد منهما من المعنى الذي ليس في الآخر منهما .

(١) الأثر ١٤٩ - نقله السيوطي في الدر المنثور ١ : ٩ ونسبه للطبري وحده . وعطاء الخراساني هو عطاء بن أبي مسلم ، وهو ثقة ، وضعفه بعض الأئمة . وهو كثير الرواية عن التابعين ، وكثير الإرسال عن الصحابة ، في سماعه منهم خلاف . وأما الراوي عنه «أبو الأزهر نصر بن عمرو اللّخمي» ، فإن لم أجده له ترجمة فيما بين يدي من المراجع ، إلا قول الدولابي في الكنى والأسماء ١ : ١١٠ : «أبو الأزهر الفلسطيني نصر بن عمرو اللّخمي ، روى عنه يحيى بن صالح الوحاظي» .

وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف « الرحمن » ، ولم يكن ذلك في لغتها^(١) ، ولذلك قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٠] ، إنكاراً منهم لهذا الاسم . كأنه كان محالاً عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته ، أو : لا ، وكأنه لم يتل من كتاب الله قول الله ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾ — يعنى محمداً — ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٦] ، وهم مع ذلك به مكذّبون ، ولنبوته جاحلون ! فيعلم بذلك أنهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحته ، واستحكمت لديهم معرفته . وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء :

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةُ هَجِيئَهَا أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا^(٢)

وقال سلامة بن جندل السعدي^(٣) :

عَجَلْتُمْ عَلَيْنَا عَجَلْتَيْنَا عَلَيْكُمْ وَمَا يَشَاءُ الرَّحْمَنُ يَعْقِدُ وَيُطْلِقُ^(٤)

(١) لا يزال أهل الغباء في عصرنا يكتبونه ، ويتبحرون بذكره في محاضراتهم وكتبهم ، نقلا عن الذين يتبعون ما سقط من الأقوال ، وهم الأعاجم الذين يؤلفون فيما لا يحسنون باسم الاستشراق . ورد الطبري مفعلمن كان له عن الجاهل والخطأ ردة تنهاه عن المكابرة .

(٢) لم أجد قائل البيت . واستشهد به ابن سيدة في المخصص ١٧ : ١٥٢ ، وعلق على البيت محمد محمود التركي الشنقيطي ، وادعى أن البيت مصنوع ، وأن « بعض الرجال الذين يحبون إيجاد الشواهد المعلوملة لدعاويهم المجردة ، صنعه ولفقه ، وأن الوضع والصنعة ظاهران فيه ظهور شمس النضى ، وركاكته تنادى جهاراً بصحة وضعه وصنعتة ، والصواب وهو الحق المجمع عليه ، أن الشاعر الجاهل المشار إليه ، هو الشنفرى الأزدي ، وهذا البيت ليس في شعره » ، وأنه ملفق من قول الشنفرى :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَالتَّلَهْفُ ضَلَّةٌ بِمَا ضَرَبْتَ كَفُّ الْفَتَاةِ هَجِيئَهَا

والشنقيطي رحمه الله كان كثير الاستطالة ، سريعا إلى المباهاة بعلمه وروايته . والذي قاله من إدعاء الصنعة لا يقوم . وكفى بالبيت الذى يليه دليلا على فساد زعمه أن الدافع لصنعتة : إيجاد الشواهد المعلوملة لدعاوى مجردة . وليس في البيت ركاكة ولا صنعة .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « الطهوى » مكان السعدي ، وهو خطأ . ليس سلامة طهويا .

(٤) ديوانه : ١٩ ، وقد جاء في طبقات فحول الشعراء : ١٣١ في نسب الشاعر : سلامة بن

جندل بن عبد الرحمن ، وهذه رواية ابن سلام ، وغيره يقول : « ابن عبد » ، فإن صحت رواية ابن سلام ، فهى دليل آخر قوى على فساد دعوى الشنقيطي .

وقد زعم أيضاً بعض من ضعف معرفته بتأويل أهل التأويل ، وقلّت روايته
٥٠/١ : لأقوال السلف من أهل التفسير ، أن « الرحمن » مجازة : ذو الرحمة ، « والرحيم » مجازة :
الراحم^(١) . ثم قال : قد يقدرون اللفظين من لفظ والمعنى واحد ، وذلك لاتساع
الكلام عندهم . قال : وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا : ندمان ونديم ، ثم استشهد ببيت
برج بن مسهر الطائي :

وَنَدَمَانٍ ، يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيْبًا ، سَقَيْتُ وَقَدْ تَفَوَّرَتِ النُّجُومُ^(٢)

واستشهد بأبيات نظائره في النديم والنّدمان ، ففرق بين معنى الرحمن والرحيم
في التأويل لقوله : الرحمن ذو الرحمة ، والرحيم الراحم ، وإن كان قد ترك بيان تأويل
معنييهما على صحته . ثم مثل ذلك باللفظين يأتیان بمعنى واحد ، فعاد إلى ما قد
جعله بمعنيين ، فجعله مثال ما هو بمعنى واحد مع اختلاف الألفاظ .

ولاشك أن ذا الرحمة هو الذي ثبت أن له الرحمة ، وصحّ أنها له صفة ، وأن
الراحم هو الموصوف بأنه سيرحم ، أو قد رحم فانقضى ذلك منه ، أو هو فيه .
ولا دلالة له فيه حينئذ أن الرحمة له صفة ، كالدلالة على أنها له صفة ، إذا وُصف
بأنه ذو الرحمة . فأين معنى « الرحمن الرحيم » على تأويله ، من معنى الكلمتين تأنيان
مقدّرتين من لفظ واحد باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ؟ ولكن القول إذا كان
على غير أصل معتمد عليه ، كان واضحاً عوارّه .

وإن قال لنا قائل : ولم قدّم اسم الله الذي هو « الله » ، على اسمه الذي هو
« الرحمن » ، واسمه الذي هو « الرحمن » ، على اسمه الذي هو « الرحيم » ؟

قيل : لأن من شأن العرب ، إذا أرادوا الخبر عن مُخْبَر عنه ، أن يقدّموا
اسمه ، ثم يتبعونه صفاته ونعوته . وهذا هو الواجب في الحكم : أن يكون الاسم
مقدّمًا قبل نعته وصفته ، ليعلم السامع الخبر ، عن الخبر . فإذا كان ذلك كذلك —

(١) اللّٰهُ ضياء الطبري ، هو أبو صيدة ممر بن المثنى في كتابه « مجاز القرآن » : ٢١ ، وقد نقل
أكثر كلامه الآتي بنصه .

(٢) حاشية أبي تمام : ٣ : ١٣٥ ، والمؤتلف والمختلف للامدّ : ٦٢ .

وكانَ للهَ جَلَّ ذِكره أَسْمَاءٌ قد حَرَّمَ على خَلْقِه أن يَتَسَمَّوْا بِهَا ، تَحْصُّ بِهَا نَفْسُه دُونَهُمْ ، وَذَلِكَ مِثْلُ «الله» و«الرحمن» و«الخالق» ؛ وَأَسْمَاءٌ أَبَاحَ لَهُمْ أن يُسَمِّيَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِهَا ، وَذَلِكَ : كَالرَّحِيمِ وَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ وَالْكَرِيمِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ — كَانَ الْوَاجِبُ أن تَقْدَّمَ أَسْمَاؤُه الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ دُونَ جَمِيعِ خَلْقِه ، لِيَعْرِفَ السَّامِعُ ذَلِكَ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْحَمْدُ وَالتَّعْجِيدُ ، ثُمَّ يُتَّبِعَ ذَلِكَ بِأَسْمَائِه الَّتِي قد تَسْمَى بِهَا غَيْرُه ، بَعْدَ عِلْمِ الْمُخَاطَبِ أَوِ السَّامِعِ مِنْ تَوَجُّهٍ إِلَيْهِ مَا يَتْلُو ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي . فَبَدَأَ اللهُ جَلَّ ذِكره بِاسْمِهِ الَّذِي هُوَ «الله» ، لِأَنَّ الْأَلُوْهِيَّةَ لَيْسَتْ لغيره جَلَّ ثَنَاؤُه مِنْ وَجْهِ مَنْ الرُّجُوه ، لِأَنَّ جِهَةَ التَّسْمِيَّ بِهِ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى . وَذَلِكَ أَنَا قَدْ بَيَّنَّا أن مَعْنَى «الله» تَعَالَى ذِكره مَعْنَى الْمَعْبُودِ^(١) ، وَلَا مَعْبُودَ غَيْرُهُ جَلَّ جَلَالُه ، وَأَنَّ التَّسْمِيَّ بِهِ قد حَرَّمَهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُه ، وَإِنْ قَصِدَ الْمُتَسَمِّيُّ بِهِ مَا يَقْصِدُ الْمُتَسَمِّيُّ بِسَعِيدٍ وَهُوَ شَقِيٌّ ، وَبِجَسَنٍ وَهُوَ قَبِيحٌ .

أَوَّلَا تَرَى أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُه قَالَ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ : ﴿إِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ فَاسْتَكْبَرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَقْرُوبِ ، وَقَالَ تَعَالَى فِي تَخْصُوصِهِ نَفْسَه بِاللَّهِ وَبِالرَّحْمَنِ : ﴿قُلْ ادْعُوا اللهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [سُورَةُ الْإِسْرَاءِ : ١١٠] . ثُمَّ ثَنَّى بِاسْمِهِ الَّذِي هُوَ «الرحمن» ، إِذْ كَانَ قد مَنَعَ أَيْضاً خَلْقُه التَّسْمِيَّ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ خَلْقِه مَنْ قد يَسْتَحِقُّ تَسْمِيَّتَه بِبَعْضِ مَعَانِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قد يَجُوزُ وَصْفُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ هُوَ دُونَ اللهِ مِنْ خَلْقِه ، بِبَعْضِ صِفَاتِ الرَّحْمَةِ . وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَسْتَحِقَّ بَعْضُ الْأَلُوْهِيَّةِ أَحَدٌ دُونَهُ . فَلِلَّذَلِكَ جَاءَ الرَّحْمَنُ ثَانِياً لِأَسْمِهِ الَّذِي هُوَ «الله» . وَأَمَّا اسْمُهُ الَّذِي هُوَ «الرحيم» فَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ مِمَّا هُوَ جَائِزٌ وَصْفُ غَيْرِهِ بِهِ . وَالرَّحْمَةُ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ ذِكره ، فَكَانَ — إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا — وَاقِعاً مَوَاقِعَ نَعُوتِ الْأَسْمَاءِ اللَّوَاتِي هُنَّ تَوَابِعُهَا ، بَعْدَ تَقْدِيمِ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهَا . فَهَذَا وَجْهٌ تَقْدِيمِ اسْمِ اللهِ

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : «أَنَّ مَعْنَى اللهُ هُوَ الْمَعْبُودُ» .

الذى هو « الله » ، على اسمه الذى هو « الرحمن » ، واسمه الذى هو « الرحمن » ،
على اسمه الذى هو « الرحيم » ^(١) .

وقد كان الحسنُ البصرى يقولُ فى « الرحمن » مثل ما قلنا ، أنه من أسماء الله
التي تمنع التسميَ بها العباد ^(٢) .

١٥٠ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا حماد بن مسعدة ، عن عوف ،
عن الحسن ، قال : « الرحمن » اسمٌ ممنوع ^(٣) .

مع أن فى إجماع الأمة من منع التسميَ به جميع الناس ، ما يُغنى عن الاستشهاد
على صحة ما قلنا فى ذلك بقول الحسن وغيره .

(١) هذا الاحتجاج من أجود ما قيل ، ودقته تدل على حسن نظر أبى جعفر فيما يعرض له .
وتفسيره كله شاهد على ذلك . رحة الله عليه .

(٢) غيره فى المطبوعة : « لعباده » .

(٣) الأثر ١٥٠ - نقله ابن كثير فى التفسير ١ : ٤١ - ٤٢ عن هذا الموضع . والسيوطى
فى الدر المنثور ١ : ٩ ، ونسبه للطبرى وحده . و « عوف » الراوية عن الحسن : هو عوف بن أبى جميلة
المبلى ، المعروف بابن الأعرابي ، وهو ثقة ثبت .

﴿ القول في تأويل فاتحة الكتاب ﴾

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ :

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ : الشكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه ، ودون كلِّ ما برأ من خلقه ^(١) ، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يُحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ ، في تصحيح الآلات لطاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم . فلربنا الحمدُ على ذلك كله أولاً وآخرأ .

وبما ذكرنا من تأويل قول ربنا جل ذكره وقد ست أسماؤه ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ، جاء الخبرُ عن ابن عباس وغيره : —

١٥١— حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة : ، قال : حدثنا أبو رَوَاق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد صلى الله عليهما : قل يا محمد « الحمد لله » قال ابن عباس : « الحمد لله » : هو الشكر لله ، والاستخذاء لله ، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه ، وغير ذلك ^(٢) .

(١) في المطبوعة « ما يرى » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير ١ : ٤٢ .

(٢) الحديث ١٥١ — هذا الإسناد سبق بيان ضعفه في ١٣٧ . و« محمد بن العلاء » شيخ الطبري : هو « أبو كريب » نفسه في الإسناد السابق ، مرة يسميه ومرة يكنيه . وهذا الحديث نقله ابن كثير في التفسير ١ : ٤٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ١ : ١١ ، والشوكاني في تفسيره الذي سماه فتح القدير ١ : ١٠ ، ونسبه أيضاً لابن أبي حاتم في تفسيره .

١٥٢- حدثني سعيد بن عمر السَّكُونِيُّ ، قال : حدثنا بقية بن الوليد ، قال :

حدثني عيسى بن إبراهيم ، عن موسى بن أبي حبيب ، عن الحكم بن عُمَيْرٍ - وكانت له صحبة - قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا قلت « الحمد لله رب العالمين » ، فقد شكرت الله ، فزادك ^(١) .

(١) الحديث ١٥٢ - نقله ابن كثير ١ : ٤٣ بإسناد الطبري هذا ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ١١ ونسبه الطبري والحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي « يستضعف » . وإسناده ضعيف حقاً ، بل هو إسناد لا تقوم له قائمة ، كما سنذكر : أما بقية بن الوليد ، فالحق أنه ثقة ، وإنما نعموا عليه التذليل ، ولا موضع له هنا ، فإنه صرح بالتحديث .

ولكن عيسى بن إبراهيم ، وهو القرشي الهاشمي ، كل البلاد منه في هذا الحديث ، وفي أحاديث من نحوه ، رواها بهذا الإسناد . وقد قال فيه البخاري في الضعفاء : ٢٧ : « منكر الحديث » ، وكذلك النسائي : ٢٢ . وترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٢٧١ - ٢٧٢ ، وروى عن أبيه قال : « متروك الحديث » ، وعن ابن معين : « ليس بشيء » ، وقال ابن حبان في الضعفاء ، الورقة ١٦٣ : « لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد » . وترجمته في الميزان ولسان الميزان فيها المعجب . وشيخه « موسى بن أبي حبيب » مثله : ضعيف تالف ، وقال الذهبي في الميزان : « ضعفه أبو حاتم ، وغيره ساقط . وله عن الحكم بن عُمَيْرٍ ، رجل قليل : له صحبة . والذي أراه أنه لم يلقه . وموسى سمع ضعفه - فتأخر عن لقى صحابي كبير » . فالبلاد من هذين أو من أحدهما .

حتى لقد شك بعض الحفاظ في وجود الصحابي نفسه « الحكم بن عُمَيْرٍ » ، من أجلهما ! فترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ٢ / ١٢٥ ، قال : « الحكم بن عُمَيْرٍ : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يذكر السماع ولا لقاء ، أحاديث منكورة ، من رواية ابن أخيه موسى بن أبي حبيب ، وهو شيخ ضعيف الحديث ، ويروى عن موسى بن أبي حبيب عيسى بن إبراهيم ، وهو ذاهب الحديث ، سمعت أبي يقول ذلك » .

وحق إن الذهبي أذكر صحبته وترجم له في الميزان ، وأخطأ في النقل فيه من أبي حاتم ، ذكر أنه ضعف الحكم ! وكلام أبي حاتم - كما ترى - غير ذلك . وتمتبه الحفاظ في لسان الميزان ٢ : ٢٣٧ وأثبت أنه صحابي ، بما ذكره ابن عبد البر وابن مندة وأبو نعيم والترمذي وغيرهم ، وأن الدارقطني قال : « كان يدرياً » .

وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات (ص ٥٤) في طبقة الصحابة ، وقال : « يقال إن له صحبة » . ونقل الحفاظ هذا في اللسان عن ابن حبان ، ولكن سها فزعم أنه ذكره « في ثقات التابعين » . وترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب ، رقم ٤٧٦ : باسم « الحكم بن عمرو النخعي ، وثمالة في الأزدي ، شهد بدمراً ، ورويت عنه أحاديث من أكبر من أحاديث أهل الشام ، لا تصح » . وتسمية أبيه باسم « عمرو » خطأ قديم في نسخ الاستيعاب ، لأن ابن الأثير تبعه في أصل القاطية ١ : ٢٦ ، وأشار إلى اللطاف فيه ، ثم ترجمه حل الصواب : « الحكم بن عُمَيْرٍ » ١ : ٢٧ ، وترجمه ابن سعد في الطبقات ٧ / ١٣٤ / ٢ : « الحكم بن عُمَيْرٍ النخعي ، من الأزدي ، وكان يسكن حمص » . وحقق الحفاظ ترجمته في الإصابة ٢ : ٣٠ تحقيقاً جيداً .

قال : وقد قيل : إن قول القائل « الحمد لله » ، ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنی ، وقوله : « الشكر لله » ، ثناء عليه بنعمه وأياديه .

وقد روى عن كعب الأحبار أنه قال : « الحمد لله » ، ثناء على الله . ولم يبين في الرواية عنه ، من أي معني الثناء اللذين ذكرنا ذلك .

١٥٣- حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصدقي ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : حدثني عمر بن محمد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه قال : أخبرني السلولى عن كعب ، قال : من قال « الحمد لله » ، فذلك ثناء على الله ^(١) .

١٥٤- حدثني علي بن الحسن الخراز ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الجرمي ، قال : حدثنا محمد بن مصعب القرقيساني ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن الأسود بن سريع : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس شيء أحب إليه الحمد ، من الله تعالى ، ولذلك أننى على نفسه فقال : « الحمد لله » ^(٢) .

(١) الخبر ١٥٣ - هذا الإسناد صحيح ، وسواء صح أم ضعف ، فلا قيمة له ، إذ منتهاه إلى كعب الأحبار . وما كان كلام كعب حجة قط ، في التفسير وغيره . و « الصدق » : بفتح الصاد والdal المهملتين ، نسبة إلى « الصدق » بفتح الصاد وكسر الdal ، وهى قبيلة من حير ، نزلت مصر . و « السلولى » ، هو : عبد الله بن ضمرة السلولى ، تابعى ثقة . وهذا الخبر - عن كعب - ذكره ابن كثير ١ : ٤٣ دون إسناد ولا نسبة . وذكر السيوطى ١ : ١١ ونسبه للطبرى وابن أبي حاتم .

(٢) الحديث ١٥٤ - إسناده صحيح . عل بن الحسن بن عبيويه أبو الحسن الخراز ، شيخ الطبرى : ثقة ، مترجم في تاريخ بغداد ١١ : ٣٧٤ - ٣٧٥ . و « الخراز » : ثبت في الطبرى بالخاء والراء وآخره زاي . وفي تاريخ بغداد « الخراز » بزايين ، ولم نستطع الترجيح بينهما . مسلم بن عبد الرحمن الجرمي : مترجم في لسان الميزان ٦ : ٣٢ باسم « مسلم بن أبي مسلم » فلم يذكر اسم أبيه ، وهو هو . ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ : ١٠٠ ، قال : « مسلم بن أبي مسلم الجرمي » ، وهو مسلم بن عبد الرحمن ، وقال : « كان ثقة ، فزل طرسوس ، وبها كانت وفاته » . و « الجرمي » : ربيت في أصول الطبرى ولسان الميزان « الجرمي » بدون نقط . ولكنهم لم ينصوا على ضبطه . وعادتهم في مثل هذا أن ينصوا على ضبط القليل والشاذ ، وأن يدعوا الكثير الذى يأتي على الجادة في القسبط ، والجادة في هذا الرسم « الجرمي » بالجم ، وبذلك رسم في تاريخ بغداد ، فمن هذا أو ذاك رجحناه . و « محمد بن مصعب القرقيساني » ، و « مبارك بن فضالة » : مختلفان فيهما . وقد رجحنا توثيقهما في شرح المسند : الأول في ٣٠٤٨ ، والثاني في ٥٢١ . و « الحسن » : هو البصرى ، وقد أثبتنا في شرح صحيح ابن حبان ، في الحديث ١٣٢ أنه سمع من الأسود بن سريع .

قال أبو جعفر : ولا تمنع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم^(١) -
 لقول القائل : « الحمد لله شكراً » - بالصحة . فقد تبين - إذ كان ذلك عند جميعهم
 صحيحاً - أن الحمد لله قد ينطق به في موضع الشكر ، وأن الشكر قد يوضع موضع
 الحمد . لأن ذلك لو لم يكن كذلك ، لما جاز أن يقال « الحمد لله شكراً » ، فيُخْرِج
 من قول القائل « الحمد لله » مُصَدَّرَ : « أشكرك » ، لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد ،
 كان خطأ أن يُصَدَّرَ من الحمد غير معناه وغير لفظه^(٢) .

فإن قال لنا قائل : وما وجه إدخال الألف واللام في الحمد ؟ وهلاً قيل :
 حمداً لله رب العالمين ؟

قيل : إن لدخول الألف واللام في الحمد ، معنى لا يؤديه قول القائل « حمداً »
 بإسقاط الألف واللام . وذلك أن دخولهما في الحمد مُنْبِئٌ عن أن معناه^(٣) : جميع
 المحامد والشكر الكامل لله . ولو أسقطنا منه لما دلّ إلا على أن « حمداً قائل ذلك
 لله ، دون المحامد كلها . إذ كان معنى قول القائل : « حمداً لله » أو « حمد الله » :

وقد ذكر السيوطي هذا الحديث في الدر المنثور ١ : ١٢ عن تفسير الطبري . ورواه أحمد في المسند
 بمعناه مختصراً ١٥٦٥٠ (٣ : ٤٣٥ حلي) عن روح بن عباد عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن
 الأسود بن سريع ، قال : « قلت : يا رسول الله ، ألا أنشدك محمداً حمدت به ربي ؟ قال : أما إن ربك
 يحب الحمد » . وهذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات أثبات . وذكره ابن كثير في التفسير ١ : ٤٣
 عن المسند . وكذلك ذكره السيوطي ، ونسبه أيضاً للنسائي والحاكم وغيرهما .
 ورواه أحمد أيضاً ١٥٦٥٤ ، والبخاري في الأدب المفرد : ٥١ ، بنحوه ، في قصة مطولة ، من
 رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن الأسود بن سريع .

ومعناه ثابت صحيح ، من حديث ابن مسعود ، في المسند ٤١٥٣ : « لا أحد أغير من الله ، ولذلك
 حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، ولذلك مدح نفسه » . ورواه
 أيضاً البخاري ومسلم وغيرهما .

(١) انظر ما كتبناه آنفاً : ١٢٦ عن معنى « لا تمنع » .
 (٢) تكلم العلماء في نقض ما ذهب إليه أبو جعفر من أن « الحمد والشكر » بمعنى ، وأن أحدهما
 يوضع موضع الآخر ، وهو ما ذهب إليه المبرد أيضاً . انظر القرطبي ١ : ١١٦ ، وابن كثير ١ : ٤٢ ،
 وأخطأ النقل عن القرطبي ، فظنه استدلال لصحة قول الطبري ، وهو وهم . والذي قاله الطبري أقوى حجة
 وأعرق عربية من الذين ناقضوه . وقوله « مصدر أشكر » ، وقوله « أن يصدر من الحمد » ، يعني به المفعول
 المطلق . وانظر ما مضى : ١١٧ ، تعليق : ١ .

(٣) في المطبوعة : « مبنى على أن معناه » ، أدخلوا عليه التبديل .

أحمد الله حمداً ، وليس التأويل في قول القائل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، تالياً سورة أم القرآن : أحمدُ الله ، بل التأويلُ في ذلك ما وصفنا قبلُ ، من أن جميع المحامد لله بألوهيته وإنعامه على خلقه بما أنعم عليهم به من النعم ، التي لا كِفَاء لها ٤٧/١ في الدين والدنيا ، والعاجل والآجل .

ولذلك من المعنى ، تتابعت قراءة القراء وعلماء الأمة على رفع الحمد من ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ دون نصبها ، الذي يؤدي إلى الدلالة على أن معنى تاليه كذلك : أحمد الله حمداً . ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب ، لكان عندي مُجِلاً معناه ، ومستحقاً العقوبة على قراءته إياه كذلك ، إذا تعمّد قراءته كذلك ، وهو عالم بخطئه وفساد تأويله .

فإن قال لنا قائل : وما معنى قوله « الحمد لله » ؟ أحمد الله نفسه جل ثناؤه فأنتى عليها ، ثم علمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه ؟ فإن كان ذلك كذلك ، فما وجه قوله تعالى ذكره إذا ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وهو عز ذكره معبود لا عابد ؟ أم ذلك من قبل جبريل أو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقد بطل أن يكون ذلك لله كلاماً .

قيل : بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه ، ولكنه جل ذكره حميد نفسه وأنتى عليها بما هوله أهلٌ ، ثم علم ذلك عباده ، وفرض عليهم تلاوته ، اختباراً منه لهم وابتلاءً ، فقال لهم قولوا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وقولوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . فقوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ مما علمهم جل ذكره أن يقولوه ويدعبنوا له بمعناه ، وذلك موصول بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وكأنه قال : قولوا هذا وهذا .

فإن قال : وأين قوله : « قولوا » ، فيكون تأويل ذلك ما ادّعت ؟ قيل : قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها — إذا عرفت مكان الكلمة ،

ولم تَشْكَلْ أَنْ سَامِعَهَا يَعْرِفُ ، بما أظهرت من منطقها ، ما حذف - (١) حذف ما كفى منه الظاهر من منطقها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حُذفت ، قولاً ، أو تأويل قول ، كما قال الشاعر :

وَأَعْلَمُ أَنَّنِي سَأَكُونُ رَمْسًا إِذَا سَارَ النَّوَاعِجُ لَا يَسِيرُ^(٢)
فَقَالَ السَّائِلُونَ لِمَنْ حَقَرْتُمُ ؟ فَقَالَ الْمُخْبِرُونَ لَهُمْ : وَزِيرُ^(٣)

قال أبو جعفر : يريد بذلك ، فقال المخبرون لهم : الميِّتُ وزيرٌ ، فأسقط الميِّت ، إذ كان قد أتى من الكلام بما دلّ على ذلك . وكذلك قول الآخر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكَ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّدًا مَسِيْفًا وَرُمَحًا^(٤)

وقد علم أن الرمح لا يُتَقَلَّدُ به ، وأنه إنما أراد : وحاملاً رُمَحاً ، ولكن لما كان معلوماً معناه ، اكتفى بما قد ظهر من كلامه ، عن إظهار ما حذف منه . وقد يقولون للمسافر إذا ودَّعوه : «مُصَاحِبًا مُعَافًى» ، يخذفون «سر» ، واخرج ، إذ كان معلوماً معناه ، وإن أسقط ذكره .

فكذلك ما حُذِفَ من قول الله تعالى ذكره : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ،
لَمَّا عَلِمَ بقوله جل وعزَّ ﴿إِنَّا لَنَعْبُدُ﴾ ما أراد بقوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ،

(١) سياق الكلام : « أن العرب من شأنها . . . حذف » وما بينهما فصل .
(٢) تأتي في تفسير آية سورة المؤمنين : ٨٧ (١٨ : ٣٧ بولاق) . ، ونسبهما لبعض بني عامر ، وكذلك في معاني القرآن للفراء ١ : ١٧٠ . وهما في البيان والتبيين ٣ : ١٨٤ منسوبان للوزير ، ولم أعرفه ، وفيها اختلاف في الرواية . الرمس : القبر المسوى عليه التراب . يقول : أصبح قبراً يزار أو يتناح عليه . ورواه الجاحظ : « سَاصِيرٌ مَيْتاً » ، وهي لا شيء . والنواجع جمع فاصجة : وهي الإبل السراع ، نعت في سيرها ، أي سارت في كل وجه من نشاطها . وفي البيان ومعاني الفراء « التواجع » ، وليست بشيء .
(٣) رواية الجاحظ : « فقال السائلون : من المسجي » . وفي المعاني « السائرون » .
(٤) يأتي في تفسير آيات سورة البقرة : ٧ / وسورة آل عمران : ٤٩ / وسورة المائدة : ٥٣ / وسورة الأنعام : ٩٩ / وسورة الأنفال : ١٤ / وسورة يونس : ٧١ / وسورة الرحمن : ٢٢ . وهو بيت مستشهد به في كل كتاب .

من معنى أمره عباده ، أغنت دلالة ما ظهر عليه من القول عن إبداء ما حذف .
وقد روينا الخبر الذى قدمنا ذكره مبتدأ فى تأويل قول الله^(١) : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، عن ابن عباس ، وأنه كان يقول : إن جبريل قال لمحمد : قل يا محمد :
« الحمد لله رب العالمين » ، وبيتنا أن جبريل إنما علم محمداً صلى الله عليه وسلم
ما أمير بتعليمه إياه^(٢) . وهذا الخبر يُبنى عن صحة ما قلنا فى تأويل ذلك .

• • •

القول فى تأويل قول الله ﴿ رَبِّ ﴾ .

قال أبو جعفر : قد مضى البيان عن تأويل اسم الله الذى هو « الله » ، فى
« بسم الله » ، فلا حاجة بنا إلى تكراره فى هذا الموضع .

وأما تأويل قوله ﴿ رَبِّ ﴾ ، فإن الرّب فى كلام العرب منصرف على معان .
فالسيد المطاع فيهم يدعى ربّاً ، ومن ذلك قول كبيد بن ربيعة :

وأهْلَكَنَ يوماً رَبّاً كَنَدَةً وَأَبْنَهُ وَرَبّاً مَعْدَرٍ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرَعَرٍ^(٣)

يعنى بربّ كندة : سيّد كندة . ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

تَخَبُّ إِلَى الثُّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ فِدَىكَ مَنْ رَبِّ طَرِيْقِي وَتَالِدِي^(٤) ٨/١
والرجل المصلح للشيء يُدعى ربّاً ، ومنه قول الفرزدق بن غالب :

(١) فى المطبوعة : « فى تنزيل قول الله » .

(٢) انظر ما مضى آنفاً الحديث رقم : ١٥١ .

(٣) ديوانه القصيدة : ١٥ / ٣٢ . وسيد كندة هو حجر أبو امرئ القيس . ورب معد :
حذيفة بن بدر ، كما يقول شارح ديوانه ، وأنا فى شك منه ، فإن حذيفة بن بدر قتل بالهبة . ولبيد
يذكر خبتاً وعرعراً ، وهما موضعان غيره .

(٤) ديوانه : ٨٩ ، والمخصص ٧ : ١٥٤ . الطريف والطارف : المال المستحدث ، خلاف
التليد والتالذ : وهو العتيق الذى ولد عندك

كَانُوا كَسَالَةً حَقَقَاءُ إِذْ حَقَّقْتَ سِلَآءَهَا فِي أَدِيمٍ غَيْرِ مَرْبُوبٍ^(١)
 يعنى بذلك : فى أديم غير مُصلَح . ومن ذلك قيل : إن فلاناً يَرْبُ صُنيعته
 عند فلان ؛ إذا كان يحاول إصلاحها وإدامتها ، ومن ذلك قول علقمة بن عبدة :
 فَكُنْتَ امْرَأً أَفْضَتْ إِلَيْكَ رَبَّابَتِي وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي ، فَضِغْتُ ، رُبُوبٌ^(٢)
 يعنى بقوله : « أفضت إليك » أى وصلت إليك ربَّابتي ، فصرت أنت الذى
 تُرَبُّ أمرى فتصلحه ، لما خرجتُ من ربابة غيرك من الملوك كانوا قبلك على^(٣) ،
 فضيَعُوا أمرى وتركوا تفقُّده — وهم الرُّبُوب : واحد هم رَبٌّ . والمالك للشيء يدعى
 رَبَّهُ . وقد يتصرف أيضاً معنى « الرب » فى وجوه غير ذلك ، غير أنها تعود إلى بعض
 هذه الوجوه الثلاثة .

فربنا جل ثناؤه : السيد الذى لا شبه له ، ولا مثل فى مثل سُودده ، والمصلح
 أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذى له الخلق والأمر .
 وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ رَبُّ الْمَالَمِينَ ﴾ ، جاءت الرواية
 عن ابن عباس : —

١٥٥ — حدثنا أبو كريب . قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا

- (١) ديوانه : ٢٥ . سلا السمن يسلؤه : طبخه وعالجه فأذاب زبدته . والسلاء ، بكسر السين :
 السمن . وحقق اللبن فى الوطب ، والماء فى السقاء : حبسه فيه وعبأه . رب فحى السمن يربه : دهنه بالرب ،
 وهو دبس كل ثمرة ، وكانوا يدهنون أديم النحى بالرب حتى يمتنوه ويصلحوه ، فتطيب رائحته ، ويمنع
 السمن أن يرشح ، من غير أن يفسد طعمه أو ريحه . وإذا لم يفعلوا ذلك بالنحى فسد السمن . وأديم
 مربوب : جلده قد أصلح بالرب . يقول : فعلوا فعل هذه الحماة ، ففسد ما جهدوا فى تدبيره وعمله .
- (٢) ديوانه : ٢٩ ، ويأتى فى تفسير آية سورة آل عمران : ٧٩ ، (٣ : ٢٣٣ بولاق) والمخصص
 ١٧ : ١٥٤ ، والشعر يقول للحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان ، وهو الحارث الأعرج المشهور . قال
 ابن سيدة : « ربوب : جمع رب ، أى الملوك الذين كانوا قبلك ضيعوا أمرى ، وقد صارت الآن ربابتي
 إليك — أى تدبير أمرى وإصلاحه — فهذا رب بمعنى مالك ، كأنه قال : الذين كانوا يملكون أمرى قبلك
 ضيعوه . » وقال الطبرى فيما ساق : « يعنى بقوله : ربتي : ولأمرى والقيام به قبلك من يربه ويصلحه
 فلم يصلحوه ، ولكنهم أضاعوا فضمت . » والربابة : المملكة ، وهى أيضاً الميثاق والمهد . وبها فسر
 هذا البيت ، وأيده برواية من روى بدل « ربابتي » ، « أمانتي » . والأول أجود .
- (٣) فى المطبوعة : « من الملوك الذين كانوا » ، غير وه ليوافق ما ألفوا من العبارة .

بشر بن عمار ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد : « يا محمد قل : ﴿ الحمد لله ربَّ العالمين ﴾ » ، قال ابن عباس : يقول : قل الحمد لله الذى له الخلق كله - السموات كلهن ومن فيهن ، والأرضون كلهن ومن فيهن وما بينهما ، مما يُعلم وما لا يُعلم . يقول : اعلم يا محمد أن ربك هذا لا يشبهه شيء ^(١) .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ .

قال أبو جعفر : والعالمون جمع عالم ، والعالم جمع لا واحد له من لفظه ، كالأنام والرهط والجيش ، ونحو ذلك من الأسماء التى هى موضوعات على جماع لا واحد له من لفظه .

والعالم اسم لأصناف الأمم ، وكل صنف منها عالم ، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان . فالإنس عالم ، وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان . والجن عالم ، وكذلك سائر أجناس الخلق ، كل جنس منها عالم زمانه . ولذلك جمع قليل : عالمون ، وواحد جمع ، لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان . ومن ذلك قول العجاج :

« فَخَنَدُ هَامَةُ هَذَا الْعَالَمِ » ^(٢)

فجعلهم عالم زمانه . وهذا القول الذى قلناه ، قول ابن عباس وسعيد بن جبير ، وهو معنى قول عامة المفسرين .

(١) الحديث ١٥٥ - سبق الكلام مفصلاً فى ضعف هذا الإسناد ، برقم ١٣٧ . وهذا الحديث فى ابن كثير ١ : ٤٤ ، والدر المنثور ١ : ١٣ ، والشوكانى ١ : ١١ . ونسبه الأخيران أيضاً لابن أبى حاتم . وفى المطبوع وابن كثير « والأرض ومن فيهن » .
(٢) ديوانه : ٦٠ ، وطبقات فحول الشعراء : ٦٤ ، وخندف : أم بنى إلياس بن مضر ، مدركة وطائفة ، وتشعبت منهم قواعد العرب الكبرى .

١٥٦- حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، قال : حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، الحمد لله الذي له الخلق كله : السموات والأرضون ومن فيهن ، وما بينهن ، مما يُعلم ولا يعلم ^(١) .

١٥٧- حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ رب العالمين ﴾ : الجن والإنس ^(٢) .

١٥٨- حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قول الله جل وعز ﴿ رب العالمين ﴾ ، قال : رب الجن والإنس ^(٣) .

١٥٩- حدثنا أحمد بن إسحق بن عيسى الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير : قوله : ﴿ رب العالمين ﴾ ، قال : الجن والإنس ^(٤) .

(١) الحديث ١٥٦ - هو مختصر مما قبله : ١٥٥ .

(٢) الخبر ١٥٧ - إسناده صحيح . محمد بن سنان القزاز ، شيخ الطبري : تكلّموا فيه من أجل حديث واحد . والحق أنه لا بأس به ، كما قال الدارقطني . وهو مقرب في التهذيب ، وله ترجمة جيدة في تاريخ بغداد ٥ : ٣٤٣ - ٣٤٦ . أبو عاصم : هو الثعلبي ، الضحاك بن مخلد ، الحافظ الحجة . شبيب : هو ابن بشر البجلي ، ووقع في التهذيب ٤ : ٣٠٦ « الحلبي » ، وهو خطأ مطبعي ، صوابه في التاريخ الكبير للبخاري ٢ / ٢ / ٢٣٢ / ٢٣٣ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٣٥٧ - ٣٥٨ والتقريب وغيرها ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين .

(٣) الخبر ١٥٨ - إسناده حسن على الأقل ، لأن عطاء بن السائب تغير حفظه في آخر عمره ، وقيس بن الربيع قديم ، لم يسمع منه قبل الاختلاط ، ولكن لم نكتف بذلك بدليل صريح . ووقع في هذا الإسناد خطأ في المطبوع « حدثنا مصعب » ، وصوابه من المخطوطة « حدثنا محمد بن مصعب » ، وهو للقرقيساني ، كما مضى في الإسناد ١٥٤ .

(٤) الخبر ١٥٩ - إسناده حسن كالذي قبله . وأبو أحمد الزبيري : هو محمد بن عبد الله ابن الزبير الأسدي ، من الثقات الكبار ، من شيوخ أحمد بن حنبل وغيره من الحفاظ . وقيس : هو ابن الربيع . وهذه الأخبار الثلاثة ١٥٧ - ١٥٩ ، ولفظها واحد ، ذكرها ابن كثير ١ : ٤٤ خبراً واحداً دون إسناده . وذكرها السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٣ خبراً واحداً ونسبها إلى « القرقيساني » . وعبد بن حميد ، علي بن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وصحبه ، عن ابن عباس .

- ١٦٠- حدثني أحمد بن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثني ابن أبي مریم ، عن ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبیر ، قوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، قال : ابن آدم والجن والإنس ، كل أمة منهم عالمٌ على حِدته ^(١) . ٤٩/١
- ١٦١- حدثني محمد بن حميد ، قال : حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، قال : الإنس والجن ^(٢) .
- ١٦٢- حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال حدثنا أبو أحمد الزيري ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد بمثله ^(٣) .
- ١٦٣- حدثنا بشر بن معاذ العمري ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ رب العالمين ﴾ ، قال : كل صنف عالم ^(٤) .

(١) الأثر ١٦٠ - أحمد بن عبد الرحيم البرقي : اشتهر بهذا ، منسوباً إلى جده ، وكذلك أخوه « محمد » . وهو : أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم . وقد مضت رواية الطبري عنه أيضاً برقم ٢٢ باسم « ابن البرقي » . ابن أبي مریم : هو سعيد . ابن لهيعة : هو عبد الله . عطاء بن دينار المصري : ثقة ، وثقه أحمد بن حنبل وأبو داود وغيرهما ، وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٣٣٢ وفي المراسيل : ٥٨ عن أحمد بن صالح ، قال : « عطاء بن دينار ، هو من ثقات أهل مصر ، وتفسيره - فيما يروى عن سعيد بن جبیر - صحيحة ، وليست له دلالة على أنه سمع من سعيد بن جبیر » . وروى في الجرح عن أبيه أبي حاتم ، قال : « هو صالح الحديث ، إلا أن التفسير أخذ من الديوان ، فإن عبد الملك ابن مروان كتب يسأل سعيد بن جبیر أن يكتب إليه بتفسير القرآن ، فكتب سعيد بن جبیر بهذا التفسير إليه ، فوجده عطاء بن دينار في الديوان ، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبیر » .

(٢) الأثر ١٦١ - إسناده إلى مجاهد ضعيف . لأن سفيان ، وهو الثوري ، لم يسمع من مجاهد . لأن الثوري ولد سنة ٩٧ ، ومجاهد مات سنة ١٠٠ أو بعدها بقليل ، والظاهر عندى أن هذه الرواية من أغلاط مهران بن أبي عمر ، راوياً عن الثوري . فإن رواياته عن الثوري فيها اضطراب ، كما بينا في إسناده الحديث الماضي ١١ .

وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٤٤ دون نسبة ولا إسناده . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣ : ١ ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد .

(٣) الأثر ١٦٢ - إسناده ضعيف ، لإيهام الرجل راويه عن مجاهد . وهو يدل على غلط مهران في الإسناد قبله ، إذ جعله عن الثوري عن مجاهد مباشرة ، دون واسطة .

(٤) الأثر ١٦٣ - سعيد : هو ابن أبي عروبة . وقد مضى أثر آخر عن قتادة بهذا الإسناد ١١٩ . وهذا الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٣ ، وفي نسبه هناك خطأ مطبعي : « ابن جريج » بدل « ابن جرير » . وكلام ابن جريج سيأتي ١٦٥ مروياً عنه لا راوياً .

١٦٤- حدثني أحمد بن حازم الغفاري، قال حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر، عن ربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال: الإنسان عالمٌ، والجنّ عالمٌ، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم، أو أربعة عشر ألف عالم - هو يشكّ - من الملائكة على الأرض. وللأرض أربع زوايا، في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم، وخمسمائة عالم، خلقهم لعبادته (١).

١٦٥- حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: الجن والإنس (٢).

القول في تأويل قوله ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

قال أبو جعفر: قد مضى البيان عن تأويل قوله «الرحمن الرحيم» في تأويل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

ولم نحتاج إلى الإبانة عن وجه تكرير ذلك في هذا الموضع، إذ كنا لا نرى أن «بسم الله الرحمن الرحيم» من فاتحة الكتاب - آيةٌ، فيكون علينا لسائلٍ مسألةٌ بأن يقول: ما وجه تكرير ذلك في هذا الموضع، وقد مضى وصفُ الله عز وجل به نفسه في قوله «بسم الله الرحمن الرحيم»، مع قرب مكان إحدى الآيتين من الأخرى، ومجاورتها صاحبيتها؟ بل ذلك لنا حُجة على خطأ دعوى من ادّعى أن

(١) الأثر ١٦٤ - أبو جعفر: هو الرازي القمي، وهو ثقة، تكلم فيه بعضهم، وقال ابن عبد البر: «هو عندهم ثقة، عالم بتفسير القرآن». وله ترجمة وافية في تاريخ بغداد ١١: ١٤٣ - ١٤٧. وهذا الأثر عن أبي العالية ذكره ابن كثير ١: ٤٥ والسيوطي ١: ١٣ بأطول مما هنا قليلا، ونسباه أيضاً لابن أبي حاتم، قال ابن كثير: «وهذا كلام غريب، يحتاج مثله إلى دليل صحيح». وهذا حق.

(٢) الأثر ١٦٥ - سبق الكلام على هذا الإسناد ١٤٤. وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١: ٤٤ دون نسبة ولا إسناد.

« بسم الله الرحمن الرحيم » من فاتحة الكتاب آية. إذ لو كان ذلك كذلك، لكان ذلك إعادة آية بمعنى واحد ولفظ واحد مرتين من غير فصل يفصل بينهما . وغير موجود في شيء من كتاب الله آيتان متجاورتان مكررتان بلفظ واحد ومعنى واحد، لا فصل بينهما من كلام يخالف معناه معناهما . وإنما يؤتى بتكرير آية بكما لها في السورة الواحدة ، مع فصول تفصل بين ذلك ، وكلام يعترض به بغير معنى الآيات المكررات أو غير ألفاظها ، ولا فاصل بين قول الله تبارك وتعالى اسمه « الرحمن الرحيم » من « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وقول الله : « الرحمن الرحيم » من « الحمد لله رب العالمين » .

فإن قال : فإن ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فاصل من ذلك ^(١) .

قيل : قد أنكر ذلك جماعة من أهل التأويل ، وقالوا : إن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ، وإنما هو : الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين ملك يوم الدين . واستشهدوا على صحة ما ادعوا من ذلك بقوله « ملك يوم الدين » ، فقالوا : إن قوله « ملك يوم الدين » تعليم من الله عبده ، أن يصفه بالملك في قراءة من قرأ « ملك » وبالملك في قراءة من قرأ « مالك » . قالوا : فالذي هو أولى أن يكون مجاور وصفه بالملك أو الملك ، ما كان نظير ذلك من الوصف ، وذلك هو قوله : « رب العالمين » ، الذي هو خبر عن ملكه جميع أجناس الخلق ؛ وأن يكون مجاور وصفه بالعظمة والألوهة ، ما كان له نظيراً في المعنى من الثناء عليه ، وذلك قوله : « الرحمن الرحيم » . فزعموا أن ذلك لهم دليل على أن قوله « الرحمن الرحيم » ، بمعنى التقديم قبل « رب العالمين » ، وإن كان في الظاهر مؤخراً . وقالوا : نظائر ذلك — من التقديم الذي هو بمعنى التأخير ، والمؤخر الذي هو بمعنى التقديم — في كلام العرب أفشى ، وفي منطقها أكثر ، من أن يحصى . من ذلك قول جرير بن عطية :

(١) في المطبعة : « فاصل بين ذلك » ، والذي في المخطوطة عربية جيدة .

طَافَ الْخَيَالُ — وَأَيْنَ مِنْكَ؟ — لِمَا فَارَّجِعْ لَزُورِكَ بِالسَّلَامِ سَلَامًا^(١)

بمعنى : طاف الخيال لما ، وأين هو منك ؟ وكما قال جل ثناؤه في كتابه :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَبِيمًا ﴾ ٥٠/١

[سورة الكهف : ١] بمعنى^(٢) : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قبيماً ولم يجعل

له عوجاً ، وما أشبه ذلك . ففي ذلك دليل شاهد على صحة قول من أنكر أن تكون —

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ من فاتحة الكتاب — آية^(٣) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

قال أبو جعفر : القراء مختلفون في تلاوة ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ . فبعضهم

يتلوه ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، وبعضهم يتلوه ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، وبعضهم يتلوه

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بنصب الكاف . وقد استقصينا حكاية الرواية عن رؤى عنه

في ذلك قراءة في « كتاب القراءات » ، وأخبرنا بالذي نختار من القراءة فيه ، والعلّة

الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه . ففكرنا إعادة ذلك في هذا الموضع ، إذ كان

الذي قصدنا له ، في كتابنا هذا ، البيان عن وجوه تأويل آي القرآن ، دون وجوه قراءتها .

ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب ، أن المَلِكِ من « المُلْكِ »

(١) ديوانه : ٥٤١ ، والنقاظ : ٣٨ . طاف الخيال : ألم بك في الليل ، والهام : اللقاء اليسير .

والزور : الزائر ، يقال للواحد والمثنى والجمع : زور . « فارجع لزورك » ، يقول : رد عليه السلام كما سلم عليك .

(٢) في المطبعة : « المعنى : الحمد لله . . . »

(٣) وهكذا ذهب أبو جعفر رحمه إلى أن « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية من الفاتحة ،

واحتج لقوله بما ترى . وليس هذا موضع بسط الخلاف فيه ، والدلالة على خلاف ما قال ابن جرير .

وقد حقت هذه المسئلة ، وأقمت الدلائل الصحاح — في نظري وفقهي — على أنها آية من الفاتحة — : في

شرحى لسنن الترمذى ٢ : ١٦ - ٢٥ . وفي الإشارة إليه غنية هنا . أحمد محمد شاكر .

مشتق ، وأنَّ المالك من « المِلْك » مأخوذٌ . فتأويل قراءةٍ من قرأ ذلك ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ، أن الله المِلْك يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه ، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكاً جبابرة ينازعونه الملك ، ويدافعونه الانفراداً بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية^(١) . فأيقنوا بقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغَرَةُ الأَذَلَّةُ^(٢) ، وأنَّ له — من دُونهم ، ودون غيرهم — المِلْك والكبرياء ، والعزة والبهاء ، كما قال جلَّ ذكره وتقدس اسمائه في تنزيله : ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [سورة غافر : ١٦] . فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا ، الذين صاروا يوم الدين من مُلْكهم إلى ذَلَّة وصَغَار ، ومن دُنْياهم في المعاد إلى خَسَار .

وأما تأويلُ قراءة من قرأ « مالك يوم الدين » ، فما : —

١٦٦ — حدثنا به أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس : ﴿ مَالِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ، يقول : لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه حُكماً كَمِلْكِهِمْ في الدنيا . ثم قال : ﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ [سورة النبا : ٣٨] . وقال : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ [سورة طه : ١٠٨] . وقال : ﴿ وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾^(٣) [سورة الأنبياء : ٢٨] .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية ، وأصحُّ القراءتين في التلاوة عندى ،

(١) الجبرية والجبروت واحد ، وهومن صفات الله العلى . الجبار : القاهر فوق عباده ، يقهرهم على ما أراد من أمر ونهى ، سبحانه وتعالى .

(٢) الصغرة جمع صاغر : وهو الراضى بالذل المقر به . والأذلة جمع ذليل .

(٣) الخبر ١٦٦ — سبق الكلام مفصلاً في ضعف هذا الإسناد ١٣٧ . وهذا الخبر ، مع باقيه الآتي ١٦٧ نقله ابن كثير ١ : ٤٦ دون إسناد ولا نسبة ، ونقله السيوطى ١ : ١٤ ونفسه أيضاً لابن أبي حاتم . وقال ابن كثير : « وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف . وهو ظاهر » .

التأويل الأول، وهى قراءة من قرأ ﴿مَلِكٍ﴾ بمعنى المَلِك . لأن فى الإقرار له بالانفراد بالمَلِك ، إيجاباً لانفراده بالمَلِك ، وفضيلة زيادة المَلِك على المالك^(١)، إذ كان معلوماً أن لا مَلِك إلا وهو مالكٌ، وقد يكون المالكُ لا ملكاً .

وبعد، فإن الله جلّ ذكره، قد أخبر عباده فى الآية التى قبل قوله ﴿مَلِكٍ﴾ يوم الدين ﴿أنه مالكٌ جميع العالمين ، وسيّدهم ، ومُصلِحهم ، والناظرُ لهم ، والرحيم بهم فى الدنيا والآخرة ، بقوله : ﴿الحمد لله ربّ العالمين . الرحمن الرحيم﴾ . وإذ كان جلّ ذكره قد أنبأهم عن ملكه إياهم كذلك بقوله ﴿ربّ العالمين﴾، فأولى الصفات من صفاته جلّ ذكره أن يتّبع ذلك ، ما لم يحويه قوله ﴿ربّ العالمين الرحمن الرحيم﴾ ، مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة ، إذ كانت حكمتُه الحكمة التى لا تشبهها حكمةٌ، وكان فى إعادة وصفه جلّ ذكره بأنه ﴿مالك يوم الدين﴾، إعادةٌ ما قد مضى من وصفه به فى قوله ﴿ربّ العالمين﴾، مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين . وكان فى إعادة ذلك تكرارُ ألفاظ مختلفة بمعان متفقة ، لا تفيد سامع ما كرّر منه فائدةٌ به إليها حاجة . والذى لم يحويه من صفاته جلّ ذكره ما قبل قوله «مالك يوم الدين» ، المعنى الذى فى قوله «مَلِك يوم الدين» ، وهو وصفه بأنه المَلِك .

فبيّن إذاً أن أولى القراءتين بالصواب ، وأحقّ التأويلين بالكتاب ، قراءة من قرأه ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾، بمعنى إخلاص المَلِك له يوم الدين ، دون قراءة من قرأ «مالك يوم الدين» الذى بمعنى أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء ، متفرّداً به دون سائر خلقه .

٥١/١ فإن ظنّ ظانٌ أن قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نبأ عن ملكه إياهم فى الدنيا ودون الآخرة ، يوجبُ وصلَ ذلك بالنبأ عن نفسه أنه : «مَنْ مَلِكهم فى الآخرة على نحو ملكه

(١) فى المخطوطة : « المَلِك على المَلِك » ، وهما سواء .

لإياهم في الدنيا بقوله «مالك يوم الدين» — فقد أغفل وظنَّ خطأ^(١). وذلك أنه لو جاز لظان أن يظن أن قوله ﴿رب العالمين﴾ محصورٌ بمعناه على الخبر عن ربوبية عالم الدنيا دون عالم الآخرة، مع عدم الدلالة على أن معنى ذلك كذلك في ظاهر التنزيل، أو في خبرٍ عن الرسول صلى الله عليه وسلم به منقول، أو بحجة موجودة في المعقول — بل جاز لآخر أن يظن أن ذلك محصور على عالم الزمان الذي فيه نزل قوله ﴿رب العالمين﴾، دون سائر ما يحدث بعده في الأزمنة الحادثة من العالمين. إذ كان صحيحاً بما قد قدمنا من البيان، أن عالم كل زمان غير عالم الزمان الذي بعده.

فلإن غبى — عن علم صحة ذلك بما قد قدمنا — ذوباء، فإن في قول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الحاثية: ١٦] دلالة واضحة على أن عالم كل زمان، غير عالم الزمان الذي كان قبله، وعالم الزمان الذي بعده، إذ كان الله جل ثناؤه قد فضل أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم الخالية، وأخبرهم بذلك في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية [سورة آل عمران: ١١٠]. فعلومٌ بذلك أن بني إسرائيل في عصر نبينا لم يكونوا — مع تكذيبهم به صلى الله عليه وسلم — أفضل العالمين، بل كان أفضل العالمين في ذلك العصر وبعده إلى قيام الساعة، المؤمنون به المتبوعون منهجه، دون من سواهم من الأمم المكذبة الضالة عن منهجه.

وإذ كان بيننا فساد تأويل متاويل لو تأول قوله ﴿رب العالمين﴾ أنه معنى به

(١) قوله «أغفل»، فعل لازم غير متعد. ومعناه: دخل في الغفلة والنسيان ووقع فيها، وهي عربية مرفوعة، وإن لم توجد في المعاجم، وهي كقولهم: أنجد، دخل نجداً، وأشياها. وحسبك بها عربية أنها لغة الشافعي، أكثر من استعمالها في الرسالة والأم. من ذلك قوله في الرسالة: ٤٢ رقم: ١٣٦: «وبالتقليد أغفل من أغفل منهم».

أن الله ربّ عالمي زمن نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، دون عالمي سائر الأزمنة غيره — كان واضحاً فساد قول من زعم أن تأويله : ربّ عالم الدنيا دون عالم الآخرة ، وأن « مالك يوم الدين » استحقّ الوصل به ليُعلم أنه في الآخرة من ملئهم وربوبيهم بمثل الذي كان عليه في الدنيا .

ويُسأل زاعم ذلك ، الفرق بينه وبين متحكم مثله — في تأويل قوله ﴿ رب العالمين ﴾ ، تحكّم فقال : إنه إنما عني بذلك أنه ربّ عالمي زمان محمد صلى الله عليه ، دون عالمي غيره من الأزمان الماضية قبله ، والحادثة بعده ، كالذي زعم قائل هذا القول : أنه عني به عالمي الدنيا دون عالمي الآخرة — من أصل أو دلالة^(١) . فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله .

وأما الزاعم أن تأويل قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أنه الذي يملك إقامة يوم الدين ، فإن الذي ألزمنا قائل هذا القول الذي قبله — له لازم . إذ كانت إقامة القيامة ، إنما هي إعادة الخلق الذين قد بادوا لهيئاتهم التي كانوا عليها قبل الهلاك ، في الدار التي أعدت لهم فيها ما أعدّ . وهم العالمون الذين قد أخبر جلّ ذكره عنهم أنه ربهم في قوله ﴿ رب العالمين ﴾ .

وأما تأويل ذلك في قراءة من قرأ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، فإنه أراد : يا مالك يوم الدين ، فنصّب به بنية النداء والدعاء ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ [سورة يوسف : ٢٩] بتأويل : يا يوسف أعرض عن هذا ، وكما قال الشاعر من بني أسد ، وهو شعر — فيما يقال — جاهلي :

إِنْ كُنْتَ أَزْنَفْتَنِي بِهَا كَذِبًا جَزْءٌ ، فَلَا قِيَتَ مِثْلَهَا عَجَلًا^(٢)

(١) سياق العبارة : « ويسأل زاعم ذلك ، الفرق من أصل أو دلالة » ، وما بينهما فصل .
(٢) الشعر لجاهل مخضرم هو حضرمي بن عامر الأسدي ، وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من بني أسد فأسلموا جميعاً . وسبب قوله هذا الشعر : أن إخوته كانوا تسعة ، فجلسوا على بئر فانخسفت بهم ، فورثهم ، فحصله ابن عمه جزء بن مالك بن جميع ، وقال له : من مثلك ؟ مات إخوتك فورثهم ، فأصبحت ناعماً جدلاً . وما كاد ، حتى جلس جزء وإخوته له تسعة على بئر فانخسفت بإخوته

يريد : يا جزء ، وكما قال الآخر :

كَذَّبْتُمْ وَيَتِ اللَّهُ لَا تُفْسِكُونَهَا ، بَنِي شَابَ قَرْنَاهَا تَصْرُؤُ وَتَحْلُبُ^(١)

يريد : يا بني شَابَ قَرْنَاهَا . وإنما أوردته في قراءة ذلك — بنصب الكاف من «مالك» ، على المعنى الذى وصفت — حيرته في توجيه قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وجهته ، مع جر «مالك يوم الدين» وخفضه . فظن أنه لا يصح معنى ذلك بعد جره «مالك يوم الدين» ، فنصب «مالك يوم الدين» ليكون «إياك نعبد» له خطاباً . كأنه أراد : يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين . ولو كان علم تأويل أول السورة ، وأن الحمد لله رب العالمين «٥٢/١ أمر من الله عبده بقيل ذلك — كما ذكرنا قبل من الخبر عن ابن عباس : أن جبريل قال للنبي صلى الله عليهما وسلم عن الله تعالى ذكره : قل يا محمد ، «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين» ، وقل أيضاً يا محمد : «إياك نعبد وإياك نستعين»^(٢) — وكان عَقْل^(٣) عن العرب أن من شأنها إذا حكّت أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول ، أن تخاطب ثم تخبر عن غائب ، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب ، لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب ، كقولهم للرجل : قد قلت لأخيك : لو قمت لقمْتُ ، وقد قلت لأخيك : لو قام لقمْتُ —^(٤) لسَهْل عليه مخرج ما استصعب عليه وجهته من جر «مالك يوم الدين» .

وفجأ هو ، فبلغ ذلك حضرياً فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قدراً وأبقت حقداً . معنى قوله لجزء : «فلا تحيت مثلها عبداً» . وأزنته بشيء : اتهمته به . انظر أمالي القالى ١ : ٦٧ ، والكمال ١ : ٤١ - ٤٢ وغيرهما .

(١) نسب في اللسان (قرن) وعجاز القرآن : ١٠٠ إلى رجل من بني أسد والبيت في سيبويه ١ : ٢٥٩/٢ : ٧ ، ٦٥ ، وهو شاهد مشهور . «وبني شَابَ قَرْنَاهَا» ، معنى قوماً ، يقول : بنى التى يقال لها : شَابَ قَرْنَاهَا ، أى يا بنى المجوز الرابعة ، لا هم لها إلا أن تصر ، أى تشد الصرار على الصرع حتى تنبتع الدرة ، ثم تحلب . وذلك ذم لها . والقرن : الضفيرة .

(٢) انظر : ١٥١ ، ١٥٥ .

(٣) عطف على قوله : «ولو كان علم . . .» .

(٤) جواب «لو كان علم . . .» وكان عقل .

ومن نظير «مالك يوم الدين» مجروراً ، ثم عَوَّده إلى الخطاب بـ «إياك نعبد» ،
كما ذكرنا قبل - البيت السائر من شعر أبي كبير الهذلي :
يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَبَيَاضُ وَجْهِكَ لِلتُّرَابِ الْأَعْفَرِ^(١)
فرجع إلى الخطاب بقوله «وبياض» و«وجهك» ، بعد ما قد مضى الخبر
عن خالد على معنى الخبر عن الغائب .

ومنه قول لبید بن ربيعة :

بَاتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهِشَةً وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَ^(٢)

فرجع إلى مخاطبة نفسه ، وقد تقدم الخبر عنها على وجه الخبر عن الغائب .

ومنه قول الله ، وهو أصدق قيل وأثبت حجة : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ

وَجَرَيْنَ يَمِينَ رِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [سورة يونس : ٢٢] ، فخطب ثم رجع إلى الخبر
عن الغائب ، ولم يقل : وَجَرَيْنَ بكم . والشواهد من الشعر وكلام العرب في ذلك
أكثر من أن تُحصى ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وُفق لفهمه .

فقراءة «مالك يوم الدين» محظورة غير جائزة ، لإجماع جميع الحجة من القراء
وعلماء الأمة على رفض القراءة بها .

• • •

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١٠١ . في المطبوعة : «جلدة» وهو خطأ وقوله «جلدة» يعني شبايه
الجلد . والجلدة : نقير الليل . والتراب الأعفر : الأبيض ، قل أن يطأه الناس بلذبه . وغالط : صديق
له من قومه ، يرثيه .

(٢) القسم الثاني من ديوانه : ٤٦ ، وقال ابن سلام في طبقات فحول الشعراء : ص ٥٠ وذكر
البيت ويبدأ معه ، أنهما قد رويَا عن الشعبي (ابن سعد ٦ : ١٧٨) ، وهما يحملان على لبید ، ثم قال :
«ولا اختلاف في أن هذا مصنوع تكثر به الأحاديث» ، ويستعان به على المهر عند الملوك ، والملوك
لا تستقصي . أجش بالبكاء : تهيأ له وغتقه بكاءه .

القول في تأويل قوله ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ .

قال أبو جعفر : والدين في هذا الموضع ، بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال ، كما قال كعب بن جعيل :

إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمْ وَدَنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُفْرِضُونَا^(١)
وكما قال الآخر :

وَأَعْلَمُ وَأَيُّنُ أَنْ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ مَا تَدِينُ تُدَانُ^(٢)
يعنى : ما تجزى تجازى .

ومن ذلك قول الله جل ثناؤه ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ — يعنى : بالجزاء —
﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [سورة الانفطار : ١٠، ٩] يحصون ما تعملون من الأعمال ،
وقوله تعالى ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [سورة الواقعة : ٨٦] ، يعنى غير
مجزيين بأعمالكم ولا محاسبين .

والدين معانٍ في كلام العرب ، غير معنى الحساب والجزاء ، سندكرها في
أماكنها إن شاء الله .

(١) الكامل المبرد : ١ : ١٩١ ، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم : ١ : ٥٢ ، المخصص : ١٧ : ١٥٥ .
(٢) الكامل : ١ : ١٩٢ منسوباً إلى يزيد بن الصق الكلابي ، وكذلك في جمهرة الأمثال للمسكري :
١٦٩ ، والمخصص : ١٧ : ١٥٥ ، وفي اللسان (زناً) و (دان) منسوبين إلى خويلد بن نوفل الكلابي ،
وفي الخزانة : ٢٣٠ إلى بعض الكلابيين . يقولون : إن الحارث بن أبي شمر الغساني كان إذا أعجبه امرأة
من قيس عيلان بمث إليها واغتمصها ، فأخذ بنت يزيد بن الصق الكلابي ، وكان أبوها غائباً ، فلما
قدم أخبر . فوفد إليه فوقف بين يديه وقال :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُقِيتُ ! أَمَا تَرَى
هَلْ تَسْتَطِيعُ الشَّمْسُ أَنْ تَأْتِيَ بِهَا
يَا حَارِ يَا أَيُّنُ أَنْ مُلْكَكَ زَائِلٌ
لَيْلًا وَصُبْحًا كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ ؟
لَيْلًا ؟ وَهَلْ لَكَ بِالْمَلِكِ يَدَانِ ؟
.....

وبما قلنا في تأويل قوله « يوم الدين » ، جاءت الآثار عن السلف من المفسرين ، مع تصحيح الشواهد تأويلهم الذي تأولوه في ذلك .

١٦٧- حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، قال حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله ابن عباس : ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ، قال : يوم حساب الخلائق ، وهو يوم القيامة ، يدينهم بأعمالهم ، إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشرّاً ، إلا من عفا عنه ، فالأمر أمره . ثم قال : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] (١) .

١٦٨- حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد القنّاد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر الهمداني ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدّسي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، هو يوم الحساب (٢) .

١٦٩- حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

(١) الخبر ١٦٧ - سبق تخريجه في الخبر ١٦٦ .

(٢) الخبر ١٦٨ - هذا الإسناد من أكثر الأسانيد دوراناً في تفسير الطبري ، إن لم يكن أكثرها ، فلا يكاد يخلو تفسير آية من رواية هذا الإسناد . وقد عرض الطبري نفسه في (ص ١٢١ بولاق ، سطر : ٢٨ وما بعده) ، فقال ، وقد ذكر الخبر عن ابن مسعود وابن عباس بهذا الإسناد : « فإن كان ذلك صحيحاً ، ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً . . . » . ولم يبين علة ارتيابه في إسناده ، وهو مع ارتيابه قد أكثر من الرواية به . ولكنه لم يجعلها حجة قط .

بيد أني أراه إسناداً يحتاج إلى بحث دقيق . ولأتمّة الحديث كلام فيه وفي بعض رجاله . وقد تنبعت ما قالوا وما يدعو إليه بحثه ، ما استطعت ، وبدأ لي فيه رأي ، أرجو أن يكون صواباً ، إن شاء الله . وما توفيقي إلا بالله :

أما شيخ الطبري ، وهو « موسى بن هرون الهمداني » : فما وجدت له ترجمة ، ولا ذكرأ في شيء مما بين يدي من المراجع ، إلا ما يرويه عنه الطبري أيضاً في تاريخه ، وهو أكثر من خمسين موضعاً في الجزئين الأول والثاني منه . وما بنا من حاجة إلى ترجمته من جهة الجرح والتعديل ، فإن هذا التفسير الذي يرويه عن عمرو بن حماد ، معروف عند أهل العلم بالحديث . وما هو إلا رواية كتاب ، لا رواية حديث بعينه . و« عمرو بن حماد » : هو عمرو بن حماد بن طلحة القنّاد ، وقد ينسب إلى جده ، فيقال « عمرو بن طلحة » ، وهو ثقة ، روى عنه مسلم في صحيحه ، وترجمه ابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٨٥ ، وقال :

« وكان ثقة إن شاء الله ». مات سنة ٢٢٢. وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢ / ١ / ٢٢٨ ، وروى عن أبيه ويحيى بن معين أنهما قالاه فيه : « صلوق » .

أسباط بن نصر الهمداني : يختلف فيه ، وضعفه أحمد ، وذكره ابن حبان في الثقات : ٤١٠ ، وترجمه البخاري في الكبير ١ / ٢ / ٥٣ فلم يذكر فيه جرحاً ، وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ / ٣٢٢ ، وروى عن يحيى بن معين قال : « أسباط بن نصر ثقة » . وقد رجحنا توثيقه في شرح المسند ، في الحديث ١٢٨٦ .

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي : هو السدي الكبير ، قرشي بالولاء ، مولى زينب بنت قيس بن مخزومة ، من بني عبد مناف ، كما نص على ذلك البخاري في تاريخه : الصغير : ١٤١ - ١٤٢ ، والكبير ١ / ١ / ٣٦١ ، وهو تابعي ، سمع أنساً ، كما نص على ذلك البخاري أيضاً ، وروى عن غيره من الصحابة ، وعن كثير من التابعين . وهو ثقة . أخرج له مسلم في صحيحه ، وثقه أحمد بن حنبل ، فيما روى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ / ١٨٤ ، وروى أيضاً عن أحمد ، قال : « قال يحيى بن معين يوماً عند عبد الرحمن بن مهدي : السدي ضعيف ، فغضب عبد الرحمن ، وكره ما قال » . وفي الميزان والتذهيب « أن الشعبي قيل له : إن السدي قد أعطى خطأ من علم القرآن ، فقال : قد أعطى سخطاً من جهل بالقرآن ! » . وعندي أن هذه الكلمة من الشعبي قد تكون أساساً لقول كل من تكلم في السدي بغير حق . ولذلك لم يعبأ البخاري بهذا القول من الشعبي ، ولم يروه ، بل روى في الكبير عن مسدد عن يحيى قال : « سمعت ابن أبي خالدة يقول : السدي أعلم بالقرآن من الشعبي » . وروى في تاريخه عن ابن المديني عن يحيى ، وهو القبطان ، قال : « ما رأيت أحداً يذكر السدي إلا بخير ، وما تركه أحد » . وفي التذهيب : « قال المعجل : ثقة عالم بالتفسير راوية له » . وقد رجحنا توثيقه في شرح المسند ٨٠٧ . وتوفي السدي سنة ١٢٧ .

و « السدي » : بضم السين وتشديد الدال المهملتين ، نسبة إلى « السدة » ، وهي الباب ، لأنه كان يجلس إلى سدة الجامع بالكوفة ، ويبيع بها المقانع .

أبو مالك : هو الغفاري ، واسمه غزوان . وهو تابعي كوفي ثقة . ترجمه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٠٨ ، وابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٠٦ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣ / ٢ / ٥٥ ، وروى توثيقه عن يحيى بن معين .

أبو صالح : هو مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، واسمه باذام ، ويقال باذان . وهو تابعي ثقة ، رجحنا توثيقه في شرح المسند ٢٠٣٠ ، وترجمه البخاري في الكبير ١ / ٢ / ١٤٤ ، وروى عن محمد ابن بشار ، قال : « ترك ابن مهدي حديث أبي صالح » . وكذلك روى ابن أبي حاتم في ترجمته في الجرح والتعديل ١ / ١ / ٤٣١-٤٣٢ عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدي . ولكنه روى أيضاً عن يحيى بن سعيد القبطان ، قال : « لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ ، وما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً ، ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبدالله بن عثمان » . وروى أيضاً عن يحيى بن معين ، قال : « أبو صالح مولى أم هانئ ليس به بأس ، فإذا روى عن الكلبي فليس بشيء ، وإذا روى عنه غير الكلبي فليس به بأس ، لأن الكلبي يحدث به مرة من رأيه ، ومرة عن أبي صالح ، ومرة عن أبي صالح عن ابن عباس » . يعني بهذا أن الطعن فيما يروى عنه إنما هو في رواية الكلبي ، كما هو ظاهر .

هذا عن القسم الأول من هذا الإسناد . فإنه في حقيقته إسنادان أو ثلاثة . أولهما هذا المتصل بابن عباس .

والقسم الثاني ، أو الإسناد الثاني : « وعن مرة الحمداني عن ابن مسعود » . والذي يروى عن مرة الحمداني : هو السدي نفسه .

ومرة : هو ابن شراحيل الحمداني الكوفي ، وهو تابعي ثقة ، من كبار التابعين ، ليس فيه خلاف بينهم .

والقسم الثالث ، أو الإسناد الثالث : « وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » . وهذا أيضاً من رواية السدي نفسه عن ناس من الصحابة .

فالسدي يروى هذه التفاسير لآيات من القرآن : عن اثنين من التابعين عن ابن عباس ، وعن تابعي واحد عن ابن مسعود ، ومن رواية نفسه عن ناس من الصحابة .

والعلماء الأئمة الأقدمين كلام في هذا التفسير ، بهذه الأسانيد ، قد يؤمّن أنه من تأليف من دون السدي من الرواة عنه ، إلا أني استيقنت بعد ، أنه كتاب ألفه السدي .

فن ذلك قول ابن سعد في ترجمة « عمرو بن حماد القناد » ٦ : ٢٨٥ : « صاحب تفسير أسباط ابن نصر عن السدي » . وقال في ترجمة « أسباط بن نصر » ٦ : ٢٦١ : « وكان رواية السدي ، روى عنه التفسير » . وقال قبل ذلك في ترجمة « السدي » ٦ : ٢٢٥ : « لإسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، صاحب التفسير » . وقال قبل ذلك أيضاً ، في ترجمة « أبي مالك الغفاري » ٦ : ٢٠٦ : « أبو مالك الغفاري صاحب التفسير ، وكان قليل الحديث » .

ولكن الذي يرجح أنه كتاب ألفه السدي ، جمع فيه التفسير ، بهذه الطرق الثلاث ، قول أحمد بن حنبل في التهذيب ١ : ٣١٤ ، في ترجمة السدي : « إنه ليحسن الحديث ، إلا أن هذا التفسير الذي يجه به ، قد جعل له إسناداً ، واستكلفه » . وقول الحافظ في التهذيب أيضاً ١ : ٣١٥ : « قد أخرج الطبري وابن أبي حاتم وغيرهما ، في تفاسيرهم ، تفسير السدي ، مفرقاً في السور ، من طريق أسباط ابن نصر عنه » . وقول السيوطي في الإقتان ٢ : ٢٢٤ فيما نقل عن الخليل في الإرشاد : « وتفسير إسماعيل السدي ، يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس . وروى عن السدي الأئمة ، مثل الثوري وشعبة . ولكن التفسير الذي جمعه ، رواه أسباط بن نصر . وأسباط لم يتفقوا عليه . غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي » . ثم قال السيوطي : « وتفسير السدي ، [الذي] أشار إليه ، يورده منه ابن جرير كثيراً ، من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، و [عن] ناس من الصحابة . هكذا . ولم يورده منه ابن أبي حاتم شيئاً ، لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد . والحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء ، ويصححه ، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود وناس ، فقط ، دون الطريق الأول ، وقد قال ابن كثير : إن هذا الإسناد يروى به السدي أشياء فيها غرابة » .

وأول ما نشير إليه في هذه الأقوال : التناقض بين قول الحافظ ابن حجر والسيوطي ، في أن ابن أبي حاتم أخرج تفسير السدي مفرقاً في تفسيره ، كما صنع الطبري ، في نقل الحافظ ، وأنه أعرض عنه ، في نقل السيوطي . ولست أستطيع الجزم في ذلك بشيء ، إذ لم أر تفسير ابن أبي حاتم . ولكني أميل إلى ترجيح نقل ابن حجر ، بأنه أكثر ثباتاً ودقة في النقل من السيوطي .

ثم قد صدق السيوطي فيما نقل عن الحاكم . فإنه يروى بعض هذا التفسير في المستدرک ، بإسناده ،

إلى أحمد بن نصر : «حدثنا عمرو بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، عن مرة الحمدي ، عن عبد الله بن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . ثم يصححه على شرط مسلم ، ويوافقه الذهبي في تلخيصه . من ذلك في المستدرک ٢ : ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢١ . والحاكم في ذلك على صواب ، فإن مسلماً أخرجه لجميع رجال هذا الإسناد . من عمرو بن حماد بن طلحة القناد إلى مرة الحمدي . ولم يخرج لأبي صالح باذام ولا لأبي مالك النفازي ، في القسم الأول من الإسناد الذي روى به السدي تفاسيره .

أما كلمة الإمام أحمد بن حنبل في السدي « إلا أن هذا التفسير الذي يجهى به ، قد جعل له إسناداً واستكلفه » - فإنه لا يريد بها ما قد يفهم من ظاهرها : أنه اصطنع إسناداً لا أصل له ؛ إذ لو كان ذلك ، لكان - عنده - كذاباً وضاعاً للرواية . ولكنه يريد - فيما أرى ، والله أعلم - أنه جمع هذه التفاسير ، من روايته عن هؤلاء الناس : عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة ، ثم ساقها كلها مفصلة ، على الآيات التي ورد فيها شيء من التفسير ، عن هذا أو ذاك أو أولئك ، وجعل لها كلها هذا الإسناد ، وتكلف أن يسوقها به مساقاً واحداً .

أعني : أنه جمع مفرق هذه التفاسير في كتاب واحد ، جعل له في أوله هذه الأسانيد . يريد بها أن ما رواه من التفاسير في هذا الكتاب ، لا يخرج عن هذه الأسانيد . ولا أكاد أعقل أنه يروى كل حرف من هذه التفاسير عنهم جميعاً . فهو كتاب مؤلف في التفسير ، مرجع ما فيه إلى الرواية عن هؤلاء ، في الجملة ، لا في التفصيل .

إنما الذي أوقع الناس في هذه الشبهة ، تفريق هذه التفاسير في مواضعها ، مثل صنيع الطبري بين أيدينا ، ومثل صنيع ابن أبي حاتم ، فيما نقل الحافظ ابن حجر ، ومثل صنيع الحاكم في المستدرک . فأنا أكاد أجزم أن هذا التفريق خطأ منهم ، لأنه يوم القاريء أن كل حرف من هذه التفاسير مروى بهذه الأسانيد كلها ، لأنهم يسوقونها كاملة عند كل إسناد ، والحاكم يختار منها إسناداً واحداً يذكره عند كل تفسير منها يريد روايته . وقد يكون ما رواه الحاكم - مثلاً - بالإسناد إلى ابن مسعود ، ليس مما روى السدي عن ابن مسعود نصاً . بل لعله مما رواه من تفسير ابن عباس ، أو مما رواه عن أناس من الصحابة ، روى عن كل واحد منهم شيئاً ، فأسند الجملة ، ولم يسند التفاصيل .

ولم يكن السدي ببديع في ذلك ، ولا يكون هذا جرساً فيه ولا قدساً . إنما يريد إسناد هذه التفاسير إلى الصحابة ، بعضها عن ابن عباس ، وبعضها عن ابن مسعود ، وبعضها عن غيرهما منهم . وقد صنع غيره من حفاظ الحديث وأئمنه نحواً مما صنع ، فإكان ذلك بمطمن فيهم ، بل تقبلها الحفاظ بعدهم ، وأخرجوها في دواوينهم . ويحضرني الآن من ذلك صنيع معاصره : ابن شهاب الزهري الإمام . فقد روى قصة حديث الإفك ، فقال : « أخبرني سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا . وكلهم حديث طائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوسع لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً ، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني ، وبعض حديثهم يصدق بعضاً » ، إلخ . فذكر الحديث بطوله . وهو في صحيح مسلم ٢ : ٣٣٣ - ٣٣٥ . وسياق في تفسير الطبري (١٨ : ٧١ - ٧٤ بولاق) . ورواه الإمام أحمد والبخاري في صحيحه ، كما في تفسير ابن كثير ٦ : ٦٨ - ٧٣ . ثم قال ابن كثير : « وهكذا رواه ابن إسحق عن الزهري كذلك ، قال : « وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله

معمّر، عن قتادة في قوله ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال: يوم يدين الله العباد بأعمالهم^(١).
 ١٧٠- حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، «مالك يوم الدين» قال: يوم يُدان الناس بالحساب^(٢).

• • •

القول في تأويل قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

قال أبو جعفر: وتأويل قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لك اللهم نخشع ونذل ونستكين، إقراراً لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك.
 ١٧١- كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار قال: حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: قال جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، إياك نُوحَد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك^(٣).

ابن الزبير عن أبيه عن عائشة، وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة. وإسناد ابن إسحق الأخير في الطبري أيضاً. وإسنادان كلاهما رواهما ابن إسحق عن الزهري، في السيرة (ص ٧٣١ من سيرة ابن هشام).

والمثل على ذلك كثيرة، يصير الآن تتبعها.

وقد أفادنا هذا البحث أن تفسير السلي من أوائل الكتب التي ألقت في رواية الأحاديث والآثار.

وهو من طبقة عالية، من طبقة شيوخ مالك من التابعين.

وبعد: فأما هذا الخبر بعينه، فقد رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٥٨، بالإسناد الذي أشرنا إليه، من رواية السلي عن مرة عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخبرناه». وافقه الذهبي. ونقله السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٤ عن «ابن جرير والحاكم، وصححه، عن ابن مسعود وناس من الصحابة».

(١) الأثر ١٦٩ - نقله السيوطي ١ : ١٤، ونسبه لمعد الرزاق وعبد بن حميد. وهو ظاهر في رواية الطبري هذه - أنه من مصنف عبد الرزاق. ونسبه للشوكاني ١ : ١٢ لها والطبري.

(٢) الأثر ١٧٠ - مضى الكلام على هذا الإسناد : ١٤٤. وأما لفظه فلم يذكره أحد منهم.

(٣) الخبر ١٧١ - إسناده ضعيف، بيناه في : ١٣٧. وهذا الخبر والذي بعده ١٧٢ جميعهما السيوطي ١ : ١٤، ونسبهما أيضاً لابن أبي حاتم.

وذلك من قول ابن عباس بمعنى ما قلنا . وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه بمعنى تخشع ونذل ونستكين ، دون البيان عنه بأنه بمعنى نرجو ونخاف - وإن كان الرجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة - لأن العبودية ، عند جميع العرب ، أصلها الذلة ، وأنها تسمى الطريق المذل الذي قد وطئته الأقدام ، وذلكته السابلة : معبداً . ومن ذلك قول طرفة بن العبد :

نُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ ، وَأَتَبَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبَّدٍ^(١)

يعنى بالمور : الطريق . وبالمعبد : المذل الموطوء^(٢) . ومن ذلك قيل للبعير المذل بالركوب في الحوائج : معبد . ومنه سمي العبد عبداً لذلته لمولاه . والشواهد على ذلك - من أشعار العرب وكلامها - أكثر من أن تُحصى ، وفيما ذكرناه كفاية لمن وفق لفهمه إن شاء الله تعالى .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

قال أبو جعفر : ومعنى قوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ : وإياك ربنا نستعين على عبادتنا وإياك وطاعتنا لك في أمورنا كلها - لا أحداً سواك ، إذ كان من يكفر بك يستعين في أموره معبوده الذي يعبدُه من الأوثان دونك ، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة .

١٧٢- كالذي حدثنا أبو كرييب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال :

(١) ديوان الستة الجاهليين : ٣١ . يصف ناقته . تبارى : تجارها وتسابقها . والعناق جمع عتيق : وهو الكريم المعرق في كرم الأصل . وناجيات : سرعات في السير ، من النجاء ، وهو سرعة السير . والوظيف : من رضى البعير إلى ركبتيه في يديه ، وأما في رجليه فن رضىه إلى عرقوبيه . ورضى بالوظيف هنا : الخلف .

(٢) في المخطوطة : « الموطن » ، وهو قريب المعنى .

حدثني بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحّاك ، عن عبد الله ابن عباس : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، قال : إياك نستعينُ على طاعتك وعلى أمورنا كلها ^(١) .

فإن قال قائل : وما معنى أمر الله عباده بأن يسألوه المعونة على طاعته ؟ أو جائزٌ ، وقد أمرهم بطاعته ، أن لا يعينهم عليها ؟ أم هل يقول قائل لربه : إياك نستعينُ على طاعتك ، إلا وهو على قوله ذلك مُعَانٌ ؟ وذلك هو الطاعة . فما وجهُ مسألة العبد ربّه ما قد أعطاه إياه ؟

قيل : إن تأويلَ ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه ، وإنما الداعي ربّه من المؤمنين أن يعينه على طاعته إياه ، داعٍ أن يعينه فيما بقي من عُمره على ما كُلِّفه من طاعته ، دون ما قد تَقَضَّى وَمَضَى من أعماله الصالحة فيما خلا من عمره . وجازت مسألة العبد ربّه ذلك ، لأن إعطاء الله عبده ذلك — مع تمكينه جوارحه لأداء ما كُلِّفه من طاعته ، واقترض عليه من فرائضه — فضلٌ منه جل ثناؤه تفضل به عليه ، ولُطْفٌ منه لَطَفَ له فيه . وليس في تركه التفضل على بعض عبيده بالتوفيق — مع اشتغال عبده بمعصيته ، وانصرافه عن محبته ، ولا في بسطه فضله على بعضهم ، مع لإجهاد العبد نفسه في محبته ، ومساعدته إلى طاعته — فسادٌ في تدبير ، ولا جَوْرٌ في حكم ، فيجوز أن يجهل جاهل موضع حكم الله في أمره عبده بمسألته عونه على طاعته ^(٢) .

وفي أمر الله جلّ ثناؤه عباده أن يقولوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، بمعنى مسألتهم إياه المعونة على العبادة ، أدلُّ الدليل على فساد قول القائلين بالتفويض ٥٤/١ من أهل القدر ^(٣) ، الذين أحالوا أن يأمر الله أحداً من عباده بأمرٍ ، أو يكلفه

(١) الخبر ١٧٢ — هو بالإسناد الضعيف قبله . وأشرنا إليه هناك .

(٢) في المطبوعة : « حكم الله وأمره عبده » ، وفي المخطوطة : « حكم الله أمره » بغير واو . والذي أثبتناه أصوب . والحكم : الحكمة ، كما مر مراراً .

(٣) أهل القدر : هم نفاة القدر لا مثبتوه . والقائلون بالتفويض هم القدرية والمعتزلة والإمامية .

فرض عمل ، إلا بعد إعطائه المعونة على فعله وعلى تركه . ولو كان الذى قالوا من ذلك كما قالوا ، لبطلت الرغبة إلى الله فى المعونة على طاعته . إذ كان — على قولهم ، مع وجود الأمر والنهى والتكليف — حقاً واجباً على الله للعبد إعطاؤه المعونة عليه ، سأل ذلك عبده أو ترك مسألة ذلك . بل ترك إعطائه ذلك عندهم منه جور . ولو كان الأمر فى ذلك على ما قالوا ، لكان القائل : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، إنما يسأل ربه أن لا يجوز .

وفى إجماع أهل الإسلام جميعاً — على تصويب قول القائل : « اللهم إنا نستعينك » ، وتخطئتهم قول القائل : « اللهم لا تجرّ علينا » — دليل واضح على خطأ ما قال الذين وصفت قولهم . إذ كان تأويل قول القائل عندهم : اللهم إنا نستعينك — اللهم لا تترك معونتنا التى ترككها جوراً منك .

فإن قال قائل : وكيف قيل : « إياك نعبد وإياك نستعين » ، فقدّم الخبر عن العبادة ، وأخرت مسألة المعونة عليها بعدها؟ وإنما تكون العبادة بالمعونة ، فمسألة المعونة كانت أحقّ بالتقديم قبل المعان عليه من العمل ، والعبادة بها .

قيل : لما كان معلوماً أن العبادة لا سبيل للعبد إليها إلا بمعونة من الله جلّ ثناؤه ، وكان محالاً أن يكون العبد عابداً إلا وهو على العبادة معان ، وأن يكون معاناً عليها إلا وهو لها فاعل — كان سواء تقديم ما قدم منهما على صاحبه . كما سواء قولك للرجل إذا قضى حاجتك فأحسن إليك فى قضائها : « قضيت حاجتى فأحسنست إلى » ، فقدّمت ذكر قضائه حاجتك ، أو قلت : « أحسنست إلى فقضيت حاجتى » ، فقدّمت ذكر الإحسان على ذكر قضاء الحاجة . لأنه لا يكون قاضياً حاجتك إلا وهو إليك محسن ، ولا محسناً إليك إلا وهو لحاجتك قاضٍ . فكذلك سواء قول القائل : اللهم إنا نعبدُ فاعيناً على عبادتك ، وقوله : اللهم أعنّا على عبادتك فإننا إياك نعبدُ .

يزعمون أن الأمر فوض إلى الإنسان (أى رد إليه) ، فإرادته كافية فى إيجاد فعله ، طاعة كان أو معصية ، وهو خالق لأفعاله ، والاختيار بيده .

قال أبو جعفر : وقد ظنّ بعض أهل الغفلة أنّ ذلك من المقدّم الذي معناه التأخير ، كما قال امرؤ القيس :

وَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذَنِي مَعِيشَةٍ كَفَانِي ، وَلَمْ أَطْلُبْ ، قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ (١)

يريد بذلك : كفاني قليلٌ من المال ولم أطلب كثيراً . وذلك — من معنى التقديم والتأخير ، ومن مشابهة بيت امرئ القيس — بمعزل . من أجل أنّه قد يكفيه القليلُ من المال ويطلبُ الكثيرَ ، فليس وجودُ ما يكفيه منه بموجب له ترك طلب الكثير ، فيكون نظيرَ العبادة التي بوجودها وجود المعونة عليها ، وبوجود المعونة عليها وجودها ، فيكون ذكرُ أحدهما دالاً على الآخر ، فيعتدل في صحة الكلام تقديم ما قدّم منهما قبل صاحبه ، أن يكون موضوعاً في درجته ومرتباً في مرتبته .

فإن قال : فما وجه تكراره « إياك » مع قوله : نستعين ، ، وقد تقدّم ذلك قبل « نعبد » ؟ وهلاً قيل : « إياك نعبد ونستعين » ، إذ كان المخبر عنه أنه المعبود ، هو المخبر عنه أنه المستعان ؟

قيل له : إن الكاف التي مع « إيتاً » ، هي الكاف التي كانت تنصل بالفعل — أعني بقوله « نعبد » — لو كانت مؤخّرة بعد الفعل . وهي كناية اسم المخاطب المنصوب بالفعل فكشّرت بـ « إيتاً » متقدّمةً ، إذ كانت الأسماء إذا انفردت بأنفسها لا تكون في كلام العرب على حرف واحد .

فلما كانت الكاف من « إياك » هي كناية اسم المخاطب التي كانت تكون كافاً وحدها متصلةً بالفعل إذا كانت بعد الفعل ، ثم كان حظّها أن تعاد مع كل فعل اتصلت به ، فيقال : « اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك » ، وكان ذلك أفصح في كلام العرب ، من أن يقال : « اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد » — كان كذلك ، إذا قدّمت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولةً بـ « إيتاً » ، ٥٥/١ كان الأفصح إعادتها مع كل فعل . كما كان الفصح من الكلام إعادتها مع

كل فعل ، إذا كانت بعد الفعل متصلةً به ، وإن كان تركُّ إعادتها جائزاً .
وقد ظنَّ بعضُ من لم يُنعم النظر^(١) أنَّ إعادة «إياك» مع «نستعين» ، بعد
تقدّمها في قوله «إياك نعبد» ، بمعنى قول عدى بن زيد العبادي :
وَجَاعِلَ الشَّمْسِ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَّلَا^(٢)
وَقَوْلِ أَعْشَى هَمْدَانَ :

بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٌ بَخٌّ لَوَالِدِهِ وَلِلْوَلَدِ^(٣)

وذلك من قائله جهل ، من أجل أن حظَّ «إياك» أن تكون مكررة مع كل
فعل ، لما وصفنا آنفاً من العلة ، وليس ذلكُ حكم «بين» ، لأنها لا تكون — إذ
اقتضت اثنين — إلا تكريراً إذا أعيدت ، إذ كانت لا تنفرد بالواحد . وأنها لو
أفردت بأحد الاسمين ، في حال اقتضاها اثنين ، كان الكلام كالمستحيل . وذلك
أنَّ قائلها لو قال : « الشمس قد فصلت بين النهار » ، لكان من الكلام خَطْفاً^(٤) ،
لنقصان الكلام عما به الحاجة إليه ، من تمامه الذي يقتضيه «بين» .

ولو قال القائل : « اللهم إياك نعبد » ، لكان ذلك كلاماً تاماً . فكان معلوماً
بذلك أنَّ حاجة كل كلمة — كانت نظيرة «إياك نعبد» — إلى «إياك» كحاجة

(١) في المطبوعة : « لم يمن النظر » ، بدلوها ، كما فعلوا في ص : ٥٥ ، تعليق : ٣ .
(٢) في اللسان (مصر) منسوباً إلى أمية بن أبي الصلت . واستدركه ابن بري ونسبه لعدى بن زيد .
والمصر : الحاجز والحد بين الشئين . يقول : جعل الشمس حداً وعلامة بين الليل والنهار .
(٣) ديوان الأعشى : ٣٢٣ ، والأغاني ٦ : ٤٦ ، ٦١ . وأعشى همدان هو عبد الرحمن بن عبد الله
الهمداني أبو مصعب ، كان أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر . يمدح عبد الرحمن بن الأشعث
ابن قيس الكندي ، وكان خرج على الحجاج ، فخرج معه الفقهاء والقراء ، فلما أسر الحجاج الأعشى ،
قال له : ألسن القائل : وأنته البيت — وأنت لا تبخج بعدها أبداً ! وقتله . الأشج : هو الأشعث والد
عبد الرحمن ، وقيس جده . و بَخٌّ : كلمة للتعظيم والتفخيم . وهذا البيت والذي سبقه شاهدان على صحة
تكرار «بين» ، مع غير التفسير المتصل ، ومثلهما كثير . وأهل عصرنا يخطئون من يقوله ، وهم في شرك
الخطأ .

(٤) الخلف (بفتح فسكون) : الردى من القول . يقال : هذا خلف من القول ، أي ردى . وفي
المثل : « سكت ألفاً وفضق خلفاً » ، يقال للرجل يطيل للصمت ، فإذا تكلم تكلم بالخطأ . أي سكت دهرًا
طويلاً ، ثم تكلم بخطأ . كنى بالآلف عن الزمن الطويل ، ألف ساعة مثلاً .

«تَعْبُدُ إِلَهِي»^(١) ، وَأَنْ الصَّوَابَ أَنْ تَكُونَ مَعَهَا «إِيَّاكَ» ، إِذْ كَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهَا جُمْلَةً خَيْرٍ مُبْتَدَأً ، وَبَيِّنًا حُكْمَ مُخَالَفَةِ ذَلِكَ حُكْمَ «بَيْنَ» ، فِيمَا وَفَّقَ بَيْنَهُمَا الَّذِي وَصَفْنَا قَوْلَهُ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿اهْدِنَا﴾ .

قال أبو جعفر: ومعنى قوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ، في هذا الموضع عندنا: وَفَّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَيْهِ ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : —

١٧٣ — حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ حَدَّثَنَا بَشَرُ ابْنِ عِمَارَةَ ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ جَبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : «قُلْ ، يَا مُحَمَّدُ ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» . يَقُولُ : أَهْمُنَا الطَّرِيقَ الْمَهَادَى^(٢) .

وَالْهَامَةُ إِيَّاهُ ذَلِكَ ، هُوَ تَوْفِيقُهُ لَهُ ، كَالَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِهِ . وَمَعْنَاهُ نَظِيرُ مَعْنَى قَوْلِهِ «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ، فِي أَنَّهُ مَسْأَلَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ التَّوْفِيقَ لِلثَّبَاتِ عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ ، وَإِصَابَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَا عَنْهُ ، فِيمَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ عُمرِهِ ، دُونَ مَا قَدْ مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِ ، وَتَقْضَى فِيمَا سَلَفَ مِنْ عُمرِهِ . كَمَا قَوْلُهُ «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ، مَسْأَلَةٌ مِنْهُ رَبَّهُ الْمَعُونَةَ عَلَى أَدَاءِ مَا قَدْ كَلَّفَهُ مِنْ طَاعَتِهِ ، فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمرِهِ .

فَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ : اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، مَخْلَصِينَ لَكَ الْعِبَادَةَ دُونَ مَا سِوَاكَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ ، فَأَعِزَّنَا عَلَى عِبَادَتِكَ ، وَوَفَّقْنَا لِمَا

(١) يعنى أن حاجة الأول منها كحاجة الثانية ، فلذلك وجب تكرارها . سياق العبارة : « فكان معلوماً أن حاجة كل كلمة . . . وكان معلوماً أن الصواب أن تكون معها . . . وكان بيناً . . . » إلى آخر الفقرة .

(٢) يأتي بتمامه وتخرجه برقم ١٧٩ .

وفقت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك ، من السبيل والمنهاج .
 فإن قال قائل : وأنتى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق ؟
 قيل له : ذلك في كلامها أكثر وأظهر من أن يحصى عدد ما جاء عنهم في
 ذلك من الشواهد . فمن ذلك قول الشاعر :

لَا تَحْرِمْنِي ، هَذَاكَ اللَّهُ ، مَسَالِيَّ وَلَا أَكُونَنَّ كَمَنْ أَوْدَى بِهِ السَّفَرُ^(١)
 يعنى به : وفقتك الله لقضاء حاجتى . ومنه قول الآخر :

وَلَا تُعْجِلْنِي هَذَاكَ الْمَلِيكَ ، فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا^(٢)

فعلوم أنه إنما أراد : وفقتك الله لإصابة الحق في أمرى .

ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ في غير آية
 من تنزيله . وقد علم بذلك ، أنه لم يعن أنه لا يبين للظالمين الواجب عليهم من
 فرائضه . وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه ، وقد عم بالبيان جميع المكلفين من
 خلقه ؟ ولكنه عني جل وعز أنه لا يوفقهم ، ولا يشرح للحق والإيمان صلورهم . ٥٦/١

وقد زعم بعضهم أن تأويل قوله ﴿ اِهْدِنَا ﴾ : زدنا هداية .

وليس يخلو هذا القول من أحد أمرين : إما أن يكون ظن قائله أن النبي
 صلى الله عليه وسلم أمر بمسألة ربه الزيادة في البيان ، أو الزيادة في المعونة والتوفيق .
 فإن كان ظن أنه أمر بمسألة الزيادة في البيان ، فذلك مالا وجه له . لأن الله
 جل ثناؤه لا يكلف عبداً فرضاً من فرائضه ، إلا بعد تبينه له وإقامة الحجة
 عليه به . ولو كان معنى ذلك معنى مسألته البيان ، لكان قد أمر أن يدعو ربه
 أن يبين له ما فرض عليه ، وذلك من الدعاء خلف^(٣) ، لأنه لا يفرض فرضاً إلا مبيناً

(١) لم أعرف نسبة البيت ، وأخشى أن يكون من أبيات ودقة الأسدى يقولها لمن بن زائدة . أمال

المرتضى ١ : ١٦٠ .

(٢) نسبة المفضل بن سلمة في الفاجر : ٢٥٣ ، وقال : « أول من قال ذلك طرفة بن العبد ، في
 شعر يعتذر فيه إلى عمرو بن هند » ، وليس في ديوانه ، وانظر أمثال الميداني ٢ : ١٢٥ .

(٣) أى ردى من القول . انظر ما سلف ص ١٦٥ رقم ١ .

لمن فرضه عليه. أو يكون أميراً أن يدعو ربه أن يفرض عليه الفرائض التي لم يفرضها.
وفي فساد وجه مسألة العبد ربه ذلك ، ما يوضح عن أن معنى ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ
المستقيم ﴾ ، غير معنى : بين لنا فرائضك وحدودك .

أو يكون ظناً أنه أمير بمسألة ربه الزيادة في المعونة والتوفيق . فإن كان ذلك
كذلك ، فلن تخلو مسألته تلك الزيادة من أن تكون مسألة للزيادة في المعونة
على ما قد مضى من عمله ، أو على ما يحدث . وفي ارتفاع حاجة العبد إلى المعونة
على ما قد تقضى من عمله^(١) ، ما يُعلم أن معنى مسألة تلك الزيادة إنما هو مسألته
الزيادة لما يحدث من عمله . وإذا كان ذلك كذلك ، صار الأمر إلى ما وصفنا
وقلنا في ذلك : من أنه مسألة العبد ربه التوفيق لأداء ما كُلِّفَ من فرائضه ، فيها
يستقبل من عمره .

وفي صحة ذلك ، فساد قول أهل القدر الزاعمين أن كل مأمور بأمر أو مكلف
فرضاً ، فقد أعطى من المعونة عليه ، ما قد ارتفعت معه في ذلك الفرض حاجته إلى
ربه^(٢) . لأنه لو كان الأمر على ما قالوا في ذلك ، لبطل معنى قول الله جل ثناؤه
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ * اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وفي صحة معنى ذلك ،
على ما بيننا ، فساد قولهم .

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ : أسلكنا طريق
الجنة في المعاد ، أي قدّمنا له وامض بنا إليه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى
صِرَاطِ الْجَنَّةِ ﴾ [سورة الصافات : ٢٣] ، أي أدخلوهم النار ، كما تُهدى المرأة
إلى زوجها ، يُعنى بذلك أنها تُدخل إليه ، وكما تُهدى الهدية إلى الرجل ، وكما
تُهدى الساق القدم ، نظير قول طرفة بن العبد :

(١) ارتفع الأمر : زال وذهب ، كأنه كان موضوعاً حاضراً ثم ارتفع . ومنه : ارتفع الخلاف
بينهما .

(٢) انظر ص : ١٦٢ التعليق رقم : ٢ .

لَعَبْتُ بَعْدِي السُّيُولُ بِهِ وَجَرَى فِي رَوْنَقِ رِهْمَةٍ^(١)

لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ^(٢)

أى تَرِدُ به الموارد .

وفى قول الله جل ثناؤه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ما ينبىء عن خطأ هذا التأويل ، مع شهادة الحجة من المفسرين على تخطئته . وذلك أن جميع المفسرين من الصحابة والتابعين مجمعون على أن معنى « الصراط » فى هذا الموضع ، غير المعنى الذى تأوله قائل هذا القول ، وأن قوله : « إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » مسألة العبد ربه المعونة على عبادته . فكذلك قوله « اهْدِنَا » إنما هو مسألة الثبات على الهدى فيمابقى من عمره .

والعرب تقول : هديت فلاناً الطريق ، وهديته للطريق ، وهديته إلى الطريق ، إذا أرشدته إليه وسدته له . وبكل ذلك جاء القرآن ، قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] ، وقال فى موضع آخر : ﴿ أَجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة النحل : ١٢١] ، وقال : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

وكل ذلك فاش فى منطقها ، موجود فى كلامها ، من ذلك قول الشاعر :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ، رَبِّ الْعِبَادِ ، إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ^(٣)

(١) ديوان الستة الجاهلين : ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، والبيت الأول فى فاتحة الشعر ، والأخير خاتمة . والضمير فى قوله : « لعبت » للربيع ، فى أبيات سلفت . ورونق السيف والشباب والنبات : صفاؤه وسمه وماؤه . ويرى : « فى ريق » . وريق الشباب : أوله والتماعه ونضرتة . وعنى نباتاً نضيراً كأنه يقول : فى ذى رونق ، أو فى ذى ريق . والرمم - بكسر الراء - جمع رمة : وهى المطرة الضعيفة المتتابعة ، وهى مكومة للنبات . يقول : أعشبت الأرض ، وجرى ماء السماء فى النبات يترقق . والضمير فى « رهمه » عائد على الفتى ، غائب كذكور .

(٢) يقول : حيث سار الفتى عاش بعقله وتدييره واجتهاده .

(٣) يأتى فى تفسير آية سورة آل عمران : ١٢١ ، وآية سورة القصص : ٨٨ . وسيبويه ١ :

١٧ ، والخزانة ١ : ٤٨٦ ، وهو من أبيات سيبويه الحسين التى لا يعرف قائلها . قال الشنتمرى :

يريد : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدُنْبٍ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ ﴾ [سورة غافر : ٥٥] .

ومنه قول نابغة بنى ذُبْيَان :

٥٧/١

فَيَصِيدُنَا الْعَيْرَ الْمُدْلَّ بِحُضْرِهِ قَبْلَ الْوَتَى ، وَالْأَشْعَبَ النَّبَاحاً^(١)

يريد : فيصيد لنا . وذلك كثير في أشعارهم وكلامهم ، وفيما ذكرنا منه كفاية .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

قال أبو جعفر : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن « الصراط المستقيم » ، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه . وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطّاني :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ - إِذَا أَعَوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمَ^(٢)

يريد : على طريق الحق . ومنه قول الهذلي أبي ذؤيب :

صَبَحْنَا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى تَرَكْنَاهَا أَدَقَّ مِنَ الصَّرَاطِ^(٣)

« أراد من ذنب ، فحذف الجار وأوصل الفعل فنصب . والذنب هنا اسم جنس بمعنى الجمع . فلذلك قال : « لست محصيه » . والوجه : القصد والمراد ، وهو بمعنى التوجه » .

(١) البيت ليس في ديوانه . ومن القصيدة أبيات فيه : ٢٣ ، (مطبوعة محمد جمال) ، والمجتبى لابن دريد : ٢٣ ، يصف فرساً . والدير : حمار الوحش . والحضر : العدو الشديد ، وحمار الوحش شديد العدو . والوفى : الثعب والفترة في العدو أو العمل . والأشعب : الظبي تفرق قرناه فانشعبا وبقاينا بينونة شديدة . ونبح الكلب والظبي والنيس ينبح نباحاً ، فهو نباح ، إذا كثرت صياحه ، من المرح والنشاط . والظبي إذا أسن ونبتت لقرونه شعب ، نبح (الحيوان ١ : ٣٤٩) . يصف فرسه بشدة آملو ، يلحق العير المدل بحضره ، والظبي المستحكم السريع ، فيصيدها قبل أن يناله تعب .

(٢) ديوانه : ٥٧ ، يمدح هشام بن عبد الملك . والموارد جمع مودة : وهي الطرق إلى الماء . يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم ، كما يسلكون الموارد إلى الماء .

(٣) ليس في ديوانه ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١ : ١٢٨ لعامر بن الطفيل ، وليس في ديوانه ،

ومنه قول الرازي :

« فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّرَاطِ الْقَاصِدِ ^(١) » .

والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى ، وفيما ذكرنا غنى عما تركنا .
ثم تستعيرُ العربُ « الصراط » فتستعمله في كل قولٍ وعملٍ وصِفٍ باستقامة
أو اعوجاج ، فتصفُ المستقيمَ باستقامته ، والمعوجَّ باعوجاجه .

والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندى ، أعنى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ،
أن يكون معنياً به : وَفَقْنَا لِلثَّابِتِ عَلَى مَا ارْتَضَيْتَهُ وَوَفَّقْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ
عِبَادِكَ ، من قولٍ وعملٍ ، وذلك هو الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ . لأن من وَفَّقَ لما وَفَّقَ له
من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء ، فقد وَفَّقَ للإسلام ، وتصديقِ
الرسول ، والتمسكِ بالكتاب ، والعملِ بما أمر الله به ، والالتزام بما زجره عنه ،
واتِّباعِ منهجِ النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهاجِ أبى بكر وعمر وعثمان وعلى . وكلُّ
عبدٍ لله صالحٍ ، وكل ذلك من الصراط المستقيم .

وقد اختلفت ترجمة القرآن في المعنى بالصراط المستقيم ^(٢) . يشملُ معاني
جميعهم في ذلك ، ما اخترنا من التأويل فيه .

وبما قالته في ذلك ، ما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، عن النبي
صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ، وذكر القرآن ، فقال : هو الصراط المستقيم .

١٧٤— حدثنا بذلك موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا حسين
الجعفي ، عن حمزة الزيات ، عن أبى المختار الطائي ، عن ابن أخى الحارث ، عن
الحارث ، عن على ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

فإن يكن هذلياً ، فاعلم من شمر المتنخل ، وله قصيدة في ديوان الهذليين ٢ : ١٨ - ٢٨ ، على هذه
القافية . ولعمرو بن معد يكرب أبيات مثلها رواها اللقائي في التوارد ٣ : ١٩١ .

(١) رواه القرطبي في تفسيره ١ : ١٢٨ « الصراط الواضح » .

(٢) ترجمة القرآن ، جمع ترجمان : وأراد المفسرين ، وانظر ما مضى : ٧٠ تعليق : ١

(٣) الحديث ١٧٤ - إسناده ضعيف جداً . موسى بن عبد الرحمن المسروقي : ثقة ، روى عنه

١٧٥- وَحَدَّثْتُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ، قَالَ: حَلَسْنَا مُحَمَّدَ بْنَ سَلَمَةَ،

عَنْ أَبِي سَيْنَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ الْحَارِثِ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَهُ^(١).

الترمذى، والسنائى، وابن خزيمة، وغيرهم. مات سنة ٢٥٨، مترجم فى التهذيب. حسين الجعفى: هو حسين بن على بن الوليد، ثقة معروف، روى عنه أحمد، وابن معين، وغيرهم، بل روى عنه ابن عينية وهو أكبر منه. وأخرج له أصحاب الكتب الستة. حمزة الزيات: هو حمزة بن حبيب، القارىء المعروف. وتكلم فى روايته بعضهم، والحق أنه ثقة، وأخرج له مسلم فى صحيحه. أبو المختار الطائى: قيل اسمه: سعد، وهو مجهول، جهله المدينى وأبو زرعة. ابن أخى الحارث الأعور: أشد جهالة من ذلك، لم يسم هو ولا أبوه. عمه الحارث: هو ابن عبد الله الأعور الحمدانى، وهو ضعيف جداً. وقد اختلف فيه العلماء اختلافاً كثيراً، حتى وصفه الشعبى وغيره بأنه «كان كذاباً»، وقد رجحت فى شرح الحديث ٥٦٥ وغيره من المسند أنه ضعيف جداً.

وأما متن الحديث: فقد رواه - بمناء - ابن أبى حاتم، عن الحسن بن عرفة عن يحيى بن يمان عن حمزة الزيات، بهذا الإسناد، فيما نقل ابن كثير ١: ٥٠. ووقع فيه تحريف فى الإسناد هناك. وهو جزء من حديث طويل، فى فضل القرآن - رواه الترمذى (٤: ٥١ - ٥٢ من تحفة الأحوزى)، عن عبد بن حميد عن حسين الجعفى، بهذا الإسناد. وقال الترمذى: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفى حديث الحارث مقال». كذلك رواه الدارى فى سننه ٢: ٤٣٥ عن محمد بن يزيد الرقاعى عن حسين الجعفى. ونقله السيوطى ١: ١٥ ونسبه أيضاً لابن أبى شيبة وابن الأنبارى فى المصاحف والبيهقى فى شعب الإيمان. وأشار إليه الذهبى فى الميزان ٣: ٣٨٠ فى ترجمة أبى المختار الطائى، قال: «حديث فى فضائل القرآن منكر». ونقله ابن كثير فى الفضائل ١٤: ١٥ عن الترمذى، ونقل تصنيفه إياه، ثم قال: «لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد ابن إسحق عن محمد بن كعب القرظى عن الحارث الأعور. فبرئ حمزة من عهده، على أنه وإن كان ضعيف الحديث، فإنه إمام فى القراءة. والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذب بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعد الكذب فى الحديث - فلا. وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وقد وهم بعضهم فى رفعه، وهو كلام حسن صحيح». وسيأتى ١٧٥، ١٧٦ بإسنادين آخرين، موقوفاً، من كلام على رضى الله عنه.

ورواية ابن إسحق - التى أشار إليها ابن كثير - هى حديث أحمد فى المسند: ٥٦٥. عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحق. وقد ضعفنا إسناده هناك، بالحارث الأعور، وبانقطاعه بين ابن إسحق ومحمد بن كعب. وليس فيه الحرف الذى هنا، فى تفسير «الصرط المستقيم».

(١) الحديث ١٧٥ - هو الحديث السابق بإسناد آخر. وهذا الإسناد جيد إلى الحارث الأعور، ثم يضعف به الحديث جداً، كما قلنا من قبل.

ومحمد بن سلمة: هو الباهلى الحرافى، وهو ثقة، روى عنه أحمد بن حنبل وغيره، وأخرج له مسلم فى صحيحه، مات سنة ١٩١. وشيخه أبو سنان: وهو سعيد بن سنان الشيبانى، وهو ثقة، ومن تكلم فيه إنما يكون من جهة خطئه بعض الخطأ، وقال أبو داود: «ثقة من رفقاء الناس»، وأخرج له مسلم فى الصحيح. وعمرو بن مرة: هو المرادى الجمل، ثقة مأثور بلا خلاف، قال مسمر: «عمرو

١٧٦- حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا حمزة الزيات ، عن أبي المختار الطائى ، عن ابن أخى الحارث الأعور ، عن الحارث ، عن على ، قال : الصراطُ المستقيم : كتاب الله تعالى ذكره^(١) .

١٧٧- حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا سفيان - ح - وحدثنا محمد بن حميد الرازى ، قال : حدثنا مهراّن ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي وائل ، قال : قال عبدالله : « الصراطُ المستقيم » كتابُ الله^(٢) .

١٧٨- حدثني محمود بن خديّ آشِر الطالقاني ، قال : حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، قال : حدثنا على والحسن ابنا صالح ، جميعاً ، عن عبد الله بن محمد ابن عَقِيل ، عن جابر بن عبد الله : «اهدنا الصراط المستقيم » قال : الإسلام ، قال : هو أوسع مما بين السماء والأرض^(٣) .

من معادن الصدق . وأبو البخترى - بفتح الباء الموحدة والتاء المشناة بينهما خاء معجمة ساكنة : هو سعيد بن فيروز الطائى الكوفى ، تابعى ثقة معروف .

(١) الخبر ١٧٦ - هو الحديث السابق بالإسنادين قبله ، بمعناه . ولكنه هنا موقوف على ابن أبي طالب . والإسناد إليه منهار انهيار الإسناد ١٧٤ ، من أجل الحارث الأعور وابن أخيه . أما من دونهما ، فأبو المختار الطائى وحمزة مضيا في ١٧٤ ، وأبو أحمد الزبيرى وأحمد بن إسحق مضيا في ١٥٩ .

(٢) الخبر ١٧٧ - هذا موقوف من كلام عبد الله بن مسعود . وقد رواه الطبرى بإسنادين إلى سفيان ، وهو الثورى . أما أولها : أحمد بن إسحق عن أبي أحمد الزبيرى عن سفيان الثورى - فإسناده صحيح ، لا كلام فيه . وأما ثانيهما : محمد بن حميد الرازى عن مهراّن ، وهو ابن أبي عمر العطار - فقد بينا في الإسناد ١١ أن في رواية مهراّن عن الثورى اضطراباً ، ولكنه هنا تابعه عن روايته حافظ ثقة ، هو أبو أحمد الزبيرى . وقد رواه الثورى عن منصور ، وهو ابن المعتز الكوفى ، وهو ثقة ثبت حجة ، لا يختلف فيه أحد . وأبو وائل : هو شقيق بن سلمة الأسدى ، من كبار التابعين الثقات ، قال ابن معين : « ثقة لا يسأل عن مثله » .

وهذا الخبر ، رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٥٨ من طريق عمر بن سعد أبي داود الحضرى عن الثورى ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . وذكره السيوطى ١ : ١٥ ، والشوكانى ١ : ١٣ .

(٣) الخبر ١٧٨ - وهذا موقوف على جابر بن عبد الله . وإسناده صحيح : محمود بن خدّاش بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وآخره شين معجمة - الطالقاني : ثقة من أهل الصدق ، مات يوم الأربعاء ١٤ شعبان سنة ٢٥٠ ، كافى التاريخ الصغير للبخارى : ٢٤٧ . وحيد بن عبد الرحمن الرؤاسى :

١٧٩- حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحَّاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد : قل يا محمد ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ يقول : اهدنا الطريق الهادي ، وهو دين الله الذي لا عوج له ^(١) .

١٨٠- حدثنا موسى بن سهل الرازي ، قال : حدثنا يحيى بن عوف ، عن الفُرات بن السائب ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال : ذلك الإسلام ^(٢) . ٥٨/١

١٨١- حدثني محمود بن خِدَاش ، قال : حدثنا محمد بن ربيعة الكلبي ، عن إسماعيل الأزرق ، عن أبي عمر البزار ، عن ابن الحنفية ، في قوله

فقية حائل ، روى عنه أحمد وغيره من الحفاظ . والحسن وعلي ابنا صالح بن صالح بن حبي : ثقتان ، وهما أعموان توأم . ومن تكلم في الحسن تكلم بغير حجة ، وقد وثقناه في المسند : ٢٤٠٣ . وأخاه فيه : ٢٢٠ . وعبد الله بن محمد بن حنبل بن أبي طالب ، وأمه زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب : تابعي ثقة ، ولا حجة لمن تكلم فيه .

والخبر رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٥٨ - ٢٥٩ ، من طريق أبي نعيم عن الحسن بن صالح - وحده - بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير ١ : ٥٠ ، والسيوطي ١ : ١٥ ، والشوكاني ١ : ١٣ .

(١) الحديث ١٧٩ - إسناده ضعيف ، سبق بيان ضعفه : ١٣٧ . وهذا اللفظ نقله ابن كثير ١ : ٥٠ دون إسناده ولا نسبة . ونقله السيوطي ١ : ١٤ مختصراً ، ونسبه للطبري فقط .

(٢) الخبر ١٨٠ - إسناده ضعيف جدا ، عل ما فيه من جهلنا بحال بعض رجاله : فوسى ابن سهل الرازي ، شيخ الطبري : لم نجزم بأى الرجال هو ؟ ولعله « موسى بن سهل بن قادم ، ويقال ابن موسى ، أبو عمر الرمي ، نسائي الأصل » . فهو شيخ للطبري مترجم في التهذيب ١٠ : ٣٤٧ ، ولكنه لم ينسب « رازيا » . وكتب في المخطوطة : « سهل بن موسى » ! ولم نجد هذه الترجمة أيضاً ، ونرجح أنه خطأ من الناسخ . ويحيى بن عوف : لم نجد ترجمة بهذا الاسم قط فيما لدينا من مراجع . وأما علة الإسناد ، فهو « الفرات بن السائب الجزري » ، وهو ضعيف جدا ، قال البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٣٠ : « تركه » ، منكر الحديث ، وكذلك قال الأئمة فيه ، وقال ابن حبان في المجرحين (في الورقة ١٨٧) : « كان ممن يروى الموضوعات عن الأثبات ، ويأتي بالمعضلات عن الثقات ، لا يجوز الاحتجاج به ، ولا الرواية عنه ، ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاختيار » . وأما ميمون بن مهران فتابعي ثقة معروف ، فقيه حجة .

وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٥٠ مجعلاً بلفظ « وقيل : هو الإسلام » . ونقله السيوطي ١ : ١٥ منسوباً لابن جرير فقط ، عل خطأ مطبعي فيه « ابن جريج » !

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال : هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره^(١) .

١٨٢- حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن طلحة القنّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرّة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال : هو الإسلام^(٢) .

١٨٣- حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس في قوله : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ، قال : الطريق^(٣) .

١٨٤- حدثنا عبد الله بن كثير أبو صديف الآملي ، قال : حدثنا هاشم بن القاسم ، قال : حدثنا حمزة بن المغيرة ، عن عاصم ، عن أبي العالية ، في قوله : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ، قال : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحباؤه من بعده أبو بكر وعمر . قال : فذكرتُ ذلك للحسن فقال : صدّق أبو العالية ونصح^(٤) .

(١) الأثر ١٨١ - ابن الحنفية : هو محمد بن علي بن أبي طالب ، والحنفية أمه ، وهي خولة بنت جعفر من بني حنيفة ، عرف بالنسبة إليها . وهذا الإسناد إليه ضعيف : محمد بن ربيعة الكلّاجي الرّؤاسي : ثقة من شيوخ أحمد وابن معين . وإسماعيل الأزرق : هو إسماعيل بن سلمان ، وهو ضعيف ، قال ابن معين : «ليس حديثه بشيء» ، وقال ابن نمير والنسائي : «متروك» ، وقال ابن حبان في كتاب المجرّحين (ص ٧٨ رقم ٣٥) : «ينفرد بمنّاكير يرويها عن المشاهير» . وأبو عمر البزار : هو دينار بن عمر الأسدي الكوفي الأعمى ، وهو ثقة . والأثر ذكره ابن كثير ١ : ٥١ دون نسبة ولا إسناد .

(٢) الخبر ١٨٢ - هذا من تفسير السدي ، وقد سبق شرح إسناده ١٦٨ . وقد نقله ابن كثير ١ : ٥٠ والسيوطي ١ : ١٥ .

(٣) الخبر ١٨٣ - نقله السيوطي ١ : ١٤ منسوباً للطبري وابن المنذر . وقد سبق أول هذا الإسناد : ١٤٤ ، وهو هنا منقطع ، لأن ابن جريج لم يدرك ابن عباس ، إنما يروي عن الرواة عنه .

(٤) الأثر ١٨٤ - عبد الله بن كثير أبو صديف الآملي ، شيخ الطبري : لم أعرف من هو ، ولم أجد له ذكراً ، وأخشى أن يكون فيه تحريف . هاشم بن القاسم : هو أبو النضر - بالنون والضماد

١٨٥- حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال حدثنا ابن وهب، قال : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « اهدنا الصراط المستقيم » ، قال : الإسلام ^(١) .

١٨٦- حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، أن عبد الرحمن بن جبير حدثه ، عن أبيه ، عن نؤاس بن سمعان الأنصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، والصراط : الإسلام .

١٨٧- حدثنا المثنى قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا الليث ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير ، عن أبيه ، عن نؤاس ابن سمعان الأنصاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله ^(٢) .

المعجمة - الحافظ الخراساني الإمام ، شيخ الأئمة : أحمد وابن راهويه وابن المديني وابن معين وغيرهم . حمزة بن المنيرة بن نشيط - بفتح النون وكسر الشين المعجمة - الكوفي العابد : ثقة ، مترجم في التهذيب ، وترجمه البخاري في الكبير ٤٤/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٢/١ - ٢١٤ - ٢١٥ ، وذكره ابن حبان في الثقات ٤٤٣ ، قال : « حمزة بن المنيرة العابد ، من أهل الكوفة . يروى عن عاصم الأحول عن أبي العالية (اهدنا الصراط المستقيم) ، قال : هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه . روى عنه أبو النضر هاشم بن القاسم » . ووقع هنا : في الأصول « حمزة بن أبي المنيرة » . وهو خطأ من النسخين . عاصم : هو ابن سليمان الأحول ، تابعي ثقة ثبت . أبو العالية : هو الرياحي - بكسر الراء وتخفيف الياء ، واسمه : رفيع - بالتصغير - بن مهران ، من كبار التابعين الثقات ، مجمع على توثيقه .

وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٥١ ونسبه أيضاً لابن أبي حاتم . والسيوطي ١ : ١٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن عدي وابن عساكر . وأبو العالية لم يقله من قبل نفسه : فقد رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٥٩ من طريق أبي النضر بهذا الإسناد إلى « أبي العالية عن ابن عباس » . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي . واختصره السيوطي ونسبه للحاكم فقط .

(١) الأثر ١٨٥ - هذا من كلام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقد نقله ابن كثير ١ : ٥١ دون نسبة . وعبد الرحمن بن زيد : متأخر ، من أتباع التابعين ، مات سنة ١٨٢ . وهو ضعيف جدا ، يثبت ضعفه في حديث المسند : ٥٧٢٣ ، ويكنى منه قول ابن خزيمة : « ليس هو بمن يحتاج أهل العلم بحديثه ، لسوء حفظه ، وهو رجل صناعته العبادة والتشف ، ليس من أحلاس الحديث » .

(٢) الحديث ١٨٦ ، ١٨٧ - رواه الطبري عن شيخه « المثنى » بإسنادين ، أولها أحسن من الثاني درجة : بين المثنى وبين معاوية بن صالح في أولها شيخ واحد ، وفي ثانيهما شيخان .

أما المثنى شيخ الطبري : فهو المثنى بن إبراهيم الآمل ، يروى عنه الطبري كثيراً في التفسير والتاريخ . وأبو صالح ، في الإسناد الأول : هو عبد الله بن صالح المصري ، كاتب الليث بن سعد ، صحبه عشرين سنة . وهو ثقة ، ومن تكلم فيه ، في بعض حديثه عن الليث ، تكلم بغير حجة . وله ترجمة في

قال أبو جعفر : وإنما وصفه الله بالاستقامة ، لأنه صواب لا خطأ فيه . وقد زعم بعض أهل الغباء ، أنه سماه الله مستقيماً ، لاستقامته بأهله إلى الجنة . وذلك تأويل لتأويل جميع أهل التفسير خلاف ، وكفى بإجماع جميعهم على خلافه دليلاً على خطئه .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

وقوله ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، إبانة عن الصراط المستقيم ، أي الصراط هو ؟ إذ كان كل طريق من طرق الحق صراطاً مستقيماً . فقليل لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : اهدنا ياربنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك ، من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين . وذلك نظير ما قال ربنا جل ثناؤه في تنزيله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا وَإِذْ أَلَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ

التهديب جيدة ، وكذلك في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/٢ - ٨٦ - ٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٣٥١ - ٣٥٣ . ولد عبد الله بن صالح سنة ١٣٧ ومات سنة ٢٢٢ . ووقع تاريخ مولده في التهديب (١٧٣) وهو خطأ مطبعي ، صوابه في تذكرة الحفاظ . وآدم المسقلاني ، في الإسناد الثاني : هو آدم ابن أبي إياس ، وهو ثقة مأمون متعبد ، من خيار عباد الله ، كما قال أبو حاتم . الليث : هو ابن سعد ، إمام أهل مصر . معاوية بن صالح ، في الإسنادين : هو الحمصي ، أحد الأعلام وقاضى الأندلس ، ثقة ، من تكلم فيه أخطأ . عبد الرحمن بن جبير بن نفير - بالتصغير فيهما - الحمصري الحمصي : تابعي ثقة . وأبوه : من كبار التابعين ، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم . وهو ثقة مشهور بالعلم ، وذكره الطبري في طبقات الفقهاء . الثواس - بفتح التون وتشديد الواو - بن سمان الكلبي : صحابي معروف . وهذا الحديث مختصر من حديث طويل ، رواه أحمد في المسند : ١٧٧١١ (ج ٤ ص ١٨٢ - ١٨٣) عن الحسن بن سوار عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح ، به . ونقله ابن كثير ١ : ٥١ من رواية المسند ، قال : « وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد ، به . ورواه الترمذي والنسائي جميعاً عن علي بن حجر عن يقية عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن الثواس بن سمان ، به . وهو إسناده حسن صحيح » . ونسبه السيوطي ١ : ١٥ ، والشوكاني ١ : ١٣ أيضاً للحاكم ومصححه ، ولغيره .

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا • وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴿ [سورة النساء : ٦٦ - ٦٩] •

قال أبو جعفر : فالذي أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمرته أن يسألوا ربهم من الهداية للطريق المستقيم ، هي الهداية للطريق الذي وصف الله جل ثناؤه صفته . وذلك الطريق ، هو طريق الذين وصفهم الله بما وصفهم به في تنزيله ، ووعد من سلكه فاستقام فيه طائعا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، أن يُورده مواردهم ، والله لا يخلف الميعاد .

وبنحو ما قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس وغيره : —

١٨٨ — حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، قال : حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « صراط الذين أنعمت عليهم » يقول : طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، الذين أطاعوك وعبدوك^(١) .
 ١٨٩ — حدثني أحمد بن حازم الغفاري ، قال : أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي جعفر ، عن ربيع : « صراط الذين أنعمت عليهم » ، قال : النبيون^(٢) .
 ١٩٠ — حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : « أنعمت عليهم » قال : المؤمنين^(٣) .
 ١٩١ — حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : قال وكيع : « أنعمت عليهم » ، المسلمين^(٤) .

(١) الخبر ١٨٨ — ضعف هذا الإسناد مفصل في : ١٣٧ . وهذا الخبر نقله ابن كثير : ١ : ٥٢ . وانظر أيضاً : ١٧٩ .
 (٢) الأثر ١٨٩ — ربيع : هو ابن أنس البكري . وسبق شرح هذا الإسناد إليه : ١٦٤ . والأثر نقله ابن كثير : ١ : ٥٣ ، والسيوطي : ١ : ١٦ .
 (٣) الخبر ١٩٠ — هذا كالخبر ١٨٣ منقطع بين ابن جريج وابن عباس . وقد نقله ابن كثير : ١ : ٥٣ ، والسيوطي : ١ : ١٦ ، ولكن وقع فيه « ابن حميد » بدل « ابن جريج » .
 (٤) الأثر ١٩١ — وهذا نقله ابن كثير أيضاً : ١ : ٥٣ .

١٩٢- حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد في قول الله « صراط الذين أنعمت عليهم » ، قال : النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ^(١) .

قال أبو جعفر : وفي هذه الآية دليل واضح على أن طاعة الله جل ثناؤه ، لا ينالها المطيعون إلا بإنعام الله بها عليهم ، وتوفيقه إياهم لها . أو لا يسمعون به يقول : « صراط الذين أنعمت عليهم » ، فأضاف كل ما كان منهم من امتداء وطاعة وعبادة إلى أنه إنعام منه عليهم ؟

فإن قال قائل : وأين تمام هذا الخبر ؟ وقد علمت أن قول القائل لآخر : « أنعمت عليك » مقتضى الخبر عما أنعم به عليه ، فأين ذلك الخبر في قوله « صراط الذين أنعمت عليهم » ؟ وما تلك النعمة التي أنعمها عليهم ؟

قيل له : قد قدمنا البيان - فيما مضى من كتابنا هذا - عن اجتراء العرب في منطقتها ببعض من بعض ، إذا كان البعض الظاهر دالاً على البعض الباطن وكافياً منه . فقوله « صراط الذين أنعمت عليهم » من ذلك . لأن أمر الله جل ثناؤه عباده بمسألته المعونة ، وطلبهم منه الهداية للصراط المستقيم ، لما كان مقتضاه قوله « صراط الذين أنعمت عليهم » ، الذي هو إبانة عن الصراط المستقيم وإبدال منه - كان معلوماً أن النعمة التي أنعم الله بها على من أمرنا بمسألته الهداية لطريقهم ، هو المنهاج القويم والصراط المستقيم ، الذي قد قدمنا البيان عن تأويله آنفاً . فكان ظاهراً ما ظهر من ذلك - مع قرب تجاور الكلمتين - مغنياً عن تكراره .

كما قال نابغة بني ذبيان :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقِيشٍ يُقَعِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بَشَنٌ ^(٢)

(١) الأثر ١٩٢ - مضى هذا الإستاد : ١٨٥ . وأما نص الأثر ، فهو عند ابن كثير ١ : ٥٣ . وقال بعد هذه الروايات : « والتفسير المتقدم عن ابن عباس أعم وأشمل » . يعني الخبر ١٨٨ .

(٢) ديوانه : ٥٨ ، سيبويه ١ : ٣٧٥ ، مجاز القرآن : ١٠١ الخزانة ٢ : ٣١٤ ، وهذا الشعر يقولُه النابغة لغيثة بن حصن الفزاري . بنو أقيش : هم بنو أقيش بن منقر بن عبدة . وقيل :

يريد : كأنك من جمال أقيش ، جملٌ يُقَمِّعُ خلف رجله بشنّ ، فاكثري بما ظهر من ذكر « الجمال » الدال على المحذوف ، من إظهار ما حذف .
وكما قال الفرزدق بن غالب :

تَرَى أَرْبَاقَهُمْ مُتَقَلِّدِيهَا إِذَا صَدَى الْحَدِيدُ عَلَى الْكِمَاةِ^(١)

يريد : متقلديها هم ، فحذف « هم » ، إذ كان الظاهر من قوله أرباقهم ، دالاً عليها . والشواهد على ذلك من شعر العرب وكلامها أكثر من أن تحصى .
فكذلك ذلك في قوله « صراط الذين أنعمت عليهم » .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفر : والقراءةُ مجعدةٌ على قراءة « غير » بجر الراء منها^(٢) .
والخفصُ يأتيها من وجهين :

أحدهما : أن يكون « غير » صفة لـ « الذين » ونعتاً لهم فتحذفها . إذ كان « الذين » خفصاً . وهي لم نعتٌ وصفةٌ . وإنما جاز أن يكون « غير » نعتاً لـ « الذين » ، و « الذين » ، معرفة و « غير » نكرة ، لأن « الذين » بصلتها ليست بالمعرفة الموقفة كالأسماء

فخذ من أشجع . وقيل : حمى من اليمن في إبلهم نفار شديد . وقيل : هم حمى من الجن يزعمون . وقمّع : حرك شيئاً يابساً فتسمع له صوت . والشن : القرية البالية . يصف عيينة بالجن والخور وشدة الفزع ، كأنه جمل شديد النفار ، إذا سمع صوت شن يقمّع به .

(١) ديوانه : ١٣١ والنقاظ : ٧٧٣ ، ويأتي في تفسير آية سورة الشعراء : ٤ (١٩ : ٣٨ بولاق) ، وهو هناك « عل الكتاب » ، وهو خطأ . يهجو جريراً وقومه بنى كليب بن يربوع . الأرباق : جمع ربق ، والربق جمع ربة : وهو الحبل تشد به الغنم الصغار لئلا تترفع . وتقادد السيف : وضع نجاهه على منكبيه . والكاة : جمع كى : وهو البطل الشديد البأس . يصف بنى كليب بأنهم رعاء أخساء بخلاء ، لا هم لهم إلا رعية الغنم ، والأبطل في الحرب يصلون حرها الأيام الطوال حتى يصدأ حديد الدروع على أبدانهم من العرق .

(٢) في المطبوعة « والقراء مجعدة » ، والقراءة : جمع قارئ . انظر ما مضى : ٥١ في التعليق ، و ٦٤ تعليق : ٤ و : ١٠٩ تعليق : ١ .

التي هي أمارات بين الناس، مثل زيد وعمرو وما أشبه ذلك^(١)، وإنما هي كالتكررات المجهولات، مثل الرجل والبعر وما أشبه ذلك. فلما كان «الذين» كذلك صفتها، وكانت «غير» مضافة إلى مجهول من الأسماء، نظير «الذين»، في أنه معرفة غير موقته، كما «الذين» معرفة غير موقته - جاز من أجل ذلك أن يكون «غير» المغضوب عليهم «نعماً لـ» الذين أنعمت عليهم كما يقال: «لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل»، يراد: لا أجلس إلا إلى من يعلم، لا إلى من يجهل. ولو كان «الذين أنعمت عليهم» معرفة موقته، كان غير جائز أن يكون «غير» المغضوب عليهم «لها نعماً». وذلك أنه خطأ في كلام العرب - إذا وصفت معرفة ٦٠/١ موقته بنكرة - أن تلزم نعتها النكرة لإعراب المعرفة المنعوت بها، لإعلى نية تكرير ما أعرب المنعوت بها. خطأ في كلامهم أن يقال: «مررت بعبد الله غير العالم»، فتخفص «غير»، إلا على نية تكرير الباء التي أعربت عبد الله. فكان معنى ذلك لو قيل كذلك: «مررت بعبد الله»، مررت بغير العالم. فهذا أحد وجهي الخفص في «غير المغضوب عليهم».

والوجه الآخر من وجهي الخفص فيها: أن يكون «الذين» بمعنى المعرفة الموقته. وإذا وجه إلى ذلك، كانت «غير» مخفوضة بنية تكرير «الصراط» الذي خفص «الذين» عليها، فكأنك قلت: صراط الذين أنعمت عليهم، صراط غير المغضوب عليهم. وهذان التأويلان في «غير المغضوب عليهم»، وإن اختلفا في اختلاف معربيهما، فإنهما يتقارب معناهما. من أجل أن «من أنعم الله عليه فهداه لدينه الحق»، فقد سلم من غضبه، ونجا من الضلال في دينه. فسواء - إذا كان - «له» الهدى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت

(١) يعنى بقوله «المعرفة الموقته» المعرفة المحددة، وهو العلم الشخصى الذى يعين مساه تمييزاً مطلقاً غير مفيد. فقوله «زيد» يعين - تمييزاً مطلقاً أو محدداً. والمعرف بالآلف واللام إنما يعين مساه ما دامت فيه «أل»، فإذا فارقت فار تمييز. وانظر مدانى القراء ١: ٧.

عليهم « غير جائر » أن يرتاب ، مع سماعه ذلك من تاليه ، في أن الذين أنعم الله عليهم بالهداية للصراط غير غاضب رُبهم عليهم ، مع النعمة التي قد عظمت مِنِّته بها عليهم في دينهم ؛ ولا أن يكونوا ضلّالاً وقد هداهم الحق رُبهم . إذ كان مستحيلاً في فِطْرِهِم اجتماع الرضى من الله جل ثناؤه عن شخص والغضب عليه في حال واحدة ، واجتماع الهدى والضلال له في وقت واحد — أو صِف (١) القوم ؛ مع وصَف الله إياهم بما وصفهم به من توفيقه إياهم وهدايته لهم ، وإنعامه عليهم بما أنعم الله به عليهم في دينهم ، بأنهم غير مغضوب عليهم ولا هم ضالّون ؛ أم لم يوصفوا بذلك . لأن الصِّفة الظاهرة التي وُصفوا بها ، قد أنبأت عنهم أنهم كذلك ، وإن لم يصرّح وصفهم به .

هذا، إذا وجهنا « غير » إلى أنها مخفوضة على نية تكرير « الصراط » المخافض « الذين » ، ولم نجعل « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » من صفة « الذين أنعمت عليهم » ، بل إذا جعلناهم غيرهم . وإن كان الفريقان لا شك مُنْعَمًا عليهما في أدبيانهما .

فأما إذا وجهنا « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » إلى أنها من نعت « الذين أنعمت عليهم » . فلا حاجة بسماعه إلى الاستدلال ، إذ كان الصريح من معناه قد أغنى عن الدليل .

وقد يجوز نصب « غير » في « غير المغضوب عليهم » ، وإن كنت للقراءة بها كارهاً لشذوذها عن قراءة القرّاء . وإنّ ما شذ من القراءات عما جاءت به الأمة نقلاً ظاهراً مستفيضاً ، فرأى للحق مخالف . وعن سبيل الله وسبيل رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل المسلمين متجانف . وإن كان له — لو كان جائزاً القراءة به (٢) — في الصواب مخرج .

(١) سياق العبارة : « سواء . . . أوصف القوم . . . أم لم يوصفوا » ، وما بين هذين فصل طويل كدأب أبي جعفر في بيانه .

(٢) في المطبوعة : « لو كانت القراءة جائزة به » ، بدلوه ليوافق عبارتهم ، دون عبارة الطبرى .

وتأويل وجه صوابه إذا نصبت: أن يوجه إلى أن يكون صفةً للهاء والميم اللتين في « عليهم »، العائدة على « الذين ». لأنها وإن كانت مخفوضة بـ « على » فهي في محل نصب بقوله « أنعمت ». فكان تأويل الكلام — إذا نصبت « غير » التي مع المفعول عليهم — : صراط الذين هدّيتهم إنعاماً منك عليهم ، غير مفعول عليهم ، أي لا مغضوباً عليهم ولا ضالين . فيكون النصب في ذلك حينئذ ، كالنصب في « غير » في قولك : مررت بعبد الله غير الكريم ولا الرشيد ، فتقطع « غير الكريم » من « عبد الله » ، إذ كان « عبد الله » معرفة موقنة ، و « غير الكريم » نكرة مجهولة . وقد كان بعض نحويي البصريين يزعم أن قراءة مَنْ نصب « غير » في « غير المفعول عليهم » ، على وجه استثناء « غير المفعول عليهم » من معاني صفة « الذين أنعمت عليهم » ، كأنه كان يرى أن معنى الذين قرأوا ذلك نصباً : اهتدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، إلا المفعول عليهم — الذين لم تُنعم عليهم في أديانهم ولم تهتدهم للحق — فلا تجعلنا منهم . وكما قال نابغة بنى ذبيان :

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلاً أَسْأَلُهَا عَيْتَ جَوَابَا ، وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ ^(١) ١١/١
إِلَّا أَوَارِي لَأَيَا مَا أَثْبِنُهَا وَالتَّوْثِي كَالْحَوْضِ بِالْمُظْلَمَةِ الْجَلْدِ ^(٢)

(١) ديوانه : ٢٣ ، ويأتى في تفسير آية البقرة : ٣٥ (١ : ١٨٦ بولاق) ، وآية النساء : ١١٤ (٥ : ١٧٨) ، وآية يونس : ٩٨ (١١ : ١١٧) وآية سورة الليل : ٢٠ (٣٠ : ١٤٦) . يقال : لقيته أصيلاً وأصيلاً ، إذا لقيته بالعشى . وذلك أن الأصل هو العشى ، وجمعه أصل (بضمين) وأصلان (بضم فسكون) ، ثم صفروا الجمع فقالوا : أصيلاً ، ثم أبدلوا من النون لاماً . فلبوا ذلك اقتداراً على عربيتهم ، ولكنة استمالهم له حتى قل من يجهل أصله ومعناه . وعى في منطقته : عجز عن الكلام .

(٢) أوارى جمع آرى (مشدد الياء) : وهو محبس الدابة ومأواها ومربطها ، من قولهم : تأرى بالمكان أقام وتحبس . ولأيا : بعد جهد ومشقة وإيطاء . والتوى : حفرة حول الخباء تعل جوانبها بالتراب ، فتحجز الماء لا يدخل الخباء ، والمظلومة : يعنى أرضاً مروا بها في برية فتحوضوا حوضاً سقوا فيه إبلهم ، وليس بموضع تحريض لبعدها عن مواطن السابلة . فلذلك سماها مظلومة ، والظلم : وضع الشيء في غير موضعه . والجلد : الأرض الصلبة ، يعنى أنها لا تنبت شيئاً فلا يرعها أحد .

والأواري معلوم أنها ليست من عداد «أحد» في شيء. فكذلك عنده ، استثنى «غير المغضوب عليهم» من «الذين أنعمت عليهم» ، وإن لم يكونوا من معانيم في الدين في شيء .

وأما نحويو الكوفيين ، فأنكروا هذا التأويل واستخفوه^(١) . وزعموا أن ذلك لو كان كما قاله الزاعم من أهل البصرة ، لكان خطأ أن يقال «ولا الضالين» ، لأن «لا» نقي وجحد ، ولا يعطف بجحد إلا على جحد . وقالوا : لم نجد في شيء من كلام العرب استثناء يعطف عليه بجحد ، وإنما وجدناهم يعطفون على الاستثناء بالاستثناء وبالجحد على الجحد ، فيقولون في الاستثناء : قام القوم إلا أخاك وإلا أباك . وفي الجحد : ما قام أخوك ولا أبوك . وأما : قام القوم إلا أباك ولا أخاك . فلم نجده في كلام العرب . قالوا : فلما كان ذلك معدوماً من كلام العرب ، وكان القرآن بأفصح لسان العرب نزلؤه ، علمنا — إذ كان قوله «ولا الضالين» معطوفاً على قوله «غير المغضوب عليهم» — أن «غير» بمعنى الجحد لا بمعنى الاستثناء ، وأن تأويل من وجهها إلى الاستثناء خطأ .

فهذه أوجه تأويل «غير المغضوب عليهم» ، باختلاف أرجه إعراب ذلك . وإنما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه إعرابه — وإن كان قصدنا في هذا الكتاب الكشف عن تأويل آي القرآن — لما في اختلاف وجوه إعرابه ، ذلك من اختلاف وجوه تأويله . فاضطررنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه ، لتكشف لطالب تأويله وجوه تأويله . على قدر اختلاف المختلطة في تأويله وقراءته . والصواب من القول في تأويله وقراءته عندنا . القول الأول . وهو قراءة «غير المغضوب عليهم» بخفض الراء من «غير» ، بتأويل أنها صفة لـ «الذين أنعمت عليهم» ونعت لهم — لما قد قدمنا من البيان — إن شئت ، وإن شئت فبتأويل تكرير «صراط» . كل ذلك صواب حسن .

(١) في المطبوعة : «واستخفوه» ، واستخفوه : رآه خفيفاً لا وزن له .

فإن قال لنا قائل : فمن هؤلاء المغضوب عليهم ، الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسألته أن لا يجعلنا منهم ؟

قيل : هم الذين وصفهم الله جل ثناؤه في تنزيله فقال : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ، مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٦٠] . فأعلمنا جل ذكره - ثمة ^(١) ، ما أحلَّ بهم من عقوبته بمعصيتهم لإياه . ثم علمنا ، مئة مئة علينا ، وجه السبيل إلى النجاة من أن يحلَّ بنا مثل الذي حلَّ بهم من المثلات ، ورأفة منه بنا ^(٢) .

فإن قال : وما الدليل على أنهم أولاء الذين وصفهم الله وذكر نبأهم في تنزيله ، على ما وصفت ؟

قيل :

١٩٣- حدثني أحمد بن الوليد الرملي ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن عدي ابن حاتم ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : المغضوب عليهم ، اليهود ^(٣) .
١٩٤- حدثنا محمد بن المثني ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت عباد بن حبيش يحدث ، عن عدي ابن حاتم ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المغضوب عليهم اليهود ^(٤) .

(١) بدلوها في المطبوعة إلى « مئة » ؛ وثمة (بفتح الثاء) : إشارة للعبيد بمنزلة « هنا » للقريب

(٢) المثلات جمع مثلة (بفتح فضم ففتح) : وهي العقوبة والتنكيل .

(٣) الحديث ١٩٣ - هذا إسناده صحيح ، وسيأتي بعض هذا الحديث أيضاً بهذا الإسناد ٢٠٧ .
وتخرجه سيأتي في ١٩٥ .

(٤) الحديث ١٩٤ - وهذا إسناده صحيح أيضاً . عباد بن حبيش ، بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وآخره شين معجمة ، الكوفي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وابن أبي حاتم ٧٨/١/٣ . وبعض الحديث سيأتي أيضاً ٢٠٨ بهذا الإسناد .

١٩٥- حدثني علي بن الحسن، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال :
حدثنا محمد بن مصعب ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن مَرْي
ابن قَطَرٍ ، عن عدى بن حاتم ، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول
الله جلّ وعزّ « غير المغضوب عليهم » قال : هم اليهود^(١) .

١٩٦- حدثنا حميد بن مسعدة السامي ، قال : حدثنا بشر بن الفضل ،
قال : حدثنا الجريري ، عن عبد الله بن شقيق : أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو محاصرٌ وادي القرى ، فقال : « مَنْ هؤلاء الذين تحاصرُ يا رسول
الله ؟ قال : هؤلاء المغضوب عليهم . اليهود^(٢) .

(١) الحديث ١٩٥ - وهذا إسناد صحيح أيضاً . مري بن قطري الكوفي : ذكره ابن حبان في
الفتحات ، وترجمه البخاري في الكبير ٥٧/٢/٤ ، وقال : « سمع عدى بن حاتم ، روى عنه سماك بن
حرب ، يعد في الكوفيين » . و « مري » : بضم الميم وتشديد الراء المكسورة مع تشديد الياء . و « قطري » :
بفتح القاف والطاء . وبعد الراء ياء مشددة . وبعضه سيأتي أيضاً بالإسناد نفسه ٢٠٩ .
وهذا الحديث عن عدى بن حاتم : أصله قصة مطولة في إسناده . فرواه - بطوله - أحمد في المسند
٤ : ٣٧٨ - ٣٧٩ عن محمد بن جعفر عن شعبة ، بالإسناد السابق ١٩٤ .. ورواه الترمذي ٤ : ٦٧
من طريق عمرو بن أبي قيس عن سماك عن عباد بن حبّيش عن عدى . وقال : « هذا حديث حسن غريب ،
لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب . وروى شعبة عن سماك بن حرب عن عباد بن حبّيش عن عدى بن
حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم - الحديث بطوله » . وروى بعضه الطيالسي في مسنده ١٠٤٠
عن عمرو بن ثابت « عن سمع عدى بن حاتم » . وقد تبين لنا من روايات الطبري هنا أن سماك بن حرب
سمعه من عباد بن حبّيش ومن مري بن قطري ، كلاهما عن عدى ، وأن سماك بن حرب لم ينفرد بروايته
أيضاً ، إذ رواه إسماعيل بن أبي خالده عن الشعبي عن عدى . وأن لم يرفقه الترمذي إلا من حديث سماك - لا
ينبغي أن يعرفه غيره من وجه آخر . وذكره ابن كثير ١ : ٥٤ من رواية أحمد في المسند ، وأشار إلى
رواية الترمذي ، وإلى روايات الطبري هنا ، ثم قال : « وقد روى حديث عدى هذا من طرق ، وله ألفاظ
كثيرة يطول ذكرها » . وذكره الحافظ في الإصابة ، في ترجمة عدى ٢ : ٢٢٩ من رواية أحمد والترمذي .
وذكر السيوطي منه ١ : ١٦ تفسير الحرفين ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن
حبان في صحيحه . وكذلك صنع الشوكاني ١ : ١٥ .

(٢) الحديث ١٩٦ - حميد بن مسعدة السامي ، شيخ الطبري : هو « السامي » بالسین المهملة ،
نص على ذلك الحافظ ابن حجر في التقریب . وهو نسبة إلى « سامة بن لؤي بن غالب » . ووقع في نسخ
الطبري - هنا وفيما يأتي ٢١٠ - « الشامي » بالمدجمة ، وهو تصحيف . و « الجريري » ، بضم الجيم :
هو سعيد بن إلياس البصري . و « عبد الله بن شقيق العقيلي » ، بضم العين وفتح القاف : تابعي كبير
ثقة . وهذا الإسناد مرسل ، لقول عبد الله بن شقيق : « أن رجلاً » . وسيأتي مرسل أيضاً ١٩٧ ، ١٩٩ .
ولكنه سيأتي موصولاً ١٩٨

١٩٧- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن سعيد الجُرَيْرِي ، عن عروة ، عن عبد الله بن شقيق : أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

١٩٨- حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن بُدَيْلِ العقيلي ، قال : أخبرني عبد الله بن شقيق : أنه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم - وهو بوادي القُرَى ، وهو على قَرَسه ، وسأله رجل من بني القَيْن فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ - قال : المغضوبُ عليهم . وأشار إلى اليهود ^(١) .

١٩٩- حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال حدثنا خالد الواسطي ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن شقيق : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

٢٠٠- حدثنا أبو كريب ، قال حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عُمار ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « غير المغضوب عليهم » ، يعني اليهود الذين غضب الله عليهم ^(٢) .

(١) الحديث ١٩٨ - بديل ، بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة : هو ابن ميسرة العقيلي ، وهو تابعي ثقة . وهذه الرواية متصلة بإسناد صحيح . لأن عبد الله بن شقيق صرح فيها بأنه أخبره « من سمع النبي صلى الله عليه وسلم » ، وجهالة الصحابي لا تضر ، كما هو معروف . والوصل بذكر الصحابي المهم - زيادة من الثقة ، فهي مقبولة .

وقد ذكر ابن كثير ١ : ٥٤ - ٥٥ هذه الرواية الموصولة ، ثم أشار إلى الروايات الثلاث المرسلة ، ثم قال : « ووقع في رواية عروة تسمية : عبد الله بن عمرو ، فأنه أعلم » . ولكنه لم يذكر من خرج رواية عروة التي يشير إليها . ثم قال ابن كثير : « وقد روى ابن مردويه من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم ، قال : اليهود ، قلت : الضالين ؟ قال : النصارى » . وأشار الحافظ في الفتح ٨ : ١٢٢ إلى رواية ابن مردويه هذه عن أبي ذر « بإسناد حسن » . وذكر أيضاً أن رواية عبد الله بن شقيق الموصولة « أنه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم » - رواها أحمد . وهذه الروايات أيضاً عند السيوطي ١ : ١٦ ، والشوكاني ١ : ١٤ - ١٥ . وسيأتي تفسير (الضالين) بهذه الأسانيد ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ . وسيأتي في ٢١١ بيان من عروة الذي في الإسناد ١٩٧ .

(٢) الأثر ٢٠٠ - أثر الضحاك عن ابن عباس لم يخرجوه . وسيأتي باقيه ٢١٥ .

- ٢٠١- حدثني موسى بن هرون الهمداني، قال : حدثنا عمرو بن طلحة ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن السديّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « غير المغضوب عليهم » ، هم اليهود ^(١) .
- ٢٠٢- حدثنا ابن حميد الرازي ، قال : حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد ، قال : « غير المغضوب عليهم » قال : هم اليهود .
- ٢٠٣- حدثنا أحمد بن حازم الغفاري ، قال : حدثنا عبد الله ، عن أبي جعفر ، عن ربيع : « غير المغضوب عليهم » ، قال : اليهود .
- ٢٠٤- حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : « غير المغضوب عليهم » قال : اليهود .
- ٢٠٥- حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : « غير المغضوب عليهم » ، اليهود .
- ٢٠٦- حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن زيد ، عن أبيه ، قال : المغضوب عليهم ، اليهود ^(٢) .

قال أبو جعفر : واختلف في صفة الغضب من الله جلّ ذكره : فقال بعضهم : غضبُ الله على من غضب عليه من خلقه ، لإحلال عقوبته بمن غضب عليه ، إمّا في دنياه وإمّا في آخرته ، كما وصف به نفسه جلّ ذكره في كتابه فقال : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الزخرف : ٥٥] . وكما قال : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ

(١) الخبر ٢٠١ - ابن كثير : ١ : ٥٥ ، والدر المنثور : ١ : ١٦ ، والشوكاني : ١ : ١٥ . وسأقي باقيه : ٢١٧ .

(٢) الآثار ٢٠٢ - ٢٠٦ : في ابن كثير ، والدر المنثور ، الشوكاني كاللّهي مضى . وسأقي باقيها : ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴿ [سورة المائدة : ٦٠] .

وقال بعضهم : غضبُ الله على من عَظِبَ عليه من عباده ، ذمٌ منه لهم ولأفعالهم ، وشتَمٌ لهم منه بالقول .

وقال بعضهم : الغَضَبُ منه معنى مفهومٌ كالنوى يُعرف من معاني الغضب ، غير أنه - وإن كان كذلك من جهة الإثبات (١) - فخالفٌ معناه منه معنى ما يكون من غضب الآدميين الذين يُزعجهم ويحركهم ويشقُّ عليهم ويؤذيهم . لأن الله جل ثناؤه لا تحل ذاته الآفات ، ولكنه له صفةٌ ، كما العلم له صفةٌ ، والقدرة له صفةٌ ، على ما يُعقل من جهة الإثبات ، وإن خالفت معاني ذلك معاني علوم العباد ، التي هي معارف القلوب ، وقواهم التي توجد مع وجود الأفعال وتُحدَم مع عَدَمها (٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

قال أبو جعفر : كان بعضُ أهل البصرة يزعم أن : « لا » مع « الضالين » أدخلت تيمية للكلام ، والمعنى إلغاؤها ، ويستشهد على قيله ذلك ببيت العجاج :

(١) الإثبات : مذنب أهل السنة في إثبات الصفات لله تعالى كما وصف نفسه ، وإثبات القدر بلا تأويل ، خلافاً لأهل القدر ، وهم فقاته ، والجهمية والمعتلة للصفات .
(٢) بعد هذا الموضع من نسخة دار الكتب المصرية رقم : ١٠٠ تفسير ، ما نصه :

« وصلى الله على محمد النبي الأُمى وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

— على الأصل المنقول منه —

سمعت وأحمد ومحمد والحسن بنى عبد الله بن أحمد الفرغانى فى يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وثلاثمئة . ومحمد بن محمد الطوسى .

فِي بَثْرًا حُورٍ سَرَى وَمَا شَعَرٌ^(١)

ويتأوله بمعنى : في بثرٍ حُورٍ سرى ، أى في بثر هلكة ، وأن « لا » بمعنى الإلغاء والصله . ويعتل أيضاً لذلك بقول أبي النجم :

فَمَا أَلُومَ الْبَيْضِ أَنْ لَا تَسْخَرَا لَمَّا رَأَيْنِ الشَّمْطَ الْقَفَنَدَرَا^(٢)

وهو يريد : فما أَلُومَ البيض أن تسخر . وبقول الأحوص :

وَيَلْحَيْنِي فِي اللَّهْوِ أَنْ لَا أَحِبَّهُ وَلِلَّهِو دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ^(٣)

يريد : ويلحيني في اللهو أن أحبه ، وبقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تُسْجِدَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] ، يريد أن تسجد . وحكى عن قائل هذه المقالة أنه كان يتأول « غير » ، التي مع « المغضوب عليهم » ، أنها بمعنى سوى^(٤) . فكان معنى الكلام كان عنده : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، الذين هم سوى المغضوب عليهم والضالين .

وكان بعض نحويي الكوفيين يستنكر ذلك من قوله^(٥) ، ويزعم أن « غير »

(١) ديوانه : ١٦ ، ومعاني القرآن للفراء : ١ : ٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٥ والخزانة : ٩٥ : ٢ ، وأمالى الشجرى : ٢ : ٢٣١ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٨٦ . والقائل بأنها زائدة من البصريين هو أبو عبيدة .

(٢) نسبه شارح القاموس عن الصاغاني لأبي النجم وقال : روايته :

« إِذَا رَأَتْ ذَا الشَّيْبَةِ الْقَفَنَدَرَا »

وضبطوا « الشمط » بفتح الميم ، أى الشيب ، وجائز أن يكون أبو النجم قاله « الشمط » بكسر الميم على أنه فرح ، طرح ألف « أشمط » ، كما فعلوا في أشعث وشعث . وأحدهب وحدهب ، وأتمس وتمس ، وأحول وحول ، في الصفات المشبهة من العيوب الظاهرة والحل . وانظر الفائق للزمخشري : ٢ : ٣٢٦ فقد عدد ألفاظاً غيرها . وكان الصاغاني أبى من رواية « الشمط » بفتحتين ، لأن القفندر : هو الصغير الرأس القبيح المنظر .

والبيت برواية الطبرى في مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٦ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٨٥ ، واللسان (قفندر) ، ثم انظر أمالى الشجرى : ٢ : ٢٣١ ، وغيرها .

(٣) الكامل : ١ : ٤٩ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٨٦ ، ولهاه يلحاه لحياً : عدله ولامه .

(٤) هو أبو عبيدة كما أسلفنا في أول هذه الفقرة . وأشار إليه الفراء في معاني القرآن : ٨ بقوله :

« وقد قال بعض من لا يعرف العربية ... » ، وكذلك فعل الطبرى من قبل في مواضع . وانظر اللسان (غير) .

(٥) يعنى الفراء الكوفي في كتابه معاني القرآن : ٨ ، أو غيره من كتبه .

التي مع « المغمضوب عليهم » ، لو كانت بمعنى سوى ، لكان خطأ أن يعطف عليها بـ « لا » ، إذ كانت « لا » لا يعطف بها إلا على جمحد قد تقدمها . كما كان خطأ قول القائل : « عندى سوى أخيك ولا أهلك » ، لأن سوى ليست من حروف النفي والجمحد . ويقول : لما كان ذلك خطأ في كلام العرب ، وكان القرآن بأفصح اللغات من لغات العرب ، كان معلوماً أن الذى زعمه القائل : أن « غير » مع « المغمضوب عليهم » بمعنى سوى المغمضوب عليهم ، خطأ . إذ كان قد كرر عليه الكلام بـ « لا » . وكان يزعم أن « غير » هنالك ، إنما هى بمعنى الجمحد . إذ كان صحيحاً في كلام العرب ، وفاشياً ظاهراً في منطقها ، توجيه « غير » إلى معنى النفي ، ومستعملاً فيهم : « أخوك غير مُحسِن ولا مُجْمِل » يراد بذلك : أخوك لا محسن ولا مجمل . ويستنكر أن تأتى « لا » بمعنى الحذف في الكلام مُبتدأً ، ولما يتقدمها جمحد . ويقول : لو جاز مجيئها بمعنى الحذف مُبتدأً ، قبل دلالة تدلّ على ذلك من جمحد سابق ، لصحّ قول قائل قال : « أردت أن لا أكرم أخاك » ، بمعنى : أردت أن أكرم أخاك . وكان يقول : ففى شهادة أهل المعرفة بلسان العرب على تخطئة قائل ذلك ، دلالة واضحة على أن « لا » لا تأتى مبتدأة بمعنى الحذف ، ولما يتقدمها جمحد . وكان يتأول في « لا » التى فى بيت العجاج ، الذى ذكرنا أن البصرى استشهد به ، بقوله : إنها جمحدٌ صحيح ، وأن معنى البيت : سرى فى بر لا تحير عليه خيراً ، ولا يتبين له فيها أثر عملٍ ، وهو لا يشعر بذلك ولا يدري به^(١) . من قولهم : « طاحت الطاحنة فما أحارت شيئاً » ، أى لم يتبين لها أثر عملٍ . ويقول فى سائر الأبيات الأخرى ، أعنى مثل بيت أبى النجم :

فما ألوم البيض أن لا تسخرًا

إنما جاز أن تكون « لا » بمعنى الحذف ، لأن الجمحد قد تقدمها فى أول الكلام ، فكان الكلام الآخر مواصلاً للأول ، كما قال الشاعر :

(١) عبارة الفراء فى معانى القرآن : « كأنك قلت : إلى غير رشد توجه وما درى » .

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ فَعَلَهُمْ وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمرُ^(١)
فجاءَ ذلك ، إذْ كان قد تقدّم الجحدُ في أوّل الكلام .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ الآخرُ أولى بالصواب من الأول ، إذْ كان غيرَ موجودٍ في كلام العرب ابتداءُ الكلام من غير جحد تقدّمه بـ « لا » التي معناها الحذف ، ولا جائرُ العطف بها على « سوى » ، ولا على حرف الاستثناء . وإنما لـ « غير » في كلام العرب معان ثلاثة ، أحدها : الاستثناء ، والآخر : الجحد ، والثالث : سوى . فإذا ثبت خطأ أن تكون « لا » بمعنى الإلغاء مُبتدأ^(٢) ، وفسد أن يكون عطفاً على « غير » التي مع « المغضوب عليهم » ، لو كانت بمعنى « إلا » التي هي استثناء ، ولم يجوز أيضاً أن يكون عطفاً عليها لو كانت بمعنى « سوى » ، وكانت « لا » موجودة عطفاً بالواو التي هي عاطفة لها على ما قبلها — صح^(٣) وثبت أن لا وجه لـ « غير » ، التي مع « المغضوب عليهم » ، يجوز توجيهها إليه على صحة ، إلا بمعنى الجحد والنفي ، وأن لا وجه لقوله « ولا الضالين » إلا العطف على « غير المغضوب عليهم » . فتأويلُ الكلام إذاً — إذْ كان صحيحاً ما قلنا بالذى عليه استشهدنا — اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، لا المغضوب عليهم ولا الضالين . فإن قال لنا قائل : ومن هؤلاء الضالّون الذين أمرنا الله بالاستعاذة بالله أن يسلك بنا سبيلهم ونضلّ ضلالهم ؟

قيل : هم الذين وصفهم الله في تنزيله فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ ٦٤/١ ﴾

(١) الشعر لحرير يهجو الأخطل ، ديوانه : ٢٦٣ ، وقفاض جرير والأخطل : ١٧٤ ، وأضداد ابن الأنباري : ١٨٦ ، ثم تفسير آية سورة البقرة : ١٥٨ .
(٢) في المخطوطة : « فإذا لم يحط أن لا يكون بمعنى الإلغاء » غير منقوطة ، ولم يحسن طابعو المطبوعة قراءتها فجعلوها : « فإذا بطل حظ لا أن تكون بمعنى الإلغاء » . وقد صححنا ما في المخطوطة من تقديم « لا » على « يكون » .
(٣) جواب قوله « فإذا ثبت خطأ . . . » .

وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿ [سورة المائدة : ٧٧] .

فإن قال : وما برهانك على أنهم أولاء ؟

قيل :

٢٠٧— حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن عدي بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولا الضالين » ، قال : النصاري (١) .

٢٠٨— حدثنا محمد بن المنثي ، أنبأنا محمد بن جعفر ، أنبأنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت عباد بن حبيش يحدث ، عن عدي بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الضالين ، النصاري .

٢٠٩— حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا محمد بن مُصْعَب ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن مُرَّةِ ابن قَطَرٍ ، عن عدي بن حاتم ، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله : « ولا الضالين » ، قال : النصاري هم الضالون .

٢١٠— حدثنا حميد بن مسعدة السامي ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ، قال : حدثنا الجري ، عن عبد الله بن شقيق أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصرٌ وادى القرى ، قال : قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الضالون ، النصاري .

٢١١— حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابنُ عُليّة ، عن سعيد الجري ، عن عروة — يعني ابن عبد الله بن قيس — ، عن عبد الله بن شقيق ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه (٢) .

(١) هذه الأحاديث والأخبار والآثار ٢٠٧ - ٢٢٠ ، في تفسير (الضالين) ، سبقت أوائلها في تفسير (المفصّل عليهم) ، مع تخريجها ، في الأرقام ١٩٣ - ٢٠٦ ، مع شيء من التقديم والتأخير .

(٢) الحديث ٢١١ - سبق هذا الإسناد ١٩٧ ولم ينسب فيه « عروة » هذا ، وفي التعليق على الحديث ١٩٨ إشارة ابن كثير إلى رواية « عروة » ، ولم يذكر نسبه أيضاً . وقد بين الطبري هنا أنه

٢١٢- حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن بُدَيْلِ الْعُقَيْلِي ، قال : أخبرني عبد الله بن شقيق : أنه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم - وهو بوادى القرى ، وهو على فرسه ، وسأله رجل من بني القَيْن ، فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء؟ - قال : هؤلاء الضَّالُّون ، يعنى النصارى .

٢١٣- حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين ، قال : حدثنا خالد الواسطي ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن شقيق : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصرٌ وادى القرى ، وهو على فرس : من هؤلاء ؟ قال : الضَّالُّون . يعنى النصارى .

٢١٤- حدثنا محمد بن حميد : قال : حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد : « ولا الضالين » ، قال : النصارى .

٢١٥- حدثنا أبو كريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن نُمارة قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ولا الضالين » قال : وَغَيْرِ طَرِيقِ النَّصَارَى الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللَّهُ بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ . قال : يقول : فَأَلْهِمْنَا دِينَكَ الْحَقَّ ، وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حتى لا تغضَبَ علينا كما غضبتَ على اليهود ، ولا تضلَّنَا كما أضلَّتْ النصارى ، ففعلنا بنا بما تعدُّ بهم به . يقول : امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك وقدرتك .

٢١٦- حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الضالين ، النصارى .

« عروة بن عبد الله بن قيس » . وأنا أرجح أن كلمة « قيس » محرفة من التابعين عن كلمة « قشير » . فإني لم أجده في التراجم قط من يسمى « عروة بن عبد الله بن قيس » ، ويبعد جدا أن لا يذكره ، وهو يروى عن رجل من كبار التابعين . والذي في هذه الطبقة ، هو « عروة بن عبد الله بن قشير أبو مهل الكوفي » ، مترجم في التهذيب ٧ : ١٨٦ ، والتاريخ الكبير للبخارى ٣٤ / ١ / ٤ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣ / ١ / ٣٩٧ ، والفتاوى لابن حبان : ٥٧٤ ، والكنى للولاي ٢ : ١٣٥ . وذكر الأخيران قولاً آخر في اسم جده ، أنه « بشير » . و « أبو مهل » : بفتح الميم والهاء ، كما ذكره الذهبي في المشته : - ٥٠٨ -

٢١٧- حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ولا الضالين » ، هم النصارى .

٢١٨- حدثني أحمد بن حازم الغفاري ، قال : أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي جعفر ، عن ربيع : « ولا الضالين » ، النصارى .

٢١٩- حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد : « ولا الضالين » ، النصارى .

٢٢٠- حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن زيد ، عن أبيه ، قال : الضالين ، النصارى .

• • •

قال أبو جعفر : فكل حائد عن قصد السبيل ، وسالك غير المنهج القويم ، فضالٌّ عند العرب ، لإضلاله وجه الطريق . فلذلك سمي الله جل ذكره النصارى ضلّالاً . لخطئهم في الحق "منهج السبيل" . وأضلّهم من الدين في غير الطريق المستقيم . فإن قال قائل : أو ليس ذلك أيضاً من صفة اليهود ؟

قيل : بلى !

فإن قال : كيف خصّ النصارى بهذه الصفة ، وخصّ اليهود بما وصفهم ١٥/١ به من أنهم مغضوب عليهم ؟

قيل : كلا الفريقين ضلّال مغضوب عليهم ، غير أن الله جل ثناؤه وسم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به ، إذا ذكره لهم أو أخبرهم عنه . ولم يسم واحداً من الفريقين إلا بما هو له صفة على حقيقته ، وإن كان له من صفات الذم زيادات عليه .

فيظن بعض أهل الغباء من القلوية أن في وصف الله جل ثناؤه النصارى

بالضلال، بقوله « ولا الضالين » ، وإضافته الضلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه ، وتركه وصفهم بأنهم المضللون ، كالذى وصف به اليهود أنهم المغضوب عليهم — دلالة على صحة ما قاله إخوانه من جهلة القدرية ، جهلاً منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه .

ولو كان الأمر على ما ظنّه الغبي الذى وصفنا شأنه ، لوجب أن يكون شأن كل موصوف بصفة أو مضاف إليه فعل ، لا يجوز أن يكون فيه سبب لغيره ، وأن يكون كل ما كان فيه من ذلك لغيره سبب ، فالحق فيه أن يكون مضافاً إلى مسببه . ولو وجب ذلك ، لوجب أن يكون خطأ قول القائل : « تحركت الشجرة » ، إذ حركتها الريح ، و « اضطربت الأرض » ، إذ حركتها الزلزلة ، وما أشبه ذلك من الكلام الذى يطول بإحصائه الكتاب .

وفى قول الله جل ثناؤه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ [سورة يونس : ٢٢] — بإضافته البحرى إلى الفلك ، وإن كان جريها بإجراء غيرها إبانها — مادل على خطأ التأويل الذى تأوله من وصفنا قوله فى قوله « ولا الضالين » ، وادّعائه أن فى نسبة الله جل ثناؤه الضلالة إلى من نسبها إليه من النصارى ، تصحيحاً لما ادّعى المنكرون : أن يكون لله جل ثناؤه فى أفعال خلقه سبب من أجله وجدت أفعاله ، مع إبانة الله عز ذكره نصاً فى آي كثيرة من تنزيله ، أنه المفضل الهادى ، فمن ذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣] . فأنبأ جل ذكره أنه المفضل الهادى دون غيره .

ولكن القرآن نزل بلسان العرب على ما قدّمنا البيان عنه فى أول الكتاب ، ومن شأن العرب إضافة الفعل إلى من وجد منه — وإن كان مسببه غير الذى وجد

منه - أحياناً ، وأحياناً إلى مسبِّه ، وإن كان الذى وجد منه الفعل غيرُه . فكيف
 بالفعل الذى يكتسبه العبد كسباً ، ويُوْجِدُه الله جلّ ثناؤه عَيْناً مُنْشَأَةً ؟ بل
 ذلك أحرى أن يُضَافَ إلى مكتسبه ؛ كسباً له ، بالقوة منه عليه ، والاختيار منه له -
 وإلى الله جلّ ثناؤه ، بإيجاد عينه وإنشائها تديراً .

﴿مسألة يسأل عنها أهل الإلحاد الطاعنون في القرآن﴾

إن سألنا منهم سائل فقال : إنك قد قدّمتَ في أول كتابك هذا في وصف البيان : بأنّ أعلاه درجة وأشرفه مرتبة ، أبلغه في الإبانة عن حاجة المُبين به عن نفسه ، وأبينه عن مُراد قائله ، وأقربه من فهم سامعه . وقلتَ ، مع ذلك : إنّ أولى البيان بأن يكون كذلك ، كلامُ الله جل ثناؤه ، لِفَضْلِهِ على سائر الكلام بارتفاع درجته على أعلى درجات البيان^(١) ، فما الوجه - إذ كان الأمرُ على ما وصفتَ - في إطالة الكلام بمثل سورة أم القرآن بسبع آيات ؟ وقد حوت معاني جميعها منها آيتان ، وذلك قوله ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، إذ كان لا شك أنّ من عَرَفَ مَلِكَ يوم الدين ، فقد عَرَفَهُ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنِي وصفاته الْمُشْتَبِهَةِ . وأنّ من كان لله مطيعاً ، فلا شك أنه لسبيل من أنعم الله عليه في دينه مُتَّبِعٌ ، وعن سبيل من غَضِبَ عليه وَضَلَّ مُنْعَدِلٌ . فما في زيادة الآيات الخمس الباقية ، من الحكمة التي لم تحوِها الآيتان اللتان ذكرنا ؟

قيل له : إنّ الله تعالى ذكره جمعَ لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته - بما أنزل إليه من كتابه - معاني لم يجمعهنّ بكتاب أنزله إلى نبيّ قبله ، ولا لأمة من الأمم قبلهم . وذلك أنّ كلّ كتاب أنزله جلّ ذكره على نبيّ من أنبيائه قبله ، فلنما أنزله ببعض المعاني التي يحوي جميعها كتابه الذي أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . كالتَّوْرَةِ التي هي مواعظ وتفصيل ، والزَّبُور الذي هو تحميد وتمجيد ، والإنجيل الذي هو مواعظ وتذكير - لا مُعْجَزَةٌ في واحد منها تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق . والكتابُ الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، يحوي معاني ذلك كله ، ويزيد عليه كثيراً من المعاني التي سائر الكتب غيره منها خالٍ .

(١) انظر ما مضى : ٩ - ١١ .

وقد قدّمنا ذكرها فيما مضى من ههنا الكتاب^(١).

ومن أشرف تلك المعاني التي فضّل بها كتابنا سائر الكتب قبله، نظمُه العجيبُ ورصفُه الغريب^(٢) وتأليفُه البديع، الذي عجزتْ عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء، وكلّت عن وصف شكل بعضه البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء، وتبلّدت - قصوراً عن أن تأتي بمثله - لديه أفهامُ الفُهماء، فلم يجدوا له إلا التسليم والإقرار بأنه من عند الواحد القهار. مع ما يحوى، مع ذلك، من المعاني التي هي ترغيب وترهيب، وأمرٌ وزجرٌ، وقصصٌ وجدلٌ ومثّل، وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء.

فهما يكن فيه من إطالة، على نحو ما في أمّ القرآن^(٣)، فلما وصفتُ قبلُ من أن الله جل ذكره أراد أن يجمع - برصفه العجيب ونظمه الغريب، المتعدي عن أوزان الأشعار ويجمع الكهّان وخطب الخطباء ورسائل البلغاء، العاجز عن رصف مثله جميع الأنام، وعن نظم نظيره كل العباد - الدلالة^(٤) على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ وبما فيه من تحميد وتمجيد وثناء عليه - تنبيه^(٥) العباد على عظمتهم وسلطانهم وقدرتهم وعظيم مملكتهم، ليذكروهم بآلائه، ويحمدوه على نعمائه، فيستحقّقوا به منه المزيد، ويستوجبوا عليه الثواب الجزيل؛ وبما فيه من نعتٍ من أنعم عليه بمعرفته، وتفضّل عليه بتوفيقه لطاعته - تعريف^(٥) عباده أن كل ما بهم من نعمة، في دينهم ودنياهم، فنه، ليصرفوا رغبتهم إليه، ويبتغوا حاجاتهم من عنده دون ما سواه من الآلهة والأنداد؛ وبما فيه من ذكره ما أحلّ بمن عصاه من مثلاته، وأنزل بمن خالف أمره من عقوباته - ترهيب^(٥) عباده عن ركوب

(١) انظر ما مضى: ٧١.

(٢) في المطبوعة «وصفه». ورصف الشيء ضم بمعنى نظم بعضه إلى بعض ونظمه حتى يكون مستوياً حكماً متصفاً.

(٣) في المخطوطة: «آله القرآن» غير منقوطة.

(٤) «الدلالة» مفعول «أن يجمع»...، ثم حلف عليها بعد، ما سنبيه له.

(٥) هذه جميعاً معطوفة على قوله «الدلالة»، كما ذكرنا آنفاً.

معاصيه، والتعرض لما لا قبيل لهم به من تخبطه، فيسلك بهم في النكال والنقيصات
مسبيل من ركب ذلك من الهلاك.

فذلك وجه إطالة البيان في سورة أم القرآن، وفيما كان نظيراً لها من سائر سور
الفرقان. وذلك هو الحكمة البالغة والحجة الكاملة.

* * *

٢٢١ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المحاربى، عن محمد بن إسحق،
قال: حدثني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي السائب مولى زهرة، عن
أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قال العبد: «الحمد لله
رب العالمين»، قال الله: «حمدى عبدي». وإذا قال: «الرحمن الرحيم»، قال:
«أنتى على عبدي». وإذا قال: «مالك يوم الدين»، قال: «مجدى عبدي. فهذا لى». ^(١)
وإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» إلى أن يختم السورة، قال: «فذاك له» ^(٢).

٢٢٢ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبدة، عن ابن إسحق، عن العلاء
ابن عبد الرحمن، عن أبي السائب، عن أبي هريرة، قال: إذا قال العبد:
«الحمد لله»، فإنه كره نحوه، ولم يرفعه ^(٣).

٢٢٣ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا الوليد بن
كثير، قال: حدثني العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة، عن أبي السائب، عن
أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثله ^(٤).

٢٢٤ - حدثني صالح بن مسمار المروزى، قال: حدثنا زيد بن الحباب،

(١) الحديث ٢٢١ - المحاربى: هو عبد الرحمن بن محمد بن زياد، وهو ثقة، أخرج له الجماعة.
محمد بن إسحق: هو ابن يسار، صاحب السيرة، ثقة معروف، تكلم فيه بعضهم بغير حجة وبغير
وجه. العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة - يضم الحاء وفتح الراء - تابعى ثقة. أبو السائب
مولى زهرة: تابعى ثقة، قال ابن عبد البر: «أجمعوا على أنه ثقة مقبول النقل». والحديث رواه الطبرى
بعد هذا موقوفاً بإسنادين. وسند كره تخريجه في آخرها: ٢٢٣.

(٢) الحديث ٢٢٢ - عبدة: هو ابن سايان الكلابى، من شيوخ أحمد وإسحق، قال أحمد:
«ثقة ثقة وزيادة، مع صلاح في بلدته».

(٣) الحديث ٢٢٣ - أبو أسامة: هو حماد بن أسامة. الوليد بن كثير الخزوى: ثقة ثبت
أخرج له الجماعة.

قال : حدثنا عَنبَسَةُ بن سعيد ، عن مُطَرِّف بن طَرِيف ، عن سعد بن إسحق ابن كعب بن عُجْرَةَ ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : « قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وبين عبدِي نِصْفَيْنِ ، وله ما سَأَل . فإذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله : « حمدتني عبدِي » ، وإذا قال : « الرحمن الرحيم » ، قال : « أتيتني عبدِي » ، وإذا قال : « مالك » ١٧/١ يوم الدين » قال : « مجَّدتني عبدِي » قال : « هذا لي ، وله ما بقي » (١) .

« آخرُ تفسيرِ سُورَةِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ »

وهذا الحديث - بإسناديه الموقرَيْن - مرفوع حكماً ، وإن كان في هاتين الروایتين موقوفاً لفظاً . فإن هذا مما لا يعلم بالرأى ، ولا يدخل فيه مناصب الاجتهاد . ثم إن الرفع زيادة من الثقة ، وهي مقبولة . وفوق هذا كله ، فإنه لم يشفر برفعه راويه في الإسناد الأول ، وهو المحارب ، بل ورد بأسانيد آخر مرفوعاً . وهو قطعة من حديث طويل ، رواه مالك في الموطأ : ٨٤ - ٨٥ عن العلاء بن عبد الرحمن ، بهذا الإسناد ، مرفوعاً . وكفى بمالك حجة في التوثيق من رفعه لفظاً فوق رفعه حكماً . وكذلك رواه مسلم ١ : ١٦٦ (٤ : ١٠١ - ١٠٤ من شرح النووي) ، من طريق مالك ، ومن طريق سفيان بن عيينة ، ومن طريق ابن جريج ، ومن طريق أبي أويس - كلهم عن العلاء عن أبي السائب ، به مرفوعاً . وزاد أبو أويس عن العلاء قال : « سمعت من أبي ومن أبي السائب ، وكانا جليسي أبي هريرة . . . » ، فذكره مرفوعاً . ونسبه السيوطي ١ : ٦ لسفيان بن عيينة في تفسيره ، وأبي عبيدة في فضائله ، وابن أبي شبة ، وأحمد ، والبخاري في جزء القراءة ، وأصحاب السنن الأربعة ، وابن حبان ، وغيرهم . وذكر ابن كثير ١ : ٢٤ - ٢٥ بعض طرقه مفصلة .

(١) الحديث ٢٢٤ - هذا إسناد جيد صحيح . صالح بن مسمار السلمى المروزي : ثقة ، روى عنه مسلم في صحيحه ، وقال أبو حاتم : « صدوق » ، كما في كتاب ابنه ١/٢/١٥٠ ، وذكره ابن حبان في الثقات . عنبسة بن سعيد بن الضريس الرازي قاضي الري : ثقة ، وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو داود وغيرهم ، وصرح البخاري في الكبير ٤ / ١ / ٣٥ بأنه يروى عن مطرف . و « الضريس » : بضم الفصاد المعجمة وآخره سين مهملة ، كما ضبطه الحافظ في التتريب . مطرف بن طريف : ثقة ثبت ، أخرج له الجماعة . سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة : ثقة لا يختلف فيه ، كما قال ابن عبد البر ، وهو من شيوخ مالك . وروايته عن جابر متصلة ، لأنه يروى عن أبيه « إسحق بن كعب » المقتول يوم الحرة سنة ٦٣ ، وقد عاش جابر بعدها أكثر من عشر سنين .

والحديث ذكره السيوطي ١ : ٦ ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما . وذكره ابن كثير ١ : ٢٥ عن هذا الموضع من الطبري - ووقع في إسناده غلط مطبعي - وقال : « وهذا غريب من هذا الوجه » ! ولعله يريد أنه لم يروه أحد من حديث جابر إلا بهذا الإسناد . وليس من ذلك بأس ، وقد ثبت معناه من حديث أبي هريرة ، فهو شاهد قوي لصحته .

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعْنِ

﴿القول في تفسير السورة التي يذكّر فيها البقرة﴾

القول في تأويل قول الله جل ثناؤه: ﴿ألم﴾

قال أبو جعفر: اختلفت تراجمة القرآن في تأويل قول الله تعالى ذكره^(١): «ألم» فقال بعضهم: هو اسم من أسماء القرآن. ذكر من قال ذلك:
٢٢٥ — حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: «ألم»، قال: اسم من أسماء القرآن.
٢٢٦ — حدثني المثنى بن إبراهيم الآملي، قال: حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: «ألم»، اسم من أسماء القرآن.

٢٢٧ — حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: «ألم»، اسم من أسماء القرآن.

وقال بعضهم: هو فواتح يفتح الله بها القرآن. ذكر من قال ذلك:
٢٢٨ — حدثني هرون بن إدريس الأصم الكوفي، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربي، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: «ألم»، فواتح يفتح الله بها القرآن.

(١) تراجمة القرآن: مفسره، كما مر آنفاً: ١٧٠، تعليق: ٤ وما قبلها ٧٠، تعليق: ١٠

٢٢٩ - حدثنا أحمد بن حازم الغفاري ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا سفیان ، عن مجاهد ، قال : « ألم » ، فواتح .

٢٣٠ - حدثني المثنى بن إبراهيم قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن يحيى ابن آدم ، عن سفیان ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، قال : « ألم » ، و « حم » ، و « المص » ، و « ص » ، فواتحُ افتتح الله بها^(١) .

٢٣١ - حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث هرون بن إدريس .

وقال آخرون : هو اسم للسورة . ذكر من قال ذلك :

٢٣٢ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا عبد الله بن وهب ، قال : سألت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن قول الله : « ألم ذلك الكتاب » ، و « ألم تنزيل » ، و « ألم تلك » ، فقال : قال أبي : إنما هي أسماء السور .

وقال بعضهم : هو اسم الله الأعظم . ذكر من قال ذلك :

٢٣٣ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سألت السدي عن « حم » و « طسم » و « ألم » ، فقال : قال ابن عباس : هي اسم الله الأعظم .

٢٣٤ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثني أبو النعمان ، قال : حدثنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن مرة الهمداني ، قال : قال عبد الله : فذكر نحوه .

٢٣٥ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبید الله بن موسى ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، قال : فواتح السور من أسماء الله .

وقال بعضهم : هو قسم أقسم الله به ، وهو من أسمائه . ذكر من

قال ذلك :

(١) الأثر ٢٣٠ - إسحق بن الحجاج : هو الطاحوني المقرئ ، ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢١٧/١/١ ، وقال : « سمعت أبا زرعة يقول : كتب عبد الرحمن اللشكبي تفسير عبد الرزاق عن إسحق بن الحجاج » .

٢٣٦ - حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : هو كَسَمَ أَقَسَمَ الله به ، وهو من أسماء الله .

٢٣٧ - حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُليّة ، قال : حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، قال : « ألم » ، قسم ^(١) .

وقال بعضهم : هو حُرُوفٌ مَقْطُوعَةٌ من أسماء وأفعال ، كلُّ حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر . ذكر من قال ذلك :

٢٣٨ - حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع - وحدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا أبي عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس : « ألم » قال : أنا الله أعلم ^(٢) .

٢٣٩ - حَدَّثْتُ عَنْ أَبِي عُبيد ، قال : حدثنا أبو اليقظان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قوله : « ألم » ، قال : أنا الله أعلم .

٢٤٠ - حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد القنّاد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السّديّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرّة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ألم » قال : أما « ألم » فهو حَرَفٌ اشْتَقُّ من حروف هجاء أسماء الله جل ثناؤه .

٦٨/١

٢٤١ - حدثنا محمد بن معمر ، قال : حدثنا عباس بن زياد الباهلي ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « ألم » و « حم » و « ون » ، قال : اسم مُقْطَع ^(٣) .

(١) الأثر ٢٣٧ - يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح : هو الثوري الحافظ البغدادي .
(٢) الخبر ٢٣٨ - رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ عَنْ شَيْخَيْنِ مِنْ وَكِيعٍ : عَنْ أَبِي كَرِيبٍ ، وَمِنْ سَفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ ، كِلَاهُمَا عَنْ وَكِيعٍ عَنْ شَرِيكَ ، وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ الْقَاضِي . وَجَاءَ الْإِسْنَادُ الثَّانِي مِنْهُمَا فِي مَطْبُوعَةٍ بِوَلَاةٍ مَحْرُوفًا : « سَفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي شَرِيكَ » . وَصَحَّحَ مِنَ الْمَطْبُوعَةِ .

(٣) الخبر ٢٤١ - محمد بن معمر بن وهب ، شيخ الطبري : هو المعروف بالبهراني ، وهو

وقال بعضهم هي حروف هجاء موضوع . ذكر من قال ذلك :

٢٤٢ - حَدَّثْتُ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ أَبِي نُورٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْمُؤَدَّبُ ،

عَنْ خُصَيْفٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : فَوَاتِحُ السُّورِ كُلُّهَا « ق » و « ص » و « حَم » و « طَسَم » و « أَلَر » وَغَيْرَ ذَلِكَ ، هَجَاءُ مَوْضُوعٍ .

وقال بعضهم : هي حروف يشتمل كل حرفٍ منها على معانٍ شتى

مختلفة . ذكر من قال ذلك :

٢٤٣ - حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّبْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحِجَاجِ ،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، فِي

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ : « أَلَمْ » ، قَالَ : هَذِهِ الْأَحْرَفُ ، مِنَ التَّسْعَةِ وَالْعَشْرِينَ حَرْفًا ،

دَارَتْ فِيهَا الْأَلْسُنُ كُلُّهَا . لَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ مِفْتَاحُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ ، وَلَيْسَ

مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ فِي آيَاتِهِ وَبَلَاغِهِ ، وَلَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ فِي مَدَّةِ قَوْمٍ

وَأَجَالِهِمْ . وَقَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ : « وَعَجِيبٌ يُنْطَقُونَ فِي أَسْمَائِهِ ، وَيَعِيشُونَ فِي

رِزْقِهِ ، فَكَيْفَ يَكْفُرُونَ ؟ » . قَالَ : الْأَلِفُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ : « اللَّهُ » ، وَاللَّامُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ :

« لَطِيفٌ » ، وَالْمِيمُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ : « مُجِيدٌ » . الْأَلِفُ آيَةُ اللَّهِ ، وَاللَّامُ لُطْفُهُ ، وَالْمِيمُ

مَجْدُهُ . الْأَلِفُ سَنَةٌ ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ سَنَةً .

٢٤٤ - حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَكَّامٌ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ نَحْوَةَ ^(١)

وقال بعضهم : هي حروف من حساب الجُمَّل - كَرِهْنَا ذِكْرَ الَّذِي

حُكِيَ ذَلِكَ عَنْهُ ، إِذْ كَانَ الَّذِي رَوَاهُ مِنْ لَأُيَعْتَمَدَ عَلَى رَوَايَتِهِ وَنَقْلِهِ . وَقَدْ مَضَتْ

الرَّوَايَةُ بِنَظِيرِ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ^(٢) .

نَفَقَةٌ ، رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ وَاسْلَمٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، وَهُوَ مُتَأَخِّرُ الْوَفَاءِ ، مَاتَ فِي الْعَامِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ الْبُخَارِيُّ سَنَةَ ٢٥٦ هـ ، كَمَا ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي تَذَكُّرَةِ الْخَفَاطِ ٢ : ١٢٩ ، وَأَمَّا شَيْخُهُ « حَبَّاسُ بْنُ زِيَادٍ الْبَاهِلِيُّ » فَلَمْ أَجِدْ لَهُ تَرْجُومَةً قَطْ .

(١) الْأَخْبَارُ ٢٢٥ - ٢٤٤ : ذَكَرَهَا ابْنُ كَثِيرٍ ١ : ٦٥ - ٦٦ ، بَعْضُهَا بِالْإِسْنَادِ ، وَبَعْضُهَا

دُونَ إِسْنَادٍ ، وَسَرَدَهَا السَّيُوطِيُّ ٢ : ٢٢ - ٢٣ مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الرِّوَايَاتِ . وَنَقَلَ الشُّوكَا نِي بَعْضَهَا ١ : ٢١ .

(٢) يَشِيرُ إِلَى الرَّوَايَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

وقال بعضهم : لكل كتاب سرٌّ ، وسرُّ القرآن فواتحه .

* * *

وأما أهل العربية ، فإنهم اختلفوا في معنى ذلك . فقال بعضهم : هي حروف من حُرُوف المعجم ، استغنىَ بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها ، التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفاً ؛ كما استغنى الخبيرُ — عمن أخبر عنه أنه في حروف المعجم الثمانية والعشرين حرفاً — بذكر « أ ب ت ث » ، عن ذكر بواقي حروفها التي هي تنمة الثمانية والعشرين : قال . ولذلك رُفِعَ ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ ﴾ ، لأنَّ معنى الكلام : الألف واللام والميم من الحروف المقطعة ، ذلك الكتابُ الذي أنزلته إليك مجموعاً لا ريب فيه .

فإن قال قائل : فإن « أ ب ت ث » ، قد صارت كالاسم في حروف الهجاء ، كما كان « الحمد » اسماً لفاتحة الكتاب .

قيل له : لما كان جائزاً أن يقول القائل : ابني في « ط ظ » ، وكان معلوماً بقبيله ذلك لو قاله أنه يريد الخبر عن ابنه أنه في الحروف المقطعة — علم بذلك أن « أ ب ت ث » ليس لها باسم ، وإن كان ذلك آثرَ في الذكر من سائرها ^(١) . قال : وإنما يُخولف بين ذكر حُرُوف المعجم في فواتح السور ، فذكرت في أوائلها مختلفةً ، وذكرها إذا ذكرت بأوائلها التي هي « أ ب ت ث » ، مؤتلفةً ، ليفصل بين الخبر عنها إذا أريد — بذكر ما ذكر منها مختلفاً — الدلالةُ على الكلام المتصل ؛ وإذا أريد — بذكر ما ذكر منها مؤتلفةً — الدلالةُ على الحروف المقطعة بأعيانها . واستشهدوا — لإجازة قول القائل : ابني في « ط ظ » وما أشبه ذلك ، من الخبر عنه أنه في حُرُوف المعجم ، وأن ذلك من قبيله في البيان يقوم مقام قوله : ابني في « أ ب ت ث » — برجز بعض الرُّجَّاز من بني أسد :

لَمَّا رَأَيْتُ أَمْرَهَا فِي حُطًى وَفَنَكْتُ فِي كَذِبٍ وَلَطٍّ

(١) في المطبوعة : « يؤثر في الذكر » . وأثر : يؤثره الناس ويقدمونه .

أَخَذْتُ مِنْهَا بَقْرُونَ مُنْطِ فَلَمْ يَزَلْ صَوِّي بِهَا وَمَعطَى
حَقَّ عَلَا الرَّاسَ دَمٌ يُنْقَى^(١)

٦٩/١ فزعم أنه أراد بذلك الخبر عن المرأة أنها في «أبي جاد» ، فأقام قوله : «لما رأيت أمرها في «حطى» مقام خبره عنها أنها في «أبي جاد» ، إذ كان ذلك من قوله ، يدلّ سامعه على ما يدلّه عليه قوله : لما رأيت أمرها في «أبي جاد» .

• • •

وقال آخرون : بل ابتدئت بذلك أوائل السور ليفتح لاستماعه أسماع المشركين — إذ تواصلوا بالإعراض عن القرآن — حتى إذا استمعوا له ، تلى عليهم المؤلف منه .
وقال بعضهم : الحروف التي هي فواتح السور حروفٌ يستفتح الله بها كلامه .
فإن قيل : هل يكون من القرآن ما ليس له معنى ؟

قيل^(٢) : معنى هذا أنه افتتح بها ليُعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت ، وأنه قد أخذ في أخرى ، فجعل هذا علامة انقطاع ما بينهما . وذلك في كلام العرب ، ينشد الرجل منهم الشعر فيقول :

بل • وبلدة ما الإنس من أهالها^(٣)

ويقول :

لا بل • ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجاً^(٤)

و «بل» ليست من البيت ولا تعدّ في وزنه ، ولكن يقطع بها كلاماً ويستأنف الآخر :

(١) أولها في اللسان (فك) . فك في الكذب : مضى فيه ولج وحك . ولط الحق : جهده ومنه وخاصم فأحمى الخصومة . والقرون ، جمع قرن : وهو الضفيرة . وشط ، جمع أشط : وهو الذي اشتعل رأسه شيباً . صاب يصنوب صوباً : انحدر من علو إلى سفلى . وفي المطبوعة : «فربي» . والملمط : المد والجذب ، ومعنى بذلك إصعاده بها وهو يجذب سفاتها ، وذلك في انحدارها بها وصعوده .
(٢) في المطبوعة والمخطوطة : «فإن قيل : هل يكون من القرآن ما ليس له معنى ؟ فإن معنى هذا ...» ، وهو كلام مضطرب ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) اللسان (أهل) غير منسوب ، وكأنه لأي النجم فيما أذكر .

(٤) هو المعجاج ، ديوانه : ٧ ، ويأتى بعد قليل في : ٢١٢ أيضاً و : ٢٢٣ .

قال أبو جعفر : ولكل قول من الأقوال التي قالها الذين وصفنا قولهم في ذلك ، وجهٌ معروفٌ .

فأما الذين قالوا : « ألم » ، اسم من أسماء القرآن ، فلقولهم ذلك وجهان : أحدهما : أن يكونوا أرادوا أن « ألم » اسم للقرآن ، كما القُرْآن اسم له . وإذا كان معنى قائل ذلك كذلك ، كان تأويل قوله ﴿ ألم ذلك الكتاب ﴾ ، على معنى القسم . كأنه قال : والقرآن ، هذا الكتاب لا ريب فيه .

والآخر منهما : أن يكونوا أرادوا أنه اسمٌ من أسماء السورة التي تُعرف به ، كما تُعرف سائر الأشياء بأسمائها التي هي لها أمارات تعرف بها ، فيفهم السامع من القائل يقول : قرأت اليوم « ألمص » و « ن » — أي السُور التي قرأها من سُور القرآن ^(١) ، كما يفهم عنه — إذا قال : لقيتُ اليوم عمراً وزيداً ، وهما يزيد وعمرو عارقان — من الذي لقي من الناس .

وإن أشكل معنى ذلك على امرئ فقال : وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ، ونظائر « ألم » ، « ألر » في القرآن جماعة من السُور ؟ وإنما تكون الأسماء أمارات إذا كانت مميزة بين الأشخاص ، فأما إذا كانت غير مميزة فليست أمارات .

قيل : إن الأسماء — وإن كانت قد صارت ، لاشتراك كثير من الناس في الواحد منها ، غير مميزة إلا بجماع آخر معها من ضم نسبة المسمى بها إليها أو نعتة أو صفته ، بما يفرق بينه وبين غيره من أشكالها — فإنها وُضعت ابتداءً للتمييز لا شك . ثم احتيج ، عند الاشتراك ، إلى المعاني المترفة بين المسمين بها ^(٢) . فكذلك ذلك في أسماء السور . فجعل كل اسم — في قول قائل هذه المقالة — أماراً للمسمى به من السُور . فلما شارك المسمى به فيه غيره من سور القرآن ، احتاج المخبر عن

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أي السورة التي قرأها . . . » .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « بين المسمى بها » .

سورةٍ منها أن يضمَّ إلى اسمها المسمَّى به من ذلك ، ما يفرِّق به السامع بين الخبر عنها وعن غيرها ، من نعتٍ وصفةٍ أو غير ذلك . فيقول المخبر عن نفسه أنه تلا سورة البقرة ، إذا سماها باسمها الذي هو « ألم » : قرأتُ « ألم البقرة » . وفي آل عمران : قرأتُ « ألم آل عمران » ، و « ألم ذلك الكتاب » ، و « ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم » . كما لو أراد المخبر عن رجلين ، اسم كل واحد منهما « عمرو » ، غير أن أحدهما تميمي والآخر أزدى ، للزمه أن يقول لمن أراد إخباره عنهما : لقيت عمراً التميمي وعمراً الأزدى ، إذ كان لا يفرقُ بينهما وبين غيرهما ممن يُشاركهما في أسمائهما ، إلا نسبتهما كذلك . فكذلك ذلك في قول من تأوَّل في الحروف المقطعة أنها أسماءٌ للسور .

وأما الذين قالوا : ذلك فواتحُ يفتح الله عز وجل بها كلامه ، فلأنهم وجهوا ذلك إلى نحو المعنى الذى حكينا عن حكيما ذلك عنه من أهل العربية ، أنه قال : ذلك أدِلَّةٌ على انقضاء سورة ابتداء في أخرى ، وعلامةٌ لانقطاع ما بينهما ، كما جعلت « بل » في ابتداء قصيدة دلالةً على ابتداء فيها ، وانقضاء أخرى قبلها . كما ذكرنا عن العرب إذا أراحوا الابتداء في إنشاد قصيدة قالوا :

بل • ما هاجَ أحزاناً وشجواً قد شجا

و « بل » ليست من البيت ولا داخلته في وزنه ، ولكن ليدلَّ به على قطع كلام وابتداء آخر .

وأما الذين قالوا : ذلك حروف مقطعة بعضها من أسماء الله عز وجل ، وبعضها من صفاته ، ولكل حرف من ذلك معنى غير معنى الحرف الآخر ، فلأنهم نحووا بتأويلهم ذلك نحو قول الشاعر :

قُلْنَا لَهَا : قِنِي لَنَا ، قالت : قَافٌ لَا تَحْسَبِي أَنَّا نَسِينَا الْإِيحَافَ^(١)

(١) الرجز للريد بن عقبة . الأغاني ٥ : ١٣١ ، شرح شواهد الشافية : ٢٧١ ، ومشكل القرآن : ٢٣٨ . الإيحاف : حيث الدابة على سرعة السير ، وهو الوجيف .

يعنى بقوله : « قالت قاف » ، قالت : قد وقفتُ . فدللت بإظهار القاف من « وقفت » ، على مرادها من تمام الكلمة التى هى « وقفت » . فصرفوا قوله « ألم » وما أشبه ذلك ، إلى نحو هذا المعنى . فقال بعضهم : الألف ألف « أنا » ، واللام لام « الله » ، والميم ميم « أعلم » ، وكلُّ حرفٍ منها دال على كلمة تامة . قالوا : فجملة هذه الحروف المقطعة إذا ظهر مع كل حرفٍ منهم تمام حروف الكلمة ، « أنا الله أعلم » . قالوا : وكذلك سائر جميع ما فى أوائلُ سور القرآن من ذلك ، فعلى هذا المعنى وبهذا التأويل . قالوا : ومستفيضٌ ظاهرٌ فى كلام العرب أن ينقصَ المتكلم منهم من الكلمة الأحرفَ ، إذا كان فيها بقى دلالة على ما حذف منها — ويزيدُ فيها ما ليس منها ، إذا لم تكن الزيادة مُلبَّسةً معناها على سامعها — كحذفهم فى النقص فى الترخيم من « حارث » الثاءَ ، فيقولون : يا حارٍ ، ومن « مالك » الكافَ ، فيقولون : يا مالٍ ، وما أشبه ذلك ، وكقول راجزهم :

مَا لِلظَّالِمِ عَالٌ ؟ كَيْفَ لَا يَا يَنْقُذُ عَنْهُ جِلْدُهُ إِذَا يَا^(١)

كانه أراد أن يقول : إذا يَفعل كذا وكذا ، فاكتفى بالياء من « يفعل » ، وكما قال آخر منهم :

بِاخْيَرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا

يريد : فشرًّا .

وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْ^(٢)

يريد : إلا أن تَشاء ، فاكتفى بالتاء والتقاء فى الكلمتين جميعاً ، من سائر حروفهما ، وما أشبه ذلك من الشواهد التى يطول الكتاب باستيعابه .

(١) شرح شواهد الشافعية : ٢٦٧ . حال : دعاء عليه ، من قولهم « عال عوله » أى ثكلته أمه ، فاختصر : و « يا » فى البيت الأول كأنه أراد أن يقول « ينقذ عنه . . . » فوقف ، ثم عاد يقول : « ينقذ » ، و « يا » فى الآخر : أى إذا يعلو هذا العلو .

(٢) سيبويه ٢ : ٦٢ ، الكامل ١ : ٢٤٠ ، والموضح : ١٢٠ ، وشرح شواهد الشافعية : ٢٦٢ ، ونسبه فى ٢٦٤ للقيم بن أوس .

٢٤٥ - وكما حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : حدثنا ابن علية، عن أيوب، وابن عون ، عن محمد ، قال : لما مات يزيد بن معاوية قال لى عبدة : إلى لأراها إلا كائنة فتنة ، فافزع من ضيعتِكَ والحق بأهلك . قلت : فما تأمرني ؟ قال : أحب إلى لك أن تأ - قال أيوب وابن عون بيده . تحت خدّه الأيمن ، يصف الاضطجاع - حتى ترى أمراً تعرفه^(١) .

قال أبو جعفر : يعني بـ « تأ » تضطجع ، فاجترأ بالتاء من تضطجع . وكما قال الآخر في الزيادة على الكلام^(٢) ، على النحو الذي وصفت :

أقول إذ خرت على الكلكالِ يا ناقتي ما جئت من مجال^(٣)
يريد : الكلكل ، وكما قال الآخر :

إن شكلي وإن شكك شتى فالزى الخُصّ واخفي تبيضي^(٤)
فرد ضاداً ، وليست في الكلمة .

قالوا : فكذلك ما نقص من تمام حروف كل كلمة من هذه الكلمات التي ذكرنا أنها تنتم حروف « ألم » ونظائرها - نظير ما نقص من الكلام الذي حكيناه عن العرب في أشعارها وكلامها .

وأما الذين قالوا : كل حرف من « ألم » ونظائرها ، دال على معان شتى -

(١) الأثر ٢٤٥ - محمد : هو ابن سيرين . وعبد : لم أوقن من هو ولم أرجح . بل أكاد أوقن أن هذا تحريف ، صوابه « عبدة » يفتح العين وكسر الباء الموحدة وآخره هاء . وهو عبدة بن عمرو - أو ابن قيس - السلماني ، من كبار التابعين ، من طبقة الصحابة ، أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يلقه . وكان ابن سيرين من أروى الناس عنه . وهو مترجم في التهذيب ، وفي ابن سعد ٦ : ٦٢ - ٦٤ ، وعند ابن أبي حاتم ٩١/١/٣ . وأما يزيد : فهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، مات سنة ٦٤ . وقوله : « قال أيوب . . . » ، أي أشار .

(٢) في المطبوعة : « في الكلام » .

(٣) اللسان (كلل) ، وشكل القرآن : ٢٣٥ . والكلكل : الصدر من البعير وغيره .

(٤) اللسان (بيض) (خفص) ، وشكل القرآن : ٢٣٤ . يقوله لامراته . والخص : البيت من قصب . وقوله « اخفي » من الخفص : وهو الدبة ولين العيش . يقول لها : نحن مختلفان ، فالزى بيتك وعيشي فريضة وخفص ، يزدك لين العيش بياضاً ونعمة . أما أنا فالرحلة دأبي ، تشقي وتلوحني .

نحو الذى ذكرنا عن الربيع بن أنس - فإنهم وجهوا ذلك إلى مثل الذى له وجهه إليه من قال : هو بتأويل « أنا الله أعلم » ، فى أن كل حرف منه بعض حروف كلمة تامة ، استغنى بدلالته على كمامه عن ذكر كمامه - وإن كانوا له مخالفين فى كل حرف من ذلك : أمو من الكلمة التى ادعى أنه منها قائلو القول الأول ، أم من غيرها ؟ فقالوا : بل الألف من « ألم » من كلمات شتى ، هى دالة على معانى جميع ذلك وعلى كمامه . قالوا : وإنما أفرد كل حرف من ذلك ، وقصر به عن تمام حروف الكلمة ، أن جميع حروف الكلمة لو أظهرت ، لم تدل الكلمة التى تظهر - التى بعض هذه الحروف المقطعة بعض لها - إلا على معنى واحد لا على معنيين وأكثر منهما . قالوا : وإذا كان لا دلالة فى ذلك ، لو أظهر جميعها ، إلا على معناها الذى هو معنى واحد ، وكان الله جل ثناؤه قد أراد الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لشيء واحد - لم يجز إلا أن يفرد الحرف الدال على تلك المعانى ، ليعلم المخاطبون به أن الله عز وجل لم يقصد قصد معنى واحد ودلالة على شيء واحد بما خاطبهم به ، وأنه إنما قصد الدلالة به على أشياء كثيرة . قالوا : فالألف من « ألم » مقتضية معانى كثيرة ، منها تمام اسم الرب الذى هو « الله » ، وتمام اسم نعماء الله التى هى آلاء الله ، والدلالة على أجل قوم أنه سنة ، إذ كانت الألف فى حساب الجُمَّل واحداً . واللام مقتضية تمام اسم الله الذى هو لطيف ، وتمام اسم فضله الذى هو لطيف ، والدلالة على أجل قوم أنه ثلاثون سنة . والميم مقتضية تمام اسم الله الذى هو مجيد ، وتمام اسم عظمتة التى هى مجد ، والدلالة على أجل قوم أنه أربعون سنة . فكان معنى الكلام - فى تأويل قائل القول الأول - أن الله جل ثناؤه افتتح كلامه بوصف نفسه بأنه العالم الذى لا يخفى عليه شيء ، وجعل ذلك لعباده منهجاً يسلكونه فى مفتتح خطبهم ورسائلهم ومهم أمورهم ، وابتلاء منه لهم به ليستوجبوا به عظيم الثواب فى دار الجزاء ، كما افتتح به الحمد لله رب العالمين ، و الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، [سورة الأنعام : ١]

وما أشبه ذلك من السُّور التي جعل مَفَاتِحَها الحمدَ لنفسه ، وكما جعل مَفَاتِحَ بعضها تعظيمَ نفسه وإجلالها بالتسبيح ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [سورة الإسراء : ١] ، وما أشبه ذلك من سائر سور القرآن ، التي جعل مَفَاتِحَ بعضها تحميدَ نفسه ، ومَفَاتِحَ بعضها تمجيدَها ، ومَفَاتِحَ بعضها تعظيمَها وتنزيهَها. فكَذَلِكَ جَعَلَ مَفَاتِحَ السُّورِ الْآخِرِ الَّتِي أَوَّالُهَا بَعْضُ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، مَدَائِحَ نَفْسِهِ ، أحياناً بالعلم ، وأحياناً بالعدل والإنصاف ، وأحياناً بالإفضال والإحسان ، بإيجاز واختصار ، ثم اقتصاصَ الأمور بعدَ ذلك .

وعلى هذا التأويل يجبُ أن يكون الألف واللام والميم في أماكن الرفع ، مرفوعاً بعضها ببعض ، دون قوله ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ، ويكون « ذلك الكتاب » خبراً مبتدأً مُنْقَطِعاً عن معنى « ألم ». وكذلك « ذلك » في تأويل قول قائل هذا القول الثاني ، مرفوعٌ ببعضه ببعض ، وإن كان مخالفاً معناه معنى قول قائل القول الأول .

وأما الذين قالوا : هنَّ حُرُوفٌ مِنْ حُرُوفِ حِسَابِ الْجُمْلِ دُونَ مَا خَالَفَ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي ، فإِنَّهُمْ قَالُوا : لَا نَعْرِفُ لِلْحُرُوفِ الْمَقْطُوعَةِ مَعْنًى يُفْهَمُ سِوَى حِسَابِ الْجُمْلِ ، وَسِوَى تَهْجِيٍّ قَوْلِ الْقَائِلِ : « أَلَمْ ». قَالُوا : وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُخَاطَبَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ عِبَادَةً إِلَّا بِمَا يَفْهَمُونَ وَيَعْقِلُونَ عَنْهُ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ — وَكَانَ قَوْلُهُ « أَلَمْ » لَا يُعْقَلُ لَهَا وَجْهٌ تُوجَّهُ إِلَيْهِ ، إِلَّا أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَا ، فَبَطَلَ أَحَدُهُ وَجْهِيهِ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهَا تَهْجِيٌّ « أَلَمْ » — صَحَّ وَثَبَتَ أَنَّهُ مُرَادُ بِهِ الْوَجْهُ الثَّانِي ، وَهُوَ حِسَابُ الْجُمْلِ ، لِأَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : « أَلَمْ » لَا يَجُوزُ أَنْ يَلِيَهُ مِنَ الْكَلَامِ « ذَلِكَ الْكِتَابُ » ، لِاسْتِحَالَةِ مَعْنَى الْكَلَامِ وَخُرُوجِهِ عَنِ الْمَقْذُولِ ، إِنْ وَلِيَ « أَلَمْ » « ذَلِكَ الْكِتَابُ » . وَاحْتَجُّوا لِقَوْلِهِمْ ذَلِكَ أَيْضاً بِمَا : —

٢٤٦ — حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ

الْفَضْلِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْكَلْبِيُّ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِثٍ ، قَالَ : مَرَّ

أبو ياسر بن أخطب يرسل الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، فأتى أخاه حُيَيَّ بنَ أخطب من يهود فقال : تعلمون والله^(١) ، لقد سمعتُ محمداً يتلو فيما أنزل الله عز وجل عليه ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ فقالوا : أنت سمعته ؟ قال : نعم ! قال : فشيءٌ حُيَيُّ بنَ أخطبَ في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، ألم يذكرك لنا ٧٢/١ أنك تتلو فيما أنزل عليك « أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ! فقالوا : أجاءك بهذا جبريلُ من عند الله ؟^(٢) قال : نعم ! قالوا : لقد بعث الله جل ثناؤه قبلك أنبياء ، ما نعلمه بينَ نبيٍّ منهم ، ما مدَّة ملكه وما أكل أمته غيرك !^(٣) فقال : حُيَيُّ بنَ أخطب ، وأقبلَ على من كان معه فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة . أفندخلون في دين نبيٍّ إنما مدَّةُ ملكه وأكلُ أمته إحدى وسبعون سنة^(٤) ؟ قال : ثم أقبلَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ! قال : ماذا ؟ قال : ﴿المص﴾ . قال : هذه أثقلُ وأطولُ ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه مئة وإحدى وستون سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ، قال : نعم ! قال : ماذا ؟ قال : ﴿الر﴾ . قال : هذه والله أثقلُ وأطولُ . الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مثنان ، فهذه إحدى وثلاثون ومثنتان سنة ، فقال : هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم ، ﴿المر﴾ ، قال : فهذه

(١) هكذا في المطبوعة والمخطوطة : « تعلمون » ، ونص محمد بن إسماعيل ، سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٤ . « تعلموا » بتشديد اللام ، أي اعملوا . وهي كثيرة الورد في سيرة ابن هشام وغيره .

(٢) الذي في سيرة ابن هشام : « أجاءك بها جبريل من عند الله » .

(٣) في المطبوعة ، وفي سائر الكتب التي خرجت الخبر عن الطبري : « ما أجل » .

(٤) في المطبوعة « قال ، فقال لهم : ! ندخلون . . . » و « أجل أمته » والتصحيح من المخطوطة وابن هشام . والأكل (بضم فسكون) : الرزق . يقال : هو عظيم الأكل في الدنيا ، أي واسع الرزق ، وهو الحظ من الدنيا ، كأنه يؤكل . ويراد به : مدة العمر التي يعيشها الناس في الدنيا يأكلون ما رزقهم الله . فيقال للميت : انقطع أكله ، بمعنى : انقضى عمره .

والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مثنان ، فهذه إحدى وسبعون ومثنا سنة . ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه . فقال أبو ياسر لأخيه حُجَي بن أخطب ، ولمن معه من الأخبار : ما يُدْرِيكم لعلّه قد جمع هذا كله لمحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومئة ، ومثنان وإحدى وثلاثون ، ومثنان وإحدى وسبعون ، فذلك سبعمئة سنة وأربع وثلاثون ! فقالوا : لقد تشابه علينا أمره ! ويزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ^(١) [سورة آل عمران : ٧] .

(١) الحديث ٢٤٦ - هذا حديث ضعيف الإسناد ، رواه محمد بن إسحق بهذا الإسناد الضعيف ، وبأسانيد آخر ضعاف :

فرواه في السيرة ، التي هذبها عبد الملك بن هشام النحوي البصري ، ورواها عن زياد بن عبد الله البكائي عن ابن إسحق ، وعرفت واشتهرت بأنها « سيرة ابن هشام » . وابن هشام هذا ثقة ، وثقه ابن يونس وغيره ، مات سنة ٢١٨ . وشيخه زياد البكائي : ثقة ، من شيوخ أحمد . « والبكائي » ، بفتح الباء وتشديد الكاف : نسبة إلى « البكاء » ، وهو : ربيعة بن عامر بن صعصعة .

فقال ابن هشام ٢ : ١٩٤ - ١٩٥ (٢ : ٣٥ - ٣٧ من الروض الأنف شرح السيرة) : قال ابن إسحق : وكان ممن نزل فيه القرآن بخاصة من الأخبار وكفار يهود ، الذين كانوا يسألونه ويتبعونه ، ليلبسوا الحق بالباطل ، فيما ذكر لى عن عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله بن رقاب : أن أبا ياسر ابن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم

فهذا إسناد ضعيف ، جهله ابن إسحق ، فجاء به معلقاً بصيغة التقرير . وفيه أن الرواية عن ابن عباس وجابر ، معاً .

ورواه البخاري في التاريخ الكبير ، في ترجمة « جابر بن عبد الله بن رقاب » ١ / ٢ / ٢٠٧ - ٢٠٨ بثلاثة أسانيد ، بهادته الدقيقة المتقنة ، في الإيجاز والإشارة إلى الأسانيد وعملها :

وأولها : « حدثني عمرو بن زرارة ، قال : حدثنا زياد : قال ابن إسحق : حدثني مولى لزيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة ، عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله : أن أبا ياسر بن أخطب مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو (ألم . ذلك الكتاب) » .

فهذه هي إشارة البخاري إلى الإسناد الأول من الثلاثة الأسانيد .

و « زياد » في هذا الإسناد : هو البكائي . فهذا إسناد صحيح إلى ابن إسحق . ولكن فيه الضعف بجهالة أحد رواته « مولى لزيد بن ثابت » . وهو كإسناد السيرة : عن ابن عباس وجابر معاً . ولعل عمرو ابن زرارة - شيخ البخاري - روى السيرة عن البكائي ، كما رواها عنه ابن هشام .

وثانيها : « وقال سلمة : حدثني ابن إسحق ، قال : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو

سعيد ، عن ابن عباس : (أ لم . ذلك الكتاب) - بطوله .
وهذه إشارة البخارى إلى الإسناد الثانى . يريد أنه رواه سلمة - وهو ابن الفضل الذى فى إسناد الطبرى
هنا - عن ابن إسحق . ولم يذكر لفظ الحفص ، اكتفاء بهذه الإشارة إليه .
وابن إسحق - فى هذا الإسناد - يرويه عن « محمد بن أبى محمد » ، وهو الأنصارى المدنى ، مولى
زيد بن ثابت . زعم اللهي فى الميزان أنه « لا يعرف » ! وهو معروف ، ترجمه البخارى فى الكبير
١/٢٢٥ فلم يذكر فيه جرماً ، وذكره ابن حبان فى الثقات . وكفى بذلك معرفة وتوثيقاً . ولعله هو
« مولى زيد بن ثابت » الذى أبهم فى الإسناد الأول . ولكن اضطرب هذا الإسناد حل ابن إسحق ، أو حل
سلمة بن الفضل - فكانت الرواية فيه : عن حكومة ، أو سعيد ، يعنى ابن جبير ، على الشك . ثم كانت
عن ابن عباس ، دون ذكر « جابر بن عبد الله بن رقاب » .
ثالثها : « وعن ابن إسحق : كان مما نزل فيه القرآن من الأحبار ، فيما حدثني الكلبي ، عن أبى صالح ،
عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله بن رقاب : مر أبو ياسر بن أخطب بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو يتلو (أ لم) ، بطوله - فى الحساب .
وهذه الرواية الثالثة ، بالإسناد الذى عند الطبرى هنا . تابعة للرواية الثانية ، عن سلمة بن الفضل ،
صطفها عليها بقوله « وعن ابن إسحق » ، ليست تعليقاً جديداً .
وأشار البخارى - بصنيعة هذا - إلى اضطراب الرواية على سلمة بن الفضل ، بين هذا وذاك . ولذلك
ذهب إلى جرح « سلمة » بهذا الاضطراب ، فقال عقب ذلك : « قال حل [يريد به شيخه على بن المدينى ،
إمام الجرح والتعديل] : ما خرجنا من الرى حتى رمينا بحديث سلمة » .
وقال فى ترجمة سلمة ٢ / ٢ / ٨٥ : « سلمة بن الفضل أبو عبد الله الأبرش الرازى الأنصارى ،
سمع محمد بن إسحق ، روى عنه عبد الله بن محمد الحنفى . عنده من أكبر . يقال : مولاهم . مات بعد اتسمين .
وهو على » ، يعنى شيخه ابن المدينى . ويعنى أن سلمة مات بعد سنة ١٩٠ . وقال فى التاريخ الصغير
ص ٢١٧ : « مات سلمة بن الفضل أبو عبد الله الأبرش الرازى الأنصارى بعد تسعين ومائة . قال حل
[يعنى ابن المدينى] : رمينا بحديثه قبل أن نخرج من الرى . وضعفه إسحق بن إبراهيم » . وقال فى ترجمته
أيضاً ، فى كتاب الضعفاء (ص ١٦) : « سمع محمد بن إسحق ، روى عنه عبد الله بن عمر بن أبان
ومحمد بن حميد . ولكن عنده من أكبر . وفيه نظر » .
وأنا أذهب إلى توثيق سلمة بن الفضل ، فقد وثقه ابن معين ، فيما رواه ابن أبى حاتم فى كتابه ، وله
عنده ترجمة جيدة وأقية ١/٢ / ١٦٨ - ١٦٩ . وروى أيضاً عن جرير ، قال : « ليس من لى بقداد
إلى أن تبلغ غراسان أثبت فى ابن إسحق - من سلمة بن الفضل » . وقد رجعت توثيقه أيضاً فى شرح المستد :
٨٨٦ .
وهنى أن هذا الاضطراب إنما هو من ابن إسحق ، أو لعله رواه بهذه الأسانيد كما سمعه . وكلها
ضعيف مضطرب . وأشداه ضعفاً الرواية التى هنا ، والى أشار إليها البخارى : من رواية الكلبي عن أبى
صالح .
وقد در الحافظ ابن كثير ، فقد وضع الحق موضعه ، حين قال فى التفسير ١ : ٦٩ - ٧٠ : « وأما
من زعم أنها دالة على معرفة المدد ، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفن والملاحم - فقد ادعى
ما ليس له ، وطار فى غير مظاره ! وقد ورد فى ذلك حديث ضعيف ، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا

قالوا : فقد صرح هذا الخبر بصحة ما قلنا في ذلك من التأويل ، وفساد ما قاله مخالفونا فيه .

والصواب من القول عندى في تأويل مفاتيح السور ، التى هى حروف المعجم : أن الله جل ثناؤه جعلها حروفاً مقطعة ولم يصل بعضها ببعض - فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف - لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة ، لا على معنى واحد ، كما قال الربيع بن أنس . وإن كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة ، دون ما زاد عليها .

والصواب في تأويل ذلك عندى : أن كل حرف منه يحوى ما قاله الربيع ، وما قاله سائر المفسرين غيره فيه - سوى ما ذكرت من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية : أنه كان يوجه تأويل ذلك إلى أنه حروف هجاء ، استغنى

المسلك من التمسك به على صحته . ثم نقل هذا الحديث من هذا الموضع من الطبرى - ثم قال : « فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي ، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ، ثم كان مقتضى هذا المسلك - إن كان صحيحاً : أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التى ذكرناها . وذلك يبلغ منه جملة كثيرة . وإن حسبت مع التكرار ، فأظم وأعظم !! » .

ومحمد بن السائب الكلبي : ضعيف جداً ، رى بالكذب ، بل روى ابن أبي حاتم في الجرح ١/٣ / ٢٧٠ - ٢٧١ في ترجمته ، عن أبي عاصم النبيل ، قال : « زعم لى سفيان الثوري قال : قال لنا الكلبي : ما حدثت عنى عن أبي صالح عن ابن عباس ، فهو كذب ، فلا تروه » . وقال أبو حاتم : « الناس مجتمعون على ترك حديثه ، لا يشتغل به ، هو ذاهب الحديث » .

والطبرى نفسه قد ضعفه جداً ، فيما مضى : ٦٦ إذ أشار إلى رواية عن ابن عباس : « روى جميع ذلك عن ابن عباس ، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله » ، ثم ذكر أن الذى روى ذلك « الكلبي عن أبي صالح » . ووصف الحديث : ٧٢ الذى رواه من طريقه ، بأنه « خبر فى إسناده نظر » .

فكان عجباً منه بعد هذا ، أن يحتج بهذه الروايات المتألفة ، ويرضى هذا التأويل المستنكر ، بحساب الجمل ! إذ يختار فيها سبأتي (هذه الصفحة سطر : ٨ وما بعدها) ، أن هذه الأحرف تحوى سائر المعاني التى حكاهما إلا قولاً واحداً غير هذا المعنى المنكر . بل هو يصرح بعد ذلك ص : ٢٢٢ سطر : ٨ أن من المعاني التى ارتضاها : أنهم « من حروف حساب الجمل » !!

وقد نقل السيوطي هذا الحديث فى الدر المنثور ١ : ٢٢ ، و ٢ : ٤ - ٥ ، ووصفه فى الموضع الأول بالضعف . وكذلك نقله الشوكاني ١ : ٢٠ ، وضعفه .

وقوله فى آخره : « ويزعمون أن هؤلاء الآيات . . . - هو من تصفة الرواية . وهو من كلام ابن إسحق حكاية عن روى عنهم .

يذكر ما ذكر منه في مفاتيح السور ، عن ذكر تنمة الثمانية والعشرون حرفاً من حروف المعجم ، بتأويل : أن هذه الحروف ، ذلك الكتاب ، مجموعة ، لا ريب فيه — فإنه قول خطأ فاسدٌ ، لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين من أهل التفسير والتأويل^(١) . فكفى دلالة على خطئنا ، شهادة الحججة عليه بالخطأ ، مع إبطال قائل ذلك قوله الذي حكينا عنه — إذ صار إلى البيان عن رفع « ذلك الكتاب » — بقوله مرة إنه مرفوعٌ كل واحد منهما بصاحبه ، ومرة أخرى إنه مرفوعٌ بالراجع من ذكره في قوله « لا ريب فيه » ، ومرة بقوله « هدى للمتقين » . وذلك ترك منه لقوله : إن « ألم » رافعةٌ « ذلك الكتاب » ، وخروجٌ من القول الذي ادّعاه في تأويل « ألم ذلك الكتاب » ، وأن تأويل ذلك : هذه الحروف ذلك الكتاب .

فإن قال لنا قائل : وكيف يجوز أن يكون حرفٌ واحدٌ شاملاً للدلالة على معانٍ كثيرة مختلفة ؟

قيل : كما جاز أن تكون كلمة واحدةٌ تشتمل على معانٍ كثيرة مختلفة ، ٧٢/١ كقولهم للجماعة من الناس : أمةٌ ، وللمحمن من الزمان : أمةٌ ، وللرجل المتعبد المطيع لله : أمةٌ ، وللدين والملة : أمةٌ . وكقولهم للجزاء والقصاص : دينٌ ، وللسلطان والطاعة : دينٌ ، وللتدليل : دينٌ ، وللحساب : دينٌ ، في أشباه ذلك كثيرة يطول الكتاب بإحصائها — مما يكون من الكلام بلفظ واحد ، وهو مشتمل على معانٍ كثيرة . وكذلك قول الله جل ثناؤه : « ألم » و « أُر » و « ألمص » وما أشبه ذلك من حروف المعجم التي هي فواتح أوائل السور ، كل حرفٍ منها دالٌّ على معانٍ شتى ، شاملٌ جميعها من أسماء الله عز وجل وصفاته ما قاله المفسرون من الأقوال التي ذكرنا عنهم . وهنَّ ، مع ذلك ، فواتح السور ، كما قاله من قال ذلك . وليس

(١) الخالفين جمع خالف . خلف قوم بعد قوم يخلفون خلفاً فهم خالفون : جاؤا بعدهم وتبعهم على آثارهم . تقول : أنا خالفته وخالفته : أى جئت بعده .

كون ذلك من حروف أسماء الله جل ثناؤه وصفاته ، بمانعها أن تكون للسور فواتح . لأن الله جل ثناؤه قد افتتح كثيراً من سور القرآن بالحمد لنفسه والثناء عليها ، وكثيراً منها بتمجيدها وتعظيمها ، فغير مستحيل أن يبتدئ بعض ذلك بالقسم بها .

فالتى ابتدئ أوائلها بحروف المعجم ، أحد معاني أوائلها : أنهن فواتح ما افتتح بهن من سور القرآن . وهن مما أقسم بهن ، لأن أحد معانيهن أنهن من حروف أسماء الله تعالى ذكره وصفاته ، على ما قد منا البيان عنها ، ولا شك في صحة معنى القسم بالله وأسمائه وصفاته . وهن من حروف حساب الجُمَّل . وهن للسور التى افتتحت بهن شعاراً وأسماء . فذلك يحوى معاني جميع ما وصفنا ، مما بيننا ، من وجوهه . لأن الله جل ثناؤه لو أراد بذلك ، أو بشيء منه ، الدلالة على معنى واحد مما يحتمله ذلك ^(١) ، دون سائر المعاني غيره ، لأبان ذلك لم رسول الله صلى الله عليه وسلم إبانة غير مشككة . إذ كان جل ثناؤه إنما أنزل كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم ليبيِّن لهم ما اختلفوا فيه . وفي تركه صلى الله عليه وسلم إبانة ذلك — أنه مراد به من وجوه تأويله البعض دون البعض — أوضح الدليل على أنه مراد به جميع وجوهه التى هو لها محتمل . إذ لم يكن مستحيلاً فى العقل وجه منها أن يكون من تأويله ومعناه ، كما كان غير مستحيل اجتماع المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة ، باللفظ الواحد ، فى كلام واحد .

ومن أبى ما قلناه فى ذلك ، سبيل الترقى بين ذلك ، وبين سائر الحروف التى تأتى بلفظ واحد ، مع اشتغالها على المعاني الكثيرة المختلفة ، كالأمّة والدين وما أشبه ذلك من الأسماء والأفعال . فلن يقول فى واحد من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

وكذلك يُسأل كل من تأول شيئاً من ذلك — على وجه دون الأوجه الأخر

(١) فى الخطوط المطبوعة : « مما لا يحتمله ذلك » ، وهو محتمل لمناه .

التي وصفنا — عن البرهان على دعواه ، من الوجه الذي يجب التسليم له . ثم يُعارض بقول مخالف في ذلك ، ويسأل الفرقَ بينه وبينه : من أصل ، أو بما يدل عليه أصل . قلن يقول في أحدهما قولاً إلا ألزم في الآخر مثله .

وأما الذي زعم من النحويين : أن ذلك نظيرُ « بل » في قول المنشد شعراً :

بل • ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجاً

وأنه لا معنى له ، وإنما هو زيادة في الكلام معناه الطَّرَحُ — فإنه أخطأ من

« وجه شتى » (١) :

أحدها : أنه وصفَ الله تعالى ذكره بأنه خاطب العرب بغير ما هو من لغتها ، وغير ما هو في لغة أحد من الآدميين . إذ كانت العربُ — وإن كانت قد كانت تفتح أوائل إنشادها ما أنشدت من الشعر بـ « بل » — فإنه معلوم منها أنها لم تكن تبتدئ شيئاً من كلامها بـ « ألم » و « ألر » و « ألمص » ، بمعنى ابتدائها ذلك بـ « بل » . وإذ كان لك ليس من ابتدائها — وكان الله جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم من القرآن ، بما يعرفون من لغاتهم ، ويستعملون بينهم من منطقهم ، في جميع آياته — فلا شك أن سبيل ما وصفنا من حروف المعجم ، التي افتتحت بها أوائل السور ، التي من لها فواتح ، سبيلُ سائر القرآن ، في أنه لم يعدلُ بها عن لغاتهم التي كانوا بها عارفين ، ولها بينهم في منطقهم مستعملين . لأن ذلك لو كان معديلاً به عن

سبيل لغاتهم ومنطقهم ، كان خارجاً عن معنى الإبانة التي وصف الله عز وجل ٧٤/١ بها القرآن ، فقال تعالى ذكره : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ • عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ • بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥] . وأنى يكون مبيناً ما لا يعقله ولا يفهمه أحد من العالمين (٢) ، في قول قائل هذه المقالة ، ولا يُعرَف في منطق أحد من المخلوقين ، في قوله ؟ وفي إخبار الله جل ثناؤه عنه أنه عربي مبين ، ما يكذب هذه المقالة ، وينبئ عنه أن العرب كانوا به

(٢) في المطبوعة : « ما لا يعقله ولا يفهمه » .

(١) انظر ما مضى : ٢١٠ .

عالمين ، وهو لها مُستبينٌ . فذلك أحدُ أوجه خطئه .
والوجه الثاني من خطئه في ذلك : إضافته إلى الله جلّ ثناؤه أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له ، من الكلام الذي سواء الخطابُ فيه به وترك الخطاب به . وذلك إضافة العبث الذي هو منقضى في قول جميع الموحدين عن الله — إلى الله تعالى ذكره . والوجه الثالث من خطئه : أن «بل» في كلام العرب مفهومٌ تأويلها ومعناها ، وأنها تُدخلها في كلامها رجوعاً عن كلام لها قد تنقضى ، كقولهم : ما جاءني أخوك بل أبوك ، وما رأيتُ عمرأ بل عبد الله ، وما أشبه ذلك من الكلام ، كما قال أعشى بنى ثعلبة :

وَلَأَشْرَبَنَّ ثَمَانِيًا وَثَمَانِيًا وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا^(١)
ومضى في كلمته حتى بلغ قوله :
بِالْجُلْسَانِ ، وَطَيْبٌ أَرْدَانُهُ بِالْوَنِّ يَضْرِبُ لِي يَكْرُهُ الْإِضْبَعَا^(٢)
ثم قال :

بلْ عَدَّ هَذَا ، فِي قَرِيضٍ غَيْرِهِ وَاذْكُرْ قَتَى سَمَحَ الْخَلِيقَةِ أَرْوَعًا
فكانه قال : دَعُ هذا وخذ في قريض غيره . فـ «بل» إنما يأتي في كلام العرب على هذا النحو من الكلام ، فأما افتتاحاً لكلامها مُبتدأ بمعنى التطول والحذف^(٣) ، من غير أن يدلّ على معنى ، فذلك بما لا نعلم أحداً ادعاه من أهل المعرفة بلسان العرب ومنطقها ، سوى الذي ذكرتُ قوله ، فيكون ذلك أصلاً يشبهه به حُرُوف المعجم التي هي فواتح سور القرآن التي افتتحت بها — لو كانت له مُشبهة — فكيف وهي من الشبه به بعيد ؟

(١) ديوان الأعشى ، زيادات : ٢٤٨ ، باختلاف في الرواية . وانظر مراجعه هناك .

(٢) الجلسان : قبة أرييت ينثر فيه الورد والريحان للشرب . وقوله : « وطيب أردانه » يعنى قينة تقنيه وتمزف لهم ، طيبة الريح ، تفسخت وتزينت . والأردان جمع ردن (بضم فسكون) : وهو مقدم كم القميص . والون : صنج يضرب بالأصابع . وقوله « يكر » أى يرد أصبحه مرة بعد مرة في ضربه بالصنج ، وأراد به سرعة حركة أصابعها بالصنج . وفي المطبوعة « يكد » بالذال ، وهو خطأ .

(٣) انظر ما مضى : ١٨ تعليق : ٢ ، ومضى بالتطول : الزيادة .

* * *

القول في تأويل قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾

قال عامة المفسرين : تأويل قول الله تعالى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ : هذا الكتاب .
ذكر من قال ذلك :

٢٤٧ - حدثني هرون بن إدريس الأصم الكوفي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ذلك الكتاب » قال : هو هذا الكتاب .
٢٤٨ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَبة ، قال : أخبرنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، قال : « ذلك الكتاب » : هذا الكتاب .
٢٤٩ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي ، في قوله « ذلك الكتاب » قال : هذا الكتاب ^(١) .

٢٥٠ - حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود . قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله : « ذلك الكتاب » : هذا الكتاب . قال : قال ابن عباس : « ذلك الكتاب » : هذا الكتاب ^(٢) .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يكون « ذلك » بمعنى « هذا » ؟ و « هذا » لا شك إشارة إلى حاضر مُعَيَّن ، و « ذلك » إشارة إلى غائب غير حاضر ولا مُعَيَّن ؟

(١) الأثر ٢٤٩ - الحكم بن ظهير - بضم الظاء المعجمة - الفزاري ، أبو محمد بن أبي ليل الكوفي : ضعيف جداً ، روى بوضع الحديث . قال البخاري في الكبير ١ / ٢ / ٣٤٢ - ٣٤٣ : « تركوه منكر الحديث » . وقال ابن أبي حاتم في الجرح ١ / ٢ / ١١٨ - ١١٩ عن أبي زرقة : « رآه الحديث » . وقال ابن حبان في كتاب المجروحين ، رقم ٢٣٩ : « كان يشتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يروى عن الثقات الأشياء الموضوعة » .

(٢) هذه الآثار جميعاً ٢٤٧ - ٢٥٠ ذكرها ابن كثير في تفسيره ١ : ٧٠ ، والدر المنثور ١ : ٢٤ ، والشوكاني ١ : ٢١ .

قيل : جاز ذلك ، لأن كل ما تَقَضَّى ، بقُرْبِ تَقْضِيهِ من الإخبار^(١) ، فهو - وإن صار بمعنى غير الحاضر - فكالحاضر عند المخاطب . وذلك كالرجل يحدث الرجل الحديث فيقول السامع : « إن ذلك والله لكما قلت » ، و « هذا والله كما قلت » ، و « هو والله كما ذكرت » ، فيخبرُ عنه مرةً بمعنى الغائب ، إذ كان قد تَقَضَّى ومضى ، ومرة بمعنى الحاضر ، لقُرْبِ جوابه من كلام مخبره ، كأنه غير مُنْقَضٍ . فكذا « ذلك » في قوله ﴿ ذلك الكتاب ﴾ لأنه جلّ ذكره لما قدم قبل « ذلك الكتاب » « ألم » ، التي ذكرنا تصرّفها في وجوهها من المعاني على ما وصفنا ، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، هذا الذي ذكرته ويَسْتَتُهُ لك ، الكتابُ . ولذلك أحسن وضع « ذلك » في مكان « هذا » ، لأنه أشير به إلى الخبر عما تضمنتهُ قوله « ألم » من المعاني ، بعد تَقْضَى الخبر عنه بـ « ألم » ، فصار لقرب الخبر عنه من تَقْضِيهِ ، كالحاضر المشار إليه ، فأخبر به بـ « ذلك » لانقضاءه ، ومصير الخبر عنه كالخبر عن الغائب ، وترجمهُ المفسرون^(٢) : أنه بمعنى « هذا » ، لقرب الخبر عنه من انقضائه ، فكان كالمشاهد المشار إليه بـ « هذا » ، نحو الذي وصفناه من الكلام الجارى بين الناس في محاوراتهم ، وكما قال جلّ ذكره : ﴿ وَادْكُرْ إسماعيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ هَذَا ذِكْرُ ﴾ [سورة ص : ٤٨ ، ٤٩] فهذا ما في « ذلك » إذا عني بها « هذا » .

وقد يحتمل قوله جلّ ذكره ﴿ ذلك الكتاب ﴾ ، أن يكون معنيًا به السورُ التي نزلت قبل سورة البقرة بمكة والمدينة ، فكأنه قال جلّ ذكره ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، اعلم أن ما تضمنتهُ سورُ الكتاب التي قد أنزلتها إليك ، هو الكتابُ الذي لا ريبَ فيه . ثم ترجمه المفسرون^(٣) بأن معنى « ذلك » « هذا الكتاب » ،

(١) في المطبعة « وقرب تَقْضِيهِ » . يريد : أن ذكر ما انقضى ، وانقضاه قريب من إخبارك عنه .

(٢) ترجمه : أي فسرهُ المفسرون وبينوه بوضع حرف مكان حرف . انظر ما مضى ٧٠ تعليق

١ / ٩٣ : ٤ / ومواقع أخر .

إذ كانت تلك السُّور التي نزلت قبل سورة البقرة ، من جملة جميع كتابنا هذا ، الذى أنزله الله عز وجل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
وكان التأويل الأول أولى بما قاله المفسرون ، لأن ذلك أظهر معانى قولهم الذى قالوه فى « ذلك » .

وقد وجّه معنى « ذلك » بعضهم ، إلى نظير معنى بيت خُفاف بن نُدبة السُّلمى :

فَإِنْ تَكُ خَيْلٍ قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مَالِهَا^(١)
أَقُولُ لَهُ ، وَالرُّمَحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ ، تَأْمَلُ خُفَافًا ، إِنِّى أَنَا ذَلِكَا^(٢)
كأنه أراد : تأملنى أنا ذلك . فزعم أن « ذلك الكتاب » بمعنى « هذا » ، نظيره^(٣) . أظهر خُفاف من اسمه على وجه الخبر عن الغائب ، وهو مخبر عن نفسه . فكذاك أظهر « ذلك » بمعنى الخبر عن الغائب^(٤) ، والمعنى فيه الإشارة إلى الحاضر المشاهد .

والقول الأول أولى بتأويل الكتاب ، لما ذكرنا من العلل .

وقد قال بعضهم : « ذلك الكتاب » ، يعنى به التوراة والإنجيل ، وإذا وجّه

(١) الأغاني ٢ : ١٣/٣٢٩ ، ١٣٤ : ١٦/١٣٥ ، ١٣٤ : ١٦/١٣٥ ، والخزائن ٢ : ٤٧٠ ، وغيرهما ، ويأتى فى الطبرى ١ : ٣١٤ ، ٤٣٧ . يقول الشعر فى مقتل ابن عمه معاوية بن عمرو أخى الخنساء . ومالك ، هو مالك بن حِمار الشمخى الفزارى . والحليل هنا : هم فرسان الغارة ، وكان معاوية وشغاف غزواً بنى مرة وفزارة . والصميم : الخالص المحض من كل شيء . وأراد معاوية ومقتله يرمض . ويقال : « فعلت هذا الأمر عمد عين ، وعداً على عين » ، إذا تمسده مواجهة بمجد ويقين . وتيسم : قصد وأم .

(٢) « أقول له » ، يعنى لمالك بن حِمار . وأطر الشيء يأطره أطراً : هو أن تقبض على أحد طرفى الشيء ثم تمويهه وتمططه وتثنيه . وأراد أن حر الطمعة جملة يتشئ من أهلها ، ثم ينحى ليهوى صريعاً إذ أصاب للرمح مقتله . وأرى أن الإشارة فى هذا البيت إلى معنى غائب ، كأنه قال : « أنا ذلك الذى سمعت به وببأسه » . وهذا المعنى يخرج البيت عن أن يكون شاهداً على ما أراد الطبرى .

(٣) فى المطبوعة : « كأنه أراد : تأملنى أنا ذلك » ، فرأى أن « ذلك الكتاب » بمعنى « هذا » نظير ما أظهر خُفاف من اسمه وهو تقييد لا خبر فيه .

(٤) فى المطبوعة : « فلذلك أظهر ذلك »

تأويل « ذلك » إلى هذا الوجه ، فلا مؤونة فيه على متأولّه كذلك ، لأن « ذلك » يكون حينئذ إخباراً عن غائب على صحة .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾

وتأويل قوله : « لا ريب فيه » « لا شك فيه » . كما : —

٢٥١ — حدثني هرون بن إدريس الأصم ، قال : حدثنا عبد الرحمن المحاربي

عن ابن جريج ، عن مجاهد : لا ريب فيه ، قال : لا شك فيه .

٢٥٢ — حدثني سلام بن سالم الخزاعي ، قال : حدثنا خلف بن ياسين الكوفي ،

عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عطاء ، « لا ريب فيه » : قال : لا شك فيه ^(١) .

٢٥٣ — حدثني أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبير ،

قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي ، قال : « لا ريب فيه » ، لا شك فيه .

٢٥٤ — حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :

حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ،

عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ريب فيه » ، لا شك فيه .

٢٥٥ — حدثنا محمد بن حميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن

إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ،

(١) الأثر ٢٥٢ — سلام ، شيخ الطبري : لم أجد له ترجمة إلا في تاريخ بغداد ٩ : ١٩٨

قال : « سلام بن سالم أبو مالك الخزاعي الضريير : حدث عن يزيد بن هرون ، وعمر بن سعيد التنوخي ، وموسى بن إبراهيم المروزي ، والفضل بن جبير الوراق . روى عنه الحسين بن إسماعيل المحاملي » . ليس غير . وأما شيخ سلام في هذا الإسناد « خلف بن ياسين الكوفي » : فلم أجد إلا ترجمة في الميزان ١ : ٢١١ ولسان الميزان ٢ : ٤٠٥ لراو اسمه « خلف بن ياسين بن معاذ الزيات » ، وهو رجل يخيف كذاب ، لا يشتغل به . لا أدري أهو هذا أم غيره ؟

عن ابن عباس : « لا ريبَ فيه » ، قال : لا شكَ فيه .

٢٥٦ — حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ،

عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : « لا ريبَ فيه » ، يقول : لا شكَ فيه .

٢٥٧ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا

معمر ، عن قتادة : « لا ريبَ فيه » ، يقول : لا شكَ فيه .

٢٥٨ — حدثت عن سمّار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : قوله « لا ريبَ فيه » ، يقول : لا شكَ فيه ^(١) .

وهو مصدر من قول القائل : رابى الشيءَ يربى ريباً . ومن ذلك قول ٧٦/١

ساعده بن جؤينة الهذلي :

فقالوا : تَرَ كُنَّا الْحَيَّ قَدْ حَصَرُوا بِهِ ، فَلَا رَيْبَ أَنْ قَدْ كَانَ مِمَّ لَحِيمٍ ^(٢)

ويروى : « حَصَرُوا » و « حَصِرُوا » والفتحُ أَكْثَرُ ، والكسر جائز . يعنى

بقوله « حصروا به » : أطافوا به . ويعنى بقوله « لا ريب » . لا شكَ فيه . وبقوله

« أن قد كان ممَّ لحيم » ، يعنى قتيلاً ، يقال : قد لُحِمَ ، إذا قُتِلَ .

والهاء التى فى « فيه » عائدة على الكتاب ، كأنه قال : لا شك فى ذلك الكتاب

أنه من عند الله هُدى للمتقين .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ هُدًى ﴾

٢٥٩ — حدثني أحمد بن حازم الغفارى ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا

(١) هذه الآثار جميعاً ٢٥١ - ٢٥٨ ساقها ابن كثير ١ : ٧١ ، وبعضها فى الدر المنثور

١ : ٢٤ ، والشوكافى ١ : ٢٢ . وقال ابن كثير بعد سياقتها : « قال ابن أبي حاتم : لا أعلم فى هذا خلافاً » .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٢٣٢ ، واللسان (حصر) .

سفيان ، عن بيان ، عن الشعبي ، « هُدًى » قال : هُدًى من الضلالة^(١) .
 ٢٦٠ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
 أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السُّدِّي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي
 صالح ، عن ابن عباس وعن مرة الهَمْدَانِي ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، « هدى للمتقين » ، يقول : نور للمتقين^(٢) .

والهدى في هذا الموضع مصدرٌ من قولك : هديتُ فلاناً الطريق - إذا أرشدته
 إليه ، ودلّته عليه ، وبينته له - أهديه هُدًى وهداية .

فإن قال لنا قائل : أو ما كتابُ الله نوراً إلا للمتقين ، ولا رشاداً إلا للمؤمنين ؟
 قيل : ذلك كما وصفه ربنا عز وجل . ولو كان نوراً لغير المتقين ، ورشاداً
 لغير المؤمنين ، لم يخصَّ الله عز وجل المتقين بأنه لهم هُدًى ، بل كان يعمُّ به
 جميع المُنذَرِينَ . ولكنه هُدًى للمتقين ، وشفاءٌ لما في صدور المؤمنين ، ووَقرٌ في
 آذان المكذِبِينَ ، وعمى لأبصار الجاحدين ، وحجةٌ لله بالغة على الكافرين . فالمؤمن
 به مُهتدٍ ، والكافر به محجوجٌ^(٣) .

وقوله « هدى » يحتدل أوجهاً من المعاني :

أحدها : أن يكون نصباً ، لمعنى القطع من الكتاب ، لأنه نكرة والكتاب
 معرفة^(٤) . فيكون التأويل حينئذ : ألم ذلك الكتاب هادياً للمتقين . و« ذلك » مرفوع
 بـ « ألم » ، و « ألم » به ، والكتابُ نعت لـ « ذلك » .

وقد يحتدل أن يكون نصباً ، على القطع من راجع ذكر الكتاب الذي في

(١) الأثر ٢٥٩ - بيان ، بفتح الباء الموحدة والياء التحتية المخففة : هو ابن بشر الأحمسي ، ثقة من الثقات ، كما قال أحد . وسفيان ، الراوى عنه : هو الثوري . وهذا الأثر نقله السيوطي ١ : ٢٤ ، ونسبه لوكيع والطبري .

(٢) الخبر ٢٦٠ - نقله ابن كثير ١ : ٧١ ، ونقله السيوطي ١ : ٢٤ ، والشوكاني ١ : ٢٢ مع الخبر الآتي ٢٦٣ ، جملة خبراً واحداً ، وذكره عن ابن مسعود فقط .

(٣) حجه يحجه فهو محجوج : غلبه بالحجة فهو مغلوب .

(٤) يريد بقوله « لمعنى القطع » ، أن يقطع عن نعت الكتاب ، ويصير حالاً .

« فيه » ، فيكونُ معنى ذلك حيثُند : ألم الذي لا ريب فيه هادياً .

وقد يحتمل أن يكون أيضاً نصباً على هذين الوجهين ، أعنى على وجه القطع من الهاء التي في « فيه » ، ومن « الكتاب » ، على أن « ألم » كلام تام ، كما قال ابن عباس إنَّ معناه : أنا الله أعلم . ثم يكون « ذلك الكتاب » خبراً مستأنفاً ، فيرفع حيثُند « الكتاب » بـ « ذلك » ، و « ذلك » بـ « الكتاب » ، ويكون « هُدًى » قطعاً من « الكتاب » ، وعلى أن يرفع « ذلك » بالهاء العائدة عليه التي في « فيه » ، و « الكتاب » نعتٌ له ، والهدى قطع من الهاء التي في « فيه » . وإن جُعِل الهدى في موضع رفع ، لم يجوز أن يكون « ذلك الكتاب » إلا خبراً مستأنفاً ، و « ألم » كلاماً تاماً مكثفاً بنفسه ، إلا من وجهٍ واحد ، وهو أن يُرفع حيثُند « هُدًى » بمعنى المدح ، كما قال الله جل وعز : ﴿ أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة لقمان : ١-٣] في قراءة من قرأ « رحمة » . بالرفع ، على المدح للآيات .

والرفع في « هدى » حيثُند يجوز من ثلاثة أوجه : أحدها ما ذكرنا من أنه مدحٌ مستأنفٌ . والآخر : على أن يُجعل مُرافِعٌ « ذلك » ، و « الكتاب » نعتٌ « لذلك » . والثالث : أن يُجعل تابعاً لموضع « لا ريب فيه » ، ويكون « ذلك الكتاب » مرفوعاً بالعائد في « فيه » . فيكون كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [سورة الأنعام : ٩٢] .

وقد زعم بعض المتقدمين في العلم بالعربية من الكوفيين ، أن « ألم » مرافعٌ « ذلك الكتاب » بمعنى : هذه الحروف من حروف المعجم ، ذلك الكتاب الذي وعدتُك أن أوحيه إليك ^(١) . ثم نقض ذلك من قوله فأسرع نقضه ، وهندم ما بنى فأسرع هندمته ، فزعم أن الرفع في « هُدًى » من وجهين ، والنصب من وجهين . وأن أحد وجهي الرفع : أن يكون « الكتاب » نعتاً لـ « ذلك » و « الهدى » في موضع رفعٍ خبرٍ لـ « ذلك » .

(١) يعني بصاحب هذا القول ، الفراء في كتابه معاني القرآن ١ : ١٠ .

٧٧/١ كأنك قلت: ذلك هدى لا شك فيه^(١). قال : وإن جعلت « لا ريب فيه » خبره ، رفعت أيضاً « هدى » ، يجعله تابعاً لموضع « لا ريب فيه » ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ ، كأنه قال : وهذا كتاب هدى من صفته كذا وكذا . قال : وأما أحد وجهي النصيب فإن تجعل الكتاب خبراً لـ « ذلك » ، وتنصب « هدى » على القطع ، لأن « هدى » نكرة اتصلت بمعرفة ، وقد تم خبرها فنصبته^(٢) ، لأن النكرة لا تكون دليلاً على معرفة . وإن شئت نصبت « هدى » على القطع من الهاء التي في « فيه » كأنك قلت : لا شك فيه هادياً^(٣) .

قال أبو جعفر : فترك الأصل الذي أصله في « ألم » وأنها مرفوعة بـ « ذلك الكتاب » ، ونبذه وراء ظهره . وللأزم كان له على الأصل الذي أصله ، أن لا يميز الرفع في « هدى » بحال إلا من وجه واحد ، وذلك من قبيل الاستئناف ، إذ كان ممدوحاً . فأما على وجه الخبر « لذلك » ، أو على وجه الإتيان لموضع « لا ريب فيه » ، فكان اللازم له على قوله أن يكون خطأ . وذلك أن « ألم » إذا رافعت « ذلك الكتاب » ، فلا شك أن « هدى » غير جائز حينئذ أن يكون خبراً « لذلك » ، بمعنى المرافع له ، أو تابعاً لموضع « لا ريب فيه » ، لأن موضعه حينئذ نصب ، لتمام الخبر قبله ، وانقطاعه — بمخالفته إياه — عنه .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

٢٦١ — حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، قوله : « للمتقين » قال : اتَّقُوا ما حرَّم عليهم ، وأدِّوا ما افترض عليهم .

(١) في المطبوعة والمخطوطة « ذلك لا شك فيه » ، والتصحيح من معاني القرآن للفراء ١ : ١١ .

(٢) في المطبوعة « فتصحبها » ، والتصحيح من المخطوطة ومعاني القرآن للفراء .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ١١ - ١٢ .

٢٦٢ - حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « للمتقين » ، أى الذين يَحَذَرُونَ من الله عز وجل عقوبته في تَرْك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتَّصديق بما جاء به .

٢٦٣ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّى في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرَّة الهَمْدَانِي ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « هدى للمتقين » ، قال : هم المؤمنون .

٢٦٤ - حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، قال : سألت الأعمش عن « المتقين » ، قال : فأجبتُه ، فقال لى : سل عنها الكلبي . فسألته ، فقال : الذين يَحْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الإِثْمِ . قال : فرجعتُ إلى الأعمش ، فقال : نَرَى أنه كذلك . ولم ينكره .

٢٦٥ - حدثني المثنى بن إبراهيم الطبرى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال حدثنا عمر أبو حفص ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : « هدى للمتقين » ، هم مَنْ نَعَتْهُمْ ووصفهم فأثبت صفتهم ، فقال : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ .

٢٦٦ - حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس : « للمتقين » قال : للمؤمنين الذين يَتَّقُونَ الشُّرَكَ بى ، ويعملون بطاعتي ^(١) .

وأولى التأويلات بقول الله جل ثناؤه ﴿ هدى للمتقين ﴾ ، تأويلُ من وصف القومَ بأنهم الذين اتَّقَوْا اللهَ تبارك وتعالى في ركوب ما نهاهم عن ركوبه ، فجنبوا

(١) الآثار ٢٦١ - ٢٦٦ ساقها جيمًا ابن كثير في تفسيره ١ : ٧١ - ٧٢ ، وبمضيا

في الدر المنثور ١ : ٢٤ ، والشوكاني ١ : ٢٧ .

معاصيّه، واتَّقَوْهُ فيما أمرهم به من فرائضه، فأطاعوه بأدائها . وذلك أن الله عز وجل وصفهم بالتقوى، فلم يحصر تقواهم إياه على بعض ما هو أهل له منهم دون بعض^(١). فليس لأحد من الناس أن يحصر معنى ذلك، على وصفهم بشيء من تقوى الله عز وجل دون شيء، إلا بحجة يجب التسليم لها . لأن ذلك من صفة القوم - لو كان محصوراً على خاص من معاني التقوى دون العام منها - لم يدع الله جل ثناؤه بيان ذلك لعباده : إما في كتابه، وإما على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، إذ لم يكن في العقل دليل على استحالة وصفهم بعموم التقوى .

٧٨/١

فقد تبين إذاً بذلك فساد قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو : الذين اتَّقَوْا الشرك وبرئوا من النفاق . لأنه قد يكون كذلك، وهو فاسق غير مستحق أن يكون من المتقين، إلا أن يكون - عند قائل هذا القول - معنى النفاق : ركوب الفواحش التي حرمها الله جل ثناؤه، وتضييع فرائضه التي فرضها عليه . فإن جماعة من أهل العلم قد كانت تسمى من كان يفعل ذلك منافقاً . فيكون - وإن كان مخالفاً في تسميته من كان كذلك بهذا الاسم - مصيباً تأويل قول الله عز وجل « للمتقين » .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾

٢٦٧ - حدثنا محمد بن حميد الرازي، قال : حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس : « الذين يؤمنون »، قال : يصدقون .

٢٦٨ - حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي، قال : حدثنا أبو صالح،

(١) في المطبوعة : « وذلك أن الله عز وجل إنما وصفهم »، ولا فائدة من زيادة « إنما » . ثم جاء في المخطوطة والمطبوعة : « فلم يحصر تقواهم إياه على بعضها من أهل منهم دون بعض » ؛ وهو كلام مختلط، وصوابه ما أثبتته، وهو معنى الكلام كما ترى بعد .

قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « يؤمنون » : يصدقون^(١) .

٢٦٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « يؤمنون » : يخشون .
٢٧٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الزهري : الإيمانُ العملُ^(٢) .

٢٧١ - حدثتُ عن عمار بن الحسن قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن العلاء بن المسيب بن رافع ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : الإيمانُ التصديقُ^(٣) .

ومعنى الإيمان عند العرب : التصديق ، فيُدْعَى المصدق بالشئ قولاً ، مؤمناً به ، ويدْعَى المصدق قوله بفعله ، مؤمناً . ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [سورة يوسف : ١٧] ، يعنى : وما أنت بمصدق لنا فى قولنا . وقد تدخل الخشية لله فى معنى الإيمان ، الذى هو تصديق القول بالعمل . والإيمان كلمة جامعة الإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويل الآية ، وأشبه بصفة القوم : أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً ، إذ كان جل ثناؤه لم يحصرهم من معنى الإيمان على معنى دون معنى ، بل أجمل وصفهم به ، من غير خصوص شئ من معانيه أخرجه من صفتهم بخبر ولا عقل .

(١) الأثر ٢٦٧ - سأتى بآتيه هذا الإسناد : ٢٧٢ . ونقلها ابن كثير ١ : ٧٣ مفرقين . ونقل ٢٦٨ مع أولها . ونقل السيوطى ١ : ٢٥ الثلاثة مجتمعة .

(٢) الأثران ٢٦٩ - ٢٧٠ : ذكرهما ابن كثير ١ : ٧٣ .

(٣) الخبر ٢٧١ - عبد الله : هو ابن مسعود . وقد نقل ابن كثير هذا الخبر وحده ١ : ٧٣ ، ثم نقل الخبر الآتى ٢٧٣ وحده . وقصص إسناد كل واحد منهما . أما السيوطى ١ : ٢٥ فقد جمع اللفظين دون بيان ، وأدخل معهما لفظ الخبر ٢٧٧ ! وهو تصرف غير سديد ، لاختلاف الإسنادين أولاً ، ولأن ٢٧٣ ، ٢٧٧ ليسا عن ابن مسعود وحده ، كما ترى .

* * *

القول في تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾

٢٧٢ - حدثنا محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « بالغيب » ، قال : بما جاء منه ، يعنى : من الله جل ثناؤه .

٢٧٣ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، « بالغيب » : أما الغيبُ فما غابَ عن العباد من أمر الجنة وأمر النار ، وما ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن . لم يكن تصديقهم بذلك - يعنى المؤمنين من العرب - من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم .

٢٧٤ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زير ، قال : الغيب القرآن^(١) .

٢٧٥ - حدثنا بشر بن معاذ العقدي ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في قوله « الذين يؤمنون بالغيب » ، قال : آمنوا بالجنة والنار ، والبعث بعد الموت ، ويوم القيامة ، وكل هذا غيب^(٢) .

٢٧٦ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،

(١) الأثر ٢٧٤ - سفيان : هو الثوري ، عاصم : هو ابن أبي النجود - بفتح النون - القاري . زر ، بكسر الزاى وتشديد الراء : هو ابن حبيش ، بضم الحاء . وهو تابعى كبير إمام . وهذا الأثر عند ابن كثير ١ : ٧٣ - ٧٤ .

(٢) الأثر ٢٧٥ - ذكره ابن كثير والسيوطى أيضاً .

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، « الذين يؤمنون بالغيب » : آمنوا بالله وملائكته ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ ، وجَنَّتْه وناره ولقائه ، وآمنوا بالحياة بعد الموت . فهذا كله غيب^(١) .

وأصل الغيب : كُلُّ ما غاب عنك من شيء . وهو من قولك : غاب فلان يغيبُ غيباً .

٧٩/١

وقد اختلف أهلُ التأويل في أعيان القوم الذين أنزل الله جل ثناؤه هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم ، وفي نعتهم وصفتهم التي وصفهم بها ، من إيمانهم بالغيب ، وسائر المعاني التي حوتها الآيتان من صفاتهم غيره .

فقال بعضهم : هم مؤمنو العرب خاصة ، دون غيرهم من مؤمنى أهل الكتاب . واستدلوا على صحة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم ، بالآية التي تتلو هاتين الآيتين ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . قالوا : فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم ، تدوين بتصديقه والإقرار والعمل به . وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرهما . قالوا : فلما قص الله عز وجل نبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله — بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب — علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر ، وأن المؤمنين بالغيب نوع غير النوع المصدق بالكتابين اللذين أحدهما مننزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، والآخر منهما على من قبيل رسول الله^(٢) .

(١) الأثر ٢٧٦ - ذكره ابن كثير ١ : ٧٣ هكذا : « قال أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية . . . » . وذكره السيوطي ١ : ٢٥ هكذا : « وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية . . . » . فأعشى أن يكون ذكر « عن أبي العالية » سقط من الإسناد من نسخ الطبري ، لشبوته عند هذين الناقلين عنه .

(٢) في المخطوطة : « والآخر منهما على من قبله رسول الله » ، والظاهر أن صوابها : « على من قبل رسول الله » ، كما أثبتناها . وأما المطبوعة ففيها : « على من قبله من رسل الله تعالى ذكره » .

قالوا : وإذ كان ذلك كذلك ، صحَّ ما قلنا من أن تأويل قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ، إنما هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار ، والثواب والعقاب والبعث ، والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وجميع ما كانت العرب لاتدينُ به في جاهليتها ، مما أوجب الله جل ثناؤه على عباده الدِّينونة به — دون غيرهم .

ذكر من قال ذلك :

٢٧٧ — حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أما ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ، فهم المؤمنون من العرب ، ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ . أما الغيبُ فما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار ، وما ذكر الله في القرآن . لم يكن تصديقهم بذلك من قبيل أصل كتاب أو علم كان عندهم . ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب^(١) .

وقال بعضهم : بل نزلت هذه الآيات الأربع في مؤمنى أهل الكتاب خاصة . لإيمانهم بالقرآن عند إخبار الله جل ثناؤه إياهم فيه عن الغيوب التي كانوا يخفونها بينهم ويسرونها ، فعلموا عند إظهار الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك منهم في تنزيله ، أنه من عند الله جل وعز ، فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وصدقوا بالقرآن وما فيه من الإخبار عن الغيوب التي لا علم لهم بها ، لما استقرَّ عندهم — بالحجة التي احتج الله تبارك وتعالى بها عليهم في كتابه ، من الإخبار فيه عما كانوا يكتمونه من ضمايرهم — أن جميع ذلك من عند الله .

(١) الخبر ٢٧٧ — سبق أوله بهذا الإسناد : ٢٧٣ . ولم يذكره ابن كثير بهذا اللفظ المطول . وقد مضى في شرح ٢٧١ أن السيوطي جمع الألفاظ الثلاثة : ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ في سياقة واحدة !

وقال بعضهم : بل الآيات الأربع من أول هذه السورة ، أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم ، وأهل الكتابين وسواهم^(١) . وإنما هذه صفة صنف من الناس ، والمؤمن بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل من قبله ، هو المؤمن بالغيب .

قالوا : وإنما وصفهم الله بالإيمان بما أنزل إلى محمد وبما أنزل إلى من قبله ، بعد تقضى وصفه إياهم بالإيمان بالغيب ، لأن وصفه إياهم بما وصفهم به من الإيمان بالغيب ، كان معنياً به أنهم يؤمنون بالجنة والنار والبعث وسائر الأمور التي كلفهم الله جلي ثنائوه الإيمان بها ، مما لم يروه ولم يأت بعد مما هو آت ، دون الإخبار عنهم أنهم يؤمنون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الرسل ومن ٨٠/١ الكتب .

قالوا : فلما كان معنى قوله تعالى ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ غير موجود في قوله ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ — كانت الحاجة من العباد إلى معرفتهم صفتهم بذلك ليعرفوهم ، نظير حاجتهم إلى معرفتهم بالصفة التي وصفوا بها من إيمانهم بالغيب ، ليعلموا ما يرضى الله من أفعال عبادته ويحبته من صفاتهم ، فيكونوا به — إن وفقهم له ربهم — [مؤمنين]^(٢) .

ذكر من قال ذلك :

٢٧٨ — حدثني محمد بن عمرو بن العباس الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون المكي ، قال : حدثنا عبد الله ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين ،

(١) في المطبعة والمخطوطة « وأهل الكتابين سواهم » ، والصواب أن يقال « وسواهم » . فقد ذكر الطبري ثلاثة أقوال : أما الأول : فهو أن المعنى به العرب خاصة ، والثاني : أن المعنى به أهل الكتاب خاصة ، فيكون الثالث : أن يعنى به الصنفين جميعاً وسواهم من الناس .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين واجبة تمام المعنى . وليست في المطبعة ولا المخطوطة .

وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في المنافقين (١) .

٢٧٩ - حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، بمثله (٢) .

٢٨٠ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا موسى بن مسعود ، قال : حدثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، مثله (٣) .

٢٨١ - حدثت عن عمار بن الحسن قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : أربع آيات من فاتحة هذه السورة - يعني سورة البقرة - في الذين آمنوا ، وآيتان في قادة الأحزاب .

وأولى القولين عندى بالصواب ، وأشبههما بتأويل الكتاب ، القول الأول ، وهو : أن الذين وصفهم الله تعالى ذكره بالإيمان بالغيب ، وبما وصفهم به جل ثناؤه في الآيتين الأولتين (٤) ، غير الذين وصفهم بالإيمان بالذي أنزل على محمد والذي أنزل على من قبله من الرسل ، لما ذكرت من العلل قبل لمن قال ذلك .

وبما يدل أيضاً مع ذلك على صحة هذا القول ، أنه جنس - بعد وصف المؤمنين بالصفتين اللتين وصف ، وبعد تصنيفه كل صنف منهما على ما صنف الكفار -

(١) الأثر ٢٧٨ - أبو عاصم : هو النزيل ، الحافظ الكبير . عيسى بن ميمون المكي : هو المعروف بابن داية ، قال ابن عيينة : « كان قارئاً للقرآن . قرأ على ابن كثير » . وثقه أبو حاتم وغيره .

(٢) الأثر ٢٧٩ - هذا إسناده ضعيف ، بضعف سفيان بن وكيع ، ولإيهام الرجل الذي روى عنه سفيان الثوري . ولكن الأثر موصول بالإسنادين اللذين قبله ويعدّه .

(٣) الأثر ٢٨٠ - موسى بن مسعود : هو أبو حذيفة الهذلي ، وهو ثقة ، روى عنه البخاري في صحيحه ، وثقه ابن سعد والمجمل . وترجمه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ٢٩٥ . شبيل : هو ابن عباد المكي القاري . وهو ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما .

وهذا الأثر ، بأسانيده الثلاثة ، ذكره ابن كثير ١ : ٨٠ دون تفصيلها ، قال : « والظاهر قول مجاهد - فيما رواه الثوري عن رجل عن مجاهد ، ورواه غير واحد عن ابن أبي نجيع عن مجاهد ، أنه قال ... » .

(٤) الآية : الأولى ، وليست خطأ .

جَنَسَيْنِ^(١) : فجعل أحدهما مطبوعاً على قلبه ، مختماً عليه ، مأبوساً من إبابه^(٢) ،
والآخر منافقاً ، يُرائى بإظهار الإيمان في الظاهر ، ويستسرُّ النفاق في الباطن .
فصير الكفار جنسَيْنِ ، كما صير المؤمنين في أول السورة جنسَيْنِ . ثم عرّف عباده
نعت كل صنف منهم وصفتهم ، وما أعدّ لكل فريق منهم من ثواب أو عقاب ،
وذم أهل الذم منهم ، وشكر سعى أهل الطاعة منهم .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيُقِيمُونَ ﴾

وإقامتها : أداؤها — بجلودها وفروضها والواجب فيها — على ما فُرِضَتْ عليهم .
كما يقال : أقام القوم سُوقَهُمْ ، إذا لم يُعْطَلوها من البيع والشراء فيها ، وكما
قال الشاعر :

أَقَمْنَا لِأَهْلِ الْعِرَاقَيْنِ سُوقَ ۖ ۖ ضَرَّابٍ فَخَامُوا وَوَلَوْ جَمِيعاً^(٣)

٢٨٢ — وكما حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد
ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، « ويقيمون الصلاة » ، قال : الذين يقيمون
الصلاة بفروضها .

٢٨٣ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ،
عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، « ويقيمون الصلاة » قال : إقامة

(١) سياقه : « جنس . . . جنسين » ، وما بينهما فصل ، وجنس الشيء : جملة أجناسه ،
كصنفه أصنافاً .

(٢) في المطبوعة : « إيمانه » ، وهي صحيحة المعنى أيضاً . والإباب : الرجوع إلى الله بالتوبة
والطاعة . ومنه قوله تعالى : « وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ »

(٣) في المطبوعة « فحاسوا » ، وفي المخطوطة « مجامرا » . ونعام في الحرب عن قرنه بنجم خيماً : جبن
ونكس وانكسر . ولم أعرف قائل البيت .

الصلاة تمام الركوع والسجود ، والتلاوة والخشوع ، والإقبال عليها فيها^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الصَّلَاة ﴾

٢٨٤ - حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « الذين يقيمون الصلاة » : يعنى الصلاة المفروضة^(٢) .

وأما الصلاة فلإنها في كلام العرب الدعاء ، كما قال الأعشى :

لَهَا حَارِسٌ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْنَهَا وَإِنْ ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمَزَمًا^(٣)

يعنى بذلك : دعاها ، وكقول الأعشى أيضاً^(٤) :

وَقَابَلَهَا الرِّيحَ فِي دَهْنًا وَصَلَّى عَلَى دَهْنًا وَارْتَسَمَ^(٥)

(١) الخبران ٢٨٢ ، ٢٨٣ - في تفسير ابن كثير ١ : ٧٧ ، والدر المنثور ١ : ٢٧ ، والشوكاني ١ : ٢٥ .

(٢) الأثر ٢٨٤ - إسناده ضعيف جداً . يحيى بن أبي طالب جعفر بن الزبرقان : قال الذهبي : « محدث مشهور . . . وثقه الدارقطني وغيره . . . والدارقطني من أخبر الناس به » . مات سنة ٢٧٥ عن ٩٥ سنة . يزيد : هو ابن هرون ، أحد الحفاظ الأعلام المشاهير ، من شيوخ الأئمة أحمد وابن معين وابن راهويه وابن المديني . جويبر - بالتصغير : هو ابن سعيد الأزدي البلخي ، ضعيف جداً ، ضعفه يحيى القطان ، فيما روى عنه البخاري في الكبير ٢٥٦/٢/١ ، والصغير : ١٧٦ ، وقال للنسائي في الضعفاء : ٨ « متروك الحديث » ، وفي التهذيب ٢ : ١٢٤ « قال أبو قدامة السرخسي : قال يحيى القطان : تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث . ثم ذكر الضحاك وجويبراً ومحمد بن السائب . وقال : هؤلاء لا يحتمل حديثهم ، ويكتب التفسير عنهم » .

(٣) ديوانه : ٢٠٠ ، يذكر الخمر في دهنها . وزمزم العالج من الفرس : إذا تكلف الكلام عند الأكل وهو مطبق له بصوت خفى لا يكاد يفهم . وقطعهم ذلك هو الزمزمة . « ذبحت » أى بزلت وأزيلت ختمها . وعندئذ يدعو مخافة أن تكون فاسدة ، فيخسر .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « وكقول الآخر أيضاً » ، والصواب أنه الأعشى ، وسبق قلم الناسخ .

(٥) ديوان الأعشى : ٢٩ . وقوله « وقابلها الريح » أى جعلها قبالة مهب الريح ، وذلك عند بزلها وإزالة ختمها . ويروى : « فأقبلها الريح » وهو مثله . وارتسم الرجل : كبر ودعا وتموذ ، مخافة أن يحمدها قد فسدت ، فتبور تجارتها .

وأرى أن الصلاة المفروضة سُمِّيت «صلاة» ، لأنَّ المصلِّي متعرِّضٌ لاستنجاح ٨١/١
طَلِبَتِهِ من ثواب الله بعمله ، مع ما يسأل رَبَّهُ من حاجاته ، تعرِّضَ الداعي بدعائه
رَبَّهُ استنجاحَ حاجاته وسؤالَهُ .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٣)

اختلف المفسرون في تأويل ذلك ، فقال بعضهم بما :-

٢٨٥ - حدثنا به ابنُ مُحمَّد ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، عن محمد بن إسحق ،
عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبیر ،
عن ابن عباس ، « ومما رزقناهم ينفقون » ، قال : يؤتون الزكاة احتساباً بها .

٢٨٦ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية ، عن
علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، « ومما رزقناهم ينفقون » ، قال : زكاة أموالهم ^(١) .

٢٨٧ - حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا جُوَيْر ،
عن الضحاك ، « ومما رزقناهم ينفقون » ، قال : كانت النفقات قُرْبَات يتقربون بها إلى الله
على قدر ميسورهم وجهنهم ، حتى نزلت فرائض الصدقات : سبعُ آيات في سورة
براءة ، مما يذكر فيهنَّ الصدقات ، هنَّ المُثَبَّتَات الناصحات ^(٢) .

وقال بعضهم بما :-

٢٨٨ - حدثني موسى بن هرون قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السُّدِّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن
ابن عباس - وعن مُرَّةَ الهَمْدَانِي ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب

(١) الخبر ٢٨٦ - في المخطوطة « ابن المثنى » ، وهو خطأ . والخبر ذكره ابن كثير ١ : ٧٧ .

(٢) الأثر ٢٨٧ - ذكره ابن كثير ١ : ٧٧ ، والسيوطي ١ : ٢٧ ، والشوكاني ١ : ٢٥ .

وقوله « المثبتات » : بفتح الباء ، أى التى أثبت حكمها ولم ينسخ ، ويجوز كسرهما ، بمعنى أنها أثبتت
الفرصة بعد نسخها ما سبقها في النزول . وبدلها عند السيوطي والشوكاني « الناصحات المبيئات » . وليس بشيء .

النبي صلى الله عليه وسلم ، « وما رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ » : هِيَ نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ . وَهَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الزَّكَاةُ ^(١) .

وَأَوَّلَى التَّأْوِيلَاتِ بِالْآيَةِ وَأَحَقُّهَا بِصِفَةِ الْقَوْمِ : أَنْ يَكُونُوا كَانُوا لِجَمِيعِ اللَّازِمِ لَمْ فِي أَمْوَالِهِمْ ، مُؤَدِّينَ ، زَكَاةً كَانَ ذَلِكَ أَوْ نَفَقَةً مَنْ لَزِمَتْهُ نَفَقَتُهُ ، مِنْ أَهْلِ عِيَالٍ وَغَيْرِهِمْ ، مَنْ تَجِبَ عَلَيْهِمْ نَفَقَتُهُ بِالْقَرَابَةِ وَالْمِلْكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ عَمَّ وَصَفَهُمْ إِذْ وَصَفَهُمْ بِالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمْ ، فَمَدَحَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ صِفَتِهِمْ . فَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ إِذْ لَمْ يَخْصُصْ مَدَحَهُمْ وَوَصَفَهُمْ بِنَوْعٍ مِنَ النِّفَقَاتِ الْمَحْمُودِ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا دُونَ نَوْعٍ بَخِيرٍ وَلَا غَيْرِهِ - أَنَّهُمْ مَوْصُوفُونَ بِجَمِيعِ مَعَانِي النِّفَقَاتِ الْمَحْمُودِ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا مِنْ طَيِّبٍ مَا رَزَقَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَمْلَاكَهُمْ ، وَذَلِكَ الْحَلَالُ مِنْهُ الَّذِي لَمْ يَشْبَهْ حَرَامٌ .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾

قد مضى البيان عن المنعوتين بهذا النعت ، وأى أجناس الناس هم ^(٢) : غير أننا نذكر ما روى في ذلك عن روى عنه في تأويله قول :

٢٨٩ - فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » : أى يصدقونك

(١) الخبر ٢٨٨ - نقله ابن كثير أيضاً . ونقله السيوطي مختصراً ، وجمله من كلام ابن مسعود وحده . ونقله الشوكاني دون بحث .

(٢) انظر ٢٣٧-٢٤١ .

بما جئت به من الله جلّ وعز وما جاء به من قبلك من المرسلين ، لا يفرقون بينهم ، ولا يمحّدون ما جاؤهم به من عند ربهم ^(١) .

٢٩٠ - حدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » : هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب ^(٢) .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ^(١)

قال أبو جعفر : أما الآخرة فإنها صفة للدار ، كما قال جل ثناؤه ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَإَيْهَا الْحَيَوَانُ لَوَ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النكبت: ٦٤] . وإنما وصفت بذلك لمصيرها آخرة لأولى كانت قبلها ، كما تقول للرجل : « أنعمت عليك مرة بعد أخرى ، فلم تشكر لي الأولى ولا الآخرة » ، وإنما صارت آخرة للأولى ، لتقدم الأولى أمامها . فكذلك الدار الآخرة ، سُميت آخرة لتقدم الدار الأولى أمامها ، ٨٢/١ فصارت التالية لها آخرة . وقد يجوز أن تكون سُميت آخرة لتأخرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا « دنيا » ليدنووها من الخلق .

(١) الخبر ٢٨٩ - ذكره ابن كثير ١ : ٧٩ مع باقيه الآتي : ٢٩١ . وذكره السيوطي ١ : ٢٧ ، والشوكاني ١ : ٢٥ بزيادة أخرى على الروایتين ، منسوباً لابن إسحق وابن جرير وابن أبي حاتم .
(٢) الخبر ٢٩٠ - وهذا ذكره ابن كثير أيضاً ، لكن بالإشارة إليه دون سياقه لفظه . وقوله الشوكاني .

وعلى الأصل المخطوط بعد هذا ما نصه

سمع أحمد ومحمد والحسن ، بنو عبد الله بن أحمد الفرغاني جميعه .
سمع محمد بن محمد الطرسوسي والحسن بنو محمد بن عبدان ، والحسن بن إبراهيم الحماس جميعه . والحمد لله كثيراً .

وأما الذى وَصَفَ الله جل ثناؤه به المؤمنين — بما أنزل إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل إلى مَنْ قبله من المرسلين — من إيقانهم به من أمر الآخرة ، فهو إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين : من البعث والنشور والثواب والعقاب والحساب والميزان ، وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامة . كما : —

٢٩١ — حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، ﴿ وَالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ : أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى ، لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ، ويكفرون بما جاءك من ربك ^(١) .

وهذا التأويل من ابن عباس قد صرح عن أن السورة من أولها — وإن كانت الآيات التى فى أولها من نعت المؤمنين — تعريضاً من الله عز وجل بدم كُفَّار أهل الكتاب ، الذين زعموا أنهم — بما جاءت به رُسُلُ الله عز وجل الذين كانوا قبل محمد صلوات الله عليهم وعليه — مُصدِّقون ، وهم بمحمد صلى الله عليه مكدِّبون ، ولما جاء به من التنزيل جاحدون ، ويدَّعون مع جحودهم ذلك أنهم مهتدون ، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى . فأكذب الله جل ثناؤه ذلك من قبلهم بقوله : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ * وَالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ . وأخبر جل ثناؤه عباده : أن هذا الكتاب هُدًى لأهل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، المصدِّقين بما أنزل إليه وإلى من قبله من رسله من البينات والهدى — خاصةً ، دون من كذَّب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وادَّعى أنه مُصدِّقٌ بمن قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الرُّسل

(١) الخبر ٢٩١ — هو تنمة الخبر السابق ٢٨٩ وقد أشرنا إليه هناك .

وبما جاء به من الكتب. ثم أكدَ جل ثناؤه أمرَ المؤمنين من العرب ومن أهل الكتاب المصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل إليه وإلى من قبله من الرسل - بقوله : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فأخبر أنهم هم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم ، وأن غيرهم هم أهل الضلال والخسار .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾

اختلف أهل التأويل فيمن عني الله جل ثناؤه بقوله : «أولئك على هدى من ربهم» :

فقال بعضهم : عني بذلك أهل الصفتين المتقدمتين ، أعني : المؤمنين بالغيب من العرب ، والمؤمنين بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى من قبله من الرسل . وإياهم جميعاً وصّف بأنهم على هدى منه ، وأنهم هم المفلحون .

ذكر من قال ذلك من أهل التأويل :

٢٩٢ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أما «الذين يؤمنون بالغيب» ، فهم المؤمنون من العرب ، «والذين يؤمنون بما أنزل إليك» ، المؤمنون من أهل الكتاب . ثم جمع الفريقين فقال : «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» ^(١) .

وقال بعضهم : بل عني بذلك المتقين الذين يؤمنون بالغيب ، وهم الذين يؤمنون

(١) الخبر ٢٩٢ - نقله ابن كثير ١ : ٨١ ، والشوكاني ١ : ٢٦ . ونقله السيوطي ١ : ٢٥ مطولاً ، جمع منه الأخبار الماضية : ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، جعلها سياقاً واحداً ، عن ابن مسعود وحده ، ونسبه للطبري .

بما أنزل إلى محمد ، وبما أنزل إلى مَنْ قبله من الرسل .

وقال آخرون : بل عنى بذلك الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وبما أنزل إلى مَنْ قبله ، وهم مُؤمنواهل الكتاب الذين صدّقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وكانوا مؤمنين من قبلُ بسائر الأنبياء والكتب . ٨٣/١
وعلى هذا التأويل الآخر يُحتمل أن يكون ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ في محل خفضٍ ، ومحل رفع .

فأما الرفع فيه فإنه يأتيها من وجهين : أحدهما : من قبل العطف على ما في « يؤمنون بالغيب » من ذكر « الذين » ، والثاني : أن يكون خبراً مبتدأ ، أو يكون « أولئك على هدى من ربهم » ، مرفعها .

وأما الخفض فعلى العطف على « المتقين » ، وإذا كانت معطوفة على « الذين » اتّجه لها وجهان من المعنى : أحدهما : أن تكون هي و « الذين » الأولى ، من صفة المتقين . وذلك على تأويل من رأى أن الآيات الأربع بعد « ألم » ، نزلت في صنف واحد من أصناف المؤمنين . والوجه الثاني : أن تكون « الذين » الثانية معطوفة في الإعراب على « المتقين » بمعنى الخفض ، وهم في المعنى صنفٌ غيرُ الصنف الأول . وذلك على مذهب من رأى أن الذين نزلت فيهم الآيتان الأولتان من المؤمنين بعد قوله « ألم » ، غيرُ الذين نزلت فيهم الآيتان الآخرتان اللتان تليان الأولتين .

وقد يُحتمل أن تكون « الذين » الثانية مرفوعةً في هذا الوجه بمعنى الائتلاف^(١) ، إذ كانت مبتدأً بها بعد تمام آيةٍ وانقضاء قِصَّةٍ . وقد يجوز الرفعُ فيها أيضاً بنية الائتلاف ، إذ كانت في مبتدأ آية ، وإن كانت من صفة المتقين .

فالرفع إذاً يصحُّ فيها من أربعة أوجه ، والخفضُ من وجهين .

وأولى التأويلات عندى بقوله ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ما ذكرت من قول ابن مسعود وابن عباس ، وأن تكون « أولئك » إشارةً إلى الفريقين ، أعنى :

(١) في المطبعة : « الاستئناف » في هذا الموضع والذي يليه . وهما بمعنى .

المتقين ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وتكون « أولئك » مرفوعة بالعائد من ذكرهم في قوله « على هدى من ربهم » ؛ وأن تكون « الذين » الثانية معطوفة على ما قبل من الكلام ، على ما قد بيناه .

ولما رأينا أن ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن الله جل ثناؤه نعت الفريقين بنعتهم المحمود ، ثم أثبت عليهم . فلم يكن عز وجل ليخص أحد الفريقين بالثناء ، مع تساويهما فيما استحقا به الثناء من الصفات . كما غير جائر في عدله أن يتساويا فيما يستحقان به الجزاء من الأعمال ، فيخص أحدهما بالجزاء دون الآخر ، ويحرم الآخر جزاء عمله . فكذاك سبيل الثناء بالأعمال ، لأن الثناء أحد أقسام الجزاء .

وأما معنى قوله ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ فإن معنى ذلك : أنهم على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد ، بتسديد الله إياهم ، وتوفيقه لهم . كما :—

٢٩٣ — حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، « أولئك على هدى من ربهم » : أى على نور من ربهم ، واستقامة على ما جاءهم ^(١) .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ٥

وتأويل قوله : « وأولئك هم المفلحون » أى أولئك هم المنجحون المذركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورأسه ، من الفوز بالثواب ، والخلود في الجنان ، والنسجاة مما أعد الله تبارك وتعالى لأعدائه من العقاب . كما :—

٢٩٤ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحق ،

عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰلِحُونَ ﴾ أى الذين أدركوا ما طلبوا ، ونجّوا من شر ما منه همّوا .

ومن الدلالة على أن أحد معاني الفلاح ، إدراك الطلّبة والظفر بالحاجة ، قول لبيد بن ربيعة :

إعْطِي ، إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَعْقِلِ ، وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلٌ^(١)

يعنى ظفّر بحاجته وأصاب خيراً ، ومنه قول الراجز :

٨٤/١

عَدِمْتُ أُمًّا وَلَدْتُ رِيحًا جَاءَتْ بِمُفْرَكْحًا فِرَكَا^(٢)

نَحْسِبُ أَنْ قَدْ وَلَدْتُ نَجَاحًا أَشْهَدُ لَا يَزِيدُهَا فَلَاحًا

يعنى : خيراً وقرباً من حاجتها . والفلاح مصدر من قولك : أفلح فلان

يفلح إفلاحاً وفلاحاً وفلحاً . والفلاح أيضاً : البقاء ، ومنه قول لبيد :

نَحْلُ بِلَادًا ، كُلُّهَا حُلٌّ قَبْلَنَا وَنَزَجُوا الْفَلَاحَ بَعْدَ عَادٍ وَحِمِيرٍ^(٣)

يريد : البقاء ، ومنه أيضاً قول عبيد :

أَفْلَحَ بِمَا شِئْتُ ، قَدْ يُدْرِكُ بِالضَّ مَفٍ ، وَقَدْ يُخْدَعُ الْأَرِيبُ^(٤)

يريد : عش وابق بما شئت ، وكذلك قول نابغة بنى ذبيان :

وَكُلُّ قَتَى سَتَشْعَبُهُ شُعُوبٌ وَإِنْ أَثَرَى ، وَإِنْ لَأَقَى فَلَاحًا^(٥)

أى نجاحاً بحاجته وببقاء .

(١) ديوانه ٢ : ١٢ ، والخطاب فى البيت لصاحبه .

(٢) البيت الثانى فى اللسان (فركح) . والفركحة : تباعد ما بين الألتين . والفركاح والمفرّح منه ، يعنى به الذم وأله لا يطبق حمل ما يحمل فى حرب أو مأثرة تبق .

(٣) ديوانه القصيدة رقم : ١٤ ، يرى من هلك من قومه .

(٤) ديوانه : ٧ ، وفى المطبوعة والديوان « فقد يبلغ » ، وهما روايتان مشهورتان .

(٥) من قصيدة ليست فى زهادات ديوانه منها إلا أبيات ثلاثة ، ليس هذا أحدها . وشعوب : اسم للمنية والموت ، غير معروف ، لأنها تشعب الناس ، أى تصدعهم وتفرقهم . وشعبته شعوب : أى حطته من آفاته فلعبت به وهلك .

• • •

القول في تأويل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

اختلف أهل التأويل فيمن عُنِيَ بهذه الآية ، وفيمن نزلت . فكان ابن عباس يقول ، كما :-

٢٩٥- حدثنا به محمد بن حميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : «إن الذين كفروا» ، أى بما أنزل إليك من ربك ، وإن قالوا إنا قد آمنا بما قد جاءنا من قبلك (١) .

وكان ابن عباس يرى أن هذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توبيخاً لهم في جحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به ، مع علمهم به ومعرفتهم بأنه رسول الله إليهم وإلى الناس كافة .

٢٩٦- وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن صدر سورة البقرة إلى المثة منها ، نزل في رجال سَمَّاهُم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار يهود ، من المنافقين من الأوس والخزرج ، كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم (٢) .

(١) الخبر ٢٩٥ - ذكره ابن كثير ١ : ٨٢ مع باقيه الآق : ٢٩٩ . وساقه السيوطي ١ : ٢٩ بأطول من ذلك ، زاد فيه ما يأتي : ٣٠٧ ، ٣١١ ، ونسبه أيضاً لابن إسحق وابن أبي حاتم ، وكذلك لسه الشوكاني ١ : ٢٨ دون الزيادة الأخيرة .

(٢) الخبر ٢٩٦ - ذكره ابن كثير ١ : ٨٦ بنحوه ، من رواية ابن إسحق . ونقله السيوطي ١ : ٢٩ بلفظ الطبري ، عنه وعن ابن إسحق . ونقله الشوكاني موجزاً ١ : ٢٩ . ومن الواضح أن قوله

وقد روى عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر ، وهو ما :-

٢٩٧ - حدثنا به المثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى ، فأخبره الله جل ثناؤه أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكبر الأول ، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكبر الأول ^(١) .

وقال آخرون بما :-

٢٩٨ - حدثت به عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : آيتان في قادة الأحزاب : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ، قال : وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ . جهنم يصلونها وبئس القرار ، [سورة إبراهيم : ٢٨ ، ٢٩] ، قال : فهم الذين قتلوا يوم بدر ^(٢) .

وأولى هذه التأويلات بالآية تأويل ابن عباس الذي ذكره محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبيرة عنه . وإن كان لكل قول مما قاله الذين ذكرنا قولهم في ذلك مذهب .

« كرهنا تطويل الكتاب . . . » من كلام الطبري نفسه . وانظر ما يأتي : ٣١٢ .

- (١) الخبر ٢٩٧ - هو في ابن كثير ١ : ٨٢ ، والسيوطي ١ : ٢٨ - ٢٩ ، والشوكاني ١ : ٢٨ ، ونسبناه أيضاً لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي .
- (٢) الأثر ٢٩٨ - هكذا هو في الطبري ، من قول الربيع بن أنس . وذكره ابن كثير ١ : ٨٢ - ٨٣ مختصراً من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية ، ولم يذكر من خروجه . ونقله السيوطي ١ : ٢٩ ، والشوكاني ١ : ٢٨ ، بأطول مما هنا بذكر الأثر : ٣٠٩ معه ، من قول أبي العالية أيضاً ، ونسبناه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . فالظاهر أن الطبري قصر بإسناده أو قصر به شيخه المجهول .

فأما مذهب من تأول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس ، فهو أن الله تعالى ذكره لما أخبر عن قوم من أهل الكفر بأنهم لا يؤمنون ، وأن الإنذار غير نافعهم ، ٨٥/١ ثم كان من الكفار من قد نفعه الله بإنذار النبي صلى الله عليه وسلم إياه ، لإيمانه بالله وبالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله بعد نزول هذه السورة (١) — لم يحز أن تكون الآية نزلت إلا في خاص من الكفار وإذ كان ذلك كذلك — وكانت قادة الأحزاب لا شك أنهم ممن لم ينفعه الله عز وجل بإنذار النبي صلى الله عليه وسلم إياه ، حتى قتلهم الله تبارك وتعالى بأيدي المؤمنين يوم بدر — علم أنهم ممن عني الله جل ثناؤه بهذه الآية .

وأما عليننا في اختيارنا ما اخترنا من التأويل في ذلك ، فهي أن قول الله جل ثناؤه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، عقيب خبر الله جل ثناؤه عن مؤمنى أهل الكتاب ، وعقيب نعمهم وصفهم وثنائه عليهم بإيمانهم به وبكتبه ورسله . فأولى الأمور بحكمة الله ، أن يتلى ذلك الخبر عن كفارهم ونعوتهم ، وذم أسبابهم وأحوالهم (٢) ، وإظهار شتمهم والبراءة منهم . لأن مؤمنهم ومشركيهم — وإن اختلفت أحوالهم في اختلاف أديانهم — فإن الجنس يجمع جميعهم بأنهم بنو إسرائيل .

وإنما احتج الله جل ثناؤه بأول هذه السورة لنبيه صلى الله عليه وسلم على مشركي اليهود من أخبار بنى إسرائيل ، الذين كانوا مع علمهم بنبوته منكرين نبوته — بإظهار نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كانت تسير أخبارهم وتكتمه ، فيجهله عظم اليهود وتعلمه الأخبار منهم (٣) — ليعلموا أن الذى أطلعه على علم ذلك ، هو الذى أنزل الكتاب على موسى . إذ كان ذلك من الأمور التى لم يكن محمد

(١) سياق عبارته « فهو أن الله تعالى ذكره لما أخبر عن قوم . . . لم يحز . . . »

(٢) الأسباب جمع سبب : وأراد بها الطرق والوسائل .

(٣) عظم اليهود : معظمتهم وأكثرهم .

صلى الله عليه وسلم ولا قومه ولا عشيرته يعلمونه ولا يعرفونه من قبل نزول الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم ، فيمكنهم ادعاء اللبس في أمره عليه السلام أنه نبي ، وأن ما جاء به فن عند الله ^(١) . وأنتى يمكن ادعاء اللبس في صدق أمي نشأ بين أميين لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب ، فيقال قرأ الكتب فعلم ، أو حسب ^(٢) فنجم ؟ انبعث على أخبار قراء كتبة ^(٣) - قد درسوا الكتب ورأسوا الأمم - يخبرهم عن مستور عيوبهم ، ومضون علومهم ، ومكتوم أخبارهم ، وخفيات أمورهم التي جهلها من هو دونهم من أخبارهم . إن أمر من كان كذلك لغير مُشكِل ، وإن صدقه لبين .

ومما ينبي عن صحة ما قلنا - من أن الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلْأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ هم أخبار اليهود الذين قتلوا على الكفر وماتوا عليه - اقتصاص الله تعالى ذكره نبأهم ، وتذكيره إياهم ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق في أمر محمد عليه السلام ، بعد اقتصاصه تعالى ذكره ما اقتص من أمر المنافقين ، واعتراضه بين ذلك بما اعترض به من الخبر عن إبليس وآدم - في قوله : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ الآيات [سورة البقرة : ٤٠ وما بعدها] ، واحتجاجه لنبئه عليهم ، بما احتج به عليهم فيها بعد جحودهم نبوته . فإذا كان الخبر أولاً عن مؤمنى أهل الكتاب ، وآخر عن مشركهم ، فأولى أن يكون وسطاً : - عنهم . إذ كان الكلام بعضه لبعض تبس ، إلا أن تأنيهم دلالة واضحة بعلول بعض ذلك عما ابتدأ به من معانيه ، فيكون معروفاً حيثئذ انصرفه عنه .

(١) في المطبوعة : « من عند الله » .

(٢) (٢) يعنى بالحساب هنا : حساب سير الكواكب وبروجها ، وبها يعرف المنجم أخبار مايدى

من علم الغيب .

(٣) في المطبوعة : « وانبعث على أخبار » ، كأنه معطوف على كلام سابق . وليس صحيحاً ، بل هو

استئناف كلام جديد .

وأما معنى الكفر في قوله « إن الذين كفروا » فإنه الجحود . وذلك أن الأحبار من يهود المدينة جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وستره عن الناس وكتبوا أمره ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

وأصلُ الكفر عند العرب : تغطيةُ الشيء ، ولذلك سَمُوا الليل « كافراً » ، لتغطية ظلمته ما لبسته ، كما قال الشاعر :

فَتَذَكَّرَا قَلِيلًا رَّيْدًا ، بَعْدَ مَا أَلْقَتْ ذُكَاةً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ^(١)

٨٦/١

وقال لبيدُ بن ربيعة :

• فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامًا^(٢) •

يعنى غطّاها . فكذلك الأحبار من اليهود غطّوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكتبوه الناس - مع علمهم بنبوته ، ووجودهم صِفَتَه في كتبهم - فقال الله جل ثناؤه فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٥٩] ، وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

(١) الشعر لشعبة بن صمير المازني ، شرح المفضليات : ٢٥٧ . والضمير في قوله « فتذكرا » النعمة والظلم . والثقل : بيض النعام المصون ، والعرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون : ثقل . ورثد المتاع وغيره فهو مرثود ورثيد : وضع بعضه فوق بعض ونفضه . وعنى بيض النعام ، والنعام تنفضه وتسويه بعضه إلى بعض . وذكاه : هوى الشمس .

(٢) معلقته المشهورة ، ويأتى في تفسير آية سورة المائدة : ١٢ (٦ : ٩٨ بولاق) . ويرى « ظلامها » . وصدره :

« يَعلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرًا »

يعنى البقرة الوحشية ، قد ولجت كناسها في أصل شجرة ، والرمل يتساقط على ظهرها .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

وتأويل «سواء»: معتدل. مأخوذ من التساوى، كقولك: «مُتَسَاوٍ هذان الأمران عندى»، و«هما عندى سواء»، أى هما متعادلان عندى، ومنه قول الله جل ثناؤه: ﴿فَأَنذِرْ لَّهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [سورة الأنفال : ٥٨]، يعنى: أعلمهم وأذنبهم بالحرب، حتى يستوى علمك وعلمهم بما عليه كل فريقٍ منهم للفريق الآخر. فكذلك قوله «سواء عليهم»: معتدلٌ عندهم أى الأمرين كان منك إليهم، الإنذار أم ترك الإنذار لأنهم لا يؤمنون^(١)، وقد أختمت على قلوبهم وسمعهم. ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرقييات:

فَغَدَّ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا^(٢)
يعنى بذلك: معتدلٌ عندها فى السير الليل والنهار، لأنه لا فُتُورَ فيه.

ومنه قول الآخر (٣):

وَلَيْلٍ يَقُولُ الْمَرْءُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ الْعُيُونِ وَغُورُهَا
لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصرًا ضعيفاً من ظلمته.

وأما قوله: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فإنه ظهر به الكلام ظهور الاستفهام وهو خبرٌ، لأنه وقع موقع «أى» كما تقول: «لا نبأى أقمّت أم

(١) فى المطبوعة «كانوا لا يؤمنون».

(٢) ديوانه : ١٦٣ ، والكامل المبرد : ١ : ٣٩٨ ، ٣٩٩ . يلح عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . أغد السير وأغد فيه . أسرع . ورواية ديوانه ، والكامل «تقدت» . وتقدى به بعيره : أسرع حل سنن الطريق . والشهباء : فرسه ، ألونها الأصهب ، وهو أن يشق سوادها أو كتبها شمعات بيض حتى تكاد تغلب السواد أو الكتلة .

(٣) الشعر لمضر بن ربهى الفقمى . حسانة ابن الشجرى : ٢٠٤ .

قعدت ، وأنت غيبرٌ لا مستفهم ، لوقوع ذلك موقع « أى » . وذلك أن معناه إذا قلت ذلك : ما نبألى أى هذين كان منك . فكذلك ذلك فى قوله : « سواء عليهم أنذرته أم لم تنذرهم » ، لما كان معنى الكلام : سواء عليهم أى هذين كان منك إليهم - حسن فى موضعه مع سواء : « أفعلت أم لم تفعل » .

وكان بعضُ نحويى البصرة يزعم أن حرف الاستفهام إنما دَخَلَ مع « سواء » ، وليس باستفهام ، لأن المستفهم إذا استفهم غيره فقال : « أزيد عندك أم عمرو ؟ » مستثبتٌ صاحبه أيهما عنده . فليس أحدهما أحقُّ بالاستفهام من الآخر . فلما كان قوله : « سواء عليهم أنذرته أم لم تنذرهم » بمعنى التسوية ، أشبه ذلك الاستفهام ، إذ أشبهه فى التسوية . وقد بينا الصواب فى ذلك .

فتأويل الكلام إذا : معتدلٌ يا محمد - على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك من أحبار يهود المدينة بعد علمهم بها ، وكنتموا بيان أمرك للناس بأنك رسولى إلى خلقى ، وقد أخذتُ عليهم العهدَ والميثاقَ أن لا يكتُموا ذلك ، وأن يبينوه للناس ، ويُخبرُوهم أنهم يجدون صِفَتَكَ فى كتبهم - أنذرته أم لم تنذرهم ، فإنهم لا يؤمنون ، ولا يرجعون إلى الحق ، ولا يصدقون بك وبما جئتهم به . كما :-

٢٩٩ - حدثنا محمد بن حميد قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، أى أنهم قد كفروا بما عندهم من العلم من ذكرٍ ، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك ، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك ، فكيف يسمعون منك إنذاراً وتحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من علمك ؟ (١)

• • •

(١) الخبر ٢٩٩ - سبق ترجمته مع الخبر ٢٩٥ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى

سَمْعِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : وأصلُ الختم : الطَّبْع . والخاتم هو الطَّابِع . يقال منه : ختمتُ الكتابَ ، إذا طبعته .

فإن قال لنا قائل : وكيف يَخْتَمُ على القلوبِ ، وإنما الختمُ طبعٌ على الأوعية ٨٧/١ والظروف والغلف^(١) ؟

قيل : فإن قلوبَ العبادِ أوعيةٌ لما أُودِعَتْ من العلوم ، وظروفٌ لما يُجعل فيها من المعارفِ بالأمور^(٢) . فعنى الختمُ عليها وعلى الأسماع - التي بها تُدركُ المسموعات ، ومن قبيلها يوصلُ إلى معرفة حقائق الأنباء عن المُغَيَّبَات - نظيرُ معنى الختم على سائر الأوعية والظروف .

فإن قال : فهل لذلك من صفةٍ تصفُها لنا فنفهمها ؟ أم هي مثل الختم الذي يُعرَف لما ظَهَرَ للأبصار ، أم هي بخلاف ذلك ؟
قيل : قد اختلف أهل التأويل في صفة ذلك ، وسنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم :

٣٠٠ - فحدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرَّمْلِيُّ ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : أَرَانَا مُجَاهِدٌ يَبْدَهُ فَقَالَ : كَانُوا يُرَوْنَ أَنَّ الْقَلْبَ فِي مِثْلِ هَذَا - يَعْنِي الْكَفَّ - فَإِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْباً ضَمَّ مِنْهُ - وَقَالَ بِإِصْبَعِهِ الْخَنْصَرَ هَكَذَا^(٣) - فَإِذَا أَذْنَبَ ضَمَّ - وَقَالَ بِإِصْبَعٍ أُخْرَى - فَإِذَا أَذْنَبَ ضَمَّ - وَقَالَ بِإِصْبَعٍ أُخْرَى هَكَذَا ، حَتَّى ضَمَّ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا ، قَالَ : ثُمَّ يُطْبِعُ عَلَيْهِ بِطَابَعٍ . قَالَ

(١) الغلف جمع غلاف : وهو الصوان الذي يشتمل على ما أوعيت فيه .

(٢) في المخطوطة : « من المعارف بالعلوم » .

(٣) قال بإصبعه : أشار بإصبعه .

مُجَاهِد : وَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ : الرَّيِّنُ^(١) .

٣٠١ - حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيب ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيع ، عَنْ الْأَعْمَش ، عَنْ مُجَاهِد ، قَالَ : الْقَلْبُ مِثْلُ الْكَفِّ ، فَإِذَا أَذْنِبَ ذَنْبًا قَبَضَ أَصْبَعًا حَتَّى يَقْبِضَ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا - وَكَانَ أَصْحَابُنَا يُرَوْنَ أَنَّهُ الرَّانُ^(٢) .

٣٠٢ - حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاج ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ مُجَاهِد : نُبِشَتْ أَنَّ الذَّنُوبَ عَلَى الْقَلْبِ تَحُفُّ بِهِ مِنْ نَوَاحِيهِ حَتَّى تَلْتَقِيَ عَلَيْهِ ، فَالْتَقَاؤُهَا عَلَيْهِ ، الطَّبِيعُ ، وَالطَّبِيعُ : الْخَتَمُ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : الْخَتَمُ ، الْخَتَمُ عَلَى الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ^(٣) .

٣٠٣ - حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاج ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ مُجَاهِدًا يَقُولُ : الرَّانُ أَيْسَرُ مِنَ الطَّبِيعِ ، وَالطَّبِيعُ أَيْسَرُ مِنَ الْأَقْفَالِ ، وَالْأَقْفَالُ أَشَدُّ ذَلِكَ كُلَّهُ^(٤) .

(١) الأثر ٣٠٠ - عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرحمن ، التميمي النخعي : قال النسائي : « صالح » . وهو من شيوخ الترمذي وابن مندة وغيرهما ، مات سنة ٢٥١ ، وروى عنه البخاري أيضاً في التاريخ الصغير : ٢٢٤ في ترجمة عمه . وعمه « يحيى بن عيسى » . وثقه أحمد والمجل وغيرهما ، وترجمه البخاري في الصغير ، قال : « حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى ، قال : مات يحيى بن عيسى أبو زكريا التميمي سنة ٢٠١ أو نحوها . كوفي الأصل ، وإنما قيل : الرمل ، لأنه حدث بالرمل ومات فيها » ، وترجمه في الكبير أيضاً ٢/٤ : ٢٩٦ « يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن الرمل ، سمع الأعمش ، وهو التميمي أبو زكريا الكوفي ، سكن الرملة . . . » . ولم يذكر فيه جرحاً . وهذا الأثر ، سيأتي هذا الإسناد في تفسير آية سورة المطففين : ١٤ (٣٠ : ٦٣ بولاق) . وذكره ابن كثير ١ : ٨٢ ، والسيوطي ٦ : ٣٢٦ .

(٢) الأثر ٣٠١ - سيأتي أيضاً (٣٠ : ٦٣ بولاق) . وأشار إليه ابن كثير ١ : ٨٣ دون أن يذكر لفظه . وكذلك السيوطي ٦ : ٣٢٥ .

(٣) الأثر ٣٠٢ - هذا من رواية ابن جريج عن مجاهد ، والظاهر أنه منقطع ، لأن ابن جريج يروي عن مجاهد بالواسطة ، كما سيأتي في الأثر بعده . وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٨٣ ، ولكنه محرف فيه من الناسخ أو الطابع .

(٤) الأثر ٣٠٣ - عبد الله بن كثير : هو الداربي المكي ، أحد القراء السبعة المشهورين ، وهو ثقة . وقد قرأ القرآن على مجاهد . وقد خلط ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/٢ : ١٤٤ بينه وبين « عبد الله بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي » . ويظهر من كلام الحافظ في التهذيب ٥ : ٣٦٨ أن هذا الهم كان من البخاري نفسه ، فلعل ابن أبي حاتم تبعه في وهمه دون تحقيق . وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٨٣ ، وكذلك السيوطي ٦ : ٣٢٦ ، وزاد نسبته إلى البيهقي .

وقال بعضهم : إنما معنى قوله « ختم الله على قلوبهم » إخباراً من الله جل ثناؤه عن تكبرهم ، وإعراضهم عن الاستماع لما دُعُوا إليه من الحق ، كما يقال : « إن فلاناً لأصمُّ عن هذا الكلام » ، إذا امتنع من سماعه ، ورفع نفسه عن تفهّمه تكبراً . قال أبو جعفر : والحق في ذلك عندى ما صحّ بنظيره الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما : —

٣٠٤ — حدثنا به محمد بن بشار قال : حدثنا صفوان بن عيسى ، قال : حدثنا ابن عجلان ، عن القَعْقَعِ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نُكْتَةُ سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر ، صَحَّتْ قلبه ، فإن زاد زادت حتى تُغْلِقَ قلبه ، فذلك « الرّان » الذى قال الله جل ثناؤه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(١) [سورة المطففين : ١٤] .

(١) الحديث ٣٠٤ — سيأتى فى الطبرى هذا الإسناد ٣٠ : ٦٢ بولاق . ورواه هناك بإسناد آخر قبله ، وبإسنادين آخرين بعده : كلها من طريق محمد بن عجلان عن القَعْقَعِ . محمد بن بشار : هو الحافظ البصرى ، عرف بلقب « بندار » بضم الباء وسكون النون . روى عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم من الأئمة . ووقع فى المطبوعة هنا « محمد بن يسار » ، وهو خطأ . ابن عجلان ، بفتح العين وسكون الجيم : هو محمد بن عجلان المدنى ، أحد العلماء العاملين للفتاوى . القَعْقَعُ بن حكيم الكنانى المدنى : تابعى ثقة . أبو صالح : هو السنان ، واسمه « ذكوان » . تابعى ثقة ، قال أحمد : « ثقة ثقة ، من أجل الناس وأوثقهم » .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٧٩٣٩ (٢ : ٢٩٧ حلى) عن صفوان بن عيسى ، بهذا الإسناد . ورواه الحاكم ٢ : ٥١٧ من طريق بكار بن قتيبة القاضى عن صفوان . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخبرناه » ، ووافقه الذهبى . ورواه الترمذى ٤ : ٢١٠ ، وابن ماجه ٢ : ٢٩١ ، من طريق محمد بن عجلان . قال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

وذكره ابن كثير ١ : ٨٤ من رواية الطبرى هذه ، ثم قال : هذا الحديث من هذا الوجه ، قد رواه الترمذى والنسائى عن قتيبة عن الليث بن سعد ، وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم بن إسماعيل والوليد ابن مسلم — ثلاثهم عن محمد بن عجلان ، به . وقال الترمذى : « حسن صحيح » ، ثم ذكره مرة أخرى ٩ : ١٤٣ من رواية هؤلاء ومن رواية أحمد فى المسند . وذكره السيوطى ٦ : ٣٢٥ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن حبان ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان . وفى متن الحديث هنا ، فى المطبوعة « كان نُكْتَةُ » . صقل قلبه . . . حتى يغلف قلبه . وهو فى رواية الطبرى الآتية ، كما فى المخطوطة ، إلا قوله « حتى تغلق قلبه » ، فهى هناك « حتى تملو قلبه » .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع^(١) ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر منها مختص ، فذلك هو الطبع . والختم الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ ، نظير الطبع والختم على ما تتركه الأبصار من الأوعية والظروف ، التى لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها . فكذا لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصّف الله أنه ختم على قلوبهم ، إلا بعد فضة خاتمته وحله رباطه عنها .

ويقال لقائل القول الثانى ، الزاعمين أن معنى قوله جل ثناؤه « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ، هو وصفهم بالاستكبار والإعراض عن الذى دُعا إليه من الإقرار بالحق تكبراً : أخبرونا عن استكبار الذين وصّفهم الله جل ثناؤه بهذه الصفة ، وإعراضهم عن الإقرار بما دُعا إليه من الإيمان وسائر المعانى اللّواحق به — أفعّل منهم ، أم فعل من الله تعالى ذكره بهم ؟

فإن زعموا أن ذلك فعل منهم — وذلك قولهم — قيل لهم : فإن الله تبارك وتعالى قد أخبر أنه هو الذى ختم على قلوبهم وسمعهم . وكيف يجوز أن يكون لإعراض^{٨٨/١} الكافر عن الإيمان ، وتكبره عن الإقرار به — وهو فعله عندكم — ختماً من الله على قلبه وسمعه ، وختمه على قلبه وسمعه ، فعل الله عز وجل دون الكافر ؟

فإن زعموا أن ذلك جائز أن يكون كذلك — لأن تكبره وإعراضه كانا عن ختم الله على قلبه وسمعه ، فلما كان الختم سبباً لذلك ، جاز أن يسمى مسبباً به — تركوا قولهم ، وأوجبوا أن الختم من الله على قلوب الكفار وأسماعهم ، معنى غير كفر الكافر ، وغير تكبره وإعراضه عن قبول الإيمان والإقرار به . وذلك الدخول فيما أنكره^(٢) .

(١) فى المطبوعة : « أغلقتها » فى الموضعين ، والتصحيح من المخطوطة وابن كثير .

(٢) فى المطبوعة : « وذلك دخول فيما أنكره » .

وهذه الآية من أوضح الدليل على فساد قول المنكرين تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه ختم على قلوب صنف من كفار عباده وأسماعهم ، ثم لم يسقط التكليف عنهم ، ولم يَضَعْ عن أحدٍ منهم فرائضه ، ولم يعذِرْهُ في شيء مما كان منه من خلاف طاعته بسبب ما فعل به من الختم والطبع على قلبه وسمعه — بل أخبر أن لجميعهم منه عذاباً عظيماً على تركهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده وفرائضه ، مع حتمه القضاء عليهم مع ذلك ، بأنهم لا يؤمنون .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : وقوله ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ خبرٌ مبتدأ بعد تمام الخبر عما ختم الله جل ثناؤه عليه من جوارح الكفار الذين مضت قصصهم . وذلك أن « غِشَاوَةٌ » مرفوعة بقوله « وعلى أبصارهم » ، فذلك دليل على أنه خبرٌ مبتدأ ، وأن قوله « ختم الله على قلوبهم » ، قد تنهى عند قوله « وعلى سمعهم » .

وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين :

أحدهما : اتفاق الحجة من القرّاء والعلماء على الشهادة بتصحیحها ، وانفراد المخالف لهم في ذلك ، وشذوذه عما هم على تخطئته مجمعون . وكفى بإجماع الحجة على تخطئة قراءته شاهداً على خطئها .

والثاني : أن الختمَ غيرُ موصوفةٍ به العيونُ في شيء من كتاب الله ، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا موجودٍ في لغة أحد من العرب . وقد قال تبارك وتعالى في سورة أخرى : ﴿ وَخَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ

عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةٌ ﴿ [سورة الجاثية : ٢٢] ، فلم يدخل البصر في معنى الختم .
وذلك هو المعروف في كلام العرب ، فلم يَجْزُ لنا ، ولا لأحدٍ من الناس ، القراءة
بنصب الغشاوة ، لما وصفتُ من العلتين اللتين ذكرتُ ، وإن كان لتَنْصِبُها مخرجٌ
معروفٌ في العربية .

وبما قلنا في ذلك من القول والتأويل ، رُوي الخبر عن ابن عباس :
٣٠٥ - حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي الحسين
ابن الحسن ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : « ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم » ، والغشاوة على أبصارهم ^(١) .

(١) الخبر ٣٠٥ - هذا الإسناد من أكثر الأسانيد دوراناً في تفسير الطبري ، وقد نفي أول مرة ١١٨ ،
ولم أكن قد اهتمت إلى شرحه . وهو إسناد مسلسل بالقسماء من أسرة واحدة ، إن صح هذا التعبير !
وهو معروف عند العلماء بـ « تفسير العوفي » ، لأن التابعي - في أعلاه - الذي يرويه عن ابن عباس ، هو
« عطية العوفي » ، كما سنذكر . قال السيوطي في الإقتان ٢ : ٢٢٤ : « وطريق العوفي عن ابن عباس ، أخرجه
منها ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، كثيراً . والعوفي ضعيف ، ليس يواه ، وربما حسن له الترمذي » .
وسنشرحه هنا مفصلاً ، إن شاء الله :

محمد بن سعد ، الذي يروي عنه الطبري : هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد
بن جنادة العوفي ، من « بني عوف بن سعد » فخذ من « بني عمرو بن عياض بن يشكر بن بكر بن وائل » .
وهو لين في الحديث ، كما قال الخطيب . وقال الدارقطني : « لا بأس به » . مات في آخر ربيع الآخر
سنة ٢٧٦ . ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ٥ : ٣٢٢ - ٣٢٣ . والحافظ في لسان الميزان ٥ : ١٧٤ .
وهو غير « محمد بن سعد بن منيع » كاتب الواقدي ، وصاحب كتاب الطبقات الكبير ، فهذا أحد الحفاظ
الكبار الثقات المتحرين ، قدم الوفاة ، مات في جمادى الآخرة سنة ٢٣٠ .

أبوه « سعد بن محمد بن الحسن العوفي » : ضعيف جداً ، مثل عنه الإمام أحمد ، فقال : « ذاك جهلي » ،
ثم لم يره موضعاً للرواية ولو لم يكن ، فقال : « لو لم يكن هذا أيضاً لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه » ،
ولا كان موضعاً لذلك . وترجمته عند الخطيب ٩ : ١٢٦ - ١٢٧ ، ولسان الميزان ٣ : ١٨ - ١٩ .
عن عمه : أي عم سعد ، وهو « الحسين بن الحسن بن عطية العوفي » . كان على قضاء بغداد ، قال
ابن معين : « كان ضعيفاً في القضاء . ضعيفاً في الحديث » . وقال ابن سعد في الطبقات : « وقد سمع
سماعاً كثيراً ، وكان ضعيفاً في الحديث » . وضعفه أيضاً أبو حاتم والنسائي . وقال ابن حبان في المهرجيين :
« منكر الحديث . . . ولا يجوز الاحتجاج بخبره » . وكان طويل اللحية جداً ، روى الخطيب من أخبارها
طرائف ، مات سنة ٢٠١ . مترجم في الطبقات ٧/٧٤ ، والجرح والتعديل ١/٤٨ ، وكتاب
المهرجيين لابن حبان ، رقم ٢٢٨ ص ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٢٩ - ٣٢ ، ولسان الميزان ٢ : ٢٧٨ .
عن أبيه : وهو « الحسن بن عطية بن سعد العوفي » ، وهو ضعيف أيضاً ، قال البخاري في الكبير :
« ليس بهذا » ، وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث » . وقال ابن حبان : « يروي عن أبيه » ،

فلان قال قائل : وما وجهُ مخرجِ النَّصْبِ فيها ؟

قيل له : أن تنصبها بإضمار «جعل»^(١) ، كأنه قال : وجعل على أبصارهم غِشَاوَةً ، ثم أسقط «جعل» ، إذ كان في أول الكلام ما يدلّ عليه . وقد يحتمل نصبها على إتباعها موضعَ السمع ، إذ كان موضعه نصباً ، وإن لم يكن حسناً لإعادة العامل فيه على «غشاة» ، ولكن على إتباع الكلام بعضه بعضاً ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ . وَخُورٍ عَيْنٍ ﴾ ، [سورة الواقعة : ١٧-٢٢] ، فحفظَ اللحمَ والحورَ على العطف به على الفاكهة ، إتباعاً لآخر الكلام أوله . ومعلوم أن اللحم لا يطاف به ولا بالحور العين ، ولكن كما قال الشاعر يصف فرسه :

عَلَّقْتُهَا تَبْنًا وَمَاءَ بَارِدًا حَتَّى شَتَّ هَمَالَةً غَيْنَاهَا^(٢)

روى عنه ابنه محمد بن الحسن ، منكر الحديث ، فلا أدري : البلية في أحاديثه منه ، أو من أبيه ، أو منهما معاً ؟ لأن أباه ليس بشيء في الحديث ، وأكثر روايته عن أبيه ، فن هنا اشتبه أمره ، ووجب تركه . مترجم في التاريخ الكبير ٢/١ : ٢٩٩ ، وابن أبي حاتم ٢/١ : ٢٦ ، والمهرجيني لابن حبان ، رقم ٢١٠ ص ١٥٨ ، والتذهيب .

عن جده : وهو «عطية بن سعد بن جنادة المعنى» ، وهو ضعيف أيضاً ، ولكنه يختلف فيه ، فقال ابن سعد : «كان ثقة إن شاء الله ، وله أحاديث صالحة . ومن الناس من لا يمتنع به» ، وقال أحمد : «هو ضعيف الحديث . بلغني أن عطية كان يأق الكلي فيأخذ عنه التفسير . وكان الثوري وهشيم يضمفان حديث عطية» . وقال أبو حاتم : «ضعيف الحديث ، يكتب حديثه» . وسئل يحيى بن معين : «كيف حديث عطية ؟ قال : صالح» . وقد رجحنا ضعفه في شرح حديث المسند : ٣٠١٠ ، وشرح حديث الترمذي : ٥٥١ ، وإنما حسن الترمذي ذلك الحديث لمتابعات ، ليس من أجل عطية . وقد ضعفه النسائي أيضاً في الضعفاء : ٢٤ . وضعفه ابن حبان جداً ، في كتاب المهرجيني ، قال : «... فلا يحل نسبة حديثه إلا على وجه التمجيد» ، الورقة : ١٧٨ . وانظر أيضاً : ابن سعد ٦ : ٢١٢ - ٢١٣ والكبير البخاري ٨/١ : ٩ - والصغير ١٢٦ . وابن أبي حاتم ١/٣ : ٣٨٢ - ٣٨٣ . والتذهيب . والخبر نقله ابن كثير ١ : ٨٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ١ : ٢٩ ، وزاد نسبه لابن أبي حاتم . وكذلك صنع الشوكاني ١ : ٢٨ .

(١) في المطبوعة : «إن نصبها ...»

(٢) لا يعرف قائله ، وأنشده القراء في معاني القرآن ١ : ١٤ وقال : «أنشئني بعض بني أسد يصف فرسه» ، وفي الخزانة ١ : ٤٩٩ : «رأيت في حاشية صحيحة من الصحاح أنه للذي الرمة ، ففتشت ديوانه فلم أجده» . وسيأتي في تفسير آية سورة المائدة : ١٠٩ (٧ : ٨١ يولاق) . وقوله «شتت»

ومعلوم أن الماء يُشْرَب ولا يعلف به ، ولكنه نصب ذلك على ما وصفتُ قبلُ ، وكما قال الآخر :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا^(١)

وكان ابن جريج يقول - في انتهاء الخبر عن الختم إلى قوله « وعلى ستمهم » ، ٨٩/١
وابتداء الخبر بعده - بمثل الذى قلنا فيه ، ويتأول فيه من كتاب الله ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [سورة الشورى : ٢٤] .

٣٠٦ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال :
حدثنا ابن جريج ، قال : الختم على القلب والسمع ، والغشاوة على البصر ، قال
الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَمَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ [سورة الحاثية : ٢٣] .

والغشاوة في كلام العرب : الغطاء ، ومنه قول الحارث بن خالد بن العاص :
تَبِعْتُكَ إِذْ غَنَى عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعَتْ نَفْسِي أَلْوَمَهَا^(٣)
ومنه يقال : تغشاه الحم ، إذا تجلَّله وركبه ، ومنه قول نابغة بني ذبيان :

من شتا بالمكان : أقام فيه زمن الشتاء ، وهو زمن الجذب ، وهماله : تهمل دمعها أى تسكبه وتصبه من
شدة البرد .

(١) مضى تخريج هذا البيت في ص ١٤٠ .

(٢) الأثر ٣٠٦ - ساقه ابن كثير في تفسيره ١ : ٨٥ ، والشوكاني ١ : ٢٨ .

(٣) الشاعر هو الحارث بن خالد المخزومي ، ويأتى البيت في تفسير آية سورة الأعراف : ١٨
(٨ : ١٠٣ بولاق) ، وروايته هناك : « صحبتك إذ غنى . . . أذيمها » ، شاهداً على « الذام » ، وهو أبلغ
في العيب من الذم ، ثم قال أبو جعفر : « وأكثر الرواة على إنشاده : ألويمها » ، وخبر البيت : أن
عبد الملك بن مروان لما ولّى الخلافة حج البيت ، فلما انصرف رجع معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت له
منه جفوة ، وأقام ببابه شهراً لا يصل إليه ، فانصرف عنه وقال البيت الشاهد وبعدة :

وما بِيْ إِنْ أَقْصَيْتَنِيْ مِنْ ضَرَاعَةٍ وَلَا أَفْتَقَرْتُ نَفْسِيْ إِلَى مَنْ يَصِيْمُهَا

(انظر الأغاني ٣ : ٣١٧) ، وبلغ عبد الملك شعره ، فأرسل إليه من رده إليه .

هَلَّا سَأَلْتِ بَنِي دُيَّانَ مَا حَسَبِي إِذَا الدُّخَانُ نَفَّسَى الْأَشْمَطَ الْبَرَمَا^(١)
يعنى بذلك : تجلّله وخالطه .

وإنما أخبر الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عن الذين كفروا به من أحبار اليهود ، أنه قد ختم على قلوبهم وطبع عليها — فلا يعقلون الله تبارك وتعالى موعظةً وعظهم بها ، فيما آتاهم من علم ما عندهم من كُتُبِهِ ، وفيما حدّد في كتابه الذى أوحاه وأنزله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم — وعلى سمعهم ، فلا يسمعون من محمد صلى الله عليه وسلم نبيّ الله تحذيراً ولا تذكيراً ولا حجةً أقامها عليهم بنبوته ، فيتذكروا ويحذروا عقاب الله عز وجلّ في تكذيبهم إياه ، مع علمهم بصدقه وصحّة أمره . وأعلمه مع ذلك أن على أبصارهم غشاوةً عن أن يبصروا سبيل الهدى ، فيعلموا قبيح ما هم عليه من الضلالة والردى .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، روى الخبر عن جماعة من أهل التأويل :

٣٠٧ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ﴾ ، أى عن الهدى أن يصيبوه أبداً بغير ما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك ، حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك^(٢) .

٣٠٨ — حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول

(١) ديوانه : ٥٢ . والأشمت : الذى شاب رأسه من الكبر ، والبرم : الذى لا يدخل مع القوم في الميسر . قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٤١٠ ، ١٢٣٨ : « وإنما خص الأشمت ، لأنه قد كبر وضعف ، فهو يأق مواضع العلم » .

(٢) الخبر ٣٠٧ — ذكره السيوطي ١ : ٢٩ متصلاً بما مضى : ٢٩٥ ، ٢٩٩ وبما يأتي : ٣١١ . ساقها سياقاً واحداً .

الله صلى الله عليه وسلم : «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» يقول : فلا يعقلون ولا يسمعون . ويقول : «وجعل على أبصارهم غشاوة» يقول : على أعينهم فلا يبصرون^(١) .

وأما آخرون ، فإنهم كانوا يتأولون أن الذين أخبر الله عنهم من الكفار أنه فعل ذلك بهم ، هم قادة الأحزاب الذين قتلوا يوم بدر .

٣٠٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : هاتان الآيتان إلى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هم ﴿الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٨] ، وهم الذين قتلوا يوم بدر ، فلم يدخل من القادة أحد في الإسلام إلا رجلاً : أبو سفيان بن حرب ، والحكم بن أبي العاص^(٢) .

٣١٠ - وحدثت عن عمار بن الحسن ، قال حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن الحسن ، قال : أما القادة فليس فيهم مجيب ولا ناج ولا مهتد .

وقد دللنا فيما مضى على أولى هذين التأويلين بالصواب ، كرهنًا بإعادته .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٧)

وتأويل ذلك عندي ، كما قاله ابن عباس وتأوله :

(١) الخبر ٣٠٨ - ساقه ابن كثير ١ : ٨٥ . وذكره السيوطي ١ : ٢٩ ، والشوكاني ١ : ٢٨ عن ابن مسعود فقط .

(٢) الأثر ٣٠٩ - هو تنمة الأثر الماضي : ٢٩٨ ، كما ساقه السيوطي ١ : ٢٩ ، والشوكاني ١ : ٢٨ . وقد أشرنا إليه هناك .

٣١١- حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحق ، عن محمد ابنِ أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابنِ عباس : ولم بما هم عليه من خلافك عذابٌ عظيم . قال : فهذا في الأخبار من يهود ، فيما ٩٠/١ كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك بعد معرفتهم ^(١) .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٨)

قال أبو جعفر : أما قوله : « ومن الناس » ، فإن فى « الناس » وجهين : أحدهما : أن يكون جمعاً لا واحداً له من لفظه ، وإنما واحداهم « إنسان » ، وواحدتهم « إنسانة » ^(٢) . والوجه الآخر : أن يكون أصله « أناس » أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها ، ثم دخلتها الألف واللام المعرفتان ، فأدغمت اللام - التى دخلت مع الألف فيها للتعريف - فى النون ، كما قيل فى ﴿ لَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ [سورة الكهف : ٣٨] ، على ما قد بينا فى « اسم الله » الذى هو الله ^(٣) . وقد زعم بعضهم أن « الناس » لغة غير « أناس » ، وأنه سمع العرب تصغره « نؤيس » من الناس ، وأن الأصل لو كان أناس ل قيل فى التصغير : أنؤيس ، فرداً إلى أصله .
وأجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت فى قوم من أهل النفاق ، وأن هذه الصفة صفتهم .

(١) الخبر ٣١١ - هو تنمة الأخبار : ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ساقها السيوطى ١ : ٢٩ مساقاً واحداً ، كما أشرنا من قبل . ولكنه حذف من آخره ما بعد قوله « فهذا فى الأخبار من يهود » .
لعله ظنه من كلام الطبرى . والسياق واضح أنه من تنمة الخبر .
(٢) فى المطبعة : « واحده إنسان ، وواحدته إنسانة » .
(٣) انظر ما مضى ص ١٢٥ - ١٢٦ .

ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بأسمائهم :

٣١٢- حدثنا محمد بن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم .

وقد سُمِّيَ في حديث ابن عباس هذا أسماؤهم عن أبي بن كعب ، غير أنى تركت تسميتهم كراهة لإطالة الكتاب بذكرهم ^(١) .

٣١٣- حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ فَمَا رَيْبَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ قال : هذه في المنافقين ^(٢) .

٣١٤- حدثنا محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هذه الآية إلى ثلاث عشرة ، في نعت المنافقين .

٣١٥- حدثني الثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شيبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٣١٦- حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .

(١) الخبر ٣١٢ - مضى نحو معناه : ٢٩٩ ، وأشرنا إلى هذا هناك .

وأسماء المنافقين ، من الأوس والخزرج ، الذين كره الطبري إطالة الكتاب بذكرهم - حفظها علينا ابن هشام ، في اختصاره سيرة ابن إسحق ، بتفصيل واف : ٣٥٥-٣٦١ (طبعة أوربة) ، ٢ : ١٦٦-١٧٤ (طبعة الحلبي) ، ٢ : ٢٦-٢٩ (الروض الأنف) .

(٢) الأثر ٣١٣ - الحسن بن يحيى ، شيخ الطبري ، وقع في الأصول هنا « الحسين » ، وهو خطأ . وقد مضى مثل هذا الإسناد على الصواب ، رقم : ٢٥٧ .

٣١٧ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن إسماعيل السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ هم المنافقون .

٣١٨ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ إلى ﴿ فزادهم الله مرَضاً ولهم عَذَابٌ أليم ﴾ ، قال : هؤلاء أهلُ النفاق .

٣١٩ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ قال : هذا المنافقُ ، يخالفُ قوله فعله ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهدُه مغيبه^(١) .

وتأويل ذلك : أن الله جل ثناؤه لما جمع لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أمره في دار هجرته ، واستقرَّ بها قراره ، وأظهرَ الله بها كلمته ، وفشا في دور أهلها الإسلام ، وقهرَ بها المسلمونَ مَنْ فيها من أهل الشرك من عبدة الأوثان ، وذَلَّ بها مَنْ فيها من أهل الكتاب - أظهرَ أحبارُ يهودها لرسول الله صلى الله عليه وسلم الضَّغائن ، وأبدوا له العداوة والشَّتانَ ، حسداً وبغياً^(٢) ، إلا نفرأ منهم هداهم الله للإسلام فأسلموا ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٩] ، وطابَتْهم سرّاً على مُعاداة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

(١) الروايات ٣١٤ - ٣١٩ : ساق بعضها ابن كثير ١ : ٨٦ بين نص وإشارة . وساق بعضها أيضاً السيوطي ١ : ٢٩ . والشوكاني ١ : ٢٩ .

(٢) في المخطوطة « العداوة والشَّتان » ، وهو خطأ . والشَّتان والشناءة : اللغض يكشف عنه الغيظ الشديد . شئٌ شئٌ يشنؤه : أبغضه بغضاً شديداً .

وَبَغْيِهِمُ الْفَوَائِلَ ، قومٌ — من أراهط الأنصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩١/١ وَنَصَرُوهُ ^(١) — وكانوا قد عَسَوْا في شركهم وجاهليتهم ^(٢) قد سُئِمُوا لنا بأسمائهم ، كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم وأنسابهم ، وظاهرهم على ذلك في خفاء غير جِهَارٍ ، حذارَ القتل على أنفسهم ، والسَّيِّئَاتِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وركونا إلى اليهود لما هم عليه من الشرك وسوء البصيرة بالإسلام . فكانوا إذا لَقُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به من أصحابه قالوا لهم — حِذَارًا على أنفسهم — : إنا مؤمنون بالله وبرسوله وبالبعث ، وأعطوهم بالسنتهم كلمة الحق ، ليدروا عن أنفسهم حُكْمَ الله فيمن اعتقد ما هم عليه مقيمون من الشرك ، لو أظهروا بالسنتهم ما هم معتقدوه من شركهم . وإذا لَقُوا إخوانهم من اليهود وأهل الشرك والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، فخلَّوْا بهم ﴿ قَالُوا : إنا معكم إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ . فإياهم عَنَى جلّ ذكره بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يعنى بقوله تعالى خبراً عنهم : آمَنَّا بالله — : وصدقنا بالله ^(٣) . وقد دللنا على أن معنى الإيمان : التصديق ، فيما مضى قبل من كتابنا هذا ^(٤) .

وقوله : ﴿ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، يعنى : بالبعث يوم القيامة ، وإنما سُمِّيَ يومُ القيامة « اليوم الآخر » ، لأنه آخر يوم ، لا يوم بعده سواه .
فإن قال قائل : وكيف لا يكون بعده يوم ، ولا انقطاعَ للآخرة ولا فناء ولا زوال ؟

(١) الفوائِل جمع غائلة : وهى : النابتة التى تغول وتهلك . وأراهط جمع رهط ، والرهط : عدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة ، لا يكون فيه امرأة . وعنى بهم العدد القليل من بطون الأنصار .
(٢) في المطبوعة : « عتوا في جاهليتهم » وكلتاها صواب . صا الشئ يعسر : اشتد وصلب وغلظ من تقادم العهد عليه ، وصا الرجل : كبر . والعامى : هو الجافى ، ومثله العاق . وعتا يمتو ، فى معناه . وانظر ما مضى ص : ٣٦ ، تعليق .
(٣) في المطبوعة « وصدقنا بالله » ، وزيادة الواو خطأ .
(٤) انظر ما مضى ص : ٢٣٤ — ٢٣٥ .

قيل : إن اليومَ عند العرب إنما سُمِّيَ يوماً بليته التي قبله ، فإذا لم يتقدم النهارَ ليلٌ لم يسمَّ يوماً . فيوم القيامة يوم لا ليلَ بعده ، سوى الليلة التي قامت في صبيحتها القيامة ، فذلك اليوم هو آخر الأيام . لذلك سَمَّاه الله جل ثناؤه « اليوم الآخر » ، ونعتَه بالعَقيم . ووصفه بأنه يوم عَقيم ، لأنه لا ليل بعده ^(١) .

وأما تأويل قوله : « وما هم بمؤمنين » ، ونفيُه عنهم جلّ ذكره اسم الإيمان ، وقد أخبر عنهم أنهم قد قالوا بالسنتهم : آمَنَّا بالله وباليوم الآخر — فإن ذلك من الله جل وعزّ تكذيبٌ لهم فيما أخبرُوا عن اعتقادهم من الإيمان والإقرار بالبعث ، وإعلامٌ منه نبيّه صلى الله عليه وسلم أن الذي يُبْسَلونه له بأفواههم خلافٌ ما في ضمائر قلوبهم ، وضيدٌ ما في عزائم نفوسهم .

وفي هذه الآية دلالةٌ واضحة على بُطول ما زعمته الجهمية : من أن الإيمان هو التصديق بالقول ، دون سائر المعاني غيره . وقد أخبر الله جل ثناؤه عن الذين ذكرهم في كتابه من أهل النفاق ، أنهم قالوا بالسنتهم : « آمنا بالله وباليوم الآخر » ، ثم نفى عنهم أن يكونوا مؤمنين ، إذ كان اعتقادهم غير مُصدّقٍ قِيْلَتَهُمْ ذلك . وقوله « وما هم بمؤمنين » ، يعنى بمصدّقين « فيما يزعمون أنهم به مُصدّقون .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾

قال أبو جعفر : وخداعُ المنافق ربّه والمؤمنين ، إظهاره بلسانه من القول والتصديق ، خلاف الذي في قلبه من الشكّ والتكذيب ، ليدرأ عن نفسه ، بما أظهر بلسانه ، حكمَ الله عز وجلّ — اللازمَ من كان بمثل حاله من التكذيب ، لولم يُظْهِرْ

(١) وذلك قول ربنا سبحانه في سورة الحج : ٥٥ : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ عَقِيمٌ ﴾ .

بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار - من القتل والسبأ . فذلك خيادعه وربه وأهل الإيمان بالله .

فإن قال قائل : وكيف يكون المنافق لله وللمؤمنين 'مخادعاً' ، وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقداً إلا تقيّة ؟

قيل : لا تمتنع العرب من أن 'تسمى' من أعطى بلسانه غير الذي هو في ضميره تقيّة لينجو مما هو له خائف ، فنجا بذلك مما خافه - 'مخادعاً' لمن تخلص منه بالذي أظهر له من التقيّة . فكذلك المنافق ، سمي مخادعاً لله وللمؤمنين ، بإظهاره ما أظهر بلسانه تقيّة ، مما تخلص به من القتل والسبأ والعذاب العاجل ، وهو لغير ما أظهر مستبطين . وذلك من فعله - وإن كان خيادعاً للمؤمنين في عاجل الدنيا - فهو لنفسه بذلك من فعله خادع ، لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها ، أنه يعطيها أمنيّتها ، ويسقيها كأس سرورها ، وهو موردّها به حياض عطّابها ، ويجرّعها به كأس عذابها ، ومزيرها من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به (١) . فذلك خديعته نفسه ، ظناً منه - مع إساءته إليها في أمر معادها - أنه إليها محسن ، كما قال جل ثناؤه : « وما يخذعون إلا أنفسهم وما يشعرون » . إعلاماً منه عبادة المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسقاطهم ربهم بكفرهم وشكّهم وتكذيبهم - غير شاعرين ولا دارين ، ولكنهم على غمياء من أمرهم مقيمون .

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك ، كان ابن زيد يقول .

٣٢٠ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سألت

عبد الرحمن بن زيد عن قول الله جل ذكره : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلى

(١) في المطبوعة : « ومذيقها من غضب الله » ، وفي المخطوطة : « ووردها . . . » ، وفي تفسير ابن كثير ١ : ٨٧ « ومزبرها . . . » ، والصواب ما أثبتناه ، وأزاره : حمله على الزيارة . وفي حديث طلحة : « . . . حتى أزيته شريب » ، وشوب هو المنية ، أي أوردته المنية فزارها . وجعلها زيارة ، وهي هلاك . سخرية بهم واستهزاء ، لقيح غرورهم بربهم ، وفرحهم بما مد لهم من العمر والمال والمتاع .

آخر الآية ، قال : هؤلاء المنافقون ، يخادعون الله ورسوله والذين آمنوا ، أنهم مؤمنون بما أظهروا^(١) .

وهذه الآية من أوضح الدليل على تكذيب الله جل ثناؤه الزاعمين : أن الله لا يُعَذِّب من عباده إلا من كَفَرَ به عناداً ، بعد علمه بوحدايته ، وبعد تقرر صحة ما عانده ربه تبارك وتعالى عليه من تَوَحُّيده ، والإقرار بكتبه ورُسُلِهِ—عنده . لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عن الذين وَصَفَهُم بما وَصَفَهُم به من النفاق ، وخيادعهم إياه والمؤمنين—أنهم لا يشعرون أنهم مُبْطَلُونَ فيما هم عليه من الباطل مُقِيمُونَ ، وأنَّهم يخادعونهم—الذى يحسبون أنهم به يُخادعون ربهم وأهلَ الإيمان به—مُخْلَعُونَ . ثم أخبر تعالى ذكره أن لهم عذاباً أليماً بتكذيبهم بما كانوا يكذبون من نبوة نبيِّه ، واعتقاد الكفر به ، وبما كانوا يكذبون في زعمهم أنهم مؤمنون ، وهم على الكفر مُصِرُّون . فإن قال لنا قائل : قد علمت أن «المُفَاعَلَةَ» لا تكون إلا من فاعليْن ، كقولك : ضاربُ أخاك ، وجلستُ أباك—إذا كان كل واحد مجالس صاحبه ومضاربه . فأما إذا كان الفاعلُ من أحدهما ، فإنما يقال : ضربتُ أخاك ، وجلستُ إلى أبيك . فمَنْ خادع المنافق فجاز أن يُقال فيه : خادع الله والمؤمنين ؟

قيل : قد قال بعضُ المنسويين إلى العلم بلغات العرب^(٢) : إن ذلك حرفٌ جاء بهذه الصورة أعنى «يُخَادِع» بصورة «يُفْعَل» ، وهو بمعنى «يَفْعَل» ، في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب ، نظير قولهم : قاتلك الله ، بمعنى قَتَلَكَ الله . وليس القول في ذلك عندى كالذى قال ، بل ذلك من «التفاعل» الذى لا يكون إلا من اثنين ، كسائر ما يُعرف من معنى «يفاعل ومُفاعَل» في كل كلام العرب . وذلك : أن المنافق يُخادع الله جل ثناؤه بكذب به بلسانه—على ما قد تقدّم

(١) الأثر ٢٢٠—في الدر المنثور ١ : ٣٠ ، والشوكاني ١ : ٣٠ ، ويأتى تمامه في تفسير

بقية الآية برقم : ٣٢١ .

(٢) يعنى أباً حبيدة في كتابه «مجاز القرآن» : ٣١ .

وصفه - والله تبارك اسمه خادِعُه، بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في أجل معادِه، كالذى أخبر في قوله : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَبِّلُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُثَبِّلُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [سورة آل عمران : ١٧٨] ، وبالمعنى الذى أخبر أنه فاعلٌ به في الآخرة بقوله : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [سورة الحديد : ١٣] ، فذلك نظيرٌ سائر ما يأتي من معاني الكلام : « يُفَاعِلُ وَمُفَاعِلٌ . وقد كان بعض أهل النحو من أهل البصرة يقول : لا تكون المفاعلة إلا من شيئين ، ولكنه إنما قيل : « يُخَادِعُونَ اللَّهَ » عند أنفسهم ، بظنهم أن لا يعاقبوا ، فقد علموا خلاف ذلك في أنفسهم ، بحجة الله تبارك اسمه الواقعة على خلقه بمعرفته ، وما يخدعون إلا أنفسهم . قال : وقد قال بعضهم : « وما يخدعون » ، يقول : يخدعون أنفسهم بالتَّخْلِيَةِ بها ^(١) . وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾

إن قال قائل : أو ليس المنافقون قد خدعوا المؤمنين - بما أظهروا بالسنهم من قيل الحق - عن أنفسهم وأموالهم وذرائعهم حتى سلمت لهم دنياهم ، وإن

(١) معنى بقوله « بالتَّخْلِيَةِ بها » ، أى بالافتراء بها وإخفاء ما يبطنون من الكفر . كأن أراد أن يجعل اشتقاق « يخدعون » من الخدع ، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير ، وأراد السر الشديد لما يبطنون . وأصل بفلان يخل به إخلاء : افترده به في مكان خال . واستعمل « التَّخْلِيَةُ » بمعنى أنه حمل على الخلوة ، كأنه حمل نفسه على الخلوة بها والافتراء ، ليخفى ما فيها . وهذا الذى ذكره شرح لبقية الآية الذى سبأى بعد .

٩٢/١ كانوا قد كانوا مغلوعين في أمر آخرتهم ؟

قيل : خطأ أن يقال إنهم خدعوا المؤمنين . لأننا إذا قلنا ذلك ، أوجبنا لهم حقيقة خدعةٍ جازت لهم على المؤمنين ^(١) . كما أننا لو قلنا : قتل فلان فلاناً ، أوجبنا له حقيقة قتلٍ كان منه لفلان . ولكننا نقول : خادع المنافقون ربهم والمؤمنين ، ولم يَخْدَعُوهم بل خدعوا أنفسهم ، كما قال جل ثناؤه ، دون غيرها ، نظير ما نقول في رجل قاتل آخر ، فقتل نفسه ولم يقتل صاحبه : قاتل فلان فلاناً فلم يقتل إلا نفسه ، فتوجب له مقاتلة صاحبه ، وتنفي عنه قتله صاحبه ، وتوجب له قتل نفسه . فكذا نقول : « خادع المنافق ربهم والمؤمنين فلم يَخْدَعْ إلا نفسه » ، فثبت منه خادعة ربه والمؤمنين ، وتنفي عنه أن يكون خدع غير نفسه ، لأن الخادع هو الذي قد صحت الخديعة له ، ووقع منه فعلها . فالمنافقون لم يَخْدَعُوا غير أنفسهم ، لأن ما كان لهم من مال وأهل ، فلم يكن المسلمون مملوكه عليهم — في حال خديعتهم إياهم عنه بنفاقهم ولا قبلها — فيستفيدوه بخداعهم منهم ، وإنما دافعوا عنه بكذبهم وإظهارهم بالسنتهم غير الذي في ضمائرهم ، ويحكم الله لهم في أموالهم وأنفسهم وذرائعهم في ظاهر أمورهم بحكم ما انتسبوا إليه من الملة ، والله بما يُخفون من أمورهم عالم . وإنما الخادع من ختل غيره عن شيء ، والمخدوع غير عالم بموضع خديعة خادعِهِ . فأما والمخدع عارفٌ بخداع صاحبه إياه = غير لاحقِهِ من خداعه إياه مكروهٌ ، بل إنما يتجافى للظن به أنه له مُخدع ، استدراجاً ، ليبلغ غايةً يتكامل له عليه الحُجَّةُ للعقوبة التي هويه موقِع عندبلوغه إياها ^(٢) ، والمستندرج غير عالم بحال نفسه عند مستدرجِهِ ، ولا عارفٌ باطلّاعه على ضميره ، وأن إمهال مستدرجِهِ إياه ، تركه معاقبته على جرمه ^(٣) ، ليبلغ المخاتيل المخادعُ — من استحقاقه عقوبةً مستدرجِهِ ،

(١) في المطبوعة : « جاءت لهم على المؤمنين » ، وهو خطأ .

(٢) في المطبوعة : « التي هو بها موقع » ، وعنى : العقوبة التي هو موقعها به . . .

(٣) في المطبوعة : « وأن إمهال مستدرجِهِ ، وتركه إياه معاقبته على جرمه » ، وهو خطأ مفسد للمعنى .

بكثرة إساءته ، وطول عِصْيَانِهِ إِيَّاهُ ، وكثرة صفح المستلجج ، وطول عفوه عنه — أقصى غاية ^(١) = فلانما هو خادع نفسه لا شك ، دون من حدثته نفسه أنه له مخادع . ولذلك نرى الله جل ثناؤه عن المنافق أن يكون خَدَعَ غير نفسه ، إذ كانت الصِّفَةُ التي وَصَفْنَا صِفَتَهُ .

وإذ كان الأمر على ما وصفنا من خِدَاعِ المنافق ربَّهُ وأهلَ الإيمان به ، وأنه غير صائر بخداعه ذلك إلى خديعةٍ صحيحةٍ إلا لنفسه دون غيرها ، لما يورطها بفعله من الهلاك والعطب — فالواجب إذاً أن يكون الصحيح من القراءة : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ دون ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ لأن لفظ «المخادع» غير مُوجب تثبیت خديعةٍ على صحّة ، ولفظ «خادع» موجب تثبیت خديعة على صحّة . ولا شك أن المنافق قد أوجب خديعة الله عز وجل لِنَفْسِهِ بما ركب من خداعه ربَّهُ ورسولَهُ والمؤمنين — بنفاقه ، فلذلك وجبت الصِّحَّةُ لقراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ .

ومن الدلالة أيضاً على أن قراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ أولى بالصحة من قراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ ، أن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم يُخَادِعُونَ الله والمؤمنين في أول الآية ، فمحال أن يتنى عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه ، لأن ذلك تضادٌ في المعنى ، وذلك غير جائزٍ من الله جلّ وعزّ .

• • •

القول في تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ①

يعنى بقوله جل ثناؤه « وما يشعرون » ، وما يدرون . يقال : ما شعر فلان بهذا الأمر ، وهو لا يشعر به — إذا لم يدّر ولم يعلم — شعراً وشعوراً . وقال الشاعر :

(١) سياق هذه العبارة : « ليلعل الخائن المخادع ... أقصى غاية » ، وسياق الذي يليها من صدر الجملة : « فأما والمخادع حارث ... فلانما هو خادع نفسه ... » ، وما بينهما فصل طويل .

عَفَوْا بِسَمِهِمْ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ ثُمَّ اسْتَفَاوْا وَقَالُوا: حَبَّذَا الْوَضَحُ^(١)

يعنى بقوله : لم يشعر به ، لم يدرك به أحد ولم يعلم . فأخبر الله تعالى ذكره عن المنافقين : أنهم لا يشعرون بأن الله خادعهم ، بإملائه لهم واستدراجيه إياهم ، الذى هو من الله جل ثناؤه إبلاغٌ إليهم فى الحجة والمعدرة ، ومنهم لأنفسهم خديعةٌ ، ولها فى الآجل مَصْرَةٌ ، كالذى - :

٩٤/١ ٣٢١- حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : سألت

ابن زيد عن قوله : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، قال : ما يشعرون أنهم ضَرُّوا أنفسهم ، بما أسَرُّوا من الكفر والنفاق . وقرأ قول الله تعالى ذكره : ﴿ يَوْمَ يَنْبَغُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ ، قال : هم المنافقين حتى بلغ ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [سورة المجادلة : ١٨] ، قد كان الإيمان ينفعهم عندكم^(٢) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾

قال أبو جعفر : وأصل المرض : السَّقَمُ ، ثم يقال ذلك فى الأجساد والأديان . فأخبر الله جل ثناؤه أن فى قلوب المنافقين مَرَضًا ، وإنما عني تبارك وتعالى بخبره

(١) الشعر للمتخلى الهذلى ، ديوان الهذليين ٢ : ٣١ ، وأما القائل ١ : ٢٤٨ ، وسمط اللآلى ٥٦٣ . عني بالسهم : رعى به فى السماء لا يريد به شيئاً ، وأصله فى النار والدية ، وذلك أنهم كانوا يجتمعون إلى أولياء المقتول بدية مكلمة ، ويسألونهم قبيل الدية . فإن كانوا أقوياء أبوا ذلك ، وإلا أخذوا سهماً ورموا به فى السماء ، فإن عاد مفرجاً بدم ، فقد زعموا أن ربهم نهاهم عن أخذ الدية . وإن رجع كما صعد ، فقد زعموا أن ربهم أمرهم بالعفو وأخذ الدية . وكل ذلك أبطل الإسلام . وفاء واستفاء : رجع . والوضح : اللبن . يهجوم بالذلة والدناءة ، فأسدروا دم قتيالهم ، ورموا بالسهم الذى يزعمونه يأمرهم وينهاهم ، ورجعوا عن طاب الترة إلى قبيل الدية ، وآثروا إبل الدية وألبانها على دم قاتل صاحبهم ، وقالوا فى أنفسهم : اللبن أحب إلينا من القود وأنفع .

(٢) الأثر ٣٢١ - هو تمام الأثر الذى سلف : ٣٢٠ .

عن مرض قلوبهم ، الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد = ولكن لما كان معلوماً بالخبر عن مرض القلب ، أنه معنى به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد - استغنى بالخبر عن القلب بذلك = والكفاية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم^(١) ، كما قال عمر بن الخطاب :

وَسَبَّحَتِ الْمَدِينَةُ ، لَا تَلْهَاهَا ، رَأَتْ قَمَرًا بِسُوقِهِمْ نَهَارًا^(٢)

يريد : وسبح أهل المدينة ، فاستغنى بمعرفة السامعين خبره بالخبر عن المدينة ، عن الخبر عن أهلها . ومثله قول عنترة العبيسي :

هَلَا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ ؟ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِ^(٣)

يريد : هلا سألت أصحاب الخيل ؟ ومنه قولهم : « يا خيل الله اركبي » ، يراد : يا أصحاب خيل الله اركبوا . والشواهد على ذلك أكثر من أن يُحصيها كتاب ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه .

فكذلك معنى قول الله جل ثناؤه : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ إنما يعنى : في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين ، والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله - مَرَضٌ وسَقَمٌ . فاجتزأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه ، عن تصريح الخبر عن اعتقادهم .

والمرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفنا : هو شكهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله ، وتحيرهم فيه ، فلا هم به موقنون بإيقان إيمان ، ولا هم له منكرون إنكار إشراك ، ولكنهم ، كما وصفهم الله عز وجل ، مُدْبِدُونَ بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء^(٤) ، كما يقال : فلان يُمرّض في هذا الأمر ،

(١) في المطبوعة : « والكفاية عن تصريح الخبر ... » ، وقوله : « والكفاية عن تصريح الخبر ... » معطوف على قوله « الخبر عن مرض ما في قلوبهم ... » .
(٢) يأتي البيت في تفسير آية البقرة : ١١٠ (١ : ٣٩١ بولاق) .
(٣) في مملته المشهورة .
(٤) تفسين آية سورة النساء : ١٤٣ .

أَيُّ يُضَعَّفُ الْعَزْمَ وَلَا يَصَحِّحُ الرُّوْيَةَ فِيهِ .

وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك ، تظاهر القول فى تفسيره من المفسرين .
ذكر من قال ذلك :

٣٢٢ — حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ،
عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس : « فى قلوبهم مرض » ، أى شك .

٣٢٣ — وحدَّثت عن المنجّاب ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبى
روّق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : المرض : النفاق .

٣٢٤ — حدّثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السّدىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس
— وعن مِرّة الحمدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النّبى صلى الله
عليه وسلم : « فى قلوبهم مرض » يقول : فى قلوبهم شك .

٣٢٥ — حدّثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال
عبد الرحمن بن زيد ، فى قوله : « فى قلوبهم مَرَضٌ » ، قال : هذا مرض فى الدّين ،
وليس مَرَضاً فى الأجساد ، قال : وهم المنافقون .

٣٢٦ — حدّثنى المنثى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سُوَيْد بن نصر ، قال :
أخبرنا ابنُ المبارك قراءةً ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله « فى قلوبهم مَرَضٌ »
قال : فى قلوبهم ريبة وشك فى أمر الله جل ثناؤه .

٣٢٧ — وحدّثت عن عمّار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « فى قلوبهم مَرَضٌ » قال : هؤلاء أهلُ
النفاق ، والمرضُ الذى فى قلوبهم : الشك فى أمر الله تعالى ذكره .

٣٢٨ — حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن
زيد : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ حتى بلغ ﴿ فِي

﴿قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قال : المرض : الشك الذى دخلهم فى الإسلام^(١).

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾

قد دللنا آنفاً على أن تأويل المرض الذى وصف الله جل ثناؤه أنه فى قلوب ١٥/١ المنافقين ، هو الشك فى اعتقادات قلوبهم وأديانهم ، وما هم عليه — فى أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر نبوته وما جاء به — مقيمون.

فالمرض الذى أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنه زادهم على مرضهم ، نظير ما كان فى قلوبهم من الشك والحيرة قبل الزيادة ، فزادهم الله بما أحدث من حدوده وفرائضه — التى لم يكن فرضها قبل الزيادة التى زادها المنافقين — من الشك والحيرة ، إذ شككوا وارتابوا فى الذى أحدث لهم من ذلك —^(٢) إلى المرض والشك الذى كان فى قلوبهم فى السالف ، من حدوده وفرائضه التى كان فرضها قبل ذلك . كما زاد المؤمنين به إلى إيمانهم الذى كانوا عليه قبل ذلك ، بالذى أحدث لهم من الفرائض والحدود إذ آمنوا به ، إلى إيمانهم بالسالف من حدوده وفرائضه — إيماناً . كالذى قال جل ثناؤه فى تنزيله : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنِ يَقُولُ أَيْسَكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَنَ الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي

(١) الأخبار : ٣٢٢ — ٣٢٨ ، نقلها ابن كثير ١ : ٨٨ ، والسيوطى ١ : ٣٠ ، والشوكافى ١ : ٣٠ — مع تنسبها الآتية فى تفسير بقية الآية ، بالأرقام : ٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ — على هذا التوالى . ولكن ٣٣٦ لم يذكر فيه * عن ابن عباس .

و المنجاب * فى ٣٢٣ ، ٣٣٦ : هو ابن الحارث بن عبد الرحمن التميمى ، من شيوخ مسلم ، روى عنه فى صحيحه ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وهو بكسر الميم وسكون الذوق وفتح الهم وآخره باء موحدة .

(٢) سياق العبارة : « فزادهم الله بما أحدث من حدوده . . . من الشك والحيرة . . . إلى المرض والشك الذى كان فى قلوبهم . . . » .

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادْتَهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَتَّاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾
[سورة التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥]. فالزيادة التي زيدها المنافقون من الرجاسة إلى رجاستهم ،
هو ما وصفنا. والتي زيدها المؤمنون إلى إيمانهم ، هو ما بيننا . وذلك هو التأويل
المجمع عليه .

ذكر بعض من قال ذلك من أهل التأويل :

٣٢٩ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد
بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن
عباس : « فزادهم الله مَرَضًا » ، قال : شكًا

٣٣٠ - حدثني موسى بن هرون ، قال : أخبرنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السُّدِّيِّ ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن
ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم : « فزادهم الله مَرَضًا » ، يقول : فزادهم الله رِيبةً وشكًا .

٣٣١ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا
ابن المبارك قراءةً ، عن سعيد ، عن قتادة : « فزادهم الله مرضًا » ، يقول : فزادهم
الله رِيبةً وشكًا في أمر الله .

٣٣٢ - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول
الله : « في قلوبهم مَرَضٌ فزادهم الله مَرَضًا » ، قال : زادهم رِجْسًا ، وقرأ قول الله عز
وجل : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيمانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ فَزَادْتَهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴿ قال : شرًا إلى شرهم ، وضلالةً إلى ضلالتهم .
٣٣٣ - وحدَّثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ،
عن الربيع : « فزادهم الله مَرَضًا » ، قال : زادهم الله شكًا ^(١) .

. . .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قال أبو جعفر : والأليم : هو المَوْجِعُ . ومعناه : ولم عذاب مؤلم . بصرف مؤلم ، إلى « أليم »^(١) ، كما يقال : ضَرْبٌ وَجِيعٌ بمعنى مُوجِعٌ ، والله بَدِيعُ السموات والأرض ، بمعنى مُبْدِعٌ . ومنه قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ^(٢)

بمعنى المُسْمِعِ . ومنه قول ذى الرمة :

وَتَرَفَعُ مِنْ صُدُورٍ تَمْرَدَاتٍ يَصُدُّ وَجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمٌ^(٣)

ويروى « يَصُكُّ » ، وإنما الأليم صفة للعذاب ، كأنه قال : ولم عذاب مؤلم . وهو مأخوذ من الألم ، والألم : الوجع . كما - :

٣٣٤ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الله بن

أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : الأليم ، المَوْجِعُ .

٣٣٥ - حدثنا يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا جُوَيْبِرٌ ، عن

الضحاك ، قال : الأليم ، المَوْجِعُ^(٤) .

(١) في المطبعة : « فصرف مؤلم . . . » .

(٢) الأسمعيات ٤٣ ، ويأتى في تفسير آية سورة يونس : ١ (١١ : ٥٨ بولاق) .
وريحانة : هى بنت مديكرب ، أخت عمرو بن مديكرب ، وهى أم دريد بن الصمة ، وكان أبوه الصمة ، سبها وتزويجها . (الأغاني ١٠ : ٤) .

(٣) ديوانه : ٥٩٢ . وقوله « ورفخ من صدور . . . » أى نستحيها فى السير ، والإبل إذا أسرعت رفعت من صدورها . وشمردلات جمع شمردلة : وهى الناقة الحسنة الجميلة الخلق الفتية السريعة .
وقوله « يصد وجوهها » أى يستقبل وجوهها ويفر بها وهج أليم ، فنصد وجوهها أى تلويها كالمعرضة عن لئحته . ورواية ديوانه : « يصبك » ، وصكه صكة : ضربه ضربة شديدة . والوهج : حرارة الشمس ، أو حرارة النار من بعيد .

(٤) الأثر ٣٣٥ - يعقوب : هو ابن إبراهيم الدورق الحافظ . هشيم - بضم الهاء : هو ابن بشير ، بفتح الباء وكسر الشين المعجمة ، بن القاسم ، أبو معاوية الواسطى ، إمام حافظ كبير ، روى عنه

٣٣٦ - وحُدِّثَ عن المِشْجَاب بن الحارث ، قال : حَدَّثَنَا بَشْر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحَّاك ، في قوله « أَلِيم » ، قال : هو العذاب المُوجع . وكل شيء في القرآن من الأليم فهو المِوجع ^(١) .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ^(١٠) ٩٦/١

اختلفت القراءَةُ في قراءة ذلك ^(٢) ، فقرأه بعضهم : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ مُخَفَّفَةً الذَّال مفتوحة الياء ، وهي قراءة عَظُم قَرَأَ أهل الكوفة . وقرأه آخرون : ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ بضم الياء وتشديد الذال ، وهي قراءة عَظُم قَرَأَ أهل المدينة والحجاز والبصرة ^(٣) .

وكان الذين قرأوا ذلك ، بتشديد الذال وضم الياء ، رأوا أن الله جل ثناؤه إنما أوجب للمنافقين العذابَ الأليم بتكذيبهم نبيَّه صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وأن الكذبَ لولا التكذيبُ لا يُوجب لأحدٍ اليسير من العذاب ، فكيف بالأليم منه ؟ وليس الأمر في ذلك عندى كالذى قالوا . وذلك : أن الله عز وجل أنبا عن المنافقين في أول النبأ عنهم في هذه السورة ، بأنهم يَكْذِبُونَ بدَعواهم الإيمان ، وإظهارهم ذلك بالسنتهم ، خِلداً على الله عز وجل ولرسوله وللمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا

الأئمة : أحمد وابن المديني وغيرهما ، وقال عبد الرحمن بن مهدي : « كان هشيم أحفظ للحديث من سفيان الثوري » . ومعنى هذا الأثر مضمّن في الذى بعده : ٣٣٦ .

(١) الأثر ٣٣٦ - ذكره السيوطي ١ : ٣٠ . وأشار إليه الشوكاني ١ : ٣٠ .

(٢) في المطبوعة : « اختلفت القراء » ، والقراءة : جمع قارئ ، وانظر ما مضى ، ٥١ تعليق ،

وص ٦٤ تعليق : ٤ ، وص ١٠٩ تعليق : ١ .

(٣) في المطبوعة : « قراءة معظم أهل الكوفة » ، و « قراءة معظم أهل المدينة . . . » ، وعظم

لناس : معظمهم وأكثرهم . وانظر للتعليق السالف ، ثم ص ١٠٩ تعليق : ١ .

بذلك من قلوبهم ، مع استسارهم الشك^(١) والريبة ، ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ بصنيعهم ذلك ﴿ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بموضع خديعتهم أنفسهم ، واستدراج الله عز وجل إياهم بإملائه لهم ، ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ شك النفاق وريبته^(٢) والله زائلهم شكاً وريبة بما كانوا يكذبون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم بالسنتهم آمناً بالله وبالיום الآخر ، وهم في قلوبهم ذلك كذبة ، لاستسارهم الشك^(٣) والمرص في اعتقادات قلوبهم في أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم . فأولى في حكمة الله جل جلاله ، أن يكون الوعيد منه لهم على ما افتتح به الخبر عنهم من قبيح أفعالهم وذمهم أخلاقهم ، دون ما لم يجز له ذكر من أفعالهم . إذ كان سائر آيات تنزيله بذلك تنزل ، وهو : أن يفتتح ذكر محاسن أفعال قوم ، ثم يختم ذلك بالوعد على ما افتتح به ذكره من أفعالهم ، ويفتح ذكر مساوي أفعال آخرين ، ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتدأ به ذكره من أفعالهم .

فكذلك الصحيح من القول - في الآيات التي افتتح فيها ذكر بعض مساوي أفعال المنافقين - أن يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذكره من قبائح أفعالهم . فهذا هذا^(٤) ، مع دلالة الآية الأخرى على صحة ما قلنا ، وشهادتها بأن الواجب من القراءة ما اخترنا ، وأن الصواب من التأويل ما تأولنا ، من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذاب الأليم على الكذب الجامع معنى الشك^(٥) والتكذيب ، وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [سورة المنافقون : ١ ، ٢] . والآية

(١) في المطبوعة : « في قلوبهم شك » ، أي نفاق وريبة . « واللى في المخطوطة أصح .

(٢) في المطبوعة : « فهذا مع دلالة الآية الأخرى . . . » ، ولم يأت في الجملة خبر قوله « فهذا » ،

واللى في المخطوطة هو الصواب .

الأخرى في المجادلة: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [سورة المجادلة : ١٦]. فأخبر جل ثناؤه أن المنافقين - بقليلهم ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع اعتقادهم فيه ما هم معتقدون - كاذبون . ثم أخبر تعالى ذكره أن العذاب المهيّن لهم ، على ذلك من كذبهم . ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القاريون في سورة البقرة: «ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون» لكانت القراءة في السورة الأخرى: «والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيداً على التكذيب لا على الكذب. وفي إجماع المسلمين على أن الصواب من القراءة في قوله: «والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» بمعنى الكذب - وأن إبعاد الله تبارك وتعالى فيه المنافقين العذاب الأليم على ذلك من كذبهم - أوضح الدلالة على أن الصحيح من القراءة في سورة البقرة: «بما كانوا يكذبون» بمعنى الكذب، وأن الوعيد من الله تعالى ذكره للمنافقين فيها على الكذب - حق - لا على التكذيب الذي لم يجر له ذكر - نظير الذي في سورة المنافقين سواء.

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن «ما» من قول الله تبارك اسمه «بما كانوا يكذبون» اسم للمصدر ، كما أن «أن» و «الفعل» اسمان للمصدر في قولك: أحب أن تأتيني ، وأن المعنى إنما هو يكذبهم وتكذبهم . قال: وأدخل «كان» ليخبر أنه كان فيما مضى ، كما يقال : ما أحسن ما كان عبدُ الله ، فأنت تعجب من عبد الله لا من كونه ، وإنما وقع التعجب في اللفظ على كونه . وكان بعض نحويي الكوفة ينكر ذلك من قوله ويستخطئه ، ويقول : إنما ألغيت «كان» في التعجب ، لأن الفعل قد تقدّمها ، فكأنه قال : «حسنًا كان زيد» و «حسنًا كان زيد» يُبطل «كان» ، ويُعْمِل مع الأسماء والصفات التي بالفاظ الأسماء ، إذا جاءت قبل «كان» ، ووقعت «كان» بينها وبين الأسماء . وأما العلة في إبطالها إذا أبطلت في هذه الحال ، فليشبهه الصفات والأسماء ب «فعل» و «يفعل» اللتين لا يظهر عمل

« كان » فيهما . ألا ترى أنك تقول : « يقوم كان زيد » ولا يظهر عمل « كان » في « يقوم » ، وكذلك « قام كان زيد » . فلذلك أبطل عملها مع « فاعل » تمثيلاً بـ « فعل » و « يفعل » ، وأعملت مع « فاعل » أحياناً لأنه اسم ، كما تعمل في الأسماء . فأما إذا تقدمت « كان » الأسماء والأفعال ، وكان الاسم والفعل بعدهما ، فخطأ عنده أن تكون « كان » مبطلّة . فلذلك أحال قول البصري الذي حكيناه ، وتأول قول الله عز وجل « بما كانوا يكذبون » أنه بمعنى : الذي يكذبونه .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ ﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية :

فروى عن سلمان الفارسي أنه كان يقول : لم يجي هؤلاء بعد .

٣٣٧ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثام بن علي ، قال : حدثنا

الأعمش ، قال : سمعت المنهال بن عمرو يحدث ، عن عبيد بن عبد الله ، عن

سلمان ، قال : ما جاء هؤلاء بعد ، الذين ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ^(١)

(١) الخبر ٣٣٧ - عثام - يفتح العين المهملّة وتشديد الشاء المثناة - بن حلّ العامري : ثقة ، وثقه أبو زرعة وابن سعد وغيرهما . ترجمه ابن سعد ٦ : ٢٧٣ ، والبخاري في الكبير ٩٣/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٤/٢/٣ . المنهال بن عمرو الأسدي : ثقة ، رجحنا توثيقه في المسند : ٧١٤ ، وقد جزم البخاري في الكبير ١٢/٢/٤ أن شعبة روى عنه ، ورواية شعبة عنه ثابتة في المسند : ٣١٣٣ . عباد ابن عباد : هو الأسدي الكوفي ، قال البخاري : « فيه نظر » ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وضعفه ابن المديني ، وذكر ابن أبي حاتم ٨٢/١/٣ أنه « سمع علياً » . وقد بينت في شرح المسند : ٨٨٣ أن حديثه حسن . وسلمان : هو سلمان الخير الفارسي الصحابي ، رضى الله عنه . وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٩١ ، والسيوطي ١ : ٣٠ ، ونسبه أيضاً لوكيع وابن أبي حاتم ، وذكره الشوكاني ١ : ٣١ ونسبه لابن إسحق وابن جرير وابن أبي حاتم ، ولم أجد نسبه لابن إسحق عند غيره .

٣٣٨- حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم، قال : حدثنا عبد الرحمن بن شريك، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثني الأعمش ، عن زيد بن وهب وغيره ، عن سلمان ، أنه قال في هذه الآية ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، قال : ما جاء هؤلاء بعد^(١) .

وقال آخرون بما - :

٣٣٩- حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة المملي ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، هم المنافقون . أما « لا تفسدوا في الأرض » ، فإن الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية .

٣٤٠- وحدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يقول : لا تعصوا في الأرض ﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ ، قال : فكان فسادهم ذلك معصية الله جل ثناؤه ، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته ، فقد أفسد في الأرض ، لأن إصلاح الأرض والسما بالطاعة^(٢) .

(١) الخبر ٣٣٨ - أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي : ثقة ، وثقه النسائي والبخاري وغيرهما ، روى عنه البخاري وسلم في الصحيحين ، وهو من الشيوخ القلائل الذين روى عنهم البخاري وهم أحياء ، فإنه مات سنة ٢٦٠ أو ٢٦١ ، والبخاري مات سنة ٢٥٦ . عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله النخعي : ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : « واهي الحديث » .

وإسناده عندي حسن ، وقد مضى قبله بإسناد آخر حسن . فكل منهما يقوى الآخر ، وقد نقله ابن كثير ١ : ٩١ عن الطبري بهذا الإسناد .

(٢) الأثر ٣٤٠ - قوله : « قالوا إنما نحن مصلحون » ، من المخطوطة ، وليس في المطبوعة ، وفي المطبوعة والمخطوطة : « فكان فسادهم على أنفسهم ذلك معصية الله . . . » ، و « على أنفسهم » كأنها زيادة من الناسخ ، وليست فيما نقله ابن كثير عن الطبري .

وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : إن قولَ الله تبارك اسمه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان معنيًا بها كُلُّ من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة .

وقد يحتمل قولُ سلمان عند تلاوة هذه الآية : « ما جاء هؤلاء بعدُ » ، أن يكون قاله بعد فناء الذين كانوا بهذه الصفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خبراً منه عمن هو جاء منهم بعدهم ولَمَّا يَحْيَى بعدُ^(١) ، لا أَنَّهُ عَنَى أَنَّهُ لَمْ يَمُضْ مِمَّنْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَحَدٌ .

ولمَّا قلنا أولى التأويلين بالآية ما ذكرنا ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك صفة من كان بين ظهراني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — من المنافقين ، وأن هذه الآيات فيهم نزلت . والتأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن ، من قول لا دلالة على صحته من أصل ولا نظير . والإفساد في الأرض ، العمل فيها بما نهى الله جل ثناؤه عنه ، وتضييع ما أمر الله بحفظه ، فذلك جملة الإفساد ، كما قال جل ثناؤه في كتابه مخبراً عن قَيلٍ ملائكته : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠] ، يعنون بذلك : أتجعل في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه ، وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من أحدٍ عملاً إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته^(٢) ، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ، وبمظاهرتهم أهل الكذب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله ، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً . فذلك إفساد المنافقين في أرض الله ، وهم

(١) في المطبوعة : « عن جاء منهم بعدهم » ، وهو محيل للمعنى ، والصواب من المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « بحقيقته » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير .

يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها . فلم يسقط الله جل ثناؤه عنهم عقوبته ، ولا خفف عنهم الألم ما أعدَّ من عقابه لأهل معصيته — بحُسابهم أنهم فيما أتوا من معاصي الله مصلحون — بل أوجب لهم الدَّرَكَ الأسفل من ناره ، والأليم من عذابه ، والعارَ العاجلَ بسبِّ الله لإياهم وشتَمِهِ لهم ، فقال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . وذلك من حكم الله جل ثناؤه فيهم ، أدلَّ الدليل على تكذيبه تعالى قولَ القائلين : إن عقوباتِ الله لا يستحقها إلا المعاند ربَّه فيما لزمه من حُقوقه وفروضه ، بعد علمه وثبوت الحجة عليه بمعرفته بلزوم ذلك لإيائه .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١١)

وتأويل ذلك كالذي قاله ابن عباس ، الذي —

٣٤١ — حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، أى قالوا : إنما نريد الإصلاحَ بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب .
ونخالفه في ذلك غيره .

٣٤٢ — حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، قال : إذا ركبوا معصيةَ الله فقبل لهم : لا تفعلوا كذا وكذا ، قالوا : إنما نحن على الهدى ، مصلحون (١) .

(١) الخبران ٣٤١، ٣٤٢ — سابقهما ابن كثير ٩١ : ١ ، والسيوطى ٣٠٠ : ١ ، والشوكاني ٣٠٠ : ١ .

قال أبو جعفر : وأى الأمرين كان منهم في ذلك ، أعنى في دعواهم أنهم مُصلحون ، فهم لا شك أنهم كانوا يحسبون أنهم فيما أتوا من ذلك مصلحون . فسواء بين اليهود والمسلمين كانت دعواهم الإصلاح ، أو في أديانهم ، وفيما ركبوا من معصية الله ، وكذبهم المؤمنين فيما أظهروا لهم من القول وهم لغير ما أظهروا مُستبطنون ؛ لأنهم كانوا في جميع ذلك من أمرهم عند أنفسهم محسنين ، وهم عند الله مُسيئون ، ولأمر الله مخالفون . لأن الله جل ثناؤه قد كان فرض عليهم علاقة اليهود وحببتهم مع المسلمين ، وألزمهم التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله ، كالذى ألزم من ذلك المؤمنين . فكان لقاءهم اليهود - على وجه الولاية منهم لهم ، وشككهم في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به أنه من عند الله - أعظم الفساد ، وإن كان ذلك كان عندهم إصلاحاً وهدى : في أديانهم أو فيما بين المؤمنين واليهود ، فقال جل ثناؤه فيهم : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ الذين ينهونهم من المؤمنين عن الإفساد في الأرض ، ﴿ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

١٩/١

...

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾

وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾

وهذا القول من الله جل ثناؤه تكذيب للمنافقين في دعواهم . إذا أمروا بطاعة الله فيما أمرهم الله به ، ونهوا عن معصية الله فيما نهاهم الله عنه ، قالوا : إنما نحن مصلحون لا مفسدون ، ونحن على رشدٍ وهدى - فيما أنكرتموه علينا - دونكم لا ضالون . فكذبهم الله عز وجل في ذلك من قلوبهم فقال : أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ المخالفون أمر الله عز وجل ، المتعدون حدوده ، الراكبون معصيته ، التاركون فروضه ، وهم لا يشعرون ولا يدرون أنهم كذلك - لا الذين يأمرهم بالقسط من المؤمنين ،

وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

• • •

القول في تأويل قول الله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ يعني : وإذا قيل لهؤلاء الذين وصّهم الله ونعتهم بأنهم يقولون: ﴿آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ : صدّقوا بمحمد وبما جاء به من عند الله ، كما صدّق به الناس . ويعني بـ « الناس » : المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ونبوته وما جاء به من عند الله ، كما - :

٣٤٣ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن نُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ ، يقول : وإذا قيل لهم صدّقوا كما صدّق أصحاب محمد ، قولوا : إنّه نبيٌّ ورسول ، وإنّ ما أنزل عليه حقّ ، وصدّقوا بالآخرة ، وأنّكم مبعوثون من بعد الموت ^(١) .

ولأنما أدخلت الألف واللام في « الناس » ، وهم بعضُ الناس لا جميعهم ، لأنهم كانوا معروفين عند الذين خُطبوا بهذه الآية بأعيانهم ، ولأنما معناه : آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ الذين تعرفونهم من أهل اليقين والتصديق بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر . فلذلك أدخلت الألف واللام فيه ، كما أدخلت في قوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

(١) الخبر ٣٤٣ - نقله السيوطي ١ : ٣٠ ، والشوكاني ١ : ٣١ ، ويأتى تمامه في تفسير بقية الآية ، برقى : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

فَاخْشَوْهُمْ ﴿ [سورة آل عمران: ١٧٣] ، لأنه أشير بدخولها إلى ناس معروفين عند مَنْ خُوطِبَ بذلك .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾

قال أبو جعفر : والسفهاء جمع سَفِيهٍ ، كما العلماء جمع عليم ^(١) ، والحكماء جمع حكيم . والسفيه : الجاهل ، الضعيفُ الرأي ، القليلُ المعرفة بمواضع المنافع والمضار . ولذلك سَمَى الله عز وجل النساء والصبيان سفهاء ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَوَدُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [سورة النساء : ٥] ، فقال عامة أهل التأويل : هم النساء والصبيان ، لضعف آرائهم ، وقلة معرفتهم بمواضع المصالح والمضار التي تصرف إليها الأموال .

ولمَّا عَنَى المنافقون بقتيلهم : أنؤمن كما آمن السفهاء — إذ دُعوا إلى التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، والإقرار بالبعث فقبل لهم : آمنوا كما آمن [الناس] ^(٢) — أصحاب محمد وأتباعه من المؤمنين المصدقين به ، من أهل الإيمان واليقين ، والتصديق بالله ، وبما افترض عليهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفي كتابه ، وباليوم الآخر . فقالوا إجابة لقائل ذلك لهم : أنؤمن كما آمن أهل الجهل ، ونصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم كما صدق به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا أفهام ؟ كالذي — :

٣٤٤ — حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن

(١) في المطبوعة : « كالعلماء . . . »

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « فقال لهم آمنوا كما آمن أصحاب محمد . . . » ، وهو كلام مضطرب والصواب ما أثبتناه . وقوله : « أصحاب محمد » مفعول قوله : « ولما عني المنافقون بقتيلهم . . . » .

عباس - وعن مُرّة المَحْمَدَانِي، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ قَالُوا أُنُومِينَ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ ، يعنون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٤٥ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : ١٠٠/١ حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : ﴿ قَالُوا أُنُومِينَ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

٣٤٦ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : « قَالُوا أُنُومِينَ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ » ، قال : هذا قول المنافقين ، يريدون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٤٧ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ قَالُوا أُنُومِينَ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ يقولون : أنقول كما تقول السفهاء ؟ يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، لخلافهم لدينهم ^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن

لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله تعالى عن المنافقين الذين تقدم نعتهم لهم ، ووصفهم لإيهم بما وصفهم به من الشك والتكذيب - أنهم هم الجهال في أديانهم ،

(١) الأخبار ٣٤٤ - ٣٤٧ : أشار إليها ابن كثير ١ : ٩٢ والسيوطي ١ : ٣٠ والشوكاني ١ : ٣١ والأخير منها من تنمة الخبر ٣٤٣ .

الضعفاء الآراء في اعتقاداتهم واختياراتهم التي اختاروها لأنفسهم ، من الشكّ والريب في أمر الله وأمر رسوله وأمر نبوته ، وفيما جاء به من عند الله ، وأمر البعث ، لإساءتهم إلى أنفسهم بما أتوا من ذلك وهم يحسبون أنهم إليها يُحْسِنُونَ. وذلك هو عَيْنُ السُّفْهِ ، لأن السفه إنما يُفسد من حيث يرى أنه يُصلحُ، ويُضيع من حيث يرى أنه يحفظ ، فكذلك المنافق : يعصى ربّه من حيث يرى أنه يطيعه، ويكفر به من حيث يرى أنه يؤمن به، ويسبى إلى نفسه من حيث يحسب أنه يُحسن إليها، كما وصفهم به ربنا جلّ ذكره، فقال: ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾، وقال: ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾ — دون المؤمنين المصدقين بالله وبكتابه ، وبرسوله وثوابه وعقابه — ﴿ولكن لا يعلمون﴾. وكذلك كان ابن عباس يتأول هذه الآية .

٣٤٨ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس يقول الله جل ثناؤه: ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾، يقول: الجهاال، ﴿ولكن لا يعلمون﴾ ، يقول : ولكن لا يعقلون^(١).

وأما وَجْهُ دخول الألف واللام في « السفهاء » ، فشيبه بوجه دخولهما في « الناس » في قوله : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ﴾ ، وقد بيّنا العلة في دخولهما هنالك ، والعلة في دخولهما في « السفهاء » نظيرتها في دخولهما في « الناس » هنالك ، سواء .

والدلالة التي تدل عليه هذه الآية من خطأ قول من زعم أن العقوبة من الله لا يستحقها إلا المعاند ربّه ، بعد علمه بصحة ما عانده فيه — نظير دالة الآيات الأخر التي قد تقدم ذكرنا تأويلاتها في قوله « ولكن لا يشعرون » ، ونظائر ذلك^(٢) .

• • •

(١) الخبر ٣٤٨ — هوتمة الخبرين : ٣٤٣ ، ٣٤٧ .

(٢) في المطبوعة : « مع علمه بصحة ما عانده فيه » ، وفيها أيضاً : « . . . » ونظير ذلك .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وهذه الآية نظيرة الآية الأخرى التي أخبر الله جل ثناؤه فيها عن المنافقين بخداعهم الله ورسوله والمؤمنين، فقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . ثم أكذبهم تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وأنهم بقليلهم ذلك يُخادعون الله والذين آمنوا . وكذلك أخبر عنهم في هذه الآية أنهم يقولون — للمؤمنين المصدقين بالله وكتابه ورسوله — بألسنتهم : آمنا وصدقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله ، خداعاً عن دمائهم وأموالهم وذرائعهم ، ودرءاً لهم عنها ، وأنهم إذا خلوا إلى مردتهم وأهل العتو والشر والخبث منهم ومن سائر أهل الشرك ^(١) ، الذين هم على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله — وهم شياطينهم ، وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن شياطين كل شيء مردته — قالوا لهم : « إنا معكم » ، أى إنا معكم على دينكم ، وظهراؤكم على من خالفكم فيه ، وأولياؤكم دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، « إنما نحن مستهزئون » بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه ، كالذى —

٣٤٩ — حدثنا محمد بن العلاء ^(٢) ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا

١٠١/١ بيشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ ، قال : كان رجال من اليهود إذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو بعضهم ، قالوا : إنا على دينكم . وإذا خلوا إلى أصحابهم ، وهم شياطينهم ، قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

(١) في المخطوطة : « وأنهم إذا خلوا إلى أهل مودتهم » ، والذي في المطبوعة أصح في سياق تفسيره .

(٢) « محمد بن العلاء » ، هو « أبو كريب » ، الذي أكثر الرواية عنه فيما مضى وفيما يستقبل .

٣٥٠ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مول زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ قال : إذا خلوا إلى شياطينهم من يهود ، الذين يأمرهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، أى إنا على مثل ما أنتم عليه ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾ .

٣٥١ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، أما شياطينهم ، فهم رؤوسهم في الكفر . ٣٥٢ - حدثنا بشر بن معاذ العقدي^(١) ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ أى رؤسائهم في الشر ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾ .

٣٥٣ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا معمر عن قتادة في قوله ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، قال : المشركون .

٣٥٤ - حدثني محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، قال : إذا خلا المنافقون إلى أصحابهم من الكفار .

٣٥٥ - حدثني الثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، عن شبيل ابن عباد ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، قال : أصحابهم من المنافقين والمشركين .

٣٥٦ - حدثني الثني ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي

(١) بشر بن معاذ العقدي : ثقة معروف ، روى عنه الترمذي : والنسائي وابن ماجة وغيرهم .
و « العقدي » : بالعين المهملة والقاف المفتوحين ، نسبة إلى « العقد » : بطن من بجيلة .

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ ، قال : إخوانهم من المشركين ، ﴿قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ .

٣٥٧- حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج في قوله : ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ ، قال : إذا أصاب المؤمنين رخاء قالوا : إنا نحن معكم ، إنما نحن إخوانكم ، وإذا خلوا إلى شياطينهم استهزأوا بالمؤمنين .

٣٥٨- حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : وقال مجاهد : شياطينهم : أصحابهم من المنافقين والمشركين^(١) . فإن قال لنا قائل : أريت قوله ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ ؟ فكيف قيل : ﴿خلوا إلى شياطينهم﴾ ، ولم يقل خلّوا بشياطينهم ؟ فقد علمت أن الجارى بين الناس في كلامهم : «خلوتُ بفلان» أكثر وأفشى من : «خلوتُ إلى فلان» ، ومن قولك : إن القرآن أفصح البيان !

قيل : قد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب . فكان بعض نحويي البصرة يقول : يقال «خلوتُ إلى فلان» إذا أريدَ به : خلوتُ إليه في حاجة خاصة . لا يَحْتَمِلُ - إذا قيل كذلك - إلا الخلاء إليه في قضاء الحاجة . فأما إذا قيل : «خلوتُ به» احتمل معنيين : أحدهما الخلاء به في الحاجة ، والآخر في السخريّة به . فعلى هذا القول ، ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ ، لا شكّ أفصحُ منه لو قيل «وإذا خلوا بشياطينهم» ، لما في قول القائل : «إذا خلوا بشياطينهم» من التباس المعنى على سامعيه ، الذى هو مُنتَفٍ عن قوله : «وإذا خلوا إلى شياطينهم» . فهذا أحد الأقوال . والقول الآخر : فأن تَوَجَّه معنى^(٢) قوله ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ ، «وإذا

(١) هذه الآثار السالفة : ٢٤٩ - ٣٥٨ : ذكر أكثرها ابن كثير في تفسيره ١ : ٩٣ ، والسير على ١ : ٣١ ، والشوكاني ١ : ٣٣ .
(٢) في المطبوعة : «والقول الآخر : أن توجيه معنى قوله .»

خلوا مع شياطينهم ، إذ كانت حروف الصفات يُعاقِبُ بعضها بعضاً ^(١) ، كما قال الله مخبراً عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [سورة الصف : ١٤] ، يريد : مع الله . وكما توضع « على » في موضع « من » ، وفي « عن » و « الباء » ، وكما قال الشاعر :

إِذَا رَضِيتَ عَلَىٰ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أُعْجِبَنِي رِضَاهَا ^(٢)
بمعنى عني .

وأما بعض نحوي أهل الكوفة ، فإنه كان يتأول أن ذلك بمعنى : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم — فيزعم أن الجالب لـ « إلى » ، المعنى الذي دلّ عليه الكلام : من انصرف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم ، لا قوله « خلّوا » . وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع « إلى » غيرها ، لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها . وهذا القول عندى أول بالصواب ، لأن لكل حرف من حروف المعاني وجهاً هو به أول من غيره ^(٣) ، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها . ولـ « إلى » في كل موضع دخلت من الكلام حكمٌ ، وغيرُ جائز سلبها معانيها في أماكنها .

• • •

(١) حروف الصفات : هي حرف الجر ، وسميت حروف الجر ، لأنها تجر ما بعدها ، وسميت حروف الصفات ، لأنها تحدث في الاسم صفة حادثة ، كقولك : « جلست في الدار » ، دلت على أن الدار وعاء للجلوس . وقيل : سميت بذلك ، لأنها تقع صفات لما قبلها من التكرات . ويسمى الكوفيون أيضاً : حروف الإضافة ، لأنها تضيف الاسم إلى الفعل ، أي توصله إليه وتربطه به . (مجمع المواع ٢ : ١٩) وتسمى أيضاً حروف المعاني ، كما سيأتي بعد قليل . والمعاقبة : أن يستعمل أحدهما مكان الآخر بمثل معناه .

(٢) الشعر للحميف العقيل ، يمدح حكيم بن المسيب القشيري . نوادر أبي زيد : ١٧٦ ، غزاة الأدب ٤ : ٢٤٧ ، وغيرها كثير .

(٣) حروف المعاني ، هي حروف الصفات ، وحروف الجر ، كما مضى آنفاً ، تعليق : ١

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١٤)

أجمع أهل التأويل جميعاً - لاخلاف بينهم - على أن معنى قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ : إنما نحن مستهزون : إنما نحن ساخرون . فعنى الكلام إذا : وإذا انصرف المنافقون خالين إلى مَرَدَّتِهِم من المنافقين والمشركين قالوا : إنا معكم على ما أنتم عليه من التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، ومعاداته ومعاداة أتباعه ، إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، بقليلنا لهم إذا لقيناهم : آمناً بالله وبالיום الآخر (١) ، كما - :

٣٥٩- حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : قالوا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

٣٦٠- حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، أى : إنما نحن نستَهزئ بالقوم ونلعبُ بهم .

٣٦١- حدثنا بشر بن معاذ العقدي ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَّيع ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، إنما نستَهزئ بهؤلاء القوم ونَسْخَرُ بهم .

٣٦٢- حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، أى نستَهزئ بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

(١) في المطبوعة : « في قليلنا لهم إذا لقيناهم » .

(٢) هذه الآثار تنمة الآثار السالفة في تفسير أول الآية .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختُلف في صفة استهزاء الله جلّ جلاله ، الذي ذكر أنه فاعله بالمنافقين ، الذين وصّف صفّهم . فقال بعضهم : استهزأه بهم ، كالذي أخبرنا تبارك اسمه أنه فاعل بهم يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ [سورة الحديد : ١٣ ، ١٤] . الآية . وكالذي أخبرنا أنه فعّل بالكفار بقوله : ﴿ وَلَا يَخْشَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَمَّا نُنْزِلُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُنْزِلُ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٨] . فهذا وما أشبهه من استهزاء الله جلّ وعزّ وتخزيته ومكره وتخديعته للمنافقين وأهل الشرك به — عند قائل هذا القول ، ومتأول هذا التأويل .

وقال آخرون : بل استهزأه بهم ، توبيخه إياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصي الله والكفر به ، كما يقال : « إن فلاناً ليُهزأ منه منذ اليوم ، ويُسخر منه » ، يُراد به توبيخُ الناس إياه ولومهم له ، أو إهلاكه إياهم وتدميرُهُ بهم ^(١) ، كما قال عبيد ابن الأبرص :

سَائِلٌ بِنَا حُجْرَ ابْنِ أُمٍّ قَطَامٍ ، إِذْ ظَلَّتْ بِهِ السَّمَرُ النَّوَاهِلُ تَلْعَبُ ^(٢)

(١) التضمير لله سبحانه وتعالى ، وهو معطوف على قوله « توبيخه إياهم . . . » .

(٢) ديوانه : ١٦ ، وأمال المرتضى ١ : ٤١ ، وحجر ، أبو امرئ القيس ، وكانت قتلته بنو أمه رطع عبيد بن الأبرص . وأم قطام ، هي أم حجر ملك كندة . والنواهل جمع فاهل وناهلة : والناهل : للمطشان ، توصف به الرماح ، كأنها تمطش إلى الدم ، فإذا شرعت في الدم رويت .

فزعوا أن السُّرَّ - وهي القَتَا - لا لعب منها ، ولكنها لما قتلتهم وشرَّدتهم ،
 ١٠٣/١ جعل ذلك مِّنْ فعلها لعباً بمن فعلت ذلك به . قالوا : فكذلك استهزاءُ الله جل
 ثناؤه بمن استهزأ به من أهل النفاق والكفر به : إمّا إهلاكه إياهم وتدميرُهُ بهم ،
 وإمّا إملاؤهُ لهم ليأخذهم في حال أمنهم عند أنفسهم بغتةً ، أو توبيخه لهم ولائمة إياهم .
 قالوا : وكذلك معنى المكر منه والخديعة والسُّخْرية .

وقال آخرون قوله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾^(١) [سورة النساء : ١٤٢]
 على الجواب ، كقول الرجل لمن كان يَخْدَعُه إذا ظفر به : « أنا الذي خدعتك » ،
 ولم تكن منه خديعة ، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه . قالوا : وكذلك قوله :
 ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٤] ، و « الله
 يستهزئ بهم » ، على الجواب . والله لا يكونُ منه المكرُ ولا الهُزءُ ، والمعنى أن
 المكرَ والهُزءَ حاق بهم .

وقال آخرون : قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يُسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، وقوله :
 ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٤٢] ، وقوله : ﴿ فَيَسْخَرُونَ
 مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٧٩] ، ﴿ وَنَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] ،
 وما أشبه ذلك ، إخبارٌ من الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ، ومعاقبهم عقوبة
 الخداع . فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم ، مُخْرِج خبره عن فعلهم الذي
 عليه استحقُّوا العقاب في اللفظ ، وإن اختلف المعنيان . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَجَزَاءُ
 سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [سورة الشورى : ٤٠] ، ومعلومٌ أن الأولى من صاحبها سيئة ،
 إذ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية ، وأن الأخرى عدلٌ ، لأنها من الله جزاءٌ

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ » ، وهي آية
 سورة البقرة : ٩ ، ولم يرد الطبري إلا آية سورة النساء ، كما يدل عليه سياق كلامه ، وكما ساق الآيات
 بعد أسطر .

للعاصي على المعصية ، فهما - وإن اتفقا لفظاهما - مختلفتا المعنى . وكذلك قوله : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٤] ، فالعدوان الأول ظلم ، والثاني جزاء لا ظلم ، بل هو عدل ، لأنه عقوبة للظالم على ظلمه ، وإن وافق لفظه لفظ الأول .

وإلى هذا المعنى وَجَّهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك ، مما هو خبرٌ عن مكر الله جل وعزّ بقومٍ ، وما أشبه ذلك .

وقال آخرون : إن معنى ذلك : أن الله جل وعز أخبر عن المنافقين أنهم إذا خَلَتُوا إلى مَرَدِّهم قالوا : إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وإنما نحن بما نظهر لهم - من قولنا لهم : صدقنا بمحمد عليه السلام وما جاء به - مستهزون . يعنون : إنا نُظهر لهم ما هو عندنا باطل لاحتقارهم ولا هُدى . قالوا : وذلك هو معنى من معاني الاستهزاء ، فأخبر الله أنه « يستهزئ بهم » ، فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلافَ الذي لهم عنده في الآخرة ، كما أظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في الدين ما هم على خلافه في سرائرهم .

والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا : أن معنى الاستهزاء في كلام العرب : إظهارُ المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يُرضيه ^(١) ظاهراً ، وهو بذلك من قبيله وفيَعْلُهُ به مُورِثُهُ مَسَاءَةً باطناً ^(٢) . وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر .

فإذا كان ذلك كذلك = وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام - بما أظهروا بالستهم ، من الإقرار بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله ، المُدْخِلِهم في عداد من يشمله اسمُ الإسلام ^(٣) ، وإن كانوا لغير ذلك

(١) في المطبوعة : « ما يرضيه ويوافق ظاهراً » .

(٢) في المخطوطة : « مورثه مساءة باطناً » .

(٣) في المطبوعة : « المدخل لهم في عداد . . . » ، وقوله : « المدخلهم » نعت لقوله : « من »

الإقرار » .

مستبطنين - (١) أحكام المسلمين المصدقين لإقرارهم بالسنتهم بذلك ، بضائر قلوبهم ، وصحاح عزائمهم ، وحيد أفعالهم المحققة لهم صحة إيمانهم - مع علم الله عز وجل بكذبهم ، وإطلاعه على خُبث اعتقادهم ، وشكهم فيما ادَّعوا بالسنتهم أنهم به مصدقون (٢) ، حتى ظنوا في الآخرة إذ حشروا في عِداد من كانوا في عِدادهم في الدنيا ، أنهم واردون مَورِدَهم . وداخلون مدخلهم . والله جل جلاله - مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام المُلْحِقَتِهم في عاجل الدنيا وأجل الآخرة إلى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه ، وتفريقه بينهم وبينهم - (٣) معد لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ، ما أعدَّ منه لأعدى أعدائه وشر عباده ، حتى ميز بينهم وبين أوليائه ، فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل = (٤) كان معلوماً أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم - وإن كان جزاء لهم على أفعالهم ، وعدلاً ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعضيائهم له - كان بهم - بما أظهر لهم من الأمور التي أظهرها لهم : من إلحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء ، وحشيره إياهم في الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين - إلى أن ميّز بينهم وبينهم - مستهزئاً ، وبهم ساخراً ، ولم خادعاً ، وبهم ما كراً (٥) . إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل ، دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم ، أو عليه فيها غير عادل ، بل ذلك معناه في كل أحواله ، إذا وُجدت الصفات التي قدّمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره .

(١) في المطبوعة : « من أحكام المسلمين . . . » ، وهي زيادة خطأ ، وقوله « أحكام » منصوب بقوله « قد جعل لأهل الاتفاق في الدنيا من الأحكام . . . » « أحكام » ، وما بينهما فصل .

(٢) في المطبوعة : « أنهم مصدقون » .

(٣) سياق العبارة : « والله جل جلاله . . . معد لهم . . . » .

(٤) قوله : « كان معلوماً » جواب قوله « فإذا كان ذلك كذلك . . . » ، في أول هذه الفقرة .

(٥) أكثر الطبرى الفصل بين الكلام في هذه الفقرة ، وسياق العبارة هو كما يل : « . . . كان معلوماً أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم . . . كان بهم . . . مستهزئاً ، وبهم ساخراً . . . » ، وما بين الكلام في هذين الموضعين فصل للبيان .

وبنحو ما قلنا فيه روى الخبر عن ابن عباس :

٣٦٣ - حدثنا أبو كريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله : « الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » ، قال : يسخر بهم للنقمة منهم ^(١) .

وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره : « الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » ، إنما هو على وجه الجواب ، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة ، فناقضون عن الله عز وجل ما قد أثبتته الله عز وجل لنفسه ، وأوجبه لها . وسواء قال قائل : لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به ، أو قال : لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به من الأمم ، ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم .

ويقال لقائل ذلك : إن الله جل ثناؤه أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرههم ، وأخبر عن آخرين أنه خسف بهم ، وعن آخرين أنه أغرقهم ، فصدقنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك ، ولم نُفرق بين شيء منه . فإبرهانتك على تفريقك ما فرقت بينه ، بزعمك : أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به ، ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به ؟

ثم نعكس القول عليه في ذلك ، فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله .

فإن لجأ إلى أن يقول : إن الاستهزاء عبث ولعب ، وذلك عن الله عز وجل منفي ^٢ .

قيل له : إن كان الأمر عندك على ما وصفت من معنى الاستهزاء ، أفلمست

(١) الخبر ٣٦٣ - ساقه ابن كثير في تفسيره ١ : ٩٤ ، والسيرطي ١ : ٣١ ، والشوكاني

تقول : « الله يستهزئ بهم » ، و « سخر الله منهم » ، و « مكر الله بهم » ، وإن لم يكن من الله عندك هزء ولا سخرية ؟

فلان قال : « لا » ، كذب بالقرآن ، وخرج عن ملة الإسلام .

وإن قال : « بلى » ، قبل له : أفتقول من الوجه الذى قلت : « الله يستهزئ بهم » و « سخر الله منهم » — « يلعب الله بهم » و « يعيث » — ولا لعب من الله ولا عبث ؟ فلان قال : « نعم » ! و « صَفَّ الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه ، وعلى تخطئة واصفه به ، وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه إليه .

وإن قال : لا أقول : « يلعب الله بهم » ولا « يعيث » ، وقد أقول « يستهزئ بهم » و « يسخر منهم » .

قيل : فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث ، والهزء والسخرية ، والمكر والخديعة . ومن الوجه الذى جازَ قيلُ هذا ، ولم يَجْزُ قيلُ هذا ، افرق معنيهما . فعلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر . ولل كلام فى هذا النوع موضع غير هذا ، كرهننا إطالة الكتاب باستقصائه . وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيَمْدُهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : ﴿ وَيَمْدُهِمْ ﴾ ، فقال بعضهم بما — :

٣٦٤ — حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي فى خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس —

وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :
 « يَسْمُدُهُمْ » ، بملى لهم .
 وقال آخرون بما - :

٣٦٥- حدثني به المشي بن إبراهيم ، قال : حدثنا سُويد بن نصر ، عن ابن
 المبارك ، عن ابن جريج قراءة عن مجاهد : « يمدّهم » ، قال : يزيدُهم ^(١) .
 وكان بعضُ نحويّ البصرة يتأوّل ذلك أنه بمعنى : يَسْمُدُ لَهُمْ ، ويزعم أن ذلك
 ١٠٥/١ نظير قول العرب : الغلامُ يلعبُ الكِعَابَ ، يراد به يلعب بالكعب . قال : وذلك
 أنهم قد يقولون : « قد مددت له وأمددت له » في غير هذا المعنى ، وهو قول الله
 تعالى ذكره : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ ﴾ [سورة الطور : ٢٢] ، وهذا من : « مددناهم » ^(٢) .
 قال : ويقال : قد « مدّ البحر فهو مادّ » و « أمدّ الجرح فهو مُمِدّ » .
 وحكى عن يونس الجرمي أنه كان يقول : ما كان من الشر فهو « مدّدت » ،
 وما كان من الخير فهو « أمدّدت » . ثم قال : وهو كما فسر لك ، إذا أردت
 أنك تركته فهو « مدّدت له » ، وإذا أردت أنك أعطيته قلت : « أمدّدت » .
 وأما بعضُ نحويّ الكوفة فإنه كان يقول : كل زيادة حدثت في الشيء من
 نفسه فهو « مدّدت » بغير ألف ، كما تقول : « مدّ النهر ، ومدّه نهر » آخر غيره ،
 إذا اتصل به فصار منه ، وكلّ زيادة أحدثت في الشيء من غيره فهو بألف ،
 كقولك : « أمدّ الجرح » ، لأن المدة من غير الجرح ، وأمدّدتُ الجيش بمَدَدٍ .
 وأولى هذه الأقوال بالصواب في قوله : « وَيَسْمُدُهُمْ » : أن يكون بمعنى يزيدهم ،
 على وجه الإملاء والترك لم في عُتُوِّهم وتمردهم ، كما وصف ربنا أنه فعل ينظرانهم في قوله

(١) الخيران ٣٦٤ ، ٣٦٥ - سابقهما ابن كثير ٣١ : ١ ، والسيوطي ٣١ : ١ ، والشوكاني ١ : ٣٣ .
 (٢) في المطبوعة والمخطوطة : « وهذا من أمددناهم » ، ولعل الصواب ما أثبتناه . وفي أن قوله
 تتعالى (ويمدّهم في طغيانهم) من « مددت له » التي هي مثل « أمددت له » ، بعد طرح حرف الجر ، كما
 مثل في قول العرب « الغلام يلعب الكعب » أي « يلعب بالكعب » .

﴿وَقُلُوبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الأنعام : ١١٠] ، يعنى نذرهم وتركهم فيه ، ونملى لهم ليزدادوا إثمًا إلى إثمهم .

ولا وجه لقول من قال : ذلك بمعنى « يَمُدُّ لهم » ، لأنه لا تندافع بين العرب وأهل المعرفة بلغتها^(١) ، أن يستجيزوا قول القائل : « مدّ النهر نهرٌ آخر » ، بمعنى : اتصل به فصار زائداً ماءُ المتصل به بماء المتصل — من غير تأول منهم . وذلك أن معناه : مدّ النهر نهرٌ آخر . فكذلك ذلك فى قول الله : « وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ »

القول فى تأويل قوله : ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾

قال أبو جعفر : و « الطُغْيَان » « الفُعلَان » ، من قولك : « طَغَى فلان يطغى طُغْيَانًا » . إذا تجاوز فى الأمر حده فبغى . ومنه قول الله : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [سورة العلق : ٦ ، ٧] ، أى يتجاوز حده . ومنه قول أمية بن أبى الصلت :

وَدَعَا اللَّهَ دَعْوَةً لَا تَهْنَأُ بَعْدَ طُغْيَانِهِ ، فَظَلَّ مُشِيرًا^(٢)

وإنما عنى الله جل ثناؤه بقوله « وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ » ،

(١) فى المخطوطة : « لأنه لا تندافع العرب » ، وهما سواء فى المعنى .

(٢) ديوانه : ٣٤ مع اختلاف فى الرواية . والفسير فى قوله « ودعا الله » إلى فرعون حين أدركه للفرق . والهاء فى قوله « طغيانه » إلى فرعون ، أو إلى الماء لما طغا وأطبق عليه . وقوله « لات هنا » ، كلمة تدور فى كلامهم يريدون بها : « ليس هذا حين ذلك » ، والهاء فى قولهم « لات » صلة وصلت بها « لا » ، أصلها « لا هنا » أى ليس هنا ما أردت ، أى مضى حين ذلك . و « هنا » مفتوحة الهاء مشددة النون ، مثل « هنا » مضمومة الهاء مخففة النون . وقوله : « مشيراً » ، أى مشيراً بيده فى دعاء ربه أن ينجيه من الفرق .

أنه يُملئ لهم ، وَيَذَرُهُمْ يَبْغُونَ فِي ضَلَالِهِمْ وَكَفَرَهُمْ حَيَارَى يَتَرَدَّدُونَ . كما - :
 ٣٦٦ - حَدَّثَنَا عَنْ الْمُنْجَاب ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْر ، عَنْ أَبِي رَوْق ، عَنْ
 الضَّحَّاك ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : « فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » ، قَالَ :
 فِي كَفَرَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ .

٣٦٧ - حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هُرُون ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ،
 عَنْ السُّدِّيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ ، عَنْ أَبِي مَالِك ، وَعَنْ أَبِي صَالِح ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -
 وَعَنْ مُرَّة ، عَنْ ابْنِ مَسْعُود ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « فِي طُغْيَانِهِمْ » ، فِي كَفَرَهُمْ .

٣٦٨ - حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْع ، عَنْ سَعِيد ،
 عَنْ قَتَادَةَ ، « فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » ، أَيْ فِي ضَلَالَتِهِمْ يَعْمَهُونَ .

٣٦٩ - حَدَّثَنَا عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
 جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : « فِي طُغْيَانِهِمْ » ، فِي ضَلَالَتِهِمْ .

٣٧٠ - وَحَدَّثَنَا يُونُس ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْب ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي
 قَوْلِهِ « فِي طُغْيَانِهِمْ » ، قَالَ : طُغْيَانِهِمْ ، كَفَرَهُمْ وَضَلَالَتِهِمْ ^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : والعَمَّةُ نَفْسُهُ الضَّلَالُ . يقال منه : عَمِيَ فلان يَعْمُهُ عَمَّهُانَا
 وَمَحْمُوهَا ، إِذَا ضَلَّ ^(٢) . ومنه قول رُوَيْبَةَ بْنِ الْعِجَاجِ يَصِفُ مَضَلَّةً مِنَ الْمَهَامَةِ :
 وَتَحْفَقِي مِنْ لَهْلَهٍ وَلَهْلَهٍ مِنْ مَهْمَةٍ يَجْتَنِبْنَهُ فِي مَهْمَةٍ

(١) الأخبار ٣٦٦ - ٣٧٠ : ساقها ابن كثير ١ : ٩٥ ، والسيوطي ١ : ٣١ ، والشركاني ١ : ٣٣ .

(٢) في ابن كثير ١ : ٩٥ « عَمَهَا وَعَمَّهَا » ، والذي في الطبري صحيح : « عَمَهَا وَعَمَّهَا وَعَمَّهَا » .

أَعْمَى الْهَدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةُ^(١)

و « الْعُمَّةُ » جمع عامية ، وهم الذين يضلّون فيه فيتحIRON . فمعنى قوله إذاً :
 « فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » : في ضلالهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسُهُ ، وعلامهم
 رجسُهُ ، يترددون حيارى ضلّالاً ، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً ، لأن الله قد
 طبع على قلوبهم وختم عليها ، وأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها ، فلا يبصرون
 رُشدًا ولا يهتدون سبيلاً .

وبنحو ما قلنا في « الْعَمَّة » جاء تأويل المتأولين .

١٠٦/١

٣٧١ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ،
 عن السدي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس -
 وعن مروة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :
 « يَعْمَهُونَ » ، يَمَادُونَ في كفرهم .

٣٧٢ - وحدثني الثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن
 معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « يَعْمَهُونَ » ، قال :
 يَمَادُونَ .

٣٧٣ - حدثت عن المنجاب ، قال : حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن
 الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « يَعْمَهُونَ » ، قال : يترددون .
 ٣٧٤ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن
 ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : « يَعْمَهُونَ » : المتلدد^(٢) .

(١) ديوانه : ١٦٦ . والمحقق : الأرض الواسعة المستوية التي يخفق فيها السراب ، أي يضطرب .
 ولله : أرض واسعة يضطرب فيها السراب ، والجمع لهاله . والمهمه : الفلاة المقفرة ليس بها ماء ولا أنيس .
 وجاب المغازة واجتاها : قطعها سيراً . وقوله « في مهمه » : أي يقطعونه ويدخلون في مهمه آخر موغلين
 في الصحراء .

(٢) تلدد الرجل فهو متلدد : إذا لبث في مكانه حائرًا متبلاً يتلفت يمينا وشمالا .

٣٧٥- حدثنا محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال حدثنا ابن أبي نَجيج ، عن مجاهد ، في قول الله : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ ﴾ ، قال : يترددون .

٣٧٦- وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نَجيج ، عن مجاهد ، مثله .

٣٧٧- حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .

٣٧٨- حدثني المثنى ، قال : حدثنا سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة ، عن مجاهد ، مثله .

٣٧٩- حدثت عن عمار ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، ﴿ يَعْمَهُونَ ۝ ﴾ ، قال : يترددون (١) .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : إن قال قائل : وكيف اشترى هؤلاء القومُ الضلالةَ بالهدى ، وإنما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم إيمانٌ فيقال فيهم : باعوا هداهم الذي كانوا عليه بضلاتهم التي استبدلوها منه ؟ وقد علمت أن معنى الشراء المفهوم : اعتياضُ شيءٍ ببلد شيءٍ مكانه عِوَضاً منه ، والمنافقون الذين وصفهم الله بهذه الصفة ، لم يكونوا قط على هدىٍ فتركوه ويعتاضوا منه كفرًا ونفاقاً ؟

(١) الأخبار : ٣٧٢ - ٣٧٩ : ساقها السيرطي ١ : ٣١ ، والشوكاني ١ : ٣٣ ، وخريجاً أثر مجاهد في تفسير الآية : « أي يلعبون ويترددون في الضلالة » .

قيل : قد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فنذكر ما قالوا فيه ، ثم نبين الصحيح من التأويل في ذلك إن شاء الله :

٣٨٠- حدثنا محمد بن حديد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » ، أي الكفر بالإيمان .

٣٨١- وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي طالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » ، يقول : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى .

٣٨٢- حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » ، استحبوا الضلالة على الهدى .

٣٨٣- حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد في قوله : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » ، آمنوا ثم كفروا .

٣٨٤- حدثنا المثني ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، مثله ^(١) .

قال أبو جعفر : فكان الذين قالوا في تأويل ذلك : « أخذوا الضلالة وتركوا الهدى » - وجهها معنى الشراء إلى أنه أخذ المشتري مكان الثمن المشتري به ، فقالوا : كذلك المنافق والكافر ، قد أخذ مكان الإيمان الكفر ، فكان ذلك منهما شراء

(١) الأخبار : ٣٨٠ - ٣٨٤ : ساقها ابن كثير في تفسيره : ١ : ٩٥ ، ٩٦ ، والسيوطي : ١ : ٣١ ،

٣٢ ، والشوكاني : ١ : ٣٣ ، ٣٤ .

للكفر والضلالة اللذين أخذاهما بتركهما ما تركا من الهدى ، وكان الهدى الذى تركاه هو الثمن الذى جعلاه عوضاً من الضلالة التى أخذاهما .

وأما الذين تأولوا أن معنى قوله « اشترَوْا » : « استحبُّوا » ، فإنهم لما وجدوا الله جل ثناؤه قد وصف الكفار فى موضع آخر ، فنسبهم إلى استحبابهم الكفر على الهدى ، فقال : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [سورة فصلت : ١٧] ، ١٠٧/١ صرَّفوا قوله « اشترَوْا الضلالةَ بِالْهُدَى » إلى ذلك . وقالوا : قد تدخل « الباء » مكان « على » ، و « على » مكان « الباء » ، كما يقال : مررت بفلان ، ومررت على فلان ، بمعنى واحد ، وكقول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٥] ، أى على قنطار . فكان تأويل الآية على معنى هؤلاء : أولئك الذين اختاروا الضلالةَ على الهدى . وأراهم وجهها معنى قول الله جل ثناؤه « اشترَوْا » إلى معنى اختاروا ، لأن العرب تقول : اشتريت كذا على كذا ، واستتريته - يعنون اخترته عليه .

ومن الاستراء قول أعشى بنى ثعلبة (١) :

قَدْ أَخْرَجُ الْكَاعِبَ الْمُسْتَرَاةَ مِنْ خِذْرِهَا وَأُشِيعَ الْقِمَارِ (٢)
يعنى بالمستراة : المختارة .

وقال ذو الرمة ، فى الاشتراء بمعنى الاختيار :

يَذُبُّ الْقَصَايَا عَنْ شَرَاةٍ كَأَنَّهَا بَجَاهِيرُ تَحْتَ الْمُدْجِنَاتِ الْهُوَاضِبِ (٣)
يعنى بالشراة : المختارة .

(١) فى المطبوعة « الاشتراء » بالشين المعجمة ، وهو خطأ ، صوابه بالسين المهملة .

(٢) ديوانه : ٤٣٥ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٦ ، واللسان (سرا) . وفى المطبوعة : « المشتراة » فى الموضعين ، والصواب ما أثبتناه . والكاعب : التى كعب ثديها ، أى نهى ، يعنى أنها غريرة منعمة محجوبة . ونعذر الجارية : سترها الذى يمد لها لتلزمه بعد البلوغ ، وأشاع المال بين القوم : فرقه فيهم . وأراد بالقمار : لعب الميسر ، وهى نصيب الفائز فى الميسر من لحم الجوزور ، يفرقه فى الناس من كرمه .

(٣) ديوانه : ٦٢ . والتفسير فى قوله « يذب » لفعل الإبل . ويذب : يدفع ويطرده . والقصايا ،

وقال آخر في مثل ذلك :

إِنَّ الشِّرَاءَ رُوقَةً أُمُومًا وَحَزْرَةً الْقَلْبِ خِيَارُ الْمَالِ^(١)

قال أبو جعفر : وهذا ، وإن كان وجهاً من التأويل ، فليست له بمختار . لأن الله جل ثناؤه قال : «فَمَا رِيحَتْ نِجَارَتُهُمْ» ، فدل بذلك على أن معنى قوله «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى» ، معنى الشراء الذي يتعارفه الناس ، من استبدال شيء مكان شيء ، وأخذ عِوَضَ على عوض .

وأما الذين قالوا : إن القوم كانوا مؤمنين وكفروا ، فإنه لا مؤونة عليهم ، لو كان الأمر على ما وصفوا به القوم . لأن الأمر إذا كان كذلك ، فقد تركوا الإيمان ، واستبدلوا به الكفر عوضاً من الهدى . وذلك هو المعنى المفهوم من معاني الشراء والبيع ، ولكن دلائل أول الآيات في نعمتهم إلى آخرها ، دالة على أن القوم لم يكونوا قط استضاءوا بنور الإيمان ، ولا دخلوا في ملة الإسلام . أو ما تسمعُ الله جل ثناؤه من لَدُنْ ابتدأ في نعمتهم ، إلى أن أتى على صفتهم ، إنما وصفهم بإظهار الكذب بالسنتهم : بدعواهم التصديق بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، خداعاً لله ولرسوله وللمؤمنين عند أنفسهم ، واستهزاء في نفوسهم بالمؤمنين ، وهم لغير ما كانوا يظهرون مستبطنون . يقول الله جل جلاله^(٢) : «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» ، ثم اقتصر قصصهم إلى قوله : «أُولَئِكَ الَّذِينَ

جمع قصية : وهي من الإبل ذالها ، ضمنت فتخلفت . وجاهير ، جمع جمهور : وهو رملة مشرفة حل ما حولها ، تراكم رملها وتعمد . والمدججات ، من قولهم «مهاجة داجنة ومدجنة» ، وهي المطبقة الكثيفة المطر . والمواضب : التي دام مطرها وعظم قطرها . شبه الإبل في جلالة خلقها وضخامتها بجاهير الرمل المتليدة في رأى العين من بعيد .

(١) البيت الثاني في اللسان (حزر) . وروقة للناس : خيارهم وأبهام منظرًا . ويقال : هذا الشيء حزرة نفسي وقلبي : أى خير ما عندى ، وما يتعلق به القلب لنفاسته .

(٢) في المطبوعة : «القول الله . . .» .

اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ؟ فَأَيْنَ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَفَكَّرُوا ؟
فَإِنْ كَانَ قَائِلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ظَنَّ أَنَّ قَوْلَهُ : « أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى »
هُوَ لِلدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ فَانْتَقَلُوا عَنْهُ إِلَى الْكُفْرِ ، فَلِلَّذَلِكَ قِيلَ
لَهُمْ « اشْتَرَوْا » — فَإِنَّ ذَلِكَ تَأْوِيلٌ غَيْرُ مُسَلِّمٍ لَهُ ، إِذْ كَانَ الْإِشْتِرَاءُ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ
قَدْ يَكُونُ أَخَذَ شَيْءٍ بِرُكٍّ آخَرَ غَيْرِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْإِخْتِيَارِ ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
لِغَايَةٍ . وَالْكَلِمَةُ إِذَا احْتَمَلَتْ وَجْهًا ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ صَرْفُ مَعْنَاهَا إِلَى بَعْضِ
وَجْهِهَا دُونَ بَعْضٍ ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالَّذِي هُوَ أَوَّلَى عِنْدِي بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ ، مَا رَوَيْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ تَأْوِيلِهِمَا قَوْلَهُ : « اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى » : أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكَوا
الْهُدَى . وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كَافِرٍ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ مُسْتَبَدِّلٌ بِالْإِيمَانِ كُفْرًا ، بِاِكْتِسَابِهِ الْكُفْرَ
الَّذِي وَجَدَ مِنْهُ ، بَدَلًا مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ . أَوْ مَا تَسْمَعُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ يَقُولُ
فَيَمُنْ اِكْتَسَبَ كُفْرًا بِهِ مَكَانَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ١٠٨] ؟ وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الشِّرَاءِ ، لِأَنَّ كُلَّ
مُشْتَرٍ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَسْتَبَدِّلُ مَكَانَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ مِنَ الْبَدَلِ آخَرَ بَدِيلًا مِنْهُ . فَكَذَلِكَ
الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ ، اسْتَبَدَّلَا بِالْهُدَى الضَّلَالَةَ وَالنِّفَاقَ ، فَأَضْلَاهُمَا اللَّهُ ، وَسَلَبَهُمَا نُورَ
الْهُدَى ، فَتَرَكُوا جَمِيعَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ .

١٠٨/١

• • •

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ فَمَا رَجِمَتِ تَجْرِمُهُمْ ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ — بِشَرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى —
خَسِرُوا وَلَمْ يَرْجِعُوا ، لِأَنَّ الرَّابِعَ مِنَ التَّجَارِ : الْمُسْتَبَدِّلُ مِنْ سُلْعَتِهِ الْمَمْلُوكَةُ عَلَيْهِ

بدلاً هو أنفُسَ من سلعته المملوكة أو أفضلَ من ثمنها الذي يبتاعها به . فأما
المستبدلُ من سلعته بدلاً دُونها ودونَ الثمن الذي ابتاعها به^(١) ، فهو الخسر في
تجارته لا شك . فكَذلك الكافر والمنافق ، لأنهما اختارَا الحيرة والعمى على الرشاد
والهدى ، والخوفَ والرعبَ على الحفظ والأمن ، واستبدلا في العاجل : بالرشاد
الحيرة ، وبالهدى الضلالةَ ، وبالحفظ الخوفَ ، وبالأمن الرعبَ — مع ما قد أعدَّ
لهما في الآجل من أليم العقاب وشديد العذاب ، فخابا وخسيرا ، ذلك هو الخسران
المبين .

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان فتادة يقول .

٣٨٥ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ،
عن قتادة ، «فَمَا رَبَّيَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» : قد وآله رأيتهم
خرجوا من الهدى إلى الضلالة ، ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الأمن إلى الخوف ،
ومن السنة إلى البدعة^(٢) .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فما وجه قوله : «فَمَا رَبَّيَحَتْ تِجَارَتُهُمْ» ؟
وهل التجارة مما تَرْبَح أو تُوكَس ، فيقال : رَبَّيَحَتْ أو وَضِعَتْ^(٣) ؟

قيل : إن وجه ذلك على غير ما ظننت . وإنما معنى ذلك : فما ربحوا في
تجارتهم — لا فيما اشترَوْا ، ولا فيما شَرَوْا . ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عرباً
فسلك في خطابه إياهم وبيانه لهم ، مسلكَ خطاب بعضهم بعضاً ، وبيانه
المستعمل بينهم^(٤) . فلما كان فصيحاً لديهم قول القائل لآخر : خاب سعيك ،
ونام ليلك ، وخسر بيعك ، ونحو ذلك من الكلام الذي لا ينقضي على سامعه ما يريد
قائله — خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام ، فقال : «فَمَا رَبَّيَحَتْ

(١) في المطبوعة : « يبتاعها » .

(٢) الأثر ٣٨٥ — في ابن كثير ١ : ٩٦ ، والسيوطي ١ : ٣٢ ، والشوكاني ١ : ٣٤ .

(٣) وضع في تجارته يوضع وضعية : غبن فيها وخسر ، ومثله : وكس .

(٤) في المخطوطة : « المستعمل بينهم » ، ولعلها سبق قلم .

تِجَارَتُهُمْ ، إذ كان معقولا عندهم أن الربح إنما هو في التجارة ، كما النوم في الليل . فاكثى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك ، عن أن يقال : فما ربحو في تجارتهم ، وإن كان ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

وَشَرَّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ وَسَطَ أَهْلِهِ كَهُلْكِ الْفَتَاوِ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ (١)

يعنى بذلك : وشَرَّ المنايا مَيِّتٌ مَيِّتٌ وَسَطَ أَهْلِهِ ، فاكثى بفهم سامع قِيلِهِ مراده من ذلك ، عن إظهار ما ترك لإظهاره ، وكما قال رؤبة بن العجاج :

حَارِثُ إِقْدَ فَرَجَتْ عَنِّي هَمِّي فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى عَمِّي (٢)

فَوَصَّفَ بالنوم الليل ، ومعناه أنه هو الذي نام ، وكما قال جرير

ابن الخَطَفَيَّ :

وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى ، وأما لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ (٣)

فَأَصَافَ العمى والإبصار إلى الليل والنهار ، ومراده وصف النبهاني

بذلك .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (١٦)

يعنى بقوله جل ثناؤه « وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ » : ما كانوا رُشْدَاءَ في اختيارهم الضلالة على الهدى ، واستبدالهم الكفر بالإيمان ، واشترائهم النفاق بالتصديق والإقرار .

(١) هو الحطية ، من أبيات ليست في ديوانه ، بل في طبقات فحول الشعراء : ٩٥ ، وسبويه ١ : ١٠٩ وأمال الشريف المرتضى ١ : ٣٨ ، مع اختلاف في بعض الرواية ، ورواية الطبقات أجودهن . « أيقظ الحى » ، يعنى أيقظ الحى حاضر الموت ، فقامت البواكى ترن وتندب ، وكان رواية من روى « أسلم الحى » ، تعنى أسلمهم للبكاء .

(٢) ديوانه : ١٤٢ ، يمدح الحارث بن سليم ، من آل عمرو بن سعد بن زيد مناة .

(٣) ديوانه : ٢٠٦ ، والنقائض : ٣٥ ، والمؤتلف والمختلف : ٣٩ ، ١٦١ ، ومعجم الشعراء ٢٥٣ ، من شعر في هجاء الأعور النبهاني ، وكان هجا جريراً ، فأكله جرير . قال أبو عبيدة : « أى هو أعور النهار عن الخيرات ، بصير الليل بالسوءات ، يسرق ويغنى » .

• • •

القول في تأويل قوله: ﴿مَثَلُ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا

أَضَاءَتْ مَاحَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وكيف قيل «مَثَلُ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا»، وقد علمت أن «الماء والميم» من قوله «مَثَلُ» كناية جِماعٍ — من الرجال أو الرجال والنساء — و«الذي» دلالة على واحد من المذكور؟ فكيف جعل الخبر عن واحد مثلاً لجماعة؟ بهلا قيل: مثلهم كمثل الذين استوقدوا ناراً؟ وإن جاز عندك أن تمثل الجماعة بالواحد، فتجيز لقائل رأى جماعة من الرجال فأعجبته صورهم وتعام خلقهم وأجسامهم، أن يقول: كان هؤلاء، أو كان أجسام هؤلاء، نخلة؟

١٠٩/١ قيل: أما في الموضع الذي مثل ربنا جل ثناؤه جماعة من المنافقين، بالواحد الذي جعله لأفعالهم مثلاً، فجاءت حسن، وفي نظائره (١)، كما قال جل ثناؤه في نظير ذلك: ﴿تَدْوَرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩]، يعني كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت — وكقوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشَكُم إِلَّا كَفَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة لقمان: ٢٨] بمعنى: إلا كبعث نفس واحدة.

وأما في تمثيل أجسام الجماعة من الرجال، في الطول وتعام الخلق، بالواحدة من النخيل، فغير جائز، ولا في نظائره، لفرق بينهما.

فأما تمثيل الجماعة من المنافقين بالمستوقد الواحد، فإنما جاز، لأن المراد من

(١) «وفي نظائره»، أي هو في نظائره جائز حسن أيضاً. ورثناها ما يأتي بعد أسطر في قوله «ولا في نظائره»، حلف فيها جميعاً.

الخبر عن مثل المنافقين ، الخبرُ عن مَثَلِ استنصاءهم بما أظهرُوا بالسَّنة من الإقرار وهم لغيره مستبطنون - من اعتقاداتهم الرديئة ، وخططهم نفاقهم الباطن بالإقرار بالإيمان الظاهر . والاستنصاءُ - وإن اختلفت أشخاص أهلها - معنى واحد ، لا معانٍ مختلفة . فالمثل لها في معنى المثل للشخص الواحد ، من الأشياء المختلفة الأشخاص . وتأويل ذلك : مثلُ استنصاء المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، قولاً ، وهم به مكذبون اعتقاداً ، كشَّل استنصاء الموقد ناراً . ثم أسقط ذكر الاستنصاء ، وأضيف المثلُ إليهم ، كما قال نابغةُ بني جَعْدَةَ :

وَكَيْفَ تَوَاصِلَ مِنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتَهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ^(١)

يريد : كخلالة أبي مَرْحَب ، فأسقط « خلالة » ، إذ كان فيما أظهرَ من الكلام ، دلالةً لسامعيه على ما حذف منه . فكذلك القول في قوله : « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا » ، لما كان معلوماً عند سامعيه بما أظهرَ من الكلام ، أن المثلَ إنما ضُرِبَ لاستنصاء القوم بالإقرار دون أعيان أجسامهم - بحسَن حذف ذكر الاستنصاء ، وإضافة المثل إلى أهله . وللقصود بالمثل ما ذكرنا . فلما وصفتنا ، جاز وحسَنَ قوله : « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا » ، ويشبه مثل الجماعة في اللفظ بالواحد ، إذ كان المراد بالمثل الواحد في المعنى .

وأما إذا أريدَ تشبيه الجماعة من أعيان بني آدم - أو أعيان ذوى الصور والأجسام ، بشيء - فالصواب من الكلام تشبيه الجماعة بالجماعة ، والواحد بالواحد ، لأن عينَ كل واحد منهم غيرُ أعيان الآخرين .

وللذلك من المعنى ، افرق القولُ في تشبيه الأفعال والأسماء . فجاز تشبيه أفعال الجماعة من الناس وغيرهم - إذا كانت بمعنى واحدٍ - بفعل الواحد ،

(١) الشعر النابغة الجمعى . السان (رحب) و(خلل) . والخلة والخلالة : الصداقة المختصة القوي ليس في علاقتها خلل . وأبو مرحب : كنية للظل ، يريد أنها تزول كما يزول الظل ، لا تبقى له مودة .

ثم حذف أسماء الأفعال وإضافة المثل والتشبيه إلى الذين لهم الفعل . فيقال : ما أفعالكم إلا كفعل الكلب ، ثم يحذف فيقال : ما أفعالكم إلا كالكلب أو كالكلاب ، — وأنت تعنى : إلا كفعل الكلب ، وإلا كفعل الكلاب . ولم يَجْزُ أن تقول : ما هم إلا نخلة ، وأنت تريد تشبيه أجسامهم بالنخل في الطول والتمام .

وأما قوله : « استَوْقَدَ نَارًا » ، فإنه في تأويل : أوقدَ ، كما قال الشاعر :

وَدَاعَ دَعَا : يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى قَلَمٌ يَسْتَجِيبُهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ^(١)

يريد : فلم يُجِبه . فكان معنى الكلام إذا : مثلُ استضاءة هؤلاء المناققين — في إظهارهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالسنتهم ، من قولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، وصدقنا بمحمد وبما جاء به ، وهم للكفر مستبطنون — فيما الله فاعل بهم^(٢) ، مثل استضاءة موقد نارٍ بناره ، حتى أضاءت له النارُ ما حوله ، يعنى : ما حول المستوقد .

وقد زعم بعضُ أهل العربية من أهل البصرة : أن « الذى » فى قوله : « كمثل الذى استَوْقَدَ نَارًا » بمعنى الذين ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ

بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] ، وكما قال الشاعر :

فَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ^(٣)

قال أبو جعفر : والقول الأول هو القول ، لما وصفنا من العيلة . وقد أغفل قائل

(١) الشعر لكعب بن سعد الغنوي . الأصمعيات : ١٤ ، وأمالى القالى ٢ : ١٥١ ، وهى من حسان قصائد الرثاء .

(٢) سياق عبارته : « مثل استضاءة هؤلاء . . . فيما الله فاعل بهم ، مثل استضاءة . . . » .

(٣) الشعر للأشهب بن رميلة . الخزانة ٢ : ٥٠٧ — ٥٠٨ ، والبيان ٤ : ٥٥ ، وسيبويه ٦ : ٩٦ ، والمتلطف والمختلف للأمدى : ٣٣ ، وذكر البغدادى أن أبا تمام أنشد البيت فى أبيات لحريث ابن محفص ، فى كتابه « مختار أشعار القبائل » . وروايته : « وإن الألى » . ولا شاهد فيه . وهم يقولون إن النون حذفت من « الذين » ، فصارت « الذى » لطول الكلام وللتخفيف ، وهى بمعنى الجمع لا المفرد . وفلج : واد بين البصرة وحى ضرية ، كانت فيه هذه الوقعة التى ذكرها

ذلك فرق ما بين « الذى » فى الآيتين وفى البيت . لأن « الذى » فى قوله : « والذى جاء بالصدق » ، قد جاءت الدلالة على أن معناها الجمع ، وهو قوله : « أولئك هم المتقون » ، وكذلك « الذى » فى البيت ، وهو قوله « دماؤهم » . وليست هذه الدلالة فى قوله : « كمثل الذى استوقد نارا » . فذلك فرق ما بين « الذى » فى قوله : « كمثل الذى استوقد نارا » ، وسائر شواهد التى استشهد بها على أن معنى « الذى » فى قوله : « كمثل الذى استوقد نارا » بمعنى الجماع . وغير جائز لأحد نقل الكلمة التى هى الأغلب فى استعمال العرب على معنى — إلى غيره ، إلا بحجة يجب التسليم لها . ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فروى عن ابن عباس فيه أقوال : أحدها : ما —

٣٨٦ — حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ضرب الله للمنافقين مثلاً فقال : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » أى يُبصرون الحق ويقولون به ، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به وفاقهم فيه ، فتركهم فى ظلمات الكفر ، فهم لا يبصرون الهدى ولا يستقيمون على حق . والآخر : ما —

٣٨٧ — حدثنا به المنفى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » إلى آخر الآية : هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزّون بالإسلام ، فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم القىء ، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز ، كما سلب صاحب النار ضوؤه . « وَتَرَكْهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ » يقول : فى عذاب .

والثالث : ما -

٣٨٨ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « مثلهم * كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم * وتركهم في ظلمات لا يبصرون » ، زعم أن أناسا دخلوا في الإسلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، ثم إنهم نافقوا ، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد نارا فأضاءت له ما حوله من قدسي أو أذني فأبصره حتى عرف ما يتقي . فبينما هو كذلك ، إذ طفت ناره ، فأقبل لا يدري ما يتقي من أذني . فكذلك المنافق : كان في ظلمة الشرك فأسلم ، فعرف الحلال من الحرام ، والخير من الشر ، فبينما هو كذلك إذ كفر ، فصار لا يعرف الحلال من الحرام ، ولا الخير من الشر . وأما النور ، فالإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت الظلمة نفاقهم . والآخر : ما -

٣٨٩ - حدثني به محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي سعد بن محمد^(١) ، قال : حدثني عمي ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : قوله : « مثلهم * كمثل الذي استوقد نارا » إلى « فهم لا يرجعون » ، ضربه الله مثلا للمنافق . وقوله : « ذهب الله بنورهم » قال : أما النور ، فهو إيمانهم الذي يتكلمون به . وأما الظلمة ، فهي ضلالتهم وكفرهم يتكلمون به ، وهم قوم كانوا على هدي ثم نزع منهم ، فعتوا بعد ذلك . وقال آخرون : بما -

٣٩٠ - حدثني به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « مثلهم * كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون » ، وأن المنافق تكلم

(١) في المطبوعة « محمد بن سعيد » ، « سعيد بن محمد » . وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، ومن مراجع التراجم . وانظر شرح هذا السند مفصلا : ٣٠٥ .

بلا إله إلا الله ، فأضاعت له في الدنيا ، ففنا كسح بها المسلمين ، وغازى بها المسلمين^(١) ، ووارث بها المسلمين ، وحقق بها دمه وماله . فلما كان عند الموت ، ١١١/١ سلبها المنافق ، لأنه لم يكن لها أصل في قلبه ، ولا حقيقة في علمه .

٣٩١ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » هي : لا إله إلا الله ، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا ، وأمنوا في الدنيا ، ونكحوا النساء ، وحققوا بها دماءهم ، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .
٣٩٢ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني أبو ثُميلة ، عن عبيد بن سليمان^(٢) ، عن الضحاك بن مزاحم ، قوله : « كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » ، قال : أما النور ، فهو إيمانهم الذى يتكلمون به ، وأما الظلمات ، فهي ضلالتهم وكفرهم .

وقال آخرون بما : -

٣٩٣ - حدثني به محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، في قول الله : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » ، قال : أما إضاءة النار ، فلإقبالهم إلى المؤمنين والهدى ، وذهاب نورهم ، لإقبالهم إلى الكافرين والضلالة .

(١) في المطبوعة : « وعاد بها المسلمين » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير في تفسيره ، والدر المنثور ، كما سيأتى في التخريج .

(٢) أبو ثُميلة ، بضم التاء المثناة وفتح الميم : هو يحيى بن واضح الأنصارى المروزي الحافظ ، من شيوخ أحد وإسحق وغيرهما من الأئمة ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وابن سعد وأبو حاتم وغيرهم ، وهم أبو حاتم ، إذ نسب إلى البخارى أنه ذكره في الضعفاء . وما كان ذلك ، والبخارى ترجمه في الكبير ٤ / ٢ / ٣٠٩ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، ولم يذكره في كتاب الضعفاء الصغير . وقال الذهبي في الميزان ٣ : ٣٠٥ حين ذكر كلام أبي حاتم : « فلم أر ذلك ، ولا كان ذلك . فإن البخارى قد احتج به » .
ووقع في مطبوعة الطبري هنا « أبو ثُميلة » بالنون ، وهو خطأ مطبعي . و « عبيد بن سليمان » : هو الباهلي الكوفي أبو الحارث ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وذكر ابن أبي حاتم ٢ / ٢ / ٥٨ : أنه سأل عنه أباه ، فقال : « لا بأس به » .

٣٩٤ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ، أما إضاءة النار ، فلإقبالهم إلى المؤمنين والهدى ، وذهاب نورهم ، إقبالهم إلى الكافرين والضلالة .

٣٩٥ - حدثني القاسم ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

٣٩٦ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ضرب مثل أهل النفاق فقال : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » ، قال : إنما ضوء النار ونورها ما أوقدتها ، فإذا خمدت ذهب نورها . كذلك المنافق ، كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له ، فإذا شك وقع في الظلمة .

٣٩٧ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني عبد الرحمن بن زيد ، في قوله : « كمثل الذي استوقد ناراً » إلى آخر الآية ، قال : هذه صفة المنافقين . كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم ، كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ، ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانترعه ، كما ذهب بضوء هذه النار ، فتركهم في ظلمات لا يبصرون^(١) .

وأولى التأويلات بالآية ما قاله قتادة ، والضحاك ، وما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وذلك : أن الله جلّ ثناؤه إنما ضرب هذا المثل للمنافقين - الذين وصفت صفتهم وقص قصصهم ، من لدن ابتداء بذكرهم بقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » - لا المعلنين بالكفر المجاهرين

(١) الأخبار ٣٨٦ - ٣٩٧ : هذه الآثار السالفة جيماً ، وما سيأتى إلى قوله تعالى (فهم لا يرجعون) بالأرقام ٣٩٨ - ٤٠٤ ساقها ابن كثير ١ : ٩٧ - ٩٩ ، والدر المشور ١ : ٣٢ - ٣٣ ، وفتح القدير ١ : ٣٥ .

بالشرك^(١). ولو كان المثل لمن آمنَ إيماناً صحيحاً ثم أعلن بالكفر لإعلاناً صحيحاً — على ما ظنَّ التأويل قولَ الله جل ثناؤه : « كُتِلَ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ » : أن ضوءَ النار مثلُ الإيمانهم الذي كان منهم عندَهُ على صحةٍ ، وأن ذهابَ نورهم مثلُ لارتدادهم وإعلانهم الكفر على صحة — لم يكن^(٢) هناك من القوم خداعٌ ولا استهزاءٌ عند أنفسهم ولا نفاقٌ . وأنتى يكون خداعٌ ونفاقٌ ممن لم يُبد لك قولاً ولا فعلاً إلا ما أوجب لك العلم بحاله التي هو لك عليها ، وبعزيمة نفسه التي هو مقيم عليها ؟ إن هذا بغير شكٍّ من النفاق بعيدٌ ، ومن الخداع بربىء . وإذا كان القوم لم تكن لهم إلا حالتان^(٣) : حالُ إيمان ظاهر ، وحالُ كفر ظاهر ، فقد سقط عن القوم اسمُ النفاق . لأنهم في حال إيمانهم الصحيح كانوا مؤمنين ، وفي حال كفرهم الصحيح كانوا كافرين . ولا حالة هناك ^{ثالثة} كانوا بها منافقين .

وفي وَصَفَ الله جل ثناؤه إياهم بصفة النفاق ، ما ينبئ عن أن القول غيرُ القول الذي زعمه من زعم : أن القوم كانوا مؤمنين ، ثم ارتلوا إلى الكفر فأقاموا عليه ، إلا أن يكون قائلُ ذلك أراد أنهم انتقلوا من إيمانهم الذي كانوا عليه ، إلى الكفر الذي هو نفاق . وذلك قولٌ إن قاله ، لم تُدرك صحته إلا بخبر مستفيض ، أو ببعض المعاني الموجبة صحته . فأما في ظاهر الكتاب فلا دلالة على صحته ، لاحتماله من التأويل ما هو أولى به منه .

فلذا كان الأمر على ما وصفنا في ذلك ، فأولى تأويلات الآية بالآية : مثل استتلاء المنافقين — بما أظهروا بالستهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الإقرار به ، وقولهم له وللمؤمنين : آمناً بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، حتى حُكم لهم بذلك

(١) في المطبوعة : « أى ، لا الملئنين » ، وفي المخطوطة : « المالئين بالكفر » ، وسياق عبارته « إنما ضرب الله هذا المثل للمنافقين . . . لا الملئنين بالكفر » .

(٢) السياق : « ولو كان المثل لمن آمنَ إيماناً صحيحاً . . . لم يكن هناك من القوم . . . » .

(٣) في المطبوعة : « فإن كان القوم . . . » ، وهو خطأ .

فى عاجل الدنيا بحكم المسلمين : فى حَقْنِ الدماء والأموال ، والأمن على الذرية من السَّيِّئِ ، وفى المناكحة والمواريثة - كمثل استضاءة الموقِدِ النَّارِ بالنار ، حتى إذا ارتفق بضيائها ، وأبصر ما حوله مُستضيئاً بنوره من الظلمة ، تَمدت النارُ وانطفأت ،^(١) فذهب نورُهُ ، وعاد المستضيء به فى ظلمة وحيرة .

وذلك أن المنافق لم يزل مستضيئاً بضوء القول الذى دافع عنه فى حياته القتلِ والسَّيِّئِ ، مع استبطائه ما كان مستوجِباً به القتلِ وسلبَ المال لو أظهره بلسانه - تُخِيلُ إليه بذلك نفسه أنه بالله ورسوله والمؤمنين مستهزئٌ مخادعٌ ، حتى سَوَّلَ له نفسه - إذْ وَرَدَ على ربه فى الآخرة - أنه ناج منه بمثل الذى نجا به فى الدنيا من الكذب والنفاق . أو ما تسمع الله جل ثناؤه يقول إذْ نَعْتَمُ ، ثم أخبر خبرهم عند ورودهم عليه : ﴿ يَوْمَ يَبْمَتُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ مُّهِمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [سورة المجادلة : ١٨] ، ظناً من القوم أن نجاتهم من عذاب الله فى الآخرة ، فى مثل الذى كان به نجاؤهم من القتل والسَّيِّئِ وسلبَ المال فى الدنيا^(٢) : من الكذب والإفك ، وأنَّ خداعهم نافعهم هنالك نفعه ليأهم فى الدنيا ، حتى عَايَنُوا من أمر الله ما أيقنوا به أنهم كانوا من ظنونهم فى غرور وضلال ، واستهزاء بأنفسهم وخداع ، إذْ أطفأ الله نورهم يوم القيامة ، فاستنظروا المؤمنين ليقتبسوا من نورهم فقليل لهم : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً واصلوا سعيهم . فذلك حين ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، كما انطفأت نار المستوقِدِ النَّارَ بعد إضاءتها له ، فبقى فى ظلمته حيران تائهاً ، يقول الله جل ثناؤه : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « حتى ارتفق بضيائها وأبصر ما حوله . . . حتى خمدت النار » ، وهى عبارة مختلفة ، صوابها ما أثبتناه .

(٢) فى المطبوعة : « كان به نجاتهم من القتل » ، وهما سواء فى المعنى .

مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ • يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ • فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿ [سورة الحديد : ١٣ - ١٥] .

فلان قال لنا قائل : إنك ذكرت أن معنى قول الله تعالى ذكره « كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » : تحدثت وانطفأت ، وليس ذلك بموجود فى القرآن . فما دلالتك على أن ذلك معناه ؟

قيل : قد قلنا إن من شأن العرب الإيجاز والاختصار ، إذا كان فيها نطقت به الدلالة الكافية على ما حذف وتركت ، كما قال أبو ذؤيب الهذلى :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ ، إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ ، فَمَا أَذْرَىٰ أَرْشُدُ طِلَابُهَا ! ^(١)

يعنى بذلك : فما أدرى أرشد طِلَابُهَا أم غي ، فحذف ذكر « أم غي » ، إذ كان فيما نطق به الدلالة عليها ، وكما قال ذو الرمة فى نعت حمير :

فَلَمَّا لَبَسَ اللَّيْلَ ، أَوْحِينَ ، نَصَبْتُ لَهُ مِنْ خَدَا أَذَانَهَا وَهُوَ جَامِحٌ ^(٢)

(١) ديوان الهذليين ١ : ٧١ ، وسيأتى فى تفسير آية آل عمران : ١١٣ (٤ : ٣٤ بولاق) ورواية الطبرى البيت فى الموضعين لا يستقيم بها معنى ، ورواية ديوانه :

« عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهِ »

ويروى « دعاني إليها . . » ، وهما روايتان صحيحتان . وتام معنى البيت فى الذى يليه :

فَقُلْتُ لَقَلْبِي : يَا لَكَ الْخَيْرُ ! إِنَّمَا يُدَلِّيكَ لِلْمَوْتِ الْجَدِيدِ حَبَابُهَا

فهو يؤامر قلبه ، ولكنه أطاعه .

(٢) ديوانه : ١٠٨ وسيأتى فى تفسير آية يونس : ٧٧ (١١ : ١٠١ بولاق) ، وآية سورة

يعنى : أو حين أقبل الليل ، فى نظائر لذلك كثيرة ، كرهنا إطالة الكتاب
بذكرها. ١١٣/١ فكذلك قوله : « كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » ، لما كان
فيه وفيما بعده من قوله : « ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » دلالة
على المتروك كافية من ذكره - اختصر الكلام - طلب الإيجاز .

وكذلك حذف ما حذف واختصار ما اختصر من الخبر عن مثل المنافقين
بعده ، نظير ما اختصر من الخبر عن مثل المستوقد النار . لأن معنى الكلام :
فكذلك المنافقون ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون - بعد الضياء
الذى كانوا فيه فى الدنيا بما كانوا يظهرن بألسنتهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره
مستبطنون - كما ذهب ضوء نار هذا المستوقد ، بانطفاء ناره وخودها ، فبقى فى ظلمة
لا يبصر .

و « الهاء والميم » فى قوله « ذهب الله بنورهم » ، عائدة على « الهاء والميم » فى قوله
« مثلهم » .

القول فى تأويل قول الله : ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ

لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : وإذ كان تأويل قول الله جل ثناؤه : « ذهب الله بنورهم

النبأ : ١٠ : (٣٠ : ٣ بولاق) . يصف عانة حر ، وقفت ترقب مغيب الشمس ، حتى إذا غربت
انطلقت مسرعة إلى مورد الماء الذى تنوى إليه . وقوله : « ليس الليل » يعنى الحمر ، حين غشين الليل وهن
مترقيات مغيب الشمس . ونصبت : رفعت وأقامت آذانها . وخذيت الأذن خذاً : استوعبت من أصلها
مقبلة على الخدين ، وذلك يصيب الحمر فى الصيف من حر الشمس والظلمة . ونصبت خذاً آذانها ، استعداداً
للماء إلى الماء . وجنح الليل فهو جانح : أقبل ، وهو من جنح الطائر : إذا كسر من جناحيه ثم أقبل
كالواقع اللاجئ إلى موضع . وهو وصف جيد لإقبال الظلام من جانب الأفق . وأراد الطبرى أن ذا الرمة
أراد أن يقول : أو حين أقبل الليل ، نصبت له من خذاً آذانها ، وهو جانح . ولا ضرورة توجب ما
قال به من الحذف فى هذا البيت .

وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، ، هو ما وصفنا - من أن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عما هو فاعل بالمناققين في الآخرة ، عند هتك أستارهم ، وإظهاره فضائح أسرارهم ، وسلبه ضياء أنوارهم ، من تركهم في ظلمة أهوال يوم القيامة يترددون ، وفي حنادسها لا يبصرون - فبين أن قوله جل ثناؤه : «صم بكم عى فهم لا يرجعون» من المؤخر الذى معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، صم بكم عى فهم لا يرجعون ، مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، أو كمثل صبب من السماء .

وإذ كان ذلك معنى الكلام : فعلوم أن قوله : «صم بكم عى» ، يأتيه الرفع من وجهين ، والنصب من وجهين :

فأما أحد وجهى الرفع : فعلى الاستئناف ، لما فيه من الذم . وقد تفعل العرب ذلك فى المدح والذم ، فتنصب وترفع ، وإن كان خبراً عن معرفة ، كما قال الشاعر :

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمِئُ الْمُدَاوِ وَآفَةُ الْجُزْرِ^(١)
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَقَرٍّ تَرَكَ^(٢) وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ^(٣)

فيرى : «النازلون» و «النازلين» ، وكذلك «الطيَّبون» و «الطيِّبين» ، على ما وصفت من المدح .

(١) الشعر للخرق بنت بدر بن خفان ، أخت طرفة لأمه ، أمهما وردة ، ديوانها : ١٠ ، ترى زوجها بشر بن عمرو بن مرثد . وسأى فى تفسير آية سورة غافر : ٣ (٢٤ : ٢٧ بولاق) ، وفى سيبويه ١ : ١٠٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، وخزاعة الأدب ٢ : ٣٠١ . وقولها «لا يبعدن قوى» : أى لا يملكن قوى ، تدعو لهم . وفعله : بعد يبعد بعداً (من باب فرح) : هلك . والمدة جمع عاد ، وهو العدو . والجزر جمع جزور : وهى الناقة التى تنحر . وآفة الجزر : علة هلاكها ، لا يبقون على أموالهم من الكرم .
(٢) المعترك : موضع القتال حيث يمتدكون ، يطعن بعضهم بعضاً . وإذا ضاق المعترك نزل الفرسان ، وتطاعنوا واقتربوا حتى يعتنق بعضهم بعضاً إذا حس القتال . والأزر جمع لزار : وهو ما ستر النصف الأسفل ، والرداء : ما ستر الأعلى . ومعاقد الأزر : حيث يعقد لثلا تسقط . وكنت بذلك من عفتهم وطهارتهم ، لا يقربون فاحشة فيحلون معاقد الأزر .

والوجهُ الآخرُ : على نية التكرير من « أولئك » ، فيكون المعنى حينئذ : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، أولئك صمٌ بكم عى فهم لا يرجعون .

وأما أحد وجهي النصب : فأن يكون قطعاً مما في « مهتدين » من ذكر « أولئك » ، ^(١) لأن الذى فيه من ذكرهم معرفة ، والصمُّ نكرة .

والآخر : أن يكون قطعاً من « الذين » ، لأن « الذين » معرفة و « الصم » نكرة ^(١) . وقد يجوز النصب فيه أيضاً على وجه الذم ، فيكون ذلك وجهاً من النصب ثالثاً .

فأما على تأويل ما روينا عن ابن عباس من غير وجه رواية على بن أبي طلحة عنه ، فإنه لا يجوز فيه الرفع إلا من وجه واحد ، وهو الاستئناف . وأما النصب فقد يجوز فيه من وجهين : أحدهما : الذم ، والآخر : القطع من « الهاء والميم » اللتين في « تركهم » ، أو من ذكرهم في « لا يبصرون » .

وقد بينا القول الذى هو أولى بالصواب في تأويل ذلك . والقراءة التى هى القراءة ، الرفع دون النصب ^(٢) . لأنه ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين . وإذا قرئ نصباً كانت قراءة مخالفة رسم مصاحفهم .

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن المنافقين : أنهم باشتراهم الضلالة بالهدى لم يكونوا للهدى والحق مهتدين ، بل هم صمٌ عنهما فلا يسمعونهما ، لغلبة خذلان الله عليهم ، بكم عن القيل بهما فلا ينطقون بهما — والبكم : الخرس ، وهو جِمَاعُ أبكم — عُمى عن أن يبصروهما فيعقلوهما ، لأن الله قد طبع على قلوبهم بنفاقهم فلا يهتدون .

وبمثل ما قلنا في ذلك قال علماء أهل التأويل :

٣٩٨ — حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ،

(١) قطعاً : أى حالا ، وانظر ما سلف : ٢٣٠ تعليق : ٤ .

(٢) في المطبوعة : « والقراءة التى هى قراءة الرفع . . . » ، وهو خطأ محض .

عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « صمُّ بكمُ عُمى » ، عن الخير .

٣٩٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « صم بكم عُمى » ، يقول : لا يسمعون الهدى ولا يُبصرونه ولا يعقلونه .

٤٠٠ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « بكم » ، هم الخُرس .

٤٠١ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَّيع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله « صم بكم عُمى » : صمُّ عن الحق فلا يسمعون ، عمى عن الحق فلا يبصرونه ، بكم عن الحق فلا ينطقون به (١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : وقوله « فهم لا يرجعون » ، إخبارٌ من الله جل ثناؤه عن هؤلاء المنافقين - الذين نعتهم الله باشرائهم الضلالة بالهدى ، وصممهم عن سماع الخير والحق ، وبكمهم عن القيل بهما ، وعماهم عن إبصارهما - (٢) أنهم لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلالتهم ، ولا يتوبون إلى الإنابة من نفاقهم . فآيس المؤمنين من أن يبصر هؤلاء رشداً ، أو يقولوا حقاً ، أو يسمعوا داعياً إلى الهدى ، أو أن يذكروا فيتوبوا من ضلالتهم ، كما آيس من توبة قادة كفار أهل الكتاب

(١) هذه الأخبار ٣٩٨ - ٤٠١ : تنسج ما مضى في تفسير صدر الآية ، بالأرقام : ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ .

(٢) سياقه : « إخبار من الله عز وجل ... أنهم لا يرجعون ... » .

والمشركين وأحبارهم ، الذين وصَّفهم بأنه قد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وغشى على أبصارهم .
وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك :

٤٠٢ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « فهم لا يرجعون » ، أى : لا يتوبون ولا يدركون .

٤٠٣ — وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « فهم لا يرجعون » : فهم لا يرجعون إلى الإسلام .

وقد روى عن ابن عباس قول " يخالف معناه معنى هذا الخبر ، وهو ما : —

٤٠٤ — حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فهم لا يرجعون » ، أى : فلا يرجعون إلى الهدى ولا إلى خير ، فلا يصيبون نجاتاً ما كانوا على ما هم عليه ^(١) .

وهذا تأويل ظاهر التلاوة بخلافه . وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن القوم أنهم لا يرجعون — عن اشتراطهم الضلالة بالهدى — إلى ابتغاء الهدى وإبصار الحق ، من غير حصر منه جل ذكره ذلك من حالهم على وقت دون وقت ^(٢) وحال دون حال . وهذا الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس ، 'ينبئ' أن ذلك من صفتهم محصوراً على وقت ^(٣) ، وهو ما كانوا على أمرهم مقيمين ، وأن لهم السبيل إلى الرجوع

(١) هذه الأخبار ٤٠٢ — ٤٠٤ : تنمة ماضى فى تفسير صدر الآيات . بالأرقام : ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٢) فى المطبعة : « إلى وقت دون وقت » ، وهو خطأ .

(٣) فى المطبعة : « ينبئ عن أن . . . » .

عنه . وذلك من التأويل دعوى باطلة^(١) ، لا دلالة عليها من ظاهر ولا من خبر يقوم بمثله الحجة فيسلم لها .

...

القول في تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ

السَّمَاءِ ﴾

قال أبو جعفر : والصَّيْبُ النَّبْتُ الْعِجْلُ من قولك : صَابَ المطرُ يَصُوبُ صَوْباً ، إذا انحدَرَ وتَزَلَّ ، كما قال الشاعر :

فَلَسْتُ لِلْإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَأِكِ تَنْزَلَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٢)

وكما قال علقمة بن عبدة :

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيْبٌ^(٣)

١١٥/١

(١) في المخطوطة « دعوى ناظر » ، وصوابها « دعوى باطل » ، بالإضافة .

(٢) ينسب هذا البيت لعلقمة بن عبدة ، وليس له ، ولا هو في ديوانه . وسياق في تفسير آية سورة البقرة ٣٠ : (١ : ١٥٥ بولاق) ، وبغير هذه الرواية ، وهو من أبيات سيبويه ١ : ٣٧٩ وشرح شواهد الشافعية : ٢٨٧ ، واللسان (أك) وغيرها ، غير منسوب . ويقال إنه لرجل من عبد القيس جاهل يملح النعمان . وحكى السيرافي أنه لأبي وجزة السعدي ، يملح عبادة بن الزبير . وجاء في المخطوطة « ولكن ملاكاً » . وقبل البيت :

تَعَالَيْتَ أَنْ تُعْزَى إِلَى الْإِنْسِ خَلَّةً ، وللإنسي من يمزُوك ، فهو كذوبُ

(٣) ديوانه : البيت الأول : ٣٤ ، والثاني قبله : ١٩ ، وشرح المفضليات : ٧٨٤ ، ٧٦٩ ، يملح بها الحارث بن جبلة بن أبي شمر النسائي ، وكان أسر أخاه شاماً ، فرحل إليه يطلب فكه . ويذكر في هذا البيت يوم عين أباغ ، وفيه غزا الحارث النسائي ، المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فالتقوا بعين أباغ ، فهزم جيش المنذر ، وقتل المنذر يومئذ . وقوله « كأنهم » يعني جيش المنذر . وصواب المطر : انحدر وانصب . وكان وصف الجيش المهزم في البيت الذي قبله ، بين ساقط قد صرح ، وبين قتيل قد هلك . فشبههم بطير أصابها المطر الفزير وأخذتها الصواعق ، ففزعته ، ولم تستطع أن تنفخ فتطير ، فهي تدب تطلب النجاة . والتفسير في قوله : « لطيرهن » للصواعق ، أي لطير الصواعق ، وأراد الطير التي أفزعها الصواعق ، وليدما المطر .

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُنْكَرٍ، سَقَيْتِ رَوَايَا الْمُرْنِ حِينَ تَصُوبُ^(١)

يعنى : حين تنحدر . وهو فى الأصل «صَيُوب» ، ولكن الواو لما سبقتها ياء ساكنة ، صيرتا جميعاً ياءً مشددة^٢ ، كما قيل : سيد ، من ساد يسود ، وجيد ، من جاد يهود . وكذلك تفعل العرب بالواو إذا كانت متحركة وقبلها ياء ساكنة ، تصيرهما جميعاً ياءً مشددة^٣ .

وبما قلنا من القول فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

٤٠٥ - حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : حدثنا محمد بن عبيد ، قال : حدثنا هرون بن عنترة ، عن أبيه^(٢) ، عن ابن عباس فى قوله «أو كصيب من السماء» ، قال : القطر .

٤٠٦ - حدثني عباس بن محمد ، قال : حدثنا حجاج ، قال : قال : ابن جريج ، قال لى عطاء : الصيب ، المطر .

٤٠٧ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ابن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قال : الصيب ، المطر .

٤٠٨ - حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن

(١) هذا البيت فى صدر القصيدة . يخاطب صاحبه ، وفى المطبوعة «ممر» وهو خطأ . والمفعر والفعر : الجاهل الذى لم يجرب الأمور ، كأن الجاهل غمره وطفا عليه . والشطر الثانى دعاء لها بالخصب والنعمة . والروايات جمع رواية : وهى الدابة التى تحمل مزاد الماء . والمزنى : السحاب الأبيض ، شبه بالروايات حاملات الماء . ورواية ديوانه والمفضليات «سقتك» .

(٢) الإسناد ٤٠٥ - محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى - شيخ الطبرى : ثقة ، روى عنه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وغيرهم . له ترجمة فى التهذيب . وترجمه ابن أبى حاتم ١٩٠ / ٢ / ٣ . محمد بن عبيد : هو الطنافسى الأحمد ، وهو ثقة معروف ، روى عنه أحمد ، وإسحق ، وابن معين ، وغيرهم . هرون بن عنترة بن عبد الرحمن : ثقة ، وثقه أحمد وابن سعد وغيرهما . وترجمه البخارى فى الكبير ٢٢١ / ٢ / ٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، وابن سعد ٦ : ٢٤٣ . أبوه : هو عنترة بن عبد الرحمن ، وكنيته «أبو وكيع» ، وهو تابعى ، قال البخارى فى الكبير ٤ / ١ / ٨٤ «رأى : علياً ، روى عنه ابنه هرون ، وأبو سنان» ، وترجمه ابن سعد فى الطبقات ٦ : ١٦٣ ، وابن أبى حاتم ٣ / ٢ / ٣٥ ، وذكر أنه روى عن عثمان ، وعطى ، وابن عباس ، وأن أبا زرعة سئل عنه فقال : «كوفى ثقة» .

السُّدَّتَى فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ — وَعَنْ مُرَّةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الصَّيْبُ ، الْمَطَرُ

٤٠٩ — حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي سَعْدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، مِثْلَهُ .

٤١٠ — حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ : « أَوْ كَصَيْبٍ » ، يَقُولُ : الْمَطَرُ .

٤١١ — حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَبْنَانُ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، مِثْلَهُ .

٤١٢ — حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ ، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ مَيْمُونٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الصَّيْبُ ، الرَّيْبُ^(١) .

٤١٣ — حَدَّثَنِي الثَّعْلَبِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الصَّيْبُ ، الْمَطَرُ .

٤١٤ — حَدَّثَنِي الثَّعْلَبِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّيْبِ بْنِ أَنَسٍ : الصَّيْبُ ، الْمَطَرُ .

٤١٥ — حَدَّثَنَا عَنْ الْمِنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ عَمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الصَّيْبُ ، الْمَطَرُ .

٤١٦ — حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ : « أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ » قَالَ : أَوْ كَغَيْثٍ مِنَ السَّمَاءِ .

٤١٧ — حَدَّثَنَا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَنْبَرِيُّ ، قَالَ : قَالَ سَفْيَانُ : الصَّيْبُ ، الَّذِي فِيهِ الْمَطَرُ .

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « الصَّيْبُ : الْمَطَرُ » . وَالرَّيْبُ : الْمَطَرُ فِي أَوَّلِ الرَّيْبِ .

٤١٨ - حدثنا عمرو بن حلى، قال : حدثنا أبو معاوية، قال : حدثنا ابن جريج، عن عطاء، فى قوله : « أو كصيب من السماء »، قال : المطر ^(١).

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : « مثل استضاءة المناققين بضوء إقرارهم بالإسلام ، مع استسراهم الكفر ، مثل إضاءة موقد نار بضوء ناره ، على ما وصف جل ثناؤه من صفته ، أو كمثل مطر مظلم ودقته تحدر من السماء ^(٢) ، تحمله مزنة ظلماء فى ليلة مظلمة . وذلك هو الظلمات التى أخبر الله جل ثناؤه أنها فيه .

فإن قال لنا قائل : أخبرنا عن هذين المشكين : أهما مثلك للمناققين ، أو أحدهما ؟ فإن يكونا مثليين للمناققين ، فكيف قيل : « أو كصيب » ، و « أو » ، تأتى بمعنى الشك فى الكلام ، ولم يقل « وكصيب » ، بالواو التى تلتحق المشك التالى بالمثل الأول ؟ أو يكون مثل القوم أحدهما ، فإوجه ذكر الآخر « أو » ؟ وقد علمت أن « أو » ، إذا كانت فى الكلام فلانما تدخل فيه على وجه الشك من الخبر فيها أخبر عنه ، كقول القائل : « لقينى أخوك أو أبوك » ، وإنما لقيه أحدهما ، ولكنه جهل بعين الذى لقيه منهما ، مع علمه أن أحدهما قد لقيه . وغير جائز فى الله جل ثناؤه أن يُضاف إليه الشك فى شيء ، أو عزوب علم شيء عنه ، فيها أخبر أو ترك الخبر عنه .

١١٦/١ قيل له : إن الأمر فى ذلك بخلاف الذى ذهبت إليه . و « أو » - وإن كانت فى بعض الكلام تأتى بمعنى الشك - فلأنها قد تأتى دالة على مثل ما تدل عليه الواو ، إما بسابق من الكلام قبلها ، وإما بما يأتى بعدها ، كقول توبة ابن الحُسَين :

وقد زعمت لى بأتى فاجر لنفسي نكاحاً أو عليها فجورها ^(٣)

- (١) الأخبار ٤٠٥ - ٤١٨ : ساقها مختصرة ابن كثير ١ : ٩٩ ، والدر المنثور ١ : ٣٣ .
(٢) الودق : المطر يخرج من خلل السحاب مسترخياً .
(٣) من قصيدة له ، أمال القائل ١ : ٨٨ ، ١٣١ ، وأمال الشريف المرتضى ٣ : ١٤٦ ، وأمال الصيرى ٢ : ٣١٧ ، والأضداد لابن الأنبارى : ٢٤٣ ، وغيرها كثير .

ومعلوم أن ذلك من توبة على غير وجه الشك فيها قال ، ولكن لما كانت «أو» في هذا الموضع دالة على مثل الذي كانت تدل عليه «الواو» لو كانت مكانها ، وضعها موضعها ، وكذلك قول جرير :

نال الخلافة أو كانت له قدراً ، كما أتى ربّه موسى على قدر^(١)

وكما قال الآخر :

قلو كان البكاء يرؤ شيئاً بكيت على مجيز أو عناق^(٢)

على المرأين إذ مضيا جميعاً لشأنيهما ، مجزئ واشتياق^(٣)

فقد دلّ بقوله «على المرأين إذ مضيا جميعاً» أن بكاءه الذي أراد أن يبكيه لم يُرد أن يقصد به أحدهما دون الآخر ، بل أراد أن يبكيهما جميعاً . فذلك ذلك في قول الله جل ثناؤه «أو كصيب من السماء» . لما كان معلوماً أن «أو» دالة في ذلك على مثل الذي كانت تدل عليه «الواو» لو كانت مكانها — كان سواءً نطق فيه بـ «أو» أو بـ «الواو» . وكذلك وجه حذف «المثل» من قوله «أو كصيب» . لما كان قوله : «كمثل الذي استوقد ناراً» دالاً على أن معناه : كمثل صيب ، حذف «المثل» ، واكتفى — بدلالة ما مضى من الكلام في قوله :

(١) ديوانه : ٢٧٥ ، وسيأتى في تفسير آية البقرة : ٧٤ (١ : ٢٨٧ بولاق) ، وآية طه : ٤٠ (١٦ : ١٢٨ بولاق) ، وأمال الشجرى : ١ : ٣١٧ ، يقولان في أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . وروايته «إذ كانت» ، وفي المطبوعة : «جاء الخلافة» ، وهي رواية سقيمة .

(٢) البيتان لشمس بن نويرة اليربوعي . اللسان (هقق) ، أمال الشجرى ، ٢ : ٣١٨ ، أمال المرتضى ٣ : ١٤٧ ، الأنداد لابن الأنبارى : ٢٤٣ . وفي المطبوعة والمخطوطة «على جبير» ، وهو خطأ محض ، وفي المطبوعة : «عناق» ، وهو خطأ أيضاً . وهذا الشعر يقوله متم بن نويرة في رثاء بجير بن عبد الله بن الحارث اليربوعي ، وهو بجير بن أبي مليل ، وأخوه عناق بن أبي مليل . قتل أولهما يوم قشاعة ، قتله لقيم بن أوس (التقائض : ٢٠) ، وقتل عناق يوم العظالي ، قتله الدعاء ، وقيل قتله الفريس بن مسلمة (التقائض : ٥٨٣) .

(٣) يروى «بجزئ واحترق» و «بشجر واشتياق» . وقوله : «مضيا لشأنيهما» أى ، هلكا ولقيما ما يلقى كل حى .

« كمثل الذى استوقد ناراً » على أن معناه : أو كمثل صيب - من إعادة ذكر المثل ، طلب الإيجاز والاختصار .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ يُجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي إِذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝١٩ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾

قال أبو جعفر : فأما الظلمات ، فجمع ، واحدها ظلمة .

أما الرعد ، فإن أهل العلم اختلفوا فيه :

فقال بعضهم : هو ملك يزجر السحاب . ذكر من قال ذلك :

٤١٩ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا

شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : الرعد ، ملك يزجر السحاب بصوته .

٤٢٠ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ،

عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

٤٢١ - حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : حدثنا فضيل بن عياض ،

عن ليث ، عن مجاهد ، مثله ^(١) .

٤٢٢ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أنبأنا إسماعيل

ابن سالم ، عن أبي صالح ، قال : الرعد ، ملك من الملائكة يُسبَّح ^(٢) .

(١) الإسناد ٤٢١ - يحيى بن طلحة اليربوعي : روى عنه الترمذى وغيره ، وذكره ابن حبان

فى الثقات . وضعفه النسائى ، فقال فى الضعفاء : ٣٢ : « ليس بشئ » .

(٢) الإسناد ٤٢٢ - إسماعيل بن سالم الأسدى : ثقة ، روى عنه الثورى وأبو حوافة ، قال

ابن سعد ٧ / ٢ / ٦٧ : « كان ثقة ثباتاً » . وأبو صالح : هو السمان .

٤٢٣ - حدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدي، قال: حدثنا محمد بن يعقوب، عن أبي الخطاب البصري، عن شهر بن حوشب، قال: الرعد، ملك موكل بالسحاب يسوقه، كما يسوق الحادي الإبل، يُسَبِّح. كلما خالفت سحابة سحابة صاح بها، فإذا اشتد غضبه طارت النار من فيه، فهي الصواعق التي رأينم^(١).

٤٢٤ - حدثت عن المنجاب بن الحارث، قال: حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: الرعد، ملك من الملائكة اسمه الرعد، وهو الذي تسمعون صوته.

٤٢٥ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا عبد الملك بن حسين، عن السدّي، عن أبي مالك، عن ابن عباس، قال: الرعد، ملك يزجر السحاب بالتسبيح والتكبير^(٢).

٤٢٦ - وحدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا علي بن عاصم، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: الرعد اسم ملك، وصوته هذا تسبيحه، فإذا اشتد زجره السحاب، اضطرب السحاب واحتك. فتخرج الصواعق من بينه.

٤٢٧ - حدثنا الحسن، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا أبو عوانة، عن

(١) الإسناد ٤٢٣ - نصر بن عبد الرحمن بن بكار التاجي، شيخ الطبري: ثقة، روى عنه الترمذي وابن ماجة وغيرهما، مترجم في التهذيب، وقال «ويقال: الأزدي»، فكذلك نسب هنا، وكذلك روى عنه الطبري في التاريخ ٢: ١٢٨، ونسبه «الأزدي»، ووقع في المطبوعة «الأودي» بالواو بدل الزاي، وهو تصحيف. محمد بن يعلى: هو السلمي الكوفي، ولقبه «زبور»، وهو ضعيف، وقال البخاري: يتكلمون فيه. أبو الخطاب البصري: لم أعرف من هو؟ ولكن ذكر الدلاوي في الكنى ١: ١٦٧ «أبو الخطاب عبدالله»، ثم قال: «وروى محمد بن عبد الله بن عمار عن المعافى بن عمران عن عبدالله أبي الخطاب عن شهر بن حوشب» فذكر حديثاً. ولم يبين أكثر من ذلك، ولم أجد ترجمته. (٢) الإسناد ٤٢٥ - عبد الملك بن حسين: هو أبو مالك النخعي الواسطي، اشتهر بكنيته وبها ترجم في التهذيب ١٢: ٢١٩، وترجمه ابن أبي حاتم باسمه ٢/ ٢/ ٣٤٧. وهو ضعيف ليس بثقة.

موسى البزار ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : الرعدُ مَلَكٌ يسوق السحاب بالنسيج ، كما يسوق الحادى الإبل بمُحْدَاثِهِ .

٤٢٨ - حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا يحيى بن عبيد ، وشبابه ، قالا : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : الرعدُ مَلَكٌ يَزْجِرُ السحاب .

٤٢٩ - حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا عتّاب بن زياد ، عن عكرمة ، قال : الرعدُ مَلَكٌ فى السحاب ، يجمع السحاب كما يجمع الراعى الإبل .

٤٣٠ - وحدثنا بشر ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الرعدُ تَخْلُقُ من تَخْلُقُ الله جل وعز ، سامعٌ مطيعٌ لله جل وعز .

٤٣١ - حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : إن الرعدَ مَلَكٌ يُؤْمِرُ بإزجاء السحاب فيؤلّفُ بينه ، فذلك الصوتُ تسبيحه .

٤٣٢ - وحدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الرعدُ مَلَكٌ .

٤٣٣ - وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن المغيرة بن سالم ، عن أبيه ، أو غيره ، أن على بن أبى طالب قال : الرعدُ مَلَكٌ .

٤٣٤ - حدثنا المثنى ، قال : حدثنا حجاج ، قال : حدثنا حماد ، قال :

أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم ، مولى ابن عباس ، قال : كتب ابن عباس إلى أبى الجحْدَرِ يسأله عن الرعد ، فقال : الرعدُ مَلَكٌ ^(١) .

(١) الخبر ٤٣٤ - هذا إسناد منقطع : موسى بن سالم أبو جهضم : ثقة ، ولكن روايته عن ابن عباس مرسلّة . « أبو الجلد » : بفتح الجيم وسكون اللام وآخره دال مهملة ، ووقع فى الأصل هنا ، وفى الروايات التالية « أبو الخلد » بالحاء بدل الجيم ، وهو تصحيف . وأبو الجلد : هو جيلان - بكسر الجيم - بن أبى فروة ، ويقال : ابن فروة الأسدى البصرى ، كما ذكر البخارى فى ترجمته فى الكبير ٢٥٠ / ٢ / ١ . وقال ابن أبى حاتم ١ / ١ / ٥٤٧ : « صاحب كتب التوراة ونحوها » . ثم روى عن أحمد بن حنبل أنه وثقه . وترجمه ابن سعد ٧ / ١ / ١٦١ ، وقال : « أبو الجلد الجوفى ، حى من

٤٣٥ - حدثنا المنثي ، قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثنا عمر بن الوليد الشنسي ، عن عكرمة ، قال : الرعدُ ملكٌ يسوق السحاب كما يسوق الراعي الإبل (١) .

٤٣٦ - حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا حفص بن عمر ، قال : حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قال : كان ابن عباس إذا سمع الرعد قال : 'سبحان الذي سبّحت له . قال : وكان يقول : إن الرعد ملكٌ يتنعم بالغيث كما يتنعم الراعي بغنمه (٢) .

وقال آخرون : إن الرعد ريح تختنق تحت السحاب فتصاعد ، فيكون منه ذلك الصوت .

ذكر من قال ذلك :

٤٣٧ - حدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا بشر بن إسماعيل ، عن أبي كثير ، قال : كنت عند أبي الجحلد ، إذ جاءه رسول ابن عباس بكتاب إليه ، فكتب إليه : « كتبت تسألني عن الرعد ، فالرعد الريح (٣) » .

٤٣٨ - حدثني إبراهيم بن عبد الله ، قال : حدثنا عمران بن ميسرة ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن الفرات ، عن أبيه (٤) ، قال : كتب ابن عباس الأزدي ، واسمه : جيلان بن فروة ، وكان ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات : ١٥٧ ، والذولابي في الكنى : ١ : ١٣٩ ، والزيدي في شرح القاموس (جلد) و (جيل) . وذكره الخلف في لسان الميزان في الأسماء : ٢ : ١٤٤ ، ووجدت ترجمته في الكنى « أبو الجحلد » ، ثم لم يفعل ، وروى عنه الطبري أثرًا في التاريخ : ٢ : ٢٠٣ . وسيأتي في الخبر : ٤٤٥ أنه « رجل من أهل هجر » .

(١) عمر بن الوليد الشنسي أبو سلمة العبدي : ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما ، وقال أبو حاتم : « ما أرى بحديثه بأساً » . وهو مترجم في التمجيل : ٣٠٤ ، وابن أبي حاتم : ١ / ٣ / ١٣٩ . الشنسي : بفتح الشين المعجمة ، كما في المشتبه : ٢٧٩ . ووقع في المطبوعة بالمهملة ، وهو تصحيف .

(٢) الإسناد ٤٣٦ - سعد بن عبد الله بن عبد الحكم : لم أجد له ترجمة إلا في كتاب ابن أبي حاتم : ١ / ٢ / ٩٢ ، وقال : « سمعت منه بمكة وبمصر ، وهو صلو » .

(٣) الإسناد ٤٣٧ - هو إسناد مشكل . ما وجدت ترجمة « بشر بن إسماعيل » ، وما عرفت من هو . ثم لم أعرف من « أبو كثير » الراوي عن أبي الجحلد . وسيأتي هذا الإسناد مرة أخرى : ٤٤٣ .

(٤) الإسناد ٤٣٨ - عمران بن ميسرة المنقري : ثقة ، من شيوخ البخاري وأبي داود وأبي زرعة وأبي حاتم . ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودي : ثقة مأمون حجة . الحسن بن الفرات : ثقة ، أخرج له مسلم في صحيحه . أبووه : فرات بن أبي عبد الرحمن القزاز النخعي ، ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، ولكن روايته عن ابن عباس منقطعة ، إنما هو يروي عن التابعين .

إلى أبي الجحلد يسأله عن الرعد ، فقال : الرعد ريح ^(١) .

قال أبو جعفر : فإن كان الرعد ما ذكره ابن عباس ومجاهد ، فمضى الآية :
أو كصيب من السماء فيه ظلمات وصوت رعد . لأن الرعد إن كان ملكاً يسوق
السحاب ، فغير كائن في الصيب ، لأن الصيب إنما هو ما تحدّر من صوب
السحاب ، والرعد إنما هو في جو السماء يسوق السحاب . على أنه لو كان فيه ثم
لم يكن له صوت مسموع ، لم يكن هنالك رعب يُرعب به أحد ^(٢) . لأنه قد
قيل : إن مع كل قطرة من قطر المطر ملكاً ، فلا يعدو الملك الذي اسمه
« الرعد » ، لو كان مع الصيب ، إذا لم يكن مسموعاً صوته ، أن يكون كبعض
تلك الملائكة التي تنزل مع القطر إلى الأرض ، في أن لا رعب على أحد بكونه فيه .
فقد علم - إذ كان الأمر على ما وصفنا من قول ابن عباس - أن معنى الآية :
أو كمثل غيث تحدّر من السماء فيه ظلمات وصوت رعد ، إن كان الرعد هو
ما قاله ابن عباس ، وأنه استغنى بدلالة ذكر الرعد باسمه على المراد في الكلام
من ذكر صوته . وإن كان الرعد ما قاله أبو الجحلد ، فلا شيء في قوله « فيه
ظلمات ورعد » متروك . لأن معنى الكلام حيثنذ : فيه ظلمات ورعد الذي
هو ما وصفنا صفته .

وأما البرق ، فإن أهل العلم اختلفوا فيه : فقال بعضهم بما : -

٤٣٩ - حدثنا مطر بن محمد الضبي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، - ح -
وحدثني محمد بن بشار ، قال : حدثني عبد الرحمن بن مهدي ، - ح -
وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قالوا جميعاً :
حدثنا سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن أشوع ، عن ربيعة

(١) الأخبار ٤١٩ - ٤٣٨ جميعاً : لم يذكرها ابن كثير ولا السيوطي في الدر المنثور ، وذكر
البغوي في تفسيره ١ : ٩٩ - ١٠٠ ، بعضها ، والقرطبي ١ : ١٨٧ وما بعدها .

(٢) في المطبوعة : « على أنه لو كان فيه يمر ، لم يكن له صوت مسموع ، فلم يكن هناك رعب »
وهو من تبديل النسخ .

ابن الأبييض ، عن علي ، قال : البرق مخاريقُ الملائكة (١) .

٤٤٠ — حدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا عبد الملك بن الحسين ، عن أبي مالك ، عن السُّدِّيِّ ، عن ابن عباس : البرقُ مخاريقُ بأيدي الملائكة ، يزجرون بها السحاب .

٤٤١ — وحدثني المنثي ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد ، عن المغيرة بن سالم ، عن أبيه ، أو غيره ، أن علي بن أبي طالب قال : الرعد الملك ، والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد .

وقال آخرون : هو سوطٌ من نور يُزجى به الملكُ السحاب .
ذكر من قال ذلك :

٤٤٢ — حدثت عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوَّح ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، بذلك .
وقال آخرون : هو ماء .

ذكر من قال ذلك :

٤٤٣ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا بشر بن إسماعيل ، عن أبي كثير ، قال : كنت عند أبي الجهم ، إذ جاء رسول ابن عباس بكتاب إليه ، فكتب إليه : « كتب إليّ تسألني عن البرق ، فالبرق الماء » .

٤٤٤ — حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، قال : حدثنا عمران بن ميسرة ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن القرات ، عن أبيه ، قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجهم يسأله عن البرق ، فقال : البرق ماء .

(١) الإسناد ٤٣٩ — سلمة بن كهيل الحضرمي : ثقة معروف ، سعيد بن أشوع : هو سعيد ابن عمرو بن أشوع الكوفي القاضي ، نسب إلى جده . وهو ثقة ، أخرج له الشيخان في الصحيحين ، ربيعة بن الأبييض — الذي روى عن علي — لم أجد له ترجمة إلا في كتاب الثقات لابن حبان : ١٨٤ . قال : « ربيعة بن الأبييض ، يروي عن علي بن أبي طالب ، روى عنه ابن أشوع » .
المخاريق جمع مخراق : وهو منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، ويلف فيفزع به ، وهو من لعب الصبيان ، ومنه سمي السيف مخراقاً .

٤٤٥ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن رجل ، من أهل البصرة من قُرَّأَهم ، قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجلد - رجل من أهل هَجَرَ - يسأله عن البرق ، فكتب إليه : « كتبت إلى تسألني عن البرق ، وإنه من الماء » .

وقال آخرون : هو مَصْع مَلَك^(١) .

٤٤٦ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : البرق ، مَصْع مَلَك^(٢) .

٤٤٧ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا هشام ، عن محمد ابن مُسلم الطائفي ، قال : بلغني أن البرق مَلَكٌ له أربعة أوجه ، وجهُ إنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مَصْع بأجنحته فذلك البرق^(٣) .

٤٤٨ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائي قال : في كتاب الله : الملائكة حَمَلَةُ العرش ، لكل مَلَك منهم وجه إنسان وثور وأسد ، فإذا حركوا أجنحتهم فهو البرق^(٤) .

(١) المصع : الضرب بالسيف أو السوط أو غيرهما . والمصاع : المبالدة بالسيف . يعني أن الملك يضرب السحاب بمخراقه .

(٢) الإسناد ٤٤٦ - عثمان بن الأسود بن موسى المكي : ثقة ثبت كثير الحديث ، يروى عن مجاهد ، ويروى عنه سفيان الثوري .

(٣) الإسناد ٤٤٧ - محمد بن مسلم بن سوسن الطائفي : وثقه ابن معين ، وقال ابن مهدي : « كتبه مصاح » ، وضمه أحمد بن حنبل ، وأخرج له مسلم في صحيحه حديثاً واحداً متابعه .

(٤) الأثر ٤٤٨ - وهب بن سليمان الجبائي - بفتح الجيم والتون - البجلي ، قال البخاري في الكبير ٤ / ٢ / ١٦٩ - ١٧٠ : « عن شعيب الجبائي ، قوله ، روى عنه ابن جريج » . ولم أجد له ترجمة عند غيره . شعيب الجبائي : بفتح الجيم والباء الموحدة مخففة ، نسبة إلى « جبأ » ، بوزن « جبل » ، وهو جبل في اليمن قرب الهند ، كما قال ياقوت وغيره . وشعيب هذا ترجمه البخاري في الكبير ٢ / ٢ / ٢١٩ . وترجمه ابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٣٥٣ ، قال : « شعيب الجبائي : بجلي ، يروى عن الكتب [يريد الكتب المنسوبة لأهل الكتاب من الأساطير] ، روى عنه سلمة بن وهرام » ، ثم جزم ابن أبي حاتم بأنه

وقال أميةُ بن أبي الصلت :

رَجُلٌ وَنُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْآخَرَى ، وَلَيْتَ مُرْصِدُ^(١)

٤٤٩ - حدثنا الحسين بن محمد ، قال : حدثنا علي بن عاصم ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : البرق ملك .

٤٥٠ - وقد حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الصواعق مَلَكَ يضربُ السحابَ بالمخاريق ، يُصيب منه من يشاء^(٢) .

قال أبو جعفر : وقد يحتمل أن يكون ما قاله علي بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد بمعنى واحد . وذلك أن تكون المخاريقُ التي ذكر على رضى الله عنه أنها هي البرق ، هي السياط التي هي من نور ، التي يُزجى بها الملك السحاب ، كما قال ابن عباس . ويكون لإجزاء الملك بها السحاب ، مَصْعَه إِيَّاهُ^(٣) . وذلك أن المِصَاعَ عند العرب ، أصله : المِجَالِدَةُ بالسيف ، ثم تستعمله في كل شيء يُجولد به في حرب وغير حرب ، كما قال أعشى بنى ثعلبة ، وهو يصف جوارى يلعبن بِمِجَالِدَتِهِنَّ وَيُجَالِدُنَ به^(٤) :

١١٩/١

« شعيب بن الأسود » ، ثم روى بإسناده عن زعمة ، عن شعيب بن الأسود ، قال : أجد في كتاب الله . وله ترجمة في لسان الميزان ٣ : ١٥٠ وقال : « أخبار متروك » . ثم ذكر شيئاً مما لا يقبله العقل من كلامه ، وقال : « ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : كان قد قرأ الكتب » .

(١) ديوانه : ٢٥ ، وسيأتي في تفسير آية الرعد : ٣٥ (١٣ : ١٠٩ بولاق) . ورواية ديوانه : « تحت يمين رجله ، والنسر اليسرى » . قال الطبري في الموضع الآخر : « كأنه قال : تحت رجله ، أو تحت رجله اليمى » . والغسير في قوله : « رجله » ، يعنى به إسرافيل ، وذكره في شعره قبل . وفي ديوانه ، وفي الموضع الآخر من الطبري : « زحل » ، كأنه يعنى البروج ، ولكن استدلال الطبري هنا واضح ، دال على أن روايته « رجل » .

(٢) الأخبار ٤٣٩ - ٤٥٠ : لم تذكر في ابن كثير ، ولا في الدر المنثور . وانظر البغوي ٩٩ - ١٠٠ ، والقرطبي ١ : ١٨٨ .

(٣) في المطبوعة : « إجزاء الملك السحاب ، مصمه إياه بها » .

(٤) المِجَالِدَةُ : المضاربة بالسيف وغيرها في المصارعة والقتال ، من الجالد .

إِذَا هُنَّ نَازِلْنَ أَقْرَانَهُنَّ وَكَانَ لِلصَّاعِ بِمَا فِي الْجَوْنِ^(١)

يقال منه : ماصعه مصاعاً . وكان مجاهداً إنما قال : « مَصْعُ ملك » ، إذ كان السحاب لا يماصع الملك ، وإنما الرعد هو المماصع له ، فجعله مصدراً من مَصَعَهُ يَمَصَعُهُ مَصْعاً .

وقد ذكرنا ما في معنى « الصاعقة » — ما قال شهر بن حوشب فيما مضى .

وأما تأويل الآية ، فإن أهل التأويل يختلفون فيه :

فروى عن ابن عباس في ذلك أقوال : أحدها : ما —

٤٥١ — حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد

ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد

ابن جبير ، عن ابن عباس : « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق »

يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت : أي هم من ظلمات

ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل — على الذى هم عليه من الخلاف والتخوف

منكم — على مثل ما وصف ، من الذى هو في ظلمة الصيب ، فجعل أصابعه في أذنيه

من الصواعق حذر الموت ، يكاد البرق يخطف أبصارهم — أى لشدة ضوء الحق —

كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ، أى يعرفون الحق ويتكلمون به ،

فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين^(٢) .

والآخر : ما —

(١) ديوانه : ١٥ ، وزعم الطبري كما ترى أنه أراد جوارى يلعبن بجليهن وبجالدن بها . وقد أخطأ

المعنى . وإنما أراد الأعشى ما هو أبلغ . وذلك أن الأقران جمع قرن : وهو الذى يقارنك في القرة والشجاعة ،

وأراد به الرجال ، وينازلن : أراد ما يكونن بهن من المداعبة والممارسة لإرادة الغلبة على عقول الرجال وعزائمهم .

والجئون ، جمع جؤنة : وهى سلة صنية مستديرة مغطاة بالآدم يكون فيها الطيب . ويقال أيضاً : « جؤفة

وجؤن » بالهمز . وذكر الأعشى المعركة القديمة الدائرة بين الرجال والنساء ، يتخذن الزينة والطيب سلاحاً ،

فيتصدىبن الرجال ابتغاء الظفر والغلبة ، والفتنة التى تصرع الألباب والعزائم ، فيقع الرجال أسرى في أيديهن .

(٢) الخبر ٤٥١ — ذكره السيوطي في الدر المنثور بتمامه ١ : ٣٢ — ٣٣ ، ونسبه أيضاً لابن

إسحق ، وابن أبي حاتم . وفيه وفي المخطوطة « من الخلاف والتخوف منكم » ونقل ابن كثير بقصه ١ : ١٠٠ .

٤٥٢ — حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، « أو كصيب من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ » إلى « إن الله على كل شيء قدير » ، أما الصيب فالمطر ^(١) . كان رجلا من المنافقين من أهل المدينة هرباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله ، فيه رعدٌ شديدٌ وصواعقٌ وبرقٌ ، فجعلاً كليهما أضاء لهما الصواعقُ فجعلاً أصابعهما في آذانهما ، من الفَرَق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما . وإذا لمع البرق مشياً في ضوئه ^(٢) ، وإذا لم يلمع لم يبصراً وقاما مكانهما لا يمشيان ^(٣) ، فجعلاً يقولان : ليتنا قد أصبحنا فنأتى محمداً فنضع أيدينا في يده . فأصبحا ، فأتياه فأسلما ، ووضعاً أيديهما في يده ، وحسُن إسلامهما . فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة . وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، قرعاً من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، أن ينزل فيهم شيء أو يذكرُوا بشيء فيقتلوا ، كما كان ذاك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما ، وإذا أضاء لهما مشوا فيه . فإذا كثرت أموالهم ، وولد لهم الغلمان ^(٤) ، وأصابوا غنيمةً أو فتحاً ، مشوا فيه ، وقالوا : إن دين محمد صلى الله عليه وسلم دينٌ صدق . فاستقاموا عليه ، كما كان ذاك المنافقان يمشيان ، إذا أضاء لهما البرق مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا ^(٥) . فكانوا

(١) في المطبوعة : « وأما الصيب والمطر » ، وهو خطأ .

(٢) في الأصول : « مشوا » ، ومصحناه من الدر المنثور والشوكاني .

(٣) في الأصول : « قاما مكانهما » بنبرواو ، وفي إحدى النسخ المخطوطة : « فقاما مكانهما » ، واتفقت

سائر الأصول وما نقل في الدر المنثور والشوكاني على حذف الفاء ، والجملة لا تستقيم ، فجعلناها « وقاما » ، وهو صواب العبارة .

(٤) في الدر المنثور : « وولدهم ، وأصابوا . . . » ، وفي الشوكاني : « وأولادهم وأصابوا . . . »

(٥) في المخطوطة : « إذا أضاء لهما مشياً ، وإذا أظلم عليهما قاما » . وفي الدر المنثور : « يمشيان »

إذا هلك أموالهم ، ووُلد لهم الجوارى ، وأصابهم البلاء^(١) ، قالوا : هذا من أجل دين محمد . فارتدوا كفاراً ، كما قام ذاك المنافقان حين أظلم البرق عليهما^(٢) .

المآلث : ما —

٤٥٣ — حدثني به محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : « أو كصيب من السماء » ، قطر ، « فيه ظلمات ورعد وبرق » إلى آخر الآية ، هو مثل المنافق في ضوء ما تكلم بما معه من كتاب الله وعمل ، مُراءاة للناس ، فإذا خلا وحده عمل بغيره . فهو في ظلمة ما أقام على ذلك . وأما الظلمات فالضلالة ، وأما البرق فالإيمان ، وهم أهل الكتاب .

إذا أضاء بهما البرق ، وإذا أظلم عليهم قاموا ، وفي الشوكاني : « يشيان إذا أضاء لهم البرق ، وإذا أظلم عليهم قاموا » ، وأجودهم ما في المخطوطة ، وما في المطبعة .

(١) في الدر المنثور والشوكاني : « إذا هلك أموالهم وأولادهم وأصابهم البلاء » .

(٢) الحديث ٤٥٢ — نقل في الدر المنثور ١ : ٣٢ ، والشوكاني ١ : ٣٦ - ٣٧ ، وسيأتي في ص ٣٥٤ قول الطبري عن هذا الحديث وعن إسناده : « ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً » . وانظر ما كتبه أخى السيد أحمد محمد شاکر في هذا الإسناد فيما مضى في الخبر رقم : ١٦٨ .

ويقول أحمد محمد شاکر عفا الله عنه : « وحق لأبي جعفر رحمه الله أن يرتاب في إسناده . فإن هذا الإسناد فيه تساهل كثير ، من جهة جمع مفرق التفسير عن الصحابة في سياق واحد ، تجمعه هذه الأسانيد ، كما بينا آنفاً . فإذا كان الأمر في تفسير معنى آية ، كان سهلاً ميسوراً قبوله ، إذ يكون رأياً أو آراء لبعض الصحابة في معنى الآية ، وما في ذلك بأس . أما إذا ارتفع الخبر إلى درجة الحديث ، بالإخبار عن واقعة معينة أو وقائع ، كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسباب لنزول بعض الآيات ، أو نحو ذلك ، مما يلحق بالحديث المرفوع لفظاً أو حكماً — كان قبول هذا الإسناد — إسناد تفسير السدى — محل نظر وارتياب . إذ هو رواية غير معروف مصدرها مرفقة بمعدة : أى هؤلاء الذين قال هذا ؟ وأيهم الذى عبر عنه باللفظ الذى جاء به ؟ نعم ، إن ظاهره أنه عن الصحابة : إما ابن عباس ، وإما ابن مسعود ، وإما « فاس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » — فقد يقول قائل : إن مرجع الرواية فيه إلى الصحابة ، وسواء أعرف الصحابي الراوى أم أبهم اسمه ، فإن ذلك لا يخرجنا عن رواية الصحابة ، وجهالة الصحابي لا تضر ؟ ولكن سياق هذه الروايات المطولة المفصلة ، في التفسير وفي الحوادث المتعلقة بأسباب النزول ، مثل الرواية التى هنا في هذا الموضع ، مع إعراض أئمة الحديث ، الذين خرجوا الروايات الصحيحة ، والروايات المقبولة بما هو دون الصحيح — عن إخراج هذه الرواية ونحوها ، وإعراض مؤرخى السيرة عن روايتها أيضاً ، كل أولئك يوجب الريبة في اتصال مثل هذه الرواية ، وفي الجزم بنسبتها إلى الصحابة . إذ لعلها مما أدرج في الرواية أثناء الحديث بها . والاحتياط في نسبة الحديث المرفوع وما في حكمه واجب .

وإذا أظلم عليهم ، فهو رجلٌ يأخذ بطرف الحق لا يستطيع أن يُجاوزه^(١) .
والرابع : ما -

٤٥٤ - حدثني به المتني ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « أو كصيب من السماء » ، وهو المطر ، ضرب مثله في القرآن يقول : « فيه ظلمات » ، يقول : ابتلاء ، « ورعد » يقول : فيه تخويف ، « وبرق » ، يكاد البرق يخطف أبصارهم^(٢) ، يقول : يكاد يحكم القرآن يدُلُّ على عورات المنافقين ، « كلما أضاء لهم مشوا فيه » . يقول : كلما أصاب المنافقون من الإسلام عِزًّا اطمأنوا ، وإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر^(٣) ، يقول : « وإذا أظلم عليهم قاموا » ، كقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَمْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطمأنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ اقلَّبَ عَلَى وَجْهِهِ ، خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [سورة الحج : ١١] ^(٤) .

ثم اختلف سائر أهل التأويل بعد في ذلك ، نظير ما روى عن ابن عباس من الاختلاف :

٤٥٥ - فحدثني محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ابن ميثمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : إضاءة البرق وإظلامه ، على نحو ذلك المثل .

٤٥٦ - حدثني المتني ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شيبان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) الخبر ٤٥٣ - في الدر المنثور ١ : ٣٢ ، والشوكاني ١ : ٣٧ ، مع اختلاف يسير في اللفظ .

(٢) في الدر المنثور والشوكاني : « رعد وبرق - تخويف » .

(٣) في المطبوعة : « قالوا رجعوا إلى الكفر » ، وهو خطأ محض .

(٤) الخبر ٤٥٤ - في الدر المنثور ١ : ٣٢ ، والشوكاني ١ : ٣٦ ، وبمضه في تفسير ابن

٤٥٧ - حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . مثله .

٤٥٨ - وحدثنا بشر بن معاذ ، قال حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قول الله : « فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ » إلى قوله « وإذا أظلم عليهم قاموا » ، فالمنافق إذا رأى في الإسلام رخاءً أو طمأنينةً أو سلوةً من عيش قال : أنا معكم وأنا منكم ، وإذا أصابته شديدةٌ حَقَّقَ - والله عندها ، فانقُطِعَ به ، فلم يصبر على بلائها ، ولم يحتسب أجرها ، ولم يرجُ عاقبتها ^(١) .

٤٥٩ - وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : « فيه ظلمات ورعد وبرق » ، يقول : أجبنُ قوم ^(٢) ، لا يسمعون شيئاً إلا إذا ظنوا أنهم هالكون فيه حذراً من الموت ، والله مُحِيطٌ بالكافرين . ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال : « يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه » ، يقول : هذا المنافق ، إذا كثر ماله ، وكثرت ماشيته ، وأصابته عافية قال : لم يُصِبْنِي مِنْدُ دخلت في ديني هذا إلا خيرٌ . « وإذا أظلم عليهم قاموا » يقول : إذا ذهب أموالهم ، وهلك مواشيهم ، وأصابهم البلاءُ ، قاموا متحيرين ^(٣) .

٤٦٠ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « فيه ظلمات ورعد وبرق » ، قال : مثلكم

(١) الأثر ٤٥٨ - في الدر المنثور ١ : ٣٣ ، وهو جزء من أثر قتادة بتمامه ، ونصه هناك : « فإذا رأى المنافق من الإسلام طمأنينة وعافية ورخاء وسلوة عيش ، قالوا : إنا معكم ومنكم . وإذا رأى من الإسلام شدة وبلاء ، فحقق عند الشدة ، فلا يصبر لبلائها ، ولم يحتسب أجرها ، ولم يرج عاقبتها » . وقوله في الدر المنثور « فحقق » ، أظنه خطأ ، وإنما هو حقيق كما في أصول الطبري . والحققة : أرفع السر وأتعبه للظهر . يريد أنه يسرع إسرائاً في حيرته حتى يهلكه التنب ، وذلك أن المنافق لا يصبر على البلاء صبر المؤمن الراضى بما شاء الله وقدر . وقوله « فانقطع به » بالبناء للمجهول يقال للدابة وللرجل « قطع به واقطع به » بالبناء للمجهول ، إذا عجز فلم ينهض ، وأتاه أمر لا يقدر على أن يتحرك معه ، وانقطع رجائه . وفي الخطوط « فتقطع به » وليست بشيء . وفي المطبوعة : « وإذا أصابته شدة » .

(٢) في المطبوعة : « أخبر عن قوم » ، وهو كلام بلا معنى .

(٣) الأثر ٤٥٩ - لم أجده بلفظه ، وأثر قتادة في الدر المنثور ١ : ٣٣ شبه به في المعنى دون اللفظ .

كمثل قوم ساروا في ليلة مظلمة ، ولها مطر ورعد وبرق على جادة ، فلما أبرقت أبصروا الجادة فمضوا فيها ، وإذا ذهب البرق تحيروا . وكذلك المنافق ، كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له ، فإذا شك تحيّر ووقع في الظلمة ، فكذلك قوله : « كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا » ، ثم قال : في أسماعهم وأبصارهم التي عاشوا بها في الناس ، « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم » .
قال أبو جعفر :

٤٦١ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان الباهلي ، عن الضحاك بن مزاحم ، « فيه ظلمات » ، قال : أما الظلمات فالضلالة ، والبرق الإيمان ^(١) .

٤٦٢ - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال حدثني عبد الرحمن ابن زيد ، في قوله : « فيه ظلمات ورعد وبرق » ، فقرأ حتى بلغ : « إن الله على كل شيء قدير » ، قال : هذا أيضاً مثل ضرب به الله للمنافقين ، كانوا قد استناروا بالإسلام ، كما استنارَ هذا بنور هذا البرق .

٤٦٣ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حمّاج ، قال : قال ابن جريج : ليس في الأرض شيء سمعه المنافق إلا ظنّ أنه يُراد به ، وأنه الموت ، كراهية له - والمنافق أكره خلق الله للموت - كما إذا كانوا بالبراز في المطر ، فرؤوا من الصواعق ^(٢) .

٤٦٤ - حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا ابن جريج ، عن عطاء ، في قوله : « أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق » ، قال : مثل ضرب للكافر ^(٣) .

(١) الأثر ٤٦١ - في الأصول « أبو تميلة » بالنون ، وهو خطأ ، والصواب « أبو تميلة » بالتاء مصفراً ، وهو يحيى بن واضح ، كما مضى في : ٣٩٢ .

(٢) في المخطوطة : « كما إذا كانوا بالبر في المطر . . . » ، وهو شبيه بالصواب . والبراز : الفضاء من الأرض البعيدة الواسع ، ليس به شجر ولا غيره مما يستتر به .

(٣) الآثار ٤٦٠ - ٤٦٤ : لم أجدها في مكان

وهذه الأقوال التي ذكرنا عن روينها عنه ، فلانها — وإن اختلفت فيها ألفاظ قائلها — متقاربات المعاني ، لأنها جميعاً تنبئ عن أن الله ضَرَبَ الصَّيْبَ لظاهِرِ إيمان المنافق مثلاً ، ومَثَلٌ ما فيه من ظلمات لضلالاته ، وما فيه من ضياء برقٍ لنور إيمانه ^(١) ؛ وإتقاه من الصواعق بتصيير أصابعه في أذنيه ، لضعف جَنَانِهِ وَتَخَبُّبِ فؤاده من حُلُولِ عقوبة الله بساحته ^(٢) ؛ ومشيته في ضوء البرق لاستقامته على نور إيمانه ، وقيامته في الظلام ، لحيرته في ضلالاته وارتكاسه في غممه ^(٣) .

فتأويل الآية إذاً — إذْ كَانَ الأمر على ما وصفنا — : أو مَثَلٌ ما استضاء به المنافقون — من قيلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالسنتهم : آمنا بالله وباليوم الآخر وبمحمد وما جاء به ، حتى صار لهم بذلك في الدنيا أحكامُ المؤمنين ، وهم — مع إظهارهم بالسنتهم ما يُظهرون — بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر ، مكذِّبون ، وخلاف ما يُظهرون بالألسُن في قلوبهم معتقدون ، على عَمَى منهم ، وجهالة بما هم عليه من الضلال ، لا يدرون أى الأمرين اللذين قد شَرَّعَا لهم [فيه] الهداية ^(٤) : أى الكفر الذى كانوا عليه قبل إرسال الله محمداً صلى الله عليه وسلم بما أرسله به إليهم ، أم في الذى أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربهم ؟ فهم من وعيدِ الله إياهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وَجِيلُونَ ، وهم مع وَجَلهم من ذلك في حقيقته شاكُّون ، في قلوبهم مَرَضٌ فزادهمُ الله مَرَضاً . كمثلَ خَيْثٍ سَرَى لَيْلاً في مُزْنَةِ ظُلُماء

(١) في المخطوطة : « بضلالاته . . . يخور إيمانه » .

(٢) في المطبوعة : « وتحرير فؤاده » . والنخب : الجبن وضعف القلب . ورجل نخب ونخب ومنغوب الفؤاد : جبان لا خير فيه ، كأنه منتزع الفؤاد ، فلا فؤاد له .

(٣) في المطبوعة : « باستقامته . . . بهيرته في ضلالاته . . . » .

(٤) في المخطوطة : « سرعا » غير واضحة ولا متقونة . ولعل الصواب « شرعا » من قولهم شرعت الإبل الماء : أى دخلته وخاضت فيه لتشرب منه . والمنافق يخوض في الإيمان بلسانه وفي الكفر بقلبه . وزدت ما بين القوسين ليستقيم المعنى . وفي المطبوعة بعد : « الهداية في الكفر الذى كانوا عليه » ، بغير ألف الاستفهام ، وهو خطأ لا يستقيم .

هيلة مظلمة^(١) ، يحدوها رعد^(٢) ، ويستطير في حافاتهما برق شديد لمعانه^(٣) ، كثير خطرانه^(٤) ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ويختطفها من شدة ضيائه ونور شعاعه ، وينهبط منها تارات صواعق^(٥) ، تكاد تدع النفوس من شدة أهوالها زواحق .

فالصيب مثل^(٦) لظاهر ما أظهر المنافقون بالسنتهم من الإقرار والتصديق ، والظلمات التي هي فيه لظلمات ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب . وأما الرعد والصواعق ، فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في آي كتابه ، إما في العاجل وإما في الآجل ، أن يحل بهم ، مع شكهم في ذلك : هل هو كائن أم غير كائن ؟ وهل له حقيقة أم ذلك كذب وباطل ؟ - مثل^(٧) . فهم من وجلهم ، أن يكون ذلك حقاً ، يتقونه بالإقرار بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بالسنتهم ، مخافة على أنفسهم من الهلاك ونزول النقيصات^(٨) . وذلك تأويل قوله جل ثناؤه « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت » ، يعني بذلك : يتقون وعيد الله الذي أنزله في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، بما يبدونه بالسنتهم من ظاهر الإقرار ، كما يتقن الخائف أصوات الصواعق بتغطية أذنيه وتصيير أصابعه فيها ، حذراً على نفسه منها .

وقد ذكرنا الخبر الذي روى عن ابن مسعود وابن عباس أنهما كانا يقولان : إن المنافقين كانوا إذا حضروا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلوا أصابعهم

(١) في المطبوعة : « وليل مظلمة » ، وهو خطأ بين .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « يحنوها » بالذال المعجمة ، وهو خطأ . وإما هو من حداء السائق بإبله : وهو غناؤه لها وزجره إياها ، وهو يسوقها . جعل صوت الرعد حداء للسحاب . واستطار البرق : سطع وشق السحاب وانتشر في جوانب الفهم .

(٣) في المخطوطة : « خطوانه » غير منقوطة ، وهو تحريف . من قولهم خطر بسيفه أو سوطه يخطر خطراً : إذا رفعه مرة ووضعه أخرى ، شبه شقائق البرق بالسوط يلعب مرة ويغنى أخرى .

(٤) قوله « مثل » خبر مبتدأ محذوف ، فسباق الجملة كما ترى : أما الرعد والصواعق ، فمثل لما هم عليه من الوجل . . .

(٥) النقيات : جمع نفمة مثل كلمات وكلمة ، وهي العقوبات .

في آذانهم فرحاً من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل فيهم شيء ،
 أو يذكروا بشيء فيقتلوا . فإن كان ذلك صحيحاً - ولست أعلمه صحيحاً ، إذ
 كنت بإسناده مرتاباً - فإن القول الذي روى عنهما هو القول (١) . وإن يكن
 غير صحيح ، فأولى بتأويل الآية ما قلنا ، لأن الله إنما قص علينا من خبرهم في
 أول مُبتدأ قصتهم (٢) : أنهم يُخادعون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم : آمنا
 بالله وباليوم الآخر ، مع شك قلوبهم ومَرَض أفئدتهم في حقيقة ما زعموا أنهم
 به مؤمنون ، مما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربهم . وبذلك
 وصفتهم في جميع آي القرآن التي ذكر فيها صفتهم . فكل ذلك في هذه الآية .
 وإنما جعل الله إدخالهم أصابعهم في آذانهم مثلاً لانتقامهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما ذكرنا أنهم ينقضونهم به ، كما يتنقض سامع صوت
 الصاعقة بإدخال أصابعه في أذنيه . وذلك من المثل نظير تمثيل الله جل ثناؤه ما
 أنزل فيهم من الوعيد في آي كتابه بأصوات الصواعق . وكذلك قوله « حذر الموت » ،
 جعله جل ثناؤه مثلاً لخوفهم وإشفاقهم من حلول عاجل العقاب المهلكهم الذي
 توعدهم بساحتهم (٣) ، كما يجعل سامع أصوات الصواعق أصابعه في أذنيه ، حذر
 العطب والموت على نفسه ، أن تزهق من شدتها .

وإنما نصب قوله « حذر الموت » على نحو ما تنصب به التكرمة في قولك :
 « زرتك تكرمة لك » ، تريد بذلك : من أجل تكرمك ، وكما قال جل ثناؤه ،
 ﴿ وَيَذْعُرُونَ رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٠] على التفسير للفعل (٤) .

وقد روى عن قتادة أنه كان يتأول قوله : « حذر الموت » ، حذراً من الموت .

(١) انظر الحديث رقم : ٤٥٢ والتمايق عليه .

(٢) في المطبوعة : « قصصهم » ، ولا بأس بها . وبعد ذلك في المخطوطة : « أنهم عارفون بخادعون

الله . . . » ، ولا معنى لإتمام قوله : « عارفون » .

(٣) في المطبوعة : « العقاب المهلك . . . » بدلوا لفظ الطبرى ، ليوافق ما احتاده من الكلام .

(٤) قوله « حل التفسير للفعل » ، أى أنه مفعول لأجله .

٤٦٥ - حدثنا بذلك الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا معتمر ، عنه .

وذلك مذهب من التأويل ضعيف ، لأن القوم لم يجعلوا أصابعهم في آذانهم حذراً من الموت ، فيكون معناه ما قال إنه يراد به ^(١) : حذراً من الموت ، وإنما جعلوها من حذار الموت في آذانهم .

وكان قتادة وابن جريج يتأولان قوله : « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت » ، أن ذلك من الله جل ثناؤه صفة للمنافقين بالملع وضعف القلوب وكراهة الموت ، ويتأولان في ذلك قوله : « يحسبون كل صيحة عليهم » [سورة المنافقون : ٤] .

وليس الأمر في ذلك عندى كالذى قالوا . وذلك أنه قد كان فيهم من لا تُنكر شجاعته ولا تُدفع بسالته ، كقُزَمان ، الذى لم يَقم مقامه أحد من المؤمنين بأحد ، أودونه ^(٢) . وإنما كانت كراهتهم شهود المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركهم معاونته على أعدائه ، لأنهم لم يكونوا في أديانهم مُستبصرين ، ولا برسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين ، فكانوا للحضور معه مشاهدة كارهين ، إلا بالتخذيل عنه ^(٣) . ولكن ذلك وصف من الله جل ثناؤه لهم بالإشفاق من حلول عقوبة الله بهم على نفاقهم ، إما عاجلاً وإما آجلاً . ثم أخبر جل ثناؤه أن

(١) في المطبوعة « مراد به » ، وهما سواء .

(٢) هذه الجملة في المخطوطة هكذا : « قُزَمان الذى لم يَقم مقامه من المؤمنين كثير أحد ودونه » . وهى عبارة مجمة . وقد أثبت ما فى المطبوعة ، وجملت « ودونه » ، « أو دوله » ليستقيم المعنى . ويدل على ذلك أن عدة الذين قتلوا يوم أحد من المشركين اثنان وعشرون رجلاً ، قتل قُزَمان وحده منهم عشرة ، وقتل على بن أبى طالب أربعة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب ثلاثة ، وقتل عاصم ابن ثابت بن الأتراح رجلين ، وقتل سعد بن أبى وقاص رجلاً واحداً . وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل رجلاً صبراً ، وقتل آخر بيده صلى الله عليه وسلم . وقُزَمان حليف بنى ظفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لمن أهل النار . فلما أبل يوم أحد ، قيل له : أبشر ! قال : بماذا أبشر ؟ فواقه ما قاتلت إلا عن أصحاب قوى أولوا ذلك ما قاتلت . ولما اشتدت به جراحته وآذنه ، أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه .

(٣) التخذيل : حمل الرجل على خذلان صاحبه ، وتقبيله عن نصرته .

المنافقين - الذين نعتهم الله النعت الذى ذكر ، وضرب لهم الأمثال التى وصّف ، وإن اتقوا عقابه ، وأشفقوا عذابه لإشفاق الجاعل فى أذنيه أصابعه حذرًا حُلُول الوعيد الذى توعدهم به فى آى كتابه - غير مُنْجِيهم ذلك من نزوله بِعَقُوبَتِهِمْ^(١) ، وحُلُولِهِ بِسَاحَتِهِمْ ، إما عاجلاً فى الدنيا ، وإما آجلاً فى الآخرة ، للذى فى قلوبهم من مَرَضِها ، والشكّ فى اعتقادها ، فقال : « والله مُحِيطٌ بالكافرين » ، بمعنى جَامِعُهُمْ ، فمُحِلٌّ بِهِمْ عُقُوبَتَهُ .
وكان مجاهدٌ يتأول ذلك كما : -

٤٦٦ - حدثنى محمد بن عمرو الباهلى ، قال : حدثنا أبو عاصم . عن عيسى ابن ميمون ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : « والله مُحِيطٌ بالكافرين » ، قال : جامعهم فى جهنم^(٢) .

وأما ابن عباس فروى عنه فى ذلك ما : -

٤٦٧ - حدثنى به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « والله مُحِيطٌ بالكافرين » ، يقول : الله منزلٌ ذلك بهم من النّعمة^(٣) .
٤٦٨ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله : « والله مُحِيطٌ بالكافرين » ، قال : جامعُهُمْ .

١٢٣/١

ثم عاد جل ذكره إلى نعت إقرار المنافقين بالسنتهم ، والخبر عنه وعنهم وعن نفاقهم ، وإتمام المثل الذى ابتدأ ضربه لهم ولشكّهم ومَرَضِ قلوبهم ، فقال : « يكاد البرق » ، يعنى بالبرق ، الإقرار الذى أظهره بالسنتهم بالله وبرسوله وما جاء به من عند ربهم . فجعل البرق له مثلاً ، على ما قدّمنا صفته .

(١) فى المطبوعة : « بعقوبتهم » ، وفى بعض المخطوطات : « بعقولهم » ، وكلتاها خطأ محض . والعقوبة : ساحة الدار ، وما كان حولها وقريباً منها .

(٢) الأثر ٤٦٦ - من تمام أثر فى الدر المنثور ١ : ٣٣ .

(٣) الخبر ٤٦٧ - من تمام خبر فى الدر المنثور ١ : ٢٢ - ٣٣ .

« يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ » ، يعنى : يذهب بها ويستلبها ويلتمعها من شدة ضيائها ونور شعاعه .

٤٦٩- كما حُدِّثَتْ عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عُماره ، عن أَبِي رَوْقٍ ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس ، فى قوله : « يكاد البرقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ » ، قال : يلتَمِعُ أَبْصَارَهُمْ وَلَمَّا يَفْعَلُ ^(١) .

قال أبو جعفر : والخطف السلب ، ومنه الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الخطِفة ، يعنى بها النُّهبة ^(٢) . ومنه قيل للخطاف الذى يُخْرِجُ به الدلو من البئر خُطَّافًا ، لاختطافه واستلابه ما علق به ، ومنه قول نابغة بنى دُبيان :

خَطَّاطِيفٌ حُجْنٌ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ ^(٣)

(١) الخبر ٤٦٩ - لم أجده . واتمم البصر أو غيره : اختلسه واختطفه وذهب به . ومنه الحديث : « إذا كان أحدكم فى الصلاة ، فلا يرفع بصره إلى السماء يلتَمِعُ بصره » ، أى يختلس .

(٢) الذى ذكره ابن الأثير فى النهاية أن الخطفة : ما اختطف الذئب من أعضاء الشاة وهى حية ، لأن كل ما أبين من حى فهو ميت ، وذلك أن النهى عن الخطفة كان لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، رأى الناس يجيئون أسنمة الإبل وأليات الغنم ويأكلونها . قال : والخطفة المرة الواحدة من الخطف ، فسمى بها العضو المختطف ، وأما النهبة والنهب ، فاسم لما ينهب ، وجاء بيانها فى حديث سنن أبى داود ٣ : ٨٨ « فأصاب الناس غنيمة فأنتهبوها ، فقام عبد الرحمن بن سمرة خطيباً ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النهب » . وفى الباب نفسه من سنن أبى داود عن رجل من الأنصار قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فأصاب الناس حاجة شديدة وجهد ، وأصابوا غنماً فأنتهبرها ، فإن قدورنا لتلثل إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى على قوسه ، فأكفأ قدورنا بقوسه ، ثم جعل يرمي اللحم بالتراب ثم قال : إن النهبة ليست بأحل من الميتة » .

(٣) ديوانه : ٤١ ، وقبالة البيت المشهور :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المتأذى عنك واسمُ

خطاطيف : جمع خطاف . وحجن : جمع أحجن ، وهو المورج الذى فى رأسه عقافة . وقال « تمد بها » ولم يقل : تمدها ، لأنه لم يرد مد الحبال ذوات الخطاطيف ، وإنما أراد اليد التى تمتد بها وفيها الخطاطيف ، لأن اليد هى التى تتبع الشئ حيث ذهب (انظر ما سيأتى من إدخال الباء على مثل هذا الفعل ص ٣٦٠ س : ٦-٩) وقوله « إليك » متعلق بقوله « نوازع » . ونوازع جمع فازع وفازعة ، من قولهم فزع الدلو من البئر ينزعها : جلعها وأخرجها . أى أن هذه الأيدي تجذب ما تشاء إليك ، وترده عليك . والبيت متصل بالذى قبله ،

فجعل ضوءَ البرق وشدةَ شعاعِ نوره ، كضوءِ إقرارهم بالسنتهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله واليوم الآخر وشعاعِ نوره ، مثلاً .
ثم قال تعالى ذكره : «كلما أضاء لهم » ، يعنى أن البرق كلما أضاء لهم ، وجعل البرق لإيمانهم مثلاً . وإنما أراد بذلك : أنهم كلما أضاء لهم الإيمان ، وإضاءته لهم : أن يروا فيه ما يُعجبهم في عاجل دنياهم ، من النصرة على الأعداء ، وإصابة الغنائم في المغازي ، وكثرة الفتوح ومنافعها ، والثراء في الأموال ، والسلامة في الأبدان والأهل والأولاد — فذلك إضاءته لهم ، لأنهم إنما يُظهرون بالسنتهم ما يُظهرونه من الإقرار ، ابتغاءَ ذلك ، ومدافعةً عن أنفسهم وأموالهم وأهلبيهم وذرائعهم ، وهم كما وصفهم الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ [سورة الحج : ١١]

ويعنى بقوله «مشوا فيه » ، مشوا في ضوء البرق . وإنما ذلك مثلُ إقرارهم على ما وصفنا . فعناه : كلما رأوا في الإيمان ما يُعجبهم في عاجل دنياهم على ما وصفنا ، ثبتوا عليه وأقاموا فيه ، كما يمشي السائر في ظلمة الليل وظلمة الصيب الذي وصفه جل ثناؤه ، إذا برقت فيها بارقةٌ أبصرَ طريقه فيها .
« وإذا أظلم » ، يعنى : ذهب ضوءُ البرق عنهم .

ويعنى بقوله «عليهم » ، على السائرين في الصيب الذي وصف جل ذكره . وذلك للمنافقين مثل . ومعنى إظلام ذلك : أن المنافقين كلما لم يروا في الإسلام ما يعجبهم في دنياهم — عند ابتلاء الله مؤمنى عباده بالضرراء ، ومحميصه لإياهم بالشدائد والبلاء ، من إخفاقهم في مغزاهم ، وإدالة علوهم منهم^(١) ، أو إدبارٍ من

وبيان لقوله «فإنك كالليل الذي هو مدمك » ، أراد تهويل الليل وما يرى فيه ، تنبيه حيث ذهب غطا طيف حجب لا مهرب له منها .

(١) في المطبوعة « وإزالة علوهم » ، وهو خطأ . والإدالة : الغلبة ، وهى من الدولة في الحرب ، وهو أن هزم الجيش مرة ، وهزمه الجيش الآخر تارة أخرى . يقال : اللهم أدلنا من علونا ! أى اللهم اجعل لنا الدولة عليه وانصرنا .

دنيام عنهم — أقاموا على نفاقهم^(١)، وكتبوا على ضلالتهم ، كما قام السائر في الصيب الذى وصف جل ذكره^(٢) ، إذا أظلم وخنفت ضوء البرق ، فحار في طريقه ، فلم يعرف منهجه .

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ

وَأَبْصَارِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : وإنما خص جل ذكره السمع والأبصار — بأنه لو شاء أذهبها من المنافقين دون سائر أعضاء أجسامهم^(٣) — للذى جرى من ذكرها فى الآيتين ، أعنى قوله : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق » ، وقوله : « يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه » ، فجرى ذكرها فى الآيتين على وجه المثل . ثم عقّب جل ثناؤه ذكر ذلك ، بأنه لو شاء أذهب من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم ، وعيداً من الله لهم ، كما توعدّهم فى الآية التى قبلها بقوله : « والله مُحِيطٌ بالكافرين » ، واصفاً بذلك جل ذكره نفسه ، أنه المقتلر عليهم وعلى جمعهم ، لإحلال تحفظهم بهم ، وإنزال نِقْمَتِهِ عليهم ، ومُحَذِّرهم بذلك سَطْوَتِهِ ، ومُخَوِّفهم به عقوبته ، ليتقوا بأسه ، ويُسارعوا إليه بالتوبة .

٤٧٠ — كما حدثنا ابن حديد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : « ولو شاء

(١) فى المطبوعة : « قاموا على نفاقهم » . وهذه أجود .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « كما قام السائرون فى الصيب » ، وهو خطأ ، صوابه من مخطوطة أخرى .

(٣) فى المخطوطة : « دون سائر أجسامهم » .

الله لذَّهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، لِمَا تَرَكُوا مِنَ الْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ ^(١) .

٤٧١ - وَحَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ،

عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ - يَعْنِي قَالَ اللَّهُ - فِي أَسْمَاعِهِمْ ،
يَعْنِي أَسْمَاعَ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَبْصَارِهِمْ الَّتِي عَاشَوْا بِهَا فِي النَّاسِ : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَّهَبَ
بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ » ^(٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِهِ : « لَذَّهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ » ، لَأَذْهَبَ
سَمْعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ . وَلَكِنَّ الْعَرَبَ إِذَا أَدْخَلُوا الْبَاءَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ قَالُوا : ذَهَبْتُ بَبَصْرِهِ ،
وَإِذَا حَذَفُوا الْبَاءَ قَالُوا : أَذْهَبْتُ بَبَصْرِهِ . كَمَا قَالَ جَلُّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ آتَيْنَا عَدَاءَنَا ﴾ [سورة
الكهف : ٦٢] ، وَلَوْ أَدْخَلْتَ الْبَاءَ فِي الْغَدَاءِ لَقِيلَ : آتَيْنَا بَغْدَاءَنَا ^(٣) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ : « لَذَّهَبَ بِسَمْعِهِمْ » فَوَحَّدَ ،
وَقَالَ : « وَأَبْصَارِهِمْ » فَجَمَعَ ؟ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْخَبَرَ فِي السَّمْعِ خَبَرٌ عَنْ تَمَنُّعِ
جَمَاعَةٍ ^(٤) ، كَمَا الْخَبَرُ عَنِ الْأَبْصَارِ خَبَرٌ عَنْ أَبْصَارِ جَمَاعَةٍ ؟ ^(٥)

قِيلَ : قَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ : وَحَدَّ
السَّمْعَ لِأَنَّهُ عَنَى بِهِ الْمَصْدَرَ وَقَصَدَ بِهِ الْخَرَقَ ، وَجَمَعَ الْأَبْصَارَ لِأَنَّهُ عَنَى بِهِ الْأَعْيْنَ .
وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ يَزْعُمُ : أَنَّ السَّمْعَ وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ، فَلِأَنَّهُ بِمَعْنَى
جَمَاعَةٍ ^(٦) . وَيَحْتَجُّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِ اللَّهِ : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٢] ،
يُرِيدُ : لَا تَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ أَطْرَافُهُمْ ، وَيَقُولُهُ : ﴿ وَيُؤْتُونَ الدُّبُرَ ﴾ [سورة القمر : ٤٥] ،

(١) الْخَبَرُ ٤٧٠ - مِنْ تَمَامِ الْخَبَرِ الَّذِي سَاقَهُ فِي الدَّرَجِ الْمَنْشُورِ ١ : ٢٢-٢٣ ، وَقَدْ مَضَى
صَدْرُهُ آنِفًا : ٤٥١ ، ٤٦٧ .

(٢) الْأَثَرُ ٤٧١ - هُوَ مِنَ الْأَثَرِ السَّالِفِ رَقْمٌ : ٤٦٠ .

(٣) انْظُرْ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ ١ : ١٩ . وَانْظُرْ مَا مَضَى ص ٣٥٧ تَعْلِيقٌ : ٣ .

(٤) فِي الْمَخْطُوطَةِ : « أَنَّ الْخَبَرَ بِالسَّمْعِ » ، وَهَذِهِ أَجُودٌ ، وَأَجُودُهُنَّ « الْخَبَرُ عَنِ السَّمْعِ » كَمَا سَيَأْتِي

فِي الَّذِي يَلِي .

(٥) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « كَمَا الْخَبَرُ فِي الْأَبْصَارِ » ، وَالَّذِي فِي الْمَخْطُوطَةِ أَجُودٌ .

(٦) فِي الْمَخْطُوطَةِ : « لَمَعْنَى جَمَاعَةٍ » ، وَهِيَ صَوَابٌ جَيِّدٌ .

يراد به أدبارهم . وإنما جاز ذلك عندي ، لأن في الكلام ما يدل على أنه مراد به الجمع ، فكان في دلالة على المراد منه ، وأداء معنى الواحد من السمع عن معنى جماعة ، مُغْنِياً عن جَمَاعِهِ^(١) . ولو فعل بالبصر نظير الذي فعل بالسمع ، أو فعل بالسمع نظير الذي فعل بالأبصار — من الجمع والتوحيد — كان فصيحاً صحيحاً ، لما ذكرنا من العلة ، كما قال الشاعر :

كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا فَإِنْ زَمَانَنَا زَمَنْ خَجِصُ^(٢)
فوحّد البطن ، والمراد منه البطون ، لما وصفنا من العلة .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ۝ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : وإنما وصف الله نفسه جلّ ذكره بالقدرة على كل شيء . في هذا الموضع ، لأنه حذر المناققين بأسه وسطوته ، وأخبرهم أنه بهم محيط ، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير . ثم قال : فاتقوني أيها المناققون ، واحذروا خيادعي وخيادع رسولي وأهل الإيمان بي ، لا أحيل بكم نعمتي ، فلاي على ذلك وعلى غيره من الأشياء قدير . ومعنى « قدير » قادر ، كما معنى « عليم » عالم ، على ما وصفت

(١) في المطبعة : « فكان فيه دلالة على المراد منه ، وأدى معنى الواحد من السمع عن معنى جماعة ، مُغْنِياً عن جماعة » ، وهو كلام لا معنى له . وفي المخطوطة : « ... على المراد منه وأوا معنى الواحد ... » ، وقد صححت قراءتها كما ترى . وقوله « مُغْنِياً عن جماعة » أي عن جمعه ، والطبري يكثر استعمال « جماع » مكان جمع ، كما مضى وكما سيأتي .

(٢) البيت من أبيات سيبويه التي لا يعلم قائلها ، سيبويه ١ : ١٠٨ ، والخزاعة ٣ : ٣٧٩ - ٣٨١ ، وانظر أمالي ابن السجري ١ : ٣١١ ، ٢ : ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٤٣ ، وروايته : « في نصف بطنكم » . وفي المخطوطة : « تميشوا » ، مكان « تعفوا » ، وهي رواية ذكرها صاحب الخزاعة . وروايتهم جميعاً « فلان زمانكم » .

فما تقدم من نظائره ، من زيادة معنى فاعيل على فاعل في المدح والذم^(١) .

• • •

القول في تأويل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : فأمر جل ثناؤه الفريقين - اللذين أخبر الله عن أحدهما أنه سواء عليهم أأنذروا أم لم يُنذروا أنهم لا يؤمنون^(٢) ، لطبعه على قلوبهم وعلى سمعهم^(٣) ، وعن الآخر أنه يُخادع الله والذين آمنوا بما يبدي بلسانه من قبله : آمناً بالله وباليوم الآخر ، مع استبطانه خلاف ذلك ، ومرض قلبه ، وشكّه في حقيقة ما يُبدي من ذلك ؛ وغيرهم من سائر خلقه المكلفين - بالاستكانة ، والخضوع له بالطاعة ، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة . ١٢٥/١
لأنه جلّ ذكره هو خالقهم وخالق مَنْ قبلهم من آبائهم وأجدادهم ، وخالق أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم . فقال لهم جلّ ذكره : فالذى خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم ، وهو يقدر على ضرركم ونفعكم - أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضرر^(٤) .

وكان ابن عباس ، فيما روى لنا عنه ، يقول في ذلك نظيراً ما قلنا فيه ، غير أنه ذكّر عنه أنه كان يقول في معنى « اعبدوا ربكم » : وحلّوا ربكم . وقد دللنا - فيما مضى من كتابنا هذا - على أن معنى العبادة : الخضوع لله بالطاعة ،

(١) انظر تفسير قوله تعالى : « الرحيم » ، فيما مضى : ص ١٢٦ .

(٢) في المخطوطة : « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، وهما سواء في المعنى .

(٣) في المطبوعة : « . . . وعلم سمعهم وأبصارهم » ، والصواب حذف « وأبصارهم » ، لأنها غير داخلية في معنى الطبع ، كما مضى في تفسير الآية .

(٤) في المخطوطة : « على ضرر ولا نفع » ، وهما سواء .

والتدليل له بالاستكانة^(١). والذي أراد ابن عباس - إن شاء الله - بقوله في تأويل قوله : «اعبدوا ربكم» وحده، أى أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه^(٢).

٤٧٢ - حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال الله : «يا أيها الناس اعبدوا ربكم» ، للفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين ، أى وحدهم ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم^(٣) .

٤٧٣ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم» يقول : «خلقكم وتخلق الذين من قبلكم»^(٤) .

قال أبو جعفر : وهذه الآية من أدل دليل على فساد قول من زعم : أن تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله غير جائز ، إلا بعد إعطاء الله المكلف المعونة على ما كلفه. وذلك أن الله أمر من وصفنا ، بعبادته والتوبة من كفره ، بعد إخباره عنهم أنهم لا يؤمنون ، وأنهم عن ضلالتهم لا يرجعون .

• • •

(١) مضى في تفسير قوله تعالى «إياك نعبد» ص : ١٦٠ .

(٢) في المخطوطة «وحده له أفردوا . . .» ، وليس لها معنى .

(٣) الخبر ٤٧٢ - في الدر المنثور ١ : ٣٣ ، وابن كثير ١ : ١٠٥ ، والشوكاني ١ : ٣٨ .

وفي الدر والشوكاني : «من الكفار والمؤمنين» ، ووافق ابن كثير أصول الطبري .

(٤) الخبر ٤٧٣ - في الدر المنثور ١ : ٣٣ ، ولم ينسب إخراج له لابن جرير . وفي المخطوطة :

«خلقكم والذين . . .» .

القول في تأويل قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذى خلقكم ، وطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه ، وإفرادكم له العبادة^(١) لتتقوا سخطه وغضبه أن يحلّ عليكم ، وتكونوا من المتقين الذين رضى عنهم ربهم .
وكان مجاهدٌ يقولُ في تأويل قوله : « لعلكم تتقون » : « تطيعون .

٤٧٤ - حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثني أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : « لعلكم تتقون » ، قال : لعلكم تطيعون^(٢) .
قال أبو جعفر : والذى أظن أن مجاهداً أراد بقوله هذا : لعلكم أن تتقوا ربكم بطاعتكم إياه ، وإقلاعيكم عن ضلالتكم .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فكيف قال جل ثناؤه : « لعلكم تتقون » ؟
أولم يكن عالماً بما يصيرُ إليه أمرهم إذا هم عبدوه وأطاعوه ، حتى قال لهم : لعلكم إذا فعلتم ذلك أن تتقوا ، فأخرج الخبر عن عاقبة عبادتهم إياه مخرج الشك ؟
قيل له : ذلك على غير المعنى الذى توهمت ، وإنما معنى ذلك : اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم ، لتتقوه بطاعته وتوحيده وإفراده بالربوبية والعبادة^(٣) ، كما قال الشاعر :

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الْحُرُوبَ ، لَعَلَّنَا نَكْفُ* ! وَوَقَّعْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقٍ^(٤)
فَلَا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَأَنْتَ عُهُودُكُمْ كَلَفَحَ سَرَابٍ فِي الْفَلَا مُتَأَلَّقٍ^(٥)

(١) في المطبوعة : « له بالعبادة » وهو خطأ .

(٢) الأثر ٤٧٤ - في الدر المنثور ١ : ٣٤ .

(٣) يريد الطبرى أن الرب تشمل « لعل » مجردة من الشك ، بمعنى لام كي ، كما قال ابن

الشجرى في أماليه ١ : ٥١ .

(٤) لم أعرف قائلهما ، ورواهما ابن الشجرى قللاً عن الطبرى ، فيما أريج ، في أماليه ١ : ٥١ .

(٥) رواية ابن الشجرى « في الملا » . والفلا جمع فلاة : وهى الأرض المستوية ليس فيها شئ .

والصحراء الواسعة . والملا : الصحراء والمتسع من الأرض - فهما سواء في المعنى .

يريد بذلك : قَلَمَ لَنَا كُفُّوا لِنَكْفَ . وذلك أن « لعل » في هذا الموضع لو كان شَكًّا ، لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾

وقوله : « الذي جعل لكم الأرض فِرَاشًا » مردود على « الذي » الأولى في قوله « اعبدوا ربكم الذي خلقكم » ، وهما جميعاً من نعت « ربكم » ، فكأنه قال : ١٢٦/١
اعبدوا ربكم الخالقكم ، والخالق الذين من قبلكم ، الجاعل لكم الأرض فراشاً .
يعنى بذلك أنه جعل لكم الأرض مهاداً مُوطَّأً^(١) وقرَّراً يُستقرّ عليها . يُذكرُ ربنا جلّ ذكره - بذلك من قبلة - عبادةُ نعمته عندهم وآلاءه لديهم^(٢) ، ليذكروا أياديّه عندهم ، فينبوا إلى طاعته - تعطفاً منه بذلك عليهم ، ورأفةً منه بهم ، ورحمةً لهم ، من غير ما حاجة منه إلى عبادتهم ، ولكن ليتم نعمته عليهم ولعلمهم يهتدون .
٤٧٥ - كما حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة^(٣) ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « الذي جعل لكم الأرض فراشاً » فهي فراشٌ يُمشى عليها ، وهي المهاد والقرار^(٤) .
٤٧٦ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « الذي جعل لكم الأرض فراشاً » ، قال : مهاداً لكم .
٤٧٧ - حدثني المنثي ، قال : حدثنا إسحق ، عن عبد الله بن أبي جعفر ،

(١) في المطبوعة : « مهاداً وموطَّأً » ، وفي المخطوطة « مهاداً وتوتطاً » ، وكأن الصواب ما أثبتناه .
والموطَّأ : المهيأ الملين المهد . وسيأتي أن الفراش هو المهاد .

(٢) في المطبوعة « زيادة نعمه عندهم ، وآلائه لديهم » ، والصواب ما في المخطوطة . وقوله « عبادة » مقول : « يذكر ربنا . . . » .

(٣) قوله « وعن مرة » ، ساقطة من المطبوعة ، وهذا هو الصواب .

(٤) الخبر ٤٧٥ - في الدر المنثور ١ : ٣٤ ، والشوكاني ١ : ٣٨ .

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « الذي جعل لكم الأرض فراشاً » ، أى مهداً .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ بَنَاءً ﴾

قال أبو جعفر : وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكَّانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماءً . ولذلك قيل لسقف البيت : سماءة^(١) ، لأنه فوقه مرتفع عليه . ولذلك قيل : سماء فلان لفلان ، إذا أشرف له وقصد نحوه عالياً عليه ، كما قال الفرزدق :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِي وَأَهْلِهِ وَنَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقَاوِلُهُ^(٢)

وكما قال نابغة بنى ذبيان :

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ ، فَرَأَيْتُ مِنْهَا تُحَيَّتُ الْخُدْرَ وَاضِعَةَ الْقِرَامِ^(٣)

يريد بذلك : أشرفت لي نظرة وبدت . فكذاك السماءُ سُميت للأرض :

سماءً ، لعلوها وإشرافها عليها .

(١) في المطبوعة « سماءة » ، وكلتاها صواب ، سماء البيت ، وسماءته : سقفه .

(٢) ديوانه : ٧٣٥ ، والنقائض : ٦٠٠ . ونجران : أرض في مخاليف اليمن من ناحية مكة . وذكر نجران ، على لفظه وأصل معناه ، والنجران في كلام العرب : الحشبة التي يدور عليها رتاج الباب . وديث البعير : ذله بعض الذل حتى تذهب صعوبته . والمقاويل : جمع مقول . والمقول والقيل : الملك من مالك حير . يقول : هي أرض عز عزيز ، لم يلق ملوكها ضياءً ينظم ويحني هاماتهم .

(٣) ديوانه : ٨٦ ، وروايته : « صفحت بنظرة » . وقوله « صفحت » ، أى تصفحت الوجوه بنظرة ، أو ربيت بنظرة متصفحاً . والقرام : ستر رقيق فيه رقم ونقوش . والخدر : غشبات تنصب فوق قتب البعير مستورة بثوب ، وهو الهودج . ووضع الشيء : ألقاه . وتحيت : تصغير « تحت » ، وصغر « تحت » ، لأنه أراد أن ستر الخدر بمد وضع القرام لا يبدى منها إلا قليلاً ، وهذا البيت متعلق بما قبله وما بعده . وقيله :

فَلَوْ كَانَتْ غَدَاةَ الْبَيْنِ مَنَّتْ وَقَدْ رَفَعُوا الْخُدُورَ عَلَى الْخِيَامِ

صَفَحْتُ بِنَظْرَةٍ

تَرَائِبَ يَسْتَضِيهِ الْحُلَى فِيهَا كَجَمْرِ النَّارِ يُبْذَرُ فِي الظَّلَامِ

يريد بذلك : قلم لنا كُفُوفًا لنكف . وذلك أن « لعل » في هذا الموضع لو كان شكًا ، لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق .

• • •

القول في تأويل قوله : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا »

وقوله : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » مردود على « الذي » الأول في قوله « اعبدُوا ربكم الذي خلقكم » ، وهما جميعاً من نعت « ربكم » ، فكأنه قال : ١٢٦/١
اعبدُوا ربكم الخالقكم ، والخالق الذين من قبلكم ، الجاعل لكم الأرض فراشاً .
يعنى بذلك أنه جعل لكم الأرض مهاداً مَوْطَأً^(١) وَقَرَاراً يُسْقَرُ عليها . يُذَكَّرُ ربنا جل ذكره — بذلك من قبيله — عبادَه نُعمته عندهم وآلاءه لديهم^(٢) ، ليذكروا أياديه عندهم ، فينبوا إلى طاعته — تعطفاً منه بذلك عليهم ، ورأفةً منه بهم ، ورحمةً لهم ، من غير ما حاجة منه إلى عبادتهم ، ولكن ليُسم نعمته عليهم ولعلمهم يهتدون .
٤٧٥ — كما حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة^(٣) ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :
« الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » فهي فراشٌ يُمشى عليها ، وهي المهاد والقرار^(٤) .
٤٧٦ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » ، قال : مهاداً لكم .
٤٧٧ — حدثني المنثي ، قال : حدثنا إسحق ، عن عبد الله بن أبي جعفر ،

(١) في المطبوعة : « مهاداً وموطأ » ، وفي المخطوطة « مهاداً توتطأ » ، وكان الصواب ما أثبتناه .
والموطأ : المهيأ للملين المهمل . وسيأتى أن القراش هو المهاد .

(٢) في المطبوعة « زيادة نعمه عندهم » ، وآلائه لديهم » ، والصواب ما في المخطوطة . وقوله « عبادَه » مفعول : « يذكروا ربنا . . . » .

(٣) قوله « وعن مرة » ، ساقطة من المطبوعة ، وهذا هو الصواب .

(٤) الخبر ٤٧٥ — في الدر المنثور ١ : ٣٤ ، والشوكاني ١ : ٣٨ .

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « الذي جعل لكم الأرض فراشاً » ، أى مهداً .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ بَنَاءً ﴾

قال أبو جعفر : وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكَّانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماءً . ولذلك قيل لسقف البيت : سماءً^(١) ، لأنه فوقه مرتفعٌ عليه . ولذلك قيل : سماءُ فلان لفلان ، إذا أشرف له وقصد نحوه عالياً عليه ، كما قال الفرزدق :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِي وَأَهْلِهِ وَنَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقَاوِلُهُ^(٢)
وكما قال نابغة بنى ذبيان :

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ ، فَرَأَيْتُ مِنْهَا تُخَيِّتُ الْخَلْدَرَ وَاضِعَةَ الْقِرَامِ^(٣)
يريد بذلك : أشرفتُ لى نظرةً وبَدَت . فكل ذلك السماءُ سُميت للأرض :
سماً ، لعلوها وإشرافها عليها .

(١) في المطبوعة « سماء » ، وكلتاها صواب ، سماه البيت ، وسماوته : سقفه .
(٢) ديوانه : ٧٣٥ ، والنقائض : ٦٠٠ . ونجران : أرض في مخاليف اليمن من فاحية مكة . وذكر نجران ، على لفظه وأصل معناه ، والنجران في كلام العرب : الحشبة التي يدور عليها رتاج الباب . وديث البعير : ذله بعض الذل حتى تذهب صغويته . والمقاويل : جمع مقول . والمقول والقيول : الملك من ماله خير . يقول : هي أرض عز عزيز ، لم يلق ملوكها غنياً يذلهم ويخني هاماتهم .
(٣) ديوانه : ٨٦ ، وروايته : « صفحت بنظرة » . وقوله « صفحت » ، أى تصفحت الرجوع بنظرة ، أو رميت بنظرة متصفحاً . والقرام : ستر رقيق فيه رقم ونقوش . والخلد : خشبات تنصب فوق قتب البعير مستورة بطرب ، وهو الهودج . ووضع الشيء : ألقاه . وتخيت : تصغير « تحت » ، وصغر « تحت » ، لأنه أراد أن ستر الخلد بعد وضع القرام لا يبدى منها إلا قليلاً ، وهذا البيت متعلق بما قبله وما بعده . وقبله :

فَلَوْ كَانَتْ غَدَاةَ الْبَيْنِ مَنَّتْ وَقَدْ رَفَعُوا الْخُدُورَ عَلَى الْخِيَامِ

صَفَحْتُ بِنَظْرَةٍ

تَرَانِبَ يَسْتَضِيءُ الْحُلَى فِيهَا كَجَمْرِ النَّارِ يُذَرِّ فِي الظَّلَامِ

٤٧٨ - كما حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « والسماء بناء » ، فبناءُ السماء على الأرض كهيئة القبة ، وهي سقف على الأرض ^(١) .

٤٧٩ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة في قول الله : « والسماء بناء » ، قال : جعل السماء سقفاً لك .

ولما ذكر تعالى ذكره السماء والأرض فيما عدد عليهم من نعمه التي أنعمها عليهم ، لأن منهما أقواتهم وأرزاقهم ومعاشهم ، وبهما قوامُ دنيائهم . فأعلمهم أن الذي خلقهما وخلق جميع ما فيهما وما هم فيه من النعم ، هو المستحقّ عليهم الطاعة ، والمستوجبُ منهم الشكر والعبادة ، دون الأصنام والأوثان ، التي لا تنفع ولا تنفع .

• • •

القول في تأويل قول الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك أنه أنزل من السماء مطراً ، فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغرسهم ثمرات ^(٢) - رزقاً لهم ، غذاءً وأقواتاً . فنبههم بذلك على قدرته وسلطانه ، وذكّرهم به آلاءه لديهم ، وأنه هو الذي خلقهم ، وهو الذي يرزقهم ويكفلهم ، دون من جعلوه له نِدّاً وعِدلاً من الأوثان والآلهة .

(١) الخبر ٤٧٨ - في الدر المنثور ١ : ٣٤ ، جمه مع الخبر : ٧٥ ، خبراً واحداً .

(٢) في المخطوطة : « زرعهم وغرسهم » ، وما سواه .

ثُمَّ زَجَرَهُمْ عَنْ أَنْ يَجْعَلُوا لَهُ نِدًّا ، مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم ، وأنه لا نِدَّ له ولا عِدْل ، ولا لهم نافعٌ ولا ضارٌّ ولا خالقٌ ولا رازقٌ سِوَاهُ .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾

١٢٧/١ قال أبو جعفر : والأنداد جمع نِدَّة ، والنَّدَّة : العِدْلُ والمِثْلُ ، كما قال حسان ابن ثابت :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ نِدَّةٌ ؟ فَشَرُّكُمْ خَيْرٌ كَمَا الْفِدَاءُ^(١)

يعنى بقوله : «ولست له بندة» ، لست له بمثلٍ ولا عِدْلٍ . وكل شيء كان نظيراً لشيءٍ وله شبيهاً فهو له ند^(٢) .

٤٨٠ - كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : «فلا تجعلوا لله أنداداً» ، أى عدلاء .

٤٨١ - حدثني المنفى ، قال : حدثني أبو حذيفة ، قال : حدثنا شيبان ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : «فلا تجعلوا لله أنداداً» ، أى عدلاء^(٣) .

٤٨٢ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : «فلا تجعلوا لله أنداداً» ، قال : أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله^(٤) .

(١) ديوانه : ٨ ، روايته «بكف» ، وكذلك في رواية الطبري الآتية (١٨ : ٦٩ - ٧٠ بولاق) وقصيدة حسان هذه ، يهاجى بها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، قبل إسلامه ، وكان هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) في المطبوعة : «كان نظيراً لشيء وشبيهاً» .

(٣) الأثر ٤٨١ - في الدر المنثور ١ : ٣٥ ، والعدلاء : جمع عدل ، وهو النظير والمثيل ، كالعديل .

(٤) الخبر ٤٨٢ - في الدر المنثور ١ : ٣٤ - ٣٥ ، والشركاؤا ١ : ٣٩ .

٤٨٣ - حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد^(١) في قول الله : « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، قال : الأنداد : الآلهة التي جعلوها معه ، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له .

٤٨٤ - حدثت عن المنجاب، قال : حدثنا بشر ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله : « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، قال : أشباهاً^(٢) .

٤٨٥ - حدثني محمد بن سنان ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة : « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، أن تقولوا : لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار ، لولا كلبنا صاح في الدار ، ونحو ذلك^(٣) .

فهام الله تعالى أن يُشركوا به شيئاً ، وأن يعبدوا غيره ، أو يتخذوا له نِدّاً وعِدلاً في الطاعة ، فقال : كما لا شريك لي في خلقكم ، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ، ونعمي التي أنعمتها عليكم^(٤) - فكذاك فأفردوا لي الطاعة ،

(١) في المطبوعة : « ابن يزيد » ، وهو خطأ .

(٢) الخبر ٤٨٤ - في الدر المنثور ١ : ٣٤ ، والشوكاني ١ : ٣٩ .

(٣) الأثر ٤٨٥ - جاء مثله في خبر عن ابن عباس في ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والشوكاني ١ : ٣٩ . وفي المطبوعة : « أي تقولوا : لولا كلبنا . . . » ، وليست بشيء . وفي المخطوطة « ونحو هذا » مكان « ونحو ذلك » . والخبر الذي في ابن كثير ، ساقه مطولاً بالإسناد من تفسير ابن أبي حاتم ، من طريق الضحاك بن محمد ، وهو أبو عاصم النبيل الذي في هذا الإسناد ، عن شبيب ، وهو ابن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، ولعل الطبري قصر بهذا الإسناد ، لأنه يروى مثل هذه الروايات ، بهذا الإسناد إلى عكرمة ، عن ابن عباس ، كما مضى برقم : ١٥٧ . وعن ذلك إعراض ابن كثير عن نقل رواية الطبري ، واختياره رواية ابن أبي حاتم . وسياق رواية ابن أبي حاتم - عن ابن عباس - فيها فوائد جمة . ولفظها : « قال : الأنداد ، هو الشرك ، أخفى من ديب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل . وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلان ، وحياتي ، ويقول : لولا كلبة هذا لأتانا القصوص الباردة ، ولولا البط في الدار لأتني القصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت . وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها « فلان » . هذا كله به شرك » . ثم قال ابن كثير : « وفي الحديث : أن رجلاً قال لرسول صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ! قال : أجمعتني لله نداً ؟ ! » . والحديث الذي يشير إليه ابن كثير ، رواه أحد في المسند بأسانيده صحاح ، عن ابن عباس : ١٨٣٩ ، ١٩٦٤ ، ٢٥٦١ ، ٣٢٤٧ . وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد ص : ١١٦ ونسبه الحافظ ابن حجر في الفتح ١١ : ٤٧٠ للنسائي وابن ماجة .

(٤) في المطبوعة : « ونعمي » بالإفراد .

وأخلصوا لي العباد ، ولا تجعلوا لي شريكاً ونيداً من خلقى ، فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم فنى^(١) .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢)

اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بهذه الآية :

فقال بعضهم : عَنَى بها جميع المشركين من مُشركى العرب وأهل الكتاب .

وقال بعضهم : عَنَى بذلك أهل الكتابين ، أهل التوراة والإنجيل^(٢) .

ذكر من قال : عَنَى بها جميع عبدة الأوثان من العرب وكفار

أهل الكتابين :

٤٨٦ — حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن

إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد

ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نزل ذلك فى الفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين .

ولمّا عَنَى تعالى ذكره بقوله : « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » ، أى لا تشركوا

بالله غيره من الأنداد التى لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم

غيره ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه^(٣) .

٤٨٧ — حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله :

« وأنتم تعلمون » أى تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض ، ثم تجعلون

له أنداداً^(٤) .

(١) فى المطبوعة : « . . . كل نعمة عليكم فنى » . وهذه أجود .

(٢) فى المطبوعة : « أهل الكتابين التوراة والإنجيل » .

(٣) الخبر ٤٨٦ — مضى صدره فى رقم : ٤٧٢ ، وتامه فى ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والله

المشور ١ : ٣٤ ، والشوكانى ١ : ٣٩ .

(٤) الأثر ٤٨٧ — فى الدر المشور ١ : ٣٥ .

ذكر من قال : عفى بذلك أهل الكتابين :

٤٨٨ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » ، أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .
٤٨٩ - حدثني المنثي بن إبراهيم ، قال : حدثنا قبيصة ، قال : حدثنا سفيان ، عن مجاهد ، مثله ^(١) .

٤٩٠ - حدثني المنثي ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شيبيل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « وأنتم تعلمون » ، يقول : وأنتم تعلمون أنه لاند له في التوراة والإنجيل ^(٢) .

قال أبو جعفر : وأحسب أن الذي دَعَا مجاهداً إلى هذا التأويل ، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم - الظنُّ منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها ، بمحودها وحدانية ربها ، وإشراكها معه ١٢٨/١ في العبادة غيره . وإن ذلك لقول ! ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنها كانت تُقر بوحديته ، غير أنها كانت تُشرك في عبادته ما كانت تُشرك فيها ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة الزمر : ٨٧] ، وقال : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ ، فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس : ٣١] .

(١) الإسناد ٤٨٩ - قبيصة ، بفتح القاف : هو ابن عقبة بن محمد السوائي الكوفي ، وهو ثقة معروف ، من شيوخ البخاري ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة ، تكلم بعضهم في روايته عن سفيان الثوري ، بأنه يخطئ في بعض روايته ، بأنه سمع من الثوري صغيراً ، ولكن لم يجره البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٧٧ ، وقال ابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٨١ : « كان ثقة صدوقاً ، كثير الحديث عن سفيان الثوري » . وسأل ابن أبي حاتم (المرح ٣ / ٢ / ١٢٦) أبيه عن قبيصة وأبي حذيفة ، فقال : « قبيصة أجل عندي ، وهو صدوق . لم أر أحداً من المحدثين يأتي بالحديث على لفظ واحد لا يفريه ، سوى قبيصة بن عقبة ، وعمل بن الجعد ، وأبي نعيم - في الثوري » .

(٢) الاثر ٤٩٠ - ذكره ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٥ ، بنحوه .

فالذى هو أولى بتأويل قوله : « وأنتم تعلمون » — إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحداية الله ، وأنه مُبدعُ الخلق وخالقهم ورازقهم ، نظيرَ الذى كان من ذلك عند أهل الكتابين ، ولم يكن فى الآية دلالة على أن الله جل ثناؤه عني بقوله : « وأنتم تعلمون » أحدَ الحزبين ، بل مُخرَجُ الخطاب بذلك عامٌ للناس كافةً لهم ، لأنه تحدّى الناس كلهم بقوله : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » — أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة ، من أنه يعنى بذلك كل مكلف ، عالم بوحداية الله^(١) ، وأنه لا شريك له فى خلقه ، يُشرك معه فى عبادته غيره ، كائناً من كان من الناس ، عربياً كان أو أعجمياً ، كاتباً أو أمياً ، وإن كان الخطابُ لكفار أهل الكتاب الذين كانوا حوالى دار هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل النفاق منهم ، ومن بين ظهرائهم ممن كان مشركاً فانتقل إلى النفاق بمقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا من الله عز وجل احتجاجٌ لنبى محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى قومه من العرب ومنافقيهم ، وكفار أهل الكتاب وُضلائهم ، الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه : « إن الذين كفروا ساءَ عليهم أُنذرتهم أم لم تنذرهم » ، ولإيهم يخاطب بهذه الآيات ، وُضرباءهم يعنى بها^(٢) ، قال الله جل

(١) فى المخطوطة : « من أنه معنى بذلك . . . » ، ربما ساء .

(٢) فى المطبوعة : « وأخبر بأهم نعمتها » ، وهى فى المخطوطة « وحرّام معنى بها » غير منقوطة ولا بيّنة ، فاختار المصححون لها قراءة لا تحمل معنى ! والضرباء : جمع ضريب ؛ فلان ضريب فلان : نظيره أو مثله .

ذكر من قال : عنى بذلك أهل الكتابين :

٤٨٨ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » ، أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .
٤٨٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا قبيصة ، قال : حدثنا

سفيان ، عن مجاهد ، مثله ^(١) .

٤٩٠ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شيبيل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : « وأنتم تعلمون » ، يقول : وأنتم تعلمون أنه لاند له في التوراة والإنجيل ^(٢) .

قال أبو جعفر : وأحسب أن الذي دعا مجاهداً إلى هذا التأويل ، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم - الظن منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها ، بحدودها وحدانية ربها ، وإشراكها معه في العبادة غيره . وإن ذلك لقول ! ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنها كانت تُقر بوحديته ، غير أنها كانت تُشرك في عبادته ما كانت تُشرك فيها ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة الزمر : ٨٧] ، وقال : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس : ٣١] .

(١) الإسناد ٤٨٩ - قبيصة ، بفتح القاف : هو ابن عقبة بن محمد السوائي الكوفي ، وهو ثقة معروف ، من شيوخ البخاري ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة ، تكلم بعضهم في روايته عن سفيان الثوري ، بأنه يخطئ في بعض روايته ، بأنه سمع من الثوري صغيراً ، ولكن لم يجرسه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٧٧ ، وقال ابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٨١ : « كان ثقة صدوقاً ، كثير الحديث عن سفيان الثوري » . وسأل ابن أبي حاتم (المرج ٣ / ٢ / ١٢٦) أباه عن قبيصة وأبي حذيفة ، فقال : « قبيصة أجل عندي ، وهو صدوق . لم أر أحداً من المحدثين يأتي بالحديث على لفظ واحد لا يغيره ، سوى قبيصة بن عقبة ، وطى بن الجعد ، وأبي نعم - في الثوري » .

(٢) الأثر ٤٩٠ - ذكره ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٥ ، بنحوه .

فالذى هو أولى بتأويل قوله : « وأنتم تعلمون » — إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحداية الله ، وأنه مُبدعُ الخلق وخالقهم ورازقهم ، نظير الذى كان من ذلك عند أهل الكتابين ، ولم يكن فى الآية دلالة على أن الله جل ثناؤه عنى بقوله : « وأنتم تعلمون » أحدَ الحزبين ، بل مُخرَج الخطاب بذلك عامًّا للناس كافةً لهم ، لأنه تحدّى الناس كلهم بقوله : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » — أن يكون تأويلُهُ ما قاله ابنُ عباس وقتادة ، من أنه يعنى بذلك كل مكلف ، عالم بوحداية الله ^(١) ، وأنه لا شريكَ له فى خلقه ، يُشركَ معه فى عبادته غيره ، كائناً من كان من الناس ، عربياً كان أو أعجمياً ، كاتباً أو أمياً ، وإن كان الخطابُ لكفار أهل الكتاب الذين كانوا حوالى دار هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل النفاق منهم ، ومن بينَ ظهرائهم ممن كان مشركاً فانتقل إلى النفاق بمقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا من الله عز وجل احتجاجٌ لنبى محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى قومه من العرب ومنافقيهم ، وكفار أهل الكتاب وضالّهم ، الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه : « إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنزلتهم أم لم تنزلهم » ، ولما هم يخاطب بهذه الآيات ، وضرباءهم يعنى بها ^(٢) ، قال الله جلّ

(١) فى المخطوطة : « من أنه معنى بذلك . . . » ، رها سواء .

(٢) فى المطبوعة : « وأعبر بأهم نعمتها » ، وهى فى المخطوطة « وحرانهم يعنى بها » غير منقوطة ولا بيّنة ، فاختر المصححون لها قراءة لا تحمل معنى ! والضرباء : جمع ضريب ؛ فلان ضريب فلان : نظيره أو مثله .

ثناؤه لهم : وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين ، في شك^١ - وهو الريب - مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والبرهان وآيات الفرقان : أنه من عندى ، وأنتى الذى أنزلته إليه ، فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول ، فأتوا بحجة تدفع حجته ، لأنكم تعلمون أن حجة كل ذى نبوة على صدقه في دعواه النبوة : أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق . ومن حجة محمد صلى الله عليه وسلم على صدقه ، وبرهانه على حقيقة نبوته^(١) ، وأن ما جاء به من عندى - أعجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم ، عن أن تأتوا بسورة من مثله . وإذا عجزتم عن ذلك - وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والذراية^(٢) - فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز . كما كان برهان من سلف من رُسل وأنبياء على صدقه ، وحجته على نبوته من الآيات ، ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلقى . فيقرر حينئذ عندكم أن محمداً لم يتقوله ولم يختلفه ، لأن ذلك لو كان منه اختلاقاً وتقوُّلاً لم تعجزوا وجميع خلقى عن الإتيان بمثله . لأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يعد أن يكون بشراً مثلكم ، وفي مثل حالكم في الجسم وبسطة الخلق وذراية اللسان - فيمكن أن يُظن به اقتدار على ما عجزتم عنه ، أو يتوهم منكم عجز عما اقتدر عليه . ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « فأتوا بسورة من مثله » .

٤٩١ - فحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة :

« فأتوا بسورة من مثله » ، يعنى : من مثل هذا القرآن حقاً وصدقاً ، لا باطل فيه ١٢٩/١ ولا كذب .

٤٩٢ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

(١) في المطبوعة : « وبرهانه على نبوته » .

(٢) في المطبوعة : « والذراية » ، ولا معنى لها هنا ، وستأتى بعد أسطر على الصواب . والذراية :

الحدة في كل شيء ، وحدة اللسان وفصاحته ولده . ذرب الرجل يذرب ذرباً وذراية : فصح وصار حديد اللسان ، فهو ذرب اللسان (يفتح الدال وكسر الراء) .

معمر، عن قتادة في قوله: «فأتوا بسورة من مثله»، يقول: بسورة مثل هذا القرآن^(١).
 ٤٩٣ — حدثني محمد بن عمرو الباهلي، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى
 ابن ميمون، عن عبد الله بن أبي نجيع، عن مجاهد: «فأتوا بسورة من مثله»،
 مثل القرآن.

٤٩٤ — حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن
 ابن أبي نجيع، عن مجاهد، مثله.

٤٩٥ — حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن
 ابن جريج، عن مجاهد: «فأتوا بسورة من مثله»، قال: «مثله» مثل القرآن^(٢).
 فمضى قول مجاهد و قتادة الذي ذكرنا عنهما^(٣): أن الله جلّ ذكره قال لمن
 حاجه في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار: «فأتوا بسورة من مثل هذا
 القرآن من كلامكم أيتها العرب»، كما أتى به محمد بلغاتكم ومعاني منطقتكم.
 وقد قال قوم آخرون: إن معنى قوله: «فأتوا بسورة من مثله»، من مثل محمد
 من البشر، لأن محمداً بشر مثلكم^(٤).

قال أبو جعفر: والتأويل الأول، الذي قاله مجاهد و قتادة، هو التأويل
 الصحيح. لأن الله جل ثناؤه قال في سورة أخرى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا
 بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [سورة يونس: ٣٨]، ومعلوم أن السورة ليست لمحمد بنظير ولا
 شبيهه، فيجوز أن يقال: فأتوا بسورة مثل محمد.
 فإن قال قائل: فلذلك ذكرت أن الله عني بقوله^(٥): «فأتوا بسورة من مثله»،

(١) الأثر ٤٩٢ — في الدر المنثور ١: ٣٥، والشوكاني ١: ٤٠.

(٢) الآثار ٤٩٣ — ٤٩٥ في الدر المنثور ١: ٣٥، والشوكاني ١: ٤٠، وابن كثير

١: ١٠٨.

(٣) في المطبوعة: «الذين ذكرنا عنهما».

(٤) يعني فأتوا بسورة من عند بشر مثل محمد.

(٥) في المطبوعة: «إنك ذكرت»، بغير فاء.

من مثل هذا القرآن ، فهل للقرآن من مثل فيقال : ائتوا بسورة من مثله ؟
 قيل : إنه لم يعن به : ائتوا بسورة من مثله في التأليف والمعاني التي باين بها
 سائر الكلام غيره ، وإنما عني : ائتوا بسورة من مثله في البيان ، لأن القرآن أنزله
 الله بلسان عربي ، فكلام العرب لا شك له مثل في معنى العربية . فأما في المعنى
 الذي باين به القرآن سائر كلام المخلوقين ، فلا مثل له من ذلك الوجه ولا نظير
 ولا شبيه .

وإنما احتج الله جل ثناؤه عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم بما احتج به له عليهم
 من القرآن^(١) ، إذ ظهر عجز القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله في البيان ، إذ
 كان القرآن بياناً مثل بيانهم ، وكلاماً نزل بلسانهم ، فقال لهم جل ثناؤه : وإن
 كنتم في ريب من أن ما أنزلت على عبدى من القرآن من عندى ، فأتوا بسورة
 من كلامكم الذى هو مثله في العربية ، إذ كنتم عرباً ، وهو بيان نظير بيانكم ،
 وكلام شبيه كلامكم . فلم يكلفهم جل ثناؤه أن يأتوا بسورة من غير اللسان الذى
 هو نظير اللسان الذى نزل به القرآن ، فيقدروا أن يقولوا : كلفتنا ما لو أحسنناه
 أتينا به ، وإنا لا نقدر على الإتيان به لأننا لسنا من أهل اللسان الذى كلفتنا الإتيان
 به ، فليس لك علينا بهذا حجة^(٢) . لأننا — وإن عجزنا عن أن نأتى بمثله من غير
 ألستنا لأننا لسنا من أهله^(٣) — فى الناس خلق كثير من غير أهل لساننا يقدر على
 أن يأتى بمثله من اللسان الذى كلفتنا الإتيان به . ولكنه جل ثناؤه قال لهم : ائتوا
 بسورة من مثله ، لأن مثله من الألسن ألسنكم^(٤) . وأنتم — إن كان محمد اختلقه
 واقتراه ، إذا اجتمعتم وتظاهرتُم على الإتيان بمثل سورة منه من لسانكم وبيانكم —

(١) في المطبعة : « بما احتج له عليهم » ، أسقط « به » .

(٢) في المطبعة : « حجة بهذا » هل التأخير .

(٣) في المطبعة : « لسنا بأهله » .

(٤) في المطبعة : « ألسنكم » .

أَقْدَرُ عَلَى اخْتِلَاقِهِ وَتَأْلِيفِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) ، وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أَقْدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَلَنْ تَعْجِزُوا - وَأَنْتُمْ جَمِيعٌ - عَمَّا قَدَّرَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ وَحِيدٌ^(٢) ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ وَزَعْمِكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ وَاخْتَلَقَهُ ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِي .

• • •

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِمَا :

٤٩٦ - حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : « وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ » ، يَعْنِي أَعْوَانَكُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

١٣٠/١

٤٩٧ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : « وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ » ، نَاسٌ يَشْهَدُونَ .

٤٩٨ - حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، مِثْلَهُ .

٤٩٩ - حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : قَوْمٌ يَشْهَدُونَ لَكُمْ .

(١) يَقُولُ : « وَأَنْتُمْ . . . أَقْدَرُ عَلَى اخْتِلَاقِهِ . . . » ، مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ ، وَمَا بَيْنَهُمَا فَصْلٌ . وَفِي الْمَطْبُوعَةِ مَكَانُ « وَرَصَفَهُ » ، « وَوَضَعَهُ » . وَالرَّصْفُ : ضَمُّ الشَّيْءِ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَنَقْلُهُ وَإِحْكَامُهُ حَتَّى يَسْتَوِيَ . وَمِنْهُ : كَلَامُ رَصِيفٍ : أَيْ مُحْكَمٌ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ .

(٢) فِي الْمَطْبُوعَةِ « وَهُوَ وَحْدَهُ » ، وَهَذِهِ أَجْوَدُ .

٥٠٠ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وادعوا شهداءكم » ، قال : ناس يشهدون . قال ابن جريج : « شهداءكم » عليها إذا أتيتم بها - أنها مثلته ، مثل القرآن ^(١) .

وذلك قول الله لمن شك من الكفار فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله « فادعوا » ، يعنى : استنصروا واستغيثوا ^(٢) ، كما قال الشاعر :

فَلَمَّا التَقْتُ فُرْسَانَنَا وَرَجَالَهُمْ دَعَوًا : يَا لَكَعْبٍ أَوَاعِزَيْنَا لِعَامِرٍ ^(٣)

يعنى بقوله : « دعوًا يا لكعب » ، استنصروا كعباً واستغاثوا بهم ^(٤) .

وأما الشهداء ، فإنها جمع شهيد ، كما الشركاء جمع شريك ^(٥) ، والخطباء جمع خطيب . والشهيد يسمى به الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه . وقد يسمى به المشاهد للشيء ، كما يقال : فلان جليس فلان - يعنى به مجالسته ، ونديمه - يعنى به مناديه ، وكذلك يقال : شهيد - يعنى به مُشاهدَه .

فإذا كانت « الشهداء » محتملة أن تكون جمع « الشهيد » الذى هو منصرف للمعنيين اللذين وصفت ، فأولى وجهيه بتأويل الآية ما قاله ابن عباس ، وهو أن يكون معناه : واستنصروا على أن تأتوا بسورة من مثله أعوانكم وشهداءكم الذين يُشاهدونكم ويُعاونونكم على تكذيبكم الله ورسوله ، ويُظاهرونكم على كفركم ونفاقكم ، إن كنتم مُحَقِّقِينَ في جُحُودكم أن ما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم اختلاق وافتراء ، لمتنحنوا أنفسكم وغيركم : هل تقلدرون على أن تأتوا بسورة من

(١) الآثار ٤٩٦ - ٥٠٠ : في ابن كثير ١ : ١٠٨ بعضها ، والدر المنثور ١ : ٣٥ ، والشوكاني ١ : ٤٠ ، وفي المخطوطة في بعض المواضع : « أناس » مكان « ناس » ، وهما سواء .

(٢) في المطبوعة : « واستعينوا » ، وهما متقاربتان ، والأول أجود ، وهى كذلك في معاني القرآن لفراء ١ : ١٩ .

(٣) البيت الراعى النيرى ، اللسان (عزا) . واعتزى : انتسب ، ودعا في الحرب بمثل قوله : يا لفلان ، أو يا للهاجرين ، أو يا للأتصار ، والاسم العزاء والعزوة ، وهى دعوى المستغيث .

(٤) في المطبوعة : « واستعانوا » ، كما سلف في أخنها قبل .

(٥) في المطبوعة : « كالشركاء » .

مثله ، فيقدر محمد على أن يأتي بجميعه من قبيل نفسه اختلاقاً ؟
وأما ما قاله مجاهد وابن جريج في تأويل ذلك ، فلا وجه له . لأن القوم كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافاً ثلاثة : أهل إيمان صحيح ، وأهل كفر صحيح ، وأهل نفاق بين ذلك . فأهل الإيمان كانوا بالله وبرسوله مؤمنين ، فكان من المحال أن يدعى الكفار أن لهم شهداء — على حقيقة ما كانوا يأتون به ، لو أتوا باختلاق من الرسالة ، ثم ادعوا أنه للقرآن نظير — من المؤمنين ^(١) . فأما أهل النفاق والكفر ، فلا شك أنهم لو دُعوا إلى تحقيق الباطل وإبطال الحق لتارعوا إليه مع كفرهم وضلالهم ^(٢) ، فمن أى الفريقين كانت تكون شهداؤهم لو ادعوا أنهم قد أتوا بسورة من مثل القرآن ^(٣) ؟

ولكن ذلك كما قال جل ثناؤه : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [سورة الإسراء : ٨٨] ، فأخبر جل ثناؤه في هذه الآية ، أن مثل القرآن لا يأتي به الجن والإنس ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان به ، وتحداهم بمعنى التوبيخ لهم في سورة البقرة فقال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » . يعنى بذلك : إن كنتم في شك في صدق محمد فيما جاءكم به من عندى أنه من عندى ، فأتوا بسورة

١٣١/١

- (١) قوله « من المؤمنين » متعلق بقوله آخفاً « أن لهم شهداء . . . » ، يعنى شهداء من المؤمنين .
ثم فصل ، لأن قوله « على حقيقة ما كانوا يأتون به . . . » متعلق أيضاً ، بشهداء .
(٢) في المطبوعة : « لتارعوا إليه مع كفرهم وضلالهم » . وتترع إلى الشيء : تسرع إليه ، يقال في التسرع إلى الشر وما لا ينهى . وما في المخطوطة « لتارعوا » صحيح في اشتقاق العربية ، وإن لم تذكر المعاجم ، وهو مثل تسرع وتسارع ، سواء .
(٣) في المطبوعة « فمن أى الفرق . . . » ، وكلام الطبرى استفهام واستنكار . لأن من المحال أن يشهد المؤمنون على هذا الباطل ، والكفار وأهل النفاق يتسرعون إلى الشهادة بالباطل لإبطال الحق ، فكان محالاً أن يكون معنى « الشهداء » هنا : الذين يشهدون لهم ، أن ما جاءوا به نظير ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى . وصار حتماً أن يكون معنى « الشهداء » : الذين يظاهرونهم ويعاونونهم ، كما جاء في الآية التالية .

من مثله ، وليستنصر بعضكم بعضاً على ذلك إن كنتم صادقين في زعمكم ، حتى تعلموا أنكم إذ عجزتم عن ذلك — أنه لا يقدر على أن يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا من البشر أحدٌ ، ويصحَّ عندكم أنه تنزِيلٌ وَحِيٌّ إلى عبدي .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله : « فإن لم تفعلوا » ، إن لم تأتوا بسورة من مثله ، فقد تظاهرت أنتم وشركاؤكم عليه وأعوانكم ^(١) ، فبين لكم بامتحانكم واختباركم عجزكم وعجزُ جميع خلقي عنه ، وعلمتم أنه من عندي ، ثم أقسمت على التكذيب به . وقوله : « ولن تفعلوا » ، أي لن تأتوا بسورة من مثله أبداً .

٥٠١ — كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة :

« فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » ، أي لا تقدرّون على ذلك ولا تطيقونه ^(٢) .

٥٠٢ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد

ابن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » ، فقد بين لكم الحق ^(٣) .

(١) في المخطوطة : « وقد تظاهرت » ، وما في المخطوطة أجود ، وسيأتي بعد قليل بيان ذلك .

(٢) الأثر ٥٠١ — ذكره السيوطي ١ : ٣٥ بنحوه ، ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير . وكتب فيه خطأ مطبعياً « ابن جرير » .

(٣) الأثران ٥٠١ ، ٥٠٢ — في الدر المنثور ١ : ٣٥ ، والشوكاني ١ : ٤٠ . ولفظ الطبري في تفسير هذه الآية وفي التي تليها ، وما استدلل به من الأثر الأخير ، يدل على أنه يرى أن جواب انشروط محذوف ، لأنه معلوم قد دل عليه السياق ؛ وجواب الشرط « فقد بين لكم الحق » ، وأقسم على التكذيب به وبرسولي ، ثم قال مستأنفاً : « فأتقوا أن تصلوا النار بتكذيبكم رسولاً ، أنه جاءكم بوحى وتنزيل ، بعد أن تبين لكم أنه كتابي ومن عندي » .

ولم أجد من تنبه لهذا غير الزمخشري ، فإنه قال في تفسير الآية من كتابه « الكشاف » ما نصه : « فإن قلت : ما معنى اشتراطه في انتفاء النار ، انتفاء إتيانهم بسورة من مثله ؟ قلت : إنهم إذا لم يأتوا بها ،

. . .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله « فاتقوا النار » ، يقول : فاتقوا أن تصلّوا النار بتكذيبكم رسولى بما جاءكم به من عندى أنه من وحيى وتنزلى ، بعد تبينكم أنه كتابى ومن عندى ، وقيام الحجة عليكم بأنه كلامى ووحى ، بعجزكم وعجز جميع خلقى عن أن يأتوا بمثله .

ثم وصف جل ثناؤه النار التى حذرهم صليّتها فأخبرهم أن الناس وقودها ، وأن الحجارة وقودها ، فقال : « التى وقودها الناس والحجارة » ، يعنى بقوله : « وقودها » حطبها ، والعرب تجعله مصدراً وهو اسم ، إذا فتحت الواو ، بمترلة الحطب . فإذا ضمت الواو من « الوقود » كان مصدراً من قول القائل : وقّدت النار فهى تقيد وقوداً وقيدةً ووَقْداناً ووَقْداً ، يراد بذلك أنها التهمت .

فلأن قال قائل : وكيف تُخصّص الحجارة فقرنت بالناس ، حتى جعلت لنار

جهنم حطباً ؟

وتبين عجزهم عن المعارضة ، صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا صح عندهم صدقه ، ثم لزوا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا ، استوجبوا العقاب بالنار . فقيل لهم : إن استبتم العجز فاتركوا العناد . فوضع « فاتقوا النار » موضعه ، لأن اتقاء النار لصيقه وضيقه ترك العناد ، من حيث إنه من نتائجها . لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه : « إن أردتم الكرامة عندى ، فاحذروا سخطى » . يريد : فأطيعونى واتبعوا أمرى ، وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط . وهو من باب الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة . وفائدته : الإيجاز ، الذى هو حلية القرآن ، وتهويل شأن العناد ، بإثابة اتقاء النار منابه ، وإبرازه فى صورته ، مشياً ذلك بتهويل صفة النار وتقطيع أمرها .
فقد تبين بهذا مراد الطبرى ، وأنه أراد أن يبين أن اتقاء النار غير داخل فى الشرط ، ولا هو من جوابه ، ليخرج بذلك من أن يكون معنى الكلام : قصر اتقائهم النار ، على عجزهم عن الإتيان بمثله . وتفسير الأتى دال على هذا المعنى تمام الدلالة . وهو من دقيق نظر الطبرى رحمه الله وغفر للزحشرى .

قيل : إنها حجارة الكبريت ، وهي أشد الحجارة - فيما بلغنا - حرّاً إذا أحييت .

٥٠٣ - كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة الزرّاد ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، في قوله : « وقودها الناس والحجارة » ، قال : هي حجارة من كبريت ، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا ، يُعدها للكافرين .

٥٠٤ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا ابن عُيينة ، عن مسعر ، عن عبد الملك الزرّاد ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود ، في قوله : « وقودها الناس والحجارة » ، قال : حجارة الكبريت ، جعلها الله كما شاء ^(١) .

(١) الخبر ٥٠٣ ، ٥٠٤ - مسعر ، بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين : هو ابن كدام - بكسر الكاف وتخفيف الدال ، وهو ثقة معروف ، أحد الأعلام . عبد الملك بن ميسرة الهلالي الكوفي الزرّاد ، نسبة إلى عمل الزرود : ثقة كثير الحديث ، من صفار التابعين . عبد الرحمن بن سابط الجهمي المكي : تابعي ثقة . عمرو بن ميمون الأودي : من كبار التابعين المخضرين ، كان مسلماً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يره .

وهذا الخبر رواه الطبري بهذين الإسنادين وبالإسناد الآتي : ٥٠٧ . وفي الأول والثالث أن عبد الملك ابن ميسرة يرويه عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون ، وفي الثاني : ٥٠٤ « عبد الملك الزرّاد عن عمرو بن ميمون » مباشرة ، بحذف « عبد الرحمن بن سابط » . ولو كان هذا الإسناد وحده لحمل على الاتصال ، لوجود المعاصرة ، فإن عبد الملك الزرّاد يروي عن ابن عمر المتوفى سنة ٧٤ ، وعمرو بن ميمون مات سنة ٧٤ أو ٧٥ . ولكن هذين الإسنادين : ٥٠٣ ، ٥٠٤ دلا على أنه إنما رواه عن عبد الرحمن ابن سابط عن عمرو بن ميمون .

والخبر رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٦١ ، من طريق محمد بن عبيد عن مسعر عن عبد الملك الزرّاد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود . فهذه طريق ثالثة تؤيد الطريقتين اللذين فيهما زيادة عبد الرحمن في الإسناد . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير ١ : ١١٠ - ١١١ من رواية الطبري ، ونسبه لابن أبي حاتم والحاكم ، ونقل تصحيحه إياه ولم يتعقبه . وذكره السيوطي ١ : ٣٦ وزاد نسبه إلى : عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، والفریابی ، وهناد بن السري في كتاب الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب .

٥٠٥ - حدثني موسى بن هرون، قال : حدثنا عمرو بن حماد، قال : حدثنا أسباط، عن السُّدِّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار التي وَقودُها الناس والحجارة » ، أما الحجارة ، فهي حجارة في النار من كبريت أسود ، يُعذبون به مع النار ^(١) .

٥٠٦ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله : « وَقودُها الناس والحجارة » ، قال : حجارة من كبريت أسود في النار ، قال : وقال لي عمرو بن دينار : حجارة أصلب من هذه وأعظم ^(٢) .

٥٠٧ - حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن مسعر ، عن عبد الملك ابن ميسرة ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : حجارة من الكبريت خلقها الله عنده كيف شاء وكما شاء ^(٣) .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(١)

١٣٢/١ قد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا ، على أن « الكافر » في كلام العرب ، هو الساتر شيئاً بغطاء ^(٤) ، وأن الله جل ثناؤه إنما سمى الكافر كافراً ، لحدوده آلاءه عنده ، وتغطيته نعماءه قبيله .

فمعنى قوله إذاً : « أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » ، أَعِدَّتْ النَّارُ لِلْجَاهِلِينَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ الْمُتَوَحِّدُ بِخَلْقِهِمْ وَخَلَقَ الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، الَّذِي جَعَلَ لَهُمُ الْأَرْضَ فَرَاشاً ، وَالسَّمَاءَ

(١) الخبر ٥٠٥ - ذكره ابن كثير ١ : ١١١ دون أن ينسبه ، والسيوطي ١ : ٣٦ ، ونسبه لابن جرير رحمه .

(٢) الأثر ٥٠٦ - في ابن كثير ١ : ١١١ دون نسبة .

(٣) الخبر ٥٠٧ - سبق تفصيل إخراجهم مع ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

(٤) انظر ما مضى : ٢٥٥ .

بناءً ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم - المشركين معه في عبادته الأنداد والآلهة^(١) ، وهو المتضرد لهم بالإنشاء ، والمتوحد بالآقوات والأرزاق^(٢) .

٥٠٨ - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس : « أعدت للكافرين » ، أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر^(٣) .

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتِمْلُوا الصَّالِحِينَ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

قال أبو جعفر : أما قوله تعالى : « وبشر » ، فإنه يبنى : أخبرهم . والبشارة أصلها الخبر بما يُسرُّ به المخبر ، إذا كان سابقاً به كل مخبر سواه .

وهذا أمر من الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بإبلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه ، وصدقوا لإيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة ، فقال له : يا محمد ، بشر من صدقتك أنك رسول - وأن ما جئت به من الهدى والنور فن عندى ، وحققت تصديقه ذلك قولاً بأداء الصالح من الأعمال التى افترضتها عليه ، وأوجبتها فى كتابى على لسانك عليه - أن له جنات تجري من تحتها الأنهار ، خاصة ، دون من كذب بك وأنكر ما جئته به من الهدى من عندى وعاندك^(٤) ، ودون من أظهر تصديقك^(٥) ، وأقر

(١) قوله « المشركين » من صفة قوله آتياً : « الجاحدين » .

(٢) فى المخطوطة : « بالآلهاء » ، وهو خطأ .

(٣) الخبر ٥٠٨ - فى ابن كثير ١ : ١١١ ، والدر المنثور ١ : ٣٦ ، والشوكانى ١ : ٤١ .

(٤) فى المخطوطة : « ما جئت به من الهدى » .

(٥) فى المخطوطة : « دون من أظهر » . بحذف الواو ، وهو قريب فى المعنى .

أنّ ما جئته به فن عندى قولاً ، وجعله اعتقاداً ، ولم يحققه عملاً . فإن لأولئك النار التي وقودها الناس والحجارة ، مُعدةً عندى .

والجنات : جمع جنة ، والجنة : ابستان .

ولمّا عني جلّ ذكره بذكر الجنة : ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروبها ، دون أرضها — ولذلك قال عز ذكره (١) : « تجري من تحتها الأنهار » . لأنّه معلوم أنه لما أراد جل ثناؤه الخبر عن ماء أنهارها أنه جارٍ تحت أشجارها وغروبها وثمارها ، لا أنه جارٍ تحت أرضها . لأن الماء إذا كان جارياً تحت الأرض ، فلا حظّ فيها لعين من فوقها إلا بكشف الساتر بينها وبينه . على أن الذي توصف به أنهار الجنة ، أنها جارية في غير أخاديد .

٥٠٩ — كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن مسروق ، قال : نخل الجنة تضيد من أصلها إلى فرعها ، وثمرها أمثال القلال ، كلما نُزعت ثمرة عادت مكانها أخرى ، وماؤها يتجرى في غير أخاديد (٢) .

٥١٠ — حدثنا مجاهد [بن موسى] ، (٣) قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا

مسعر بن كدام ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، بنحوه .

٥١١ — وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا ابن مهدي ، قال : حدثنا

سفيان ، قال : سمعت عمرو بن مرة يحدث ، عن أبي عبيدة — فذكر مثله — قال : فقلت لأبي عبيدة : من حدثك ؟ فغضب ، وقال : مسروق .

(١) في المطبعة : « فلذلك قال . . . » ، وما في المخطوطة أجود .

(٢) الأثر ٥٠٩ — في الدر المنثور ١ : ٣٨ . وقال ابن كثير في تفسيره ١ : ١١٣ : « وقد

جاء في الحديث أن أنهارها تجري في غير أخاديد » ، ولم يبين ، وانظر ما سيأتي رقم : ٥١٧ .

(٣) الإسناد ٥١٠ — الزيادة بين القوسين من المخطوطة ، وهو مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمي ،

أبو حل الختل (بنم ففتح) ، ولقنه ابن معين والنسائي وغيرها . مترجم في التهذيب ، وترجمه البخاري في

الكبير ٤ / ١ / ٤١٣ ، والصدير : ٢٤٥ ، والخطيب في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

وابن الأثير في الباب ١ : ٣٤٥ . مات مجاهد هذا في رمضان سنة ٢٤٤ . وشيخه يزيد : هو يزيد بن هرون .

فلذا كان الأمر كذلك ، في أن أنهارها جارية في غير أخايد ، فلا شك أن الذي أريد بالجنات : أشجار الجنات وغرسها وثمارها دون أرضها ، إذ كانت أنهارها تجري فوق أرضها وتحت غرسها وأشجارها ، على ما ذكره مسروق . وذلك أولى بصفة الجنة من أن تكون أنهارها جارية تحت أرضها .

ولما رغب الله جل ثناؤه بهذه الآية عبادة في الإيمان ، وحضهم على عبادته بما أخبرهم أنه أعدّه لأهل طاعته والإيمان به عنده ، كما حذرهم في الآية التي قبلها بما أخبر من إعداده ما أعدّ — لأهل الكفر به ، الجاعلين معه الآلهة والأنداد — من عقابه عن إشراك غيره معه ، والتعرض لعقوبته بركوب معصيته وترك طاعته^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ كَلِمًا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « كلما رزقوا منها » : من الجنات ، ولها راجعة على الجنات ، وإنما المعنى أشجارها ، فكأنه قال : كلما رزقوا — من أشجار البساتين التي أعدّها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات في جناته — من ثمرة من ثمارها رزقاً قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « هذا الذي رزقنا من قبل » . فقال بعضهم : تأويل ذلك : هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا . ذكر من قال ذلك :

٥١٢ — حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

(١) في المخطوطة : « والتفريق لعقوبته » ، ولا معنى لها .

أسباط ، عن السُّدِّيِّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : « هذا الذي رُزقنا من قبل » ، قال : إنهم أتوا بالثمرة في الجنة ، فلما نظروا^(١) إليها قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا .

٥١٣ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل » ، أي في الدنيا .

٥١٤ - حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : « قالوا هذا الذي رزقنا من قبل » ، يقولون : ما أشبه به .

٥١٥ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

٥١٦ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : « قالوا هذا الذي رزقنا من قبل » ، في الدنيا ، قال : « وأتوا به مُتشابهاً » ، يعرفونه^(٢) .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل تأويلُ ذلك : هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا ، لشدة مشابهة بعض ذلك في اللون والطعم بعضاً . ومن علة قائل هذا القول : أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله .

٥١٧ - كما حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، قال : سمعت عمرو بن مُرَّة يحدث ، عن أبي عبيدة ، قال : نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها ، وثمرها مثل القلال ، كلما نُزعت منها ثمرة عادت مكانها أخرى^(٣) .

(١) في الدر المنثور : « فينظروا » ، وفي الشوكاني : « فنظروا » ، وكذلك في المخطوطة .

(٢) الآثار ٥١٢ - ٥١٦ : في تفسير ابن كثير ١ : ١١٣ - ١١٤ ، والدر المنثور ١ :

٣٨ ، والشوكاني ١ : ٤٢ .

(٣) انظر الآثار السالفة رقم : ٥٠٩ - ٥١١ . وفي المخطوطة : « أمثال القلال » كما مر آنفاً .

قالوا : فإنما اشتبهت عند أهل الجنة ، لأن التي عادت ، نظيرةُ التي نُزعت فأكلت ، في كل معانيها . قالوا : ولذلك قال الله جل ثناؤه : « وأتوا به متشابهاً » ، لاشتباه جميعه في كل معانيه .

وقال بعضهم : بل قالوا : « هذا الذي رزقنا من قبل » ، لمشابته الذي قبله في اللون ، وإن خالفه في الطعم .
ذكر من قال ذلك :

٥١٨ — حدثنا القاسم بن الحسين ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا شيخ من المصبيصة ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال : يؤتى أحدهم بالصفحة فيأكل منها ، ثم يؤتى بأخرى فيقول : هذا الذي أتينا به من قبل . فيقول الملك : كُلْ ، فاللون واحد والطعم مختلف ^(١) .

وهذا التأويل مذهب من تأول الآية . غير أنه يدفع صحته ظاهرُ التلاوة . والذي يدل على صحته ظاهرُ الآية ويحقق صحته ، قول القائلين : إن معنى ذلك : هذا الذي رزقنا من قبلُ في الدنيا . وذلك أن الله جل ثناؤه قال : « كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقاً » ، فأخبر جل ثناؤه أن مِّن قِيل أهل الجنة كلما رزقوا من ثمر الجنة رزقاً ، أن يقولوا : هذا الذي رزقنا من قبلُ . ولم يخص بأن ذلك من قيلهم في بعض ذلك دون بعض . فإذا كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم في كل ما رزقوا من ثمرها ، فلا شك أن ذلك من قيلهم ١٣٤/١ في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها ، الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة . فإذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم في أوله ، كما هو من قيلهم في أوسطه وما يتلوه ^(٢) — فعلوم أنه مُحال أن يكون من قيلهم لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل هذا من ثمار

(١) الأثر ٥١٨ — في ابن كثير ١ : ١١٤ ، والدر المنثور ١ : ٣٨ .

(٢) في المطبوعة : « في وسطه » .

الجنة ! وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمارها ولمَّا يتقدمه عندهم غيره : هذا هو الذى رزقناه من قبل ؟ إلا أن ينسبهم ذو غيبة وضلال إلى قيل الكذب الذى قد طهرهم الله منه ^(١) ، أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قبلهم لأول رزق رزقوه منها من ثمارها ، فيدفع صحة ما أوجب الله صحته بقوله : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا » ، من غير نصب دلالة على أنه معنى به حال من أحوالهم دون حال . فقد تبين بما بيئنا أن معنى الآية : كلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة رزقا قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا ^(٢) . فإن سألنا سائل ، فقال : وكيف قال القوم : هذا الذى رزقنا من قبل ، والذى رزقوه من قبل قد عُدَّ بأكملهم إياه ؟ وكيف يجوز أن يقول أهل الجنة قولاً لا حقيقة له ؟

قيل : إن الأمر على غير ما ذهبت إليه فى ذلك . وإنما معناه : هذا من النوع الذى رزقناه من قبل هذا ، من الثمار والرزق . كالرجل يقول لآخر : قد أعدت لك فلان من الطعام كذا وكذا من ألوان الطبخ والشواء والحلوى . فيقول المقول له ذاك : هذا طعامى فى منزلى . يعنى بذلك : أن النوع الذى ذكر له صاحبه أنه أعدّه له من الطعام هو طعامه ، لا أن أعيان ما أخبره صاحبه أنه قد أعدّه له ، هو طعامه . بل ذلك مما لا يجوز لسامع سمعه يقول ذلك ، أن يتوهم أنه أرادته أو قصده ، لأن ذلك خلافُ مخرج كلام المتكلم . وإنما يوجه كلام كل متكلم إلى المعروف فى الناس من مخارجه ، دون المجهول من معانيه . فكذلك ذلك فى قوله : « قالوا هذا الذى رزقنا من قبل » ، إذ كان ما كانوا رزقوه من قبل قد فنى وعُدَّ . فعلوم أنهم عَنَوْا بذلك : هذا من النوع الذى رزقناه من قبل ، ومن جنسه

(١) فى المطبوعة مكان قوله : « ذوغية » ، « ذوغرة » ، وفى المخطوطة : « ذوعته » . والته : نقص العقل ، أو الجنون ، وأجودهن ما أثبتته عن كتاب حادى الأرواح لابن قيم الجوزية ١ : ٢٦٨ ، حيث نقل نص الطبرى .

(٢) هذا التفصيل الذى ذكره الطبرى من جيد النظر فى معانى الكلام .

في السمات والألوان^(١) — على ما قد بينا من القول في ذلك في كتابنا هذا^(٢) .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ .

قال أبو جعفر : والهاء في قوله : « وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا » عائدة على الرزق ، فتأويله : « وَأَتُوا بِالَّذِي رَزَقُوا مِنْ ثَمَارِهَا مُتَشَابِهًا » .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل « المتشابه » في ذلك : فقال بعضهم : تشابه أن كله خيار لا رذّل فيه .

ذكر من قال ذلك :

٥١٩ — حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا

أبو عامر ، عن الحسن في قوله : « متشابهاً » قال : خياراً كلّها لا رذّل فيها .

٥٢٠ — حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيْيَّة ، عن أبي رجاء : قرأ

الحسنُ آيات من البقرة ، فأتى على هذه الآية : « وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا » قال : ألم تروا إلى ثمار الدنيا كيف تُرذّلون بعضه ؟ وإن ذلك ليس فيه رذّل .

٥٢١ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ،

قال : قال الحسن : « وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا » قال : يشبه بعضه بعضاً ، ليس فيه من رذّل^(٣) . ١٣٥/١

٥٢٢ — حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « وَأَتُوا بِهِ

(١) في المطبوعة : « في التسميات والألوان » ، وهو خطأ .

(٢) يعني بذلك الذي تقدم ، معنى قوله : « وإنما يوجه كلام كل متكلم إلى المعروف في الناس .

من مخارجه ، دون المجهول من معانيه » ، وقد مضى ذكر ذلك في ص ٣٨٨ هذا ، وقد وقع في المطبوعة خطأ بين ، فقد وضع في هذا المكان ما نقلناه إلى حق موضعه في ص ٣٩٤ من أول قوله : « وقد زعم بعض أهل العربية . . . » إلى قوله : « بمخرجه عن قول جميع أهل العلم ، دلالة على خطئه » .

(٣) في المطبوعة : « ليس فيه مرذول » .

متشابهاً» ، أى خياراً لا رَدَلَ فيه ، وإن ثمار الدنيا يُنْقَسَى منها ويُرَدَّلَ منها ، وثمار الجنة خيارٌ كله ، لا يُرَدَّلَ منه شيء .

٥٢٣ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج . قال : ثمر الدنيا منه ما يُرَدَّلُ ، ومنه نَقَاوَةٌ ، وثمرُ الجنة نقاوة كله ، يشبه بعضُه بعضاً في الطيب ، ليس منه مردول (١) .

* * *

وقال بعضهم : تشابهه في اللون وهو مختلف في الطعم .
ذكر من قال ذلك :

٥٢٤ - حدثني موسى ، قال حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « وأتوا به متشابهاً » في اللَّوْنِ والمرْأَى ، وليس يُشبه الطعم .

٥٢٥ - حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأتوا به متشابهاً » مثلَ الخيار .

٥٢٦ - حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : وأتوا به متشابهاً لونه مختلفاً طعمه ، مثلَ الخيار من القثاء .

٥٢٧ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « وأتوا به متشابهاً » ، يشبه بعضه بعضاً ويختلف الطعم .

٥٢٨ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا

الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : متشابهاً ، قال : مشتبهاً في اللون ، ومختلفاً في الطعم .

(١) الآثار : ٥١٩ - ٥٢٣ بعضها في الدر المنثور ١ : ٣٨ ، وبعضها في الشوكاني

٥٢٩ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وأتوا به متشابهاً » ، مثل الخيلار^(١) .

* * *

وقال بعضهم : تشابهُه في اللون والطعم .
ذكر من قال ذلك :

٥٣٠ - حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، قوله : « متشابهاً » قال : اللون والطعم .

٥٣١ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ويحيى بن سعيد : « متشابهاً » قالوا : في اللون والطعم .

* * *

وقال بعضهم : تشابهه ، تشابه ثمر الجنة وثمر الدنيا في اللون ، وإن اختلف طعومهما .
ذكر من قال ذلك :

٥٣٢ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وأتوا به متشابهاً » قال : يشبه ثمر الدنيا ، غير أن ثمر الجنة أطيب .
٥٣٣ - حدثنا المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : قال حفص بن عمر ، قال : حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : « وأتوا به متشابهاً » ، قال : يشبه ثمر الدنيا ، غير أن ثمر الجنة أطيب .

* * *

وقال بعضهم : لا يُشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا ، إلا الأسماء .
ذكر من قال ذلك :

٥٣٤ - حدثني أبو كريب ، قال : حدثنا الأشجعي - ح - وحدثنا محمد

(١) الآثار : ٥٢٤ - ٥٢٩ بعضها في ابن كثير ١ : ١١٤ - ١١٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٨ ، والشوكاني ١ : ٤٢ .

ابن بشار ، قال ، حدثنا مؤمل ، قال جميعاً : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس — قال أبو كريب في حديثه عن الأشجعي — : لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا ، إلا الأسماء . وقال ابن بشار في حديثه عن مؤمل ، قال : ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء .

٥٣٥ — حدثنا عباس بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء .
٥٣٦ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال : أنبأ ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد ، في قوله : « وأتوا به متشابهاً » ، قال : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا ، التفاح بالتفاح والرمان بالرمان ، قالوا في الجنة : « هذا الذي رزقنا من قبل » في الدنيا ، « وأتوا به متشابهاً » يعرفونه ، وليس هو مثله في الطعم ^(١) .

١٣٦/١ قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية ، تأويل من قال : وأتوا به متشابهاً في اللون والمنظر ، والطعم مختلف . يعني بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا في المنظر واللون ، مختلفاً في الطعم والذوق ، لما قدّمنا من العلة في تأويل قوله : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل » وأن معناه : كلما رزقوا من الجنان من ثمرة من ثمارها رزقاً قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا : فأخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا ذلك ، ومن أجل أنهم أتوا بما أتوا به من ذلك في الجنة متشابهاً ، يعني بذلك تشابه ما أتوا به في الجنة منه ، والذي كانوا رزقوه في الدنيا ، في اللون والمرأى والمنظر ، وإن اختلفا في الطعم والذوق ، فتباينا ، فلم يكن لشيء مما في الجنة من ذلك نظير في الدنيا .

وقد دللنا على فساد قول من زعم أن معنى قوله : « قالوا هذا الذي رزقنا من قبل » ، إنما هو قول من أهل الجنة في تشبيههم بعض ثمر الجنة ببعض ^(٢) . وتلك الدلالة

(١) الآثار : ٥٣٠ - ٥٣٦ بعضها في الدر المنثور ١ : ٣٨ ، والشوكاني ١ : ٤٢ .

(٢) انظر ما مضى ص ٣٨٧ وما بعدها .

على فساد ذلك القول ، هي الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله : « وأتوا به متشابهاً » ، لأن الله جل ثناؤه إنما أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم : « هذا الذى رزقنا من قبل » بقوله : « وأتوا به متشابهاً » .

ويسأل من أنكر ذلك^(١) ، فزعم أنه غير جائز أن يكون شيء مما في الجنة نظيراً لشيء مما في الدنيا بوجه من الوجوه ، فيقال له : أيجوز أن يكون أسماء ما في الجنة من ثمارها وأطعمتها وأشربتها نظائر أسماء ما في الدنيا منها ؟

فإن أنكر ذلك خالف نص كتاب الله ، لأن الله جل ثناؤه إنما عرف عباده في الدنيا ما هو عنده في الجنة بالأسماء التي يسمى بها ما في الدنيا من ذلك . وإن قال : ذلك جائز ، بل هو كذلك .

قيل : فما أنكرت أن يكون ألوان ما فيها من ذلك ، نظير ألوان ما في الدنيا منه^(٢) ، بمعنى البياض والحمرة والصفرة وسائر صنوف الألوان ، وإن تباينت فتفاضلت بفضل حسن المرأة والمنظر ، فكان لما في الجنة من ذلك من البهاء والجمال وحسن المرأة والمنظر ، خلاف الذى لما في الدنيا منه ، كما كان جائزاً ذلك في الأسماء مع اختلاف المسميات بالفضل في أجسامها ؟ ثم يعكس عليه القول في ذلك ، فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله .

وكان أبو موسى الأشعري يقول في ذلك بما :

٥٣٧ - حدثني به ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، وعبد الوهاب ، ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن قسامة ، عن الأشعري ، قال : إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء ، فماركم هذه من ثمار الجنة ، غير أن هذه تغيّر وتلك لا تغيّر^(٣) .

(١) في المطبوعة : « وشل من أنكر » ، وهو خطأ بين .

(٢) في المطبوعة : « نظائر ألوان » .

(٣) الحديث ٥٣٧ - هذا إسناده صحيح . وهو وإن كان موقوفاً لفظاً فإنه مرفوع حكماً ، لأنه إخبار عن غيب لا يعلم بالرأى ولا القياس . والأشعري : هو أبو موسى ، ولم يكن ممن يحكى من

(١) وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى قوله: « وأتوا به متشابهاً » ، أنه متشابهٌ في الفضل ، أى كل واحد منه له من الفضل في نحوه ، مثل الذى للآخر في نحوه . قال أبو جعفر : وليس هذا قولاً نستجيز التشاغل بالدلالة على فساده ، بخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل . وحسب قول — بخروجه عن قول جميع أهل العلم — دلالة على خطئه .

• • •

الكتب القديمة . عوف : هو ابن أبي جميلة الأعرابي ، وهو ثقة ثبت ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . قسامة — بفتح القاف وتخفيف السين المهملة : هو ابن زهير المازني اليميني البصري ، وهو ثقة تابعي قديم ، بل ذكره بعضهم في الصحابة فأخطأ . وله ترجمة في الإصابة ٥ : ٢٧٦ وابن سعد ١١٠/١/٧ ، وقال : « كان ثقة إن شاء الله ، وتوفى في ولاية الحجاج على العراق » ، وابن أبي حاتم ١٤٧/٢/٣ ، وروى توثيقه عن ابن معين .

والحديث ذكره ابن كثير في التاريخ ١ : ٨٠ ، من رواية عبد الرزاق عن معمر عن عوف ، بهذا الإسناد . وذكره ابن القيم في حادى الأرواح ١ : ٢٧٣ (ص ١٢٥ من الطبعة الثانية ، طبعة محمود ربيع سنة ١٣٥٧) من رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن عقبة بن مكرم العمي الحافظ ، عن ربيع بن إبراهيم بن علي بن عوف ، بهذا الإسناد ، مرفوعاً صراحة : « قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وكذلك ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ : ١٩٧ - ١٩٨ « عن أبي موسى رفعه » ، وقال : « روى البزار ، والطبراني ، ورجاله ثقات » . وذكره ابن القيم في حادى الأرواح قبل ذلك (ص ٣٠ - ٣١) ، من رواية « هوزة بن خليفة عن عوف » بهذا الإسناد ، موقوفاً لفظاً . ورواية هوزة بن خليفة : رواها الحاكم في المستدرک ٢ : ٥٤٣ ، ولكن إسناده عندى أنه مغلوط ، والظاهر أنه غلط من النسخين . لأن الذى فيه : « هوزة بن خليفة حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري ، قال : إن الله لما أخرج آدم » إلخ . ثم قال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي ! ولا يمكن — فيما أعرف وأعتقد — أن يصحح الحاكم هذا الإسناد ، ثم يوافقه الذهبي ، إن كان على هذا الوجه ، لأن أبا بكر بن أبي موسى الأشعري تابعي ثقة ، فلم كان الإسناد هكذا كان الحديث مرسل لا حجة فيه ، سواء أرفعه أم قاله من قبل نفسه ، فالظاهر أن النسخين القدماء للمستدرک أخطأوا في زيادة « أبي بكر بن » ، وأن صوابه : « عن أبي موسى الأشعري » ، كما تبين من نقل ابن القيم رواية هوزة ، وكما تبين من الروايات الأخرى التي سقناها . والحمد لله على التوفيق .

(١) هذه الفقرة كلها من أول قوله : « وقد زعم بعض أهل العربية . . . » كانت في المطبعة في الموضع الذى أشرنا إليه آنفاً ص ٣٨٩ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : والهاء والميم اللتان في « لهم » عائدتان على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والهاء والألف اللتان في « فيها » عائدتان على الجنات . وتأويل ذلك : وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات فيها أزواج مطهرة .

والأزواج جمع زَوْج ، وهى امرأة الرجل . يقال : فلانة زَوْجُ فلان وزوجته . وأما قوله : « مطهرة » فإن تأويله أنهن طُهرن من كل أذى وقَدَى وريبة ، مما يكون فى نساء أهل الدنيا ، من الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط والبُصاق والمنى ، وما أشبه ذلك من الأذى والأذناس والريب والمكاره .

٥٣٨ - كما حدثنا به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أما أزواج مطهرة ، فإنهن لا يحضن ولا يُحمدثن ولا يتنخمن .

٥٣٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، ١٣٧/١ قال : حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : « أزواج مطهرة » . يقول : مطهرة من القدر والأذى .

٥٤٠ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا يحيى القطان^(١) ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولم فيها أزواج مطهرة » قال : لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمدن .

٥٤١ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزُّبيري ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه - إلا أنه زاد فيه : ولا يُمنين ولا يحضن .

(١) فى المخطوطة : « يحيى المطار » ، وهو خطأ .

- ٥٤٢ - حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ذكره : « ولم فيها أزواج مطهرة » قال : مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد .
- ٥٤٣ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سويد بن نصر ، قال : حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
- ٥٤٤ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : لا يَبْلُغْنَ ولا يتغوطنَ ولا يحضنَ ولا يلدن ولا يُمْنِينَ ولا يَبْزُقْنَ .
- ٥٤٥ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم .
- ٥٤٦ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « ولم فيها أزواج مطهرة » ، إلى والله من الإثم والأذى .
- ٥٤٧ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ولم فيها أزواج مطهرة » ، قال : طهرهن الله من كل بول وغائط وقذر ، ومن كل مأثم .
- ٥٤٨ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثني ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال مطهرة من الحيض والحبل والأذى .
- ٥٤٩ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المطهرة من الحيض والحبل .
- ٥٥٠ - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد : « ولم فيها أزواج مطهرة » قال : المطهرة التي لا تحيض . قال : وأزواج الدنيا ليست بمطهرة ، ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ؟ قال ابن زيد : وكذلك خلقت حواء حتى عصت ، فلما عصت قال الله : إني خلقتك مطهرة

وسأدملك كما أدميت هذه الشجرة (١) .

- ٥٥١ - حدثت عن عمار ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن الحسن في قوله : « ولم فيها أزواج مطهرة » ، قال يقول : مطهرة من الحيض .
- ٥٥٢ - حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا خالد بن يزيد ، قال : حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن الحسن في قوله : « ولم فيها أزواج مطهرة » ، قال : من الحيض .
- ٥٥٣ - حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا ابن جريج ، عن عطاء ، قوله : « ولم فيها أزواج مطهرة » ، قال : من الولد والحيض والغائط والبول ، وذكر أشياء من هذا النحو (٢) .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : والذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنات خالدون . والهاء والميم من قوله « وهم » ، عائدة على الذين آمنوا وعملوا

(١) في المخطوطة : « كما دمت » بتشديد الميم ، وهما سواء ، ويعني بذلك دم الحيض . وهذا الأثر نقله ابن كثير ١ : ١١٥ من هذا الموضع ، وفيه « أدميت » ، كما في المطبوعة هنا . وقال ابن كثير بعد سياقه : « وهذا غريب » .

(٢) الآثار ٥٣٨ - ٥٥٣ : بعضها في ابن كثير ١ : ١١٥ ، والدرر المنثور ١ : ٣٩ ، والشوكاني ١ : ٤٢ وكرهنا الإطالة بتفصيل مراجعها واحداً واحداً . ونقل ابن كثير ١ : ١١٥ - ١١٦ حديثاً مرفوعاً بهذا المعنى : يعني مطهرة « من الحيض والغائط والنخاعة والبزاق » ، من تفسير ابن مردويه بإسناده - من طريق محمد بن عبيد الكنتي عن عبد الرزاق بن عمر البزيمي عن عبد الله ابن المبارك عن شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد ، مرفوعاً . وقال : « هذا حديث غريب » . ثم نقل عن الحاكم أنه رواه في المستدرک ، من هذا الوجه ، وأنه صححه عل شرط الشيخين . ثم قال : « وهذا الذي ادعاه فيه نظر » ، فإن عبد الرزاق بن عمر البزيمي هذا - قال فيه أبو حاتم بن حبان البستي : لا يجوز الاحتجاج به . قلت : والأظهر أن هذا من كلام قتادة ، كما تقدم . وهو كما قال ابن كثير . انظر الميزان ٢ : ١٢٦ .

الصالحات . والهاء والألف في « فيها » على الجنات . وخلودهم فيها دوام بقائهم فيها على ما أعطاهم الله فيها من الحسنة والنعم المقيم^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أنزل الله جل ثناؤه فيه هذه الآية وفي تأويلها . فقال بعضهم بما :

١٣٨/١ ٥٥٤ — حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين — يعني قوله : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » وقوله : « أو كصيب من السماء » ، الآيات الثلاث — قال المنافقون : الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة » إلى قوله : « أولئك هم الخاسرون » . وقال آخرون بما :

٥٥٥ — حدثني به أحمد بن إبراهيم ، قال حدثنا قُرّاد ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، في قوله تعالى : « إن الله لا يستحي أن يضرب (١) في الدر المنثور ١ : ٤١ ، والشوكاني ١ : ٤٢ ، أن ابن جرير أخرج عن ابن عباس في قوله « وم في خاللون » — « أي خاللون أبدأ ، يحبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهل أبدأ لانقطاع له »

وهذا الخبر سيأتي عند تفسير الآية : ٨٢ من هذه السورة (١ : ٣٠٧ بولاق) . فنقله السيوطي إلى هذا الموضع ، وتبعه الشوكاني .

مثلاً ما بعوضةٌ فما فوقها». قال : هذا مثل ضربه الله للدنيا ، إن البعوضة تحيا ما جاءت ، فإذا سمحت ماتت. وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن : إذا امتثلوا من الدنيا رياءً أخذهم الله عند ذلك . قال : ثم تلا : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَاهُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] ^(١)

٥٥٦ - حدثني المنثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس بنحوه - إلا أنه قال : فإذا خلت أجالهم وانقطعت مدتهم ^(٢) ، صاروا كالبعوضة تحيا ما جاءت ، وتموت إذا رويت ، فكذلك هؤلاء الذين ضرب الله لهم هذا المثل ، إذا امتثلوا من الدنيا رياءً أخذهم الله فأهلكهم . فذلك قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَاهُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] .

وقال آخرون بما :

٥٥٧ - حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » ، أى إن الله لا يستحي من الحق أن يذكر منه شيئاً ما قل منه أو أكثر ^(٣) . إن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة : ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فأنزل الله :

(١) الأثر ٥٥٥ - « قراد » بضم القاف وفتح الراء مخففة : لقب له ، واسمه « عبد الرحمن ابن غزوان بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي ، الخزاعي » ، وهو ثقة ، وقال أحمد : « كان حاقلاً من الرجال » . وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢٧٤/٢/٢ .

(٢) في المطبوعة : « خلى أجالهم » ، وفي المخطوطة « خلا » ، والصواب ما أثبتته . وخلا العمر يخلو خلواً : مضى وانقضى .

(٣) في المخطوطة : « شيئاً قل منه أو أكثر » بحذف « ما » ، وفي ابن كثير « مما قل أو أكثر » وكلها متقاربة .

« إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » .

٥٥٨ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : لما ذكر الله العنكبوت والذباب ، قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » ^(١) .

وقد ذهب كل قائل ممن ذكرنا قوله في هذه الآية ، وفي المعنى الذى نزلت فيه ، مذهباً ؛ غير أن أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ، ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس .

وذلك أن الله جلّ ذكره أخبر عباده أنه لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ، عقيب أمثال قد تقدمت في هذه السورة ، ضربها للمنافقين ، دون الأمثال التى ضربها في سائر السور غيرها . فلأن يكون هذا القول - أعنى قوله : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما » - جواباً لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال في هذه السورة ، أحق وأولى من أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال في غيرها من السور .

فإن قال قائل : إنما أوجب أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب من الأمثال في سائر السور ، لأن الأمثال التى ضربها الله لهم ولآلئهم في سائر السور أمثال موافقة المعنى لما أخبر عنه : أنه لا يستحي أن يضربه مثلاً ، إذ كان بعضها تمثيلاً لآلئهم بالعنكبوت ، وبعضها تشبيهاً لها في الضعف والمهانة بالذباب . وليس ذكر شيء من ذلك بموجود في هذه السورة ، فيجوز أن يقال : إن الله لا يستحي أن يضربه مثلاً ^(٢) .

١٣٩/١

(١) الآثار : ٥٥٤ - ٥٥٨ أكثرها في ابن كثير ١ : ١١٧ ، وبعضها في الدر المنثور

١ : ٤١ ، والشوكاني ١ : ٤٥ .

(٢) في المطبوعة : « أن يضرب مثلاً ما » ، وليست بشيء .

فإن ذلك بخلاف ما ظنّ. وذلك أنّ قول الله جلّ ثناؤه: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها»، إنما هو خبرٌ منه جلّ ذكره أنه لا يستحي أن يضرب في الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها، ابتلاءً بذلك عباده واختباراً منه لهم، ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به، إضلالاً منه به لقوم، وهدايةً منه به لآخرين.

٥٥٩ - كما حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «مثلاً ما بعوضة»، يعني الأمثال صغيرها وكبيرها، يؤمن بها المؤمنون، ويعلمون أنها الحق من ربهم، ويهديهم الله بها ويُضِلُّ بها الفاسقين. يقول: يعرفه المؤمنون فيؤمنون به، ويعرفه الفاسقون فيكفرون به. ٥٦٠ - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٥٦١ - حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج عن مجاهد، مثله^(١).

قال أبو جعفر: - لا أنه جلّ ذكره قصد الخبر عن عين البعوضة أنه لا يستحي من ضرب المثل بها، ولكن البعوضة لما كانت أضعف الخلق - ٥٦٢ - كما حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، قال: البعوضة أضعف ما خلق الله. ٥٦٣ - حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، بنحوه^(٢).

(١) الآثار : ٥٥٩ - ٥٦١ ، وهي واحد كلها ، في الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني ١ : ٤٥ ، وسيأتي برقم : ٥٦٦ .

(٢) الآثار : ٥٦٢ في الدر المنثور ١ : ٤١ .

— (١) خصها الله بالذكر في القِلة ، فأخبر أنه لا يستحي أن يضرب أقلّ الأمثال في الحق وأحقّها وأعلاها إلى غير نهاية في الارتفاع ، جواباً منه جل ذكره لمن أنكّر من منافق خلقه ما ضرب لهم من المثل بموقد النار والصيب من السماء ، على ما نعتّهما به من نعتّهما .

فإن قال لنا قائل : وأين ذكر نكير المنافقين الأمثال التي وصفت ، الذي هذا الخبر جوابه ، فنعلم أن القول في ذلك ما قلت ؟

قيل : الدلالة على ذلك بينة في قول الله تعالى ذكره (٢) : « فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً » . وإن القوم الذين ضرب لهم الأمثال في الآيتين المقدّمتين — اللتين مثّل ما عليه المنافقون مقيمون فيهما (٣) : بموقد النار والصيب من السماء (٤) ، على ما وصف من ذلك قبل قوله : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً » — قد أنكروا المثل وقالوا : ماذا أراد الله بهذا مثلاً ؟ فأوضح لهم تعالى ذكره خطأ قيلهم ذلك ، وقبح لهم ما نطقوا به ، وأخبرهم بحكمهم في قيلهم ما قالوا منه ، وأنه ضلال وفسوق ، وأن الصواب والهدى ما قاله المؤمنون دون ما قالوه .

وأما تأويل قوله : « إن الله لا يستحي » ، فإن بعض المنسويين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى « إن الله لا يستحي » : إن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً ، ويستشهد على ذلك من قوله بقول الله تعالى : ﴿ وَنَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ نَخْشَاهُ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٧] ، ويزعم أن معنى ذلك : وتستحي الناس والله أحق أن تستحيه — فيقول : الاستحياء بمعنى الخشية ، والخشية بمعنى الاستحياء (٥) .

(١) قوله : « خصها ... » جواب قوله آنفاً : « ... لما كانت أضعف الخلق » .

(٢) في المطبوعة : « الدلالة على ذلك بينا جل ذكره في قوله » .

(٣) قوله : « فيها » متعلق بقوله « مثل » ، أي : اللتين مثل فيهما — ما عليه المنافقون

مقيمون — بموقد النار ...

(٤) في المطبوعة : « وبالصيب من السماء » .

(٥) لم أعرف قائل هذا القول من المنسويين إلى المعرفة بلغة العرب ، ولكن رأيت أبا حيان

وأما معنى قوله : « أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا » ، فهو أَنْ يَبَيِّنَ وَيُصِفَ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [سورة الروم : ٢٨] ، بمعنى وصف لكم ، وكما قال الكُمَيْت :

وَذَلِكَ ضَرْبُ أَحْمَاسٍ أُرِيدَتْ لِأَسْدَاسٍ ، عَسَى أَنْ لَا تَكُونَا ^(١)
بمعنى : وصف أخماس .

والمثل : الشبه ، يقال : هذا مثل هذا ومثله ، كما يقال : شبهه وشببه ، ومنه قول كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ ^(٢) ١٤٠/١
يعني شبيهاً ، فعنى قوله إذاً : « إِنْ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا » : إِنْ

يقول في تفسيره ١ : ١٢١ ، يزعم أن هذا المعنى هو الذى رجحه الطبرى ، ومن البين أنه أخطأ فيما توهمه ، فإن لفظ الطبرى دال على أنه لم يحقق معناه ، ولم يرضه ، ولم ينصره . هذا على أنى أظن أن مجاز اللفظ يميز مثل هذا الذى قاله المنسوب إلى المعرفة بلغة العرب ، وإن كنت أكره أن أحل هذه الآية على هذا المعنى .

(١) هذا بيت استرقه الكيت استرقاً ، على أنه مثل اجتلبه . وأصله : أن شيئاً كان في إبله ، ومنه أولاده ، حالاً يرعونها ، قد طالت غربتهم عن أهلهم . فقال لهم ذات يوم : « ارجعوا إبلكم ربما » (بكسر فسكون : وهو أن تحبس عن الماء ثلاثاً ، وترد في اليوم الرابع) ، فرجعوا ربما نحو طريق أهلهم . فقالوا : لو رعينها خساً ! (بكسر فسكون : أن تحبس أربماً وترد في الخامس) فزادوا يوماً قبل أهلهم . فقالوا : لو رعينها سدساً ! (أن تحبس خساً وترد في السادس) . ففطن الشيخ لما يريون ، فقال : ما أقم إلا ضرب أخماس لأسداس ، ما هتكم رعيها ، إنما هتكم أهلكم ! وأنشأ يقول :

وَذَلِكَ ضَرْبُ أَحْمَاسٍ أَرَاهُ ، لِأَسْدَاسٍ ، عَسَى أَنْ لَا تَكُونَا

فصار قولهم : « ضرب أخماس لأسداس » مثلاً مضروباً للذى يراوغ ويظهر أمراً وهو يريد غيره . وحقيقة قوله « ضرب » بمعنى وصف ، أنه من ضرب البعير أو الدابة ليصرف وجهها إلى الوجه الذى يريد ، يسوقها إليه لتسلكه . فقولهم : ضرب له مثلاً ، أى ساقه إليه ، وهو يشعر بمعنى الإبانة بالمثل المسوق . وهذا بين .

(٢) ديوانه : ٨ ، وفي المخطوطة : « وما مواعيده » ، وعروق - فيما يزعمون - : هو عروق ابن نصر ، رجل من المالقة ، قزل المدينة قبل أن تنزلها يهود بعد عيسى ابن مريم عليه السلام . وكان يمتثل في إخلاف المواعيد بالمأطلة ، كما هو معروف في قصته .

الله لا يخشى أن يصف شيئا لما شبه به^(١).

وأما « ما » التي مع « مثل » ، فلأنها بمعنى « الذي » ، لأن معنى الكلام : إن الله لا يستحي أن يضرب الذي هو بعوضة في الصغر والقيلة فما فوقها - مثلاً . فإن قال لنا قائل : فإن كان القول في ذلك ما قلت^(٢) ، فما وجه نصب البعوضة ، وقد علمت أن تأويل الكلام ما تأولت^(٣) : أن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً الذي هو بعوضة ؟ فالبعوضة على قولك في محل الرفع ؟ فأتى أنها النصب ؟ قيل : أنها النصب من وجهين : أحدهما ، أن « ما » لما كانت في محل نصب بقوله « يضرب » ، وكانت البعوضة لها صلة ، عُرِّبَتْ بتعريبها^(٤) ، فالزمت إعرابها ، كما قال حسان بن ثابت :

وَكُنِيَ بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا^(٥)

فَعُرِّبَتْ « غيرُ » بإعراب « من » . والعرب تفعل ذلك خاصة في « من » و « ما »^(٦) ، تعرب صلاتهما بإعرابهما ، لأنهما يكونان معرفة أحياناً ، ونكرة أحياناً .

(١) هذا بقية تفسير الكلمة على مذهب من قال إن الاستحياء بمعنى الخشية ، لا ما أخذ به الطبري ، وتفسير الطبري صريح بين في آخر تفسير الآية .
(٢) في المطبوعة : « كما قلت » .
(٣) في المطبوعة : « على ما تأولت » ، وليست بجيدة .
(٤) في المطبوعة « أعربت بتعريبها » . وقوله « عربت » : أى أجريت مجراها في الإعراب ، وهذا هو معنى « التعريب » في اصطلاح قدماء النحاة ، وستر بك كثيراً فاحفظها ، وهى أوجز مما اصطلاح عليه المحدثون منهم .

(٥) ليس في ديوانه ، ويأتى في الطبري ٤ : ٩٩ غير منسوب ، وفي الخزانة ٢ : ٥٤٥ - ٥٤٦ أنه لكعب بن مالك ، ونسب إلى حسان بن ثابت ولم يوجد في شعره . ونسب لبشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، ونسب أيضاً لعبد الله بن رواحة . وذكره السيوطي في شرح شواهد المفنى : ١١٦ ، ٢٥٢ ، وأثبت بيتاً قبله :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ بِنَصْرِ وَلِيِّهِ فَالله ، عَزَّ ، بِنَصْرِهِ سَمَانَا

قال : يعنى أن الله عز وجل سماهم « الأنصار » ، لأنهم نصروا النبي صلى الله عليه وسلم ومن والاه . والباء في « بنصر وليه » ، بمعنى « مع » .
(٦) في المطبوعة : « قالعرب تفعل ... » .

وأما الوجه الآخر ، فإن يكون معنى الكلام : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها ، ثم حذف ذكر « بين » و « إلى » ، إذ كان في نصب البعوضة ودخول الفاء في « ما » الثانية ، دلالة عليهما ، كما قالت العرب : « مُطِرْنَا ما زُبَالَةً فَالتَّحْلِيَّةُ » ، و « له عشرون ما ناقة فجملاً » ، و « هي أحسن الناس ما قرناً فقدماً » ، يعنون : ما بين قرنها إلى قدمها ^(١) . وكذلك يقولون في كل ما حسن فيه من الكلام دخول : « ما بين كذا إلى كذا » ، ينصبون الأول والثاني ، ليدل النصبُ فيهما على المحذوف من الكلام ^(٢) . فكذا ذلك في قوله : « ما بعوضة فافوقها » ^(٣) . وقد زعم بعض أهل العربية أن « ما » التي مع المثل صلة في الكلام بمعنى التطويل ^(٤) ، وأن معنى الكلام : إن الله لا يستحي أن يضرب بعوضة مثلاً فافوقها . فعلى هذا التأويل ، يجب أن تكون « بعوضة » منصوبة بـ « يضرب » ، وأن تكون « ما » الثانية التي في « فافوقها » معطوفة على البعوضة لا على « ما » .

وأما تأويل قوله « فافوقها » : فافوقها هو أعظم منها ^(٥) — عندى — لما ذكرنا قبل من قول قتادة وابن جريج : أن البعوضة أضعف خلق الله ، فإذا كانت أضعف خلق الله فهي نهاية في القلة والضعف . وإذا كانت كذلك ، فلا شك أن ما فوق أضعف الأشياء ، لا يكون إلا أقوى منه . فقد يجب أن يكون المعنى

(١) في المخطوطة : « يعنون بذلك من قرنها . . . » .

(٢) في المخطوطة : « ليدل النصب في الأسماء على المحذوف . . . » ، وما سواه .

(٣) أكثر هذا من كلام الفراء في معاني القرآن ١ : ٢١ - ٢٢ ، وذكر الوجهين السالفين جميعاً ، وكلامه أبسط من كلام الطبري وأبين .

(٤) قد مضى قديماً شرح معنى التطويل (انظر : ٢٢٤ ، ١٨ وما يأتي ص : ٤٠٦ ، ١٥٤ من بولات) ، وهو الزيادة في الكلام . وهذا الذي قال عنه : « زعم بعض أهل العربية » ، هو الفراء نفسه ، فقد ذكر هذا أول وجه من ثلاثة وجوه في الآية في معاني القرآن ١ : ٢١ ، وقال : « أولاً : أن توقع الضرب على البعوضة ، وتجعل ما صلة ، كقوله : « مما قليل ليصبحن نادمين » ، يريد : عن قليل . المعنى — واه أعم — : إن الله لا يستحي أن يضرب بعوضة فافوقها مثلاً » . والذي يسميه الطبري البندادى المنهبط في النحو « تطولا » ، يسميه الفراء الكوفي المنهبط في النحو « صلة » ، وهي الزيادة في الكلام .

(٥) في المخطوطة : « فهو ما قد عظم منها » ، وهو خطأ بلا معنى .

— على ما قالاه — فما فوقها في العظم والكبر ، إذ كانت البعوضة نهاية في الضعف والقلة .
 وقيل في تأويل قوله « فما فوقها » ، في الصغر والقلة . كما يقال في الرجل يذكره
 الذاكر فيصفه باللؤم والشح ، فيقول السامع : « نعم ، وفوق ذلك » ، يعني فوق
 الذي وصفت في الشح واللؤم ^(١) ، وهذا قول خلاف تأويل أهل العلم
 الذين تَرْتَضِي معرفتهم بتأويل القرآن .

فقد تبين إذًا ، بما وصفنا ، أن معنى الكلام : إن الله لا يستحي أن يصف
 شيئاً لما شَبَّه به الذي هو ما بين بعوضة إلى ما فوق البعوضة .
 فأما تأويل الكلام لو رفعت البعوضة ، فغير جائز في « ما » ، إلا ما قلنا من
 أن تكون اسماً ، لا صلة بمعنى التطول ^(٢) .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ
 مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « فأما الذين آمنوا » ، فأما الذين
 صدقوا الله ورسوله . وقوله : « فيعلمون أنه الحق من ربهم » . يعني : فيعرفون
 أن المثل الذي ضربَه الله ، لِمَا ضربَه له ، مثل .

٥٦٤ — كما حدثني به المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا
 عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « فأما الذين آمنوا »

(١) في المطبوعة : « فوق الذي وصف » . وهذا التأويل الذي ذكره الطبري ، قد اقترحه
 الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٠ - ٢١ وأبان عنه ، وقال : « ولو جمعت في مثله من الكلام « فما
 فوقها » ، تريد أصغر منها ، لجاز ذلك . ولست أستحبه » ، يعني : أنه لا يستحبه في هذا الموضع
 من تفسير كتاب الله .

(٢) قد شرحنا معنى « صلة » و « تطول » فيما مضى ص : ٤٠٥ .

فيعلمون أنه الحق من ربهم ، أن هذا المثل الحق من ربهم ، وأنه كلام الله ومن عنده (١) .

٥٦٥ - وكما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله « فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم » ، أى يعلمون أنه كلام الرحمن ، وأنه الحق من الله (٢) .

* * *

« وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً » .

قال أبو جعفر : وقوله « وأما الذين كفروا » ، يعنى الذين جحدوا آيات الله ، وأنكروا ما عرفوا ، وستروا ما علموا أنه حق ، وذلك صفة المناقضين ، وإياهم عصى الله جلّ وعز - ومن كان من نظرائهم وشركائهم من المشركين من أهل الكتاب وغيرهم - بهذه الآية ، فيقولون : ماذا أراد الله بهذا مثلاً ، كما قد ذكرنا قبل من الخبر الذى رويناه عن مجاهد الذى : -

٥٦٦ - حدثنا به محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم » الآية ، قال : يؤمن بها المؤمنون ، ويعلمون أنها الحق من ربهم ، ويهديهم الله بها ، ويضلّ بها الفاسقون . يقول : يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ، ويعرفه الفاسقون فيكفرون به (٣) .

وتأويل قوله : « ماذا أراد الله بهذا مثلاً » ، ما الذى أراد الله بهذا المثل مثلاً . « فذا » ، الذى مع « ما » ، فى معنى « الذى » ، وأراد صلاته ، وهذا إشارة إلى المثل (٤) .

* * *

(١) الأثر : ٥٦٤ - هو عن الربيع بن أنس عن أبي الدالية ، كما مر كثيراً ، وكذلك جاء فى الدر المنثور ١ : ٤٢ .

(٢) الأثر ٥٦٥ - فى ابن كثير ١ : ١١٨ .

(٣) الأثر ٥٦٦ - قد مضى برقم : ٥٥٩ .

(٤) فى المطبوعة : « فذا مع ما فى معنى » .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي

بِهِ كَثِيرًا﴾

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل وعز: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا»، يضل الله به كثيراً من خلقه. والهاء في «به» من ذكر المثل. وهذا خبر من الله جل ثناؤه مبتدأ، ومعنى الكلام: أن الله يُضِلُّ بالمثل الذي يضربه كثيراً من أهل النفاق والكفر: —

٥٦٧ — كما حدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس — وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا» يعني المنافقين، «ويهدي به كثيراً»، يعني المؤمنين^(١). — فيزيد هؤلاء ضللاً إلى ضلالهم، لتكذيبهم بما قد علموه حقاً يقيناً من المثل الذي ضربه الله لما ضربه له، وأنه لما ضربه له موافق. فذلك إضلال الله إياهم به. و«يهدي به»، يعني المثل، كثيراً من أهل الإيمان والتصديق، فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيماناً إلى إيمانهم. لتصديقهم بما قد علموه حقاً يقيناً أنه موافق ما ضربه الله له مثلاً، وإقرارهم به. وذلك هداية من الله لهم به.

وقد زعم بعضهم أن ذلك خبر عن المنافقين، كأنهم قالوا: ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد، يضل به هذا ويهدي به هذا. ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله، فقال الله: «وما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ». وفيما في سورة المدثر — من قول الله: «وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً. كذلك يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» — ما ينبغي عن أنه في سورة البقرة كذلك، مبتدأ — أعنى قوله: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا».

(١) الخبر: ٥٦٧ — في ابن كثير: ١١٩، والدر المنثور: ١٢٢، والشوكاني: ١: ٤٥، وهو فيها تام متصل، وتامه الأثر الذي يليه: ٥٦٨. ولكن ابن كثير أخطأ، فوصل هذا الخبر بكلام الطبري الذي يليه، كأنه كله من تفسير ابن عباس وابن مسعود، وهو خطأ محض. فقول الطبري بعد «فيزيد هؤلاء ضللاً...» هو من تمام قوله قبل هذا «أن الله يضل بالمثل الذي يضربه كثيراً من أهل النفاق والكفر».

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٦)

وتأويل ذلك ما :-

٥٦٨ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه ١٤٢/١ وسلم : « وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين » ، هم المنافقون (١) .

٥٦٩ - وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين » ، فسقوا فأضلَّهم الله على فسقهم (٢) .

٥٧٠ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « وما يضل به إلا الفاسقين » ، هم أهل النفاق (٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وأصلُ الفسق في كلام العرب : الخروجُ عن الشيء . يقال منه : فسقت الرُّطبة إذا خرجت من قشرها . ومن ذلك سُميت الفأرةُ فَوْسِقَةً ، لخروجها عن جحرها (٤) ، فكذلك المنافق والكافر مُتَّبِعًا فاسقين ، لخروجهما عن طاعة ربهما . ولذلك قال جل ذكره في صفة إبليس : ﴿ إِلَّا إِنْ يَأْمُرُ بِكَ أَنْ تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّكَ تَكُونُ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، يعني به خراج عن طاعته واتباع أمره .

٥٧١ - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحق ،

(١) الخبر ٥٦٨ - تمام الأثر السالف ، وقد ذكرنا موضعه .

(٢) الأثر : ٥٦٩ - في ابن كثير ١ : ١١٩ ، وفي الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني

١ : ٤٥ ، وفيهما مكان « عل فسقهم » ، « بفسقهم » .

(٣) الأثر : ٥٧٠ - في ابن كثير ١ : ١١٩ .

(٤) انظر الطبري ١٥ : ١٧٠ (بولاق) . وقوله : « يحكي عن العرب سماعاً : فسقت الرطبة من قشرها » ، إذا خرجت . وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها » ، وسائر ما قال هناك .

عن داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس في قوله : ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة البقرة : ٥٩] ، أى بما بعلدوا عن أمرى^(١) .

فمعنى قوله : « وما يُضِلّ به إلا الفاسقين » ، وما يضلّ الله بالمثل الذى يضربه لأهل الضلال والنفاق ، إلا الخارجين عن طاعته ، والتاركين اتباع أمره ، من أهل الكفر به من أهل الكتاب ، وأهل الضلال من أهل النفاق .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾

قال أبو جعفر : وهذا وصف من الله جل ذكره الفاسقين الذين أخبر أنه لا يُضِلّ بالمثل الذى يضربه لأهل النفاق غيرهم ، فقال : وما يُضِلّ الله بالمثل الذى يضربه — على ما وصف قبل في الآيات المتقدمة — إلا الفاسقين الذين يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ .

ثم اختلف أهل المعرفة في معنى العهد الذى وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه : —

فقال بعضهم : هو وصية الله إلى خلقه ، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته ، في كتبه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . ونقضهم ذلك ، تركهم العمل به .

وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم ، وإياهم عفى الله جل ذكره بقوله : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ ، وَبِقَوْلِهِ : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ » . فكل ما في هذه الآيات ، فعَدْلٌ لهم وتوبيخ إلى انقضاء قَصَصِهِمْ . قالوا : فعهدُ الله الذى

(١) الخبر : ٥٧١ — لم أجده في مكانه من تفسير آية البقرة ، ولا في أية آية ذكر فيها هذا الحرف . ولم يخرج أحد عن احتمالنا ذكره . وفي المخطوطة : « من أمرى » .

نقضوه بعد ميثاقه ، هو ما أخذه الله عليهم في التوراة — من العمل بما فيها ، واتباع محمد صلى الله عليه وسلم إذا بُعث ، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم . ونقضهم ذلك ، هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته ، وإنكارهم ذلك ، وكنانهم علم ذلك الناس^(١) ، بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق لِيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يكتمونه . فأخبر الله جل ثناؤه أنهم نبؤوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً .

وقال بعضهم : إن الله عفى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق . وعهدُهُ إلى جميعهم في توحيدهِ : ما وَضَعَ لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته . وعهدُهُ إليهم في أمرهِ ونبيه : ما احتجَّ به لرسله من المعجزات التي لا يقدرُ أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلاً ، الشاهدة لهم على صدقهم . قالوا : ونقضهم ذلك ، تركهم الإقرار بما قد تبَيَّنَتْ لهم صحته بالأدلة ، وتكذيبهم الرسلَ والكتبَ ، مع علمهم أن ما أتوا به حق .

وقال آخرون : العهدُ الذي ذكره الله جل ذكره ، هو العهدُ الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم ، الذي وصفه في قوله : ١٤٣/١ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣] . ونقضهم ذلك ، تركهم الوفاء به .

وأولى الأقوال عندى بالصواب في ذلك قول من قال : إن هذه الآيات نزلت في كفار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظَهْرَانِي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) في المطبوعة : « عن الناس » ، و « الناس » منصوب ، مفعول ثان ، المصدر « كتمانهم » . والفعل « كتم » يتمنى إلى مفعول ومفعولين ، تقول : كتمت فلاناً سراً ، وكتمت عن فلان سراً ، وهما سواء .

وما قُرْبُ منها من بقايا بني إسرائيل ، ومن كان على شِركه من أهل النفاق الذين قد بينا قصصهم فيما مضى من كتابنا هذا .

وقد دللنا على أن قول الله جل ثناؤه : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ، وقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر » ، فيهم أنزلت ، وفيمن كان على مثل الذى هم عليه من الشرك بالله . غيرَ أن هذه الآيات عندى ، وإن كانت فيهم نزلت ، فإنه معنى^١ بها كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الضلال ، ومعنى^٢ بما وافق منها صفة المنافقين خاصة ، جميعُ المنافقين^(١) ؛ وبما وافق منها صفة كفار أحبار اليهود ، جميعُ من كان لهم نظيراً في كفرهم .

وذلك أن الله جل ثناؤه يعم أحياناً جميعهم بالصفة ، لتقديمه ذكر جميعهم فى أول الآيات التى ذكرت قصصهم ، ويخص أحياناً بالصفة بعضهم ، لتفصيله فى أول الآيات بين فريقينهم ، أعنى : فريقَ المنافقين من عبدة الأوثان وأهل الشرك بالله ، وفريقَ كفار أحبار اليهود . فالذين ينقضون عهدَ الله ، هم التاركون ما عهد الله إليهم من الإقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وتبيين نبوته للناس ، الكاتمون بيان ذلك بعد علمهم به ، وبما قد أخذَ الله عليهم فى ذلك ، كما قال الله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٧] ، ونبذُهم ذلك وراء ظهورهم ، هو نقضُهم العهدَ الذى عهدَ إليهم فى التوراة الذى وصفناه ، وتركُهم العمل به .

ولما قلت : إنه عنى بهذه الآيات من قلتُ إنه عنى بها ، لأن الآيات — من مبتدأ الآيات الخمس والست من سورة البقرة^(٢) — فيهم نزلت ، إلى تمام قصصهم .

(١) سياق العبارة : « ومعنى جميع المنافقين ، بما وافق منها صفة المنافقين » وعبارة الطبري أعرب .

(٢) فى المطبوعة : « من ابتداء الآيات » ، وكأنه تغيير من المصححين .

وفي الآية التي بعد الخبر عن خلق آدم وبيانه في قوله ^(١) : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [سورة البقرة : ٤٠]. وخطابه لإياهم جلّ ذكره بالوفاء بذلك خاصة دون سائر البشر ^(٢) — ما يدل على أن قوله : «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه» مقصود به كفارهم ومناقضهم ، ومن كان من أشياعهم من مشركي عبدة الأوثان على ضلالهم . غير أن الخطاب — وإن كان لمن وصفت من الفريقين — فداخل في أحكامهم ، وفيما أوجب الله لهم من الوعيد والذم والتوبيخ ، كل من كان على سبيلهم ومنهاجهم من جميع الخلق وأصناف الأمم المخاطبين بالأمر والنهي .

فعني الآية إذاً : وما يُضِلّ به إلا التاركين طاعة الله ، الخارجين عن اتباع أمره ونهيه ، الناكثين عهود الله التي عهد لها إليهم ، في الكتب التي أنزلها إلى رُسُلِهِ وعلى ألسن أنبيائه ، باتباع أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وطاعة الله فيما افترض عليهم في التوراة من تبين أمره للناس ، وإخبارهم لإياهم أنهم يجدونه مكتوباً عندهم أنه رسول من عند الله مفترضة طاعته ، وترك كتمان ذلك لهم ^(٣) . ونكثهم ذلك ونقضهم إياه ، هو مخالفتهم الله في عهده إليهم — فيما وصفت أنه عهد إليهم — بعد إعطائهم ربهم الميثاق بالوفاء بذلك . كما وصفهم به ربنا تعالى ذكره بقوله : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخْذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ . [سورة الأعراف : ١٦٩]

(١) في المطبوعة «عن خلق آدم وأبنائه في قوله» ، وهو خطأ محض . وقوله «وبيانه» ، مجرور معطوف على قوله : «وفي الآية التي بعد الخبر . . .» أي ، «وفي بيانه في قوله : . . .» .
(٢) قوله : «وخطابه» مجرور معطوف على قوله : «وفي الآية . . .» و «وبيانه . . .» كما أسلفنا في التعليق قبله . وفي المطبوعة : «في ذلك خاصة» . وليست بشيء .
(٣) هكذا في الأصول ، ولعل الأجود أن يقول : وترك كتمان ذلك عنهم .

وأما قوله : « من بعد ميثاقه » ، فإنه يعنى : من بعد توثق الله فيه ^(١) ،
بأخذ عهوده بالوفاء له ، بما عهد إليهم فى ذلك ^(٢) . غير أن التوثق مصدر
من قولك : توثقت من فلان توثقاً ، والميثاقُ اسمٌ منه . والهاء فى الميثاق عائدة
على اسم الله .

* * *

وقد يدخل فى حكم هذه الآية كل من كان بالصفة التى وصف الله بها
هؤلاء الفاسقين من المنافقين والكفار ، فى نقض العهد وقطع الرحم والإفساد فى
الأرض .

٥٧٢ — كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن
قتادة ، قوله : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » ، فإياكم ونقض هذا
الميثاق ، فإن الله قد كره نقضه وأوعده فيه ، وقدّم فيه فى آى القرآن حجة وموعظة
ونصيحة ، وإنا لا نعلم الله جل ذكره أوعده فى ذنب ما أوعده فى نقض الميثاق .
فمن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليُصِف به الله ^(٣) .

٥٧٣ — حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون » ، فهى
ست خلال فى أهل النفاق ، إذا كانت لهم الظهرة ^(٤) ، أظهرها هذه الخلال الست

(١) فى المطبوعة : « منه » مكان « فيه » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « بما عهد إليه » ، وهو خطأ بين .

(٣) الأثر : ٥٧٢ — فى الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكانى ١ : ٤٥ . وقوله « من ثمرة

قلبه » ، أى خالص قلبه ، مأخوذ من ثمرة الشجرة ، لأنها خلاصتها وأطيب ما فيها . وفى حديث

المباينة : « فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه » ، أى خالص عهده وهو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ،

فى المسند : ٦٥٠١ ، ٦٥٠٣ ، ٦٧٩٣ . ويقال : خصنى فلان بشمرة قلبه : أى خالص مودته .

(٤) الظهرة (ثلاث فتحات) : الكثرة ، وأراد بها ظهور الأمر والغلبة . ولو أسكنت الهاء ،

كان صواباً ، من قولهم : ظهرت حل فلان : إذا علوته وغلبته .

جميعاً : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا أؤتمنوا خانوا ، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض . وإذا كانت عليهم الظهيرة ، أظهروا الخلال الثلاث إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا أؤتمنوا خانوا^(١) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ -

أَنْ يُوصَلَ ﴾

قال أبو جعفر : والذي رغب الله في وصله وذم على قطعه في هذه الآية : الرحيم . وقد بين ذلك في كتابه ، فقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ ﴾ [سورة محمد : ٢٢] . وإنما عني بالرحم ، أهل الرحمة الذين جمعهم وإياه رحيمٌ واحدة . وقطع ذلك : ظلمه في ترك أداء ما ألزم الله من حقوقها ، وأوجب من برّها . ووصلها : أداء الواجب لها إليها من حقوق الله التي أوجب لها ، والتعطف عليها بما يحقُّ التعطف به عليها .

« وأن » التي مع « يوصل » في محل خفض ، بمعنى ردّها على موضع الهاء التي في « به » : فكان معنى الكلام^(٢) : « ويقطعون الذي أمر الله بأن يوصل . والهاء التي في « به » ، هي كناية عن ذكر « أن يوصل » . وبما قلنا في تأويل قوله : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » ، وأنه الرحمة ، كان قتادة يقول :

(١) الأثر : ٥٧٣ - في ابن كثير ١ : ١٢٠ - ١٢١ عن أبي العالمة ، ثم قال : « وكذا قال الربيع بن أنس أيضاً » . هذا ، وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ، والشوكاني غيراً خرجوه عن ابن جرير عن سعد بن أبي وقاص قال : « الحرورية هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، قال : إياكم ونقض هذا الميثاق . وكان يسميهم : الفاسقين » الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني ١ : ٤٥ . أما ابن كثير فقد رواه في تفسيره ١ : ١١٩ فقلا عن ابن أبي حاتم ؛ بإسناده ، ولم ينسبه إلى الطبري . وأخشى أن يكون وهماً من السيوطي والشوكاني .

(٢) في المطبوعة : « وكان معنى الكلام » بالوار .

٥٧٤ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة :
« ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » ، فقطع والله ما أمر الله به أن يوصل بقطيعة
الرحم والقربة^(١) .

* * *

وقد تأول بعضهم ذلك : أن الله ذمهم بقطعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين به وأرحامهم . واستشهد على ذلك بعموم ظاهر الآية ، وأن لا دلالة
على أنه معنى بها بعض ما أمر الله بوصله دون بعض^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا مذهب من تأويل الآية غير بعيد من الصواب ، ولكن
الله جل ثناؤه قد ذكر المنافقين في غير آية من كتابه ، فوصفهم بقطع الأرحام .
فهذه نظيرة تلك ، غير أنها - وإن كانت كذلك - فهي دالة على ذم الله كل
قاطع قطع ما أمر الله بوصله ، رحماً كانت أو غيرها .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : وفسادهم في الأرض : هو ما تقدم وصفناه قبل من
معصيتهم ربهم ، وكفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ، وجحدهم نبوته ، وإنكارهم
ما أتاهم به من عند الله أنه حق من عنده .

* * *

(١) الأثر : ٥٧٤ - في الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني ١ : ٤٦ مختصراً ، ونصه
هناك : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » ، قال : الرحم والقربة .
(٢) في المصطبة : « واستشهد على ذلك عموم ظاهر الآية ، ولا دلالة . . . » .

القول في تأويل قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : والخاسرون جمع خاسر^(١) ، والخاسرون : الناقصون أنفسهم حظوظها - بمعصيتهم الله - من رحمته ، كما يخسر الرجل في تجارته ، بأن يوضع من رأس ماله في بيعه^(٢) . فكذلك الكافر والمنافق ، خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة ، أحوج ما كان إلى رحمته . يقال منه : خسر الرجل يخسر خسراً وخساراً ، كما قال جرير بن عطية :

إِنْ سَلِطًا فِي الْخَسَارِ إِنَّهُ أَوْلَادُ قَوْمٍ خُلِقُوا أَقْنَهُ^(٣)

يعنى بقوله : « في الخسار » ، أى فيما يوكسهم حظوظهم من الشرف والكرم . وقد قيل : إن معنى « أولئك هم الخاسرون » : أولئك هم المالكون . وقد يجوز أن يكون قائل ذلك أراد ما قلنا من هلاك الذى وصف الله صفته بالصفة التي وصفه بها في هذه الآية ، بحرمان الله إياه ما حرّمه من رحمته ، بمعصيته إياه وكفره به . فحمل تأويل الكلام على معناه ، دون البيان عن تأويل عين الكلمة بعينها ، فإن أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعل كثيرة تدعوهم إليه .

وقال بعضهم في ذلك بما :

٥٧٥ - حَدَّثْتُ بِهِ عَنِ الْمُنْجَاب ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ عَمَّارٍ ، عَنْ أَبِي رَوْحٍ ، عَنْ الضَّحَّاك ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كُلُّ شَيْءٍ نَسَبَهُ اللَّهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ اسْمٍ مِثْلَ « خَاسِر » ، فَلِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الْكُفْرَ . وَمَا نَسَبَهُ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَلِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الذَّنْبَ .

(١) في المطبوعة : « جمع الخاسر » ، وليست بشيء .

(٢) وضع في البيع يوضع (مبنى للمجهول) وضيمة : إذا خسر خسارة من رأس المال .

(٣) ديوانه : ٥٩٨ ، والنقائض : ٤ ، واللسان (قن) ، وروايته : « أبناء قوم » .

وسليط : بطن من بنى يربوع قوم جرير ، واسم سليط : كعب بن الحارث بن يربوع . وكان غسان ابن ذهيل السليطي هجاء بنى الخطن ، فهجاء جرير بهذا الرجز . وأقنة جمع قن (بكسر القاف) ، والقن : العبد الذى ملك هو وأهواه . والأثنى ، قن أيضاً بندير هاء .

القول في تأويل قول الله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ
أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٨)
هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك :

فقال بعضهم بما :

٥٧٦ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ،
عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم : « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ » ،
يقول : لم تكونوا شيئاً فخلقكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم يوم القيامة .

٥٧٧ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال :
حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، في قوله :
﴿ أَمْتَنَّا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ [سورة غافر : ١١] ، قال : هي كالتى في
البقرة : « كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ » .

٥٧٨ - حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن يونس ، قال :
حدثنا عبثر ، قال : حدثنا حصين ، عن أبي مالك ، في قوله : « أَمْتَنَّا اثْنَتَيْنِ
وَأُحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ » ، قال : خلقنا ولم نكن شيئاً ، ثم أَمْتَنَّا ، ثم أُحْيَيْنَا .
٥٧٩ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، عن حصين ،
عن أبي مالك ، في قوله : « أَمْتَنَّا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ » ، قال : كانوا أَمْوَاتًا فَأَحْيَاهُمْ
الله ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم (١) .

(١) الأثر : ٥٧٩ - « حصين » . بضم الحاء المهملة : هو ابن عبد الرحمن السلمي .
و « أبو مالك » : هو الفخاري الكوفي ، واسمه « غزوان » . سبقت ترجمته في : ١٦٨

٥٨٠ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » ، قال : لم تكونوا شيئاً حين خلقكم ، ثم يميتكم الموتة الحقة ، ثم يحييكم . وقوله : « أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ، مثلها .

٥٨١ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدثني عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : هو قوله : « أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » .

١٤٦/١

٥٨٢ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثني أبو العالية ، في قول الله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » ، يقول : حين لم يكونوا شيئاً ، ثم أحياهم حين خلقهم ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، ثم رجعوا إليه بعد الحياة .

٥٨٣ - حدثت عن المنجاب ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله : « أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ، قال : كنتم تراباً قبل أن يخلقكم ، فهذه ميتة ، ثم أحياكم فخلقكم ، فهذه إحياءة . ثم يميتكم فترجعون إلى القبور ، فهذه ميتة أخرى . ثم يبعثكم يوم القيامة ، فهذه إحياءة . فهما ميتتان وحياتان ، فهو قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » ، ثم إليه ترجعون .

وقال آخرون بما :

٥٨٤ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي صالح : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم » ، ثم إليه ترجعون » ، قال : يحييكم في القبر ، ثم يميتكم .

قال آخرون بما :

٥٨٥ - حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ،

عن قتادة ، قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » الآية ، قال : كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم^(١) ، فأحياهم الله وخلقهم ، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حيأتان وموتتان^(٢) .
وقال بعضهم بما :

٥٨٦ - حدثني به يونس ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » . قال : خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق ، وقرأ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ النَّبِيطُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣] . قال : فكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق . قال : وانترع ضلعاً من أضلاع آدم القصصري^(٣) فخلق منه حواء - ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ [سورة النساء : ١] ، قال : وبث منها بعد ذلك في الأرحام خلقاً كثيراً^(٤) ، وقرأ : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [سورة الزمر : ٦] ، قال : خلقاً بعد ذلك . قال : فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم ، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، فذلك قول الله : ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾ .

(١) في المخطوطة : « في أصلية » ، والصواب « صلبة » (يكسر الصاد وفتح اللام) أو « أصلب » (يسكون الصاد وضم اللام) . وكلها جمع صلب (بضم فسكون) : وهو عظم الظهر من لدن الكاهل إلى حجب الذنب .

(٢) الآثار : ٥٧٥ - ٥٨٥ : بعضها في ابن كثير ١ : ١٢٢ جملة ، وبعضها في الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني ١ : ٤٦ ، وكرهنا الإطالة بتفصيلها .

(٣) القصصري ، بالتصغير : هي الضلع التي تلي الشاكلة أسفل الأضلاع ، وهي أقصرهن .

(٤) في المطبوعة : « وبث فيها بعد ذلك . . . » ، وهو خطأ .

وقرأ قول الله : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧] .
قال : يومئذ . قال : وقرأ قول الله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي
وَاتَّقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ^(١) [سورة المائدة : ٧] .

قال أبو جعفر : ولكل قول من هذه الأقوال التي حكيناها عن روينها عنه ،
وجه ومذهب من التأويل .

فأما وجه تأويل من تأول قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » ،
أى لم تكونوا شيئاً ، فإنه ذهب إلى نحو قول العرب للشيء الدارس والأمر الخامل
الذكر : هذا شيء ميت ، وهذا أمر ميت - يراد بوصفه بالموت : نحو ذكره ،
ودروس أثره من الناس . وكذلك يقال في ضد ذلك وخلافه : هذا أمر حي ،
وذكر حي - يراد بوصفه بذلك أنه نابه متعالم في الناس ، كما قال أبو نُخَيْلَة
السعدي :

فَأَحْيَيْتَ لِي ذِكْرِي ، وَمَا كُنْتُ خَامِلًا وَلَكِنْ بَعْضُ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضٍ ^(٢)

يريد بقوله : « فأحييت لي ذكري » ، أى : رفعته وشهرته في الناس حتى نبه فصار ١٤٧/١
مذكوراً حياً ، بعد أن كان خاملاً ميتاً . فكذلك تأويل قول من قال في قوله :
« وكنتم أمواتاً » لم تكونوا شيئاً ، أى كنتم نحو لا ذكر لكم ، وذلك كان موتكم
فأحياكم ، فجعلكم بشراً أحياء تذكرون وتعرفون ، ثم يميتكم بقبض أرواحكم
وإعادتكم ، كالذي كنتم قبل أن يحييكم ، من دروس ذكركم ، وتعفى آثاركم ،
ونحو أموركم ، ثم يحييكم بإعادة أجسامكم إلى هيئاتها ، ونفخ الروح فيها ،

(١) الأثر : ٥٨٦ - في ابن كثير ١ : ١٢٢ ، والشوكاني ١ : ٤٧ ، مختصراً جداً .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٤٠ ، والمؤتلف والمختلف للأصمعي ١٩٣ ، وأبو نخيلة اسمه

لا كنيته ، كما قال أبو الفرج ، ويقال اسمه : يعمر بن حزن بن زائدة ، من بني سعة بن زيد مناة ، وكان
الأغلب عليه الرجز ، وله قصيد قليل ، وكان عاقاً بأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه . والبيت من أبيات ،
يحدح بها سلمة بن عبد الملك .

وتصييركم بشراً كالذى كنتم قبل الإمامة ، تتعارفون فى بعثكم وعند حشركم^(١) .

* * *

وأما وجه تأويل من تأول ذلك : أنه الإمامة التى هى خروج الرّوح من الجسد ، فإنه ينبغى أن يكون ذهب بقوله « وكنتم أمواتاً » ، إلى أنه خطاب لأهل القبور بعد إحيائهم فى قبورهم . وذلك معنى بعيد ، لأن التوبيخ هنالك إنما هو توبيخ على ما سلف وفرط من إجرامهم ، لا استعتاب واسترجاع^(٢) . وقوله جل ذكره : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » ، توبيخ مُستعْتَبٍ عبادَه ، وتأنيبٌ مسترجعٍ خلقَه من المعاصى إلى الطاعة ، ومن الضلالة إلى الإنابة ، ولا إنابة فى القبور بعد الممات ، ولا توبة فيها بعد الوفاة .

* * *

وأما وجه تأويل قول قتادة ذلك : أنهم كانوا أمواتاً فى أصلاب آبائهم . فإنه عنى بذلك أنهم كانوا نطفاً لا أرواح فيها ، فكانت بمعنى سائر الأشياء الموات التى لا أرواح فيها . وإحياءه إياها تعالى ذكره ، نفخه الأرواح فيها ، وإماتته إياهم بعد ذلك ، قبضه أرواحهم . وإحياءه إياهم بعد ذلك ، نفخ الأرواح فى أجسامهم يوم يُنفخ فى الصّور ، ويُبعثُ الخلق للموعود .

* * *

وأما ابن زيد ، فقد أبان عن نفسه ما قصد بتأويله ذلك ، وأن الإمامة الأولى عنده إعادة الله جل ثناؤه عبادة فى أصلاب آبائهم ، بعد ما أخذهم من صلب آدم ، وأن الإحياء الآخر هو نفخ الأرواح فيهم فى بطون أمهاتهم ، وأن الإمامة الثانية هى قبضُ أرواحهم للعود إلى التراب^(٣) ، والمصير فى البرزخ إلى يوم

(١) فى المطبوعة : « لتعارفوا » ، وهى قرينة فى المعنى .

(٢) الاستعتاب : الاستقالة من الذنب ، والرجوع إلى ما يجلب الرضا ، أى أن يستقيلوا وبهم ويستغفروه ، ويرجعوا عن إساءتهم ويطلبوا رضاه . واستعته : طلب إليه الرجوع إلى ما يرضى . والاسترجاع : طلب الرجوع . واسترجعه : رده الله إلى الطاعة .

(٣) فى المخطوطة : « للعودة إلى التراب » ، وهى قريب .

البعث ، وأن الإحياء الثالث هو نفخ الأرواح فيهم لبعث الساعة ونشر القيامة .
وهذا تأويل إذا تدبره المتدبر وجده خلافاً لظاهر قول الله الذي زعم مفسره أن
الذي وصفنا من قوله تفسيره . وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه - عن الذين
أخبر عنهم من خلقه - أنهم قالوا : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ، وزعم ابن
زيد في تفسيره أن الله أحياهم ثلاث إحياءات ، وأماتهم ثلاث إمامات . والأمر
عندنا - وإن كان فيما وصّف من استخراج الله جل ذكره من صلب آدم ذريته ،
وأخذه ميثاقه عليهم كما وصف - فليس ذلك من تأويل هاتين الآيتين - أعني
قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » الآية ، وقوله : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا
اثنتين » - في شيء . لأن أحداً لم يدع أن الله أمات من ذرّاً يومئذ غير الإمامة التي
صار بها في البرزخ إلى يوم البعث ، فيكون جائزاً أن يوجه تأويل الآية إلى ما وجهه
إليه ابن زيد .

* * *

وقال بعضهم : الموتة الأولى مفارقة نطفة الرجل جسده إلى رحم المرأة ، فهي
ميّنة من لدن فراقها جسده إلى نفخ الروح فيها . ثم يحييها الله بنفخ الروح فيها
فيجعلها بشراً سوياً بعد تارات تأتي عليها . ثم يميتة الميئة الثانية بقبض الروح منه ،
فهو في البرزخ ميت إلى يوم ينفخ في الصور ، فيردّ في جسده روحه ^(١) ، فيعود حياً
سوياً لبعث القيامة . فذلك موتان وحياتان . وإنما دعا هؤلاء إلى هذا القول ، لأنهم ١٤٨/١
قالوا : موت ذى الروح مفارقة الروح لياه . فزعموا أن كل شيء من ابن آدم حتى
ما لم يفارق جسده الحي ذا الروح . فكل ما فارق جسده الحي ذا الروح ، فارقته
الحياة فصار ميتاً . كالعضو من أعضائه - مثل اليد من يديه ، والرجل من رجله -
لو قطعت فأبينت ^(٢) ، والمقطوع ذلك منه حتى ، كان الذي بان من جسده ميتاً
لا روح فيه بفراقه سائر جسده الذي فيه الروح . قالوا : فكذلك نطفته حية بحياته

(١) في المخطوطة : « فيرد في جسده » ، وهي قريب .

(٢) في المطبوعة : « وأبينت » ، وهذه أجود .

بالم تفاوق جسده ذا الروح، فإذا فارقت مباينةً له صارت ميتةً ، نظير ما وصفنا من حكم اليد والرجل وسائر أعضائه . وهذا قولٌ ووجه من التأويل ، لو كان به قائلٌ من أهل القعدة الذين يُرتضى للقرآن تأويلهم .

وأولى ما ذكرنا - من الأقوال التي يسنّا - بتأويل قول الله جل ذكره : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » الآية ، القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وعن ابن عباس : من أن معنى قوله : « وكنتم أمواتاً » أموات الذكر ، حملوا في أصلاب آبائكم نطفاً ، لا تعرفون ولا تُذكرون : فأحياكم بإنشاءكم بشراً سوياً حتى ذُكِرتم وعُصِرتم وحييتُم ، ثم يُمَيِّتُكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رُفَاتاً لا تعرفون ولا تُذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون ، ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة ، ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك ، كما قال : « ثم إليه تُرجعون » ، لأن الله جل ثناؤه يحييهم في قبورهم قبلَ حشرهم ، ثم يحشرهم لموقف الحساب ، كما قال جل ذكره : ﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ ﴾ [سورة المارج : ٤٣] ، وقال : ﴿ وَتُفْخِ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [سورة يس : ٥١] .

والعلة التي من أجلها اخترنا هذا التأويل ، ما قد قدّمنا ذكره للقائلين به ، وفساد ما خالفه بما قد أوضحناه قبل .

وهذه الآية توبيخٌ من الله جل ثناؤه للقائلين : « آمنا بالله وباليوم الآخر » ، الذين أخبر الله عنهم أنهم مع قبليهم ذلك بأفواههم ، غيرُ مؤمنين به . وأنهم إنما يقولون ذلك خداعاً لله وللمؤمنين ، فعذّ لهم الله بقوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » ، ووبّخهم واحتجّ عليهم - في نكيرهم ما أنكروا من ذلك وجحودهم ما جحدوا بقلوبهم المريضة - فقال : كيف تكفرون بالله فتجحدون قدرته على إحيائكم بعد إماتتكم ، [لبعث القيامة ، ومجازاة المسيء منكم بالإساءة والمحسن

بالإحسان ، وقد كنتم نطفاً أمواتاً في أصلاب آبائكم ، فأنشأكم خلقاً سوياً ، وجعلكم أحياء ، ثم أماتكم بعد إنشائكم . فقد علمتم أن مَنْ فعل ذلك بقدرته ، غير مُعْجِزِهِ - بالقدرة التي فعل ذلك بكم - إحياءكم بعد إماتتكم^(١) ، وإعادتكم بعد إفنائكم ، وحشركم إليه لمجازاتكم بأعمالكم .

ثم عدّد ربنا تعالى ذكره عليهم وعلى أوليائهم من أحبار اليهود - الذين جمع بين قصصهم وقصص المنافقين في كثير من آي هذه السورة التي افتتح الخبر عنهم فيها بقوله : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرهم لا يؤمنون » - ^(٢) نِعَمَتِهِ التي سلفت منه إليهم وإلى آبائهم ، التي عظُمتْ منهم مواقعها . ثم سلب كثيراً منهم كثيراً منها ، بما ركبوا من الآثام ، واجتروا من الأجرام ، وخالفوا من الطاعة إلى المعصية ، محذّراًهم بذلك تعجيل العقوبة لهم ، كالتي عجلها للأسلاف والأفراط قبلهم ، ومُخَوِّفهم حلول مثلاته بساحتهم كالذي أحلّ بأوليهم ، وسُحِرْفهم ما لهم من النجاة في سرعة الأوبة إليه ، وتعجيل التوبة ، ومن الخلاص لهم يوم القيامة من العقاب ^(٣) .

فبدأ بعد تمديده عليهم ما عدّد من نعمه التي هم فيها مُقيّمون ، بذكر أئينا وأبيهم آدم أبي البشر صلوات الله عليه ، وما سلف منه من كرامته إليه ، وآلائه لديه ، وما أحلّ به وبعده لإبليس من عاجل عقوبته : صيتهما التي كانت منهما ، ومخالفتهما أمره الذي أمرهما به . وما كان من تعمّده آدم برحمته إذ تاب وأناب إليه . وما كان من إحلاله لإبليس من لعنته في العاجل ، وإعداده له ما أعدّ له من العذاب المقيم في الآجل ، إذ استكبر وأبى التوبة إليه والإنابة ، منبهاً لهم على حكمه ١٤٩/١

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

(٢) قوله « نعمه » مفعول قوله « ثم عدّد ربنا . . . » ، وما بينهما فصل .

(٣) في المطبوعة « يحذّرهم بذلك . . . ويخوِّفهم . . . أحلّ بأولئهم ، ويمرّفهم » ، وانظر ما سيأتى في ص : ١٥٤ بولاق . وفي المخطوطة والمطبوعة : « من الخلاص . . . » بغير واو ، هو لا يستقيم ، فلذلك زدناها . وقوله : « حلول مثلاته » جمع مثلة (يفتح الميم وضم الشاء) : وهي العقوبة والمذاب والنكال .

في المتبين إليه بالتوبة، وقضائه في المستكبرين عن الإنابة، إعداراً من الله بذلك إليهم، وإنذاراً لهم، ليتدبروا آياته وليتذكر منهم أولو الألباب. وخصوصاً أهل الكتاب — بما ذكر من قصص آدم وسائر القصص التي ذكرها معها وبعدها، مما علمه أهل الكتاب وجهلته الأمة الأمية من مشركي عبدة الأوثان — بالاحتجاج عليهم — دون غيرهم من سائر أصناف الأمم، الذين لا علم عندهم بذلك — لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم^(١)، ليعلموا بإخباره إياهم بذلك، أنه لله رسول مبعوث، وأن ما جاءهم به فن عنده. إذ كان ما اقتضى عليهم من هذه القصص، من مكنون علومهم، ومصون ما في كتبهم، وخفي أمورهم التي لم يكن يدعى معرفة علمها غيرهم وغير من أخذ عنهم وقرأ كتبهم.

وكان معلوماً من محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن قط كاتباً، ولا لأسفارهم تالياً، ولا لأحد منهم مُصاحباً ولا مجالساً، فيمكنهم أن يدعوا أنه أخذ ذلك من كتبهم أو عن بعضهم، فقال جل ذكره — في تعديده عليهم ما هم فيه مقيمون من نعمه، مع كفرهم به، وتركهم شكره عليها بما يجب له عليهم من طاعته^(٢) — : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة : ٢٩]. فأخبرهم جل ذكره أنه خلق لهم ما في الأرض جميعاً، لأن الأرض — وجميع ما فيها لبني آدم منافع. أما في الدين، فدليل على وحدانية ربهم، وأما في الدنيا فعاش وبلغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه.

فلذلك قال جل ذكره : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » .

(١) سياق هذه العبارة : « وخصوصاً أهل الكتاب . . . بالاحتجاج عليهم . . . لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ». وما بين هذه الأحرف المتعلقة بمراجعتها، فصل متتابع، كمادة الطبري في كتابته

وقوله : « هو » مكنى من اسم الله جل ذكره عائد على اسمه فى قوله : « كيف تكفرون بالله » . ومعنى خلقه ما خلق جل ثناؤه ، لإنشاؤه عينه ، وإخراجه من حال العدم إلى الوجود . و « ما » بمعنى « الذى » .

فمعنى الكلام إذاً : كيف تكفرون بالله وكنتم نطفاً فى أصلاب آبائكم فجعلكم بشراً أحياء ، ثم يميتكم ، ثم هو يحييكم بعد ذلك وباعثكم يوم الحشر للثواب والعقاب ، وهو المنعم عليكم بما خلق لكم فى الأرض من معاشكم وأدلتكم على وحدانية ربكم .

و « كيف » بمعنى التعجب والتوبيخ ، لا بمعنى الاستفهام ، كأنه قال : وينحكم كيف تكفرون بالله ، كما قال : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [سورة التكاثر : ٢٦] . وحل قوله : « وكنتم أمواتاً فأحياكم » محل الحال . وفيه ضمير « قد » (١) ، ولكنها حذفت لما فى الكلام من الدليل عليها . وذلك أن « فعل » إذا حلت محل الحال كان معلوماً أنها مقتضية « قد » ، كما قال ثناؤه ﴿ أَوْجَأَوْكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [سورة النساء : ٩٠] ، بمعنى : قد حَصِرَتْ صدورهم . وكما تقول للرجل : أصبحت كثرت ماشيتك ، تريد : قد كثرت ماشيتك .

وبنحو الذى قلنا فى قوله : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » ، كان قتادة يقول :

٥٨٧ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » ، نَعَمْ والله سخر لكم ما فى الأرض (٢) .

• • •

(١) فى المطبوعة « وفيه إشهار قد » ، ولم يرد بالضمير ما اصطلاح عليه النحويون ، وإنما أراد المفسر الذى أخفى وستر . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣ - ٢٥ .

(٢) الأثر : ٥٨٧ - فى الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني ١ : ٤٨ ، وفيهما زيادة على الذى فى أصول الطبلى ، وهى : « ما فى الأرض جميعاً ، كرامة من الله ونعمة لابن

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ۚ

سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۚ

قال أبو جعفر : اختلفوا في تأويل قوله : « ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ » .

فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان

مقبلاً على فلان ، ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَىٰ يَشَانِي - وَأَسْتَوَىٰ إِلَىٰ يَشَانِي . بمعنى أقبل على - وإلى يَشَانِي . واستشهد على أن الاستواء بمعنى الإقبال بقول الشاعر :

أَقُولُ وَقَدْ قَطَعَنَ بِنَا شَرَّوَرَى سَوَامِدَ ، وَأَسْتَوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ ^(١)

فزعم أنه عني به أنهم خرجن من الضجوع ، وكان ذلك عندهم بمعنى :

١٥٠/١ أقبلن . وهذا من التأويل في هذا البيت خطأ ، وإنما معنى قوله : « وَأَسْتَوَيْنَ مِنَ

الضجوع » ، استوين على الطريق خارجات ، بمعنى استقمين عليه .

وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوّل ، ولكنه بمعنى فعله ،

كما تقول : كان الخليفة في أهل العراق يواليه ، ثُمَّ تحوّل إلى الشام . إنما يريد :

آدم متاعاً ، وُبلغةً ومنفعة إلى أجل .

هذا وقد زاداً معاً أثراً آخر قالاً أخرجه ابن جرير عن مجاهد ، هذا هو : « في قوله :

هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، قال : سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » .

وإسناده هذا الأثر ، هو الذي يأتي برقم : ٥٩١ ، لأنه من تمامه ، كما هو بين فيما نقله السيوطي والشوكاني . ويوشك أن يكون في نسخ الطبري التي بين أيدينا - حذف الجأ النسخ إليه طول الكتاب ، فقد مضى آنفاً مثل هذا النقص ، ومثل هذه الزيادة .

(١) البيت تميم بن أبي بن مقبل (معجم ما استعجم : ٧٩٥ ، ٨٥٧) ، وروايته « ثواني »

مكان « سوامد » . وشروى : جبل بين بني أسد وبني عامر ، في طريق مكة إلى الكوفة . والضجوع

- بفتح الصاد المججمة - : موضع أيضاً بين بلاد هذيل وبني سليم . وقوله : « سوامد » جمع سامد .

سمدت الإبل في سبرها : جدت ومارت سيراً دائماً ، ولم تعرف الإعياء . وسوامد : دواب لا يلحقهن

كلال . والنون في « قطعن » للإبل .

تحوّل فعله . [وقال بعضهم : وله : « ثم استوى إلى السماء » يعنى به : استوت]^(١) .
كما قال الشاعر :

أقولُ له لَمَّا اسْتَوَى في تَرَابِهِ عَلَى أَى دِينٍ قَتَلَ النَّاسَ مُصْعَبُ^(٢)

وقال بعضهم : « ثم استوى إلى السماء » ، عمدَ لها^(٣) . وقال : بل كلُّ تارك
عملا كان فيه إلى آخر ، فهو مُستوي لما عمدَ له ، ومستوي إليه .

وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلو هو الارتفاع . ومن قال ذلك
الربيع بن أنس .

٥٨٨ - حَدَّثْتُ بِذَلِكَ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ » . يَقُولُ : ارْتَفَعَ
إِلَى السَّمَاءِ^(٤) .

ثم اختلف متأولو الاستواء بمعنى العلو والارتفاع ، في الذى استوى إلى السماء .
فقال بعضهم : الذى استوى إلى السماء وعلا عليها ، هو خالقها ومنشئها . وقال
بعضهم : بل العالى عليها : الدخان الذى جعله الله للأرض سماء^(٥) .

قال أبو جعفر : الاستواء في كلام العرب منصرف على وجه : منها انتهاء
شباب الرجل وقوته ، فيقال ، إذا صار كذلك : قد استوى الرجل . ومنها .
استقامة ما كان فيه أود من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى لفلان أمره .
إذا استقام بعد أود ، ومنه قول الطرّمّاح بن حكيم :

طَالَ عَلَى رَسْمِهِ مَهْدِدٌ أَبَدُهُ وَعَفَا وَاسْتَوَى بِهِ بَلَدُهُ^(٦)

(١) هذه الجملة بين القوسين ، ليست في المخطوطة ، وكأنها مقحمة .
(٢) لم أجد هذا البيت . وفي المطبوعة : « قبل الرأس مصعب » ، وهو خطأ لا شك فيه .
وفي المخطوطة : « في ثرائه » ، ولا معنى لها ، ولعلها « في ثرائه » . وأنا في شك من كل ذلك . بيد أن
مصعباً الذى ذكر في الشعر ، هو فيما أرجح مصعب بن الزبير .

(٣) في المطبوعة : « عمد إليها » .

(٤) الأثر : ٥٨٨ - في الدر المنثور ١ : ٤٣ ، والأثر التالى : ٥٨٩ ، من تمامه .

(٥) في المطبوعة : « العالى إليها » .

(٦) ديوانه : ١١٠ ، واللسان (سوى) قال : « وهذا البيت مختلف الوزن ، فالمصرع الأول

يعنى : استقام به . ومنها : الإقبال على الشيء يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الإحسان إليه . ومنها . الاحتياز والاستيلاء^(١) ، كقولهم : استوى فلان على المملكة . بمعنى احتوى عليها وحازها . ومنها : العلو والارتفاع ، كقول القائل ، استوى فلان على سريره . يعنى به علوه عليه .

وأولى المعانى بقول الله جل ثناؤه : « ثم استوى إلى السماء فسواهن » ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهن بقدرته ، وخلقهن سبع سموات .

والعجب من أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب فى تأويل قول الله : « ثم استوى إلى السماء » ، الذى هو بمعنى العلو والارتفاع ، هرباً عند نفسه من أن يلزمه بزعمه — إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك — أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها — إلى أن تأوله بالجهول من تأويله المستنكر . ثم لم ينسج مما هرب منه ! فيقال له : زعمت أن تأويل قوله « استوى » أقبل ، أفكان مدبراً عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ، ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك فقل : علا عليها علوٌ مُلك وسلطان ، لا علو انتقال وزوال . ثم لن يقول فى شيء من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله . ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال فى ذلك قولاً ، لقول أهل الحق فيه مخالفاً . وفيما بينا منه ما يُشرف بذى الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل^(٢) : أخبرنا عن استواء الله جل ثناؤه إلى

السماء ، كان قبل خلق السماء أم بعده ؟

قيل : بعده ، وقبل أن يسويهن سبع سموات ، كما قال جل ثناؤه :

من المنسرح ، والثانى من الخفيف . والرسم : آثار الديار اللاصقة بالأرض . ومهدد اسم امرأة . والأبد : الدهر الطويل ، والهاء فى « أبد » راجع إلى الرسم . وعفا : درس وذهب أثره . والبلد : الأثر يقول : اتعمى رسمها حتى استوى بلا أثر .

(١) فى المخطوطة : « الاستيلاء والاحتواء » .

(٢) فى المطبوعة : « وإن قال . . . » .

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾

[سورة فصلت : ١١]. والاستواء كان بعد أن خلقها دُخَانًا ، وقبل أن يسويها سبع سموات .

وقال بعضهم : وإنما قال : «استوى إلى السماء» ، ولاسماء ، كقول الرجل لآخر : ١٥١/١
«اعمل هذا الثوب» ، وإنما معه غزل .

* * *

وأما قوله «فسواهن» فإنه يعنى هياهن وخلقهن ودبرهن وقومهن . والتسوية
فى كلام العرب ، التقويم والإصلاح والتوطئة ، كما يقال : سوى فلان لفلان
هذا الأمر . إذا قومه وأصلحه ووطّاه له . فكذلك تسوية الله جل ثناؤه سمواته :
تقويمه إياهن على مشيئته ، وتدبيره لهن على إرادته ، وتفتيقهن بعد ارتفاقهن^(١) .
٥٨٩ - كما : حُدِّثَتْ عن عمار ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ،
عن الربيع بن أنس : «فسواهن سبع سموات» يقول : سوى خلقهن ، وهو بكل
شئ عليم^(٢) .

وقال جل ذكره : «فسواهن» ، فأخرج مكنيَّهن مخرج مكنى الجميع^(٣) ،
وقد قال قبل : «ثم استوى إلى السماء» فأخرجها على تقدير الواحد . وإنما أخرج
مكنيَّهن مخرج مكنى الجميع ، لأن السماء جمع واحدها سماوة ، فتقدير واحدتها وجميعها
إذا تقدير بقرة وبقر ونخلة ونخل ، وما أشبه ذلك . ولذلك أنثت السماء مرة فقييل :
هذه سماء ، وذُكِّرَتْ أخرى^(٤) فقييل : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [سورة المزمل : ١٨] ،

(١) فى المطبوعة : «بعد إرتفاقهن» وليست بشئ . وفى المخطوطة : «بعد أن تتاقهن» ،
وظاهر أنها تحريف لما أثبتناه . وارتقى الشئ : التأم والتحم حتى ليس به صدع . وهذا من تأويل
ما فى سورة الأنبياء : ٣٠ من قول الله سبحانه :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ والفتق : الشق .

(٢) الأثر : ٥٨٩ - فى الدر المنثور ١ : ٤٣ ، وهو من تمام الأثر السالف : ٥٨٨ .

(٣) المكنى : هو التفسير ، فيها اصطلاح عليه النحويون ، لأنه كناية عن الذى أخفيت ذكره .

وفى المطبوعة : «الجمع» مكان «الجميع» حيث ذكرت فى المواضع الآتية فى هذه العبارة .

(٤) فى المطبوعة : «أنث السماء» . وذكر «بطرح التأ» .

كما يُفعل ذلك بالجميع الذى لا فرق بينه وبين واحده غير دخول الهاء وخروجها ،
فيقال : هذا بقرو هذه بقر ، وهذا نخل وهذه نخل ، وما أشبه ذلك .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن السماء واحدة ، غير أنها تدل على السموات ،
فقال : « فسواهن » ، يراد بذلك التى ذُكرت وما دلت عليه من سائر السموات التى
لم تُذكر معها ^(١) . قال : وإنما تُذكر إذا ذُكرت وهى مؤنثة ، فيقال :
« السماء منفطر به » ، كما يذكر المؤنث ^(٢) ، وكما قال الشاعر :

فَلَا مَرْئِيَّةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا ^(٣)

وكما قال أعشى بنى ثعلبة :

فَإِذَا تَرَى لِمَتِي بُدِّلَتْ فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أُرْزَى بِهَا ^(٤)

(١) « بعض أهل العربية » هو الفراء ، وإن لم يكن اللفظ لفظه ، فى كتابه معانى القرآن
١ : ٢٥ ، ولكنه ذهب هذا المذهب ، فى كتابه أيضاً ص : ١٢٦ - ١٣١ .

(٢) هكذا فى الأصول « كما يذكر المؤنث » ، وأعشى أن يكون صواب هذه العبارة : « كما
تذكر الأرض ، كما قال الشاعر : . . . » وقد ذكر الفراء فى معانى القرآن ذلك فقال : « . . . فإن
السماء فى معنى جمع فقال : (فسواهن) للمعنى المعروف أنهن سبع سموات . وكذلك الأرض يقع عليها -
وهى واحدة - الجمع . ويقع عليهما التوحيد وهما مجموعتان ، قال الله عز وجل : (رب السموات
والأرض) ثم قال : (وما بينهما) ، ولم يقل : بينهما . فهذا دليل على ما قلت لك » . معانى القرآن
١ : ٢٥ ، وانظر أيضاً ص : ١٢٦ - ١٣١ .

(٣) البيت من شعر عامر بن جوين الطافى ، فى سيبويه ١ : ٢٤٠ ، ومعانى القرآن
١ : ١٢٧ والخزانة ١ : ٢١ - ٢٦ ، وشرح شواهد المغنى : ٣١٩ ، والكامل ١ : ٤٠٦ ،
٢ : ٦٨ ، وقبله ، يصف جيشاً :

وَجَارِيَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْمَلُوءِ لَكِ قَعَقَعْتُ بِالْخَلِيلِ خَلْخَالَهَا
كَكَرْفَنَةِ الْغَيْثِ ذَاتِ الصَّبِيرِ تَرْمِي السَّحَابَ وَيَرْمِي لَهَا
تَوَاعِدُهَا بَعْدَ مَرِّ النُّجُومِ ، كَلَفَاءُ تُكْثَرُ تَهْطَلُهَا
فَلَا مَرْئِيَّةٌ

(٤) أعشى بنى ثعلبة ، وأعشى بنى قيس ، والأعشى ، كلها واحد ، ديوانه ١ : ١٢٠ ،
فى سيبويه ١ : ٢٣٩ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٢٨ ، والخزانة ٤ : ٥٧٨ ، ورواية الديوان :

فَإِنْ نَهَدْنِي وَلِي لِمَةٍ فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أَلْوَى بِهَا

وقال بعضهم : السماء وإن كانت سماء فوق سماء وأرضاً فوق أرض ، فهي في التأويل واحدةٌ إن شئت ، ثم تكون تلك الواحدةِ جمعاً ، كما يقال : ثوبٌ أخلاقٌ وأسماٌلٌ ، وبرُمةٌ أعشار ، للمتكسرة ، وبرُمةٌ أكسار وأجبار . وأخلاق ، أى أن نواحيه أخلاق^(١) .

• • •

فإن قال لنا قائل : فإنك قد قلت إن الله جل ثناؤه استوى إلى السماء وهي دخان قبل أن يسويها سبع سموات ، ثم سواها سبعاً بعد استوائه إليها ، فكيف زعمت أنها جمع ؟
 قيل : إنهن كنّ سبعاً غير مستويات ، فلذلك قال جل ذكره : فسوّاهن سبعاً . كما : -

٥٩٠ - حدثني محمد بن حديد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد ابن إسحق : كان أول ما خلق الله تبارك وتعالى النور والظلمة ، ثم ميز بينهما ، فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهراً مضيئاً مبصراً ، ثم سمك السموات السبع من دخان - يقال ، والله أعلم ، من دخان الماء - حتى استقلن ولم يحببكنهن^(٢) . وقد أغطش في السماء الدنيا ليلها ، وأخرج ضحاها ، فجرى فيها الليل والنهار ، وليس فيها شمس ولا قمر ولا نجوم . ثم دحا الأرض وأرساها بالجبال ، وقدر فيها الأقوات ، وبث فيها ما أراد من الخلق ، ففرغ من الأرض وما قدر فيها من أقواتها في أربعة أيام . ثم استوى إلى السماء وهي دخان - كما قال - فحببكنهن ، وجعل في السماء الدنيا شمسها وقمرها ونجومها ، وأوحى في كل سماء أمرها ، فأكمل ورواية سيويه كما في الطبري ، إلا أنه روى « أودى بها » . وألوى به : ذهب به وأهلكه . وأودى به : أهلكه ، أيضاً . وأما « أزرى بها » : أى حقرها وأفلز بها الموان ، من الزاوية وهي التحقير . وكلها جيد .

(١) أخلاق ، جمع خلق (بفتح الخ) : وهو البال . وأسماٌل جمع سمل (بفتح السين) : وهو الطريق المتزق البال . وبرمة أجبار ، ضد قولهم برمة أكسار ، كأنه جمع برمة جبر (بفتح الجيم) وإن لم يقولوه مفرداً ، كما لم يقولوا برمة كسر ، مفرداً . وأصله من جبر العظم ، وهو لأمه بعد كسره .
 (٢) في المخطوطة : « ولم يحبكنهن » .

خلقهن في يومين ، ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام . ثم استوى في اليوم السابع فوق سمواته ، ثم قال للسموات والأرض : اثبتا طوعاً أو كرهاً لما أردت بكما ، فاطمئنا عليه طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أثبتنا طائعين ^(١) .

فقد أخبر ابن إسحق أن الله جل ثناؤه استوى إلى السماء — بعد خلق الأرض ^(٢) وما فيها — وهن سبع من دخان ، فسواهن كما وصف . وإنما استشهدنا لقولنا الذي قلنا في ذلك بقول ابن إسحق ، لأنه أوضح بياناً — عن خلق السموات ^(٣) ، أنهم كنّ سبعاً من دخان قبل استواء ربنا إليها لتسويتها — من غيره ^(٤) ، وأحسن شرحاً لما أردنا الاستدلال به ، من أن معنى السماء التي قال الله تعالى ذكره فيها : « ثم استوى إلى السماء » بمعنى الجميع ^(٥) ، على ما وصفنا . وأنه إنما قال جل ثناؤه : « فسواهن » ، إذ كانت السماء بمعنى الجميع ، على ما بينا .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فما صفة تسوية الله جل ثناؤه السموات التي ذكرها في قوله « فسواهن » ، إذ كن قد خلِقن سبعاً قبل تسويته لياهن ؟ وماوجه ذكر خلقهن بعد ذكر خلق الأرض ؟ ألأنها خلقت قبلها ، أم لمعنى غير ذلك ^(٦) ؟ قيل : قد ذكرنا ذلك في الخبر الذي رويناه عن ابن إسحق ، ونؤكد ذلك تأكيداً بما نضم إليه من أخبار بعض السلف المتقدمين وأقوالهم ^(٧) :

(١) الأثر : ٥٩٠ — هذا الأثر في الحقيقة تفسير للآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت . ولم يذكره الطبري في موضعه عند تفسيرها (٢٤ : ٦٠ - ٦٥ طبعة بولاق) . وكذلك لم يذكره ابن كثير والسيوطي والشوكاني — في هذا الموضع ، ولا في موضعه من تفسير سورة فصلت . وهو من كلام ابن إسحق ، ولا بأس عليهم في الإعراض عن إخراجهم . وقد صرح الطبري هنا — بعد — أنه إنما ذكره استشهاداً ، لا استدلالاً ، إذ وجده أوضح بياناً ، وأحسن شرحاً .

(٢) في المطبوعة : « بعد خلقه الأرض » .

(٣) في المطبوعة : « عن خبر السموات » .

(٤) في المطبوعة : « بتسويتها » ، وسياق كلامه : « أوضح بياناً . . . من غيره » ،

وما بينهما فصل .

(٥) في المطبوعة « بمعنى الجميع » ، وفي التي تليها ، وقد مضى مثل ذلك آتفاً .

(٦) في المطبوعة : « أم بمعنى » ، وهذه أجود .

(٧) في المطبوعة : « ولزيد ذلك تأكيداً » .

٥٩١ - فحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » . قال : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء . فلما أراد أن يخلق الخلق ، أخرج من الماء دخاناً ، فارتفع فوق الماء فسماه عليه ، فسماه سماء . ثم أبس الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين - في الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت ، والحوت هو النون الذي ذكره الله في القرآن : « ن والقلم » ، والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاء على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة في الريح - وهي الصخرة التي ذكر لقمان - ليست في السماء ولا في الأرض : فتحرك الحوت فاضطرب ، فزلزلت الأرض ، فأرسي عليها الجبال فقرت ، فالجبال تفخر على الأرض ، فذلك قوله : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ ^(١) [سورة النحل : ١٥] . وخلق الجبال فيها ، وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين ، في الثلاثاء والأربعاء ، وذلك حين يقول : ﴿ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكُ فِيهَا ﴾ يقول : أنبت شجرها ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا ﴾ يقول : أقواتها لأهلها ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴾ يقول : قل لمن يسألك : هكذا الأمر ^(٢) ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [سورة فصلت ٩ - ١١] ، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها

(١) في الأصول : « وجعل لها رواسي أن تميد بكم » ، وهو وهم سبق إليه القلم من النسخ فيما أرجع ، والآية كما ذكرتها في سورة النحل ، ومثلها في سورة لقمان : ١٠ .
(٢) في المخطوطة : « يقول : من سأل ، فهكذا الأمر » .

سماء واحدة ، ثم فتحتها فجعلها سبع سموات في يومين - في الخميس والجمعة ، وإنما سمى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض - « وأوحى في كل سماء أمرها » قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها ، من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها زينة وحفظاً ، تُحفظُ من الشياطين . فلما فرغ من خلق ما أحب ، استوى على العرش . فذلك حين يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] . ويقول : ﴿ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ ^(١) [سورة الأنبياء : ٣٠] .

٥٩٢ - وحدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » ، ثم استوى إلى السماء . قال : خلق الأرض قبل السماء ، فلما خلق الأرض ثار منها دخان ، فذلك حين يقول : « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » . قال : بعضهن فوق بعض ، وسبع أرضين ، بعضهن تحت بعض ^(٢) .

(١) الخبر : ٥٩١ - في ابن كثير ١ : ١٢٣ ، والدر المنثور ١ : ٤٢ - ٤٣ ، والشوكاني ١ : ٤٨ . وقد مضى الكلام في هذا الإسناد ، واستوجب أخى السيد أحمد شاکر تحقيقه في موضعه (انظر الخبر : ١٦٨) ، وقد مضى أيضاً قول الطبري ، حين عرض لهذا الإسناد في الأثر رقم : ٤٦٥ ص : ٣٥٣ : « فإن كان ذلك صحيحاً ، ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً . . . » . وقد مضى الطبري في تفسيره على رواية ما لم يصح عنده إسناده ، لعلمه أن أهل العلم كانوا يوثقون بآمر الإسناد والبصر به ، ولا يتلقون شيئاً بالقبول إلا بعد تمحيص إسناده . فلتن سألت : فم يسوق الطبري مثل هذا الخبر الذي يرتاب في إسناده ؟ وجواب ذلك : أنه لم يسقه ليجتج بما فيه ، بل ساقه للاعتبار بمعنى واحد ، وهو أن الله سبحانه سلك السموات السبع من دخان ، ثم دحا الأرض وأرساها بالجلال ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، فجعلهن سبعاً ، وأوحى في كل سماء أمرها . وليس في الاعتبار بمثل هذا الأثر ضرر ، لأن المعنى الذي أرادوه هو ظاهر القرآن وصرح به . وإن كان الخبر نفسه مما تلقاه بعض الصحابة عن بنى إسرائيل ، لا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا حجة إلا فيما أنزل الله في كتابه ، أو في الذي أوحى إلى نبيه ما صح عنه إسناده إليه . وكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبلناه لا نحكم فيه أحداً ، فإن قوله هو المهيمن بالحق على أقوال الرجال .

(٢) الأثر : ٥٩٢ - في ابن كثير ١ : ١٢٤ ، والدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني

٥٩٣ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : «فسوآنن سبع سموات» قال : بعضهن فوق بعض ، بين كل سماء من مسيرة خمسمئة عام .

٥٩٤ - حدثنا المثني بن إبراهيم قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : - حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء - «ثم استوى إلى السماء فسوآنن سبع سموات» ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [سورة النازعات : ٣٠] .

٥٩٥ - حدثني المثني ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام أنه قال : إن الله بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرضيين في الأحد والاثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء ، وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عجل . فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

قال أبو جعفر : فعنى الكلام إذا : هو الذي أنعم عليكم ، فخلق لكم ما في الأرض جميعاً وسخره لكم تفضلاً منه بذلك عليكم ، ليكون لكم بلاغاً في دنياكم ومتاعاً إلى موافاة آجالكم ، ودليلاً لكم على وحدانية ربكم . ثم علا إلى السموات السبع وهى دخان ، فسوآنن وجبكهن ، وأجرى فى بعضهن شمس وقمر ونجومه ، وقدر فى كل واحدة منهن ما قدر من خلقه ^(١) .

• • •

(١) الآثار : ٥٩٣ - ٥٩٥ ، لم نجدها فى شيء من تلك المراجع .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٩)

يعنى بقوله جل جلاله : « وهو » نفسه ، وبقوله : « بكل شئ » علم « أن الذى خلقكم ، وخلق لكم ما فى الأرض جميعاً ، وسوى السموات السبع بما فيها فأحكمهن من دخان الماء ، وأتقن صنعهن ، لا يخفى عليه — أيها المنافقون والملحدون الكافرون به من أهل الكتاب (١) — ما تُبدون وما تكتُمون فى أنفسكم ، وإن أبدى منافقوكم بالسنتهم قولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، وهم على التكذيب به منطرون . وكذبت أخباركم بما أتاهم به رسولى من الهدى والنور ، وهم بصحته عارفون . وجحدوه وكنتموا ما قد أخذت عليهم — ببيانه خلقتى من أمر محمد ونبوته — الموائيق وهم به عالمون . بل أنا عالم بذلك من أمركم وغيره من أموركم . وأمور غيركم (٢) ، لى بكل شئ » علم .

وقوله : « علم » بمعنى عالم . ورؤى عن ابن عباس أنه كان يقول : هو الذى قد كمل فى علمه .

٥٩٦ — حدثنى المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثنا معاوية بن صالح ، قال : حدثنى على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : العالم الذى قد كمل فى علمه (٣) .

• • •

(١) فى المخطوطة : « وأهل الكتاب » عطفًا .

(٢) فى المطبوعة : « بل أنا عالم بذلك وغيره من أموركم . . . » .

(٣) الخبر : ٥٩٦ — ليس فى مراجعنا .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾

قال أبو جعفر : زعم بعض المنسوين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة^(١) : أن تأويل قوله : « وإذ قال ربك » ، وقال ربك ، وأن « إذ » من الحروف الزوائد ، وأن معناها الحذف . واعتلّ لقوله الذي وصفنا عنه في ذلك بيت الأسود بن يعفر :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَأَمَمَاهُ لِدِكْرِهِ وَاللَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحًا بَفْسَادِ^(٢)

(١) هو أبو عبيدة (انظر تفسير ابن كثير ١ : ١٢٥) ، وكما مضى آنفاً في مواضع من كلام الطبري . ويؤيد ذلك أن البغدادى نقل في شرح بيت عبد مناف بن ربيعة ، (الخرافة ٣ : ١٧١) ، عن ابن السيد : « وقال أبو عبيدة : إذا ، زائدة ، فلذلك لم يؤت لها مجواب » . هذا والشاهدان الآتيان في زيادة « إذا » لا في زيادة « إذ » ، وهو من جرأة أبي عبيدة وسخطه ، وأيا ما كان قائله ، فهو جرىء مخطئ .

(٢) المفضليات ، القصيدة رقم : ٤٤ ، وليس البيت في رواية ابن الأنبارى شارح المفضليات . وقوله « لأمماه » ، يقال : ليس لعيشنا مه (بفتحين) ومه : أى ليس له حسن أو نصارة . وقد زعموا أن الواو في قوله « فإذا وذلك » . . . زائدة مقحمة ، كأنه قال : فإذا ذلك . . . وقد قال الطبري في تفسير قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طمّ فادخلوها خالدين » ج ٢٤ ص ٢٤ : « واختلف أهل العربية في موضع جواب « إذا » التي في قوله : (حتى إذا جاءوها) ، فقال بعض نحوي البصرة ، يقال إن قوله : (وقال لهم خزنتها) في معنى : قال لهم . كأنه يلغى الواو . وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون الواو زائدة ، كما قال الشاعر :

فَإِذَا وَذَلِكَ يَأْكُبِشُهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهَمٌ خَالِمٌ بِخَيْسَالٍ

فيشبه أن يكون يريد : فإذا ذلك لم يكن . وقال أبو سعيد السكري في شرح أشعار المهلهلين ٢ : ١٠٠ ، في شرح بيت أبي كبير الهللي :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا حِينُهُ وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يُفْعَلِ

قال أبو سعيد : « الواو زائدة . قال : قلت لأبي عمرو : يقول الرجل : ربنا ولك الحمد . فقال : يقول الرجل : قد أخذت هذا بكذا وكذا . فيقول : وهو لك » .

وقال ابن الشجري في أماليه ١ : ٣٥٨ : « قيل في الآية إن الواو مقحمة ، وليس ذلك بشيء ، لأن زيادة الواو لم تثبت في شيء من الكلام الفصيح » . والذي ذهب إليه ابن الشجري هو الصواب ،

ثم قال : ومعناها : وذلك لامهائها لذكره - وببيت عبد مناف بن ربيع
المُدَلَّى :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوكُمْ فِي قُتَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرَدًا^(١)
وقال : معناه ، حتى أسلكوكم .

قال أبو جعفر : والأمر في ذلك بخلاف ما قال : وذلك أن « إذ » حرف يأتي
بمعنى الجزاء ، ويدل على مجهول من الوقت . وغير جائز لإبطال حرف كان دليلاً^{١٥٤/١}
على معنى في الكلام . إذ سواء قيل قائل : هو بمعنى التطوّل ، وهو في الكلام
دليل على معنى مفهوم - وقيل آخر ، في جميع الكلام الذي نطق به دليلاً على
ما أريد به : هو بمعنى التطوّل^(٢) .

ولكل شاهد مما استشهدوا به وجه في البيان ، ليس هذا موضع تفصيله . وكفى برد الطبرى في هذا الموضع
ما زعمه أبو عبيدة من زيادة « إذ » كاسيأتى : « وغير جائز لإبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام »
إلى آخر ما قال . وهو من سديد الفهم . وشرحه للبيت بعد ، يدل على أنه لا يرى زيادة الواو ،
وذلك قوله في شرحه : « فإذا الذي نحن فيه ، وما مضى من عيشنا » .

(١) ديوان المهذلين ٢ : ٤٢ ، ويأتى في تفسير الطبرى ١٤ : ٨ ، ١٨ : ١٣ ، ٢٤ : ٢٥ ،
(طبعة بولاق) والخزانة ٣ : ١٧٠ - ١٧٤ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٥٨ ، ٢ : ٢٨٩ ،
وكثير غيرها . وسلك الرجل الطريق ، وسلكه غيره فيه ، وأسلكه الطريق : أدخله فيه أو اضطره
إليه . وقتائدة : جبل بين المنصرف والروحاء ، أى في الطريق بين مكة والمدينة . وشل السائق الإبل :
طردها أمامه طرداً . ومر فلان يشل العدو بالسيف : يطردهم طرداً يفرون أمامه . والجمالة : أصحاب
الجمال . وشرد البعير فهو شارد وشرود : نفر وذهب في الأرض ، وجمع شارد شرود (بفتحيتين)
مثل خادم وخدم . وجمع شرود شرود (بضميتين) . ويذكر عبد مناف قومًا أغاروا على عمو لم ،
فأزعجهم عن منازلهم ، واضطروهم إلى « قتائدة » يطردونهم بالسيوف والرماح والنبال ، كما تطرد الإبل
الشوارد . وجواب « إذا » تقديره : شلوهم شلا ، فعل محذوف دل عليه المصدر ، كما سيأتى في كلام
الطبرى بعد .

(٢) في المخطوطة : « هو بمعنى التطوّل في الكلام » . وهو خطأ . والتطوّل ، في اصطلاح
الطبرى وغيره : الزيادة في الكلام بمعنى الإلقاء ، كما مضى آنفاً في ص ١٤٠ من بولاق ، وأراد الطبرى
أن يبنى ما لج فيه بعض النحاة من ادعاء اللغو والزيادة في الكلام ، فهو يقول : إذا كان للحرف
أو الكلمة معنى مفهوم في الكلام ، ثم ادعيت أنه زيادة ملغاة ، فجائز لغيرك أن يدمى أن جملة
كاملة مفهومة المعنى ، أو كلاماً كاملاً مفهوم المعنى - إنما هي زيادة ملغاة أيضاً . وبذلك يبطل
كل معنى لكل كلام ، إذ يجوز لدع أن يبطل منه ما يشاء بما يهوى من الجرأة والادعاء . وهذا تأييد
للجهنم اللغوى انصهتاه في الصليق السالف .

وليس لما ادَّعى الذى وصفنا قوله^(١) - فى بيت الأسود بن يعفر : أن « إذا » بمعنى التطوّل - وجه مفهوم ، بل ذلك لو حذف من الكلام لبطل المعنى الذى أراده الأسود بن يعفر من قوله :

« فَإِذَا وَذَلِكَ لَأَمَاهَ لَذَكْرِهِ »

وذلك أنه أراد بقوله : فإذا الذى نحن فيه ، وما مضى من عيشنا . وأشار بقوله « ذلك » إلى ما تقدم وصفه من عيشه الذى كان فيه - « لامهاه لذكرك » يعنى لا طعم ولا فضل ، لإعقاب الدهر صالِح ذلك بفساد . وكذلك معنى قول عبد مناف بن ربيع :

حتى إذا أسلكوكم فى قُتائِدَةٍ شَلَا

لو أسقط منه « إذا » بطل معنى الكلام ، لأن معناه : حتى إذا أسلكوكم فى قُتائِدَةٍ سلَكُوا شَلَا ، فدل قوله . « أسلكوكم شلا » على معنى المحذوف ، فاستغنى عن ذكره بدلالة « إذا » عليه ، فحذف . كما دلّ - ما قد ذكرنا فيما مضى من كتابنا^(٢) - على ما تفعل العرب فى نظائر ذلك . وكما قال النمر بن تولب :

فَإِنِ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَاهَا فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيْبَانَا^(٣)

وهو يريد : أَيْبَانَا ذهب . وكما تقول العرب : « أَيْبَيْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ » .

فتريد من قبل ذلك ، ومن بعد ذلك . فكذلك ذلك فى « إذا » كما يقول القائل :

(١) فى المطبوعة « وليس للمضى الذى ... » وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « كما قد ذكرنا فيما مضى من كتابنا على ما تفعل ... » ، وفى المخطوطة : « كما قال . قد ذكرنا فيما مضى ... » ، وكلاهما خطأ ، الأول من تغيير المصححين ، والثانى تصحيف فى « قال » ، فهى « دل » ، والنقطة السوداء ، بياض كان فى الأصل المنقول عنه ، أو « ما » ضاعت ألفها وبقيت « م » مطبوعة ، فظنها ظان علامة فصل .

هذا وقد أشار الطبرى إلى ما مضى فى كتابه هذا ص : ١١٤ ، ص : ٣٢٧ فانظره .

(٣) من قصيدة محمكة فى مختارات ابن السجرى ١ : ١٦ ، والخزانة ٤ : ٤٣٨ ، وشرح

شواهد المنى : ٦٥ ، وبعده :

وَإِنْ تَخْطُطَاكَ أَسْبَابُهَا فَإِنْ قُصَّارَاكَ أَنْ تَهْرَمَا

« إذا أكرمك أخوك فأكرمه ، وإذا لا فلا » . يريد : وإذا لم يكرمك فلا تكرمه .
ومن ذلك قول الآخر :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَا يَضُرُّكَ ضَرُّهُ فِي يَوْمٍ أَسْأَلُ نَائِلًا أَوْ أَنْكَدًا^(١)
نظير ما ذكرنا من المعنى في بيت الأسود بن يعفر . وكذلك معنى قول الله
جل ثناؤه : « وإذا قال ربك للملائكة » ، لو أَبْطَلت « إذ » وحذفت من
الكلام ، لاستحال عن معناه الذى هو به^(٢) ، وفيه « إذ » .

فإن قال لنا قائل : فما معنى ذلك ؟ وما الجالب لـ « إذ » ، إذ لم يكن فى الكلام
قبله ما يعطف به عليه^(٣) ؟

قيل له : قد ذكرنا فيما مضى^(٤) : أن الله جل ثناؤه خاطب الذين خاطبهم
بقوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » ، بهذه الآيات والى بعدها ،
مُؤَبِّحُهُمْ مَقْبَحاً إِلَيْهِمْ سَوْءَ فَعَالِهِمْ وَمَقَامِهِمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ ، مع النعم التى أنعمها عليهم
وعلى أسلافهم ، ومذكّرهم - بتعديده نعمه عليهم وعلى أسلافهم - بأسه ، أن يسلكوا
سبيل من هلك من أسلافهم فى معصيته^(٥) ، فيسلك بهم سبيلهم فى عقوبته ؛ ومعرّفهم
ما كان منه من تعطفه على الثائب منهم استعتاباً منه لهم . فكان مما عدّد من نعمه
عليهم أنه خلق لهم ما فى الأرض جميعاً ، وسخر لهم ما فى السموات من شمسها
(١) لم أعرف صاحبه . وفى المطبوعة :

« فى يوم أثل نائلاً أو أنكدًا »

وهو خطأ عريق . وفى المطبوعة : « أسل نائلاً » ، وهى أقرب إلى الصواب . الضر : سوء الحال من فقر
أو شدة أو يلاء أو حزن . والنائل : ما تناله وتصيبه من معروف إنسان . ونكده ما سأله : قلل
له العطاء ، أو لم يعطه البتة ، يقول القائل :

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَبِيئًا لَا خَيْرَ فِي الْمُنْكَودِ وَالنَّائِكِ

(٢) قوله : « الذى هو به » ، أى : الذى هو به كلام قائم مفهوم .

(٣) فى المطبوعة : « فإن قال قائل » ، بجذف : « لنا » .

(٤) انظر ما سلف فى ص : ٤٢٤ وما بعدها .

(٥) فى المطبوعة : « من أسلافهم فى معصية الله » ، وفى المخطوطة : « سلافهم » مضبوطة بالقلم
بضم السين وتشديد اللام ، وفى المواضع السالفة : « أسلاف » . والأسلاف والسلاف جمع سلف وسالف :
وهم أبائنا الذين مضوا وتقدموا إلى لقائه سبحانه .

وقمرها ونجومها ، وغير ذلك من منافعها التي جعلها لهم ولسائر بني آدم معهم منافع . فكان في قوله تعالى : ذكره « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميّتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » ، معنى : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، إذ خلقتكم ولم تكونوا شيئاً . وخلقت لكم ما في الأرض جميعاً ، وسويت لكم ما في السماء . ثم عطف بقوله : « وإذ قال ربُّك للملائكة » على المعنى المقتضى بقوله : « كيف تكفرون بالله » ، إذ كان مقتضياً ما وصفتُ من قوله : اذكروا نعمتي إذ فعلت بكم وفعلتُ ، واذكروا فعلى بأيكم آدم إذ قلتُ للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة^(١) .

فلان قال قائل : فهل لذلك من نظير في كلام العرب نعلم به صحة ما قلتُ ؟
قيل : نعم ، أكثرُ من أن يحصى ، من ذلك قول الشاعر :

أَجِدُّكَ لَنْ تَرَى بُتْعِيْلِيَّاتٍ وَلَا بَيْدَانَ نَاجِيَةً دُمُولاً^(٢)
وَلَا مَتَدَارِكٍ وَالشَّمْسُ طِفْلٌ يَبْعُضُ نَوَاشِعِ الْوَادِي حُمُولاً^(٣)

فقال : « ولا متدارك » ، ولم يتقدمه فعلٌ بلفظه يعطفه عليه^(٤) ، ولا حرف

(١) هذا الذي قاله أبو جعفر تغمد الله بعففرته ، من أجود النظر في تأويل كتاب الله ، ومن حسن بصره بالعربية وأسرار إيجازها ، واعتمادها على الاكتفاء بالقليل من اللفظ الدال على الكثير من المعنى ، واتخاذها الحروف روابط للمعاني الجامعة ، لا لرد حرف على حرف سبق .

(٢) هو للمرار بن سعيد الفقمي ، معاني القرآن للفراء ١ : ١٧١ ، مجالس ثعلب : ١٥٩ ، اللسان (بيد) (طفل) (نشغ) ، ومعجم البلدان (ثميليات) . وثميليات وبيدان موزدان . والناجية : الناقة السريعة ، من النجاء : وهو سرعة السير . والذمول : الناقة التي تسير سيراً سريعاً ليناً . فملت ذميلاً وذملاناً .

(٣) يروى « ولا متلافياً » بالنصب . وتدارك القوم (متعدياً) ، بمعنى أدركهم ، أو حاول اللحاق بهم . وتلافاه : تداركه أيضاً . والشمس طفل : يعنى هنا : عند شروقها - لا عند غروبها - أخلت من الطفل الصنير . ونواشع الوادي جمع ناشعة : وهي مجرى الماء إلى الوادي . الحمول : هي الهودج التي فيها النساء تعملها الإبل . وسيمت الإبل وما عليها حمولاً ، لأنهم يحملون عليها الهودج للرحلة . يقول : لن تدرکہم ، فقد بكروا بالرحيل .

(٤) في المطبوعة : « يعطف عليه » . وفي المخطوطة « يعطف به » ، وقوله « به » ملصقة إلتصاقاً في الفاء من « يعطف » .

مُحَرَّبَ إِعْرَابِهِ ، فَيَرَدُّ « متدارك » عليه في إعرابه . ولكنه لما تقدّمه فعل مجحود ؛ « لن » يدل على المعنى المطلوب في الكلام من المحذوف ^(١) ، استغنى بدلالة ما ظهر منه عن إظهار ما حُذِفَ ، وعاملَ الكلام في المعنى والإعراب معاملته أن لو كان ما هو محذوف منه ظاهراً ^(٢) . لأن قوله :

• أَجِدْكَ لَنْ تَرَى بِتُعْمِيلَاتٍ •

بمعنى : « أجِدْكَ لستَ بِرَأٍ » ، فردَّ « متداركاً » على موضع « ترى » ، كأن « لست » و « الباء » موجودتان في الكلام . فكذلك قوله : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ » ، لما سلف قبله تذكير الله المخاطبين به ما سلف قبيلهم وقيل آباؤهم من آياديه وآلائه ، وكانَ قوله : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ » مع ما بعده من النعم التي عدّها عليهم ونبتهم على مواقعها - رَدَّ « إِذْ » على موضع « وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْبَبْنَاكُمْ » . لأن معنى ذلك : اذكروا هذه من نعمي ، وهذه التي قلت فيها للملائكة . فلما كانت الأولى مقتضية « إِذ » ، عطف بـ « إِذ » على موضعها في الأولى ^(٣) ، كما وصفنا من قول الشاعر في « ولا متدارك » .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ لِلْمَلَكَةِ ﴾

قال أبو جعفر : والملائكة جمع مَلَكٍ ^(٤) ، غير أن أحدهم ^(٥) ، بغير الهمزة أكثرُ وأشهر في كلام العرب منه بالهمز . وذلك أنهم يقولون في واحدهم : مَلَكٌ من

(١) في المطبوعة : « في الكلام » وعلى المحلوف « ، لعله من تغيير المصححين . وأراد الطبري أن الفعل المجحود ، يدل على المعنى المطلوب من المحذوف . وهذا بين .

(٢) في المخطوطة : « إذ لو كان ما هو محذوف منه ظاهراً » ، وهو خطأ .

(٣) في المطبوعة : « عطف « وإذ » على موضعها في الأولى » ، وليس بشيء .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « جمع ملك » ، وظاهر كلام الطبري يدل على صواب ما أثبتناه .

(٥) في المطبوعة : « غير أن واحدهم » ، وهما سواء .

الملائكة ، فيحذفون الهمز منه ، ويحركون اللام التي كانت مسكنة لو همز الاسم . وإنما يحركونها بالفتح ، لأنهم ينقلون حركة الهمزة التي فيه بسقوطها إلى الحرف الساكن قبلها : فإذا جمعوا واحدهم ، ردّوا الجمع إلى الأصل وهمزوا ، فقالوا : ملائكة .

وقد تفعل العرب نحو ذلك كثيراً في كلامها ، فترك الهمز في الكلمة التي هي مهموزة ، فيجري كلامهم بترك همزها في حال ، وبهمزها في أخرى ، كقولهم : « رأيت فلاناً » فجري كلامهم بهمز « رأيت » ثم قالوا : « نرى وترى ويرى » ، فجري كلامهم في « يفعل » ونظائرها بترك الهمز ، حتى صار الهمز معها شاذّاً ، مع كون الهمز فيها أصلاً . فكذاك ذلك في « ملك وملائكة » ، جرى كلامهم بترك الهمز من واحدهم ، وبالهمز في جميعهم . وربما جاء الواحد مهموزاً ، كما قال الشاعر :

فَلَسْتَ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَكٍ نَحْدَرُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(١)

وقد يقال في واحدهم ، مَلَكٌ ، فيكون ذلك مثل قولهم : جَبَدَ وجذب ، وشَامَلَ وشمال ، وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة . غير أن الذي يجب إذا سمى واحدهم « مَلَكٌ » أن يجمع إذا جمع على ذلك « مَلَكٌ » ، ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعاً ، ولكنهم قد يجمعون : ملائك وملائكة ، كما يجمع أشعث : أشاعت وأشاعته ، ويسمّع : مسامع ومسامعة ، قال أميّة بن أبي الصلت في جمعهم كذلك :

وَفِيهِمَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَوْمٌ مَلَائِكُ ذُلُّوا وَهُمْ صِغَابُ^(٢)

وأصل المَلَأَك : الرسالة ، كما قال غدي بن زيد العبادي :

(١) سلف الكلام على هذا البيت في ص : ٣٣٣ ، ورواية المخطوطة في هذا الموضع :

« وَلَسْتُ لِنَبِيٍّ وَلَكِنْ مَلَائِكَا »

(٢) ديوانه : ١٩ . « ذُلُّوا » من الذل (بكسر الذال) وذله : راضه حتى يذل ويلين ويطيع .

أَبْلَغُ النُّعْمَانِ عَنِّي مَلَأَكَا إِنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتَظَارِي^(١)

وقد ينشد : مَأَلَكَا ، على اللغة الأخرى . فمن قال : مَلَأَكَا فهو مَفْعَلٌ ، من
لَأَكَ إِلَيْهِ يَلَأُكَ إذا أُرْسِلَ إِلَيْهِ رسالَةٌ مَلَأَكَة^(٢) ؛ ومن قال : مَأَلَكَا فهو مَفْعَلٌ من
أَلَكْتَ إِلَيْهِ آلَكَ : إذا أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ مَأَلَكَة وَأَلُوكَا^(٣) ، كما قال لبيد بن ربيعة^(٤) :
وَعُغْلَامٍ أُرْسَلْتَهُ أُمَّهُ بِالْوُكِّ قَبْذَلْنَا مَا سَأَلُ^(٥)

فهذا من « أَلَكْتَ » ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

أَلِسْنِي يَا عَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلًا سَأْهَدِيهِ ، إِلَيْكَ إِلَيْكَ عَنِّي^(٦)

(١) الأغاني ٢ : ١٤ ، والمقد الفريد ٥ : ٢٦١ ، وفي المطبوعة « وانتظار » ، وهي إحدى
قصائد عدى ، التي كان يكتبها إلى النعمان ، لما حبسه في محبس لا يدخل عليه فيه أحد . وبعبارة
البيت المشهور ، وهو من تمامه :

لَوْ بَغِيرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِيقُ كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالماءِ اعْتَصَارِي
(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « يَلُوكَ » ، وهذا الثلاثي : « لَأَكَ يَلُوكَ » لم أجده منصوصاً
عليه في كتب اللغة ، بل الذي نصوا عليه هو الرباعي : « أَلَكْنِي إِلَى فلان : أبلغه عني . أصله
أَلَكْنِي ، فحذفت الهزة وألقيت حركتها على ما قبلها » ، ولكنهم نصوا على أنه مقلوب ، فإذا
صح ذلك ، صح أيضاً أن تكون « يَلُوكَ » مقلوب « أَلَكَ » الثلاثي ، وهو ما نصوا عليه .
(٣) كلام الطبري يشمر بأنه أراد وزن « مفعَل » بفتح العين ، فهي مَأَلَكَ ، بفتح اللام ،
والأشهر الألفصح : والمَأَلَكَ والمَأَلَكَة (بفتح الميم وضم اللام فيهما) .
(٤) في المطبوعة : « لبيد بن أبي ربيعة » ، وهو خطأ .

(٥) ديوانه القصيدة رقم : ٣٧ ، البيت : ١٦ ، وقوله « وعُغْلَامٍ » مجرور بواو « رب » .
أرسلت الغلام أمه تلتمس من معروف لبيد ، فأعطاهما ما سألت .

(٦) في المطبوعة : « سَأْهَدِيهِ الرواة إِلَيْكَ . . . » ، وأثبتنا نص المخطوطة ، والديوان : ٨٥ .
وغيرهما . ويضبطونه « سَأْهَدِيكَ » بضم الهزة ، من الهدية ، أى سأهديه إِلَيْكَ ، ولست أرتضيه ،
والشعر يحتل بذلك معناه . وإنما هو عدلى بفتح الهزة ، من « هديته الطريق » إذا عرفته الطريق
وبيتته له . ومنه أدخلوا قولهم : هاداني فلان الشر وهاديته : أى هاجاني وهاجيته . وقوله : « إِلَيْكَ
إِلَيْكَ » أى خلدها ، كما قال القطامي :

إِذَا التَّيَّارُ ذُو الصَّلَاتِ قَلْنَا : إِلَيْكَ إِلَيْكَ ! ضَاقَ بِهَا ذِرَاعَا

وقوله : « عني » أى مني ، هنا في قولهم : « عنك جاء هذا » أى منك ، أو من قبلك . وكذلك هو
في قوله تعالى : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) ، أى من عباده ، وقوله تعالى : (أولئك الذين
فتقبل عنهم أحسن ما عملوا) ، أى نتقبل منهم . وليس قول النابغة من قولهم « إِلَيْكَ عني » ، أى
كف وأمسك - في شيء . والشعر الذي يليه دال على ذلك ، والبيت الذي يلي هذا فيه الكلمة المنصوبة

وقال عبدُ بنى الحَسَنَ حَسَّاس :

أَلِكنى إليها عَمَرُكَ اللهُ يَا قَتَّى بَايَةَ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا^(١)

يعنى بذلك : أبلغها رسالتى . فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة ، لأنها رُسُلُ الله بينه وبين أنبيائه ، ومن أرسلت إليه من عباده .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنْى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ ﴾

اختلف أهل التأويل فى قوله : ﴿ إِنْى جَاعِلٌ ﴾ ، فقال بعضهم : إنى فاعل . ذكر من قال ذلك :

٥٩٧ - حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى

حجاج ، عن جرير بن حازم ، ومبارك ، عن الحسن ، وأبى بكر - يعنى الهذلى - عن الحسن ، وقتادة ، قالوا : قال الله تعالى ذكره للملائكة : ﴿ إِنْى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٢) ، قال لهم : إنى فاعل^(٣) .

بقوله « إليك إليك » :

قَوَافِى كَالسَّلَامِ إِذَا اسْتَمَرَّتْ فَلَيْسَ يَرُدُّ مَذْهَبَهَا النُّظْرَى

أى خذنا قوافى كالسلام ، وهى المجاورة .

وقوله : « عين » يعنى عيينة بن حصن الفزارى ، وكان أعان بنى عيسى على بنى أسد حلفاء بنى ذبيان ، ربط النابغة .

(١) سلف القول فى هذا البيت : ١٠٦ آتفاً .

(٢) فى المطبوعة : « قال الله للملائكة إنى . . . » . وهو موافق لما نقله ابن كثير .

(٣) الأثر : ٥٩٧ - نقله ابن كثير ١ : ١٢٧ عن الطبرى . ووقع فى إسناده هناك سقط ، والظاهر أنه خطأ مطبعى . وذكره السيوطى ١ : ٤٤ مختصراً . وسيأتى مرة أخرى : ٦١١ مطولاً ، بهذا الإسناد نصاً . وهو هنا بإسنادين بل ثلاثة : رواء الحجاج - وهو ابن المنهال - عن جرير ابن حازم ، وعن المبارك - وهو ابن فضالة - ثم رواء عن أبى بكر الهذلى ، ثلاثهم عن الحسن البصرى ، والإسنادان الأولان جيذان ، والثالث ضعيف ، بضعف أبى بكر الهذلى ، ضعفه ابن المدهنى جداً ، وقال ابن معين : « ليس بشئ » ، وترجمه البخارى فى الكبير ١٩٩/٢/٢ باسم

وقال آخرون : إلى خالقي . ذكر من قال ذلك :

٥٩٨ - حَدَّثَنَا عَنْ الْمُنْجَابِ بْنِ الْحَارِثِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عَمْرَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، قَالَ : كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ « جَعَلَ » ، فَهُوَ خَلَقَ ^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : والصواب في تأويل قوله : « إلى جاعل في الأرض خليفة » : أى مستخلف في الأرض خليفة ، ومُصَيَّرٌ فيها خَلِيفاً ^(٢) . وذلك أشبه بتأويل قول الحسن وقتادة .

وقيل : إن الأرض التي ذكرها الله في هذه الآية هي « مكة » . ذكر من قال ذلك :

٥٩٩ - حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ عطاء ، عَنْ ابْنِ سَابِطٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : دُحِيتُ الْأَرْضُ مِنْ مَكَّةَ ، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَهِيَ أَوَّلُ مَنْ طَافَ بِهِ ، وَهِيَ « الْأَرْضُ » الَّتِي قَالَ اللَّهُ : « إِلَى جَاعِلٍ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » ، وَكَانَ النَّبِيُّ إِذَا هَلَكَ قَوْمُهُ ، وَنَجَا هُوَ وَالصَّالِحُونَ ، أَنَّهَا هِيَ وَمَنْ مَعَهُ فَعَبَدُوا اللَّهَ بِهَا حَتَّى يَمُوتُوا . فَإِنَّ قَبْرَ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ ، بَيْنَ زَمَرَمَ وَالرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ^(٣) .

• • •

« سَأَى أَبُو يَكْرَ الْهَذْلُ الْبَصْرِي » ، وَقَالَ : « لَيْسَ بِالْحَافِظِ عِنْدَهُمْ . قَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ : حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي يَكْرَ الْهَذْلِ عِدًّا » . وَكَذَلِكَ تَرْجَعُهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٣١٣/١/٢ - ٣١٤ ، وَأَبَانٌ عَنْ ضَعْفِهِ . وَ« سَلَمَى » : بضم السين وسكون اللام مع إمالة الألف المقصورة .

(١) الأثر : ٥٩٨ - نقله السيوطي ١ : ٤٤ عن الطبري ، ولكنه جعله من كلام الضحاك . وأبو روق يكثر رواية التفسير عن الضحاك . فلعل ذكر « الضحاك » سقط من النسخين في بعض نسخ الطبري . وأياً ما كان فهذا الإسناد ضعيف . سبق بيان ضعفه : ١٣٧ . ويزيده ضعفاً هنا جهالة الشيخ الذي رواه عنه الطبري عن المنجاب ، في قوله « حدثت » ، بتجهيل من حدثه . (٢) في المخطوطة : « خنقاً » ، بالقاف .

(٣) الحديث : ٥٩٩ - نقل ابن كثير في التفسير ١ : ١٢٧ معناه من تفسير ابن أبي حاتم : « حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ ، عَنْ عطاء بن السائب ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ سَابِطٍ ، فَذَكَرَهُ مَرْفُوعاً يَنْحَرُهُ مَخْتَصِراً . وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : « وَهَذَا مَرْسَلٌ ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ ، وَفِيهِ

القول في تأويل قوله ﴿ خَلِيفَةً ﴾

والخليفة الفعيلة من قولك : خلف فلان فلاناً في هذا الأمر ، إذا قام مقامه فيه بعده . كما قال جل ثناؤه ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس : ١٤] يعنى بذلك أنه أبدلكم في الأرض منهم ، فجعلكم خلفاء بعدهم . من ذلك قيل للسلطان الأعظم : خليفة ، لأنه خلف الذى كان قبله ، فقام بالأمر مقامه ، فكان منه خلقاً . يقال منه : خلف الخليفة ، يخلف خِلافة وخِليفتى ^(١) .

وكان ابن إسحق يقول بما :

٦٠٠ — حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إلى جاعل في الأرض خليفة » ، يقول : ساكناً وعامراً يسكنها ويعمرها خلقاً ، ليس منكم ^(٢) .

وليس الذى قال ابن إسحق في معنى الخليفة بتأويلها — وإن كان الله جل

مدرج ، وهو أن المراد بالأرض مكة ، والله أعلم — فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك . أما إرساله : فإن « عبد الرحمن بن سابط » : تابعى ، وهو ثقة ، ولكنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، بل لم يدرك كبار الصحابة ، كعمر وسعد ومعاذ وغيرهم . ويقال إنه « عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط » . واختلف في ذلك جداً ، فلذلك ترجحه الحافظ لأبيه في الموضوعين : « سابط » ، أو « عبد الله بن سابط » ، وفي الإصابة ٣ : ٥١ - ٥٢ ، و ٤ : ٧٣ . ونقله السيوطى ١ : ٤٦ ، ونسبه للطبرى وابن أبي حاتم وابن عساکر ، مطولاً كرواية الطبرى ، ونقله الشوكانى ١ : ٥٠ مختصراً ، كرواية ابن أبي حاتم ، ونقل تعليق ابن كثير إياه . وفي المطبوعة « أتى هو ومن معه » . وفي المخطوطة « فيمبدوا الله بها » .

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وخليفة » ، والصواب ما أثبتناه . في حديث عمر : « لولا الخليل لأذنت » (يكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة ، بعدها ياء ، ثم فاء مفتوحة) قالوا : وهو وأمثاله من الأبنية كالرمل والدليل ، مصدر يدل على معنى الكثرة . يريد عمر : كثرة اجتهداه في ضبط أمور الخلافة وتصريف أعنتها .

(٢) الأثر : ٦٠٠ - في ابن كثير ١ : ١٢٧ وفي المطبوعة هنا ، وفي : ٦١٥ « خلقاً

ثناؤه إنما أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة يسكنها - ولكن معناها ما وصفت قبل .

فلن قال قائل : فما الذي كان في الأرض قبل بني آدم لها عامراً ، فكان بنو آدم منه بدلاً^(١) ، وفيها منه خلفاً ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل في ذلك :

٦٠١ - فحدثنا أبو كريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر

ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : أول من سكن الأرض الجن فافسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضاً . فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بمجزائر البحور وأطراف الجبال . ثم خلق آدم فأسكنه إياها ، فلذلك قال : «إلى جاعل في الأرض خليفة»^(٢) .

فعلى هذا القول : «إلى جاعل في الأرض خليفة» ، من الجن ، يخلفونهم فيها فيسكنونها ويعمرونها .

٦٠٢ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الله بن

أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس في قوله : «إلى جاعل في الأرض خليفة» ، الآية ، قال : إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم

ليس منكم بالفاف ، وهو خطأ ، والصواب في ابن كثير ١ : ١٢٧ . وقوله «خلفاً» : أي بدلاً من مضي ، وهم سكان الأرض قبل آيينا آدم عليه السلام ، كما يأتي في الخبر التام : ٦١٥ . وقوله : «ليس منكم» ، كلام مستأنف ، أي ليس منكم آيينا الملائكة . أما المخطوطة ففيها : «ليس خلفاً منكم» وهو خطأ محض .

(١) في المطبوعة : «بدلاً منه» بالتقديم .

(٢) الخبر : ٦٠١ - في ابن كثير ١ : ١٢٧ . وقد روى الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٦١

غيراً يشبهه في بعض المعنى ويخالفه في اللفظ قال : «أخبرنا عبد الله بن موسى الصيدلاني ، حدثنا إسماعيل بن قتيبة ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ...» وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» . ووافقه الذهبي . وأما إسناد الطبري هنا فضعيف ، كما بينا فيها سبق : ١٣٧ .

الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم ، فكانت الدماء ، وكان الفساد في الأرض^(١) .

وقال آخرون في تأويل قوله : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، أى خلفاً يخلف بعضهم بعضاً ، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم ، ويخلف كل قرن منهم القرن الذى سلف قبله . وهذا قول حكى عن الحسن البصرى .

ونظير^٢ له ما : —

٦٠٣ — حدثني به محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن ابن سابط في قوله : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » قال : يعنون به بنى آدم صلى الله عليه وسلم .

٦٠٤ — حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال الله تعالى ذكره للملائكة : إني أريد أن أخلق في الأرض خلقاً وأجعل فيها خليفة^٣ . وليس لله يومئذ خلق إلا الملائكة ، والأرض ليس فيها خلق^(٢) .

وهذا القول يحتمل ما حكى عن الحسن ، ويحتمل أن يكون أراد ابن زيد أن الله أخبر الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة^٤ له يحكم فيها بين خلقه بحكمه ، نظير^٥ ما : —

٦٠٥ — حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي

(١) الأثر : ٦٠٢ — رواه الطبري في التاريخ ١ : ٤٣ ، هذا الإسناد . سيأتي أيضاً بهذا الإسناد بأطول منه : ٦١٢ . ونقله ابن كثير ١ : ١٢٨ ، والسيوطى ١ : ٤٥ بالرواية المطولة ، ولكنهما جملاه من كلام أبي العالية . فهو من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية . وزاد السيوطى في نسبه أنه رواه أيضاً ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة .

(٢) الأثران : ٦٠٣ ، ٦٠٤ — في ابن كثير ١ : ١٢٨ .

صلى الله عليه وسلم : « أن الله جل ثناؤه قال للملائكة : « إني جاعل في الأرض خليفة » . قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذُرِّيَّةٌ يُفْسِدُونَ في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً^(١) .

فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس : إني جاعل في الأرض خليفةً مني يخلفني في الحكم بين خلقي . وذلك الخليفة هو آدمُ ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه . وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها ، فمن غير خلفائه ، ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله — لأنهما أخبرا أن الله جل ثناؤه قال للملائكة — إذ سأله : ما ذاك الخليفة ؟ — : إنه خليفة يكون له ذُرِّيَّةٌ يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً . فأضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذُرِّيَّةٍ خليفته دونه ، وأخرج منه خليفته .

وهذا التأويل ، وإن كان مخالفاً في معنى الخليفة ما حكى عن الحسن من وجه ، فوافق له من وجه . فأما موافقته إياه ، فصرفُ متأوليه إضافة الإفساد في الأرض وسفك الدماء فيها إلى غير الخليفة . وأما مخالفته إياه ، فإضافتهما للخلافة إلى آدم^(٢) ، بمعنى استخلاف الله إياه فيها . وإضافة الحسن للخلافة إلى ولده ، بمعنى خلافة بعضهم بعضاً ، وقيام قرن منهم مقام قرن قبلهم ، وإضافة الإفساد في الأرض وسفك الدماء إلى الخليفة .

والذي دعا المتأولين قوله : « إني جاعل في الأرض خليفة » — في التأويل الذي ذكر عن الحسن — إلى ما قالوا في ذلك ، أنهم قالوا إن الملائكة إنما قالت لربها — إذ قال لهم ربهم : « إني جاعل في الأرض خليفة » — : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، إخباراً منها بذلك عن الخليفة الذي أخبر الله جل ثناؤه أنه

(١) الأثر : ٦٠٥ — في ابن كثير ١ : ١٢٧ .

(٢) في المطبوعة : « وإضافتهم » ، والصواب ما في المخطوطة ، ويعنى بهما ابن مسعود وابن عباس كما مضى آنفاً .

جاعله فى الأرض لا عن غيره^(١) . لأنّ المحاورة بين الملائكة وبين ربها عنه جرت . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك — وكان الله قد برأ آدم من الإفساد فى الأرض وسفك الدماء ، وطهره من ذلك — علّم أن الذى عنى به غيره من ذريته . فثبت أن الخليفة الذى يفسد فى الأرض ويسفك الدماء هو غير آدم ، وأنهم ولده الذين فعلوا ذلك ، وأن معنى الخلافة التى ذكرها الله إنما هى خلافة قرن منهم قرناً غيرهم لما وصفنا .

وأغفل قائلو هذه المقالة ، ومتأولو الآية هذا التأويل ، سبيل التأويل . وذلك أنّ الملائكة إذ قال لها ربها : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، لم تُنصف الإفساد وسفك الدماء فى جوابها ربّها إلى خليفته فى أرضه ، بل قالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ؟ » وغير مُنكر أن يكون ربّها أعلمها أنه يكون لخليفته ذلك ذرية يكون منهم الإفساد وسفك الدماء ، فقالت : يا ربنا ، « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » . كما قال ابن مسعود وابن عباس ، ومن حكينا ذلك عنه من أهل التأويل^(٢) .

(١) فى المطبوعة « لا غيره » بإسقاط « عن » .

(٢) فى الأصل المخطوط بعد هذا الموضع ما نصه : —

[بلغت من أوّله بقراءتى على القاضى أبى الحسن الخصب ابن عبد الله الخصبى ، عن أبى محمد القرغاني ، عن أبى جعفر الطبرى . وسمع معى أخى على بن أحمد بن عيسى ، ونصر بن الحسن الطبرى . وسمع أبو الفتح أحمد بن عمر الجهارى ، من موضع سماعه . وكتب محمد بن أحمد بن عيسى السعدى فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعمئة]

• • •

« تذكرة »

تبين لى ما راجعته من كلام الطبرى ، أن استدلال الطبرى بهذه الآثار التى يروىها بأسانيدها ، لا يراه به إلا تحقيق معنى لفظ ، أو بيان سياق عبارة . فهو قد ساق هنا الآثار التى رواها بإسنادها

القول في تأويل قوله جل ثناؤه خبراً عن ملائكته : ﴿ قَالُوا
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل^(١) : وكيف قالت الملائكة لربها إذ أخبرها أنه جاعل في الأرض خليفة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، ولم يكن آدم بعد مخلوقاً ولا ذُرِّيَّته ، فيعلموا ما يذبلون عياناً ؟ أعلمت الغيب فقالت ذلك ، أم قالت ما قالت من ذلك ظناً ؟ فذلك شهادة منها بالظن ، وقول بما لا تعلم . وذلك ليس من صفتها . أم ما وجه قيلها ذلك لربها ؟^(٢)

ليدل على معنى « الخليفة » ، و « الخلافة » ، وكيف اختلف المفسرون من الأولين في معنى « الخليفة » . وجعل استدلاله بهذه الآثار ، كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ في كتاب الله . وهذا بين في الفقرة التالية للأثر رقم : ٦٠٥ ، إذ ذكر ما روى عن ابن مسعود وابن عباس ، وما روى عن الحسن في بيان معنى « الخليفة » ، واستظهر ما يدل عليه كلام كل منهم . ومن أجل هذا الاستدلال ، لم يبال بما في الإسناد من وهن لا يرتضيه . ودليل ذلك أن الطبري نفسه قال في إسناد الأثر : ٦٥٥ عن ابن مسعود وابن عباس ، فيما مضى من : ٣٥٣ « فإن كان ذلك صحيحاً ، ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتباً . . . » ، فهو مع ارتيابه في هذا الإسناد ، قد ساق الأثر للدلالة على معنى اللفظ وحده ، فيما فهمه ابن مسعود وابن عباس - إن صح عنهما - أو ما فهمه الرواة الأقدمون من معناه . وهذا مذهب لا بأس به في الاستدلال . ومثله أيضاً ما يسوقه من الأخبار والآثار التي لا يشك في ضعفها ، أو في كونها من الإسرائيليات ، فهو لم ينسحبها لتكون مهينة على تفسير آتى التنزيل الكريم ، بل يسوق الطويل الطويل ، لبيان معنى لفظ ، أو سياق حادثة ، وإن كان الأثر نفسه بما لا تقوم به الحجة في الدين ، ولا في التفسير التام لأي كتاب الله .

فانستدل الطبري بما ينكره المنكرون ، لم يكن إلا استظهاراً للمعاني التي تدل عليها ألفاظ هذا الكتاب الكريم ، كما يستظهر بالشعر على معانيها . فهو إذن استدلال يكاد يكون لغوياً . ولما لم يكن مستنكراً أن يستدل بالشعر الذي كذب قائله ، ما صححت لفته ؛ فليس بمستنكر أن تصاق الآثار التي لا يرتضها أهل الحديث ، والتي لا تقوم بها الحجة في الدين ، للدلالة على المعنى المفهوم من صريح لفظ القرآن ، وكيف فهمه الأوائل - سواء كانوا من الصحابة أو من بعدهم .

وأرجو أن تكون هذه تذكيرة تنفع قارئ كتاب الطبري ، إذا ما انتهى إلى شيء مما عده أهل علم الحديث من الغريب والمنكر . ولم يقصر أخى السيد أحد شاكرك في بيان درجة رجال الطبري عند أهل العلم بالرجال ، وفي هذا مقنع لمن أراد أن يعرف علم الأقدمين على وجهه ، والحمد لله أولاً وآخراً .

(١) في المطبوعة : « إن قال قائل » .

(٢) في المطبوعة : « لما وجه » .

قيل : قد قالت العلماء من أهل التأويل في ذلك أقوالاً . ونحن ذاكروا أقوالهم في ذلك ، ثم نخبرون بأصحها برهاناً وأوضحها حجة . فروى عن ابن عباس في ذلك ما :
 ٦٠٦ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : كان إبليس من حَيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم « الحين » ، خلُقوا من نار السموم من بين الملائكة ^(١) ، قال : وكان اسمه الحارث ، قال : وكان خازناً من خزان الجنة . قال : وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحى . قال : وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار - وهو لسان النار الذى يكون في طرفها إذا ألهبت . قال : وخلق الإنسان من طين . فأول من سكن الأرض الجن . فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً . قال : فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة - وهم هذا الحى الذين يقال لهم الحين ^(٢) - فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال . فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه . وقال : « قد صنعتُ شيئاً لم يصنعه أحد » ! قال : فاطلع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه . فقال الله للملائكة الذين معه : « إلى جاعل في الأرض خليفة » . فقالت الملائكة مجيبين له : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، كما

(١) في المطبوعة في الموضعين « الجن » بالجم ، وهو خطأ ، يدل عليه سياق هذا الأثر ، فقد ميز ما بين إبليس ، وبين الجن الذين ذكروا في القرآن . إبليس مخلوق من نار السموم ، والآخرون خلُقوا من مارج من نار . والجن (بالجم) أول من سكن الأرض ، وإبليس جاء لقتالهم في جند من الملائكة . وهذا بين . وقد قال الجاحظ في الحيوان ٧ : ١٧٧ ، وبعض الناس يقسم الجن حل قسمين فيقول : هم جن وحن (بالحاء) ، ويجعل الله بالحاء أضعفهما . وقال في ١ : ٢٩١ - ٢٩٢ ، وبعض الناس يزعم أن الجن والجن صنفان مختلفان ، ذهبوا إلى قول الأعرابي حين أتى باب بعض الملوك ليكتب في الزنى فقال في ذلك :

إِنْ تَكْتُبُوا الزَّنى فَإِنِّى لَزَيْنٌ مِنْ ظَاهِرِ الدَّاءِ وَدَاءِ مُسْتَكِنٍ
 أَيْتُ أَهْوَى فِي شَيْطَلِينَ تَرِنٌ مُخْتَلِفٍ نِجَارُهُمْ جَنٌّ وَجِنٌّ

ففرق بين طين الجنس . وانظر الحيوان ٦ : ١٩٣ ، أيضاً ، والسان (جن) ، وغيرها

أفسدت الجن وسفكت الدماء ، وإنما بُعثنا عليهم لذلك . فقال : « إلى أعلم ما لا تعلمون » ، يقول : إني قد اطلعتُ من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه ، من كبره واغتراره . قال : ثم أمر بشربة آدم فرُفعت ، فخلق الله آدم من طين لازب — واللازبُ : اللزجُ الصلب ، من حمأ مسنون — مُنتن . قال : وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التراب . قال : فخلق منه آدم بيده ، قال فكث أربعين ليلة جسداً مُلقى . فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيُصلصل — أى فيصوت — قال : فهو قول الله : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [سورة الرحمن : ١٤] . يقول : كالشيء المنفوخ الذي ليس بمُصنّت^(١) . قال : ثم يدخل في فيه ويخرج من دُبُرهِ ، ويدخل من دُبُرهِ ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئاً ! — للصلصلة — ولشيء ما خلقت ! لئن سلطتُ عليك لأهلكنك ، ولئن سلطتَ على لأعصيتنك . قال : فلما نفخ الله فيه من روحه ، أتت النفخة من قبل رأسه ، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحمًا ودمًا . فلما انتهت النفخة إلى سُرته ، نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه ، فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو قول الله : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ [سورة الإسراء : ١١] قال : ضَجيراً لا صَبْرَ له على سَرَاء ولا ضَرَاء . قال : فلما تمت النفخة في جسده عطس ، فقال : « الحمد لله رب العالمين » بإلهام من الله تعالى ، فقال الله له : يرحمك الله يا آدم . قال : ثم قال الله للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات : اسجدوا لآدم . فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر ، لما كان حدث به نفسه من كبره واغتراره . فقال : لا أسجد له ، وأنا خير منه وأكبر سنًا وأقوى خلقاً ، خلقتني من نار وخلقته من طين — يقول : إن النار أقوى من الطين . قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله — أى آيسه من الخير كله^(٢) ، وجعله شيطاناً رجياً

(١) المصمت : الذي لا جوف له ، وكل ذى جوف إذ قرع صوت ، أما المصمت فهو صامت لا صوت له . فن المصمت أخلوه .

(٢) في المطبوعة : « وآيسه الله ... » .

عقوبة لمعصيته . ثم علم آدم الأسماء كلها ، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان ودابة وأرض وسهلٌ وبحر وجبل وحرار ، وأشباه ذلك من الأسماء وغيرها . ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة - يعنى الملائكة الذين كانوا مع إبليس ، الذين خلقوا من نار السموم - وقال لهم : أنبئوني بأسماء هؤلاء - يقول : أخبروني بأسماء هؤلاء ، إن كنتم صادقين ، إن كنتم تعلمون أننى لم أجعل خليفة فى الأرض^(١) . قال : فلما علمت الملائكة مؤاخذه الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب ، الذى لا يعلمه غيره ، الذى ليس لهم به علم ، قالوا : سبحانك ، تترى الله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره - تبنا إليك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا ، تبرئاً منهم من علم الغيب ، إلا ما علمتنا كما علمت آدم . فقال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم - يقول : أخبرهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم - أيها الملائكة خاصة - إني أعلم غيب السموات والأرض ، ولا يعلمه غيرى ، وأعلم ما تبدون - يقول : ما تُظهرون - وما كنتم تكتمون - يقول : أعلم السر كما أعلم العلانية ، يعنى ما كنتم إبليس فى نفسه من الكبر والاعتزاز^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذه الرواية عن ابن عباس ، تُنبئ عن أن قول الله جل ثناؤه : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ فى الأرض خليفة » ، خطابٌ من الله جل ثناؤه لخاص من الملائكة دون الجميع ، وأن الذين قيل لهم ذلك من الملائكة كانوا قبيلة إبليس خاصة - الذين قاتلوا معه جن الأرض قبل خلق آدم - وأن الله إنما خصهم بقيل ذلك امتحاناً منه لهم وابتلاءً ، ليعرفهم قصور علمهم وفضل كثير ممن هو أضعف خلقاً منهم من خلقه عليهم ، وأن كرامته

(١) فى المطبوعة : « أنكم تعلمون أني أجعل فى الأرض خليفة » ، وقوله « لم أجعل ... » سقط « لم » من المخطوطة أيضاً . والصواب من الدر المنثور ، والشوكاني ، حيث يأتي تخريجه . وسيأتي عل الصواب أيضاً فى رقم : ٦٧١ ص : ٤٩٠ ، وهو يختصر من هذا الأثر .

(٢) الخبر : ٦٠٦ - خرجه السيوطى فى الدر المنثور مرفقاً ١ : ٤٤ - ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ . والشوكاني ١ : ٥٢ بعضه مرفقاً . وروى الطبري قطعة منه ، بهذا الإسناد ، فى تاريخه ١ : ٤٢ - ٤٣ .

لا تنال بقوى الأبدان وشدة الأجسام، كما ظنه إبليس علو الله . ومُصَرَّحٌ بأن قيلهم لربهم^(١) : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، كانت هفوة منهم ورجماً بالغيب ، وأن الله جل ثناؤه أطلعهم على مكروه ما نطقوا به من ذلك ، ووقفهم عليه حتى تابوا وأنابوا إليه مما قالوا ونطقوا من رجس الغيب بالظنون ، وتبرأوا إليه أن يعلم الغيب غيره . وأظهر لهم من إبليس ما كان منظوياً عليه من ١٦٠/١ الكبير الذى قد كان عنهم مستخفياً^(٢) .

* * *

وقد روى عن ابن عباس خلاف هذه الرواية ، وهو ما : —

٦٠٧ — حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « لما فرغ الله من خلق ما أحب ، استوى على العرش ، فجعل إبليس على مُلْك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن^(٣) — وإنما سماوا الجن لأنهم خزان الجنة . وكان إبليس مع مُلكه خازناً ، فوقع في صدره كبر ، وقال : ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي — هكذا قال موسى بن هرون ، وقد حدثني به غيره ، وقال : لمزية لي على الملائكة^(٤) — فلما وقع ذلك الكبر في نفسه ،

(١) في المطبوعة : « ويصرح » ، وساق الكلام : « تنبى » عن أن قول الله . . . خطاب من الله جل ثناؤه لخاص من الملائكة دون الجميع ، .. ويصرح بأن قيلهم « ، حلفاً على خبر « أن » . (٢) هذا التعقيب على خبر ابن عباس ، دليل على ما ذهبنا إليه في بيان طريقة الطبري في الاستدلال بالأخبار والآثار انظر ص : ٤٥٣-٤٥٤ . فهو لم يروه لاحتياطه ، بل رواه ليبيان أن قول الله سبحانه : « وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » ، إنما هو خطاب فيه لفظ العموم « الملائكة » ، ويراد به الخصوص لبعض الملائكة ، كما هو معروف في لسان العرب . وأن قول هؤلاء الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها . . . » ، لم يكن عن علم عرفوه من علم الغيب ، بل كان ظناً ظنوه . وسأقى بعد ما يوضح مذهب الطبري في الاستدلال ، كما سأشير إليه في موضعه .

(٣) في المخطوطة : « الجن » بالخاء ، وتفسيرها التال يدل على أنها بالهمز . وانظر ما كتبناه آنفاً في ص : ٤٥٥ التعليق : ١

(٤) غيره ، الذى أبهمه الطبري هنا ، بينه في التاريخ ١ : ٤٣ ، قال : « وحدثني به أحمد بن أبي خيثمة ، عن عمرو بن حماد » .

اطلع الله على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : « إني جاعل في الأرض خليفة » .
قالوا : ربنا ، وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض
ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً . قالوا : ربنا ، « أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحنُ نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون » .
يعنى من شأن إبليس . فبعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض :
إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني . فرجع ، ولم يأخذ . وقال : رب
لإنها عاذت بك فأعدتها . فبعث الله ميكائيل ، فعادت منه فأعاذها ، فرجع
فقال كما قال جبريل . فبعث ملك الموت فعادت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن
أرجع ولم أنفذ أمره . فأخذ من وجه الأرض ، وخلط فلم يأخذ من مكان واحد ،
وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين . فصعد به ،
فبل التراب حتى عاد طيناً لازباً - واللازب : هو الذى يلتزق بعضه ببعض -
ثم ترك حتى أتت وتغير^(١) . وذلك حين يقول : ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾
[سورة الحجر : ٢٨] . - قال : منتن - ثم قال للملائكة : ﴿ إني خالق بشرٍ مِنْ طِينٍ
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [سورة ص : ٧١ - ٧٢] .
فخلقه الله بيديه لكيلا يتكبر إبليس عنه ، ليقول له : تتكبر عما عملت بيدي ،
ولم أتكبر أنا عنه ؟ فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار
يوم الجمعة : فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه . وكان أشدَّهم منه فزعاً إبليس ،
فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار وتكون له صلصلة ،
فذلك حين يقول : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [سورة الرحمن : ١٤] . ويقول لأمر
ما خلقت ! ودخل من فيه فخرج من دُبُرِهِ . فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا ،

(١) في المطبوعة « حين أتت » ، وصحته « حتى أتت » ، كما في تاريخ الطبري ، وتفسير
ابن كثير - فيما نبين في ترجمته .

فإن ربكم صمدٌ وهذا أجوف^(١) . لئن سلطت عليه لأهلكنّه . فلما بلغ الحين الذى يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح ، قال للملائكة : إذا نفختُ فيه من رُوحى فاسجدوا له . فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح فى رأسه ، عطّس ، فقالت له الملائكة : قل الحمد لله . فقال : الحمد لله . فقال له الله : رحمتك ربك . فلما دخل الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة . فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عَجَلانَ إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٧] . فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين — أبى استكبر^(٢) — وكان من الكافرين . قال الله له : ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقتُ يديّ ؟ قال : أنا خير منه ، لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين . قال الله له : اخرج منها فما يكون لك — يعنى ما ينبغى لك — . أن تتكبر فيها ، فاخرج إنك من الصاغرين — والصغار — هو الذل — . قال وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرض الخلق على الملائكة ، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أن بنى آدم يُفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء . فقالوا له : سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنتَ العليم الحكيم . قال الله : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . قال قولهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، فهذا الذى أبدوا ، « وأعلم ما كنتم تكتمون » ، يعنى ما أسر إبليس فى نفسه من الكبر^(٣) .

(١) الصمد هنا : هو الذى لا جوف له ، والمصمد والمصمت واحد . وانظر ما سلف ص : ٤٥٦ تعليق : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « أبى واستكبر » ، وهو تحريف .

(٣) الخبر : ٦٠٧ — روى الطبرى قطعة منه فى تاريخه ١٥ : ٤١ — ٤٢ ، بهذا الإسناد . وقطعة أخرى أيضاً ١ : ٤٣ . وثلاثة ١ : ٤٥ — ٤٦ . ورابعة ١ : ٤٧ . وخامسة ١ : ٤٧ — ٤٨ . وسادسة ١ : ٥٠ . وبعضه عن السيوطى ١ : ٤٥ — ٤٧ ، والشوكافى ١ : ٥٠ . وقد مضى تحليل هذا الإسناد ، فى : ١٦٨ ، ورأى الطبرى نفسه فيه : ٤٥٢ ، وأنه فيه مرتاب . وقد ساقه ابن

قال أبو جعفر : فهذا الخبر أوله مخالف معناه معنى الرواية التي رويت عن ابن عباس من رواية الضحاك التي قد قدمنا ذكرها قبل ، وموافق معنى آخره معناها . وذلك أنه ذكر في أوله أن الملائكة سألت ربها : ما ذاك الخليفة ؟ حين قال لها : إني جاعلٌ في الأرض خليفة . فأجابها أنه تكون له ذريةٌ يُفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً . فقالت الملائكة حينئذ : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ فكان قولُ الملائكة ما قالت من ذلك لربّها ، بعد إعلام الله إياها أن ذلك كائن من ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض . فذلك معنى خلاف أوله معنى خبر الضحاك الذي ذكرناه .

وأما موافقته إياه في آخره ، فهو قوْلهم في تأويل قوله : « أنبئني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » : أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، وأن الملائكة قالت إذ قال لها ربها ذلك ، تبرئاً من علم الغيب — : « سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » .

وهذا إذا تدبره ذوالفهم ، علم أن أوله يفسد آخره ، وأن آخره يُبطل معنى أوله . وذلك أن الله جل ثناؤه إن كان أخبر الملائكة أن ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض تفسد فيها وتسفك الدماء ، فقالت الملائكة لربها : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؟ فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت عنم أخبرها الله عنه أنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، بمثل الذي أخبرها عنهم ربّها ، فيجوز أن يقال لها فيما طوى عنها من العلوم : إن كنتم صادقين فيما علمتم بنجر الله إياكم أنه كائن من الأمور فأخبرتم به ، فأخبرونا بالذي قد طوى الله عنكم علمه ، كما قد أخبرتمونا بالذي قد أطلعكم الله عليه — بل ذلك خُلفٌ من التأويل ، ودعوى على

كثير بطوله ١ : ١٣٧ - ١٣٨ ، ثم قال : « فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدى ، ويقع فيه إسرائيليّات كثيرة . فلعل بعضها مدرج ، ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة ، والله أعلم . والحاكم يروى في مستدركه ، بهذا الإسناد بعينه ، أشياء ، ويقول : عل شرط البخاري ! » .

الله ما لا يجوز أن يكون له صفة^(١). وأخشى أن يكون بعض ثقلة هذا الخبر هو الذى غلط على من رواه عنه من الصحابة ، وأن يكون التأويل منهم كان على ذلك : « أنبئوا بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العلم بخبرى إياكم أن بنى آدم يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء ، حتى استعجزتم أن تقولوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . فىكون التوبيخ حينئذ واقعاً على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم : « إنه يكون له ذرية يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء » ، لا على إخبارهم بما أخبرهم الله به أنه كائن . وذلك أن الله جل ثناؤه ، وإن كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرية خليفته فى الأرض ، ما يكون منه فيها من الفساد وسفك الدماء ، فقد كان طوى عنهم الخبر عما يكون من كثير منهم ما يكون من طاعتهم ربهم ، وإصلاحهم فى أرضه ، وحقق الدماء ، ورفع منزلتهم ، وكرامتهم عليه ، فلم يخبرهم بذلك . فقالت الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، على ظن منها — على تأويل هذين الخبرين اللذين ذكرتُ وظاهرهما — أن جميع ذرية الخليفة الذى يجعله فى الأرض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء ، فقال الله لهم — إذ علم آدم الأسماء كلها — : أنبئوا بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنكم تعلمون أن جميع بنى آدم يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء ، على ما ظننتم فى أنفسكم — إنكاراً منه جل ثناؤه لقيلمهم ما قالوا من ذلك على الجميع والعموم ، وهو من صفة خاص ذرية الخليفة منهم . وهذا الذى ذكرنا هو صفة منا لتأويل الخبر ، لا القول الذى نختاره فى تأويل الآية^(٢) .

(١) فقد الطبرى دال أيضاً على ما ذهبنا إليه من الاستدلال بالأخبار كاستدلال المستدل بالشر . وأنت تراه ينقض هذا الخبر نقضاً ، ويبين الخطأ فى سياقه ، وتناقضه فى معناه . وهذا بين إن شاء الله .

(٢) وهذا أيضاً دليل واضح على أن استدلال الطبرى بالأخبار والآثار ، ليس معناه أنه ارتضاها ، بل معناه أنه أتى بها ليستدل على سياق تفسير الآية مرة ، وعلى بيان فساد الأخبار أنفسها مرة أخرى . وقد أخطأ كثير من نقل عن الطبرى فى فهم مراده ، وتحامل عليه آخرون لم يعرفوا مذهبه فى هذا التفسير .

ومما يدل على ما ذكرنا من توجيه خبر الملائكة عن إفساد ذرية الخليفة وسفكها الدماء على العموم ، ما : —

٦٠٨ — حدثنا به أحمد بن إسحق الأهوازي^(١) ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن بن سابط ، قوله : « أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء » ، قال : يعنون الناس^(٢) .

وقال آخرون فى ذلك بما : —

٦٠٩ — حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ قال رَبُّكَ للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة » ، فاستشار الملائكة فى خلق آدم ، فقالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » — وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شىء أكره إلى الله من سفك الدماء والفساد فى الأرض — « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون » فكان فى علم الله جل ثناؤه أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياءُ ورسل وقوم صالحون وساكنتو الجنة . قال : وذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إن الله لما أخذ فى خلق آدم قالت الملائكة : ما الله خالقٌ خلقاً أكرم عليه منّا ولا أعلم منّا ؟ فابتلوا بخلق آدم — وكل خلق مُبْتَلَى — كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة ، فقال الله : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(٣) [سورة فصلت : ١١] .

وهذا الخبر عن قتادة يدل على أن قتادة كان يرى أن الملائكة قالت ما قالت من قولها : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، على غير يقين علم تقدم منها بأن ذلك كائن ، ولكن على الرأى منها والظن ، وأن الله جل ثناؤه أنكر ذلك من

(١) فى المطبوعة . « ابن أحمد بن إسحق الأهوازي » ، وزيادة « ابن » خطأ .

(٢) الأثر : ٦٠٨ — لم أجده .

(٣) الأثر : ٦٠٩ — فى ابن كثير ١ : ١٢٩ ، وبعضه فى الدر المنثور مفرقاً ١ :

قيلها ، وردّ عليها ما رأت بقوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » من أنه يكون من ذرية ذلك الخليفة الأنبياء والرسلُ والمجتهدُ في طاعة الله .

وقد رُوِيَ عن قتادةٍ خلافُ هذا التأويل وهو ما : —

٦١٠ — حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال :

أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : « أتجعل فيها من يُفسد فيها » قال : كان الله أعلمهم إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، فذلك قوله : « أتجعل فيها من يُفسد فيها »^(١) .

وبمثل قول قتادة قال جماعة من أهل التأويل ، منهم الحسن البصري :

٦١١ — حدثنا القاسم : قال حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن جرير

بن حازم ، ومبارك ، عن الحسن — وأبي بكر ، عن الحسن و قتادة — قالوا : قال الله

للملائكة : « إني جاعلٌ في الأرض خليفة » — قال لهم : إني فاعلٌ — فعرضوا برأيهم ،

فعلّمهم علماً وطوّى عنهم علماً علمه لا يعلمونه ، فقالوا بالعلم الذي علمهم : « أتجعل

فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء » — وقد كانت الملائكة علمت من علم الله أنه لا

ذنب أعظم عند الله من سفك الدماء — « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني أعلم

ما لا تعلمون » . فلما أخذ في خلق آدم همست الملائكة فيما بينها ، فقالوا : ليخلق

ربنا ما شاء أن يخلق ، فلن يخلق خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه . فلما

خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا ، ففضّله عليهم ، فعلموا

أنهم ليسوا بخير منه ، فقالوا : إن لم نكن خيراً منه فنحن أعلم منه ، لأننا كنا

قبله ، وُخلقت الأمم قبله . فلما أعجبوا بعملهم ابتلوا ، ف « علم آدم الأسماء كلها

ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » أتى لا أخلق

خلقاً إلا كنتم أعلم منه ، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قال : ففرع

القومُ إلى التوبة — وإليها يفرع كل مؤمن — فقالوا : « سبحانه لا علم لنا إلا

ما علمتنا إنك أنبت العليم الحكيم ، قال : يا آدم أنبهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون - لقولهم : « ليخلق ربنا ما شاء ، فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم منا » . قال : علمه اسم كل شيء ، هذه الجبال وهذه البغال والإبل والجن والوحش ، وجعل يسمى كل شيء باسمه ، وعرضت عليه كل أمة ، فقال : « ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، قال : أما ما أبدتوا فقولهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، وأما ما كنتموا فقول بعضهم لبعض : « نحن خير منه وأعلم » (١) .

٦١٢ - وحدثنى الثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله : « إني جاعل في الأرض خليفة » الآية ، قال : إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة . قال : فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم ، فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض . فن ثم قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » الآية (٢) .

٦١٣ - [حدثنا محمد بن جرير ، قال : حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : أخبرنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله - : « ثم عرّضهم

(١) الأثر : ٦١١ - سبق بعضه بهذا الإستاد نصاً . وشرحنا جودة بعضه وضعف بعضه . ونقل السيوطي ١ : ٤٩ ، بعضه عن هذا الموضع من تفسير الطبري . وذكر ابن كثير ١ : ١٧٨ قسماً منه ، من تفسير ابن أبي حاتم : عن الحسن بن محمد بن الصباح ، عن سعيد بن سليمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن - وهو البصري . وهذا إستاد صحيح إلى الحسن البصري : فإن «الحسن بن محمد بن الصباح» : هو الزعفراني الثقة المأمون ، تلميذ الشافعي وراوي كتيبه بالعراق . وسعيد بن سليمان : هو سعدويه الضبي الواسطي ، وهو ثقة مأمون من شيوخ البخاري ومن أقران الإمام أحمد . ومبارك بن فضالة : ثقة ، من أخص الناس بالحسن البصري ، جالسه ١٣ أو ١٤ سنة . (٢) الأثر : ٦١٢ - مضى صدره برقم : ٦٠٢ ، وأشرنا إلى هذا هناك .

على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . إلى قوله : « إنك أنتَ العليم الحكيم » . قال : وذلك حين قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » . قال : فلما عرفوا أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا بينهم : لن يخلق الله خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم . فأراد الله أن يخبرهم أنه قد فضل عليهم آدم . وعلم آدم الأسماء كلها ، فقال للملائكة : « أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ، إلى قوله : « وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون » ، وكان الذي أبدوا حين قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، وكان الذي كتموا بينهم قولهم : « لن يخلق الله خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم » ، فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم ^(١) .

وقال ابن زيد بما :-

٦١٤ - حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : لما خلق الله النارَ ذعرت منها الملائكة ذعراً شديداً ، وقالوا : ربنا لم خلقت هذه النار ؟ ولأى شيء خلقها ؟ قال : لمن عصاني من خلقي . قال : ولم يكن لله خلق يومئذ إلا الملائكة ، والأرض ليس فيها خلق ، إنما خلق آدم بعد ذلك ، وقرأ قول الله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ [سورة الإنسان : ١] . قال : قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ليت ذلك الحين ^(٢) . ثم قال : قالت الملائكة : يارب ، أو يأتي علينا دهرٌ نعصيك فيه ا - لا يروون له خلقاً غيرهم - قال : لا ، إني أريد أن أخلق في الأرض خلقاً

(١) الأثر : ٦١٣ - هو رواية أخرى للأثر السالف . ولم أجده في المراجع السالفة .

(٢) كلمة عمر رضى الله عنه : « ليت ذلك الحين » ، يعنى ليت الإنسان بقى شيئاً غير مذكور ، طيناً لازباً . يقولون من مخافة عذابه ربه يوم القيامة . وفي الدر المنثور ٦ : ٢٩٧ : « أخرج ابن المبارك ، وأبو عبيد في فضائله ، وعبد بن حيد ، وابن المنذر ، عن عمر بن الخطاب : أنه سمع رجلاً يقرأ : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) ، فقال عمر : ليها تمت . فهذا في معنى كلمة عمر هنا .

وأجعل فيها خليفة^١ ، يسفكون الدماء ويفسدون في الأرض . فقالت الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ وقد اخترتنا ، فاجعلنا نحن فيها ، فنحن نسبح بحمده ونقدس لك ونعمل فيها بطاعتك . وأعظمت الملائكة أن يجعل الله في الأرض من يعصيه فقال : « إني أعلم ما لا تعلمون » . « يا آدم أنبئهم بأسمائهم » . فقال : فلان وفلان . قال : فلما رأوا ما أعطاه الله من العلم أقرأوا لآدم بالفضل عليهم ، وأبى الخبيث إبليس أن يقرّ له ، قال : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » . قال : « فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها^(١) » .

وقال ابن إسحق بما : —

٦١٥ — حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق قال : لما أراد الله أن يخلق آدم بقدرته ليبتليه ويبتلى به ، لعلمه بما في ملائكته وجميع خلقه — وكان أول بلاء ابتليت به الملائكة مما لها فيه ما تحب وما تكره ، للبلاء والتحريض لما فيهم مما لم يعلموا ، وأحاط به علم الله منهم — جمع الملائكة من سكان السموات والأرض ، ثم قال : « إني جاعل في الأرض خليفة » — يقول : ساكناً وعامراً ليسكنها ويعمرها — خلقاً ، ليس منكم^(٢) . ثم أخبرهم بعلمه فيهم ، فقال : يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ويعملون بالمعاصي . فقالوا جميعاً : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمده ونقدس لك »

(١) الأثر : ٦١٤ — سيأتي بعض معناه بهذا الإسناد : (ص ١٧٦ بولاق) . وأما هذا النص ، فقد ذكر السيوطي بعضه ١ : ٤٥ ونسبه لابن جرير فقط . ولم يذكر فيه كلمة عمر ابن الخطاب . وقد أشرنا إلى ورود معناها من وجه آخر ، في الهامشة قبل هذه . وكلمة عمر هنا سيقى مساق الحديث المرفوع ، إذ قال : « يا رسول الله ، ليت ذلك الحين » . فتكون حديثاً مرفوعاً مرسلًا ، بل منقطعاً ، لأن ابن زيد — وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم — لم يدرك إلا بعض التابعين . هذا إلى أنه ضعيف جداً ، كما سبق في : ١٨٥ .

(٢) في المطبوعة : « هامر وساكن يسكنها ويعمرها خلقاً ليس منكم » ، وانظر ما مضى ، رقم : ٦٠٠ ، وانظر تخريجه بعد .

لا نعصى ، ولا نأتى شيئاً كرهته ؟ قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » - قال : إني أعلم فيكم ومنكم ولم يُبدها لهم - من المعصية والفساد وسفك الدماء وإتيان ما أكره منهم ، مما يكون في الأرض ، مما ذكرتُ في بني آدم . قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * ﴾ [سورة صر : ٦٩ - ٧٢] .

فذكر لنبىه صلى الله عليه وسلم الذى كان من ذكره آدم حين أراد خلقه ، ومراجعة الملائكة إياه فيما ذكر لهم منه . فلما عزم الله تعالى ذكره على خلق آدم قال للملائكة : إني خالقٌ بشرًا من صلصال من حمَلٍ مسنون بيدي - تكرمة له وتعظيماً لأمره وتشريفاً له - حفظت الملائكة عهده ووعوا قوله ، وأجمعوا الطاعة إلا ما كان من عدو الله إبليس ، فإنه صمت على ما كان في نفسه من الحسد والبغى والتكبر والمعصية . وخلق الله آدم من أدمّة الأرض ، من طين لازب من حمَلٍ مسنون بيديه ، تكرمة له وتعظيماً لأمره وتشريفاً له على سائر خلقه . قال : ابن إسحق : فيقال ، والله أعلم : خلق الله آدم ثم وضعه ينظر إليه أربعين عاماً قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالاً كالفضار ولم تمسه نار . قال : فيقال ، والله أعلم : إنه لما انتهى الروح إلى رأسه عطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، ووقع الملائكة حين استوى سجداً له ، حفظاً لعهد الله الذى عهد إليهم ، وطاعة لأمره الذى أمرهم به . وقام عدو الله إبليس من بينهم فلم يسجد ، مكابراً متعظماً بغياً وحسداً . فقال له : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ إلى : ﴿ لَا تُلَاقَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة صر ٧٥ - ٨٥] .

قال : فلما فرغ الله من إبليس ومعاتبته ، وأبى إلا المعصية ، أوقع عليه اللعنة وأخرجته من الجنة . ثم أقبل على آدم ، وقد علمه الأسماء كلها ، فقال : « يا آدم

أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » — أى ، إنما أجبتك فيما علمتنا ، فأما ما لم تعلمنا فأنْتَ أعلم به . فكان ما سمى آدم من شيء ، كان اسمه الذى هو عليه إلى يوم القيامة ^(١) .
وقال ابن جريج بما : —

٦١٦ — حدثنا به القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : إنما تكلموا بما أعلمهم أنه كائن من خلق آدم ، فقالوا : « أتجعلُ فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ » وقال بعضهم : إنما قالت الملائكة ١٦٥/١ ما قالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » لأن الله أذن لها فى السؤال عن ذلك ، بعد ما أخبرها أن ذلك كائن من بنى آدم . فسألته الملائكة ، فقالت — على التعجب منها — : وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم ؟ فأجابهم ربهم : إني أعلم ما لا تعلمون ، يعنى : أن ذلك كائن منهم — وإن لم تعلموه أتم — ومن بعض من تروونه لى طائفاً . يعرفهم بذلك قصور علمهم عن علمه ^(٢) .

• • •

وقال بعض أهل العربية : قول الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها » على غير وجه الإنكار منهم على ربهم ، وإنما سألوه ليعلموا ، وأخبروا عن أنفسهم أنهم يسبحون . وقال : قالوا ذلك لأنهم كرهوا أن يُعصى الله ، لأن الجن قد كانت أمرت قبل ذلك فعميت .

وقال بعضهم : ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك ، فكأنهم قالوا : « يارب خبرنا » ، مسألة استخبار منهم لله ، لا على وجه مسألة التوبيخ . قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بقول الله جل ثناؤه ، مخبراً عن ملائكته قِيلَ لَهُ : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس

(١) الأثر : ٦١٥ — مضى صدره برقم : ٦٠٠ .

(٢) الأثر : ٦١٦ — لم أجده فى مكان .

لك ، تأويل من قال : إن ذلك منها استخبار لربها ، بمعنى : أعلمنا يا ربنا أجاعل أنت في الأرض من هذه صفته ، وتارك أن تجعل خلفاءك منا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك — لا إنكار منها لما أعلمها ربها أنه فاعل . وإن كانت قد استعظمت لما أخبرت بذلك ، أن يكون لله خلق يعصيه .

وأما دعوى من زعم أن الله جل ثناؤه كان أذن لها بالسؤال عن ذلك فسألته على وجه التعجب ، فدعوى لا دلالة عليها في ظاهر التزيل ، ولا خبر بها من الحجة يقطع العذر . وغير جائز أن يقال في تأويل كتاب الله بما لا دلالة عليه من بعض الوجوه التي تقوم بها الحجة .

وأما وصف الملائكة من وصفت — في استخبارها ربها عنه — بالفساد في الأرض وسفك الدماء ، فغير مستحيل فيه ما روى عن ابن عباس وابن مسعود من القول الذي رواه السدي ، ووافقه عليه قتادة — من التأويل : وهو أن الله جل ثناؤه أخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة تكون له ذرية يفعلون كذا وكذا ، فقالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، على ما وصفت من الاستخبار .

فإن قال لنا قائل : وما وجه استخبارها ، والأمر على ما وصفت ، من أنها قد أخبرت أن ذلك كائن ؟

قيل : وجه استخبارها حيثل يكون عن حالهم عند وقوع ذلك . وهل ذلك منهم ؟ وسألهم ربهم أن يجعلهم الخلفاء في الأرض حتى لا يعصوه . وغير فاسد أيضاً ما رواه الضحاك عن ابن عباس ، وتابعه عليه الربيع بن أنس ، من أن الملائكة قالت ذلك لما كان عندها من علم سكان الأرض — قبل آدم — من الجن ، فقالت لربها : « أجاعل فيها أنت مثلهم من الخلق يفعلون مثل الذي كانوا يفعلون » ؟ على وجه الاستعلام منهم لربهم ، لا على وجه الإيجاب أن ذلك كائن كذلك ، فيكون ذلك منها إخباراً عما لم تطلع عليه من علم الغيب . وغير خطأ أيضاً ما قاله ابن زيد من أن يكون قيل الملائكة ما قالت من ذلك ، على

وجه التعجب منها من أن يكون لله خلقٌ يعصى خالقه .

ولأنما تركنا القول بالذي رواه الضحاك عن ابن عباس ، ووافقه عليه الربيع ابن أنس ، وبالذي قاله ابن زيد في تأويل ذلك ، لأنه لا خبر عندنا بالذي قالوه ١٦٦/١ من وجه يقطعُ بحجيته العذر ، ويُلزمُ سامعَه به الحجة . والخبر عما مضى وما قد سلف ، لا يُدرك علمُ صحته إلا بحجيته مجيئاً يمتنعُ معه التشاغب والتواطؤ ، ويستحيلُ معه الكذب والخطأ والسهو ^(١) . وليس ذلك بموجود كذلك فيها حكاية الضحاك عن ابن عباس ووافقه عليه الربيع ، ولا فيها قاله ابن زيد .

فأولى التأويلات — إذ كان الأمر كذلك — بالآية ، ما كان عليه من ظاهر التزليل دلالةً ، مما يصحُ مخرجهُ في المفهوم .

فإن قال قائل : فإن كان أولى التأويلات بالآية هو ما ذكرت ، من أن الله أخبر الملائكة بأن ذرية خليفته في الأرض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء ، فمن أجل ذلك قالت الملائكة : «أتجعل فيها من يفسد فيها» ، فأين ذكر إخبار الله إياهم في كتابه بذلك ؟

قيل له : اكتبى بدلالة ما قد ظهرَ من الكلام عليه عنه ، كما قال الشاعر :

فلا تَدْفِنُونِي ، إِنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ خَامِرِي أُمٌّ عَامِرٌ ^(٢)

فحذف قوله : «دعوني لأني يقال لها عند صبيها» : خامري أم عامر . إذ كان فيها أظهر من كلامه ، دلالة على معنى مراده . فكذا ذلك في قوله : «قالوا :

(١) في المخطوطة والمطبوعة : «يحتج منه ... ويستحيل منه» ، وليست بشيء . وفي المخطوطة مكان «التشاغب» : «السامر» غير مبينة .

(٢) البيت للشنفرى الأزدى في قصة . شرح الحماسة ٢ : ٢٤-٢٦ ، والأخافى ٢١ : ٨٩ وفيه ما . ويرى : «لا تدفوني إن قبري» ، «ولكن أبشري» . وقوله «خامري» : أى استنري ، وأصله من الخمرة (بكسر فسكون) وهو الاستخفاء . يريدون بذلك دفن الفصح مستخفية ملازمة لمكانها حتى تغالب القبول فتصيب منه . وأم عامر : كنية الفصح . وذلك ما يقوله لها الصائد حين يرهقه صيدها ، يفرها بذلك حتى يتمكن منها ، فيقول لها : «أبشري أم عامر بشيء هزل ، وجراد هزل ، وكسر وجمال قليل» ، فتقبل الفصح إليه فيصيدها .

« أتجعل فيها من يفسد فيها » ، لما كان فيه دلالة على ما ترك ذكره بعد قوله :
« إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » ، من الخبر عما يكون من إفساد ذريته في الأرض ،
اكتفى بدلالته وحذف ، فترك ذكره كما ذكرنا من قول الشاعر . ونظائر ذلك في
القرآن وأشعار العرب وكلامها أكثر من أن يحصى . فلما ذكرنا من ذلك ،
اخرنا ما اخرنا من القول في تأويل قوله : « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء » .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
وَقُدِّسُ لَكَ ﴾

قال أبو جعفر : أما قوله : « ونحن نسبح بحمدك » فإنه يعنى : إنا نعظمك
بالحمد لك والشكر ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [سورة النصر : ٣] ،
وكما قال : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ (سورة الشورى : ٥) .
وكل ذكر لله عند العرب فتسبيح وصلاة . يقول الرجل منهم : تَنَبَّيْتُ سُبْحَتِي مِنْ
الذكر والصلاة . وقد قيل : إن التسبيح صلاة الملائكة .

٦١٧ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بأن بي
المنيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي ، فرآه
رجل من المسلمين على رجل من المنافقين ، فقال له : النبي صلى الله عليه وسلم
يُصَلِّي وَأَنْتَ جَالِس ! فقال له : امض إلى عملك إن كان لك عمل . فقال :
ما أظن إلا سيمر عليك من ينكر عليك . فرآه عليه عمر بن الخطاب فقال :
له : يا فلان ، النبي صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَأَنْتَ جَالِس ! فقال له مثلها ،
فقال : هذا من عملي . فوثب عليه فضربه حتى انتهى ، ثم دخل المسجد فصلى

مع النبي صلى الله عليه وسلم . فلما انقفل النبي صلى الله عليه وسلم قام إليه عمر فقال : يا نبي الله ، مررت آنفاً على فلان وأنت تُصلي ، فقلت له : النبي صلى الله عليه وسلم يُصلي وأنت جالس ! فقال : سر إلى عملك إن كان لك عمل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فهلاًَّ ضربتُ عنقه . فقام عمر مسرعاً ، فقال : يا عمر ارجع فإن غضبك عِزٌّ ، ورضاكُ حُكْمٌ ، إن لله في السموات السبع ملائكة يصلون ، له غنًى عن صلاة فلان . فقال عمر : يا نبي الله ، وما صلاتهم ؟ فلم يردَّ عليه شيئاً ، فأتاه جبريل فقال : يا نبي الله ! سألكُ عمر عن صلاة أهل السماء ؟ قال : نعم . فقال : اقرأ على عمر السلام ، وأخبره أن أهل السماء الدنيا سجدوا إلى ١٦٧/١ يوم القيامة يقولون : « سبحان ذي الملك والملكوت » ، وأهل السماء الثانية ركعوا إلى يوم القيامة يقولون : « سبحان ذي العزة والجبروت » ، وأهل السماء الثالثة قياموا إلى يوم القيامة يقولون : « سبحان الحي الذي لا يموت » (١) .

٦١٨ - قال أبو جعفر : وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، وسهل بن موسى الرازي ، قالا : حدثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا الجُرَيْرِيُّ ، عن أبي عبد الله الجَسَّسِيِّ ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عادَه - أو أن أبا ذر عاد النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، بأبي أنت ، أى الكلام أحب إلى الله ؟ فقال : ما اصطفى الله للملائكة : « سبحان ربى وبحمده » ، سبحان ربى وبحمده (١) .

(١) الحديث : ٦١٧ هو حديث مرفوع ، ولكنه مرسل ، لأن سعيد بن جبير تابعي . وإسناده إليه إسناده جيد . يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي أبو الحسن : ثقة ، مترجم في التهذيب ، وترجمه البخاري في الكبير ٣٩١/٢/٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وفي التهذيب : « قال محمد بن حميد الرازي [وهو شيخ الطبري هنا] : دخلت بغداد ، فاستقبلني أحمد وابن معين ، فسألني عن أحاديث يعقوب القمي . » جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القمي : ثقة ، ترجمه البخاري في الكبير ٢٠٠/٢/١ ، وابن أبي حاتم في الجرح ٤٩٠/١/١ - ٤٩١ ، فلم يذكر فيه مطلقاً . وفي التهذيب أن ابن حبان نقل في الثقات توثيقه عن أحمد بن حنبل . وهذا الحديث بطوله ، رواه أبو نعيم في الحلية ٤ : ٢٧٧ - ٢٧٨ ، من طريق محمد بن حميد - شيخ الطبري - بهذا الإسناد . وذكر السيوطي في الدر المنثور ١ : ٤٦ آخره ، من أول سؤال عمر عن صلاة الملائكة ، ولم ينسبه لغير الطبري وأبي نعيم . (١) الحديث : ٦١٨ - في الدر المنثور ولم ينسبه لابن جرير ، وقال : « أخرج ابن أبي

— في أشكال لما ذكرنا من الأخبار^(١) ، كرهنا إطالة الكتاب باستقصائها .

• • •

وأصلُ التسييح لله عند العرب : التزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه ، والتبرئة له من ذلك ، كما قال أعشى بنى ثعلبة :

أقولُ — لَمَّا جَاءَنِي فَرُّهُ — : سُبْحَانَ من عِلْمَةِ الْفَآخِرِ^(٢)

يريد : سبحان الله من فخر علقمة ، أى تزيهاً لله مما أتى علقمة من الافتخار ، على وجه التكبر منه لذلك .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى التسييح والتعديس في هذا الموضع ، فقال بعضهم : قولهم « نسبح بحمدك » : نصلى لك . ذكر من قال ذلك :

٦١٩ — حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ، قال : ، يقولون : نصلى لك .

وقال آخرون : « نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ »^(٣) التسييح المعلوم . ذكر من قال ذلك :

٦٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر ،

عن قتادة ، في قوله : « ونحن نسبح بحمدك » ، قال : التسييح التسييح^(٤) .

شعبة وأحمد وسلم والترمذي والنسائي عن أبي ذر ... : ٥ : ١٦١ ، ١٧٦ . وهو في المسند ٥ : ١٤٨ وسلم ٢ : ٣١٩ ، ٨ : ٨٦ .

(١) في المطبوعة : « في كل أشكال لما ذكرنا ... » ، و « كل » مقحمة هنا بلا شك .
(٢) ديوانه : ١٠٦ ، من قصيدته المشهورة ، التي قالها في هجاء حلقة بن حلافة ، في خبر متافرة حلقة بن حلافة وعاشر بن الطفيل (الأغاني ١٥ : ٥٠ - ٥٦) . وذكر ابن الشجري في أماليه ١ : ٣٤٨ عن أبي الخطاب الأخفش ، قال : « وإنما ترك التنوين في « سبحان » وترك صرفه ، لأنه صار حتم مرفوعاً . وقال في ٢ : ٢٥٠ : « لم يصرفه ، لأن فيه الألف والنون زائدين ، وأنه علم التسييح ، فإن نكرته صرفته » . وانظر ص : ٤٩٥ وتعليق رقم : ٣ .

(٣) في الأصول : « نسبح لك » ، والصواب ما أثبتناه ، وهو نص الآية .

(٤) الأثران : ٦١٩ ، ٦٢٠ — في ابن كثير ١ : ١٢٩ ، وألح المختار ١ : ٤٦ ،

والشوكاني ١ : ٥٠ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَتَقَدَّسُ لَكَ ﴾

قال أبو جعفر : والتقديس هو التطهير والتعظيم ، ومنه قولهم : « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ » ، يعنى بقولهم : « سُبُّوحٌ » ، تتريةٌ لله ، وبقولهم : « قُدُّوسٌ » ، طهارةٌ له وتعظيم . ولذلك قيل للأرض : « أرضٌ مُقدَّسة » ، يعنى بذلك المطهرة . فعنى قول الملائكة إذًا : « ونحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ » ، نزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهلُ الشرك بك ، ونصلي لك « ونقدس لك » ، ننسبك إلى ما هو من صفاتك ، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك . وقد قيل : إن تقديس الملائكة لربها صلاتها له . كما : —

- ٦٢١ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : « ونقدس لك » ، قال : التقديسُ : الصلاة^(١) . وقال بعضهم : « نقدس لك » : نعظمك ونمجِّدك . ذكر من قال ذلك .
- ٦٢٢ — حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هاشم بن القاسم ، قال : حدثنا أبو سعيد المؤدَّب ، قال : حدثنا إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله : « ونحن نسبح بحمدك » ، ونقدس لك » ، قال : نعظمك ونمجِّدك^(٢) .
- ٦٢٣ — وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى — وحدثني المتنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل — جميعاً عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، في قول الله : « ونقدس لك » ، قال نعظمك ونكبرك^(٣) .

(١) الأثر : ٦٢١ — في ابن كثير ١ : ١٢٩ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ ، والشوكاني ١ : ٥٠ .

(٢) الأثر : ٦٢٢ — في الدر المنثور ١ : ٤٦ .

(٣) الأثر : ٦٢٣ — في ابن كثير ١ : ١٢٩ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ .

٦٢٤- وحديثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق :
« ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ، لا نعصى ولا نأتى شيئاً نكرهه^(١) .

٦٢٥- وحديث عن المنجاب ، قال حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ،
١٦٨/١ في قوله : « ونقدس لك » ، قال : التقديس : التطهير^(٢) .

وأما قول من قال : إن التقديس الصلاة أو التعظيم ، فإن معنى قوله ذلك
راجع إلى المعنى الذى ذكرناه من التطهير ، من أجل أن صلاتها لربها تعظيم منها
له ، وتطهير مما ينسب إليه أهل الكفر به . ولو قال مكان « ونقدس لك »
و « نقدسك » كان فصيحاً من الكلام . وذلك أن العرب تقول : فلان يسبح الله
ويقدسه ، ويسبح الله ويقدس له ، بمعنى واحد . وقد جاء بذلك القرآن ، قال الله
جل ثناؤه : ﴿ كَتَبَ نُسْبَكَ كَثِيراً وَنَذَرَكَ كَثِيراً ﴾ [سورة طه : ٣٢ ، ٣٤] ،
وقال فى موضع آخر : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

[سورة الجمعة : ١]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّىْ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يعنى
بقوله : « أعلم ما لا تعلمون » ، مما اطلع عليه من إبليس وإضماره المعصية لله وإخفائه
الكبر ، مما اطلع عليه تبارك وتعالى منه وخبى على ملائكته . ذكر من قال ذلك :

٦٢٦- حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا
بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « إني أعلم

(١) الأثر : ٦٢٤ - فى ابن كثير ١ : ١٢٩ .
(٢) الأثر : ٦٢٥ - فى ابن كثير ١ : ١٢٩ ، وفى الدر المنثور ١ : ٤٦ : « وأخرج
ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال : التقديس : التطهير » ، ولم ينسب للضحاك ، ولا لابن جرير .

« ما لا تعلمون » ، يقول : إني قد اطلعت من قارب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره ^(١) .

٦٢٧- وحديثي موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، يعني من شأن إبليس .

٦٢٨- وحديثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد - وحديثنا محمد ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل - قالاً جميعاً : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها .

٦٢٩- وحديثي موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا سفيان ، عن علي بن بذيمة ، عن مجاهد ، بمثله ^(٢) .

٦٣٠- حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن علي ابن بذيمة ، عن مجاهد مثله ^(٣) .

٦٣١- وحديثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها ^(٤) .

(١) الخبر : ٦٢٦ - لم يذكر في المصادر السالفة . و « بشر بن عمارة » : مضت ترجمته في : ١٣٧ ، وتكرر مراراً ، ولكن مصححو طبعة بولاق قالوا في هذا الموضع : « كذا في النسخ بالتاء ، وتكرر بها فيها كلها . وهو في الخلاصة بدون تاء » !! وهو « عمارة » بالتاء في جميع الكتب والنواوين . والذي في الخلاصة خطأ مطبعي فقط !!

(٢) الأثر : ٦٢٩ - « علي بن بذيمة » ، يفتح الباء الموحدة وكسر الذال الممجمة ، وهو ثقة .

(٣) الأثر : ٦٣٠ - « ابن يمان » ، يفتح الياء وتخفيف الميم : هو يحيى بن يمان العجل الكوفي ، وهو صدوق من شيوخ أحمد بن حنبل . و « سفيان » في هذا والذي قبله - هو الثوري .

(٤) الأثر : ٦٣١ - « القاسم بن أبي بزة » ، يفتح الباء الموحدة وتشديد الزاي : ثقة مكّي ، قال ابن حبان : « لم يسمع التفسير من مجاهد - أحد غير القاسم ، وكل من يروى عن مجاهد التفسير -

٦٣٢- وحدثني جعفر بن محمد البزوري ، قال : حدثنا حسن بن بشر ، عن حمزة الزيات ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس كتمانته الكبير أن لا يسجد لآدم .

٦٣٣- وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : - وحدثني المثني ، قال : حدثنا ، أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل - جميعاً عن ابن أبي نجيع عن مجاهد في قول الله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية .

٦٣٤- وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .

٦٣٥- وحدثني المثني ، قال : حدثنا سُويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : قال مجاهد في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها (١) .

وقال مرة : آدم .

٦٣٦- وحدثني المثني ، قال : حدثنا ججاج بن المنهال ، قال : حدثنا المعتمر ابن سليمان ، قال سمعت عبد الوهاب بن مجاهد يحدث عن أبيه في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها ، وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها (٢) .

فلما أخذه من كتاب القاسم . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٢٢/٢/٣ : « هو القاسم ابن نافع بن أبي بزة ، واسم أبي بزة : يسار » . و « محمد بن عبد الرحمن » الراوى عنه هنا : هو ابن أبي ليلى .

(١) الأثر : ٦٣٥ - ذكره السيوطي ١ : ٤٦ . والشوكاني ١ : ٥٠ . ولكن سقط اسم « مجاهد » ، من الدر المنثور ، خطأ مطبعياً .

(٢) الأثر : ٦٣٦ - أما « مجاهد بن جبر » ، فهو التابعي الكبير ، الثقة الفقيه المفسر . ولكن ابنه « عبد الوهاب بن مجاهد » : ضعيف جداً ، قال أحمد بن حنبل : « لم يسمع من أبيه » ، ليس بشيء ، ضعيف الحديث . وضعفه أيضاً ابن معين وأبو حاتم . ومر عبد الوهاب بسفيان الثوري .

٦٣٧- وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، والثوري ، عن علي بن بذيمة ، عن مجاهد في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقها (١) .

٦٣٨- وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إني أعلم ما لا تعلمون » . أى فيكم ومنكم ، ولم يُبَدِّها لهم ، من المعصية والفساد وسفك الدماء . وقال آخرون : معنى ذلك : إني أعلم ما لا تعلمون من أنه يكون من ذلك الخليفة أهلُ الطاعة والولاية لله . ذكر من قال ذلك :

٦٣٩- حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، فكان في علم الله أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياءُ وُرسِلُ وقوم صالحون وساكنو الجنة (٢) .

• • •

وهذا الخبر من الله جل ثناؤه يُنبئُ عن أن الملائكة التي قالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، استفظعت أن يكون لله خلق يعصيه ، وعجبت منه إذ أخبرت أن ذلك كائن . فلذلك قال لهم ربهم : « إني أعلم ما لا تعلمون » . يعنى بذلك ، والله أعلم : إنكم لتعجبون من أمر الله وتستفظعون ، وأنا أعلم أنه في بعضكم ، وتصفون أنفسكم بصفة أعلمُ خِلَافَها من بعضكم ، وتعرضون بأمر قد جعلته لغيركم . وذلك أن الملائكة لما أخبرها ربها بما هو كائن من ذرية خليفته ، من الفساد وسفك الدماء ، قالت لربها : يا رب أجاعل أنت في الأرض خليفةً من غيرنا ، يكون من ذريته من يعصيك ، أم منا ، فإننا نعظمك

في مسجد الحرام ، فقال سفيان : « هذا كذاب » . وأما هذا الأثر ، بزيادة : « وعلم من آدم الطاعة - ... » - فلم نجده في موضع آخر .

(١) الأثر : ٦٣٧ - هو في معنى الآثار السالفة : ٦٣٣ - ٦٣٥ .

(٢) الأثر : ٦٣٩ - في ابن كثير ١ : ١٣٠ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ ، والشوكاني

٥٠ : ١ . وفي ابن كثير : « في تلك الخليقة » وفي الدر المنثور « من تلك الخليقة » وفي الشوكاني : « سيكون من الخليقة » : وجهها باللقاف ، وهو خطأ ، والصواب ما في نص الطبري .

ونصلي لك ونطيعك ولا نعصيك؟— ولم يكن عندها علم بما قد انطوى عليه كَشْحًا
إبليسُ من استكباره على ربه — فقال لهم ربهم : إني أعلم غير الذي تقولون من
بعضكم . وذلك هو ما كان مستوراً عنهم من أمر إبليس ، وانطوائه على ما قد
كان انطوى عليه من الكبر . وعلى قِيلِهِمْ ذلك ، ووصفهم أنفسهم بالعموم من
الوصف ، عَوَّبُوا.

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ ﴾

٦٤٠— حدثنا محمد بن جرير ، قال : حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا
يعقوب القسَمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ،
قال : بعث ربُّ العزة مَلَكَ الموت فأخذ من آدم الأرض ، من عذْبِهَا ومالحِهَا ،
فخلق منه آدم . ومن ثَمَّ سُمِيَ آدم . لأنه نُخِلَ من آدم الأرض ^(١) .

٦٤١— وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا
عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي ، قال : إن آدم نُخِلَ من
آدم الأرض ، فيه الطيب والصالح والردى ، فكل ذلك أنت راءٍ في ولده ، الصالح
والردى ^(٢) .

(١) الخبر : ٦٤٠ — هذا إسناد صحيح . ورواه الطبري في التاريخ أيضاً ١ : ٤٦ ،
بهذا الإسناد ، بزيادة في آخره . ولكن فيه : « بعث رب العزة إبليس » بدل « ملك الموت » . وهذا
هو الصواب الموافق لسائر الروايات ، فلعل ما هنا تحريف قديم من النسخين . وكذلك رواه ابن سعد
في الطبقات ٦/١/١ ، عن حسين بن حسن الأشقر ، عن يعقوب بن عبد الله القسَمي ، بهذا الإسناد .
وكذلك نقله السيوطي ١ : ٤٧ ، مطولاً ، عن ابن سعد ، والطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر .

(٢) الخبر : ٦٤١ — رواه الطبري في التاريخ ١ : ٤٦ ، بهذا الإسناد . وذكره السيوطي
١ : ٤٧ ، منسوباً للطبري وحده ، ولم أجده عند غيره . وإسناده ضعيف جداً . عمرو بن ثابت :
هو ابن أبي المقدم الحداد ، ضعيف جداً ، قال ابن معين : « ليس بثقة ولا مأمون » . وأما أبوه
« ثابت بن هرمز أبو المقدم » ، فإنه ثقة . ويزيد هذا الإسناد ضعفاً وإشكالا — قوله فيه : « عن
جده » ! فإن ترجمة ثابت في المراجع كلها ليس فيها أنه يروى عن أبيه « هرمز » . ثم لا نجد لهرمز
هذا ذكراً ولا ترجمة ، فإحدى مِم هَذَا ؟

٦٤٢ - حدثنا أحمد بن إسحق، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال حدثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : «خلق آدم من أديم الأرض ، فسمى آدم .

٦٤٣ - وحدثنا ابن المني، قال : حدثنا أبو داود، قال : حدثنا شعبة، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير، قال : «لما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض»^(١).

٦٤٤ - وحدثني موسى بن هرون، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : «أن ملك الموت لما بُعث ليأخذ من الأرض تربة آدم ، أخذ من وجه الأرض وخلق فلم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين . ولذلك سمي آدم ، لأنه أخذ من أديم الأرض»^(٢).

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يحقق ما قال من حكينا قوله في معنى آدم . وذلك ما - :

٦٤٥ - حدثني به يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُليّة ،

عن عوف - وحدثنا محمد بن بشار ، وعمر بن شبة - قالا : حدثنا يحيى بن سعيد - قال : حدثنا عوف - وحدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن عدي ، ومحمد بن جعفر ، وعبد الوهاب الثقفي ، قالوا حدثنا عوف - حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال : حدثنا عنبة - عن عوف الأعرابي ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء

(١) الأثران : ٦٤٢ ، ٦٤٣ - رواهما الطبري في التاريخ أيضاً ١ : ٤٦ ، بهذين الإسنادين . وذكره بنحوه السيرطي ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ . و «أبو حصين» ، فهما : بفتح الحاء وكسر الصاد المهملتين، وهو : عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي، ثقة ثبت صاحب سنة .
(٢) الخبر : ٦٤٤ - مضى ضمن خبر مطول ، بهذا الإسناد : ٦٠٧ .

بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك ،
والسهل والحزن ، والخبيث والطيب^(١) .

فعل التأويل الذى تأول « آدم » من تأوله ، بمعنى أنه خلق من أديم الأرض ، يجب
أن يكون أصل « آدم » فعلاً سُمي به أبو البشر ، كما سُمي « أحمد » بالفعل من الإحاد ،
و « أسعد » من الإسعاد ، فلذلك لم يُحَرَّ . ويكون تأويله حيثئذ : آدم المَلَكُ
الأرضى ، يعنى به بلغ أدمتها - وأدمتها : وجهها الظاهر لرأى العين ، كما أن
جلدة كل ذى جلدة له أدمة . ومن ذلك سُمي الإدام إداماً ، لأنه صار كالجلدة
العليا مما هى منه - ثم نقل من الفعل فجعل اسماً للشخص بعينه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الأسماء التى علمها آدم ثم عرضها
على الملائكة ، فقال ابن عباس ما - :

٦٤٦- حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال :
حدثنا بشر بن عمار ، عن أنى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال :
علم الله آدم الأسماء كلها ، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان
ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحرار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها^(٢) .

(١) الحديث : ٦٤٥ - هو حديث صحيح . ورواه أحمد فى المسند ٤ : ٤٠٠ ، ٤٠٦ ،
(حلبى) ، وابن سعد فى الطبقات ١/١/٥ - ٦ ، وأبو داود : ٤٦٩٣ ، والترمذى ٤ : ٦٧-٦٨ ،
والحاكم ٢ : ٢٦١-٢٦٢ ، كلهم من طريق عوف بن أبى جميلة الأعرابى ، عن قسامة بن زهير ،
به . قال الترمذى : « حسن صحيح » . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه
الذهبى ، وذكره السيوطى ١ : ٤٦ ، ونسبه لهؤلاء ، ولعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ،
وغيرهم . ورواه أيضاً الطبرى فى التاريخ ١ : ٤٦ ، بهذه الأسانيد التى هنا ، بزيادة فى آخره .
(٢) الخبر : ٦٤٦ - فى ابن كثير ١ : ١٣٢ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكافى
١ : ٥٢ وقد مضى برقم : ٦٠٦ ، مطولاً .

٦٤٧- وحدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : علمه اسم كل شيء .

٦٤٨- وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن خُصيف ، عن مجاهد : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : علمه اسم كل شيء (١) .

٦٤٩- وحدثنا علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم الجعفي ، عن محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن خُصيف ، عن مجاهد ، قال : علمه اسم الغراب والحمامة واسم كل شيء (٢) .

٦٥٠- وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الألفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : علمه اسم كل شيء ، حتى البعير والبقرة والشاة (٣) .

٦٥١- وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن شريك ، عن عاصم ابن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس ، قال : علمه اسم القصة والفسوة والفُسَيْة (٤) .

٦٥٢- وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا شريك ،

(١) الأثران : ٦٤٧ ، ٦٤٨ - في الدر المنثور ١ : ٤٩ ، وكأنهما اختصار لما بعدهما .
(٢) الأثر : ٦٤٩ - لم أجده بنصه ولمله مطول الذي قبله ، وانظر ما سيأتى رقم : ٦٦٦ .
و « سلم الجعفي » : ثبت في الأصول بالخاء . وقد مضى في : ١٥٤ ترجيحنا أنه بالجيم .
(٣) الأثر : ٦٥٠ - في الدر المنثور ١ : ٤٩ .

(٤) الخبر : ٦٥١ - سعيد بن معبد : تابعي ، يروي عن ابن عباس ، لم أجده له ترجمة إلا في التاريخ الكبير للبخاري ٤٦٨/١/٢ ، والجرح لابن أبي حاتم ٦٣/١/٢ . وكلاهما ذكر أنه يروي عن ابن عباس ، ويروي عنه : القاسم بن أبي بزة . فجاءنا الطبري بغائدة زائدة ، في هذا الإسناد ، وفي الإسناد : ٦٥٣ : أنه يروي عنه أيضاً عاصم بن كليب . وهذا الخبر ذكره بنحوه : ابن كثير ١ : ١٣٢ ، والسيوطي ١ : ٤٩ . ونسبناه أيضاً لابن أبي حاتم . وهذا الخبر والثلاثة بعده ، متقاربة المعنى ، هي روايات لخبر واحد .

عن عاصم بن كليب ، عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : حتى الفسوة والفسية .

٦٥٣- حدثنا علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم ، قال : حدثنا محمد بن مُصعب ، عن قيس ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس في قول الله : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : علمه اسم كل شيء حتى الهنة والهنية والفسوة والفسرة .

٦٥٤- وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا علي بن مسهر ، عن عاصم بن كليب ، قال : قال ابن عباس : علمه القصعة من القصعة والفسوة من الفسية (١) .

٦٥٥- وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » حتى بلغ « إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبهم بأسمائهم » ، فأنبأ كل صنف من الخلق باسمه ، وألجأه إلى جنسه (٢) .

٦٥٦- وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : علمه اسم كل شيء ، هذا جبل ، وهذا بحر ، وهذا كذا وهذا كذا ، لكل شيء . ثم عرض تلك الأشياء على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣) .

٦٥٧- وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن جرير بن حازم - ومبارك ، عن الحسن - وأبي بكر عن الحسن وقتادة ،

(١) الخبر : ٦٥٤ - عاصم بن كليب الجرمي : ثقة يحتاج به . ولكنه إنما يروى عن التابعين ، فروايته عن ابن عباس هنا منقطعة . وقد دلتنا الأسانيد الثلاثة الماضية على أنه إنما يروى هذا المعنى عن سعيد بن معبد ، وعن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس .

(٢) الأثر : ٦٥٥ - في الدر المنثور ١ : ٤٩ ، بغير هذا اللفظ . وانظر رقم : ٦٩٧ .

(٣) الأثر : ٦٥٦ - في ابن كثير ١ : ١٣٣ مختصراً ، وفي الدر المنثور ١ : ٤٩ مطولاً

وفي ابن كثير : « ثم عرض تلك الأسماء » .

قالا : علمه اسم كل شيء : هذه الخيل ، وهذه البغال والإبل والجنّ والوحش ، وجعل يسمى كل شيء باسمه^(١).

٦٥٨- وُحِّدْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ،

عن الربيع ، قال : اسم كل شيء^(٢).

وقال آخرون : علم آدم الأسماء كلها ، أسماء الملائكة . ذكر من قال ذلك :

٦٥٩- حُذِّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ،

عن الربيع قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : أسماء الملائكة^(٣).

وقال آخرون : إنما عمله أسماء ذريته كلها . ذكر من قال ذلك :

٦٦٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ ، قال : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال :

أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : أسماء ذريته أجمعين^(٤).

* * *

وأولت هذه الأقوال بالصواب ، وأشبهها بما دل على صحته ظاهرُ التلاوة ، قول من قال في قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » أنها أسماءُ ذريته وأسماءُ الملائكة ، دون أسماء سائر أجناس الخلق . وذلك أن الله جلّ ثناؤه قال : « ثم عرضهم على الملائكة » ، يعني بذلك أعيانَ المسمَّينَ بالأسماء التي علمها آدم . ولا تكادُ العرب تكتفي بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة . وأما إذا كانت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من وصفناها ، فلإنها تكتفي عنها بالهاء والألف أو بالهاء والنون ، فقالت : « عرضهن » أو « عرضها » ، وكذلك تفعل إذا كنتُ عن أصناف

(١) الأثر : ٦٥٧ - في ابن كثير ١ : ١٣٣ بغير هذا اللفظ مختصراً ، وفي الدر المنثور

١ : ٤٩ ، وسيأتى كما جاء فيها برقم : ٦٦٧ .

(٢) الأثر : ٦٥٨ - لم أجده .

(٣) الأثر : ٦٥٩ - في ابن كثير ١ : ١٣٢ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

(٤) الأثر : ٦٦٠ - في ابن كثير ١ : ١٣٢ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني

من الخلق كالبهائم والطير وسائر أصناف الأمم وفيها أسماءُ بني آدم والملائكة ، فإنها تكنى عنها بما وصفنا من الهاء والنون أو الهاء والألف . وربما كنت عنها ، إذا كان كذلك ^(١) ، بالهاء والميم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ [سورة النور : ٤٥] ، فكنى عنها بالهاء والميم ، وهى أصناف مختلفة فيها الآدمى وغيره . وذلك ، وإن كان جائزاً ، فإن الغالب المستفيض فى كلام العرب ما وصفنا ، من إخراجهم كناية أسماء أجناس الأمم - إذا اختلطت - بالهاء والألف أو الهاء والنون . فلذلك قلتُ : أولى بتأويل الآية أن تكون الأسماء التى علمها آدم أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة ، وإن كان ما قال ابن عباس جائزاً على مثال ما جاء فى كتاب الله من قوله : « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » الآية . وقد ذكر أنها فى حرف ابن مسعود : « ثم عرضهن » ، وأنها فى حرف أبى : « ثم عرضها » ^(٢) . ولعل ابن عباس تأول ما تأول من قوله : علمه اسم كل شئ حتى الفسوة والفسية ، على قراءة أبى ، فإنه فيما بلغنا كان يقرأ قراءة أبى . وتأويل ابن عباس - على ما حكى عن أبى من قراءته - غير مستنكر ، بل هو صحيح مستفيض فى كلام العرب ، على نحو ما تقدم وصنى ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾

قال أبو جعفر : قد تقدم ذكرنا التأويل الذى هو أولى بالآية ، على قراءتنا ورسم مصحفنا ، وأن قوله : « ثم عرضهم » ، بالدلالة على بني آدم والملائكة ،

(١) فى المطبعة : « إذ كان ... » وهو خطأ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١ : ١٣٢ فى التقييد على كلام الطبرى .

أولى منه بالدلالة على أجناس الخلق كلها ، وإن كان غير فاسد أن يكون دالاً على جميع أصناف الأمم ، للعلل التي وصفنا .
ويعنى جل ثناؤه بقوله : « ثم عَرَضَهُمْ » ، ثم عَرَضَ أهل الأسماء على الملائكة .

* * *

وقد اختلف المفسرون في تأويل قوله : « ثم عَرَضَهُمْ على الملائكة » نحو اختلافهم في قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » . وسأذكر قول من انتهى إلينا عنه فيه قول .

٦٦١ - حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ثم عَرَضَهُمْ على الملائكة » ، ثم عرض هذه الأسماء ، يعنى أسماء جميع الأشياء ، التي علمها آدم من أصناف جميع الخلق ^(١) .

٦٦٢ - وحدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ثم عرضهم » ، ثم عرض الخلق على الملائكة ^(٢) .

٦٦٣ - وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أسماء ذريته كلها ، أخذهم من ظهره . قال : ثم عرضهم على الملائكة ^(٣) .

٦٦٤ - وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ثم عرضهم » ، قال : علمه اسم كل شيء ، ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة ^(٤) .

(١) الخبر : ٦٦١ - هو من تمام الآثار السالفة قريباً .

(٢) الخبر : ٦٦٢ - مختصر من الخبر الطويل الماضي قريباً ، وفي ابن كثير ١ : ١٣٢ .

(٣) الأثر : ٦٦٣ - في الدر المنثور ١ : ٤٩ .

(٤) الأثر : ٦٦٤ - مختصر أثر سلف بإسناده هذا ، وفي ابن كثير ١ : ١٣٣ .

٦٦٥ - وحدَّثنا القاسم ، قال : حدَّثنا الحسين ، قال : حدَّثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ثم عرضهم » ، عرض أصحاب الأسماء على الملائكة ^(١) .
 ٦٦٦ - وحدَّثنا علي بن الحسن ، قال : حدَّثنا مسلم ، قال : حدَّثنا محمد ابن مصعب ، عن قيس ، عن خُصَيْف ، عن مجاهد : « ثم عرضهم على الملائكة » ، يعنى عرض الأسماء ، الحمامة والغراب ^(٢) .

٦٦٧ - وحدَّثنا القاسم ، قال : حدَّثنا الحسين ، قال : حدَّثني حجاج ، عن جرير بن حازم - ومبارك عن الحسن - وأبي بكر عن الحسن وقتادة - قالوا : علّمه اسم كل شيء : هذه الخيل ، وهذه البغال ، وما أشبه ذلك . وجعل يُسمي كل شيء باسمه ، وعُرضت عليه أمة أمة ^(٣) .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله « أنبئوني » : أخبروني ، كما : -

٦٦٨ - حدَّثنا أبو كريب ، قال : حدَّثنا عثمان ، قال : حدَّثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « أنبئوني » ، يقول : أخبروني بأسماء هؤلاء ^(٤) .

ومنه قول نابغة بني ذبيان :

(١) الأثر : ٦٦٥ - في ابن كثير : ١ : ١٣٣ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

(٢) الأثر : ٦٦٦ - في ابن كثير ١ : ١٣٤ ، وانظر ما مضى قريباً بإسناده .

(٣) الأثر : ٦٦٧ - انظر ما مضى رقم : ٦٥٧ وابن كثير ١ : ١٣٣ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ .

(٤) الخبر : ٦٦٨ - مختصر من الخبر رقم : ٦٠٦ .

وَأَسْمَاءُ الْمُنَيَّيْ أَنْ حَيًّا حُلُولٌ مِنْ حَرَامٍ أَوْ جُدَامٍ^(١)
يعنى بقوله : « أنباء » : أخبره وأعلمه .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره : ﴿ بِأَسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ ﴾

قال أبو جعفر :

٦٦٩ - حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال حدثنا عيسى -
وحدثنا المننى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى
نجيح ، عن مجاهد فى قوله الله : « بأسماء هؤلاء » ، قال : بأسماء هذه التى حدثت
بها آدم .

٦٧٠ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن
ابن جريج ، عن مجاهد : « أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » يقول : بأسماء
هؤلاء التى حدثت بها آدم^(٢)

* * *

(١) ديوانه : ٨٧ من قصيدة له ، فى عمرو بن هند ، وكان غزا الشام بعد قتل المنذر أبيه .
وقال أبو عبيدة : هذه القصيدة لعمرو بن الحارث النسافى فى غزوة العراق . ورواية الديوان :
« أن حياً حلولا » بالنصب ، صفة « حياً » وهى الرواية الجيدة . وخير « أن » محلوف ، كأنه
يقول : قد تألبوا يترصدون لك . وحذفه للتحويل فى شأن اجتماعهم وترصدهم . والبيت الذى يليه
دال على ذلك ، وهو قوله :

وَأَنَّ الْقَوْمَ نَصَرُهُمْ جَمِيعٌ فِتْنَامٌ مُجْلِبُونَ إِلَى فِتْنَامٍ

ورواية الرفع ، لا بأس بها ، وإن كنت لا أستجدها . وقوله : « حرام » كأنه يعنى بنى حرام
ابن ضمة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد هذيم . أو كأنه يعنى بنى حرام بن جذام بن عدى بن الحارث
ابن مرة بن أدد بن زيد . ودار جذام جبال حسمى ، وأرضها بين أيلة وجانب تيه بنى إسرائيل الذى
يل أيلة ، وبين أرض بنى عذرة من ظهر حرة نهيل (معجم البلدان : حسمى) . فن أجل أن بنى
عذرة هذه ديارهم قرية من جذام ، شككت فيمن غنى النافعة بنى حرام فى هذا البيت .

(٢) الأثران : ٦٦٩ ، ٦٧٠ - لم أجدهما فى مكان .

القول في تأويل قوله تعالى ذكره: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في ذلك :

٦٧١ - فحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا

بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » ،
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لِمَ أَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (١) .

٦٧٢ - وحدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا ١٧٣/١

أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن
عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم : « إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » أَنْ بَنَى آدَمُ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ (٢) .

٦٧٣ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ،
عن جرير بن حازم - ومبارك عن الحسن - وأبي بكر عن الحسن وقتادة - قالوا :
« أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » أَنِّي لَمْ أَخْلُقْ خَلْقًا إِلَّا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْهُ ،
فَأَخْبِرُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣) .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، تأويل ابن عباس ومن قال
بقوله . ومعنى ذلك : فقال أنبئوني بأسماء من عرضت عليكم أيها الملائكة - القائلون :
أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا ، أَمْ مِنْنا ، فنحن نسبح بحمدك

(١) الخبر : ٦٧١ - مختصر من الخبر السالف رقم ٦٠٦ ، وانظر التعليق ، هناك على
هذه الفقرة . وانظر الشوكاني ١ : ٥٢ .

(٢) الخبر : ٦٧٢ - مختصر من الخبر السالف رقم ٦٠٧ ، وابن كثير ١ : ١٣٣ ،
والدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

(٣) الأثر : ٦٧٣ - مختصر من الأثر السالف رقم ٦١١ ، وابن كثير ١ : ١٣٣ .

ونقدس لك ؟ إن كنتم صادقين في قيلكم أنى إن جعلت خليفتى فى الأرض من غيركم عصأتى ذريته وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وإن جعلتكم فيها أطمعتمونى واتبعتم أمرى بالتعظيم لى والتقديس . فإنكم إن كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضتهم عليكم من خلقى ، وهم مخلوقون موجودون تروهم وتعاينونهم ، وعلمه غيركم بتعليمى إياه ، فإنتم = بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التى لم توجد بعد ، وبما هو مستتر من الأمور - التى هى موجودة - عن أعينكم = أخرى أن تكونوا غير عالمين . فلا تسألونى ما ليس لكم به علم ، فإنى أعلم بما يصلحكم ويصلح خلقى .

وهذا الفعل من الله جل ثناؤه بملائكته - الذين قالوا له : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، من جهة عتابه جل ذكره إياهم - نظير قوله جل جلاله لنبىه نوح صلوات الله عليه إذ قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَبْنِي مِنْ أَهْلِ وَإِنِّي وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٥] - : لَا تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ^(١) . فكذلك الملائكة سألت ربها أن تكون خلفاءه فى الأرض ليستحوه ويقدسوه فيها ، إذ كان ذرية من أخبرهم أنه جاعله فى الأرض خليفة ، يفسدون فيها ويسفكون الدماء ، فقال لهم جل ذكره : « إني أعلم ما لاتعلمون » . يعنى بذلك : إني أعلم أن بعضكم فاتح المعاصى وخاتمها ، وهو إبليس ، منكراً بذلك تعالى ذكره قولهم . ثم عرفهم موضع هفوتهم فى قيلهم ما قالوا من ذلك ، بتعريفهم قصور علمهم عما هم له شاهدون عياناً ، - فكيف بما لم يروه ولم يُخبروا عنه ؟ - بعرضه ما عرض عليهم من خلقه الموجودين يومئذ ، وقيله لهم : « أنبئوني

(١) فى المطبوعة : « وأنت أحكم الحاكمين فلا تسألن » ، وهو خطأ فاحش ، فإن الآية التى قل قوله : « وأنت أحكم الحاكمين » : « قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ... » ، ولم يرد الطبرى أن يسوق الآيتين ، بل ساق قول الله سبحانه لنبىه حين قال ما قال . والصواب ما فى المخطوطة كما أثبتناه .

بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، أنكم إن استخلفتكم في أرضي سبّحتُموني وقُدستُموني ، وإن استخلفت فيها غيركم عصّاني ذرّيته وأفسدوا وسفكوا الدماء . فلما انضح لهم موضع خطأ قيلهم ، وبدت لهم هفوة زلّتهم ، أنابوا إلى الله بالتوبة فقالوا : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا » ، فسارعوا الرجعة من الهفوة ، وبادروا الإنابة من الزلّة ، كما قال نوح - حين عوّب في مسئلته فقليل له : لا تسألن ما ليس لك به علم ^(١) - : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٧] . وكذلك فعل كل مسدّد للحق مُوفّق له - سريعة إلى الحق إنابته ، قريّة إليه أوّبته .

• • •

وقد زعم بعض نحويّ أهل البصرة أن قوله : « أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ، لم يكن ذلك لأن الملائكة ادّعوا شيئاً ، إنما أخبر الله عن جهلهم بعلم الغيب ، وعلمه بذلك وفضله ، فقال : « أنبئوني إن كنتم صادقين » - كما يقول الرجل للرجل : « أنبئني بهذا إن كنت تعلم » . وهو يعلم أنه لا يعلم ، يريد أنه جاهل .

وهذا قول إذا تدبره متدبر ، علم أن بعضه مُفسدٌ بعضاً . وذلك أن قائله ١٧٤/١ زعم أن الله جل ثناؤه قال للملائكة - إذ عرّض عليهم أهل الأسماء - : أنبئوني بأسماء هؤلاء ، وهو يعلم أنهم لا يعلمون ، ولا هم ادّعوا علم شيء . يوجب أن يُوبّخوا بهذا القول .

وزعم أن قوله : « إن كنتم صادقين » نظير قول الرجل للرجل : « أنبئني بهذا إن كنت تعلم » . وهو يعلم أنه لا يعلم ، يريد أنه جاهل .

ولاشك أن معنى قوله : « إن كنتم صادقين » إنما هو : إن كنتم صادقين ، إما في قولكم ، وإما في فعلكم . لأن الصدق في كلام العرب ، إنما هو صدق في الخبر لا في

(١) في المطبوعة هنا أيضاً : « فلا تسألن » .

العلم . وذلك أنه غير معقول في لغة من اللغات أن يقال : صدق الرجل بمعنى علم . فلماذا كان ذلك كذلك ، فقد وجب أن يكون الله جل ثناؤه قال للملائكة — على تأويل قول هذا الذي حكينا قوله في هذه الآية — : « أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » وهو يعلم أنهم غيرُ صادقين ، يريد بذلك أنهم كاذبون . وذلك هو عين ما أنكره ، لأنه زعم أن الملائكة لم تدع شيئاً ، فكيف جاز أن يقال لهم : إن كنتم صادقين ، فأنبئوني بأسماء هؤلاء ؟ هذا مع خروج هذا القول — الذي حكيناه عن صاحبه — من أقوال جميع المتقدمين والمتأخرين من أهل التأويل والتفسير .

وقد حكي عن بعض أهل التفسير أنه كان يتأول قوله : « إن كنتم صادقين » بمعنى : إذ كنتم صادقين .

ولو كانت « إن » بمعنى « إذ » في هذا الموضع ، لوجب أن تكون قراءتها بفتح ألفها ، لأن « إذ » إذا تقدّمها فعل مُستقبل صارت علة للفعل وسبباً له . وذلك كقول القائل : « أقوم إذ قمت » . فعناه أقوم من أجل أنك قمت . والأمرُ بمعنى الاستقبال ، فعنى الكلام — لو كانت « إن » بمعنى « إذ » — : أنبئوني بأسماء هؤلاء من أجل أنكم صادقون . فلماذا وُضعت « إن » مكان ذلك قيل : أنبئوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين ، مفتوحة الألف . وفي إجماع جميع قراء أهل الإسلام على كسر الألف من « إن » ، دليل واضح على خطأ تأويل من تأول « إن » بمعنى « إذ » في هذا الموضع

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا

إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته ، بالأوبة إليه ، وتسليم علم ما لم يعلموه له ، وتبرئهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئاً إلا ما علمه تعالى ذكره .

وفي هذه الآيات الثلاث العبرة لمن اعتبر ، والذكرى لمن ادّكر ، والبيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، عما أودع الله جل ثناؤه آى هذا القرآن من لطائف الحكم التى تعجز عن أوصافها الألسن .

وذلك : أن الله جل ثناؤه احتجّ فيها لنبيه صلى الله عليه وسلم على من كان بين ظهرانيه من يهود بنى إسرائيل ، بإطلاعه إياه من علوم الغيب التى لم يكن جل ثناؤه أطلع عليها من خلقه إلا خاصاً ، ولم يكن مدرّكاً علمه إلا بالإنباء والإخبار ، لتقرر عندهم صحة نبوته ، ويعلموا أن ما أتاهم به فن عنده . ودلّ فيها على أن كل مخبر خبراً عما قد كان — أو عما هو كائن مما لم يكن — ، ولم يأت به خبر ، ولم يُوضع له على صحته برهان ، — فتقول ما يستوجب به من ربه العقوبة . ألا ترى أن الله جل ذكره ردّ على ملائكته قيلهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، وعرفهم أن قيل ذلك لم يكن جائزاً لهم ، بما عرفهم من قصور علمهم عند عرضه ما عرض عليهم من أهل الأسماء ، فقال : « أنبئني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » . فلم يكن لهم مفرّج إلا الإقرار بالعجز ، والتبرئ إليه أن يعلموا إلا ما علمهم ، بقولهم : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا » . فكان فى ذلك أوضح الدلالة وأبين الحجة ، على كذب مقالة كل من ادعى شيئاً من علوم الغيب من الخزاة والكهنة والعافّة والمنجمّة^(١) . وذكر بها الذين

(١) الخزاة جمع حاز : وهو كالكاهن ، يحزر الأشياء ويقدرها بظنه . ويقال الذى ينظر فى النجوم ويتكهن حاز وحزاء ، وفى حديث هرقل أنه « كان حزاء » ، وفى الحديث : « كان لفرعون حاز » ، أى كاهن . والكهنة جمع كاهن : وهو الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار . وفى المطبعة « والقافة » مكان « والعافة » ، وهو خطأ بين ، فالقافة ليست بما أراد الطبرى فى شيء ، وهى حق ، لا باطل كباطل التحزى والكهافة والتنجم . والعافة جمع عائف : وهو الذى يعيف الطير فيزجرها ويتفادى أو يتشامم بأسمائها وأصواتها ويمرها . واسم حرفته : العيافة ، وفى الحديث : « العيافة والطرق من الحبث » . وهو ضرب من الكهافة . والمنجم والمنجم : الذى ينظر فى النجوم يحسب مواقعيتها وسيرها ، ثم يربط بين ذلك وبين أحوال الدنيا والناس ، فيقول بالظن فى غيب أمورهم .

وَصَفْنَا أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ - سَوَّالِفَ نِعْمِهِ عَلَى آبَائِهِمْ ، وَأَيَادِيَهُ عِنْدَ أَسْلَافِهِمْ ، عِنْدَ إِيَابَتِهِمْ إِلَيْهِ ، وَإِقْبَالِهِمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، مُسْتَعِظْفَهُمْ بِذَلِكَ إِلَى الرِّشَادِ ، وَمُسْتَعْتَبِيَهُمْ بِهِ إِلَى النِّجَاةِ . وَحَذَّرَهُمْ - بِالْإِصْرَارِ وَالْتِمَادِي فِي الْبَغْيِ وَالضَّلَالِ - حُلُولَ الْعِقَابِ بِهِمْ ، نَظِيرَ مَا أَحْلَى بَعْدَهُ إِبْلِيسَ ، إِذْ تِمَادَى فِي الْغَىِّ وَالْخَسَارِ (١) .

* * *

قال : وأما تأويل قوله : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا » ، فهو كما : -
٦٧٤ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « قالوا سبحانك » تنزيهاً لله من أن يكون أحدٌ يعلم الغيبَ غيره ، « تُبْنِا إِلَيْكَ » لا علم لنا إلا ما عَلَّمْتَنَا ، تبرئاً منهم من علم الغيب ، « إلا ما عَلَّمْتَنَا » كما علمت آدم (٢) .

* * *

وُسُبْحَانَ مَصْدَرٌ لَا تَصْرُفُ لَهُ (٣) . ومعناه : نُسَبِّحُكَ ، كأنهم قالوا : نُسَبِّحُكَ تَسْبِيحاً ، وَنَنْزَهُكَ تَنْزِيهاً ، وَنَبْرِّئُكَ مِنْ أَنْ نَعْلَمَ شَيْئاً غَيْرَ مَا عَلَّمْتَنَا .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : أنك أنت يَا رَبَّنَا الْعَلِيمُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ بِجَمِيعِ مَا قَدْ كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنْ ، وَالْعَالَمِ لِلْغُيُوبِ دُونَ جَمِيعِ خَلْقِكَ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ تَفَوُّوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِمْ : « لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا » ، أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عِلْمٌ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ رَبُّهُمْ ، وَأَثْبَتُوا مَا تَفَوُّوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ ذَلِكَ لِرَبِّهِمْ بِقَوْلِهِمْ : « إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ » ،

(١) في المطبوعة : « في البغي والخسار » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) الخبر : ٦٧٤ - مختصر من الخبر رقم : ٦٠٦ . وفي المطبوعة هنا « تبرؤاً منهم » .

(٣) انظر ما مضى : ص ٤٧٤ التعليق رقم : ٣

يعنون بذلك العالم من غير تعليم ، إذ كان مَنْ سِوَاكَ لَا يَعْلَمُ شَيْئاً إِلَّا بِتَعْلِيمٍ غَيْرِهِ إِيَّاهُ . والحكيم : هو ذو الحكمة . كما : -

٦٧٥ - حدثني به المثني ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « العليم » الذي قد كمل في علمه ، و « الحكيم » الذي قد كمل في حكمه ^(١) .

وقد قيل ، إن معنى الحكيم : الحاكم ، كما أن العليم بمعنى العالم ، والخبير بمعنى الخابر .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُكُمْ أُنْزَيْتُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَِّّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : إن الله جل ثناؤه عَرَفَ ملائكته - الذين سألوه أن يجعلهم الخلفاء في الأرض ، ووصفوا أنفسهم بطاعته والخضوع لأمره ، دون غيرهم الذين يُفسدون فيها ويسفكون الدماء - أنهم ، من الجهل بمواقع تدبيره وعمل قضاائه قبل إطلاعه إياهم عليه ، على نحو جهلهم بأسماء الذين عَرَضَهُمْ عليهم ، إذ كان ذلك مما لم يَعْلَمُوهُم فيعلموه ، وأنهم وغيرهم من العباد لا يعلمون من العلم إلا ما عَلَّمَهُمْ إياه ربهم ، وأنه يخص بما شاء من العلم مَنْ شَاءَ من الخلق ، ويمنعه منهم من شاء ، كما علم آدم أسماء ما عَرَضَ على الملائكة ، ومنعهم عِلْمَهَا إلا بعد تعليمه إِيَّاهُمْ .

فأما تأويل قوله : « قال يا آدم أنبئهم » ، يقول : أخبر الملائكة ، والهاء والميم في قوله « أنبئهم » عائدتان على الملائكة . وقوله : « بأسمائهم » يعني بأسماء الذين عَرَضَهُمْ على الملائكة ، والهاء والميم اللتان في « أسمائهم » كناية عن ذكر

(١) الخبر : ٦٧٥ في الدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

« هؤلاء » التي في قوله : « أنبئوني بأسماء هؤلاء » . « فلما أنبأهم » يقول : فلما أخبر آدم الملائكة بأسماء الذين عرضهم عليهم فلم يعرفوا أسماءهم ، وأيقنوا خطأ قبلهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وتقديس لك » ، وأنهم قد هفوا في ذلك وقالوا ما لا يعلمون كيفية وقوع قضاء ربهم في ذلك لو وقع ، على ما نطقوا به ، — قال لهم ربهم : « ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض » . والغيب : هو ما غاب عن أبصارهم فلم يعاينوه ؛ توبيخاً من الله جل ثناؤه لهم بذلك ، على ما سلف من قبلهم ، وفرط منهم من خطأ مسألهم . كما — :

٦٧٦ — حدثنا به محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم » ، يقول : أخبرهم بأسمائهم — « فلما أنبأهم بأسمائهم ١٧٦/١ قال : ألم أقل لكم أيها الملائكة خاصة إني أعلم غيب السموات والأرض » ولا يعلمه غيري ^(١) .

٦٧٧ — وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قصة الملائكة وآدم : فقال الله للملائكة : كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علم ، إنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها ، هذا عندي قد علمته ، فكذلك أخفيت عنكم أني أجعل فيها من يعصيني ومن يُطيعني ، قال : وسبق من الله : ﴿ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة هود : ١١٩ ، وسورة السجدة : ١٣] ، قال : ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه . قال : فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا لآدم بالفضل ^(٢) .

• • •

(١) الخبر : ٦٧٦ — مختصر من الخبر السالف رقم : ٦٠٦ .

(٢) الأثر : ٦٧٧ — في ابن كثير ١ : ١٣٥ . في المخطوطة : « علم بما أردت . . . هذا

مبني » .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ

تَكْتُمُونَ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فروى عن ابن عباس في ذلك ما - :

٦٧٨ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وأعلم ما تبدون » يقول : ما تظهرون ، « وما كنتم تكتمون » يقول : أعلم السر كما أعلم العلانية . يعنى : ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والأغترار ^(١) .

٦٧٩ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، قال : قولهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، فهذا الذى أبدوا ، « وما كنتم تكتمون » ، يعنى ما أسر إبليس في نفسه من الكبر ^(٢) .

٦٨٠ - وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، قوله : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، قال : ما أسر إبليس في نفسه ^(٣) .

(١) الخبر : ٦٧٨ - في ابن كثير ١ : ١٣٥ ، والدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .
(٢) الخبر : ٦٧٩ - في ابن كثير ١ : ١٣٥ ، والدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكاني ١ : ٥٢ ، وهو مختصر الخبر السالف رقم : ٦٠٦ .
(٣) الأثر : ٦٨٠ - لم أجده في مكان . وقد مضى في : ٦٤١ ترجمة « عمرو بن ثابت » وأبيه . وبيننا ما في ذلك من شبهة الخطأ في قوله « عن جده » . وهذا الإسناد هنا صواب ، لأن « ثابت ابن هريم » معروف بالرواية عن سعيد بن جبير .

٦٨١ - وحدثننا أحمد بن إسحق، قال : حدثنا أبو أحمد، قال : حدثنا سفيان في قوله: « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »، قال : ما أسرّ إبليس في نفسه من الكبر ألاّ يسجد لآدم^(١).

٦٨٢ - وحدثنني الثني بن إبراهيم، قال : أخبرنا الحجاج الأنماطي، قال : حدثنا مهدي بن ميمون، قال : سمعت الحسن بن دينار، قال للحسن - ونحن جُلوس عنده في منزله - يا أبا سعيد، أرايتَ قول الله للملائكة: « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »، ما الذي كنتم الملائكة؟ فقال الحسن : إن الله لما خلق آدم رأت الملائكة خلقاً عجيباً فكانهم دخلهم من ذلك شيء، فأقبل بعضهم إلى بعض، وأسروا ذلك بينهم، فقالوا : وما يُهمكم من هذا المخلوق ! إن الله لن يخلق خلقاً إلا كنا أكرمَ عليه منه^(٢).

٦٨٣ - وحدثننا الحسن بن يحيى، قال : أخبرنا عبد الرزاق، قال : أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »، قال : أسروا بينهم فقالوا : يخلق الله ما يشاء أن يخلق، فلن يخلق خلقاً إلا ونحن أكرم عليه منه^(٣).

٦٨٤ - وحدثنني الثني، قال : حدثنا إسحق، قال : حدثنا عبد الله بن أبي

(١) الأثر : ٦٨١ - لم أجده في مكان.

(٢) الأثر : ٦٨٢ - في الدر المنثور ١ : ٥٠ . و « الحجاج الأنماطي » : هو الحجاج ابن المنهال، وهو ثقة من شيوخ البخاري والداري وغيرهما . و « مهدي بن ميمون » : ثقة معروف، روى عن الحسن البصري، وابن سيرين وغيرهما . وهو في هذا الإسناد يصرح بأنه سمع جواب الحسن البصري، حين سأله الحسن بن دينار . وقد ثبت على هذا، خشية أن يظن أنه من رواية مهدي عن الحسن بن دينار . والحسن بن دينار : كذاب لا يوثق به . وله ترجمة حافلة بالمنكرات والموضوعات - في كتاب المبروحين لابن حبان، رقم : ٢٠٨، والميزان، ولسان الميزان، والتذهيب، وترجم له البخاري في الكبير ٢/١ - ٢٩٠ - ٢٩١، والصنير : ١٨٥، وابن أبي حاتم ١١/٢ - ١٢، وابن سعد ٣٧/٢/٧.

(٣) الأثر : ٦٨٣ - في الدر المنثور ١ : ٥٠، بلفظ آخر، منسوباً للطبري « عن قتادة والحسن ».

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون » ، فكان الذى أبدوا حين قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، وكان الذى كنتموا بينهم قولهم : لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم . فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم فى العلم والكرم ^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس ، وهو أن معنى قوله : « وأعلم ما تُبدون » ، وأعلم — مع علمى غيب السموات والأرض — ما تُظهرون بالستكم ، « وما كنتم تكتمون » ، وما كنتم تخفونه فى أنفسكم ، فلا يخفى على شئ ، سواءً عندى سرائركم وعلايتكم .

والذى أظهره بالستهم ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوه ، وهو قولهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ، والذى كانوا يكتمونه ، ما كان منظوياً عليه لإبليس من الخلاف على الله فى أمره ، والتكبر عن طاعته . لأنه لا خلاف بين جميع أهل التأويل أن تأويل ذلك غير خارج من أحد الوجهين اللذين وصفت ، وهو ما قلنا ، والآخر ما ذكرنا من قول الحسن وقتادة ، ومن قال إن معنى ذلك كتمان الملائكة بينهم لن يخلق الله خلقاً إلا كنا أكرم عليه منه . فإذا كان لا قول فى تأويل ذلك إلا أحد القولين اللذين وصفت ، ثم كان أحدهما غير موجودة على صحته الدلالة من الوجه الذى يجب التسليم له — صح الوجه الآخر . فالذى حكى عن الحسن وقتادة ومن قال بقولهما فى تأويل ذلك ، غير موجودة الدلالة على صحته من الكتاب ، ولا من خبر يجب به حجة . والذى قاله ابن عباس يدل على صحته خبر الله جل ثناؤه عن إبليس وعصيانته إياه ، إذ دعاه إلى السجود لآدم فأبى واستكبر ، وإظهاره لسائر الملائكة من معصيته وكبره ، ما كان له كاتماً قبل ذلك .

فإن ظن ظان أن الخبر عن كتمان الملائكة ما كانوا يكتمونه ، لما كان

خارجاً مُخرج الخبر عن الجميع ، كان غيرَ جائز أن يكون ما رُوى في تأويل ذلك عن ابن عباس - ومن قال بقوله : من أن ذلك خبر عن كتمان إبليس الكبير والمعصية - صحيحاً ، فقد ظن غير الصواب . وذلك أن شأن العرب ، إذا أخبرتُ خبراً عن بعض جماعة بغير تسمية شخص بعينه ، أن تخرج الخبر عنه مُخرج الخبر عن جميعهم ، وذلك كقولهم : « قُتل الجيش وهزموا » ، وإنما قتل الواحد أو البعض منهم ، وهزم الواحد أو البعض . فتخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مُخرج الخبر عن جميعهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الحجرات : ٤] ، « ذكر أن الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فترلت هذه الآية فيه - كان رجلاً من جماعة بنى تميم ، كانوا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخرج الخبر عنه مُخرج الخبر عن الجماعة . فكذلك قوله : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، أخرج الخبر مُخرج الخبر عن الجميع ، والمراد به الواحد منهم .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : أما قوله : « وإذ قلنا » فمعطوف على قوله : « وإذ قال ربك للملائكة » ، كأنه قال جل ذكره لليهود - الذين كانوا بين ظهرانتي مُهاجرين رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى إسرائيل ، معدداً عليهم نعمه ، ومذكراًهم آلاءه ، على نحو الذي وصفنا فيما مضى قبل - : اذكروا فعلى بكم إذ أنعمتُ عليكم .

فخلقت لكم ما في الأرض جميعاً ، وإذ قلت للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فكرمتم أباكم آدم بما آتيته من علمي وفضلتي وكرامتي ، وإذ أوجبت له ملائكتي فسجدوا له . ثم استثنى من جميعهم إبليس ، فدل باستثنائه إياه منهم على أنه منهم ، وأنه ممن قد أمر بالسجود معهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۚ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [سورة الأعراف : ١١ ، ١٢] ، فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمر إبليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم . ثم استثناه جل ثناؤه مما أخبر عنهم أنهم فعلوه من السجود لآدم ، فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره ، ونفى عنه ما أثبتته للملائكة من السجود لعبده آدم .

* * *

١٧٨/١ ثم اختلف أهل التأويل فيه : هل هو من الملائكة ، أم هو من غيرها ؟ فقال بعضهم بما - :

٦٨٥ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم « الجن » ، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة . قال : فكان اسمه الحارث . قال : وكان خازناً من خزان الجنة . قال : وخلق الملائكة من نور غير هذا الحي . قال : وخلق الجن الذي ذكروا في القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب^(١) .

٦٨٦ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن خلاد ،

عن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس . قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه « عزازيل » ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة

(١) الخبر : ٦٨٥ - مضى بهما في الخبر السالف رقم : ٦٠٦ ، وفي ابن كثير : ١٣٦ ، وفيهما ممأ « إذا ألبت » . وأعاد ابن كثير : ٢٩٦ . وفيه كما هنا « التهب » . وفيه « الجن » بالجمع ، وانظر ما مضى ص : ٤٥٥ تعليق : ١

اجتهاداً وأكثرهم علماً ، فذلك دعاه إلى الكبير ، وكان من حىّ يسمون جنّاً^(١) .
 ٦٨٧ - وحدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن خلاد ، عن عطاء ، عن طاوس ، أو مجاهد أبى الحجاج ، عن ابن عباس وغيره بنحوه ، إلا أنه قال : كان ملكاً من الملائكة اسمه « عزازيل » ، وكان من سكان الأرض ومُحمّارها ، وكان سكان الأرض فيهم يسمون « الجن » من بين الملائكة^(٢) .

٦٨٨ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : جعل إبليس على ملك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم « الجن » ، وإنما سُموا الجن لأنهم نُخزّان الجنة . وكان إبليس مع مُلكه خازناً^(٣) .
 ٦٨٩ - وحدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا حسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطانُ سماء الدنيا ، وكان له سلطانُ الأرض . قال : قال ابن عباس : وقوله : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] إنما يسمى بالجنان أنه كان خازناً عليها ، كما يقال للرجل مكى ومدنى وكوفى وبصرى^(٤) .

قال ابن جريج ، وقال آخرون : هم سبط من الملائكة قَبِيلِهِ ، فكان اسم قبيلته الجن .

(١) الخبر : ٦٨٦ في ابن كثير ١ : ١٣٩ و ٥ : ٢٩٦ ، والدر المنثور ١ : ١٥٠ ، والشوكاني ١ : ٥٣ . وغلاد : هو ابن عبد الرحمن الصنعاني ، وهو ثقة ، ويروى عن طاوس ومجاهد مباشرة ، ولكنه روى عنهما ، هنا وفي الخبر التالي ، بواسطة عطاء .

(٢) الخبر : ٦٨٧ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ عقب الذي قبله .

(٣) الخبر : ٦٨٨ - مختصر من الأثر السالف رقم : ٦٠٧ .

(٤) الخبر : ٦٨٩ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ و ٥ : ٢٩٦ ، والدر المنثور ١ : ١٧٨ .

٦٩٠ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوامة ، وشريك بن أبي نعيم - أحدهما أو كلاهما - عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن ، وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض^(١) .

٦٩١ - وحدثت عن الحسن بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک بن مزاحم يقول في قوله : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، قال : كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة . ثم ذكر مثل حديث ابن جريج الأول سواء^(٢) .

٦٩٢ - وحدثنا محمد بن المنفى ، قال : حدثني شيبان ، قال : حدثنا سلام بن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا^(٣) .

٦٩٣ - وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، كان من قبيل من الملائكة يقال لهم « الجن » ،

(١) الخبر : ٦٩٠ - في ابن كثير ٥ : ٢٩٦ - ٢٩٧ ، وفيه زيادة هناك . وسيأتي بإسناد آخر مطولا : ٧٠٠ .

(٢) الخبر : ٦٩١ - الحسن بن الفرغ : لم أعرف من هو ؟ وأبو معاذ الفضل بن خالد : هو النحوي المروزي ، وهو ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه ابن أبي حاتم ٦١/٢/٣ ، ويقوت في الأدباء ٦ : ١٤٠ ، والسيوطي في البنية : ٣٧٣ . وقال ياقوت : « روى عنه الأزهرى في كتاب التهذيب ، فأكثر » . وليس يريد بذلك رواية السماع ، بل يريد أنه روى آراءه أو نقله في اللغة . أما رواية السماع فلا . لأن الفضل هذا مات سنة ٢١١ ، والأزهرى ولد سنة ٢٨٢ . فهذا كلام موهوم ، ولم يكن يحدّر بالسيوطي - وهو محدث - أن يتبعه دون تأمل !

(٣) الأثر : ٦٩٢ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ . شيبان : هو ابن فروخ ، وهو ثقة . سلام بن مسكين الأزدي : ثقة ، أخرج له الشيخان .

وكان ابن عباس يقول : لو لم يكن من الملائكة لم يُؤمر بالسجود ، وكان على خزانة سماء الدنيا ، قال : وكان قتادة يقول : «جن» عن طاعة ربه (١) .

٦٩٤ - وحدثننا الحسين بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

معمر ، عن قتادة ، في قوله : «إلا إبليس كان من الجن» قال : كان من قبيل ١٧٩/١ من الملائكة يقال لهم الجن (٢) .

٦٩٥ - وحدثننا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحق ،

قال : أما العرب فيقولون : ما الجن إلا كل من اجتنب فلم يُرَ . وأما قوله :

«إلا إبليس من كان من الجن» أى كان من الملائكة ، وذلك أن الملائكة اجتنبوا

فلم يُروا . وقد قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ

الْجَنَّةُ لَأَنَّهُمْ لَمُحَضَّرُونَ ﴾ [سورة الصافات : ١٥٨] ، وذلك لقول قريش : إن الملائكة

بناتُ الله ، فيقول الله : إن تكن الملائكة بناتى فأبليس منها ، وقد جعلوا بينى

وبين إبليس وذريته نسباً . قال : وقد قال الأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة

البكرى ، وهو يذكر سليمان بن داود وما أعطاه الله :

وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِدًا أَوْ مُعْمَرًا لَكَانَ سُلَيْمَانُ الْبَرَى مِنَ الدَّهْرِ (٣)

(١) الأثر : ٦٩٣ - لم نجده في مكان آخر .

(٢) الأثر : ٦٩٤ - لم نجده أيضاً . وقال الحافظ ابن كثير : ٥ : ٢٩٧ - بعد أن نقل كثيراً من الآثار في مثل هذه المعاني : « وقد روى في هذا آثار كثيرة من السلف . وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها . ومنها ما قد يقطع بكذبه ، لمخالفته للحق الذى بأيدينا . وفى القرآن غنية عن كل ما حدها من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة . وليس لهم من الحفاظ المتقين ، الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين - كما هذه الأمة من الأئمة والعلماء ، والسادة والأقبياء ، والبررة والنجباء ، من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد . الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبيينوا صحيحه ، من حسنة ، من ضعيفه ، من منكروه وموضوعه ، ومتركوه ومكذوبه . وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال . كل ذلك صياغة للجناب النبوى ، والمقام المحمدي ، خاتم الرسل ، وسيد البشر ، صلى الله عليه وسلم - : أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس منه . فرضى الله عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات الفردوس مأواهم . وقد فعل . »

(٣) ملحق ديوان الأعشى : ٢٤٣ ، والأضداد لابن الأنبارى : ٢٩٣ . ولم يعم بالندهر

بَرَاهُ إِلَهِي وَاصْطَفَاهُ عِبَادَهُ وَمَلَكَهُ مَا يَنْزِلُ إِلَى مِصْرَ^(١)
 وَسَخَّرَ مِنْ جِنَّ الْمَلَائِكَةِ نِسْمَةً قِيَامًا لَدَيْهِ يَفْعَلُونَ بِلَا أَجْرِ
 قَالَ : فأبَت العربُ في لغتها إلا أن « الجن » كل ما اجتنَّ . يقول : ما سَمَى
 الله الجن إلا أنهم اجتنُّوا فلم يُروا ، وما سَمَى بنى آدم الإنس إلا أنهم ظهروا فلم
 يجتنُّوا . فما ظهر فهو إنس ، وما اجتنَّ فلم يُرَ فهو جن^(٢) .
 وقال آخرون بما - :

٦٩٦ - حدثنا به محمد بن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ،
 عن عوف ، عن الحسن ، قال : ما كان إبليسُ من الملائكة طرفة عين قط ،
 وإنه لأصل الجن^(٣) ، كما أن آدم أصل الإنس^(٤) .

٦٩٧ - وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا
 سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول في قوله : « إلا إبليس كان من الجن »
 ألجأه إلى نسبه^(٥) ، فقال الله : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي
 وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، وهم يتوالدون كما
 يتوالد بنو آدم^(٥) .

٦٩٨ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا

ههنا الأمد المملود ، بل عن مصائب الدهر ونكباته ، كما قال علي بن زيد ، وجعل مصائب
 الدهر هي الدهر نفسه :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعِيرُ بِالذِّهْرِ أَأَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ

(١) ثريا : هكذا ضبط في ملحق ديوان الأعشى ، ولم أعرف الموضع ولم أجده . ولم أحتد
 إلى تحريفه إن كان محرفاً . وفي الأضداد : « توف » .
 (٢) الأثر : ٦٩٥ - رواه مختصراً صاحب الأضداد : ٢٩٣ ، ولم أجده في مكان آخر .
 (٣) الأثر : ٦٩٦ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ و ٥ : ٢٩٦ . وقال : « وهذا إسناد صحيح
 عن الحسن » .

(٤) في المطبوعة : « ألجأه إلى نسبه » ، وألجأه إلى نسبه : رده إليه . وانظر رقم : ٦٥٥
 (٥) الأثر : ٦٩٧ - لم أجده في مكان .

أبو سعيد اليمدني ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدثنا سوار بن الجعد اليمدني ، عن شهر بن حوشب ، قوله : « من الجن » ، قال : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء ^(١) .

٦٩٩ - وحدثني علي بن الحسين ، قال : حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الخلال ، قال : حدثني سنيد بن داود ، قال حدثنا هشيم ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن موسى بن نعيم ، وعثمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد بن مسعود ، قال : كانت الملائكة تقاتل الجن ، فسبى إبليس وكان صغيراً ، فكان مع الملائكة فتعبت معها ، فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا . فأبى إبليس . فلذلك قال الله : « إلا إبليس كان من الجن » ^(٢) .

٧٠٠ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نعيم ، عن صالح مولى التوأمة ، عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبلاً يقال لهم : الجن ، فكان إبليس منهم ، وكان إبليس يسوس ما بين السماء والأرض ، فعصى ، فسخره الله شيطاناً رجياً ^(٣) .

٧٠١ - قال : وحدثنا يونس ، عن ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : لإبليس أبو الجن ، كما آدم أبو الإنس ^(٤) .

• • •

وعلة من قال هذه المقالة ، أن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه أنه خلق إبليس من نار السموم ، ومن مارج من نار ، ولم يخبر عن الملائكة أنه خلقها من شيء ١٨٠/١ من ذلك ، وأن الله جل ثناؤه أخبر أنه من الجن - فقالوا : فغير جائر أن ينسب إلى غير ما نسبته الله إليه . قالوا : وإلّا إبليس نسل وذرية ، والملائكة لا تتناسل ولا تتوالد .

(١) الأثر : ٦٩٨ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ .

(٢) الأثر : ٦٩٩ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ .

(٣) الخبر : ٧٠٠ - هو في ابن كثير ١ : ١٣٩ . وقد مضى نمره مختصراً ، بإسناد

آخر : ٦٩٠ .

(٤) الأثر : ٧٠١ - لم أجده في مكان .

٧٠٢ - حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شريك ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق خلقاً ، فقال : اسجدوا لآدم : فقالوا : لا نفعل . فبعث الله عليهم ناراً تحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخر ، فقال : إني خالقٌ بشرّاً من طين ، اسجدوا لآدم . فأبوا ، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقهم . قال : ثم خلق هؤلاء ، فقال : اسجدوا لآدم . فقالوا : نعم . وكان إبليسُ من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها . وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى . فخلق بعضاً من نور ، وبعضاً من نار ، وبعضاً مما شاء من غير ذلك . وليس في ترك الله جل ثناؤه الخبر عما خلق منه ملائكته^(٢) ، وإخباره عما خلق منه إبليس - ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن معنهم . إذ كان جائزاً أن يكون خلق صنفاً من ملائكته من نار كان منهم إبليس ، وأن يكون أفرد إبليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته . وكذلك غير مخرج أن يكون كان من الملائكة بأن كان له نسل وذرية ، لما ركّب فيه من الشهوة واللذة التي نزع من سائر الملائكة ، لما أراد الله به من المعصية . وأما خبرُ الله عنه أنه « من الجن » ، فقير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياء عن الأبصار كلها جنّاً - كما قد ذكرنا قبل في شعر الأعشى - فيكون إبليسُ والملائكةُ منهم ، لاجتماعهم عن أبصار بني آدم .

• • •

(١) الأثر : ٧٠٢ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ ، والدر المنثور ١ : ٥٠ . وقال ابن كثير في إسناده : « وهذا غريب ، ولا يكاد يصح إسناده ، فإن فيه رجلاً مبهمًا ، ومثله لا يحتاج به ، والله أعلم » .

(٢) في المطبوعة : « وليس فيما نزل الله جل ثناؤه . . . » ، وهو خطأ صرف . وقوله بعد : « وإخباره عما خلق منه إبليس » معطوف على قوله : « وفي ترك . . . » .

القول في معنى «إبليس»

قال أبو جعفر : وإبليس «إفْعِيل» ، من الإبلاس ، وهو الإيأس من الخير والندم والحزن . كما - :

٧٠٣ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : إبليس ، أبلسه الله من الخير كله ، وجعله شيطاناً رَجِيماً عقوبة لمعصيته ^(١) .

٧٠٤ - وحدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان اسم إبليس «الحارث» ، وإنما سمي إبليس حين أبلس مُتَحِيرًا ^(٢) .

قال أبو جعفر : وكما قال الله جل ثناؤه : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] ، يعنى به : أنهم آيسون من الخير ، نادمون حزناً ، كما قال العجاج :

يَا صَاح ، هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَغْرِفُهُ ۖ وَأَبْلَسًا ^(٣)

(١) الخبر : ٧٠٣ - مختصر من الخبر السالف رقم : ٦٠٦ ، وهو في الدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكاني ١ : ٥٣ .

(٢) الأثر : ٧٠٤ - في الدر المنثور ١ : ٥٠ ، مقتصرأ على أوله إلى قوله : «الحارث» . وجاء النص في المطبوعة هكذا : « وإنما سمي إبليس حين أبلس فقير كما قال الله جل ثناؤه . . . » أسقطوا ما أثبتناه من المخطوطة ، لأنهم لم يحسنوا قراءة الكلمة الأخيرة ، فبدلوا ووصلوا الكلام بعد الحذف ، وهو تصرف معيب . وقوله : « متحيراً » كتبت في المخطوطة بمجمعة هكذا « مجرا » غير مجمعة . والإبلاس : الحيرة ، فكذلك قرأتها .

(٣) ديوانه ١ : ٣١ ، والكامل ١ : ٣٥٢ ، واللسان : (بلس) ، (كرس) . المكرس : الذى صار فيه الكرسي ، وهو أبوال الإبل وأبمارها يتلبذ بمضها على بمض في الدار . وأبلس الرجل : سكت غماً وانكسر وتعير ولم ينطق .

وقال رؤبة :

وَحَصَّرَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسُ وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَإِبْلَاسٌ^(١)
يعنى به اكتئاباً وكسوفاً .

• • •

فلان قال قائل : فإن كان إبليس ، كما قلت ، « إفعيل » من الإبلال ، فهلاً
صُرف وأجرى ؟ قيل : ترك إجراؤه استثقلاً ، إذ كان اسماً لا نظير له من أسماء
العرب ، فشبهته العرب - إذ كان كذلك - بأسماء العجم التي لا تُجرى . وقد
قالوا : مررت بإسحق ، فلم يُجره . وهو من « أحمقه الله إسحاقاً » ، إذ كان وقع
مبتدأ اسماً لغير العرب ، ثم تسمت به العرب فجرى مجراه - وهو من أسماء العجم - في
الإعراب فلم يصرف . وكذلك « أيوب » ، إنما هو « فيعل » من « آب يؤب » .
وتأويل قوله : « أبى » ، يعنى جل ثناؤه بذلك إبليس ، أنه امتنع من السجود
لآدم فلم يسجد له . « واستكبر » ، يعنى بذلك أنه تعظم وتكبر عن طاعة الله
في السجود لآدم . وهذا ، وإن كان من الله جل ثناؤه خبراً عن إبليس ، فإنه
تقرير^{١٨١/١} لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله ، والانقياد
لطااعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من
الحق . وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله ، والتذلل لطاعته ، والتسليم لقضائه
فيما ألزمهم من حقوق غيرهم - اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجرين رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأحبارهم الذين كانوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفته
عارفين ، وبأنه لله رسول عالمين . ثم استكبروا - مع علمهم بذلك - عن الإقرار
بنبوته ، والإذعان لطاعته ، بغياً منهم له وحسداً . فقرعهم الله بخبره عن إبليس

(١) ديوانه : ٦٧ ، واللسان (بلس) ، ورواية ديوانه « وعرفت يوم الخميس » . وبين

البيتين بيت آخر هو :

« وَقَدْ نَزَتْ بَيْنَ التَّرَاقِي الْأَنْفَاسُ »

الذى فعل في استكباره عن السجود لآدم حسداً له وبغياً ، نظير فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله صلى الله عليه وسلم ونبوته ، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسداً وبغياً .

ثم وصّف إبليس بمثل الذى وصف به الذين ضرب به لهم مثلاً في الاستكبار والحسد والاستنكاف عن الخضوع لمن أمره الله بالخضوع له ، فقال جل ثناؤه : « وكان » - يعنى إبليس - « من الكافرين » - من الجاحدين نعم الله عليه وأياديه عنده ، بخلافه عليه فيما أمره به من السجود لآدم ، كما كفرت اليهود نعم ربها التي آتاها وآباءها قبل : من إطعام الله أسلافهم المن والسلوى ، وإظلال الغمام عليهم ، وما لا يحصى من نعمه التي كانت لهم ، خصوصاً ما خصّ الذين أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم بإدراكهم إياه ، ومشاهدتهم حجة الله عليهم ، فجحدت نبوته بعد علمهم به ، وعرفتهم بنبوته حسداً وبغياً . فنبه الله جل ثناؤه إلى « الكافرين » ، فجعله من عيادهم في الدين والملة ، وإن خالفهم في الجنس والنسبة . كما جعل أهل النفاق بعضهم من بعض ، لاجتماعهم على النفاق ، وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم فقال : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] يعنى بذلك أن بعضهم من بعض في النفاق والضلال . فكذا قوله في إبليس : كان من الكافرين ، كان منهم في الكفر بالله ومخالفتيه أمره ، وإن كان مخالفاً جنسه أجناسهم ونسبه نسبهم . ومعنى قوله : « وكان من الكافرين » أنه كان - حين أبى عن السجود - من الكافرين حينئذ .

وقد روى عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية أنه كان يقول : في تأويل قوله : « وكان من الكافرين » ، في هذا الموضع ، وكان من العاصين .

٧٠٥ - حدثني المنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا

أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله : « وكان من الكافرين » ، يعنى العاصين ^(١) .

٧٠٦ - وَحَدَّثَتْ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، بِمِثْلِهِ .

وذلك شبيه بمعنى قولنا فيه .

وكان سجود الملائكة لآدم تكربةً لآدم وطاعة لله ، لا عبادةً لآدم ، كما :-

٧٠٧ - حَدَّثَنَا بِهِ بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ : قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ » ، فَكَانَتِ الطَّاعَةُ لِلَّهِ ، وَالسَّجْدَةُ لآدَمَ ، أَكْرَمَ اللَّهُ آدَمَ أَنْ اسْتَجَدَّ لَهُ مَلَائِكَتُهُ ^(١) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾

قال أبو جعفر : وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال : إن إبليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم ، وأُسكنها آدمُ قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض . ألا تسمعون الله جل ثناؤه يقول : « وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ » . فآزلهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيه . فقد تبين أن إبليس إنما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لُعن وأظهر التكبر ، لأن سجود الملائكة لآدم كان بعد أن نُفخ فيه الروح ، وحيث كان امتناع إبليس من السجود له ، وعند الامتناع من ذلك حَلَّتْ عليه اللعنة . كما :-

٧٠٨ - حَدَّثَنِي بِهِ مُوسَى بْنُ هَرُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا أَسْبَاطٌ ، عَنْ السَّيِّدِ فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ

(١) الأثر : ٧٠٧ - في ابن كثير ١ : ١٤٠ ، وفي الدر المنثور ١ : ٥٠ مطولا .

ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن عدو الله إبليس أقسم بعزة الله ليُغْوِيَنَّ آدم وذريته وزوجَه إلا عباده المخلصين منهم ، بعد أن لعنه الله ، وبعد أن أخرج من الجنة ، وقبل أن يهبط إلى الأرض . وعلم الله آدم الأسماء كلها^(١) .

٧٠٩ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ الله من إبليس ومعاذته ، وأبى إلا المعصية وأوقع عليه اللعنة ، ثم أخرج من الجنة ، أقبل على آدم وقد علمه الأسماء كلها ، فقال : « يا آدم أنبئهم بأسمائهم » إلى قوله « إنك أنت العليم الحكيم »^(٢) .

ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي خلقت لآدم زوجته ، والوقت الذي جعلت له سكناً . فقال ابن عباس بما : -

٧١٠ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فأخرج إبليس من الجنة حين لعن ، وأسكن آدم الجنة . فكان يمشي فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ ، وإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقتها الله من ضلعه ، فسألها : من أنت ؟ فقالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : تسكن إلى . قالت له الملائكة - ينظرون ما بلغ علمه - : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء . قالوا : ولم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حتى . فقال الله له : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما »^(٣) .

(١) الخبير : ٧٠٨ - لم أجده في مكان .

(٢) الأثر : ٧٠٩ - لم أجده في مكان بنصه هذا ، لكنه من صدر الأثر الآتي بعد رقم : ٧١١

(٣) الأثر : ٧١٠ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٢ ، مع اختلاف في بعض اللفظ . وابن كثير

١ : ١٤٢ والشوكاني ١ : ٥٦ ، وقوله « وحشاً » أي ليس معه غيره ، خلواً . ومكان وحش : خال .

(٣٣) .

فهذا الخبر يُنبئ أن حواء خلقت بعد أن سكن آدم الجنة ، فجعلت له سكناً .

• • •

وقال آخرون : بل خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة . ذكر من قال ذلك :
 ٧١١ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : لما فرغ الله من مُعاقبة إبليس ، أقبل على آدم وقد علّمه الأسماء كلها فقال : « يا آدم أنبئهم بأسمائهم » إلى قوله : « إنك أنت العليم الحكيم » . قال : ثم ألقى السّنة على آدم — فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة ، وغيرهم من أهل العلم ، عن عبد الله بن عباس وغيره — ثم أخذ ضِلَعاً من أضلاعه من شِقِّه الأيسر ، ولأم مكانه لحماً ، وآدم نائم لم يهَبَّ من نومه ، حتى خلق الله من ضِلَعه تلك زوجته حواء ، فسوّاها امرأةً ليسكن إليها . فلما كُشِفَ عنه السّنة وهبَّ من نومه ، رآها إلى جنبه ، فقال — فيما يزعمون والله أعلم — : لحمي ودمي وزوجتي ، فسكن إليها . فلما زوجته الله تبارك وتعالى ، وجعل له سكناً من نفسه ، قال له قَبِيلًا : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ^(١) .

قال أبو جعفر : ويقال لامرأة الرجل : زَوْجُهُ وزَوْجَتُهُ ، والزوجة بالهاء أكثر في كلام العرب منها بغير الهاء . والزوج بغير الهاء يقال إنه لغة لأزد شنوءة . فأما الزوج الذي لا اختلاف فيه بين العرب ، فهو زوجُ المرأة ^(٢) .

• • •

(١) الأثر : ٧١١ — في تاريخ الطبري ١ : ٥٢ وابن كثير ١ : ١٤١ — ١٤٢ . وقوله « قال له قَبِيلًا » أي حيائاً . وفي حديث أبي ذر (ابن كثير ١ : ١٤١) « قال : قلت يا رسول الله ؛ أرايت آدم ؛ أنبيأ كان ؟ قال : نعم نبيأ رسولاً يكلّمه الله قَبِيلًا — أي حيائاً » . وجاء هذا الحرف في المطبوعة : « قال له قتلا يا آدم اسكن... » وهو خطأ . وفي تاريخ الطبري « قال له قَبِيلًا يا آدم... » وهو أيضاً خطأ .

(٢) انظر اختلافهم في ذلك في مادته (زوج) من لسان العرب .

القول في تأويل قوله ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾

قال أبو جعفر : أما الرِّغْدُ ، فإنه الواسع من العيش ، الهنيء الذى لا يُعْنَى صاحبه . يقال : أرغد فلان ، إذا أصاب واسعاً من العيش الهنيء ، كما قال امرؤ القيس بن حُجْر :

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَأْمَنُ الْأَحْدَاثَ فِي عَيْشٍ رَغْدًا^(١) ١٨٣/١

٧١٢- وكما حدثني به موسى بن هرون قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، « وكلا منها رَغْدًا » ، قال : الرغد ، الهنيء^(٢) .

٧١٣- وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : « رَغْدًا » ، قال : لا حسابَ عليهم .

٧١٤- وحدثنا المنفى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٧١٥- وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد : « وكلا منها رَغْدًا » ، أى لا حسابَ عليهم^(٣) .

٧١٦- وحدثت عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ،

(١) لم أجد البيت فيما جمعت من شعر امرئ القيس .

(٢) الخبر : ٧١٢- في الدر المنثور ١ : ٥٢ ، والشوكاني ١ : ٥٦ .

(٣) الآثار : ٧١٣- ٧١٥ في الدر المنثور ١ : ٥٢ ، والشوكاني ١ : ٥٦ .

عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وكلا منهما رغداً حيث شئتما » ، قال : الرغد ، سعة المعيشة .^(١)

فمعنى الآية وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا من الجنة رزقاً واسعاً هنيئاً من العيش حيث شئتما .

٧١٧ - كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما » ، ثم إن البلاء الذي كتب على الخلق ، كتب على آدم ، كما ابتلى الخلق قبله ، أن الله جل ثناؤه أحل له ما في الجنة أن يأكل منها رغداً حيث شاء ، غير شجرة واحدة منى عنها ، وقُدِّم إليه فيها ، فما زال به البلاء حتى وقع بالذي منى عنه^(٢) .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾

قال أبو جعفر : والنجس في كلام العرب : كل ما قام على ساق ، ومنه قول الله جل ثناؤه ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [سورة الرحمن : ٦] ، يعنى بالنجم ما نجم من الأرض من نبت ، وبالشجر ما استقل على ساق .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في عين الشجرة التي منى عن أكل ثمرها آدم ، فقال بعضهم : هي السنبلة . ذكر من قال ذلك :

٧١٨ - حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : حدثنا عبد الحميد الحماني ،

(١) الخبر : ٧١٦ - في الدر المنثور ١ : ٥٢ والشوكاني ١ : ٥٦

(٢) الأثر : ٧١٧ - في الدر المنثور ١ : ٥٣ من غير طريق الطبري . وقوله : « قدم إليه فيها » أي أمر فيها بأمر أن لا يقربها . ويقال : تقدمت إليه بكذا وقدمت إليه بكذا : أي أمرته بكذا .

عن النضر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الشجرة التي نُهي عن أكل ثمرها آدم ، هي السنبلة^(١) .

٧١٩- وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمران بن عُتيبة - جميعاً عن حصين ، عن أبي مالك ، في قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، قال : هي السنبلة

٧٢٠- وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا ابن مهدي - وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري - قالاً جميعاً : حدثنا سفيان ، عن حصين ، عن أبي مالك ، مثله^(٢) .

٧٢١- وحدثنا أبو كريب ، وابن وكيع ، قالاً : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، عن عطية في قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، قال : السنبلة^(٣) .

٧٢٢- وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال : الشجرة التي نُهي عنها آدم ، هي السنبلة^(٤) .

٧٢٣- وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثني رجل من بني تميم ، أن ابن عباس كتب إلى أبي الجحلد يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم ، والشجرة التي تاب عندها : فكتب إليه أبو الجحلد : « سألتني عن الشجرة التي نُهي عنها آدم ، وهي السنبلة ، وسألتني

(١) الخبر : ٧١٨ - في ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ ، والشوكاني ١ : ٥٦ وهو إسناد ضعيف . محمد بن إسماعيل الأحسى سبق توثيقه : ٤٠٥ عبد الحميد بن عبد الرحمن ، أبو يحيى الحماني : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره ، وأخرج له الشيخان . النضر : هو ابن عبد الرحمن ، أبو عمر الخزاز - بمجمعات - وهو ضعيف جداً ، قال البخاري في الكبير ٩١/٢/٤ : « منكر الحديث » . وروى ابن أبي حاتم ٤٧٥/١/٤ عن أحمد بن حنبل ، قال : « ليس بشيء ، ضعيف الحديث » ، وروى عن ابن معين أنه قال : « لا يحل لأحد أن يروى عنه » .

(٢) الأثران : ٧١٩ ، ٧٢٠ - في ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ .

(٣) الأثر : ٧٢١ - عطية : هو العوفي . وقد أشار ابن كثير ١ : ١٤٢ إلى هذه الرواية عنه .

(٤) الأثر : ٧٢٢ - لم أجده في مكان .

عن الشجرة التي تاب عندها آدم ، وهي الزيتون^(١) .

٧٢٤ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن رجل من أهل العلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : الشجرة التي نهي عنها آدم ، البُرُّ^(٢) .

٧٢٥ - وحدثني المنفي ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، وابن المبارك ، عن الحسن بن عمار ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التي نهي الله عنها آدم وزوجه ، السنبلة^(٣) .

٧٢٦ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن بعض أهل اليمن ، عن وهب بن منبه اليماني ، أنه كان يقول : هي البُرُّ ، ولكن الحبة منها في الجنة ككُلِّي البقر ، ألين من الزبد وأحلى من العسل . وأهل التوراة يقولون : هي البرّ^(٤) .

٧٢٧ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحق ، عن يعقوب بن عتبة : أنه حدث أنها الشجرة التي تحتك بها الملائكة للخلد .

٧٢٨ - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن جابر بن يزيد ابن رفاعة ، عن محارب بن دثار ، قال : هي السنبلة .

٧٢٩ - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن إبراهيم ،

(١) الخبر : ١٢٣ - في ابن كثير ١ : ١٤٢ ، وفي الأصول : « أبو الخلد » ، وانظر ما سلف في التعليق على الآثار رقم : ٤٣٤ . وهذا الإسناد ضعيف ، بلهالة الرجل من بني تميم .

(٢) الخبر : ٧٢٤ - ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٢ ، والشوكاني ١ : ٥٦ . والذي في ابن كثير : « من رجل من أهل العلم ، عن حجاج ، عن مجاهد . . . » .

(٣) الآثار : ٧٢٥ - في ابن كثير ١ : ١٤٢ .

(٤) الآثار : ٧٢٦ - في ابن كثير ١ : ١٤٢ - ١٤٣ ، والدر المنثور ١ : ٥٢ - ٥٣ . ولكن ليس فيهما قوله « وأهل التوراة . . . » .

عن الحسن ، قال : هي السنبلة التي جعلها الله رزقاً لولده في الدنيا^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : وقال آخرون : هي الكرم . ذكر من قال ذلك .

٧٣٠ - حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ،

عن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : هي الكرم .

٧٣١ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ولا تقرّبا هذه الشجرة » ، قال : هي الكرم ، وتزعم اليهود أنها الحنطة .

٧٣٢ - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

أسباط ، عن السدي ، قال : الشجرة هي الكرّم .

٧٣٣ - وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن

الشعبي ، عن جعدة بن هيرة ، قال : هو العنّيب في قوله : « ولا تقرّبا هذه الشجرة » .

٧٣٤ - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثني أبي ، عن خلاد الصفار ، عن بيان ،

عن الشعبي ، عن جعدة بن هيرة : « ولا تقرّبا هذه الشجرة » ، قال : الكرّم .

٧٣٥ - وحدثنا ابن المني ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثنا خالد

الواسطي ، عن بيان ، عن الشعبي ، عن جعدة بن هيرة : « ولا تقرّبا هذه الشجرة » ، قال : الكرّم .

٧٣٦ - وحدثنا ابن حميد ، وابن وكيع ، قالا : حدثنا جرير ، عن مغيرة ،

عن الشعبي ، عن جعدة بن هيرة ، قال : الشجرة التي سُمي عنها آدم ، شجرة الحمر .

٧٣٧ - وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا

(١) الآثار : ٧٢٧ - ٧٢٩ : لم أجدها بلفظها في مكان .

عباد بن العوام ، قال : حدثنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، قوله « ولا تقربا هذه الشجرة » ، قال : الكرم .

٧٣٨ - وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان ، عن السدي ، قال : العنب .

٧٣٩ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : عَنِيبٌ ^(١) .

* * *

وقال آخرون : هي التينة . ذكر من قال ذلك .

٧٤٠ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : تينة ^(٢) .

* * *

قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلتا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها ، فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلتا منها ، بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها ، وأشار لهما إليها بقوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن ، دلالة على أى أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها ، بنص عليها باسمها ، ولا بدلالة عليها . ولو كان لله في العلم بأى ذلك من أى رضا ، لم يُخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها ، ليطيعوه بعلمهم بها ، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا .

فالصواب في ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجه عن أكل

(١) الآثار : ٧٣٠ - ٧٣٩ : مذكورة بلا تعيين في ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ .

(٢) الخبر : ٧٤٠ - في ابن كثير ١ : ١٤٣ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ ، والشوكاني ١ : ٥٦ .

شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به . ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك فى القرآن ، ولا فى السنة الصحيحة . فأنتى يأتى ذلك ؟^(١) وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها ، وذلك عليم ، إذا علم لم ينفع العالم به علمه^(٢) ، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية فى تأويل قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

فقال بعض نحويى الكوفيين : تأويل ذلك : ولا تقربا هذه الشجرة ، فإنكما إن قربتماها كنتما من الظالمين . فصار الثانى فى موضع جواب الجزاء . وجواب الجزاء يعمل فيه أوله ، كقولك : إن تقم أقم ، فتجزم الثانى يجزم الأول . فكذلك قوله « فتكونا » ، لما وقعت الفاء فى موضع شرط الأول نصب بها ، وصبرت

(١) فى المخطوطة خلاف ما فى المطبوعة ، وهذا نصه « ولا علم عندنا بأى ذلك . وقد قيل كانت شجرة البر . . . » ، كان الناسخ أسقط سطراً فاختلف الكلام . وكان فى المطبوعة : « فأنتى يأتى ذلك من أنتى » بزيادة قوله « من أنتى » والظاهر أن التحريف قديم ، فإن ابن كثير نقل نص الطبرى هذا فى تفسيره ١ : ١٤٣ فحذف قوله : « فأنتى يأتى ذلك » . وقد استظهرت أن الصواب حذف « من أنتى » ، ليكون الاستفهام منصبا على كيفية إتيان العلم بهذه الشجرة ، وليس فى القرآن عليها دليل ولا فى السنة الصحيحة . وأما الجملة كما جاءت فى المطبوعة ، فهى فاسدة مفسدة لما أراد الطبرى .

(٢) فى المطبوعة : « وذلك إن علمه عالم لم ينفع العالم . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة وابن كثير (١ : ١٤٣) .

بمآثره «كى» فى نصبها الأفعال المستقبلية ، للزومها الاستقبال . إذ كان أصل الجزاء الاستقبال .

وقال بعض نحويى أهل البصرة : تأويل ذلك ، لا يكن منكما قُربُ هذه الشجرة فأن تكونا من الظالمين . غير أنه زعم أن «أن» غير جائز إظهارها مع «لا» ، ولكنها مضمرة لا بد منها ، ليصح الكلام بعطف اسم - وهى «أن» - على الاسم . كما غير جائز فى قولهم : «عسى أن يفعل» ، عسى الفعل . ولا فى قولك : «ما كان ليفعل» : ما كان لأن يفعل .

وهذا القول الثانى يُفسده إجماعُ جميعهم على تخطئة قول القائل : «سرى تقوم يا هذا» ، وهو يريد سرى قيامك . فكذاك الواجب أن يكون خطأ على هذا المذهب قول القائل : «لا تقم» إذا كان المعنى : لا يكن منك قيام . وفى إجماع جميعهم - على صحة قول القائل : «لا تقم» ، وفساد قول القائل : «سرى تقوم» بمعنى سرى قيامك - الدليل الواضح على فسادِ دعوى المدعى أن «لا» التى فى قوله : «ولا تقربا هذه الشجرة» ، ضمير «أن» - وصحة القول الآخر .

وفى قوله «فتكونا من الظالمين» ، وجهان من التأويل :

أحدهما أن يكون «فتكونا» فى نية العطف على قوله «ولا تقربا» ، فيكون تأويله حيثئذ : ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين . فيكون «فتكونا» حيثئذ فى معنى الجزم مجزوماً بما جُزم به «ولا تقربا» ، كما يقول القائل : لا تكلم عمرأ ولا تؤذه ، كما قال امرؤ القيس .

فَقُلْتُ لَهُ : صَوِّبْ وَلَا تَجْهَدْنَهُ فَيَذْرِكَ مِنْ أُخْرَى الْقَطَاوِ قَتَرَلْتِ^(١)
فجزم «فينذرِك» بما جزم به «لا تجهدنه» ، كأنه كرر النهى .

(١) ديوانه ، من رواية الأعلام الشتمرى ، القصيدة رقم : ٣٠ ، البيت : ٢٦ . وفى معاني القرآن لفراء ١ : ٢٦ ، ونسبه سيبويه فى الكتاب ١ : ٤٥٢ ، لمعرو بن عمار الطائى ، وسيد كره الطبرى فى (١٥ : ١٦٤ بولاق) غير منسوب ، ورواية سيبويه «فيدنك من أخرى القطاة» وقوله : «فقلت له»

والثاني أن يكون « فتكونا من الظالمين » ، بمعنى جواب النهى . فيكون تأويله
 حينئذ : لا تقربا هذه الشجرة ، فإنكما إن قربتباها كنتما من الظالمين . كما تقول :
 لا تشتم عمراً فيشتمك ، مجازاة . فيكون « فتكونا » حينئذ في موضع نصب ، إذ
 كان حرفاً عطفاً على غير شكله ، لما كان في « ولا تقربا » حرف عامل فيه ، ١٨٦/١
 ولا يصلح إعادته في « فتكونا » ، فنصب على ما قد بينت في أول هذه المسئلة .
 وأما تأويل قوله « فتكونا من الظالمين » ، فإنه يعنى به فتكونا من المتعدّين إلى
 غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه ، وإنما عنى بذلك أنكما إن قربتبا هذه الشجرة ، كنتما
 على منهاج من تعدّى حدودى ، وعصى أمرى ، واستحلّ محارمى ، لأن الظالمين
 بعضهم أولياء بعض ، والله ولىّ المتقين .

* * *

وأصل « الظلم » فى كلام العرب ، وضعُ الشيء فى غير موضعه ، ومنه قول نابغة
 بنى ذبيان :

إِلَّا أَوَارِيَّ لَايَا مَا أَبَيَّنْهَا وَالتَّوَيُّ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ^(١)

فجعل الأرض مظلومة ، لأن الذى حفر فيها التوى حفر فى غير موضع الحفر .
 فجعلها مظلومة ، لموضع الحفرة منها فى غير موضعها^(٢) . ومن ذلك قول ابن قميّة
 فى صفة غيث :

يعنى غلامه ، وذكره قبل أبيات . وقوله : « صوب » ، أى خذ الفرس بالقصد فى السير وارفقه به ولا تجهده
 بالمدى الشديد فيصرك . أذراء عن فرسه : ألقاه وصرعه . والقطاة : مقعد الدف من الفرس . وأخرى
 القطاة : آخر المقعد . ورواية الشنتمرى : « من أعلى القطاة » . وهما سواء .

(١) سلف تخريجه وشرحه فى هذا الجزء : ١٨٣

(٢) فى المطبوعة : « لوضع الحفرة منها فى غير موضعها » ، وفى المخطوطة أيضاً : « لموضع الحفر فيها

فى غير موضعها » .

ظَلَمَ الْبَطَاحَ بِهَا انْهْلَالَ حَرِيصَةٍ فَصَمَّ النَّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ الْمُقْلَعِ^(١)
وظلمه إياه : مجيئه في غير أوانه ، وانصبابه في غير مصبّه . ومنه : ظلم الرجل
جزّره ، وهو نحره إياه لغير علة . وذلك عند العرب وَضَعَ النحر في غير موضعه .
وقد يتفرع الظلم في معان يطول بإحصائها الكتاب ، وسنيناها في أماكنها إذا أتينا
عليها إن شاء الله تعالى . وأصل ذلك كله ما وصفنا من وضع الشيء في غير موضعه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَازِلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القراء^(٢) في قراءة ذلك . فقرأته عامتهم ، « فَاَزَلَهُمَا »
بتشديد اللام ، بمعنى : استزلّهما ، من قولك زلّ الرجل في دينه : إذا هفا فيه وأخطأ ،
فأتى ما ليس له إتيانه فيه . وأزلّه غيره : إذا سبب له ما يزلّ من أجله في دينه أو
دنياه ، ولذلك أضاف الله تعالى ذكره إلى إبليس خروج آدم وزوجته من
الجنة ، فقال : « فَأَخْرَجَهُمَا » يعني إبليس « مما كانا فيه » ، لأنه كان الذي سبّب
لهما الخطيئة التي عاقبها الله عليها بإخراجهما من الجنة .

* * *

وقرأه آخرون : « فَاَزَلَهُمَا » ، بمعنى إزالة الشيء عن الشيء ، وذلك تنحيته عنه .

وقد روى عن ابن عباس في تأويل قوله : « فَاَزَلَهُمَا » ، ما : —

(١) جاء أيضاً في تفسيره (٢ : ٥٠ بولاق) منسوباً لعمر بن قتيبة . وصحة نسبه إلى الحاذرة
الذبياني ، وهو في ديوان الحاذرة ، قصيدة : ٤ ، البيت رقم : ٧ ، وشرح المفضليات : ٥٤ . والبطاح
جمع بطحاء وأبطح : وهو بطن الوادي . وأنهل المطر انهلالاً : اشتد صوبه ووقعه . والحريصة والحارسة :
السحابة التي تحرص مطرتها وجه الأرض ، أي تقشره من شدة وقعها . والنطاف جمع نطفة : وهي الماء القليل
يبقى في الدلو وغيره . وقوله : « بُعِيدَ الْمُقْلَعِ » : أي بعد أن أقلمت هذه السحابة . ورواية المفضليات :
« ظلم البطاح له » وقوله : « له » : أي من أجله .

(٢) في المطبوعة : « اختلفت القراء » والقرأة جمع قارئ ، وانظر ما مضى : ٥١ ، تعاقب ،
وص : ٦٤ ، ١٠٩ وغيرهما .

٧٤١ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس في تأويل قوله تعالى : « فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ » ، قال : أغواهما^(١) .

* * *

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ « فَأَزَلَّهُمَا » ، لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه . بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه . وذلك هو معنى قوله « فَأَزَلَّهُمَا » ، فلا وجه - إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج - أن يقال : « فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ » عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، فيكون كقوله : فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عنها فَأَزَلَّهُمَا مما كانا فيه . ولكن المفهوم أن يقال^(٢) : فاستزلهما إبليس عن طاعة الله - كما قال جل ثناؤه : « فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ » ، وقرأت به القراءة - فأخرجهما باستزاله إياهما من الجنة .

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف كان استزال إبليس آدم وزوجته ، حتى أضيف إليه إخراجهما من الجنة ؟

قيل : قد قالت العلماء في ذلك أقوالاً ، وسنذكر بعضها^(٣) :

فحكى عن وهب بن منبه في ذلك ما :-

٧٤٢ - حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

عمر بن عبد الرحمن بن مهرب^(٤) ، قال : سمعت وهب بن منبه ، يقول : لما

(١) الخبر : ٧٤١ - في الدر المنثور ١ : ٥٣ ، والشوكاني ١ : ٥٦ .

(٢) في المطبوعة : « لكن المعنى المفهوم » ، زاد ما لا جلوى فيه .

(٣) في المطبوعة : « سنذكر » بغير واو .

(٤) في المطبوعة : « عمرو » بدل « عمر » ، وفي المخطوطة وابن كثير : « مهران » ، بدل « مهرب » . وكلاهما خطأ ، صوابه ما أثبتنا : « عمر بن عبد الرحمن بن مهرب » ، فهذا الشيخ ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٢١/١/٣ ، وقال : « سمع وهب بن منبه ، روى عنه إبراهيم بن خالد الصنعاني ، وعبد الرزاق » . ثم روى عن يحيى بن معين ، قال : « عمر بن عبد الرحمن بن مهرب : ثقة » . ولم أجد له ترجمة أخرى . و« مهرب » : لم أجد نصاً بفسطها في هذا النسب ، إلا قول صاحب القاموس أنهم سماوا من مادة (ه ر ب) بوزن « محسن » - يعني يضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه .

أسكن الله آدمَ وذريته - أو زوجته - الشك من أبي جعفر : وهو في أصل كتابه « وذريته » - ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرةً غصونها متشعبٌ بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة للهدم ، وهي الثمرة التي نهى الله آدمَ عنها وزوجته . ١٨٧/١

فلما أراد إبليس أن يستزأهما أدخل في جوف الحية ، وكانت للحية أربع قوائم كأنها بُخْتِيَّةٌ ، من أحسن دابة خلقها الله - فلما دخلت الحية الجنة ، خرج من جوفها إبليس ، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدمَ وزوجته ، ففجأ بها إلى حواء^(١) ، فقال : انظري إلى هذه الشجرة ! ما أطيبَ ريحها وأطيبَ طعمها وأحسنَ لونها ! فأخذت حواءُ فأكلتُ منها ثم ذهبت بها إلى آدمَ فقالت : انظري إلى هذه الشجرة ! ما أطيبَ ريحها وأطيبَ طعمها وأحسنَ لونها ! فأكل منها آدمَ ، فبدت لهما سوائتهما . فدخل آدمُ في جوف الشجرة ، فناداه ربُّه يا آدمُ أين أنت ؟ قال : قال : أنا هذا يارب^(٢) ! قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك يا رب . قال : ملعونة الأرض التي خلقتَ منها لعنةً يتحوَّل ثمرها شوكةً . قال : ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرةٌ كان أفضل من الطَّلح والسَّدر ، ثم قال : يا حواء ، أنت التي غرَّرتِ عبدى ، فإنك لا تحمِلين حملاً إلا حملته كَرْهًا ، فإذا أردتِ أن تضعي ما في بطنك أشرفتِ على الموت مراراً . وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غرَّ عبدى ، ملعونة أنتِ لعنة تتحوَّل قوائمك في بطنك ، ولا يكن لك رزق إلا التراب ، أنت عدوة بني آدمَ وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه ، وحيث لقيك شدَّخ رأسك . قال عمر^(٣) قيل لوهب : وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء^(٤) .

ووقع اسم هذا الشيخ محرراً إلى شيخين ، في تاريخ الطبرى ١ : ٥٤ - في هذا الإسناد ، هكذا : « معمر عن عبد الرحمن بن مهران » !

(١) في المطبوعة : « فجاء به » ، والذي أثبتناه من المخطوطة وتاريخ الطبرى .

(٢) في المطبوعة : « أنا هنا يا رب » ، وأثبتنا ما في المخطوطة وتاريخ الطبرى .

(٣) في المطبوعة : « قال عمرو » ، وأثبتنا الصواب من المخطوطة ، ومما ذكرنا آنفاً .

(٤) الأثر : ٧٤٢ - في تاريخ الطبرى ١ : ٥٤ ، هذا الإسناد ، وأوله في ابن كثير ١ : ١٤٣ .

وروى عن ابن عباس نحو هذه القصة :

٧٤٣ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : لما قال الله عز وجل لآدم : « اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة ، ففنته الخزنة . فأتى الحية - وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير ، وهي كأحسن الدواب - فكلما أن تدخله في فيها حتى تدخل به إلى آدم ، فأدخلته في فمها - قال أبو جعفر : والفقم جانب الشدق^(١) - فرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر . فكلمه من فمها فلم يُبال كلامه^(٢) ، فخرج إليه فقال : ﴿ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلُ ﴾ [سورة طه : ١٢٠] يقول : هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت مَلِكاً مثل الله عز وجل ، أو تكونا من الخالدين^(٣) ، فلامتوتان أبداً . وحلف لهما بالله إنى لكما لمن الناصحين . وإنما أراد بذلك ليبدى لهما ما توارى عنهما من سوءاتهما بهتك لباسهما . وكان قد علم أن لهما سوءة ، لما كان يقرأ من كتب الملائكة ، ولم يكن آدم يعلم ذلك . وكان لباسهما الظفر ، فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حواء فأكلت ، ثم قالت : يا آدم كُلْ ، فإني قد أكلت فلم يضرني . فلما أكل آدم بدت لهما سوءاتهما وطفقا يَخْصِفَانِ عليهما من ورق الجنة^(٤) .

(١) في المطبوعة وتاريخ الطبري ١ : ٥٣ : « فأدخلته في فيها ، فرت الحية . . . » ، وما أثبتناه من المخطوطة .

(٢) في المطبوعة وتاريخ الطبري : « فكلمه من فيها » . وفي المطبوعة : « فلم يبال بكلامه » .

(٣) في المخطوطة : « وتكونا من الخالدين » .

(٤) الخبر : ٧٤٣ . ينص في تاريخ الطبري ١ : ٥٣ ، وبعض الاختلاف في الدر المنثور

١ : ٥٣ ، والشوكاني ١ : ٥٦ .

٧٤٤ - حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَدَّثٌ : أَنَّ الشَّيْطَانَ دَخَلَ الْجَنَّةَ فِي صُورَةِ دَابَّةٍ ذَاتِ قَوَائِمٍ ، فَكَانَ يُرَى أَنَّهُ الْبَعِيرُ ، قَالَ : فَلَعِنَ ، فَسَقَطَتْ قَوَائِمُهُ فَصَارَ حَيَّةً^(١) .

٧٤٥ - وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ أَنَّ مِنَ الْإِبِلِ مَا كَانَ أَوَّلَهَا مِنَ الْجَنِّ ، قَالَ : فَأُيِّبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ كُلُّهَا إِلَّا الشَّجَرَةَ^(٢) ، وَقِيلَ لَهَا : لَا تَقْرَبِي هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . قَالَ : فَأَتَى الشَّيْطَانُ حَوَاءَ فَبَدَأَ بِهَا ، فَقَالَ : أَنْتُهُمَا عَنْ شَيْءٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ! عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَقَالَ : ﴿ مَا نَهَاكَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ١٨٨/١

إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠] قال : فَبَدَأَتْ حَوَاءَ فَأَكَلَتْ مِنْهَا ، ثُمَّ أَمَرَتْ آدَمَ فَأَكَلَ مِنْهَا . قَالَ : وَكَانَتْ شَجَرَةً مِنْ أَكْلِهَا مِنْهَا أَحَدٌ . قَالَ : وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْجَنَّةِ حَدَثٌ . قَالَ : « فَأَزَالُهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرِجُهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ »^(٣) ، قَالَ : فَأَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ^(٤) .

٧٤٦ - حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ آدَمَ حِينَ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْكَرَامَةِ وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْهَا ، قَالَ : لَوْ أَنَّ مُخْلَدًا كَانَ ! فَاعْتَمَرَ فِيهَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ لَمَا سَمِعَهَا مِنْهُ^(٥) ، فَأَتَاهُ مِنْ قَبْلِ الْخُلْدِ^(٦) .

(١) الأثر : ٧٤٤ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥

(٢) في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ ، زيادة سياقها : « . . . كلها - يعني آدم - إلا الشجرة » .

(٣) في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ « فَأَزَالُهُمَا الشَّيْطَانُ » .

(٤) الأثر : ٧٤٥ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ .

(٥) في التاريخ : « لو أنا خلدنا » . وفي المطبوعة : « فاعتنمها منه الشيطان » ، لم يحسنوا قراءة المخطوطة فبدلوا الحرف ، وأثبتنا ما في المخطوطة والتاريخ . يقال : سمع من كلمة فاعتنمها ، أى استضعفها ووجد فيها مغزاً يماز ويؤق من قبله .

(٦) الأثر : ٧٤٦ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ .

٧٤٧ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : 'حدثت : أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما ، أنه ناح عليهما نياحة أحرزتهما حين سمعاها ، فقالا : ما يبكيك ؟ قال : أبكى عليكما ، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك في أنفسهما . ثم أتاهما فوسوس إليهما ، فقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ وقال : « مانها كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين » . أي تكونا ملكين ، أو تخلدا ، إن لم تكونا ملكين^(١) - في نعمة الجنة فلا تموتان . يقول الله جل ثناؤه : « فدلّا هُما بغرورٍ »^(٢) .

٧٤٨ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها ، ثم حسنها في عين آدم . قال : فدعاها آدم لحاجته ، قالت : لا ! إلا أن تأتى ههنا . فلما أتى قالت : لا ! إلا أن تأكل من هذه الشجرة . قال : فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما . قال : وذهب آدم هارباً في الجنة ، فناداه ربه : يا آدم أمنى تفر ؟ قال : لا يارب ، ولكن حياءً منك . قال : يا آدم أنى أتيت ؟ قال : من قبيل حواء أى رب . فقال الله : فإن لها على أن آدميا في كل شهر مرة ، كما أدमित هذه الشجرة^(٣) ، وأن أجعلها سفينةً فقد كنت خلقتها حليلة ، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً ، فقد كنت جعلتها تحمل يُسراً وتضع يُسراً . قال ابن زيد : ولولا البلية التي أصابت حواء ، لكان نساء الدنيا لا يحضن ، ولكن حلقات ، وكن يحملن يُسراً ويضعن يُسراً^(٤) .

(١) في المخطوطة : « أى تكونا ملكين ، أو تخلدان إن لم . . . » وفي التاريخ ١ : ٥٥ : « أى تكونان ملكين أو تخلدان - أى إن لم . . . » .

(٢) الأثر : ٧٤٧ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ .

(٣) في المخطوطة : « كما دمت هذه الشجرة » .

(٤) الأثر : ٧٤٨ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ .

٧٤٩ - حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعته يحلف بالله ما يستثنى - ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواء سقته الخمر ، حتى إذا سكر قادته إليها فأكل^(١).

٧٥٠ - حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن ليث ابن أبي سليم، عن طاوس الجعفي ، عن ابن عباس ، قال : إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أيها يحمله حتى يدخل الجنة معها ويكلم آدم وزوجته^(٢) ، فكلّ الدواب أبي ذلك عليه ، حتى كلم الحية فقال لها : أمنعك من ابن آدم ، فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة . فجعلته بين نايتين من أنيابها ، ثم دخلت به ، فكلهما من فيها ؛ وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم ، فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها . قال : يقول ابن عباس : اقتلوا حيث وجدتموها ، أخفروا ذمة عدو الله فيها^(٣) .

٧٥١ - وحدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، قال قال ابن إسحق : وأهل التوراة يدرسون : إنما كلم آدم الحية . ولم يفسروا كتفسير ابن عباس .

٧٥٢ - وحدثنا القاسم، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : نهى الله آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ، ويأكلا منها رَغداً حيث شاءا ، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية ، فكلم حواء ، وسوس الشيطان إلى آدم فقال : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن

١٨٩/١

(١) الأثر : ٧٤٩ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ - ٥٦ ، وهو هناك تام .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة والدر المنثور : « أنها تحملها حتى يدخل . . . » ، وأثبت ما في تاريخ

الطبري ١ : ٥٤ ، فهو أجود وأصح .

(٣) الخبر : ٧٥٠ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٣ - ٥٤ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ . وأخفر

الذمة والمهد : نقضهما ، ولم يف بهما .

الناصحين . قال : ففقطعت^(١) حواء الشجرة فدَمِيت الشجرة . وسقط عنهما رياشهما الذى كان عليهما ، وطفقا يَخْصِفَان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٢] . لم أكلتها وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب أطعمتنى حواء . قال لحواء : لم أطعمته ؟ قالت : أمرتنى الحية . قال للحية : لم أمرتها ؟ قالت : أمرنى إبليس . قال : ملعونٌ مدحورٌ ! أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين^(٢) فى كلِّ هلال ، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين جثرياً على وجهك ، وسيشدخ رأسك من لقيك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو^(٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وقد رُوِيَت هذه الأخبار — عن رويناهما عنه من الصحابة والتابعين وغيرهم — فى صفة استئلال إبليس عدوَّ الله آدمَ وزوجته حتى أخرجهما من الجنة . وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتاب الله مُوافقاً . وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدى لهما ما وُورى عنهما من سَوَاتِمهما ، وأنه قال لهما : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » ، وأنه « قاسمهما إني لكما لمن الناصحين » مُدَلِّباً لهما بغرور . ففى إخباره جل ثناؤه — عن عدوِّ الله أنه قاسم آدم وزوجته بقبيله لهما : إني لكما لمن الناصحين — الدليلُ الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه : إما ظاهراً لأعينهما ، وإما مستجيباً فى غيره . وذلك أنه غير معقول فى كلام العرب أن يقال : قاسم فلانُ فلاناً فى كذا وكذا . إذا سبَّب له سبباً وصل به إليه دون أن يحلف له . والحلف لا يكون بتسبب السبب . فكذلك قوله « فوسوس إليه الشيطان » ، لو كان ذلك كان منه إلى آدم — على نحو الذى منه إلى ذريته ، من تزوين أكل ما نهى الله آدم

(١) فى المطبوعة : « ففقت حواء الشجرة » ، وأثبتنا ما فى المخطوطة وتاريخ الطبرى ١ : ٥٤ .

(٢) فى المطبوعة : « فتعين » ، وأثبتنا ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٣) الأثر : ٧٥٢ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٥٤ .

عن أكله من الشجرة ، بغير مباشرة خطابه لإياه بما استتره به من القول والحيل - لما قال جل ثناؤه : « وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين » . كما غير جائر أن يقول اليوم قاتلٌ ممن أتى معصية : قاسمى إبليس أنه لى ناصحٌ فيما زين لى من المعصية التى أتيتها . فكذلك الذى كان من آدمَ وزوجته ، لو كان على النحو الذى يكون فيما بين إبليس اليوم وذرية آدم - لما قال جل ثناؤه : « وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين » ، ولكن ذلك كان - إن شاء الله - على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله .

فأما سبب وصوله إلى الجنة حتى كلم آدم بعد أن أخرجه الله منها وطرده عنها ، فليس فيما روى عن ابن عباس وهب بن منبه فى ذلك معنى يجوز لذى فهم مُدافعتة ، إذ كان ذلك قولاً لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه^(١) ، وهو من الأمور الممكنة . فالقول فى ذلك أنه وصل إلى خطابهما على ما أخبرنا الله جل ثناؤه^(٢) ؛ ويمكن أن يكون وصل إلى ذلك بنحو الذى قاله المتأولون ، بل ذلك - إن شاء الله - كذلك ، لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك . وإن كان ابن إسحق قد قال فى ذلك ما :-

٧٥٣- حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحق فى ذلك ، والله أعلم ، كما قال ابن عباس وأهل التوراة : إنه خلص إلى آدم وزوجته بسُلطانه الذى جعل الله له لبيتلى به آدم وذريته ، وأنه يأتى ابن آدم فى نومه وفى يقظته ، وفى كل حال من أحواله ، حتى يخلص إلى ما أراد منه ، حتى يدعوه إلى المعصية ، ويوقع فى نفسه الشهوة وهولا يراه . وقد قال الله عز وجل : « فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ، فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ »^(٣) ، وقال : ﴿ يَا بَنَى آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَمُ

١٩٠/١

(١) فى المطبوعة : « إذ كان ذلك قولاً لا يدفعه قول . . . » .

(٢) فى المطبوعة : « والقول فى ذلك . . . » .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقد قال الله فرسوس لهما الشيطان ، فأخرجهما مما كان فيه » ، وهذه ليست آية ، والصواب أنه أراد آية سورة البقرة هذه .

الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ [سورة الأعراف : ٢٧] وقد قال الله لنبيه عليه السلام : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ إلى آخر السورة . ثم ذكر الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ^(١) . ثم قال ابن إسحق ^(٢) : وإنما أمر ابن آدم فيما بينه وبين عدو الله ، كأمره فيما بينه وبين آدم . فقال الله : ﴿ اهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] . ثم خلص إلى آدم وزوجته حتى كلمهما ، كما قص الله علينا من خبرهما ، فقال : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئَلُ ﴾ [سورة طه : ١٢٠] ، فخلص إليهما بما خلص إلى ذريته من حيث لا يريانه — فالله أعلم أي ذلك كان — فتابا إلى ربهما .

• • •

قال أبو جعفر : وليس في يقين ابن إسحق — لو كان قد أيقن في نفسه — أن إبليس لم يخلص إلى آدم وزوجته بالمخاطبة بما أخبر الله عنه أنه قال لهما وخاطبهما به ، ما يجوز لدى فهم الاعتراض به على ما ورد من القول مستفيضاً من أهل العلم ، مع دلالة الكتاب على صحة ما استفاض من ذلك بينهم . فكيف بشكته ؟ والله نسأل التوفيق .

• • •

(١) حديث « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » — حديث صحيح جداً — رواه أحمد والشيخان وأبو داود ، من حديث أنس ، ورواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه ، من حديث صفية ، وهي بنت حبي ، أم المؤمنين ، كما في الجامع الصغير : ٢٠٣٦ .

(٢) في المطبوعة إسقاط : « ثم » .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾

قال أبو جعفر : وأما تأويل قوله « فأخرجهما » ، فإنه يعني : فأخرج الشيطان آدمَ وزوجته ، « مما كانا » ، يعني مما كان فيه آدمُ وزوجته من رغد العيش في الجنة ، وسعة نعيمها الذي كانا فيه . وقد بينا أن الله جل ثناؤه إنما أضاف إخراجهما من الجنة إلى الشيطان - وإن كان الله هو المخرجَ لهما - لأن خروجهما منها كان عن سبب من الشيطان ، فأضيف ذلك إليه لتسبيبه إياه^(١) ، كما يقول القاتل لرجل وصل إليه منه أذى حتى تحول من أجله عن موضع كان يسكنه : « ما حولني من موضعي الذي كنت فيه إلا أنت » ، ولم يكن منه له تحويل ، ولكنه لما كان تحولَه عن سبب منه ، جازَ له إضافة تحويله إليه .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ

قال أبو جعفر : يقال هبط فلان أرضَ كذا ووادى كذا ، إذا حلَّ ذلك^(٢) ، كما قال الشاعر :

مَازِلْتُ أَرْمُقُهُمْ ، حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ أَيْدِي الرَّكَّابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا^(٣)

(١) في المطبوعة : « وأضيف ذلك . . . » .

(٢) لعل صواب العبارة : « إذا حل ذلك الموضع » ، فسقطت كلمة من الناصحين .

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ٣٧ ، أرمقهم : يعني أحبابه الراحلين ، وينظر إليهم حزناً كثيراً ، والركاب : الإبل التي يرحل عليها . وراكس : واد في ديار بني سعد بن ثعلبة ، من بني أسد . وفلق وفالق : المطنن من الأرض بين ربوتين أو جبلين أو هضبتين ، وقالوا : فالق وفلق ، كما قالوا : يابس ويبس (بفتحبتين) .

وقد أبان هذا القولُ من الله جل ثناؤه ، عن صحة ما قلنا من أن المخرجَ آدمَ من الجنة هو الله جل ثناؤه ، وأن إضافة الله إلى إبليس ما أضاف إليه من إخراجهما ، كان على ما وصفنا . ودلّ بذلك أيضاً على أن هبوط آدم وزوجته وعدلوهما إبليس ، كان في وقت واحد ، يجمّع الله إياهم في الخبر عن إيهابهم ، بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته ، وتسبب إبليس ذلك لهما^(١) ، على ما وصفه ربنا جل ذكره عنهم .

• • •

قال أبو جعفر : وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله : « اهبطوا » ، مع إجماعهم على أن آدم وزوجته ممن عصى به .

٧٥٤ - فحدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن أبي عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية^(٢) .

٧٥٥ - حدثنا ابن وكيع ، وموسى بن هرون ، قالا : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : فلعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشي على بطنها ، وجعل رزقها من التراب . وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية^(٣) .

٧٥٦ - وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قول الله : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : آدم وإبليس والحية^(٤) .

(١) لعل الأجود : « وتسبب إبليس ذلك لهما » ، وهي في المخطوطة غير منقوطة .

(٢) الأثر : ٧٥٤ - في الدر المنثور ١ : ٥٥ .

(٣) الأثر : ٧٥٥ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٦ ، والظاهر أن إسناده هنا سقط منه شيء . وقامه في التاريخ : ... عن السدي - في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - ومن مرة الحمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : اهبطوا . . . وهو الإسناد الذي يكثر الطبري من الرواية به .

(٤) الأثر : ٧٥٦ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٦ .

٧٥٧ - وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، آدم وإبليس والحية ، ذرية بعضهم أعداء لبعض .

٧٥٨ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « بعضكم لبعض عدو » ، قال : آدم وذريته ، وإبليس وذريته .
٧٥٩ - وحدثنا المثنى ، قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « بعضكم لبعض عدو » ، قال : يعني إبليس وآدم^(١) .

٧٦٠ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن حدثه عن ابن عباس في قوله : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : بعضهم لبعض عدو : آدم وحواء وإبليس والحية^(٢) .
٧٦١ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : حدثني عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن إسماعيل السدي ، قال : حدثني من سمع ابن عباس يقول : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية^(٣) .

٧٦٢ - وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : لهما ولذريتهما^(٤) .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما كانت عداوة ما بين آدم وزوجته وإبليس والحية ؟

(١) الآثار : ٧٥٧ - ٧٥٩ لم أجدها بإسنادها في مكان .

(٢) الخبر : ٧٦٠ - كالذي يليه من طريق آخر .

(٣) الخبر : ٧٦١ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٦ .

(٤) الآثار : ٧٦٢ - لم أجده في مكان .

قيل : أما عداوة إبليس آدمَ وقريته ، فحسدهُ إياه ، واستكبارهُ عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [سورة ص : ٧٦] . وأما عداوة آدم وقريته إبليس ، فعداوةُ المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربه في تكبره عليه ومُخالفته أمره . وذلك من آدم ومؤمني ذريته إيماناً بالله . وأما عداوة إبليس آدمَ فكفرُ بالله .

وأما عداوة ما بين آدم وقريته والحية ، فقد ذكرنا ما روى في ذلك عن ابن عباس ووهب بن منبه ، وذلك هي العداوة التي بيننا وبينها ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَا سَالِمَانَهُنَّ مُنْذَ حَارَبْنَاهُنَّ ، فَن تَرَكْنَهُنَّ خَشْيَةً ثَأْرَهُنَّ فَلَيْسَ مَثَلًا .

٧٦٣ - حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثني حجاج بن رَشْدِين ، قال : حدثنا حَيَّوَة بن شَرِيح ، عن ابن عَجْلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَا سَالِمَانَهُنَّ مُنْذَ حَارَبْنَاهُنَّ ، فَن تَرَكْنَهُنَّ شَيْئًا مِنْهُنَّ خِيفَةً ، فَلَيْسَ مَثَلًا ^(١) .

(١) الحديث : ٧٦٣ - إسناده جيد . والحديث مروي بأسانيده أخر صحاح ، كما سذكر ، إن شاء الله . حجاج : هو ابن رَشْدِين بن سعد المصري ، ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ٢ / ١٦٠ ، وذكر أنه يروي عن « حَيَّوَة بن شَرِيح » ، ويروي عنه « محمد بن عبد الله بن عبد الحكم » . وذكر أنه سأل عنه أبا زرعة ، قال : « لا علم لي به » ، لم أكتب عن أحد عنه . وترجمه الحافظ في لسان الميزان ، ونقل أنه ضعفه ابن عدى ، وأنه مات سنة ٢١١ ، وأن ابن يونس لم يذكر فيه جرحاً ، « وقال الخليل : هو أمثل من أبيه ، وقال مسلمة بن قاسم : لا بأس به » ، وأن ابن حبان ذكره في الثقات . وهذا كاف في توثيقه ، خصوصاً وأن ابن يونس أعرف بتاريخ المصريين . وأبوه اسمه « رَشْدِين » ، بكسر الراء والدال بينهما شين معجمة ساكنة ، وبعد الدال ياء ونون . ووقع في المطبوعة « رَشْد » ؛ وهو خطأ .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٩٥٨٦ ، عن يحيى - وهو القبطان ، ٦٠٧٥٢ ، عن صفوان - وهو ابن عيسى الزهرى ، كلاهما عن ابن عجلان ، به (٢ : ٤٣٢ ، ٥٢٠ من طبعة الخليل) . ورواه أيضاً قبل ذلك مختصراً : ٧٣٦٠ (٢ : ٢٤٧) عن سفيان بن عيينة . ورواه أبو داود : ٥٢٤٨ (٤ : ٥٣٤ عون المعبود) ، من طريق سفيان ، تاماً . وهذه أسانيد صحاح .

وورد معناه من حديث ابن عباس ، في المسند أيضاً : ٢٠٣٧ ، ٣٢٥٤ . وقريب من معناه من حديث ابن مسعود ، في المسند أيضاً : ٣٩٨٤ .

قال أبو جعفر : وأحسبُ أن الحرب التي بيننا ، كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدمنا الرواية عنهم ، في إدخالها لإبليس الجنة بعد أن أخرجه الله منها ، حتى استتره عن طاعة ربه في أكله ما نُهي عن أكله من الشجرة .

٧٦٤ - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا معاوية بن هشام - وحدثني محمد ابن خلف العسقلاني ، قال حدثني آدم - جميعاً ، عن شيبان ، عن جابر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : 'خُلِقَتْ هِيَ وَالْإِنْسَانُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُلُوًّا لَصَاحِبِهِ ، إِنْ رَأَاهَا أَفْزَعَتْهُ ، وَإِنْ لَدَغَتْهُ أَوْجَعَتْهُ ، فَاقْتُلْهَا حَيْثُ وَجَدْتَهَا' (١) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾

١٩٢/١

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال : بعضهم بما -
٧٦٥ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ » قال : هو قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلُ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٢] .
٧٦٦ - وُحِدَتْ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : « وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ » ، قَالَ : هُوَ قَوْلُهُ : ﴿ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ (٢) [سورة غافر : ٦٤] .

(١) الحديث : ٧٦٤ - في الدر المنثور ١ : ٥٥ ، ونسبه للطبري فقط . وهو في جميع الزوائد ٤ : ٤٥ بلفظ آخر ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه جابر غير مسمى ، والظاهر أنه الجمعي ، وفقه الثوري وشعبة ، وضعفه الأئمة أحد وفيه .
(٢) الأثران : ٧٦٥ - ٧٦٦ : لم أجدهما في مكان .

وقال آخرون: معنى ذلك ولكم في الأرض قرّار في القبور. ذكر من قال ذلك :

٧٦٧ - حدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا

أسباط، عن السدي: «ولكم في الأرض مستقر»، يعني القبور^(١).

٧٦٨ - وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثني عبد الرحمن

ابن مهدي، عن إسرائيل، عن إسماعيل السدي، قال: حدثني من سمع ابن عباس قال: «ولكم في الأرض مستقر»، قال: القبور^(٢).

٧٦٩ - وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: «ولكم في الأرض مستقر»، قال: مقامهم فيها^(٣).

• • •

قال أبو جعفر: والمستقر في كلام العرب، هو موضع الاستقرار. فإذا كان ذلك كذلك، فحيث كان من الأرض موجوداً حالاً، فذلك المكان من الأرض مستقره. وإنما عني الله جل ثناؤه بذلك: أن لهم في الأرض مستقراً ومتزلاً، بأماكنهم ومستقرهم من الجنة والسماء. وكذلك قوله: «ومتاع» يعني به: أن لهم فيها متاعاً بمتاعهم في الجنة.

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَمَتَّعُ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: ولكم

فيها بلاغ إلى الموت. ذكر من قال ذلك :

٧٧٠ - حدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا

(١) الأثر: ٧٦٧ - لم أجده في مكان.

(٢) الخبر: ٧٦٨ - في الدر المنثور ١: ٥٥، وهو من تمام الخبر: ٧٦١.

(٣) الأثر: ٧٦٩ - لم أجده في مكان.

أسباط ، عن السدى فى قوله : « ومتاعٌ إلى حين » ، قال يقول : بلاغ إلى الموت ^(١) .
 ٧٧١ - وحديثى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال حدثنا عبد الرحمن
 ابن مهدي ، عن إسرائيل ، عن إسماعيل السدى ، قال : حدثنى من سمع ابن عباس :
 « ومتاعٌ إلى حين » ، قال : الحياة ^(٢) .

* * *

وقال آخرون : يعنى بقوله « ومتاعٌ إلى حين » ، إلى قيام الساعة . ذكر من
 قال ذلك :

٧٧٢ - حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا
 شبل ، عن ابن أبى نجيج ، عن مجاهد : « ومتاع إلى حين » ، قال : إلى يوم
 القيامة ، إلى انقطاع الدنيا .

* * *

وقال آخرون : « إلى حين » . قال : إلى أجل . ذكر من قال ذلك :
 ٧٧٣ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ،
 عن أبيه ، عن الربيع : « ومتاع إلى حين » ، قال : إلى أجل ^(٣) .

* * *

والمَتَاع ، فى كلام العرب ، كل ما استُمتع به من شئ ، من معاش استُمتع به
 أو رِياش أو زينة أو لذة أو غير ذلك ^(٤) . فإذا كان ذلك كذلك - وكان الله
 جل ثناؤه قد جعل حياة كل حى متاعاً له يستمتع بها أيام حياته ، وجعل الأرض
 للإنسان متاعاً أيام حياته ، بقراره عليها ، واغتذائه بما أخرج الله منها من الأقوات
 والثمار ، والتذاذه بما خلق فيها من الملاذ ، وجعلها من بعد وفاته بلحشته كِفَافاً ^(٥) ،
 ولبسها منزلاً وقراراً ؛ وكان اسم المتاع يشمل جميع ذلك - كان أولى التأويلات

(١) الأثر : ٧٧٠ - لم أجده فى مكان .

(٢) الأثر : ٧٧١ - فى الدر المنثور ١ : ٥٥ ، وهو من تمام الأثرين : ٧٦١ ، ٧٦٨ .

(٣) الأثران : ٧٧٢ ، ٧٧٣ : لم أجدهما فى مكان .

(٤) فى المخطوطة : « فى معاش استمتع . . . » .

(٥) الكفات : الموضع الذى يضم فيه الشئ ويقبض .

بالآية—^(١) إذ لم يكن الله جل ثناؤه وضع دلالة دالة على أنه قصد بقوله : «ومتاعٌ إلى حين» بعضاً دون بعض ، وخاصاً دون عام في عقل ولا خبر — أن يكون ذلك في معنى العام ، وأن يكون الخبر أيضاً كذلك ، إلى وقت يطول استمتاع بني آدم وبني إبليس بها ، وذلك إلى أن تُبدل الأرض غير الأرض . فإذا كان ذلك أول التأويلات بالآية لما وصفنا ، فالواجب إذاً أن يكون تأويل الآية : ولكم في الأرض ١٩٣/١ منازلٌ ومساكنٌ تستقرون فيها استقراركم — كان — في السموات ، وفي الجنان في منازلكم منها ^(٢) ، واستمتاع منكم بها وبما أخرجت لكم منها ، وبما جعلت لكم فيها من المعاش والرياش والزَّين والملاذِّ ، وبما أعطيتكم على ظهرها أيام حياتكم ومن بعد وفاتكم لأرْماسكم وأجدانكم تُدفنون فيها ^(٣) ، وتبلغون باستمتاعكم بها إلى أن أبدلكم بها غيرها .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾

قال أبو جعفر : أما تأويل قوله : «فتلقى آدم» ، فقليل : إنه أخذ وقَبِلَ ^(٤) . وأصله التفعُّل من اللقاء ، كما يتلقى الرجلُ الرجلَ مُستقبله عند قدومه من غيبته أو سفره ، فكانَ ذلك كذلك في قوله «فتلقى» ^(٥) ، كأنه استقبله فتلقاه بالقبول حين أوحى إليه أو أخبر به . فعنى ذلك إذا : فلقى الله آدمَ كلمات توبة ، فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائباً ، فتاب الله عليه بقبوله إياها ، وقبوله إياها من ربه . كما : — ٧٧٤ — حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن

(١) في المطبوعة : « إن لم يكن الله . . . » ، وهو خطأ .

(٢) في المطبوعة : « في الجنات » .

(٣) الأرماس جمع رمس ، والأجدات جمع جدت (بفتحين) : وهما بمعنى القبر .

(٤) في المطبوعة : « أخذ . وقيل : أصله » ، وهو خطأ .

(٥) في المطبوعة : « . . . يستقبله عند قدومه من غيبة أو سفر فكذلك ذلك في قوله » ، تصرف

زيد في قوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات » الآية . قال : لقاهما هذه الآية :
 ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١)
 [سورة الأعراف : ٢٣] .

• • •

وقد قرأ بعضهم : « فتلقى آدم من ربه كلمات » ، فجعل الكلمات هي المتلقى آدم . وذلك ، وإن كان من جهة العربية جائزاً ، — إذ كان كل ما تلقاه الرجل فهو له مُتلقى ، وما لقيه فقد لقيه ، فصار للمتكلم أن يُوجه الفعل إلى أيهما شاء ، ويخرج من الفعل أيهما أحب — فغير جائز عندى في القراءة إلا رفع « آدم » على أنه المتلقى الكلمات ، لإجماع الحجة من القمراء وأهل التأويل من علماء السلف والخلف ^(٢) ، على توجيه التلقى إلى آدم دون الكلمات . وغيرُ جائز الاعتراض عليها فيما كانت عليه مجمعة ، بقول من يجوز عليه السهو والخطأ .

• • •

واختلف أهل التأويل في أعيان الكلمات التي تلقاها آدم من ربه . فقال بعضهم بما :-

٧٧٥ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » ، قال : أى رب ، ألم تخلقني بيدك؟ قال : بلى . قال : أى رب ، ألم تنفخ في من روحك؟ قال : بلى . قال : أى رب ، ألم تسكني جنتك؟ قال : بلى . قال : أى رب ، ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال : بلى . قال : أرايت إن أنا تبت وأصلحت ، أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال : نعم .

(١) الأثر : ٧٧٤ — ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ ، والشوكاني ١ : ٥٨ ،

وسياتي برقم : ٧٩٢

(٢) في المطبوعة : « لإجماع المهجة من القراء » . والقراءة : جمع قارئ ، كما سلف مراراً ، انظر

ما مضى ص ٥٢٤ .

قال : فهو قوله : « فتلقى آدمٌ من ربه كلمات »^(١) .

٧٧٦- وحدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم ، قال : حدثنا محمد ابن مُصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، نحوه .

٧٧٧- وحدثني محمد بن سعد قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فتلقى آدمٌ من ربه كلمات فتاب عليه » ، قال : إن آدم قال لربه إذ عصاه : رب ، أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ؟ فقال له ربه : إني راجعك إلى الجنة^(٢) .

٧٧٨- وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات » ، ذكر لنا أنه قال : يا رب ، أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ؟ قال : إني إذا راجعك إلى الجنة ، قال : وقال الحسن : إنها قالوا : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »^(٣) .

٧٧٩- وحدثني المثنى ، قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله « فتلقى آدم من ربه كلمات » ، قال : إن آدم لما أصاب الخطيئة قال : يا رب ، أرأيت إن تبت أصلحت ؟ فقال الله : ١٩٤/١ إذا أرجعك إلى الجنة . فهي من الكلمات . ومن الكلمات أيضاً : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »^(٤) .

٧٨٠- وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال حدثنا أسباط ، عن السدي : « فتلقى آدمٌ من ربه كلمات » ، قال : رب ، ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له : بلى . قال : ونفخت في من روحك ؟ قيل له : بلى . قال وسبقت رحمتك

(١) الخبر : ٧٧٥- في ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٨ ، والشوكاني ١ : ٥٧ .

(٢) الخبر : ٧٧٧- لم أجده بلفظه في مكان .

(٣) الأثر : ٧٧٨- في ابن كثير ١ : ١٤٧ .

(٤) الأثر : ٧٧٩- في ابن كثير ١ : ١٤٧ .

غضبك؟ قيل له: بلى. قال: رب هل كنت كتبت هذا على؟ قيل له: نعم. قال: رب، إن تبت وأصلحت، هل أنت راجع إلى الجنة؟ قيل له: نعم. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾^(١) [سورة طه: ١٢٢].

* * *

وقال آخرون بما:—

٧٨١— حدثنا به محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رُفيع، قال: حدثني من سمع عبيد ابن عمير يقول: قال: آدم: يا رب، خطيبتني التي أخطأتها، أشتىء كتبتة على قبل أن تخلقني، أو شتء ابتدعتة من قبل نفسي؟ قال: بلى، شتء كتبتة عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبتة على فاغفره لي. قال: فهو قول الله: «فتلقني آدم من ربه كلمات»^(٢).

٧٨٢— وحدثنا ابن سنان، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رُفيع، قال: أخبرني من سمع عبيد بن عمير، بمثله.

٧٨٣— وحدثنا ابن سنان، قال: حدثنا وكيع بن الجراح، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رُفيع، عن سمع عبيد بن عمير يقول: قال آدم: فذكر نحوه.

٧٨٤— وحدثنا المنثي، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رُفيع، قال أخبرني من سمع عبيد بن عمير، بنحوه.

٧٨٥— وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن عبد العزيز، عن عبيد بن عمير، بمثله.

وقال آخرون بما:—

٧٨٦— حدثني به أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، قال: حدثنا عبد الرحمن

(١) الأثر: ٧٨٠— لم أجده بنصه في مكان.

(٢) الأثر: ٧٨١— في ابن كثير ١: ٤٧. والدر المنثور ١: ٥٩.

ابن شريك ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا حصين بن عبد الرحمن ، عن حميد ابن نيهان ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، أنه قال : قوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » ، قال آدم : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ، تب على إنك أنت التواب الرحيم ^(١) .

٧٨٧ - وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو غسان ، قال : أنبأنا أبو زهير - وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : أخبرنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان ، وقيس - جميعاً عن خصيف ، عن مجاهد في قوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات » ، قال قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا » ، حتى فرغ منها ^(٢) .

٧٨٨ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثني شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، كان يقول في قول الله : « فتلقى آدم من ربه كلمات » الكلمات : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين ، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فارحمي إنك خير الراحمين . اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فتب على إنك أنت التواب الرحيم ^(٣) .

٧٨٩ - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن النضر بن عري ، عن مجاهد : « فتلقى آدم من ربه كلمات » هو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا » الآية ^(٤) .

٧٩٠ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن

(١) الأثر : ٧٨٦ - لم أجده في مكان . وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ثقة ، متروك في التهذيب ، وقال مصعب الزبيري : « وكان رجلاً صالحاً » . وقال أبو زرعة : « معاوية ، وعبد الرحمن ، وخالد - بنو يزيد بن معاوية : كانوا صالحى القوم » . وأما الراوى عنه « حميد بن نيهان » فلم أجده له ترجمة ولا ذكراً ، وأخشى أن يكون محرفاً عن شيء لا أعرفه .

(٢) الأثر : ٧٨٧ - في ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ ، والشوكاني ١ : ٥٨ .

(٣) الأثر : ٧٨٨ - في ابن كثير ١ : ١٤٧ .

(٤) الأثر : ٧٨٩ - انظر الأثر السالف رقم : ٧٨٧ .

ابن جريج ، عن مجاهد : « فتلقي آدم من ربه كلمات » ، قال : أى رب ، أنتوب علىّ إن تبت ؟ قال نعم . فتاب آدم ، فتاب عليه ربه ^(١) .

٧٩١ - وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

معمر ، عن قتادة فى قوله : « فتلقي آدم من ربه كلمات » ، قال هو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » ^(٢) .

٧٩٢ - حدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : هو قوله :

« ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » ^(٣) .

* * *

وهذه الأقوال التى حكيناها عن حكيناها عنه ، وإن كانت مختلفة الألفاظ ، فإن معانيها متفقة فى أن الله جل ثناؤه لقى آدم كلمات ، فتلقيها من آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن ، وتاب بقبوله إياهن وعمله بهن إلى الله من خطيئته ، معترفاً بذنبه ، متنصلاً إلى ربه من خطيئته ، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره ، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التى تلقاها منه ، ونلّمه على سالف الذنب منه . ١٩٥/١

والذى يدل عليه كتاب الله ، أن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه ، هن الكلمات التى أخبر الله عنه أنه قالها متنصلاً بقبولها إلى ربه ، معترفاً بذنبه ، وهو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . وليس ما قاله من خالف قولنا هذا - من الأقوال التى حكيناها - بمدفوع قوله ، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها ، فيجوز لنا إضافته إلى آدم ، وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه . وهذا الخبر الذى أخبر الله عن آدم - من قبله الذى لقاه إياه فقال له تائباً إليه من خطيئته - تعريف منه جل ذكره جميع المخاطبين

(١) الأثر : ٧٩٠ - لم أجده فى مكان .

(٢) الأثر : ٧٩١ - فى ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ .

(٣) الأثر : ٧٩٢ - فى ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ ، ومضى رقم : ٧٧٤

بكتابه ، كيفية التوبة إليه من الذنوب^(١) ، وتنبيه^{*} للمخاطبين بقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْْوانًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨] ، على موضع التوبة مما هم عليه من الكفر بالله ، وأن خلاصهم مما هم عليه مُقيمون من الضلالة ، نظير خلاص أبيهم آدم من خطيئته ، مع تذكيره لإياهم به السالف لإيهم من النعم التي نخص بها أباهم آدم وغيره من آبائهم .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : وقوله « فتاب عليه » ، يعنى : على آدم . والماء التى فى « عليه » عائدة على آدم . وقوله : « فتاب عليه » ، يعنى رزقه التوبة من خطيئته . والتوبة معناها الإنابة إلى الله ، والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ٣٧ قلنا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « إنه هو التواب الرحيم » ، أن الله جل ثناؤه هو التواب على من تاب إليه — من عباده المذنبين — من ذنوبه ، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه . وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربه ، إنابته إلى طاعته ، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يَسْخَطُه من الأمور التي كان عليها مقيماً مما يكرهه ربه . فكذاك توبة الله على عبده ، هو أن يرزقه ذلك ،

(١) فى المخطوطة : « التوبة من الذنوب » ، بالحذف .

ويؤوب له من غضبه عليه إلى الرضا عنه^(١) ، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه .

* * *

وأما قوله : « الرحيم » ، فإنه يعنى أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة . ورحمته إياه ،
إقالة عثرته ، وصفحته عن عقوبة جرمه .

* * *

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا القول فى تأويل قوله : « قلنا اهبطوا منها جميعاً »
فيما مضى ،^(٢) فلا حاجة بنا إلى إعادته ، إذ كان معناه فى هذا الموضع ، هو معناه
فى ذلك الموضع .

٧٩٣ - وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا
إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، فى قوله : « اهبطوا منها جميعاً » ، قال : آدم
وحواء والحية وإبليس^(٣) .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « فأما يأتينكم » ، فإن « يأتكم » . و « ما » التى مع
« إن » تأكيد للكلام ، ولدخولها مع « إن » أدخلت النون المشددة فى « يأتينكم » ،
تفرقة بدخولها بين « ما » التى تأتى بمعنى تأكيد الكلام - التى تسميها أهل العربية
صلة وحشواً - وبين « ما » التى تأتى بمعنى « الذى » ، فتؤذن بدخولها فى الفعل ، أن
« ما » التى مع « إن » التى بمعنى الجزء ، تأكيد ، وليست « ما » التى بمعنى « الذى » .
وقد قال بعض نحوي أهل البصرة^(٤) : إن « إمّا » ، « إن » زيدت معها « ما » ،

(١) فى المطبوعة : « ويؤوب من غضبه عليه » ، بالحذف .

(٢) انظر ص : ٥٣٤ .

(٣) الأثر : ٧٩٣ - لم أجده بهذا الإسناد ، وانظر ، ما مضى الأرقام : ٧٥٤ وما بعده .

(٤) فى المطبوعة : « نحوي البصريين » .

وصار الفعل الذي بعده بالنون الخفيفة أو الثقيلة ، وقد يكون بغير نون . وإنما حسنت فيه النون لما دخلته « ما » ، لأن « ما » نني ، فهي بما ليس بواجب ، وهي الحرف الذي ينفي الواجب ، فحسنت فيه النون ، نحو قولهم : « بعينٍ ما أرى نك » ، حين أدخلت فيها « ما » حسنت النون فيما ههنا .

وقد أنكرت جماعة من أهل العربية دعوى قائل هذه المقالة^(١) : أن « ما » التي مع « بعينٍ ما أرى نك » بمعنى الجحد ، وزعموا أن ذلك بمعنى التوكيد للكلام . وقال آخرون : بل هو حشو في الكلام ، ومعناها الحذف ، وإنما معنى الكلام : « بعين أراك » ، وغير جائز أن يُجعل مع الاختلاف فيه أصلاً يُقاس عليه غيره .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ مِنْى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ

هُدًى فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : والهدى ، في هذا الموضع ، البيان والرشاد . كما :-

٧٩٤ - حدثنا المنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم العسقلاني قال :

حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله : « فلما يأتينكم منى هدى » ١٩٦/١ قال : الهدى ، الأنبياء والرسل والبيان^(٢) .

فإن كان ما قال أبو العالية في ذلك كما قال ، فالخطاب بقوله : « اهبطوا » ، وإن كان لآدم وزوجته ، فيجب أن يكون مراداً به آدم وزوجته وذريتهما . فيكون ذلك حيثئذ نظير قوله : ﴿ قَالِ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [سورة فصلت : ١١] ، بمعنى أتينا بما فينا من الخلق طائعين ، ونظير قوله في قراءة

(١) في المطبعة : « وقد أنكرت جماعة ... دعوى قائل ... »

(٢) الأثر : ٧٩٤ - في ابن كثير : ١٤٨ ، والنور المنشور : ١ : ٦٣ ، والشوكاني : ١ : ٥٨ .

ابن مسعود : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْهِمْنَا مَنَاسِكَهُمْ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٨] ، فجمع قبل أن تكون ذرية ، وهو في قراءتنا « وأرنا مناسكتنا » . وكما يقول القائل لآخر : « كأنك قد تزوجت وولد لك ، وكثرتم وعزتم » ، ونحو ذلك من الكلام .

وإنما قلنا إن ذلك هو الواجب على التأويل الذي ذكرناه عن أبي العالية ، لأن آدم كان هو النبي أيام حياته بعد أن أهبط إلى الأرض ^(١) ، والرسول من الله جل ثناؤه إلى ولده . فغير جائز أن يكون معنياً — وهو الرسول صلى الله عليه — بقوله : « فلما يأتينكم مني هدى » ، خطاباً له ولزوجته ، « فلما يأتينكم مني أنبياء ورسول » ^(٢) إلا على ما وصفت من التأويل .

وقول أبي العالية في ذلك — وإن كان وجهاً من التأويل قد تحتمله الآية — فأقرب إلى الصواب منه عندى وأشبه بظاهر التلاوة ، أن يكون تأويلها : فلما يأتينكم يا معشر من أهبط إلى الأرض من سمائي ^(٣) ، وهو آدم وزوجته وإبليس — كما قد ذكرنا قبل في تأويل الآية التي قبلها — إما يأتينكم مني بيان من أمرى وطاعنى ، ورشاد إلى سببى ودينى ، فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإن كان قد سلف منهم قبل ذلك إلى معصية وخلاف لأمرى وطاعنى . يعرفهم بذلك جل ثناؤه أنه التائب على من تاب إليه من ذنوبه ، والرحيم لمن أناب إليه ، كما وصف نفسه بقوله : « إنه هو التواب الرحيم » .

وذلك أن ظاهر الخطاب بذلك إنما هو للذين قال لهم جل ثناؤه : « اهبطوا منها جميعاً » ، والذين خوطبوا به هم من سمينا في قول الحجة من الصحابة والتابعين الذين قد قدّمنا الرواية به عنهم ^(٤) . وذلك ، وإن كان خطاباً من الله جل ذكره لمن أهبط

(١) في المطبوعة : « هو النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٢) في المطبوعة : « ... مني هدى أنبياء ورسول ... » .

(٣) في المطبوعة : « فلما يأتينكم مني يا معشر من أهبطه ... » .

(٤) في المطبوعة : « الرواية عنهم » بالحذف .

حيثُذ من السماء إلى الأرض ، فهو سنة الله في جميع خلقه ، وتعريف منه بذلك الذين أخبر عنهم في أول هذه السورة بما أخبر عنهم في قوله ^(١) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٦] ، وفي قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨] ، وأن حكمة فيهم — إن تابوا إليه وأتوا واتبعوا ما أتاهم من البيان من عند الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم — أنهم عنده في الآخرة ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأنهم إن هلكوا على كفرهم وضلالهم قبل الإنابة والتوبة ، كانوا من أهل النار المخلدين فيها .

وقوله : « فن تبع هداى » ، يعنى : فن اتبع بيانى الذى آتيتُه على ألسن رُسلى ، أو مع رُسلى ^(٢) . كما : —

٧٩٥ — حدثنا به المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « فن تبع هداى » ، يعنى بيانى ^(٣) .

• • •

وقوله : « فلا خوف عليهم » ، يعنى فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله ، غير خائفين عذابه ، بما أطاعوا الله في الدنيا واتبعوا أمره وهُداه وسبيله ، ولا هم يحزنون يومئذ على ما خلّفوا بعد وفاتهم في الدنيا . كما : —

٧٩٦ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : « لا خوف عليهم » ، يقول : لا خوف عليكم أمامكم ^(٤) .

وليس شيء أعظم في صدر الذى يموت مما بعد الموت . فأمتهم منه وسلاهم عن الدنيا فقال : « ولا هم يحزنون » .

(١) في المطبوعة : « وتعريف منه بذلك للذين » .

(٢) في المطبوعة : « . . . بيانى الذى آتيتُه على ألسن رسل » .

(٣) الأثر : ٧٩٥ — لم أجده في مكان .

(٤) الأثر : ٧٩٦ — لم أجده في مكان .

وقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٩)

يعنى : والذين جحدوا آياتى وكذبوا رسلى. وآيات الله : حُجَجُه وأدلته على وحدانيته وربوبيته ، وما جاءت به الرُّسُل من الأعلام والشواهد على ذلك ، وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربها . وقد بينا أن معنى الكفر ، التغطية على الشئ^(١) .

« أولئك أصحاب النار » ، يعنى : أهلها الذين هم أهلها دون غيرهم ، المخلدون فيها أبداً إلى غير أمد ولا نهاية . كما : —

١٩٧/١ — ٧٩٧ — حدثنا به عُقبة بن سنان البصرى ، قال : حدثنا غسان بن مُضَر ،

قال حدثنا سعيد بن يزيد — وحدثنا سَوَّار بن عبد الله العنبرى ، قال : حدثنا

بشر بن المفضل ، قال : حدثنا أبو مَسْلَمَةَ سعيد بن يزيد — وحدثني يعقوب بن

إبراهيم ، وأبو بكر بن عون ، قالا : حدثنا إسماعيل بن عُليَّة ، عن سعيد بن يزيد —

عن أبي تَضْفَرَة ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أمّا أهل النار الذين هم أهلها فلأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أقواماً أصابَتْهم

النارُ بخطاياهم أو بذنوبهم ، فأما تهم إمامة ، حتى إذا صاروا فحماً ، أُذِنَ

في الشفاعة^(٢) .

(١) انظر ما مضى ص : ٢٥٥

(٢) الحديث : ٧٩٧ — رواه الطبرى هنا بثلاثة أسانيد ، تنتهى إلى سعيد بن يزيد . وذكره ابن كثير ١ : ١٥٨ ، ولكنه سها فذكر أنه رواه من طريقين ، وهى ثلاثة كما ترى :

« وعقبة بن سنان بن عتبة بن سنان البصرى » — شيخ الطبرى فى الإسناد الأول : ثقة ، سمع منه أبو حاتم ، وقال : « صدوق » . ولم أجد له ترجمة إلا فى الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٣١١ . و « غسان بن مضر الأزدى البصرى » : ثقة من شيوخ أحمد القدماء ، وقال أحمد : « شيخ ثقة ثقة » . وترجمه البخارى فى الكبير ١ / ١٠٧ ، وابن أبى حاتم ٣ / ٥١ . و « أبو بكر بن عون » — شيخ الطبرى فى الإسناد الثالث : لم أستطع أن أعرف من هو ؟ ولا أثر لذلك فى الإسناد ، فإن الطبرى رواه عنه وعن يعقوب بن إبراهيم الدورى ، كلاهما عن ابن علية . و « سعيد بن يزيد بن مسلمة أبو مسلمة الأزدى

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « يابنى إسرائيل » ولد يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم خليل الرحمن ^(١) وكان يعقوب يدعى « إسرائيل » ، بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه . و « إيل » هو الله ، و « إسرأ » هو العبد ، كما قيل : « جبريل » بمعنى عبد الله . وكما —

٧٩٨ — حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء ، عن ثُمير مولى ابن عباس ، عن ابن عباس : أن إسرائيل كقولك : عبد الله ^(٢) .
٧٩٩ — وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : « إيل » ، الله بالعبرانية ^(٣) .

البصرى : « تابعى ثقة » ، روى له الجماعة . وترجمه البخارى ١ / ٢ / ٤٧٦ ، وابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٧٣ . وكنيته « أبو مسلمة » بالميم فى أولها . ووقع فى تفسير ابن كثير « أبو سلمة » بحذفها ، وهو خطأ مطبعي . وهذا الحديث رواه مسلم ١ : ٦٧ - ٦٨ ، وابن ماجة : ٤٣٠٩ - كلاهما من طريق بشر بن الفضل ، عن سعيد بن يزيد أبى مسلمة ، به . ولكنه عندهما أطول مما هنا . ولم يروه من أصحاب الكتب الستة غيرها ، كما يدل على ذلك تخريجهم فى جامع الأصول لابن الأثير : ٨٠٨٥ . وكذلك رواه الإمام أحمد فى المسند : ١١٠٩٣ (٣ : ١١ ح) عن ابن علية . ورواه أيضاً أحمد : ١١٧٦٩ (٣ : ٧٨ - ٧٩) ، ومسلم ١ : ٦٨ - كلاهما من طريق شعبة ، عن سعيد بن يزيد . وهو فى الحقيقة جزء من حديث طويل ، ورواه أحمد فى المسند ، مطولاً ومختصراً ، من أوجه ، عن أبى نضرة ، منها : ١١٠٢٩ ، ١١١٦٨ ، ١١٢١٨ ، ١١٢٢٠ (٣ : ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٦ - حلبى) .

(١) فى المطبوعة : « يا ولد يعقوب . . . » بزيادة النداء .

(٢) الخبر : ٧٩٨ - فى ابن كثير ١ : ١٤٩ ، والدر المنثور ١ : ٦٣ . وهذا إسناد صحيح . إسماعيل بن رجاء بن ربيعة : ثقة ، أخرج له مسلم فى صحيحه . حمير مولى ابن عباس : هو حمير بن عبد الله الهلالى ، مولى أم الفضل ، وقد ينسب إلى ولاء زوجها « العباس » ، كما ورد فى إسناد حديث آخر فى المسند : ٧٧ ، وقد ينسب إلى ولاء بعض أولادها ، كما فى هذا الإسناد . وهو تابعى ثقة ، ترجمه ابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٣٨٠ ، وأخرج له الشيخان وغيرهما .

(٣) الأثر : ٧٩٩ - فى الدر المنثور ٦ : ٦٣ . و « المنهال » : هو ابن عمرو الأسدى . و « عبد الله بن الحارث » : هو الأنصارى البصرى أبو الوليد ، وهو تابعى ثقة .

ولما خاطب الله جل ثناؤه بقوله : «يا بني إسرائيل» أحبار اليهود من بني إسرائيل ، الذين كانوا بين ظهرانتي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنسبهم جل ذكره إلى يعقوب ، كما نسب ذرية آدم إلى آدم ، فقال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [سورة الأعراف : ٣١] وما أشبه ذلك . وإنما خصهم بالخطاب في هذه الآية والتي بعدها من الآي التي ذكرهم فيها نعمه — وإن كان قد تقدم ما أنزل فيهم وفي غيرهم في أول هذه السورة ما قد تقدم — أن الذي احتج به من الحجج والآيات التي فيها أنباء أسلافهم ، وأخبار أوائلهم ، وقصص الأمور التي هم بعلمها مخصوصون دون غيرهم من سائر الأمم ، ليس عند غيرهم من العلم بصحته وحقيقته مثل الذي لهم من العلم به ، إلا لمن اقتبس علم ذلك منهم . فعرفهم بإطلاع محمد على علمها — مع بعد قومه وعشيرته من معرفتها ، وقلة مزاوله محمد صلى الله عليه وسلم دراسة الكتب التي فيها أنباء ذلك ^(١) — أن محمداً صلى الله عليه وسلم

(١) قوله : « وقلة مزاوله محمد صلى الله عليه وسلم دراسة الكتب . . . » ، هو كما نقول اليوم في صارتنا المحدثه : « وعدم مزاوله محمد . . . » . قال الجاحظ في البيان والتبيين ١ : ٢٨٥ : « واستجار عون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، بمحمد بن مروان بنصبين ، وتزوج بها امرأة فقال محمد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : « كثيرة المقارب ، قليلة الأقارب » . يريد بقوله : « قليلة » ، كقول القائل : « فلان قليل الحياء » ، وليس يريد أن هناك حياء وإن قل . يضمنون : « قليلا ، في موضع » ليس . انتهى . قلت : ومنه قول دريد بن الصمة في أخيه :

قليلُ النَّشَكِي لِلْمَصِيبَاتِ ، حَافِظٌ مِّنَ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ

وسأقي قول الطبري في تفسير قوله تعالى من (سورة البقرة : ٨٨) « قليلا ما يؤمنون » : (١) : ٣٢٤ ، بلاق) : « وإنما قيل : قليلا ما يؤمنون ، وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب : « قلما رأيت مثل هذا قط » . وقد روى عنها سماعاً منها : « مررت ببلاذ قلما تنبت إلا الكراث والبصل » ، يعني ما تنبت غير الكراث والبصل ، وما أشبه ذلك من الكلام الذي ينطق به بوصف الشيء بالقلّة ، والمعنى فيه نفي جميعه » ، انتهى .

وفي الحديث : « إنه كان يقل اللغو » أي لا يلفو أصلا ، قال ابن الأثير : وهذا اللفظ يستعمل في نفي أصل الشيء (اللسان : قلل) .

ولولا زمان فسد فيه اللسان ، وقيل الإيمان ، واشتدت بالمتهمين الجرأة على تفسير الكلمات ، وتصيد الشبهات — ولولا أن يقول قائل فينتري حل الطبري أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدارس كتب أهل الكتاب ، لكتبت في غنى عن مثل هذه الإطالة .

لم يصل إلى علم ذلك إلا بوحي من الله وتنزيل منه ذلك إليه — لأنهم من عليم صحة ذلك بمحل ليس به من الأمم غيرهم ، فلذلك جل ثناؤه خص بقوله : « يا بني إسرائيل » خطابهم . كما :-

٨٠٠ — حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله : « يا بني إسرائيل » ، قال : يا أهل الكتاب ، للأخبار من يهود^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : ونعمته التي أنعم بها على بني إسرائيل جل ذكره ، اصطفاؤه منهم الرسل ، وإنزاله عليهم الكتب ، واستنقاذه إياهم مما كانوا فيه من البلاء والضراء من فرعون وقومه ، إلى التمكين لهم في الأرض ، وتفجير عيون الماء من الحجر ، وإطعام المن والسلوى . فأمر جل ثناؤه أعقابهم أن يكون ما سلف منه إلى آبائهم على ذكر ، وأن لا ينسوا صنيعه إلى أسلافهم وآبائهم ، فيحل بهم من النقم ما أحل بمن نسي نعمته عنده منهم وكفرها ، وجحد صنائعه عنده . كما :-

٨٠١ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » ، أي آلائي عندكم وعند آبائكم ، لما كان نجاهم به من فرعون وقومه^(٢) .

٨٠٢ — وحدثني الثفي ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن

(١) الأثر ٨٠٠ — في الدر المنثور ١ : ٦٣ ، والشوكاني ١ : ٦١ بتمامه . وسيأتي تمامه في الأثر التالي .

(٢) الأثر ٨٠١ — من تمام الأثر السالف ، المراجع السالفة ، وابن كثير ١ : ١٤٩ .

الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله : « اذكروا نعمتى » ، قال : نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل ، وأنزل عليهم الكتب ^(١) .

٨٠٣ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : « اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم » ، يعنى نعمته التى أنعم على بنى إسرائيل ، فيما سمى وفيما سوى ذلك : فجّر لهم الحجر ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وأنجاهم من عبودية آل فرعون ^(٢) .

٨٠٤ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد في قوله : « نعمتى التى أنعمت عليكم » قال : نعمه عامة ، ولا نعمة أفضل من الإسلام ، والنعم بعد تبع لها ، وقرأ قول الله : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٣) [سورة الحجرات : ١٧]

وتد كبير الله الذين ذكركم جل ثناؤه بهذه الآية من نعمه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، نظير تدكير موسى صلوات الله عليه أسلافهم على عهده ، الذى أخبر الله عنه أنه قال لهم ، وذلك قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٠] .

• •

(١) الأثر : ٨٠٢ - في ابن كثير ١ : ١٤٩ .

(٢) الأثر : ٨٠٣ - في ابن كثير ١ : ١٤٩ وفيه : « وفيما سوى ذلك : أن فجر » ، بالزيادة .

(٣) الأثر : ٨٠٤ - لم أجده في مكان .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : قد تقدم بياننا فيما مضى — عن معنى العهد — من كتابنا هذا ^(١) ، واختلاف المختلفين في تأويله ، والصوابُ عندنا من القول فيه ^(٢) . وهو في هذا الموضع : عهدُ الله ووصيته التي أخذ على بني إسرائيل في التوراة ، أن يسيئوا للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسولٌ ، وأنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة أنه نبي الله ، وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله .

«أوف بعهدكم» : وعهدُهُ إليهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْ أَوْهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ١٢] ، وكما قال : ﴿ فَسَأُكْتِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا

(١) انظر ما مضى : ٤١٠ - ٤١٥ .

(٢) في المطبوعة : « قد تقدم بياننا معنى العهد فيما مضى من كتابنا . . . » ، غيروه ليستقيم الكلام على ما ألفوه .

النورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

٨٠٥ — وكما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وأوفوا بعهدى » الذى أخذتُ فى أعناقكم للنبيِّ محمد إذا جاءكم ، ^(١) « أوف بعهدكم » ، أى أنجزْ لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه ، بوضع ما كان عليكم من الإصر والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم ^(٢) .

٨٠٦ — وحدثنا المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية فى قوله : « أوفوا بعهدى أوف بعهدكم » ، قال : عهدُهُ إلى عباده ، دينُ الإسلام أن يتبعوه ، « أوف بعهدكم » ، يعنى الجنة ^(٣) .

٨٠٧ — وحدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « أوفوا بعهدى أوف بعهدكم » : أما « أوفوا بعهدى » ، فإعادت إليكم فى الكتاب . وأما « أوف بعهدكم » فالجنة ، عهدتُ إليكم أنكم إن عملتم بطاعتى أدخلتكم الجنة ^(٤) .

٨٠٨ — وحدثنى القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله : « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » ، قال : ذلك الميثاق الذى أخذ عليهم فى المائدة : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ

(١) فى الأصول : « ... اثني عشر نقيباً ، الآية » . و « النبي الأُمى ، الآية » . وآثرنا إتمام الآيتين ، كما جرينا عليه فيما سلف ، وفيما سيأتى .

(٢) فى المطبوعة : « ... للنبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءكم ... » ، وفى المراجع الأخرى .

(٣) الأثر : ٨٠٥ — من تمام الأثر السالف رقم : ٨٠٠ ، ورقم ٨٠١ ، ومراجع ما سلف .

(٤) الأثر : ٨٠٦ — فى ابن كثير ١ : ١٥٠ .

(٥) الأثر : ٨٠٧ — فى ابن كثير ١ : ١٥٠ .

قريباً) إلى آخر الآية [سورة المائدة : ١٢] . فهذا عهدُ الله الذي عهد إليهم ، وهو عهد الله فينا ، فنزّل أوفى بعهد الله وفنى الله له بعهدہ (١) .

٨٠٩ - وُحِدْتُ عن المنجاب ، قال : حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » ، يقول : أوفوا بما أمرتكم به من طاعتي ونهيئكم عنه من معصيتي في النبي صلى الله عليه وسلم وفي غيره ، « أوف بعهدكم » ، يقول : أرض عنكم وأدخلكم الجنة (٢) .

٨١٠ - وُحِدْتُ يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد في قوله : « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » ، قال : أوفوا بأمرى أوف بالذى وعدتكم ، وقرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ حتى بلغ ﴿ ومن أوفى بعهد من الله ﴾ [سورة التوبة : ١١١] ، قال : هذا عهد الله الذى عهد له (٣) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَلِأَيِّ فَا رَهْبُونٍ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « ولِأَيِّ فَا رَهْبُونٍ » ، ولِأَيِّ فَاخْشَوْا - وَاتَّقُوا أَيُّهَا الْمُضْيِعُونَ عهدى من بنى إسرائيل ، والمكذبون رسولى الذى أخذتُ ميثاقكم - فيما أنزلتُ من الكتب على أنبيائى - أن تؤمنوا به وتتبعوه - أن أُحِلَّ بكم من عقوبتى ، إن لم تنبئوا وتتوبوا إلىّ باتباعه والإقرار بما أنزلت إليه ، ما أحللتُ بمن خالف أمرى وكذب رُسلى من أسلافكم . كما :-

٨١١ - وُحِدْتُ به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ،

(١) الأثر : ٨٠٨ - لم أجده بنصه في مكان .

(٢) الأثر : ٨٠٩ - في ابن كثير ١ : ١٥٠ ، الدر المنثور ١ : ٦٣ ، والشوكاني ١ : ٦١ .

(٣) الأثر : ٨١٠ - لم أجده في مكان .

عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس : « ولإيّا فارهبون » ، أن أنزل بكم ما أنزل بمن كان قبلكم من
آبائكم من النّقيّمات التي قد عرفتم ، من المسخ وغيره ^(١) . ١٩٩/١

٨١٢ - وحدثنا المنثى بن إبراهيم ، قال : حدثني آدم العسقلاني ، قال : حدثنا
أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله : « ولإيّا فارهبون » ، يقول :
فاخشون .

٨١٣ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي : « ولإيّا فارهبون » ، يقول : ولإيّا فاخشون ^(٢) .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا

مَعَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « آمنوا » ، صدّقوا ، كما قد قدمنا البيان عنه
قبل ^(٣) . ويعنى بقوله « بما أنزلت » ، ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن .
ويعنى بقوله « مصدّقاً لما معكم » ، أن القرآن مصدّق لما مع اليهود من بنى إسرائيل من
التوراة . فأمرهم بالتصديق بالقرآن ، وأخبرهم جل ثناؤه أن في تصديقهم بالقرآن
تصديقاً منهم للتوراة ، لأن الذى فى القرآن من الأمر بالإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه
وسلم وتصديقه واتباعه ، نظير الذى من ذلك فى التوراة والإنجيل . ففى تصديقهم بما

(١) الأثر : ٨١٢ - من تمام الآثار السالفة الأرقام : ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٥ . وابن كثير ١ : ١٥٠ من تمام ما سلف فى ص ١٤٩ . المراجع المذكورة .

(٢) الأثر : ٨١٣ - فى ابن كثير ١ : ١٥٠ .

(٣) انظر ما مضى : ٢٣٤ ، ٢٣٥

أنزل على محمد تصديق^١ منهم لما معهم من التوراة ، وفي تكذيبهم به تكذيب^٢ منهم لما معهم من التوراة .

وقوله : « مصداقاً » ، قطع من الماء المتروكة في « أنزلته » من ذكر « ما »^(١) . ومعنى الكلام وآمنوا بالذي أنزلته مصداقاً لما معكم أيها اليهود ، والذي معهم : هو التوراة والإنجيل . كما : —

٨١٤ — حدثنا به محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، في قول الله : « وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم » ، يقول : إنما أنزلت القرآن مصداقاً لما معكم التوراة والإنجيل^(٢) .

٨١٥ — وحدثني المنني ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، مثله .

٨١٦ — وحدثني المنني ، قال : حدثنا آدم ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم » ، يقول : يامعشر أهل الكتاب ، آمنوا بما أنزلت على محمد مصداقاً لما معكم . يقول : لأنهم يجدون محمداً صلى الله عليه وسلم مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل^(٣) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : كيف قيل : « ولا تكونوا أول كافر به » ،

(١) قوله « قطع » ، أي حال . وانظر ما سلف ص ٢٣٠ : تعليق : ٤ ، وص ٣٣٠ تعليق : ١ .

(٢) الأثر : ٨١٤ — في ابن كثير ١ : ١٥٠ تضيئاً ، والدر المنثور ١ : ٢٦٤ ، والشوكاني

١ : ٦١ .

(٣) الأثر : ٨١٥ — في ابن كثير ١ : ١٥٠ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكاني ١ : ٦١ .

(٣٦)

والخطاب فيه لجميع^(١) ، وقوله: «كافر» واحد؟ وهل نجيز - إن كان ذلك جائزاً - أن يقول قائل: «ولا تكونوا أول رجل قام»؟

قيل له: إنما يجوز توحيد ما أضيف له «أفعل» وهو خبر لجميع^(١) ، إذا كان اسماً مشتقاً من «فعل ويفعل» ، لأنه يؤدّي عن المراد معه المحذوف من الكلام وهو «مَنْ» ، ويقوم مقامه في الأداء عن معنى ما كان يؤدى عنه «مَنْ» من الجمع والتأنيث ، وهو في لفظ واحد . ألا ترى أنك تقول: ولا تكونوا أول من يكفر به . «فمن» بمعنى جميع^(١) ، وهو غير متصرف تصرف الأسماء للتثنية والجمع والتأنيث . فإذا أقيم الاسم المشتق من «فعل ويفعل» مقامه ، جرى وهو موحد مجراه في الأداء عما كان يؤدى عنه «مَنْ» من معنى الجمع والتأنيث ، كقولك: «الجيش مُنْهَزَم» ، «والجند مقبل»^(٢) ، فتوحّد الفعل لتوحيد لفظ الجيش والجند . وغير جائز أن يقال: «الجيش رجل ، والجند غلام» ، حتى تقول: «الجند غلمان والجيش رجال» . لأن الواحد من عدد الأسماء التي هي غير مشتقة من «فعل ويفعل» ، لا يؤدّي عن معنى الجماعة منهم ، ومن ذلك قول الشاعر:

وَإِذَاهُمْ طَعِمُوا فَأَلَأُمُ طَاعِمٍ وَإِذَاهُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعٍ^(٣)

فوحّد مرةً على ما وصفت من نية «مَنْ» ، وإقامة الظاهر من الاسم الذي هو مشتق من «فعل ويفعل» مقامه ، وجمع أخرى على الإخراج على عدد أسماء

(١) في المطبوعة في المواضع الثلاثة: «الجمع . . . الجمع . . . جمع» .

(٢) في المطبوعة: «الجيش ينهزم ، والجند يقبل» ، وهو خطأ صرف .

(٣) نوادر أبي زيد: ١٥٢ ، لرجل جاهل ، ومعاني القرآن للفراء: ١: ٣٣ ، وهي ثلاثة أبيات

نوادر ، وقبله :

وَمَوْيَلُّكَ زَمِعَ الْكِلَابِ يَسْبُنِي فَسَمَاعِ أَسْتَاةَ الْكِلَابِ سَمَاعِ
هَلْ غَيْرَ عَذْوِكُمْ عَلَى جَارَاتِكُمْ لِبَطُونِكُمْ مَلَكَ الظَّلَامِ دَوَاعِي

وقوله: «طعموا» أى شبعوا ، فهم عندئذ الأم من شبع . وفي الحديث: «طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة» ، يعنى شبع الواحد قوت الاثنين ، وشبع الاثنين قوت الأربعة .

المخبر عنهم ، ولو وحَّد حيث جمع ، أو جمع حيث وحَّد ، كان صواباً جائزاً^(١) .
وأما تأويل ذلك^(٢) ، فإنه يعنى به : يا معشر أخبار أهل الكتاب ، صدَّقوا
بما أنزلت على رسول محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن المصدَّق بكتابكم والذي
عندكم من التوراة والإنجيل ، المعهود إليكم فيهما أنه رسول ونبيّ المبعوث بالحق ،
ولا تكونوا أوّل أمّتكم كذَّبَ به^(٣) وجحد أنه من عندى ، وعندكم من العلم به ٢٠٠/١
ما ليس عند غيركم .

وكفرهم به : 'جحدوهم أنه من عند الله'^(٤) . والهاء التى فى « به » من ذكر
« ما » التى مع قوله « وآمنوا بما أنزلت » . كما : —

٨١٧ — حدثنى القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ،
قال قال ابن جريج ، فى قوله : « ولا تكونوا أوّل كافر به » ، بالقرآن^(٥) .
قال أبو جعفر : وروى عن أبى العالية فى ذلك ، ما : —

٨١٨ — حدثنى به المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن
الربيع ، عن أبى العالية : « ولا تكونوا أوّل كافر به » ، يقول : لا تكونوا أوّل من
كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم^(٦) .

وقال بعضهم : « ولا تكونوا أوّل كافر به » ، يعنى : بكتابكم . ويتأول أن فى
تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم تكذيباً منهم بكتابهم ، لأن فى كتابهم الأمر
باتباع محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذان القولان من ظاهر ما تدلّ عليه التلاوة بعيدان . وذلك أن الله جل ثناؤه

(١) انظر مثل ما قال الطبرى فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢ — ٣٣ .

(٢) فى المطبوعة : « فأما . . . » بالفاء .

(٣) فى المطبوعة : « أوّل من كذب به » ، والذي أثبتناه هو صواب بيان الطبرى .

(٤) فى المخطوطة : « وكفرهم به وحجودهم . . . » وهو خطأ .

(٥) الأثر : ٨١٧ — فى الدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكافى ١ : ٦١ .

(٦) الأثر : ٨١٨ — فى ابن كثير ١ : ١٥٠ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكافى ١ : ٦١ .

أمر المخاطبين بهذه الآية في أولها بالإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال جل ذكره : «وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» . ومعقول أن الذي أنزله الله في عصر محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن لا محمد ، لأن محمداً صلوات الله عليه رسول مرسل ، لا تنزيل مُنْزَل ، والمنزل هو الكتاب . ثم نهاهم أن يكونوا أول من يكفر بالذي أمرهم بالإيمان به في أول الآية ^(١) . ولم يجز لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ذكر ظاهر ، فيعاد عليه بذكره مكيناً في قوله : «ولا تكونوا أول كافر به» — وإن كان غير محال في الكلام أن يُذكر مكيناً اسم لم يجز له ذكر ظاهر في الكلام ^(٢) .

وكذلك لا معنى لقول من زعم أن العائد من الذكر في «به» على «ما» التي في قوله «لما معكم» . لأن ذلك ، وإن كان محتملاً لظاهر الكلام ^(٣) ، فإنه بعيد مما يدل عليه ظاهر التلاوة والتنزيل ، لما وصفنا قبل من أن المأمور بالإيمان به في أول الآية هو القرآن . فكذلك الواجب أن يكون المنهى عن الكفر به في آخرها هو القرآن ^(٤) . وأما أن يكون المأمور بالإيمان به غير المنهى عن الكفر به ، في كلام واحد وآية واحدة ، فذلك غير الأشهر الأظهر في الكلام . هذا مع بُعد معناه في التأويل ^(٥) .

٨١٩ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد

(١) في المطبوعة زيادة بين هاتين الجملتين ، وهي مقحمة مفسدة للكلام فإبية في السياق . ونصها «... في أول الآية من أهل الكتاب ، فذلك هو الظاهر المفهوم . ولم يجز لمحمد...» .

(٢) بيان الطبرى جيد محكم ، وإن ظن بعض من نقل كلامه أن كلا القولين صحيح ، لأنهما متلازمان . لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالقرآن (ابن كثير ١ : ١٥٠) . ونعم ، كلا القولين صحيح المعنى في ذاته ، ولكن الطبرى يحدد دلالة الألفاظ والضمائر في الآية ، ويعين ما يحتمله ظاهر التلاوة والتنزيل ، ويخلص معنى من معنى ، وإن كان كلاهما صحيحاً في العقل ، صحيحاً في الحكم ، صحيحاً في الدين . وما أكثر ما يتساهل الناس إذا تقاربت المعاني ، ولا يخلص معنى من معنى إلا بصير بالعربية كابى جعفر رضى الله عنه .

(٣) في المطبوعة : «محتمل ظاهر الكلام» .

(٤) في المخطوطة : «... أن الأمر بالإيمان به في أول الآية... أن يكون النهى عن الكفر به في آخرها...» ، والذي في المطبوعة أجود وأبين .

(٥) وهذا أيضاً من جيد البصر ؛ بمنطق العربية ، وإن ظنه بعضهم قريباً من قريب .

ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به » ، وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم ^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك :

٨٢٠ - فحدثني المنثني بن إبراهيم قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا » ، يقول : لا تأخذوا عليه أجرًا . قال : وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول : يا ابن آدم ، علِّمْ مَسْجَانًا كما علِّمْتَ مَسْجَانًا ^(٢) .

وقال آخرون بما : -

٨٢١ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا » ، يقول : لا تأخذوا طمعاً قليلاً وتكتسبوا اسم الله ، وذلك الثمن هو الطمع ^(٣) .

(١) الخبر : ٨١٩ - من تمام الأخبار السالفة الأرقام ٨٠٥ ، ٨١١ ، في الدر المنثور ١ : ٦٣ .
(٢) الأثر : ٨٢٠ - من تمام الأثر السالف رقم : ١٨٠ ومراجعته هناك . وفي ابن كثير ١ : ١٥١ .
والهجان : عطية الشيء بلا مئة ولا ثمن . قال أبو العباس : سمعت ابن الأعرابي يقول : الهجان عند العرب الباطل ، وقالوا : « ماء هجان » . قال الأزهري : العرب تقول : تمر « هجان » ، وماء « هجان » ، يريدون أنه كثير كاف . قال : واستطعنى أعرابي تمرًا فأطعمته كئلة واعتذرت إليه من قاتمه ، فقال : هذا والله « هجان » . أي كثير كاف . وقولهم : أخذه هجانًا : أي بلا بدل ، وهو قدال لأنه ينصرف (اللسان : مجن) .

(٣) الأثر : ٨٢١ - في ابن كثير ١ : ١٥١ . وفي المطبوعة وابن كثير : « فذلك الطمع هو الثمن » ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو أجود .

فتأويل الآية إذا : لا تبعوا ما آتيتكم من العلم بكتابي وآياته بضمن خسيس وعرض من الدنيا قليل. ويبيعهم إياه - تركهم إيانة - ما في كتابهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم للناس ، وأنه مكتوب فيه أنه النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل - بضمن قليل ، وهو رضاهم بالرياسة على أتباعهم من أهل ملتهم ودينهم ، وأخذهم الأجر ممن يبتنوا له ذلك على ما يبتنوا له منه .

وإنما قلنا بمعنى ذلك « لا تبعوا » ^(١) ، لأن مشترى الثمن القليل بآيات الله بائع الآيات بالثمن ، فكل واحد من الثمن والمثمن مبيع لصاحبه ، وصاحبه به مشترى : وإنما معنى ذلك على ما تأوله أبو العالية ^(٢) : يبتنوا للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا تبتغوا عليه منهم أجراً . فيكون حينئذ نهيهم عن أخذ الأجر على تبينه ، هو النهي عن شراء الثمن القليل بآياته .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾

قال أبو جعفر : يقول : فاتقون - في بيعكم آياتي بالحسيس من الثمن ، وشرائكم بها القليل من العرض ، وكفركم ، بما أنزلت على رسولي وجحدكم نبوة نبيي - أن أحيل بكم ما أحلت بأسلافكم الذين سلكوا سبيلكم من المثلات والنقيمات .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « ولا تلبسوا » ، لا تخلطوا . والتلبس هو الخلط .

(١) في المطبوعة : « وإنما قلنا معنى ذلك . . . » .

(٢) في المطبوعة : « وإنما معناه على ما تأوله . . . » .

يقال منه : لَبَسْتَ عليه هذا الأمر ألبسُهُ لبساً : إذا خلطته عليه^(١) . كما : —
 ٨٢٢ — حُدِّثَتْ عن المنجاب ، عن بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن
 الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيسُونَ﴾ [سورة الأنعام : ٩]
 يقول : لخلطنا عليهم ما يخلطون^(٢) .

ومنه قول العجاج :

لَمَّا لَبَسْنَا الْحَقَّ بِالَّتَجَنَّى غَنِينِ وَاسْتَبْدَلْنَ زَيْدًا مِنِّي^(٣)
 يعني بقوله : « لبسنا » ، خلطن . وأما اللبس فإنه يقال منه : لبسته ألبسه
 لبساً وملبساً ، وذلك الكسوة يكتسبها فيلبسها^(٤) . ومن اللبس قول الأخطل :
 لَقَدْ لَبِسْتُ لِهَذَا الدَّهْرِ أَعْصَرَهُ حَتَّى تَجَلَّلَ رَأْسِي الشَّيْبُ وَاسْتَعْلَا^(٥)
 ومن اللبس قول الله جل ثناؤه : ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيسُونَ﴾ . [سورة الأنعام : ٩]

• • •

فإن قال لنا قائل^(٦) : وكيف كانوا يلبسون الحق بالباطل وهم كفار ؟ وأي
 حق كانوا عليه مع كفرهم بالله ؟

قيل : إنه كان فيهم منافقون منهم يظهرن التصديق بمحمد صلى الله عليه
 وسلم ويستبطنون الكفر به . وكان عظمهم يقولون^(٧) : محمد نبي مبعوث ، إلا أنه

(١) في المطبوعة : « لبست عليهم الأمر . . . خلطته عليهم » .

(٢) الخبر : ٨٢٢ — لم أجده في مكان ، ولم يذكره الطبري في مكانه من تفسير هذه الآية في
 سورة الأنعام (٧ : ٩٨ بولاق) .

(٣) ديوانه : ٦٥ . غنى عن الشيء واستغنى : اطرحه ورمى به من عينه ولم يلتفت إليه .

(٤) في المطبوعة : « وذلك في الكسوة . . . » ، بالزيادة .

(٥) ديوانه : ١٤٢ ، وفيه « وقد لبست » . وأعصر جمع عصر : وهو الدهر والزمان . وعنى هنا
 اختلاف الأيام حلوها ومرها ، فجمع . ولبس له أعصره : عاش وقاسى خيره وشره . وتجلل الشيب رأسه :
 علاه .

(٦) في المطبوعة : « إن قال . . . »

(٧) في المطبوعة : « وكان أعظمهم . . . » ، وهو تحريف قد مضى مثله مراراً . وعظم الشيء :
 معظمه وأكثره .

مبعوث إلى غيرنا . فكان لبسُ المنافق منهم الحقَّ بالباطل ، لإظهاره الحقَّ بلسانه ، وإقراره بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به جهاراً^(١) ، وخلطه ذلك الظاهر من الحق بما يستبطنه^(٢) . وكان لبسُ المقرّ منهم بأنه مبعوث إلى غيرهم ، الجاحد أنه مبعوث إليهم ، إقراره بأنه مبعوث إلى غيرهم ، وهو الحق ، وجحوده أنه مبعوث إليهم ، وهو الباطل ، وقد بعثه الله إلى الخلق كافة . فذلك خلطهم الحق بالباطل ولبسهم إياه به . كما : —

٨٢٣ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قوله : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » ، قال : لا تخلطوا الصدق بالكذب^(٣) .

٨٢٤ — وحدثنى المثني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » ، يقول : لا تخلطوا الحق بالباطل ، وأدبوا النصيحة لعباد الله في أمر محمد صلى الله عليه وسلم^(٤) .

٢٠٢/١ ٨٢٥ — وحدثننا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » ، اليهودية والنصرانية بالإسلام^(٥) .
٨٢٦ — وحدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد في قوله : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » ، قال : الحق ، التوراة الذي أنزل الله على موسى ، والباطل الذي كتبه بأيديهم^(٦) .

* * *

(١) في المطبوعة : « وإقراره لمحمد . . . » .

(٢) في المطبوعة : « بالباطل الذي يستبطنه » .

(٣) الخبر : ٨٢٣ — في ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكاني ١ : ٦٢ .

(٤) الأثر : ٨٢٤ — في ابن كثير ١ : ١٥٢ .

(٥) الأثر : ٨٢٥ — لم أجده من مجاهد ، ومثله عن قتادة في ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ .

(٦) الأثر : ٨٢٦ — في الدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكاني ١ : ٦٢ .

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : وفي قوله « وتكتُموا الحق » ، وجهان من التأويل :
أحدهما : أن يكون الله جل ثناؤه نهاهم عن أن يكتُموا الحق ، كما نهاهم أن
يلبسوا الحق بالباطل . فيكون تأويل ذلك حينئذ : ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتُموا
الحق . ويكون قوله : « وتكتُموا » عند ذلك مجزوماً بما جُزِمَ به « تلبسوا » ، عطفاً عليه .
والوجه الآخر منهما : أن يكون النهي من الله جل ثناؤه لهم عن أن يلبسوا الحق
بالباطل ، ويكون قوله : « وتكتُموا الحق » خبراً منه عنهم بكتُمائهم الحق الذي يعلمونه ،
فيكون قوله : « وتكتُموا » حينئذ منصوباً لانصرافه عن معنى قوله : « ولا تلبسوا الحق
بالباطل » ، إذ كان قوله : « ولا تلبسوا » نهيّاً ، وقوله « وتكتُموا الحق » خبراً معطوفاً
عليه ، غيرَ جائز أن يعاد عليه ما عمل في قوله « تلبسوا » من الحذف الجازم . وذلك
هو المعنى الذي يسميه النحويون صرفاً^(١) . ونظيرُ ذلك في المعنى والإعراب قول
الشاعر :

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارُ عَلَيْنِكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ^(٢)

(١) ذكر هذا الفراء في كتابه معاني القرآن ١ : ٣٣ - ٣٤ ، ثم قال : « فإن قلت : وما
الصرف ؟ قلت : أن تأتي بالواو معطوفاً على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها ،
فإذا كان كذلك فهو الصرف ، كقول الشاعر : . . . » وأنشد البيت وقال : « ألا ترى أنه لا يجوز
إعادة « لا » في « تأتي مثله » ، فلذلك سمي صرفاً ، إذ كان معطوفاً ، ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذي
قبله » .

(٢) هذا من الأبيات التي رويت في عدة قصائد . كما قال صاحب الخزائفة ٣ : ٦١٧ . نسيه
سيبويه ١ : ٤٢٤ للأخطل ، وهو في قصيدة للشوكل اللبي ، ونسب لسابق البربري ، والطرماس ، ولأبي
الأسود الدؤلي قصيدة ساقها صاحب الخزائفة (٣ : ٦١٨) ، وليست في ديوانه الذي نشره الأستاذ محمد حسن آل
ياسين في (نفائس المخطوطات) طبع مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) ، وهذا الديوان من
نسخة بخط أبي الفتح عثمان بن جني . ولم يلحقها الأستاذ الناشر بأشعار شمر أبي الأسود التي جمعها .

فنصب «تأتى» على التأويل الذى قلنا فى قوله: «وتكتموا»^(١)، لأنه لم يرد: لا تنه عن خلق ولا تأت مثله، وإنما معناه: لا تنه عن خلق وأنت تأتى مثله، فكان الأول نهيًا، والثانى خبرًا، فنصب الخبر إذ عطفه على غير شكله. فأما الوجه الأول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتملهما، فهو على مذهب ابن عباس الذى :-

٨٢٧ - حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قوله: «وتكتموا الحق»، يقول: ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون.

٨٢٨ - وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «وتكتموا الحق»، أى ولا تكتموا الحق^(٢).

وأما الوجه الثانى منهما، فهو على مذهب أبى العالية ومجاهد.

٨٢٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبى العالية: «وتكتموا الحق وأنتم تعلمون»، قال: كنتموا بعث محمد صلى الله عليه وسلم^(٣).

٨٣٠ - وحدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن ابن أبى نجيع، عن مجاهد نحوه.

٨٣١ - وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيع، عن مجاهد نحوه.

(١) فى المطبوعة: «وتكتموا» الآية، لأنه...، وهو خطأ فى قراءة ما فى المخطوطة وهو: «وتكتموا إلا أنه لم يرد».

(٢) الخبران: ٨٢٧، ٨٢٨ - لم أجدهما بنصهما فى مكان، وثانيهما فى ضمن خبر ابن عباس الذى سلف تخريجه رقم: ٨١٩، وفى ابن كثير ١: ١٥٢، والدر المنثور ١: ٦٣.

(٣) الأثر: ٨٢٩ - لم أجده فى مكان.

وأما تأويل الحق الذى كتموه وهم يعلمونه ، فهو ما : -

٨٣٢ - حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وتكتموا الحق » ، يقول : لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم ^(١) .

٨٣٣ - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وتكتموا الحق » ، يقول : إنكم قد علمتم أن محمداً رسول الله ، فنهام عن ذلك ^(٢) .

٨٣٤ - وحدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : « وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ، قال : يكتم أهل الكتاب محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ^(٣) .

٨٣٥ - وحدثني الثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٨٣٦ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ، قال : الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم ^(٤) .

٨٣٧ - وحدثني الثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن

(١) الخبر : ٨٣٢ - فى ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٣ ، والشوكانى ١ : ٦١ .

(٢) الخبر : ٨٣٣ - فى الدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكانى ١ : ٦٢ ، إلا قوله : « فنهام عن ذلك » فى المطبعة . . . رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) الأثر : ٨٣٤ - فى ابن كثير ١ : ١٥٢ تفسيراً .

(٤) الأثر : ٨٣٦ - فى ابن كثير ١ : ١٥٢ تفسيراً ، وفى الدر المنثور ١ : ٦٤ ،

والشوكانى ١ : ٦٢ .

الربيع ، عن أبي العالية : « وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ، قال : كتّموا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم ^(١) .

٨٣٨ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد : تكتموا محمداً وأنتم تعلمون ، وأنتم تجدلونه عندكم في التوراة والإنجيل ^(٢) .

فتأويل الآية إذا : ولا تخطئوا على الناس - أيها الأخبار من أهل الكتاب - في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند ربه ، وتزعموا أنه مبعوث إلى بعض أجناس الأمم دون بعض ، أو تنافقوا في أمره ، وقد علمتم أنه مبعوث إلى جميعكم وجميع الأمم غيركم ، فتخطئوا بذلك الصديق بالكذب ، وتكتموا به ما تجدلونه في كتابكم من نعتة وصفته ، وأنه رسول إلى الناس كافة ، وأنتم تعلمون أنه رسول ، وأن ما جاء به إليكم فن عندى ، وتعرفون أن من عهدى - الذى أخذت عليكم في كتابكم - الإيمان به وبما جاء به والتصديق به .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : ذكر أن أخبار اليهود والمناقين كانوا يأمرون الناس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولا يفعلونه ، فأمرهم الله بإقام الصلاة مع المسلمين المصدقين بمحمد وبما جاء به ، وإيتاء زكاة أموالهم معهم ، وأن يخضعوا لله ولرسوله كما خضعوا .

٨٣٩ - كما حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

(١) الأثر : ٨٣٧ - لم أجده في مكان .

(٢) الأثر : ٨٣٨ - لم أجده بنصه في مكان . وفي المطبوعة : « تكتمون محمداً » .

أبيه ، عن قتادة ، في قوله : « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » ، قال : فريضتان واجبتان ، فأدُّوهما إلى الله ^(١) .

وقد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى من كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته ^(٢) . أما إيتاء الزكاة ، فهو أداء الصدقة المفروضة . وأصل الزكاة ، نماءُ المال وتثميُّه وزيادته . ومن ذلك قيل : زكا الزرع ، إذا كثر ما أخرج الله منه . وزَكَتِ النَّفَقَةُ ، إذا كثرت . وقيل زكا الفردُ ، إذا صارَ زَوْجاً بزيادة الرائد عليه حتى صار به شفعا ، كما قال الشاعر :

كَانُوا خَسَا أَوْ زَكَاءً مِنْ دُونِ أَرْبَعَةٍ لَمْ يَخْلُقُوا ، وَجُدُّو النَّاسِ تَمْتَلِجٌ ^(٣)

وقال آخر :

فَلَا خَسَا عَدِيدُهُ وَلَا زَكَاءَ شِرَارِ الْبَقْلِ أَطْرَافُ السَّافِ ^(٤)

قال أبو جعفر : السفا شوك البهمنى ، والبهمنى الذى يكون مُدَوِّراً في السلاء ^(٥) .

(١) الأثر : ٨٣٩ - لم أجده في مكان .

(٢) انظر ما مضى ص : ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٣) اللسان (خسا) ، وفيه : « الفراء : العرب تقول للزوج زكا ، والفرد خسا . . . قال ، وأنشدني الدبيري . . . » وأنشد البيت . وتمتليج : تصطرح ويمارس بعضها بعضها .

(٤) لرجل من بني سعد ، ثم أحد بني الحارث في عمرو بن كعب بن سعد . وهذا الرجز في خبر للأغلب العجل ، (طبقات فحول الشعراء : ٥٧٢ / ومجم الشعراء : ٤٩٠ / والأغانى ١٨ : ١٦٤) ورواية الطبقات والأغانى : « كما شرار الرعى » . والرعى (بكسر فسكون) : الكلاء نفسه ، والمرعى أيضاً . والسفا : شوك البهمنى والسنبيل وكل شيء له شوك . يقول : أنت في قومك كالسفا في البهمنى ، هو شرها وأخبثها . والبيت الأول زيادة ليست في المراجع المذكورة .

(٥) البهمنى : من أحرار البقول ، (وهي ما رقى منها ورطب وأكل غير مطبوخ) ، تنبت كما ينبت الحب ، ثم يبلغ بها النبت إلى أن تصير مثل الحب ، ترتفع قدر الشبر ، ونباتها ألطف من نبات البر ، وطعمها طعم الشعير ، ويخرج لها إذا يئست شوك مثل شوك السنبيل ، (وهو السفا) ، وإذا وقع في أنوف الإبل أنفت منه ، حتى يئزه الناس من أقواها وأنفوها . وفي المطبوعة : « في السل » بتشديد الياء ، وفي المخطوطة « في السل » بضم السين وتشديد اللام . والصواب ما أثبتته ، والسلام جمع سلاء ، وهي شوكة النخلة ، وأراد بها سفا البهمنى أى شوكتها .

يعنى بقوله : « ولا زكاة » ، لم يُصَيِّرْهم شفعاً من وترٍ ، بحدوثه فيهم ^(١) .

ولإنما قيل للزكاة زكاة ، وهى مالٌ يُخرجُ من مال ، لتشهير الله — بإخراجها مما أخرجت منه — ما بقى عند رب المال من ماله . وقد يحتمل أن تكون سُميت زكاة ، لأنها تطهيرٌ لما بقى من مال الرجل ، وتخليص له من أن تكون فيه مظلمة لأهل السهمان ^(٢) ، كما قال جل ثناؤه مخبراً عن نبيه موسى صلوات الله عليه : ﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [سورة الكهف : ٧٤] ، يعنى بريئة من الذنوب طاهرة . وكما يقال للرجل : هو عدل زكى — لذلك المعنى ^(٣) . وهذا الوجه أعجب إلى — فى تأويل زكاة المال — من الوجه الأول ، وإن كان الأول مقبولا فى تأويلها .

وليتأوها : لإعطائها أهلها .

وأما تأويل الرُكُوع ، فهو الخضوع لله بالطاعة . يقال منه : ركع فلانٌ لكذا وكذا ، إذا خضع له ، ومنه قول الشاعر :

يَبْعَثُ بِكَسْرِ لَيْمٍ وَاسْتَفْثَاتٍ بِهَا
مِنْ الْهَزَالِ أَبُوهَا بَعْدَ مَا رَكَعَا ^(٤)

(١) قوله : « بحدوثه فيهم » ، أى بوجوده فى هؤلاء القوم . والعديد (فى الرجز) ، من قولهم فلانٌ عديد بنى فلان : أى يمد فيهم وليس منهم : يريد أنه إذا دخل فى قوم لم يمد فيهم شيئاً ، فإذا كانوا شفعاً ، لم يصيرهم دخوله وترّاً ، وإذا كانوا وترّاً لم يصيرهم شفعاً ، فهو كلاً شىء فى المدد . يهبوه ويستسقطه .

(٢) السهمان جمع سهم ، كالسهام : وهو النصيب والحظ .

(٣) فى المطبوعة : « بذلك المعنى » وليست بشىء .

(٤) هذا البيت من أبيات لعصام بن عبيد الزماني (من بنى زمان بن مالك بن صعب بن عل بن بكر بن وائل) رواها أبو تمام فى الوحشيات رقم ١٣٠ (مخطوطة عندي) ، ورواها الحافظ فى الحيوان ٢٨١ : ٤ ، وجاء فيه : « قال الزيادى » وهو تحريف وتصحيف كما ترى . وهذه الأبيات من مناقضة كانت بين الزماني ويحيى بن أبى حفصة . وذلك أن يحيى تزوج بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى فهاجاه عصام الزماني وقال :

أَرَى حَجْرًا نَفِيرًا وَاقْشَعْرًا وَبُدُلٌ بَعْدَ حُلُوِّ الْعَيْشِ مُرًّا

فأجابه يحيى بأبيات منها :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي عَصَامًا بَأْنَى سَوْفَ أَنْقُضُ مَا أَمَرًا

هكذا روى المزمزاني فى معجم الشعراء : ٢٧٠ ، وروى أبو الفرج فى أغانيه ١٠ : ٧٥ أن يحيى

يعنى : بعد ما خضع من شدة الجهد والحاجة .

• • •

قال أبو جعفر : وهذا أمر من الله جل ثناؤه — لمن ذكر من أحبار بني إسرائيل ومناقبيها — بالإجابة والتوبة إليه ، وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والدخول مع المسلمين في الإسلام ، والخضوع له بالطاعة ؛ ونهى منه لهم عن كتمان ما قد علموه من نية محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد تظاهر حججه عليهم ، بما قد وصفنا قبل قيامه من كتابنا هذا ، وبعد الإعلان إليهم والإنذار ، وبعد تكبيرهم نعمه إليهم وإلى أسلافهم تعطفاً منه بذلك عليهم ، وإيلاً في المعنرة^(١) .

تم الجزء الأول من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الثانى وأوله :

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾

خطب إلى مقاتل بن طلبة المنقرى ابنه وأخيه ، فأنهم له بذلك . فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجليل ، فأتوه فزوجهم بنيه الثلاثة ، ودخلوا بهم ثم حلوهن إلى حبر ، (وهو مكان) .
وأبيات عصام الزباني ، ونقيضتها التى ناقضه بها يحيى ، من جيد الشعر ، فاقراها فى الوحشيات ، والحيوان ، والشعر والشمر : ٧٤٠ ، ورواية الحيوان والرحشيات

« يَبَيْتٌ بَوَكْسٍ قَلِيلٍ وَلَسْتَ قَلِيلٌ بِهَا »

الوكس : انقضاء الزمن فى البيع . وفى المخطوطة والمطبوعة « بكسر ليم » ، وهو تحريف لاسمى له ، وأظن الصواب ما أثبت اجتهداً . والكسر : أخس القليل . وقوله : « يبيت » الضمير لابنة مقاتل بن طلبة المنقرى التى تزوجها يحيى أو أحد بنيه . يقول : باعها أبوها بشمن بخس دفء غسيس ، فزوجها مستقيماً بيئها لما نزل به من الجهد والفاقة ، فزوجها هذا الفم الذى الفء ، ليستمين بمهرها .
(١) فى المطبوعة : « وإيلاً إلى الهم . . . » بالزيادة .

الفهْرِسْتُ

فهرس الآيات التي استدل بها في غير موضعها من التفسير

رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية آيات سورة آل عمران	رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية آيات سورة البقرة
٢٩٣، ٢٩٢	١٧٣	٥٥١	٦
٣٠١، ٢٧٥	١٧٨	٥٥١	٨
٤١٢	١٨٧	٧٥	١١
		٥٣٨	٢٢
		٥٤٧	٢٨
		٤٢٦	٢٩
		٢٨٩	٣٠
		٤١٣	٤٠
		٢٥٤	٤٠ وما بعدها
		٤١٠	٥٩
		٣١٥	١٠٨
		٢٧٠	١٠٩
		٥٥٠	١٢٨
		١٣١	١٤٦
		٢٥٤	١٥٩
		٣٠٣	١٩٤
		٦٠	٢٤٨
			آيات سورة آل عمران
		٢١٨، ٧٣	٧
		٣٠١	٥٤
		٣١٣	٧٥
		١٥١	١١٠

آيات سورة النساء

٤٢٠	١
٢٩٣	٥
١٧٨—١٧٧	٦٩—٦٦
٤٨	٨٢
٤٢٧	٩٠
٣٠٢	١٤٢
٣	١٦٥

آيات سورة المائدة

٤٢١	٧
٥٥٩—٥٥٧	١٢
٥	١٦
٥٥٦	٢٠
١٨٨، ١٨٥	٦٠
١٨٩—	
١٩٣—١٩٢	٧٧
١٠٦	١١٤

رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة	آيات سورة الأنعام
٥١١، ٣٠٢	٦٧	٢١٥	١
٣٠٢	٧٩	٥٦٧	٩
٥٥٩	١١١	٥٠٩، ٣٩٩	٤٤
٢٨٢-٢٨١	١٢٥، ١٢٤	٢٣٢-٢٣١	٩٢
٦١- ٦٠	١٢٩، ١٢٨	٣٠٨	١١٠
		١١١	١١٢
آيات سورة يونس		آيات سورة الأعراف	
٤٤٩	١٤	٥٠٢	١١
١٩٦، ١٥٤	٢٢	٥٠٢، ١٩٠	١٢
٣٧١	٣١	٥٣٣	١٣
٣٧٤	٣٨	٥٣٠، ٥٢٨	٢٠
٦٧	٥٧	٥٣١	٢٢
آيات سورة هود		٥٤٥، ٥٤٢	٢٣
٤٩١	٤٥	٥٤٦-	
٤٩٢	٤٧	٥٣٣	٢٧
١٤	٨٢	٥٥٤	٣١
٤٩٧	١١٩	٧٩	٣٣
آيات سورة يوسف		١٦٩	٤٣
١١	٢	٤٣٦، ١٥٦	٥٤
٩٤	٣	١٢٣	١٢٨، ١٢٧
٢٣٥	١٧	٥٥٨-٥٥٧	١٥٧، ١٥٦
١٥٢	٢٩	٤١٣	١٦٩
آيات سورة الرعد		٤٢٠، ٤١١	١٧٣، ١٧٢
٣	١٥	٧٤	١٨٧
		آيات سورة الأنفال	
		٩٨	٤١

رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية
٣٦٠	آيات سورة الكهف ٦٢	١١	آيات سورة إبراهيم ٤
٥٧٤	٧٤	٢٦٧، ٢٥٢	٢٩، ٢٨
	آيات سورة مريم	١٢٨	٣٤
١١٢	٤٦	٣٦٠	٤٣
	آيات سورة طه		آيات سورة الحجر
٤٧٦	٣٤، ٣٣	٩٤	٩
١٤٩	١٠٨	٤٥٩	٢٨
٥٣٣، ٥٢٧	١٢٠	١٤	٨٢
٥٤٤	١٢٢	١٠٩، ١٠٣	٨٧
	آيات سورة الأنبياء		آيات سورة النحل
١٤٩	٢٨	٤٣٥	١٥
٤٣٦	٣٠	١٢٨	١٨
٤٦٠	٣٧	٨٨، ٧٣	٤٤
٣٥٤	٩٠	٧٣، ١١	٦٤
	آيات سورة الحج	٥٤	١٠٣
٣٥٨، ٣٤٩، ٧٠	١١	١٦٩	١٢١
٢٧٢	٥٥		آيات سورة الإسراء
	آيات سورة المؤمنون	٢١٦	١
٤	٣٤، ٣٣	٤٥٦	١١
	آيات سورة النور	٣٧٨	٨٨
٤٨٦	٤٥	١٣٣	١١٠
	آيات سورة الفرقان		آيات سورة الكهف
٩٤	١	١٤٨، ٩٤	١
١٣١	٦٠	٢٦٨، ١٢٥	٣٨
		٥٠٤، ٥٠٣، ٤٠٩	٥٠
		٥٠٦—	

رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية
	آيات سورة يس		آيات سورة الشعراء
٥٤	٢٩	١٢، ١١	١٩٥-١٩٢
٤٢٤	٥١	٢٢٣	١٩٥-١٩٣
٥٤	٥٣		آية سورة النمل
	آيات سورة الصافات	٩٤	٧٦
١٦٨	٢٣		آية سورة العنكبوت
٥٠٥	١٥٨	٢٤٥	٦٤
	آيات سورة ص		آية سورة الروم
٨٢	٢٩	٤٠٣	٢٨
٢٢٦	٤٩، ٤٨		آيات سورة لقمان
٤٦٨	٧٢-٦٩		١
٤٥٩	٧٢-٧١	٢٣١	٢٨
٤٦٨	٨٥-٧٥	٣١٨	
٥٣٧	٧٦		آية سورة السجدة
	آيات سورة الزمر	٤٩٧	١٣
٤٢٠	٦		آيات سورة الأحزاب
٨٢	٢٨، ٢٧	١٧	٥
٣٢٠	٣٣	٤٢١	٧
	آيات سورة غافر	٣١٨	١٩
٤٢٠، ٤١٨	١١	٦٠	٢٣
١٤٩	١٦	٤٠٢	٣٧
٩١	٢٠	١٢٩	٤٣
١٧٠	٥٥		آية سورة سبأ
٥٣٨	٦٤	١٣	١٠

رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية آية سورة الطور	رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية آيات سورة فصلت
٣٠٧	٢٢	٤٣٥	١١-٩
		٥٤٩، ٤٦٣، ٤٣١	١١
	آية سورة القمر	٣١٣	١٧
٣٦٠	٤٣	١٤	٤٤
	آيات سورة الرحمن		آيات سورة الشورى
٥١٦	٦	٤٧٢	٥
٤٥٩، ٤٥٦	١٤	٢٦٥	٢٤
		٣٠٢	٤٠
	آيات سورة الواقعة		آيات سورة الزخرف
٢٦٤	١٧-٢٢	٩	١٨
١٥٥	٨٦	٩٩	٤٤
	آيات سورة الحديد	١٨٨	٥٥
٢٧٥	١٣	٣٧١	٨٧
٣٠١	١٣، ١٤		
٣٢٧-٣٢٦	١٣-١٥		آيات سورة الجاثية
١٣	٢٨	١٥١	١٦
	آيات سورة المجادلة	٢٦٣، ٢٦٢، ١٩٦	٢٣
٢٨٦	١٦	٢٦٥-	
٣٢٦، ٢٧٨	١٨		آية سورة محمد
	آية سورة الصف	٤١٥	٢٢
٢٩٩	١٤		آيات سورة الحجرات
	آية سورة الجمعة	٥٠١	٤
٤٧٦	١	٥٥٦	١٧

رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية
١٤٩	آية سورة النبأ ٣٨	٢٨٥	آيات سورة المنافقون ٢، ١
		٣٥٥	٤
٤٣٧	آية سورة النازعات ٣٠		آية سورة المعارج ٤٣
		٤٢٤	
٤٢٧	آية سورة التكويد ٢٦		آيات سورة المزمل ٦
		٥٢، ١٣	
١٥٥	آيات سورة الانفطار ١٠، ٩	٤٣١	١٨
			آيات سورة المدثر ٢، ١
٢٦٠	آية سورة المطففين ١٤	٩٧	
		٤٠٨	٣٢
		١٤	٥١
٣٠٨	آيات سورة العلق ٧، ٦		آيات سورة القيامة ١٨، ١٧
		٩٧-٩٥	
٤٧٢	آية سورة النصر ٣		آية سورة الإنسان ١
٥٣٣	سورة الناس	٤٦٦	

فهرس اللغة

(قرأ)	قرآن ، قرأت الشيء :	(غيب)	الغيب : ٢٣٦ ، ٢٣٧
	٩٤ - ٩٨	(كتب)	كتاب : ٩٧ ، ٩٩ ، ٢٢٧
(نبأ)	أنبا : ٤٥٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩	(لذب)	لاذب : ٤٥٦ ، ٤٥٩
		(لعب)	لعب : ٣٠١ ، ٣٠٢
		• • •	
(نشأ)	ناشئة : ١٣	(موت)	أمات ، ميت : ٤٢١ ، ٤٢٣
(هزأ)	مستهزئون : ٣٠٠		• • •
	يستهزئ بهم : ٣٠١ ، ٣٠٣	(زوج)	زوج ، أزواج : ٣٩٥
	• • •		زوجة ، زوج : ٥١٤
(أوب)	أوبى : ١٣		• • •
	أيتوب : ٥١٠	(سبح)	يسبح : ٤٧٢ ، ٤٧٤
(توب)	تاب ، التوبة : ٥٤٧		سبحان : ٤٧٤ ، ٤٩٥
(جوب)	استجاب : ٣٢٠		سبوح : ٤٧٥
(خضب)	خضيب : ١١٢	(صلح)	الإصلاح : ٧٥
(ربب)	رب ، مريبوب : ١٤١ - ١٤٣	(فتح)	فاتحة : ١٠٧
(رهب)	فارهبون : ٥٥٩	(فلح)	المفلحون : ٢٤٩
(ريب)	ريب : ٢٢٨ ، ٣٧٨		الفلاح : ٢٥٠
		• • •	
(صوب)	صيب ، صاب : ٣٣٣ - ٣٣٦	(حدد)	حد : ٧٢
		(حمد)	الحمد : ١٣٥ - ١٤١
(ضرب)	ضرب مثلاً : ٤٠٣	(خلد)	خالد : ٣٩٨ ، ٥٥٢
	ضرب أخماس لأسداس :		رعد : ٣٣٨ - ٣٤٢
	٤٠٣	(رغد)	رغد ، أرغد : ٥١٥
	العربي : ١٠٠	(شهد)	شهد ، شهداء : ٣٧٦ - ٣٧٧
(عرب)	المغضوب عليهم : ١٨٨ - ١٨٩		
(غضب)			

(صيد)	يصيدنا العير : ١٧٠	(سور)	سورة ، سور : ١٠٤
(عبد)	يعبد : ١٦٠ ، ٣٦٢	(شجر)	الشجر : ٥١٦
	معبد : ١٦١	(شعر)	يشعرون : ٢٧٧
	العبد : ١٦١	(صفر)	الصغار ، صاغر : ٤٦٠
(عهد)	العهد : ٤١١ - ٤١٥ ، ٥٥٧	(طهر)	مطهرة : ٣٩٥
(فسد)	يفسد ، الفساد ، الإفساد :	(ظهر)	ظهر ، ظاهر : ٧٢
	٤١٦ ، ٢٨٩ ، ٧٥	(غفر)	أستغفر الله ذنباً : ١٦٩
(مدد)	مدد هم : ٣٠٧ - ٣٠٩	(غير)	غير : ١٩٠
	أمد الجرح : ٣٠٧	(قدر)	قدر : ٣٦١
(ندد)	ندد ، أنداد : ٣٦٨	(قرر)	مستقر : ٥٣٨ - ٥٣٩
(وقد)	استوقد : ٣٢٠	(قسر)	قسورة : ١٤
	وقود : ٣٨٠	(كبر)	استكبر : ٥١٠
	* * *	(كفر)	الكفر ، كافر : ٢٥٥
(عوذ)	أعوذ : ١١١		٥٥٢ ، ٣٨٢
	* * *	(مور)	مور : ١٦١
(آخر)	الآخرة : ٢٤٥		* * *
	اليوم الآخرة : ٢٧١	(أنس)	إنسان ، الناس : ٢٦٨
(بشر)	بشر ، البشارة : ٣٨٣		(نوس) .
(بصر)	أبصار : ٣٥٩	(بلس)	إبليس : ٤٥٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٠
(تجر)	تجارة : ٣١٥ - ٣١٧		أبلس ، مبلس : ٥٠٩ ، ٥١٠
(حصر)	حصر : ٢٢٩	(جلس)	جليس ، مجالس : ٣٧٧
(خبير)	خبير : ٤٩٦	(قدس)	يقدس ، قدوس :
(خسر)	خاسر ، خسار : ٤١٧		٤٧٥ - ٤٧٦
(دبر)	دبر ، أديار : ٣٦٠ ، ٣٦١	(قرطس)	قرطاس : ١٥
		(لبس)	لبس يلبس ، تلبس :
(دئر)	دينار : ١٥		٥٦٦
(ذكر)	الذكر : ٩٩		لبس ، لبس : ٥٦٦
(سأر)	سؤرة ، سؤر ، أسأر :	(نوس)	الناس : ٢٦٨ (أنس)
	١٠٥ ، ١٠٦		
(سمر)	سمر ، جمع أسمر : ٣٠٢		

(فرش)	فراش : ٣٦٥	(حقق)	الحق : ٤٠٧
	* * *	(خلق)	خلق : ٤٢٧
(مرض)	مرض : ٢٧٨ ، ٢٨١	(رزق)	رزق : ٣٦٧
	يمرض : ٢٧٩	(سحق)	إسحاق : ٥١٠
(نقض)	نقض : ٤١١ ، ٤١٢	(صعق)	الصواعق : ٣٣٩
	* * *	(فرق)	الفرقان : ٩٨
(حوط)	محيط : ٣٥٦	(فسق)	فاسق ، الفسق : ٤٠٩ ، ٤١٠
(صرط)	صرط : ١٧٠ - ١٧١	(فوق)	فوق : ٤٠٥ ، ٤٠٦
(قسط)	قسطاس : ٢٠	(نفق)	النفاق ، المنافق : ٢٣٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢٤ -
(هبط)	هبط : ٥٣٤ ، ٥٤٨		٣٢٧ ، ٣٤٦ - ٣٦٣ ، ٤٠٨ ، ٤١٤
	* * *	(وثق)	ميثاق : ٤١٤
(بدع)	بديع : ٢٨٣		* * *
(خلدع)	يخدع : ٢٧٣	(ألك)	ملائكة ، ألوكة : ٤٤٤ -
(رجع)	يرجعون : ٣٣١ ، ٣٣٢		٤٤٧
(ركع)	ركع ، الركوع : ٥٧٤ ، ٥٧٥	(ملك)	مالك ، ملك : ١٤٨ ، ١٤٩
			* * *
(سمع)	سمع : ٣٥٩	(إسرائيل)	إسرائيل : ٥٥٣
(طلع)	مطلع : ٧٢	(جعل)	جاعل : ٤٤٧ - ٤٤٨ ، ٤٦٤
(قطع)	يقطعون : ٤١٥		ذلة ، المذلل : ١٦١
(متع)	متاع : ٥٣٩ ، ٥٤٠	(زلل)	أزل : ٥٢٤ ، ٥٢٥
(مصع)	مصع ، مصاع : ٣٤٥ ، ٣٤٦	(زول)	أزال : ٥٢٤ ، ٥٢٥
		(سجل)	سجّل : ١٤ ، ٢٠
(وجع)	وجيع : ٢٨٣	(صلل)	صلصال : ٤٥٦ ، ٤٥٩
	* * *	(ضلل)	الضالون : ١٩٥
(خطف)	يخطف ، خطفة ، خطاف : ٣٥٧	(طول)	طول ، إطالة : ١١٦
		(فصل)	المفصل : ١٠٤
(خلف)	خليفة ، خلافة : ٤٤٩		
(خوف)	الخوف : ١٦١		
(طرف)	طرف ، أطراف : ٣٦٠		
	* * *		
(برق)	البرق : ٣٤٢		

لحم ، لحيم : ٢٢٩	(لحم)	كفيل : ١٣	(كفل)
النجم : ٥١٦	(نجم)	مثل : ٤٠٣	(مثل)
نديم ، منادم : ٣٧٧	(ندم)	يوصل : ٤١٥	(وصل)
نعمة : ٥٥٥	(نعم)	آدم ، أديم ، أدمة ،	(أدم)
اليوم : ٢٧٢	(يوم)	إدام : ٤٨٠ - ٤٨٢	
* * *		أليم : ٢٨٣	(ألم)
آمن ، الإيمان : ٢٣٤ -	(أمن)	أم : ١٠٧	(أم)
٥٦٠ ، ٢٧١ ، ٢٣٥		أمة : ٢٢١	
بطن ، باطن : ٧٢	(بطن)	أبكم ، بكم : ٣٣١	(بكم)
بين : ١٦٥	(بين)	حكيم : ٤٩٦	(حكيم)
ثمن : ٥٦٥	(ثمن)	الحكم ، ختم : ٢٥٨ ،	(ختم)
جنة ، جنات : ٣٨٤	(جنن)	٢٦٢	
الجن : ٤٥٥ ، ٤٥٨ ،		درهم : ١٥	(درهم)
٥٠٧ - ٥٠٢		الرجيم : ١١٢	(رجم)
الجن : ٤٥٥ ، ٥٠٢	(حنن)	الرحمن : ١٢٦ - ١٣٤	(رحم)
حين : ٥٤٠	(حين)	الرحيم : ١٢٦ - ١٣٤ ،	
ذهين : ١١٢	(دهن)	٥٤٨	
دونك : ١٢٠	(دون)	السلام : ١٢٠	(سلم)
الدين : ١٥٥	(دين)	صم : ٣٣١	(صمم)
دين : ٢٢١		ظلمة ، ظلمات : ٣٣٨	(ظلم)
الرين : ٢٥٩ ، ٢٦٠	(رين)	ظالم ، مظلومة ، ٥٢٣ ،	
مسنون : ٤٥٦ ، ٤٥٩	(سنن)	٥٢٤	
شيطان ، شطن ، شطون ،	(شطن)	عقم : ٢٧٢	(عقم)
شاطن : ١١١ ، ١١٢ ،		العالمين : ١٤٣	(علم)
٢٩٦		عليم : ٤٣٨ ، ٤٩٦	
نستعين : ١٦١	(عون)	فقسم : ٥٢٧	(فقم)
لعين : ١١٢	(لعن)	قلم : ١٥	(قلم)
* * *		المستقيم : ١٧٠ ، ١٧١	(قوم)
الله ، إله ، إلهة :	(أله)	إقامة الصلاة : ٢٤١ ،	
١٢٢ - ١٢٦		٥٧٣	
		يكم : ٤٩٨ - ٥٠٠	(كم)

سلفه (سفه)	السفهاء : ٢٩٣	(سلا)	سلى : ٥٩ ، ٩٦
السفه : ٢٩٣ ، ٢٩٥		(سما)	سما ، سماوة : ٣٦٦ ، ٤٣١
متشابه : ٣٨٩			سما له يسمو : ٣٦٦
يعمهمون ، عمه : ٣٠٩ -		(سوى)	سواء : ٢٥٦
٣١٠			استوى على : ٤٢٨ -
• • •			٤٣٠
أبى : ٥١٠			سوى : ٤٣١
إيتاء الزكاة : ٥٧٤		(شرى)	اشترى ، اشتراء : ٣١١ -
آية : ١٠٦			٣١٥ ، ٥٦٥
أبدى يبدى : ٥٠٠		(صلا)	الصلاة ، صلى : ٢٤٢
بناء : ٣٦٧		(طفا)	طغيان : ٣٠٨
المثانى : ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٠		(عدا)	اعتدى : ٣٠٢
		(عطا)	إعطاء ، عطاء : ١١٦
استحى : ٤٠٢		(علا)	عليك : ١٢٠
أحيى ، حى : ٤٢١ ، ٤٢٣		(عمى)	عمى : ٣٣١
حواء : ٥١٣		(غشا)	غشاوة ، تغشاه : ٢٦٥
خلا إليه ، خلا به : ٢٩٨		(لقى)	تلقى ، لقى : ٥٤١ -
			٥٤٢
يدعو : ٣٧٧		(نوى)	النوى : ١١٢
الدنيا : ٢٤٥		(هدى)	هدى يهدى ، اهدنا :
دواة : ١٥			١٦٦ - ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ .
الرجاء : ١٦١			الْهُدَى : ٥٤٩ - ٥٥١
الزكاة : ٥٧٣ - ٥٧٤		(وفى)	أوفى : ٥٥٨
زكاً : ٥٧٣		(وفى)	المتقون ، اتقى : ٢٣٢ ، ٥٦٦ ، ٣٦٤
استرى ، استراء : ٣١٣			
السفا : ٥٧٣			

أعلام المترجمين في التعليق

[الأرقام في هذا الفهرست هي أرقام الآثار ، لا الصفحات]

- آدم العسقلاني (آدم بن أبي لياس)
 آدم بن أبي لياس (آدم العسقلاني)
 ١٨٦ ، ١٨٧
- إبراهيم الهجري (إبراهيم بن مسلم)
 إبراهيم بن العلاء (زبير بن) ١٤٠
 إبراهيم بن مسلم الهجري (إبراهيم الهجري) : ١١
- إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي : ٧٨
 أبو أحمد الزبيري (محمد بن عبد الله ابن الزبير الأسدي)
 أحمد بن إسحق : ١٧٧
 أحمد بن عبد الجبار العطاردى : ٦٦
- أحمد بن عبد الرحيم البرقي (أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم) (ابن البرقي) : ١٦٠
 أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم (ابن البرقي) : ٢٢ .
- أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي (أحمد بن عبد الرحيم)
 أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي : ٣٣٨
- أبو الأحوص الحشمي (عوف بن مالك بن نضلة)
 ابن إدريس (عبد الله بن إدريس الأودي)
- أبو الأزهر (نصر بن عمرو اللخمي)
 أبو أسامة (حماد بن أسامة)
 أسباط بن نصر الهمداني : ١٦٨
 إسحق الأنصاري (إسحق بن عبد الله ابن أبي طلحة)
 أبو إسحق السيعي (عمرو بن عبد الله)
 أبو إسحق الفزاري (الفزاري) : ١٢٩
 إسحق بن الحجاج الطاحوني : ٢٣٠
 إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة (إسحق الأنصاري) : ١٦
 أسد السنة (أسد بن موسى المرواني)
 أسد بن موسى المرواني (أسد السنة) : ٢٣
- إسماعيل الأزرق (إسماعيل بن سلمان)
 إسماعيل بن إبراهيم : ١٣١
 إسماعيل بن رجاء بن ربيعة : ٧٩٨
 إسماعيل بن سالم الأسدي : ٤٢٢
 إسماعيل بن سلمان (إسماعيل الأزرق) : ١٨١
 إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة (السدي - الكبير) : ١٦٨
 إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس الملقب (ابن أبي أويس) : ٤٥
 إسماعيل بن يحيى بن عبد الله التيمي : ١٤٠

بندار (محمد بن بشار)

أبو تميلة (يحيى بن واضح الأنصارى)

أبو ثابت (حرب بن ثابت)

ثابت بن هرمز (أبو المقدام) :

٦٤١ ، ٦٨٠

جابر الجعفي : ٧٦٤

جرير بن حازم : ٥٩٧

الجريري (سعيد بن إلياس البصري)

أبو جعفر الرازي التميمي : ١٦٤

جعفر الزبيرى (جعفر بن محمد بن

خالد)

جعفر بن عبد الله بن زيد بن أسلم :

٩٠ ، ٩١

جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير

الزبيرى : ٩٠ ، ٩١

جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي : ٨٧ ، ٦١٧

أبو الجلود الجوني (جيلان بن أبي

فروة)

أبو جهضم (موسى بن سالم)

أبو الجهم (أبو جهيم الأنصارى)

أبو جهيم الأنصارى (عبد الله بن

الحارث بن الصمة)

جوير بن سعيد الأزدي : ٢٨٤

جيلان بن أبي فروة (أبو الجلود) :

٤٣٤ ، ٧٢٣

الحارث الأعور (الحارث بن عبد الله

الأعور)

الأسود بن سريع : ١٥٤

الأشج (عمر بن عبد العزيز)

أشعث بن إسحق بن سعد القمي : ٨٧

أشعث بن سعيد البصري (أبو الربيع

السمان) : ٢٤

الأشعري (أبو موسى)

ابن الأعرابي (عوف بن أبي جميلة

العبدى)

الأودي (أحمد بن عثمان بن حكيم)

ابن أبي أويس (إسماعيل بن عبد الله

بن عبد الله بن أويس)

باذان (أبو صالح)

البحراني (محمد بن معمر بن ربيع)

أبو البختری (سعيد بن فيروز

الطائي الكوفي)

بدیل العقيلي (بدیل بن ميسرة)

بدیل بن ميسرة العقيلي : ١٩٨

أبو بردة بن أبي موسى الأشعري : ١٢٩

ابن البرقي (أحمد بن عبد الرحيم البرقي)

ابن البرقي (أحمد بن عبد الله بن

عبد الرحيم)

أبو بزة (يسار)

بسر بن سعيد مولى الحضرمي : ٤١

بشر بن إسماعيل : ٤٣٧

بشر بن عمارة الخثعمي : ١٣٧ ،

٦٢٦

بشر بن معاذ العقدي : ٣٥٢

بقية بن الوليد : ١٥٢

أبو بكر الهزلي (سلمى) : ٥٩٧

أبو بكر بن عون : ٧٩٧

ابن أخى الحارث الأعور : ١٧٤
الحارث بن عبد الله الأعور الحمداني : ١٧٤
الحجاج الأنماطى (الحجاج بن
المنهال)
حجاج بن رشدين بن سعد المصرى :
٧٦٣

حجاج بن محمد المصيصى : ١٤٤
الحجاج بن المنهال (الحجاج الأنماطى
٥٩٧ ، ٦٨٢

أبو حذيفة النهدي (موسى بن
مسعود)

حرب بن ثابت المنقرى : (أبو ثابت)
(حرب بن أبي حرب) : ١٦
حرب بن أبي حرب : (حرب بن
ثابت)

حزم بن أبي حزم) ٨٠

الحسن البصرى : ١٥٤

الحسن بن دينار : ٦٨٢

الحسن بن صالح بن صالح بن حى :
١٧٨

الحسن بن عطية بن سعد العوفى :
٣٠٥

الحسن بن القرات : ٤٣٨

الحسن بن الفرج : ٦٩١

الحسن بن محمد بن الصباح : ٦١١

الحسن بن يحيى : ٣١٣

حسين الجعفى (حسين بن على بن
الوليد)

الحسين بن الحسن بن عطية العوفى :
٣٠٥

الحسين بن داود (سنيد) : ١٤٤

حسين بن على بن الوليد الجعفى
(حسين الجعفى) : ٢٩ ، ١٧٤
أبو حصين (عثمان بن عاصم بن
حصين الأسدى)
حصين بن عبد الرحمن السلمى :
٥٧٩

حفص بن عبد الله : ٩٠ ، ٩١

الحكم بن ظهير الفزارى : ٢٤٩

الحكم بن عتبة : ٣٢

الحكم بن عمرو الثمالى (الحكم بن
عمير) : ١٥٢

الحكم بن عمير الثمالى (الحكم بن عمرو
التمالى) : ١٥٢

الحكم بن نافع (أبو اليمان) : ٨٧

حماد بن أسامة (أبو أسامة) : ٢٩ ،
٥١ ، ٢٢٣

حمزة الزيات (حمزة بن حبيب)

حمزة بن حبيب (حمزة الزيات) :
١٧٤

حمزة بن المغيرة بن نشيط : ١٨٤

أبو حميد : ١٢٩

حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى : ١٧٨

حميد بن نيهان : ٧٨٦

حميدة بن مسعدة السامى : ١٩٦

ابن الحنفية (محمد بن على بن أبي
طالب)

خالد بن دينار السعدى (أبو خلدة) :
٤٤

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي

سفيان : ٧٨٦

زبيد بن الحارث الياحي : ١٨٠
 زرّ بن حبّيش : ٢٩ ، ٢٧٤
 زكريا بن أبي زائدة : ١١٢
 زنبور (محمد بن يعلى السلمى)
 الزيات الأحول (عثمان بن سعيد)
 زياد البكائي : ٢٤٦
 زيد القصار : ١٤
 ابن زيد (عبدالرحمن بن زيد بن أسلم)

 أبو السائب (سلم بن جنادة السوائي)
 أبو السائب مولى زهرة : ٢٢١
 سابط : ٥٩٩
 ابن سابط (عبد الرحمن بن سابط)
 السدي الكبير (إسماعيل بن عبدالرحمن
 بن أبي كريمة)
 السري بن يحيى بن السري التميمي
 ١٤٦
 سعد (أبو المختار الطائي) : ١٧٤
 سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة :
 ٢٢٤
 سعد بن عبد الله بن عبد الحكم :
 ٤٣٦
 سعد بن محمد بن الحسن العوفي : ٣٠٥
 سعدويه الضبي الواسطي (سعيد بن
 سليمان)
 سعيد بن أشوع (سعيد بن عمرو بن
 أشوع)
 سعيد بن إياس البصري (الحريري) :
 ١٩٦
 سعيد بن بشير : ١٢٦
 سعيد بن جبير : ٦١٧

الخراز (علي بن الحسن بن عبد ربه)
 أبو الخطاب البصري : ٤٢٣
 خلاد بن عبد الرحمن الصنعاني : ٦٨٦
 أبو خلدة (خالد بن دينار السعدي)
 خلف بن ياسين بن معاذ الزيات :
 ٢٥٢

أبو داود الطيالسي : ٤٩
 ابن داية (عيسى بن ميمون المكي)
 الدورقي (يعقوب بن إبراهيم بن كثير)
 دينار بن عمر الأسدي الأعجمي (أبو
 عمر البزار) : ١٨١

ذكوان (أبو صالح السمان) : ٣٠٤

 أبو الربيع السمان (أشعث بن سعيد
 البصري)

ربيع بن أنس البكري : ١٨٩
 الربيع بن سليمان المرادي : ٢٣
 ربيعة بن الأبيض : ٤٣٩
 أبو رجاء (محمد بن سيف الأزدي)
 رشدين بن سعد : ١٩
 رفيع بن مهران (أبو العالية) : ٤٤ ،
 ١٨٤

رواد بن الجراح العسقلاني : ١٢٦
 أبو روق (عطية بن الحارث الحمداني)

زائدة بن قدامة : ٢٩

زبريق (إبراهيم بن العلاء)
 ابن الزبريق (إبراهيم بن العلاء)

سلمة بن الفضل : ٢٤٦
 سلمة بن كهيل الحضرمي : ٤٣٩
 سلمى (أبو بكر الهذلي)
 السلولى (عبد الله بن حمزة)
 أبو سنان (سعيد بن سنان الشيباني)
 سنيد (الحسين بن داود)
 سهل بن شعيب : ٦٦
 سهل بن موسى : ٩٩ : ١٨٠
 سهيل بن أبي حزم (سهيل أخو حزم) : ٨٠
 سهيل أخو حزم (سهيل بن أبي حزم)
 سيار أبو الحكم العنزي الواسطي : ٣٩
 ابن سيرين (محمد بن سيرين)

شبابه بن سوار الفزاري : ٣٧
 شبل بن عباد المقرئ : ٢٨٠
 شبيب بن بشر : ٤٨٥
 شريك بن عبد الله النخعي : ٢٣٨
 شعيب الجبائي (شعيب بن الأسود) :
 ٤٤٨
 شعيب بن الأسود (شعيب الجبائي) :
 ٤٤٨
 شقيق بن سلمة الأسدي (أبو وائل) :
 ١٧٧
 شيان بن فروخ : ٦٩٢

أبو صالح (عبد الله بن صالح
 المصري)

أبو صالح باذان : ١١٢ ، ١٦٨
 أبو صالح السمان (ذكوان) : ٤٢٢
 صالح بن مسمار السلمى المروزي :
 ٢٢٤

سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم
 المصري (ابن أبي مريم) : ٢٢
 سعيد بن سليمان (سعدويه الضبي
 الواسطي) : ٦١١
 سعيد بن سنان الشيباني (أبو سنان) :
 ١٧٥

سعيد بن أبي عروبة (ابن أبي عروبة)
 ١٦٣

سعيد بن عمرو بن أشوع الكوفي
 (سعيد بن أشوع) : ٤٣٩
 سعيد بن فيروز الطائي (أبو البختری)
 ١٧٥

سعيد بن أبي مريم (ابن أبي مريم) :
 ١٦٠

سعيد بن معبد : ٦٥١
 سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدي
 (أبو مسلمة) : ٧٩٧

ابن سفيان الأسلمي : ٦٦
 سفيان الثوري : ١١ ، ١٦١
 سفيان بن وكيع بن الجراح : ١٤٢ ،
 ٢٧٩ ، ١٤٣

سقيير العبدى (صقيير) (فلان
 العبدى) : ٢٥

سلام بن سالم الخزاعي : ٢٥٢
 سلام بن مسكين الأزدي : ٦٩٢
 سلم بن جنادة السوائي (أبو السائب) :
 ٤٨

سلمان الفارسي : ٣٣٧
 أبو سلمة العبدى (عمر بن الوليد الشني)
 أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف :
 ٦٧ ، ٨

أبو عبد الرحمن السلمي (عبد الله
ابن حبيب)

عبد الرحمن بن جبير بن نغير : ١٨٦ ،
١٨٧

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ابن
زيد) : ١٨٥ ، ٦١٤

عبد الرحمن بن سابط الجهمي
(عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط)
٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٩٩

عبد الرحمن بن عابس : ٥٠

عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط
(عبد الرحمن بن سابط)

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله
ابن أويس : ٤٥

عبد الرحمن بن أبي ليلى : ٣٢

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود :
٤٣

عبد الرحمن بن غزوان الخزاعي
(قراد) : ٥٥٥

عبد الرحمن بن محمد بن زياد (المحاربي)
٢٢١

عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن
أبي سفيان : ٧٨٦

عبد الرزاق بن عمر البزيعي : ٥٣٨ -
٥٥٣

عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد
البصري : ٣٤

عبد الله بن إدريس الأودي (ابن
إدريس) : ٨٨ ، ٤٣٨

عبد الله بن الحارث الأنصاري (أبو
الوليد) : ٧٩٩

صالح بن مسلم البكري : ١٠٣ ،
١١٤

أبو صديق الآملي (عبد الله بن
كثير)

صعصعة بن صوحان : ٦٤
صقير العبدى (سقير)

الضحاك بن مخلد (أبو عاصم النبيل)
١٥٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٤٨٥

الضحاك بن مزاحم الهلالى : ١٣٧

عاصم (ابن أنى النجود) : ٢٧٤
أبو عاصم النبيل (الضحاك بن مخلد)
عاصم بن بهدلة (ابن أبي النجود)
(عاصم بن أبي النجود) : ٢٩ ،
٨٨ ، ١٢٨

عاصم بن سليمان الأحول : ١٨٤

عاصم بن كليب الجرمي : ٦٥٤

عاصم بن أبي النجود (عاصم بن
بهدلة)

أبو العالية (رفيع بن مهران)

عامر بن عبد الله بن مسعود (أبو
عبيدة) : ٤٣

عباد بن حبيش : ١٩٤

عباد بن عبد الله الأسدي : ٣٣٧

عباس بن زياد الباهلي : ٢٤١

عبد الأعلى بن عامر الثعلبي : ٧٣

عبد الجبار العطاردى : ٦٦

عبد الحميد بن بيان القناد : ٣٠

عبد الحميد بن عبد الرحمن (أبو يحيى

الحماني) : ٧١٨

عبد الملك بن أبي سليمان (الزري) :
١٤٦

عبد الملك بن معن بن عبد الرحمن
(أبو عبيدة) : ٨٤

عبد الملك بن ميسرة الهلالي الزراد :
٥٠٣ ، ٥٠٤

عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر :
٦٣٦

عبدة ٩٩ : ٢٤٥

عبدة بن سليمان الكلبي : ٣٢٢
أبو عبيدة الوصابي (محمد بن حفص)
عبيد بن السبق : ٥٩ ، ٦٠

عبيد بن سنان الباهلي : ٣٩٢
عبيد الله بن حفص بن عاصم بن عمر :
٣٨ ، ١٧

عبيد الله بن محمد بن هارون الفريابي :
١٧

عبيد الله بن أبي يزيد المكي : ٢٠
أبو عبيدة (عبد الملك بن معن)
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود
(عامر بن عبد الله . . .)
عبيدة بن عمرو (قيس) السلماني :
٢٤٥

عبيدة بن قيس (عمرو) السلماني :
٢٤٥

عثام بن علي العامري : ٣٣٧
عثمان بن الأسود بن موسى المكي :
٤٤٦

عثمان بن زفر : ١٤٦
عثمان بن سعيد (الزيات الأحول) :
١٣٧

عبد الله بن الحارث بن الصمة (أبو
جهيم الأنصاري) : ٤١

عبد الله بن حبيب (أبو عبد الرحمن
السلمي) : ٨٢

عبد الله بن سابط : ٥٩٩
عبد الله بن مخبرة الأزدي (أبو معمر)
٧٨

عبد الله بن شقيق العقيلي : ١٩٦
عبد الله بن صالح المصري (أبو صالح)
١١٧ ، ١٨٦ ، ١٨٧

عبد الله بن ضمرة السلولي (السلولي) :
١٥٣

عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن
ابن أبي ليلى : ٣١ ، ٣٢ ، ٦٩

عبد الله بن كثير الداري : ٣٠٣
عبد الله بن كثير (أبو صديف
الأملي) : ١٨٤

عبد الله بن كثير بن المطلب السهمي :
٣٠٣

عبد الله بن لهيعة (ابن لهيعة) : ١٦٠
عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي
طالب : ١٧٨

عبد الله بن ميمون بن داود القداح :
١٧

عبد الله بن نمير : ٣٣
عبد الملك الزراد (عبد الملك بن
ميسرة)

عبد الملك بن حبيب الأزدي (أبو
عمران الجويني) : ٨٠
عبد الملك بن حسين (أبو مالك
النخعي الواسطي) : ٤٢٥

على بن الحسن بن عبلويه أبو الحسن
الخرّاز : ١٥٤

على بن زيد بن جدعان : ٤٠
على بن صالح بن صالح بن حي :
١٧٨

على بن أبي على اللهبى الهاشمى : ١٨
عمارة بن غزية : ٥٩ ، ٦٠

أبو عمر البزار (دينار بن عمر الأسدى)
أبو عمر الخزاز (النضر بن عبد الرحمن)
عمر بن عبد الرحمن بن مهرب (عمرو
بن عبد الرحمن بن مهران) ؟؟ :
٧٤٢

عمر بن عبد العزيز (الأشج) : ٥٤
عمر بن الوليد الشنى (أبو سلمة
العبدى) : ٤٣٥
أبو عمران الجوينى (عبد الملك بن
حبيب الأزدي)

عمران بن داور (أبو العوام) : ١٢٦
عمران بن ميسرة المنقرى : ٤٣٨

عمرو بن ثابت (ابن أبى المقدام
الحداد) : ٦٤١ ، ٦٨٠

عمرو بن حماد بن طلحة القناد (عمرو
ابن طلحة) : ١٦٨

عمرو بن دينار : ٤٢

عمرو بن طلحة القناد (عمرو بن
حماد بن طلحة)

عمرو بن عبد الرحمن بن مهران ؟ ؟
(عمر بن عبد الرحمن بن مهرب)
٧٤٢

عمرو بن عبد الله (أبو إسحق السبيعي) :

عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى
(أبو حصين) : ٦٤٢ ، ٦٤٣

ابن عثمة (محمد بن خالد)

ابن عجلان (محمد بن عجلان)

ابن أبى عروبة (سعيد)

عروة بن عبد الله بن قشير (.. قيس) :
٢١١

عروة بن عبد الله بن قيس (.. بن
قشير) : ٢١١

العزرى (محمد بن عبيد الله بن أبى
سليمان)

(عبد الملك بن أبى سليمان)

عطاء الخراسانى (عطاء بن أبى مسلم)

عطاء بن دينار المصرى : ١٦٠

عطاء بن السائب : ١٥٨

عطاء بن أبى مسلم (عطاء الخراسانى) :
١٤٩

عطية العوفى (عطية بن سعد)

عطية بن الحارث الهمداني (أبوروق) :
١٣٧

عطية بن سعد بن جنادة العوفى

(عطية العوفى) : ١٤٠ ، ٣٠٥ ،

عقبة بن سنان بن عقبة بن سنان

البصرى : ٧٩٧

عقيل بن خالد : ١٩

العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى

الحرقة : ٢٢١

أبو على الختلى (مجاهد بن موسى

ابن فروخ)

على بن بذيمة : ٦٢٩

فلان العبدى (سقير العبدى)
(صقير)

القاسم بن أبى بزة (القاسم بن نافع
بن أبى بزة)
القاسم بن نافع بن أبى بزة (القاسم
ابن أبى بزة) : ٦٣١
قبيصة بن عقبة بن محمد السوائى :
٤٨٩

قراد (عبد الرحمن بن غزوان)
قسامة بن زهير المازنى : ٥٣٧
القعقاع بن حكيم الكنانى : ٣٠٤
قيس بن الربيع : ١٥٩

أبو كثير : ٤٣٧
أبو كريب (محمد بن العلاء)
كعب الأحجاز : ١٥٣
الكلبى (محمد بن السائب)

ابن لهيعة (عبد الله بن لهيعة)
الليث بن سعد : ١٨٦ ، ١٨٧
ليث بن أبى سليم : ١٢٩
ابن أبى ليلى (محمد بن عبد الرحمن
ابن أبى لعل)

أبو مالك الغفارى (غزوان)
أبو مالك النخعى الواسطى (عبد الملك
ابن حسين)
مبارك بن فضالة : ١٥٤ ، ٥٩٧ ،

٦١١

عمرو بن مرة المرادى الجملى : ١٧٥
عمرو بن ميمون الأودى : ٥٠٣ ،
٥٠٤

عمير مولى ابن عباس (عمير بن
عبد الله الهلالى)
عمير بن عبد الله الهلالى (عمير مولى
ابن عباس) : ٧٩٨
عنيسة بن سعيد بن الضريس : ٢٢٤
عنتر بن عبد الرحمن (أبو وكيع) :
٤٠٥

أبو العوام (عمران بن داود)
عوف بن أبى جميلة العبدى الأعرابى
(ابن الأعرابى) : ١٥٠ ، ٥٣٧
عوف بن مالك بن نضلة (أبو الأحوص
الخشى) : ١٠

عيسى بن إبراهيم القرشى : ١٥٢
أبو عيسى بن عبد الله بن مسعود :
٤٣

عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى :
٣٠٠

عيسى بن قرطاس : ١٤
عيسى بن ميمون المكى : ٢٧٨

غزوان (أبو مالك الغفارى) : ١٦٨ ،
٥٧٩

غسان بن مضر الأزدي : ٧٩٧

الفرات بن السائب الجزرى : ١٨٠
فرات بن أبى عبد الرحمن القزاز :
٤٣٨

الفزارى (أبو إسحق الفزارى)

(محمد) : ٥٥ ، ٢٤٥
 محمد بن سيف الأزدي الحُداني
 (أبو رجاء) : ١٣٥
 محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى
 (ابن أبي ليلى) : ٣٢ ، ٣٣ ، ٦٣١
 محمد بن عبد الرحيم البرقي (محمد
 ابن عبد الله بن عبد الرحيم)
 محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي
 (أبو أحمد الزبير) : ١٥٩
 محمد عبد الله بن عبد الرحيم البرقي
 (محمد بن عبد الرحيم)
 محمد بن عبيد الطنافسي : ٤٠٥
 محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان
 (الغزوي) : ١٤٦
 محمد بن أبي عبيدة : ٨٤
 محمد بن عجلان (ابن عجلان) :
 ٣٠٤
 محمد بن العلاء (أبو كريب) :
 ١٥١
 محمد بن علي بن أبي طالب (ابن
 الحنفية) : ١٨١
 محمد بن عمرو بن علقمة : ٨
 أبو محمد بن أبي ليلى الكوفي : ٢٤٩
 محمد بن أبي محمد الأنصاري : ٢٤٦
 محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي
 (محمد بن مرزوق) : ٢٨
 محمد بن مرزوق (محمد بن محمد
 ابن مرزوق)
 محمد بن مسلم بن سوسن الطائفي :
 ٤٤٧

المثنى بن إبراهيم الأملی : ١٨٦ ،
 ١٨٧
 مجاهد : ١٦١
 مجاهد بن جبر : ٦٣٦
 مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمي
 (أبو علي الحنظلي) : ٥١٠
 المحاربي (عبد الرحمن بن محمد بن
 زياد)
 محمد (ابن سيرين)
 محمد بن إسحق بن يسار : ٢٢١
 محمد بن إسماعيل الأحمسي : ٤٠٥ ،
 ٧١٨
 محمد بن بشار (بن دار) : ٣٠٤
 محمد بن حجاج : ٣٤
 محمد بن جعفر : ١٣١
 محمد بن حفص (أبو عبيد الوصالي) :
 ١٢٩
 محمد بن حميد الرازي : ١٧٧
 محمد بن خازم الضرير (أبو معاوية)
 محمد بن خالد ابن عثمة : ٩٠ ، ٩١
 محمد بن ربيعة الكلبي الرؤاسي :
 ١٨١
 محمد بن السائب (الكلبي) : ٧٢ ،
 ٢٤٦ ، ٢٨٤
 محمد بن سعد بن محمد . . . العوفي :
 ٣٠٥
 محمد بن سعد بن منيع كاتب
 الواقدي : ٣٠٥
 محمد بن سلمة الباهلي الحارثي : ١٧٥
 محمد بن سنان القزاز : ١٥٧
 محمد بن سيرين (ابن سيرين)

محمد بن مصعب القرقيساني : ١٥٤ ،
١٥٨

محمد بن معمر بن ربيع (البحراني) :
٢٤١

محمد بن ميمون الزعفراني : ٢٦
محمد بن يعلى السلمي (زنبور) :
٤٢٣

محمود بن خدّاش الطالقاني : ١٧٨

أبو المختار الطائي (سَمَد) : ١٧٤

مرة بن شراحيل الهمداني : ١٦٨

مريّ بن قطري الكوفي : ١٩٥

ابن أبي مريم (سعيد بن أبي مريم)

ابن أبي مريم (سعيد بن الحكم بن
محمد بن سالم المصري)

مسعر بن كدام : ٥٠٣ ، ٥٠٤

مسلم بن سعيد مولى الحضري : ٤١

مسلم بن عبد الرحمن الجعفي (مسلم)

بن أبي مسلم (: ١٥٤)

مسلم بن أبي مسلم (مسلم بن عبد الرحمن)

أبومسلمة (سعيد بن يزيد بن مسلمة)

المسيب بن رافع الأسدي : ١٢٨

مصعب ؟؟ (محمد بن مصعب

القرقيساني)

أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي

المروزي : ٦٩١

أبومعاوية (محمد بن خازم الضرير)

معاوية صالح الحمصي : ١٨٦ ، ١٨٧

معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي

سفيان : ٧٨٦

أبو معمر (عبد الله بن سنجرة الأزدي)

مغيرة بن مقسم الضبي : ١٠ ، ٥٤

أبو المقدام (ثابت بن هرمز)
ابن أبي المقدام الحداد (عمرو بن
ثابت)

المنجاب بن الحارث بن عبد الرحمن

التميمي : ٣٢٢ - ٣٢٨

منصور بن المعتمر الكوفي : ١٧٧

المنهال بن عمرو الأسدي : ٣٣٧ ،

٣٩٩

مهدي بن ميمون : ٦٨٢

مهران : ١٧٧

مهران بن أبي عمر العطار الرازي :

١١ ، ١٦١

أبو موسى الأشعري : ٥٣٧

موسى بن أبي حبيب : ١٥٢

موسى بن سالم (أبو جهضم) : ٤٣٤

موسى بن سهل بن قادم أبو عمر الرملي :

١٨٠

موسى بن عبد الرحمن المسروقي : ١٧٤

موسى بن مسعود (أبو حذيفة النهدي) :

٢٨٠

موسى بن هرون الهمداني : ١٦٨ ،

٤٥٢ ، ٥٩١

...

الناقص (يزيد الناقص)

النبييل (أبو عاصم النبييل) (الضحاك

ابن مخلد)

ابن أبي النجود (عاصم بن بهدلة)

نصر بن عبد الرحمن بن بكار التاجي

الأزدي : ٤٢٣

نصر بن عمرو اللخمي (أبو الأزهر) :

١٤٩

يحيى بن إبراهيم بن محمد بن أبي
عبيدة : ٨٤

يحيى بن سعيد : ١٣١

يحيى بن أبي طالب جعفر بن الزبرقان :
٢٨٤

يحيى بن طلحة اليربوعي : ٤٢١

يحيى بن عوف : ١٨٠

يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التميمي
النشلي : ٣٠٠

يحيى بن واضح الأنصاري (أبو تميلة) :
٣٩٢ ، ٤٦١

يحيى بن يمان العجلي (ابن يمان) :
٨٧ ، ٦٣٠

يزيد الناقص (يزيد بن الوليد بن
عبد الملك بن مروان)

أبو يزيد المكي : ٢٠

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان :
٢٤٥

يزيد بن هرون : ٢٨٤ ، ٥١٠

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن

مروان (يزيد الناقص) : ٥٤

يسار (أبو بزة) : ٦٣١

يعقوب بن إبراهيم بن كثير

(الدورقي) : ٢٣٧ ، ٣٣٥

يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي :

٦١٧

ابن يمان (يحيى بن يمان العجلي)

أبو اليمان (الحكم بن نافع)

يونس بن يزيد الأيلي : ١٩

النضر بن عبد الرحمن (أبو عمر
الخزاز) : ٧١٨

أبو النضر (هاشم بن القاسم)

النواس بن سمعان الكلابي : ١٨٦ ،
١٨٧

هارون بن عنترة بن عبد الرحمن :
٤٠٥

هاشم بن القاسم (أبو النضر) :
١٨٤

هرمز : ٦٤١

هشام بن عبد الملك (أبو الوليد
الطيالسي) : ٢٨

هشيم بن بشير : ٣٣٥

أبو وائل (شقيق بن سلمة الأسدي)
واصل بن حيان : ١٠

أبو وكيع (عنترة بن عبد الرحمن) :
٤٠٥

وكيع بن الجراح : ١٤٢ ، ١٤٣

أبو الوليد (عبد الله بن الحارث
الأنصاري)

أبو الوليد الطيالسي (هشام بن
عبد الملك)

الوليد بن كثير المخزومي : ٢٢٣

وهب بن سليمان الجندى : ٤٤٨

أبو يحيى الحماني (عبد الحميد بن
عبد الرحمن)

مصطلحات

- التمانع : ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٨
 جماع (جمع) : ١٠٥ ، ٣٦١
 حروف المعاني
 حروف الصفات : ٢٩٩
 حروف الجر
 حشو (صلة ، زيادة) : ٤٥٨ ، ٥٤٩
 الدعاء (النداء) : ١٥٢
 الصرف : ٥٦٩
 الصلة (التطول ، الإلغاء) : ١٩٠ ، ٥٤٨ ، ٤٠٦ ، ٤٠٥
 ضمير (بمعنى مضمرة) : ٤٢٧ ، ٥٢٢
 الظاهر ، ظاهر التلاوة : ٧٢
 القطع (الحال) : ٢٣٠ - ٢٣٢ ، ٥٦١ ، ٣٣٠
 معرفة مؤقتة : ١٨١
 معرفة غير مؤقتة : ١٨١
 الواجب (المثبت) : ٥٤٩
- الائتناف (بمعنى الاستئناف) : ٣٢٩ ، ٢٤٨
 أهل الإثبات : ١٨٩
 أهل القلر (القدرية) : ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٩٥ ، ١٩٦
 الباطن : ٧٢
 التدافع : ٣٠٨
 ترجم ، ترجمة ، ترجمان ، مترجم : ٧٠ ، ٩٣ ، ١٧١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦
 التصدير (الإخراج على صيغة المصدر - والمفعول المطلق) : ١٣٨ ، ١١٧
 التطول (بمعنى الزيادة والحذف) : ١١٨ ، ٢٢٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١
 التعريب (الإعراب) : ٤٠٤
 التفسير للفعل (المفعول لأجله) : ٣٥٤
 التفويض : ١٦٢

الرد على الفرق

- دليلٌ على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر : ١٦٢
- دليل على فساد قول أهل القدر : إن كل مأمور بأمر فقد أعطى المعونة عليه : ١٦٨
- مخالفة غضب الله غضب الآدميين ١٨٩
- الردّ على أهل القدر في زعمهم أن وصف الله للنصارى بقوله : « الضالين » ، بإضافة الضلال إليهم ، دون إضافته إلى نفسه — دليلٌ على صحة مذهبهم : ١٩٥
- مسألة في الرد على أهل الإلحاد ، والطاعنين في القرآن : ١٩٨
- الردّ على أهل القدر في تأويلهم : « ختم الله على قلوبهم » ، أنه بمعنى تكبيرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق : ٢٦١ .
- الردّ على الجهمية في قولهم إن الإيمان هو التصديق بالقول ، دون سائر المعاني غيره : ٢٧٢
- الدليل على فساد قول من زعم أن الله لا يعذب من عباده إلا من كفر به عناداً ، بعد علمه بوحدايته : ٢٧٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ .
- الردّ على الذين يتأولون ألفاظ القرآن على معاني مذاهبهم كما في قوله تعالى : « الله يستهزئ بهم » ، وينفون عن الله ما وصف به نفسه من مثل قوله تعالى : « يخادعون الله وهو خادعهم » ، وقوله « ومكروا ومكر الله » : ٣٠١ - ٣٠٦
- الردّ على نفاة صفات الله عز وجلّ : ٣٠٥ .
- الدليل على فساد زعم من زعم أن تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله عز وجلّ ، غير جائز ، إلاّ بعد إعطاء الله المكلف المعونة على ما كلّفه : ٣٦٣
- الردّ على منكرى الاستواء : ٤٣٠

مباحث العربية والنحو وغيرها

- « فُعْلان » مصدر ، مثل خسران وكفران وقرآن وفرقان : ٩٥
- « فَعِيل » بمعنى مفعول ومفعولة . لحية دهين ، مدهونة ، ورجل لعين : ملعون ١١٢
- « فُعْلَة ، وفُعِّل » في الجمع ، مثل غرفة وغرف ، وسورة وسور : ١٠٤ ، ١٠٥ .
- الجمع الذي يفرق بينه وبين واحده بالهاء ، مثل بُرّ وُبرة ، وشعير وشعيرة . جعلت الواحدة منه مثل القطعة من جميعه ، فسبق الجمع الواحد ، لأن حكم الواحد منه قلما يصاب ، فجري جمعه مجرى الواحد من الأشياء غيره : ١٠٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٢
- العرب تُخرج المصادر على غير بناء أفعالها ، كقولهم : أكرمتُ فلاناً كرامة ، وأهنته هواناً ، وكلمته كلاماً : ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .
- العرب تضع اسم المصدر مكان المصدر في المفعول المطلق ، كقوله : « وبعد عطائك المنة الرتاعا » ، أى إعطائك : ١١٦ ، ١١٧
- العرب تبني الاسم من « فعل » مكسور العين « يفعل » مفتوح العين - على « فَعِيل » ، إذا كان فيه مدح أو ذم . ومن شأنهم أن يحملوا أبنية الأسماء على « فَعِيل » إذا كان فيها مدح أو ذم : ١٢٦
- العرب تبني الأسماء من « فعل » بكسر العين « يفعل » بفتحها على « فُعْلان » مثل : سكران وعطشان : ١٢٦ .
- القول في صيغة : « المفاعلة » و « التفاعل » بين اثنين ، وما شذ منهما للواحد ، كقولهم : « قاتلك الله » بمعنى قتلك الله : ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

• « فَعِيل » بمعنى « مُفْعِل » مثل « أَلِمَ » بمعنى مؤلم ، و « وَجِعَ » بمعنى موجد : ٢٨٣ .

• وزن « فَعِيل » في كلامهم : كصيب ، وسيد ، وجيد : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

• زيادة الألف في « أَفْعَل » من « فَعَلَ » ، كقولهم « مَدَّ » و « أَمَدَّ » : ٣٠٧ .

• « فَعِيل » بمعنى « فاعِل » مثل « شهيد » بمعنى « شاهد » وعليم بمعنى عالم : ٣٧٧ ، ٤٣٨ ، ٤٩٦ .

• « فَعِيل » بمعنى « مفاعل » مثل « شهيد » بمعنى مشاهد ، و « جليس » بمعنى مجالس : ٣٧٧ .

• زيادة التاء في الجمع كقولهم : « مسمع ومسامع ومسامعة » : ٤٤٥ .

• الاسم إذا لم يكن له نظير في أسماء العرب ، منعوه من الصرف تشبيهاً له بأسماء العجم ، مثل : « أيوب » فيقول من « آب يؤوب » ، و « إسحاق » من « إسحقه إسحاقاً » : ٥١٠ .

• العرب تترك الهمز في الكلمة المهموزة وتهمزها في أخرى ، فيجري كلامها بتركها في كل حال كقولهم : « رأى » ، ثم قالوا « يرى » حتى صار الهمز شاذاً ، وكقولهم « ملك » في المفرد ، و « ملائكة » في الجمع : ٤٤٠ .

• العرب ترفع المغرى به ، إذا أخرجت الإغراء وقدمت المغرى به ، وإن كانت تنصب به وهو مؤخر : ١٢٠ .

• العرب قد تخرج المفعول المطلق من كلمة على غير لفظها ، إذا اتفق معنى اللفظين ، كقولهم : « الحمد لله شكراً » : ١٣٨ .

• الفرق بين « حمداً لله » و « الحمد لله » : ١٣٨ .

• خطأ في كلام العرب إذا وصفت معرفة مؤقتة بنكرة ، أن تعربها بإعرابها إلا على نية التكرير . فن الخطأ أن تقول : « مررت بعبد الله غير العالم » ، يخفص « غير » ، إلا على نية تكرار الباء أي مررت بعبد الله ، مررت بغير العالم : ١٨١ ، ١٨٣ .

• لا تكاد العربُ تكني « بالهاء والميم » إلا عن أسماء بني آدم والملائكة ، كقوله : « ثم عرضهم على الملائكة » . وأما إذا أرادت أسماء البهائم وسائر الخلق سوى بني آدم والملائكة ، فلإنها تكني « بالهاء والألف » أو بالهاء والنون » فقالت : « ثم عرضها - أو عرضهن » . فإذا جمعت ذلك كله ، فلإنها تكني عنه أيضاً « بالهاء والألف » أو الهاء والنون . « هذا هو المستفيض في كلامهم . وربما أتت بالهاء والميم كقوله : « والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه ... » : ٤٨٥ - ٤٨٦ .

• إتباعُ الكلام بعضه بعضاً ، والعطفُ على الموضع ، كما في قراءة من قرأ : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة » بنصب « غشاوة » ، إتباعاً على موضع « سمعهم » إذ كان موضعها نصباً وهي مجرورة : ٢٦٤ .

• النصب والرفع ، في المدح والذم : ٣٢٩ .

• النصبُ في كلامهم للدلالة على المحذوف من الكلام ، كقولهم : « هي أحسن الناس ما قرناً فقلماً » أي ما بين قرن إلى قدم ، فلما حذفوا « بين » ، « وإلى » نصبوا ما بعدهما : ٤٠٥

• الكناية عن متأخر بالضمير ، كقوله : « ما أمر الله به أن يوصل » ، الهاء في « به » كناية عن « أن يوصل » ، أي بأن يوصل : ٤١٥

• الفعل الماضي إذا حُلَّ محل الحال اقتضى « قد » ، وتحذف على تقدير إضمارها : ٤٠٧ .

• العطف على مؤول ، وإعراب المعطوف بإعراب المؤول المعطوف عليه . كقول الشاعر : « أجلك لن ترى بشعيلبات . . . » ثم قال « ولا متدارك » بالجر . كأنه قال : لست براء ولا متدارك : ٤٤٣ - ٤٤٤ .

• نصب الفعل المعطوف على فعل مجزوم بالني ، إذا كان لا يستقيم معناه لو عطف عليه بالجزم ، كقوله : « لا تنه عن خلق وتأتى مثله » ، وهذا الذي يسمى « الصرف » : ٥٦٩ .

- العربُ تقدمُ الاسمَ ، ثم تتبعه صفاته ونعوته : ١٣٢
- العرب تقدر اللفظين من لفظ واحد ، ومعناهما واحد ، لاتساع الكلام .
مثل : نديم وندمان : ١٣٢ .
- المؤخر الذى هو بمعنى التقديم ، وكثرته فى كلام العرب : ١٤٧-١٤٨ .
- العربُ تخاطبُ ثم تخبر عن غائب ، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب : ١٥٣-١٥٤
- المقدم الذى هو بمعنى التأخير فى كلام العرب ، كقوله « كفانى » ، ولم أطلب ، قليل من المال : ١٦٤ .
- وقوع الاستفهام موقع الخبر ، إذا وقع موقع « أى » ، كما تقول : « لا نبألى أقمت أم قعدت » ، وأنت مخبر لا مستفهم ، ومعناه : ما نبألى أى هذين كان : ٢٥٦، ٢٥٧ .
- « كان » فى مثل قوله : « بما كانوا يكذبون » ، وإدخالها للخبر عن أنه كان فيها مضى ، كما يقال : « ما أحسن ما كان عبد الله » عجباً من عبد الله ، لا من كونه ، وإن وقع التعجب فى اللفظ على كونه : ٢٨٦ .
- إضافة الفعل إلى غير فاعله ، كقوله : « فا ربحت تجارتهم » ، أى فاربحوا فى تجارتهم : ٣١٦، ٣١٧ ، وكقولهم : « نام ليلى » وهو الذى نام فى ليله : ٣١٧ .
- وصف المضاف بصفة ، والمراد وصف المضاف إليه كقوله : « وأعور من نبهان أما نهاره فأعمى » ، أضاف العمى إلى الليل ، ومراده وصف النبهانى : ٣١٧ .
- متى يجوز للمتكلم أن يوجه الفعل إلى الفاعل أو المفعول إن شاء ، كقوله « وتلقى آدم من ربه كلمات » برفع « آدم » ، ونصب « كلمات » . ثم قراءة من قرأها بنصب « آدم » ورفع « كلمات » : ٥٤٢ .

• لا يعطف على جحدٍ إلا بجحدٍ ، وليس في كلامهم استثناء يعطف عليه بجحد : ١٨٤ .

• من شأن العرب إضافة الفعل إلى من وُجد منه ، وإن كان مسببه غير الذى وجد منه ، وتضيفه أحياناً إلى مسببه ، وإن كان الذى وجد منه الفعل غيره كقولهم : « تحركت الشجرة » والريح هى التى حركتها : ١٩٦ .

• الأسماء فى أصل الوضع للتمييز ، ولكن صار الأمر إلى اشتراك كثير من الناس فيها ، فاحتاجت إلى ضم نسبة أو نعت أو صفة للتمييز ٢١١ ، ٢١٢ .

• اللفظ الواحد الجامع لمعانى مختلفة مشتركة فيه : ٢٢٢ .

• الإشارة إلى الحاضر المعانين ، بإشارة غائب غير حاضر ولا معانين ، وجواز ذلك ، لأن كل ما تقتضى وقرب انقضاؤه من الإخبار به ، هو كالحاضر عند المخاطب ، وإن صار بمعنى غير الحاضر : ٢٢٥ - ٢٢٧ .

• النكرة لا تكون دليلاً على معرفة : ٢٣٢ .

• شبه الصفة بالفعل مثل « حسن » : ٢٨٦ .

• التذكر والتأنيث فى الكلمة الواحدة ، مثل : سماء ، وأرض : ٤٣١ ، ٤٣٢ .

• « الألف واللام » ، لا تقتضى الاستغراق ، كما فى قوله : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم » : ٢٩٢ .

• القلب فى مثل : جذب وجبذ : ٤٤٥ .

• إنما يوجه كلام كل متكلم إلى المعروف فى الناس من خارجه ، دون المجهول من معانيه : ٣٨٨ .

• غير جائز إبطال حرف كان دليلاً على معنى فى الكلام : ٤٤٠ .

• الأمر فى معنى الاستقبال : ٤٩٣ .

• الجزء ، أصله الاستقبال : ٥٢٢

• • •

- الخبر عن واحد يراد به الجمع ، كقوله : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً » ، فقال : « الذى » ، وهو خبر عن واحد : ٣١٨ .
- الواحد الذى يراد به الجمع كقوله : « لذهب بسمعهم » ، أى أسماعهم ، و « يرتد إليهم طرفهم » ، أى أطرافهم ٣٦٠ ، ٣٦١ .
- تشبه الجماعة بالجماعة ، والواحد بالواحد ، فلا يجوز أن يقال : كأن أجسام هؤلاء نخلة : ٣١٨ .
- الفرق بين تشبيه الجماعة بالواحد ، والخبر عن واحد يراد به الجمع : ٣١٨ .
- إخراج الكتابة عن الواحد فى لفظه مخرج الجمع ، كقوله : « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » : ٤٣١ .
- الجمع ورد الضمير إليه بالإفراد كقوله : « فإن الحوادث أرى بها » : ٤٣٢
- وصف المفرد فى اللفظ بالجمع كقولهم : برمة أعشار وثوب أخلاق : ٤٣٣ .
- العرب إذا أخبرت خبراً عن بعض جماعة ، بغير تسمية شخص بعينه ، تخرج الخبر عن بعضهم مخزج الخبر عن جميعهم ، كقولهم : « قتل الجيش وهزموا » ، وإنما قتل الواحد منهم ، أو بعضهم : ٥٠١ .
- « فاعل » وتأويله بمعنى « مَنْ فعل » ، وتوحيده على نية « مَنْ فعل » فى مقام الجمع : ٥٦٢
- كيف يجوز توحيد ما أضيف له « أفعل » ، وهو خبر عن جمع مثل قوله : « ولا تكونوا أول كافر به » : ٥٦٢ .
- توحيد الخبر لتوحيد اللفظ ، إذا كان مشتقاً من الفعل كقولك : « الجيش منهزم » ، ولا يجوز أن يقال : « الجيش غلام » ، لأنه غير مشتق من فعل : ٥٦٢ .

• • •

• من المستفيض في كلامها الزيادة في الكلمة، إذا لم يكن في الزيادة تلبيس على السامع نحو : « أقول إذ خرت على الكلكال » : ٢١٣، ٢١٤ .

• • •

• إسقاط حرف من كلمة وإدغام ما قبل المحذوف فيما بعده ، كما في قولهم « لكن أنا » ، « لكن » ، و « الإله » ، « الله » ، و « الأناس » ، « الناس » : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٦٨ .

• العرب تحذف ما كفى منه الظاهر في الكلام ، إذا لم تشكل في معرفة السامع مكان الحذف : ١٣٩ - ١٤١ ، ١٧٩ .

• حذف حرف النداء في كلام العرب : ١٥٢ .

• حذف حرف الجرّ ، وإيصال الفعل ، ونصب ما كان مجروراً به ، مثل « أستغفر الله ذنباً » و « يصيدنا العير » : ١٦٩ - ١٧٠ وكقولهم : « فلان يلعب الكعاب » ، يراد : يلعب بالكعاب ٣٠٧ .

• من المستفيض في كلام العرب أن ينقص المتكلم أحرفاً ، إذا كان فيما بقي دلالة ، نحو قولهم : « قلت لها : فنى ، قالت : قاف » وقولهم : « بالخير خيرات وإن شرافاً » : ٢١٢ - ٢١٣ .

• جواز ذكر ضمير كناية عن اسم لم يحرك له ذكر في الكلام : ٥٦٤ .

• حذف الفعل ، إذا كان في أول الكلام دليل يدل عليه : ٢٦٤

• الحذف وإستناد الفعل إلى غير فاعله ، كقولهم : « سبحت المدينة » والمعنى : أهل المدينة : ٢٧٩

• إبطال « كان » في قولهم : « حسنٌ كان زيد » ، لشبه الصفات بالفعل : ٢٨٦ .

• إبطال « كان » في قولهم « ما أحسن ما كان عبد الله » ، في التعجب ، لأن الفعل قد تقدمها : ٢٨٦ .

• حذف المضاف ، لدلالة ما بقى على ما حذف ، مثل قوله : « وشر المنايا ميّت وسط أهله » ، أى منية ميّت وسط أهله : ٣١٧ ، وقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » ، أى كبعث نفس : ٣١٨ .

• الحذف للإيجاز والاختصار ، إذا كان فيما بقى دلالة على ما ترك ، كقوله : « فما أدرى أرشد طلابها » ، أى : أم غي ، : ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٧١ .

• حذف الشرط في مثل قوله تعالى : « ولا تقربا هذه الشجرة ، فتكونا من الظالمين » ، أى ولا تقربا هذه الشجرة ، فإنكما إن قربتها كنتم من الظالمين : ٥٢١ .

• • •

• « إِيَّاكَ » ، وكافها ، وتكرارها : ١٦٤ .

• « بين » ، تكرارها مضافة إلى الظاهر كقوله : « بين الأشجّ وبين قيس . . . » : ١٦٥ .

• إثبات « لا » ، والمعنى إلغاؤها مثل : « في بئر لاحور سرى وما شعر » ، وقوله : « ويلحيني في اللهو أن لا أحبه » : ١٩٠ .

• « غير » بمعنى « سوى » : ١٩٠ ، ١٩١ .

• « غير » بمعنى النفي ، كقولهم : « أخوك غير محسن ولا مجمل » أى لا محسن ولا مجمل : ١٩١ .

• « لا » لا تأتي مبتدأة بمعنى الحذف إلا أن يتقدمها جحد : ١٩١ ، ١٩٢ .

• « بل » زيادتها في الكلام ، وفي إنشاد الشعر ، يبتدئ بها المنشد ليقطع كلاماً ، ويستأنف الآخر ٢١٠ ، ٢٢٣ .

• « بل » ومعناها ، وأنها تدخل في كلام رجوعاً عن كلام قد تنقضى : ٢٢٤ .

• « ذلك » بمعنى « هذا » : ٢٢٧ .

• زعم بعض نحاة البصرة أن حرف الاستفهام دخل مع « سواء » ، وليس

باستفهام ، بل هو تسوية ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

• « ما » المصدرية ، في مثل قوله : « بما كانوا يكذبون » عند البصريين : ٢٨٦ .

• تغير معنى الكلمة بتغير حرف الجرّ ، في مثل قولهم : « خلوت إلى فلان » .
من الخلاء به في حاجة ، و « خلوت به » ، بمعنى السخريّة به : ٢٩٨

• « إلى » بمعنى « مع » في قوله : « وإذا خلوا إلى شياطينهم » : ٢٩٨-٢٩٩ .

• « على » بمعنى « مین » ، و « في » و « الباء » ، و « عن » ، كقوله : « إذا رضيت على بنو قشير » ، بمعنى عنتى : ٢٩٩ .

• « على » تدخل مكان « الباء » كقولهم « مررت بفلان » و « مررت على فلان » ، و « الباء » مكان « على » كقوله تعالى : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار » ، أى على قنطار : ٣١٣ .

• لكل حرف من حروف الجرّ معنى هو أولى به من غيره ، فلا يصلح تحويل ذلك عنه ، إلا بحجة يجب التسليم لها : ٢٩٩ .

• حروف الجرّ يعاقب بعضها بعضاً : ٢٩٩ .

• « الذى » بمعنى « الذين » كقوله : « فإنّ الذى حانت بقلج دماؤهم » ، أى الذين : ٣٢٠ .

• « أو » بمعنى الشكّ ، كقولك « لقينى أخوك أو أبوك » ، وعيبتها بمعنى « الواو » التى تلحق المثل بالمثل ، كقوله : « لنفسى ثقاها أو عليها فجورها » ،
أى : وعليها فجورها . : ٣٣٦ ، ٣٣٧

• « الباء » فى الثلاثى مثل : « ذهب ببصره » ، بمعنى الرباعى : « أذهب بصره » : ٣٦٠ .

• « لعل » للشكّ ، وتأتى بمعنى التعليل ، مثل قوله : « لعلكم تتقون »
أى : لتتقوا ربكم : ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

• « مَنَّ » ، و « ما » بمعنى الذى - العربُ تعربُ صلاتهما بإعرابهما لأنهما يكونان نكرة أحياناً ومعرفة أحياناً ، كقوله . « وكفى بنا فضلاً على من غيرنا » بجر « غير » : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

• حذف « بين » و « إلى » فى مثل قولهم : « مطرنا ما زبالة فالتعلية » ، أى ما بين زبالة إلى التعلية : ٤٠٥ .

• « ما » وزيادتها فى الكلام : ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

• « ماذا » وتفسيرها : ما الذى : ٤٠٧ .

• « ذا » بمعنى « الذى » فى قولهم : « ماذا أراد » ، أى ما الذى أراد : ٤٠٧ .

• « كيف » بمعنى التوبيخ والتعجب ، لا بمعنى الاستفهام ، فى قوله : « كيف تكفرون بالله » : ٤٢٧ .

• « أين » بمعنى التوبيخ والتعجب ، لا بمعنى الاستفهام فى قوله : فأين تذهبون : ٤٢٧ .

• « قد » يقتضيا الفعل الماضى إذا حل محل الحال ، وحذفها وبقاؤها مضمرة ، كقوله : « أو جاءوكم حصرت صدورهم » ، أى : وقد حصرت

• « إذا » حرف زائد معناه الحذف : ٤٣٩ - ٤٤١ .

• « إذ » حرف بمعنى الجزاء ، ويدل على مجهول من الوقت : ٤٤٠ .

• « فإذا وذلك » بيان معناها فى مثل قوله : « فإذا وذلك لامهاه لذكره » : ٤٣٩ - ٤٤١ .

• « إذ » إذا تقدمها فعل مستقبل صارت علة للفعل وسبباً له ، كقولك : « أقوم إذ قمت » ، معناه : من أجل أنك قمت : ٤٩٣ .

• « إن » بمعنى « إذ » ، وفساد قول من قال ذلك : ٤٩٣ .

• « أن » بمعنى « إذ » : ٤٩٣ .

- « كى » تنصب الأفعال المستقبلية للزومها الاستقبال : ٥٢٢ .
- « الفاء » فى قوله « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وقعت فى موضع الشرط فنصب بها ، وأنزلوها منزلة « كى » : ٥٢١ ، ٥٢٢ .
- وجوب إضمار « أن » مع « لا » فى تأويل من قال : « ولا تقربا هذه الشجرة » بمعنى ولا يكن منكما قرب هذه الشجرة : ٥٢٢ .
- لا يجوز تأويل « أن » فى المصدر فى قولك : « عسى أن يفعل » فتقول : عسى الفعل : ٥٢٢ .
- لا يجوز إظهار « أن » فى قولك : « ما كان ليفعل » ، فتقول : ما كان لأن يفعل : ٥٢٢ .
- « الفاء » فى نية العطف على النهى ، كما فى قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ، أى ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين ، كأنه أراد تكرار النهى : ٥٢٢ .
- « ما » الزائدة ، فى قولهم « إمتا » و « بعين ما أرينك » : ٥٤٨ ، ٥٤٩ .
- « ما » نقي فى مثل قولهم : « بعين ما أرينك » : ٥٤٩ .
- « إمتا » وبيان تصرفها : ٥٤٨ .
- « من » للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، غير متصرفة تصرف الأسماء : ٥٦٢ .

فهرس التفسير

تصدير « تراث الإسلام »

المقدمة

٣-٧ خطبة التفسير

٨-١١٣ ﴿ رسالة التفسير ﴾ (مقدمة التفسير)^(١).

٨ ﴿ باب ﴾ : بيان اتفاق معاني القرآن ، ومعاني منطلق لسان العرب .

٩ تفاضل مراتب البيان ، وإعجاز القرآن .

١٠ بعض كلمات مسيلمة ، لعنه الله .

١١ لإرسال الرسل بلسان قومهم ، وأن الله لا يخاطب أحداً إلا بما يفهمه المخاطب .

١١ القرآن عربي

١٢ خصائص كلام العرب : الإيجاز والاختصار ، والإظهار والإخفاء ، . . .

١٣ ﴿ باب ﴾ : بعض ما اتفقت فيه ألفاظ العرب العجم

١٣ الأخبار من ١ - ٦ في ذكر كلمات من القرآن اتفقت مع ألفاظ العجم ، وقول من قال : في القرآن من كل لسان .

١٤ تأويل الطبري لهذه الأخبار ، واحتجاجه على أنه ليس في القرآن غير لسان العرب .

٢١ ﴿ باب ﴾ : اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب .

٢١ حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، وفيه رواياته : الأخبار من ٧-٦٦ .

(١) رأيت في ترجمة الطبري ، أنه كان يسمى «مقدمات كتبه» رسالة . وكان لكل كتاب من كتبه الكبيرة «رسالة» . وسأبين ذلك في ترجمته المفردة .

- ٤٦ استدلاله بهذه الأخبار على أن القرآن نزل ببعض لغات العرب دون جميعها ، وأن لغاتها أكثر من سبعة ، بما يعجز عن إحصائه .
- ٤٧ الردّ على من تأول هذه الأخبار أنها نزلت بأمر وزجر وترغيب وترهيب ، وأن أبواب اللجنة السبعة هي الأمر والزجر . . .
- ٤٨ اختلاف الأحرف السبعة اختلاف ألفاظ باتفاق المعاني .
- ٤٨ أن الذي سمارى فيه الصحابة ، كان اختلافاً في اللفظ ، دون ما تدل عليه التلاوة من التحليل والتحريم وما أشبه ذلك .
- ٤٩ أن الله لم ينزل كتابه إلا بحكم واحد متفق في جميع خلقه . وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقض في شيء واحد ، في وقت واحد ، بحكمين مختلفين ، ولا أذن بذلك لأمته .
- ٥٥ سؤال من سأل : أوجدنا حرفاً في كتاب الله مقروءاً بسبع لغات . وسياق مقالته وحجته .
- ٥٧ الرد على سؤاله ، وأن الأحرف السبعة هنّ لغات سبع ، في حرف واحد ، في كلمة واحدة ، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني
- ٥٨ الخبر عما كان من أمر الأحرف الستة الآخر .
- ٥٩ خبر زيد بن ثابت ، في شأن جمع القرآن على عهد أبي بكر . ثم اختلاف الناس على عهد عثمان ، وجمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد . الأخبار من ٥٩ - ٦٤ .
- ٦٣ الحكمة في جمع الناس على حرف واحد ، وصواب ما فعله عثمان .
- ٦٤ أن القراءة بالأحرف السبعة لم تكن أمر يوجب وفرض ، بل كانت أمر إباحة ورخصة .
- ٦٥ أن لاختلاف القراءة في الرفع والجرح والنصب ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة ، كما هي القراءة اليوم ، فليس من الأحرف السبعة في شيء . وأن المرء فيها لا يوجب كفراً .
- ٦٦ أن الأحرف الستة الآخر ، لا حاجة بنا إلى معرفتها .

- ٦٦ الأخبار في أن الألسنة خمسة من لسان العجز من هوازن ، وأن اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة .
- ٦٧ بيان العجز من هوازن .
- ٦٨ ﴿ باب ﴾ : نزول القرآن من سبعة أبواب الجنة .
الأخبار ٦٧ - ٧٠ وتأويل معانيها .
- ٧٢ شرح قوله صلى الله عليه في الخبر رقم : ١٠ : « لكل حرف منها ظهر وبطن ، والكل حرف حدّ ، ولكل حد مطلع » .
- ٧٣ ﴿ باب ﴾ : الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن .
- ٧٤ ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان رسول الله ، وما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار .
- ٧٥ وما يعلم تأويله كل ذي علم بلسان العرب .
- ٧٥ خبر ابن عباس : أن التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى .
- ٧٧ ﴿ باب ﴾ : الأخبار في النهى عن تأويل القرآن بالرأى .
- ٧٨ أن القائل في القرآن برأيه ، وإن أصاب الحق ، فقد أخطأ .
- ٨٠ ﴿ باب ﴾ : الأخبار في الحض على العلم بتفسير القرآن ، ومن كان يفسره من الصحابة .
- ٨٢ حث الله تعالى على الاعتبار بالقرآن وتدبره .
- ٨٤ ﴿ باب ﴾ : أخبار غلط في تأويلها منكر والقول في تأويل القرآن الأخبار من ٩٠ - ١٠٣ .
- ٨٧ شرح الطبري لهذه الآثار ، وبيان معانيها ، وبيان معنى قول عائشة إن رسول الله لم يكن يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعدد .
- ٩٠ ﴿ باب ﴾ : الأخبار عن كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير ، ومن كان منهم مذموماً علمه به .

- ٩٢ الوجوه الثلاثة في تأويل القرآن، وبيان إصاغة الحق في التفسير كيف تكون .
- ٩٤ ﴿ باب ﴾ : القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه .
- ٩٤ أسماء القرآن الأربعة ، وتفسيرها .
- ٩٤ معنى « القرآن »
- ٩٨ معنى « الفرقان »
- ٩٩ معنى « الكتاب »
- ٩٩ معنى « الذكر »
- ١٠٠ أسماء سور القرآن التي سماها بها رسول الله ، والأخبار في ذلك .
- ١٠١ معنى : « السبع الطول » ، وما هي
- ١٠٢ خبر الأنفال وبراءة .
- ١٠٣ معنى « المثنون »
- ١٠٣ معنى « المثنائي »
- ١٠٤ معنى « المفصل » ، « العربي »
- ١٠٤ معنى « سورة »
- ١٠٦ معنى « آية »

• • •

- ١٠٧ ﴿ باب ﴾ : القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب
- ١٠٧ معنى « فاتحة الكتاب »
- معنى « أم القرآن »
- ١٠٩ معنى « السبع المثنائي »

• • •

- ١١١ ﴿ باب ﴾ : القول في تأويل الاستعاذة

١١٣ خبر أول سورة أنزلت من القرآن : « اقرأ »

• • •

١١٤ ﴿ باب ﴾ : القول في تأويل : « بسم الله الرحمن الرحيم »

١١٤ الفعل الجالب للباء في « بسم »

١١٥ أن « اسم » بمعنى المصدر « تسمية »

١١٨ تعليق على صحة مذهب الطبري أن كلمة « اسم » مصدر جاء على غير بناء فعله ، بمعنى « تسمية » .

١١٨ أن القائل « بالله » عند تذكية البهائم والأنعام ، تارك ما سن له بإجماع الجميع .

١١٩ الردّ على قول من قال إن « اسم » زائد في بيت لبيد :

• إلى الحول ثم اسم السلام عليكما •

١٢٢ « الله » وبيان تفسيره

١٢٣ « الإله » و « الإلهة » وفعلهما

١٢٦ « رحمن » و « رحيم » ، وبيان الفرق بينهما ، وإن كان اشتقاقهما من « الرحمة »

١٣١ بطلان زعم من زعم أن العرب لم تكن تعرف « الرحمن »

١٣٢ خطأ من زعم أن « الرحمن » : ذو الرحمة ، وأن « الرحيم » : الراحم .

١٣٣ « الرحمن » اسم منع من التسمية به ومن الوصف به . و « الرحيم » اسم يجوز الوصف به .

• • •

١٣٥ ﴿ باب ﴾ : القول في تأويل فاتحة الكتاب

١٣٩ خطأ من قرأ « الحمد لله » واستحقاقه العقوبة إذ قرأها وهو عالم بخطئه .

١٤٣ كل أهل زمان « عالم » ذلك الزمان .

- ١٤٦ مذهب الطبرى أن « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ليست آية من الفاتحة .
- ١٤٧ ليس فى القرآن آيتان متجاورتان مكررتان بمعنى واحد
- ١٤٨ اختلاف القراء فى « مالك » و « ملك » ، وبيان وجوههما .
- ١٥١ تفضيل بنى إسرائيل على العالمين ، تفضيل موقوت بزمانهم
- ١٥٢ قراءة من قرأ « مالك » بنصب الكاف ، ورفض هذه القراءة
- ١٥٦ الكلام فى إسناد من أكثر الأسانيد دوراناً فى تفسير الطبرى .
- ١٦٢ بيان معنى أمر الله عباده أن يسألوه المعونة .
- ١٦٣ سبب تقديم الخبر عن العبادة ، وتأخير طلب المعونة .
- ١٦٤ وجه تكرار « إياك » فى الآية .
- ١٦٧ أن الله لا يكلف عبداً فرضاً إلا بعد تبيينه له ، وإقامة الحجة عليه .
- ١٧٩ الدليل على أن طاعة الله لا ينالها المطيعون إلا بإنعام من الله .
- ١٨٢ كراهة القراءة بنصب « غير المغضوب » .
- ١٨٤ حاجة الطبرى إلى ذكر وجوه إعراب القرآن ، مع أنه قصده فى كتابه وجوه تأويل القرآن .
- ١٨٨ صفة غضب الله تعالى .
- ١٩٠ ردّ مقالة من قال : « غير » فى آية الفاتحة ، بمعنى « سوى » .
- ١٩٨ (باب) : مسألة يسأل عنها أهل الإلحاد والطاعنون فى القرآن : أن قوله تعالى : « ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين » قد حوت معانى الآيات الخمس الباقية من سورة فاتحة الكتاب . وجواب الطبرى .
- ١٩٨ « التّوراة » مواعظ وتفصيل ، و « الزبور » تحميد وتمجيد ، « والإنجيل » مواعظ وتذكير — ليس فى واحد منهما معجزة تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق .
- ١٩٨ المعانى التى فضل بها القرآن سائر الكتب ، وهى خالية منها
- ٢٠٠ حديث « فاتحة الكتاب » ، وما يجب به العبد إذا تلاها

٢٠٥ ﴿القول في تفسير السورة التي يذكر فيها البقرة﴾ .

* * *

٢٠٥ وجوه القول في فواتح سور القرآن ، وبيان كل قول ، وما رجحه الطبرى من معانى هذه الوجوه .

٢٠٩ ذكر « أ ب ت ث » ، و « حطى » ، و « أبى جاد »

٢١٥ بعض سور القرآن يفتحها الله بالحمد لنفسه ، وبعضها بتعظيم نفسه بالتسبيح .

٢٢١ كيف يجوز أن يكون حرف واحد شامل للدلالة على معان كثيرة .

٢٢٢ كَلَّ من تأوَّل شيئاً على وجه دون وجه ، سئل البرهان على دعواه بما يجب التسليم له . ثم يعارض بقول مخالفه ، ويسأل عن الفرق بينه وبينه من أصل يدل عليه .

* * *

٢٣٧ اختلاف أهل التأويل في القوم الذين نزلت فيهم أوائل سورة البقرة : أنهم مؤمنو العرب خاصة ، وأنهم مؤمنو أهل الكتاب خاصة ، وأنهم جميع المؤمنين من العرب والعجم وأهل الكتابين ، وسواهم .

٢٣٩ أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في المناققين .

٢٤٣ كانت النفقات قربات ، قبل نزول فرض الزكاة ، وفرائض الزكاة في سورة براءة .

٢٤٦ خبر ابن عباس : أن سورة البقرة من أولها تعريض بدم كفار أهل الكتاب .

٢٥١ اختلاف المفسرين في الذين عنوا بقوله : « إن الذين كفروا سواءٌ عليهم . . . » ، أنهم اليهود ، أو أنهم الكفار جميعاً ، أو أنهم الذين قتلوا يوم بدر .

- ٢٦٣ قراءة من قرأ : « وعلى أبصارهم غشاوة » بنصب « غشاوة » غير جائزة ، وإن كان لها مخرج في العربية . وبيان هذا المخرج .
- ٢٧٠ صفة المنافق .
- ٢٧٠ ما كان عليه اليهود من عداوة رسول الله صلى الله عليه .
- ٢٨٢ اختلاف القراء في قراءة : « بما كانوا يكذبون »
- ٣٠١ الاختلاف في صفة استهزاء الله عز وجل
- ٣٠٥ الرد على من نفي عن الله تعالى ما وصف به نفسه .
- ٣٣٠ ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين
- ٣٧١ أن العرب في جاهليتها كان عندها من العلم بوحداية الله وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم ، نظير الذي كان عند أهل الكتابين .
- ٣٨٤ أخبار في صفة الجنة .
- ٣٨٩ أخبار في صفة ثمار الجنة .
- ٣٩٥ أخبار في صفة الأزواج المطهرة .
- ٤١١ العهد الذي أخذته الله على الناس حين أخرجهم من صلب آدم .
- ٤١٧ كل شيء نسبته الله إلى غير أهل الإسلام من مثل اسم « خاسر » فلأنما يعني به الكفر ، وما نسبته إلى أهل الإسلام ، فلأنما يعني به الذنب .
- ٤١٨ القول في الإحياء والإماتة مرتين .
- ٤٢٦ أن رسول الله صلى الله عليه ، لم يكن قط كاتباً ، ولا لأسفار أهل الكتاب تالياً ، ولا لأحد منهم مصاحباً ومجالساً .
- ٤٣٣ الخبر في خلق السماء من رقم ٥٩٠ - ٥٩٥
- ٤٤٨ خبر دحو الأرض من مكة ، وأن بها قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم ، والركن ، والمقام .
- ٤٤٩ الأخبار في خلق آدم وخلافته وما كان من قول الملائكة وإبليس من رقم ٦٠٠ - ٦١٦

- ٥٠١ الأخبار في ذكر إبليس وما كان قبل لعنته .
 ٥١٢ الأخبار في أمر آدم وحواء .
 ٥٢٤ اختلاف القراء في قراءة : « فأزلهما الشيطان » .
 ٥٢٦ أخبار استئلال إبليس آدم وحواء ، ودخوله الجنة بعد طرده . أخبار
 من رقم ٧٤٢ - ٧٥٢ .
 ٥٣٥ الذين أهبطوا من الجنة ، والعداوة بين آدم والحية .
 ٥٤٢ الاختلاف في الكلمات التي تلقاها آدم

* * *

- ٥٧٩ فهرس الآيات التي استدلت بها في غير موضعها من التفسير
 ٥٨٥ فهرس اللغة
 ٥٩٠ فهرس أعلام المترجمين في التعليق
 ٦٠٢ فهرس المصطلحات
 ٦٠٣ فهرس الرد على الفرق
 ٦٠٤ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرهما